منطقة نجران

دراسات، وإضافات، وتعليقات

(من قبل الإسلام – ق١٥هـ / ق١ - ق٢١م)

الجزء الأول

إعداد

أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

أبها - السعودية

الطبعة الأولى

(١٤٤١هـ / ٢٠١٩م)

ح | غيثان بن علي بن جريس، ١٤٤٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

جريس، غيثان بن علي بن عبد عبد الله

منطقة نجران (دراسات واضافات وتعليقات) ، (الجزء الأول) ./ غيثان بن علي بن عبد الله جريس -. الرياض، ١٤٤٠هـ، ط١

٥٩٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٣- ٠٢٧٠ - ٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- نجران (السعودية) - تاريخ ٢- السعودية - تاريخ أ- العنوان

ديوي ٩٥٣,١٥٣ ١٤٤٠/٧١٤٦

رقم الإيداع ١٤٤٠/٧١٤٦

ردمك: ٣- ٠٢٧٠ - ٠٣-٦٠٣ - ٩٧٨

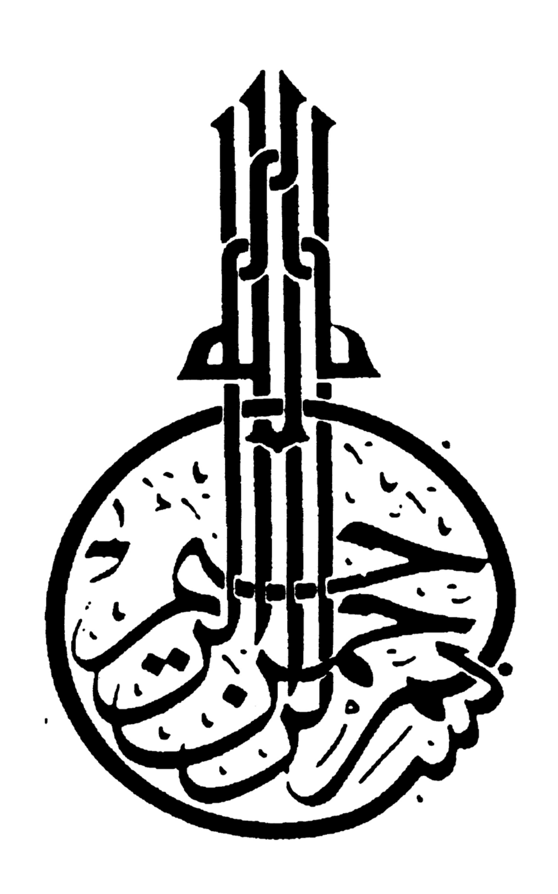
الطبعة الأولى

١٤٤١هـ / ٢٠١٩م

الرياض: مطابع الحميضي

Email:Jrais 2009 @hotmail.com

(أبها - المملكة العربية السعودية- ص.ب: ٩٠٥٠)


بسم الله الرحمن الرحيم



الفهرس العام لمحتويات الكتاب





أولاً : المقــــــــدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأمين محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. أما بعد، فأرض نجران ذات أصالة وعراقة تاريخية وحضارية عبر عصور التاريخ. ونجد لها وأهلها ذكراً في الكتب السماوية، فضلا عن المصادر الكلاسيكية القديمة، وكذلك الآثار والنقوش والرسومات الصخرية. والباحث في كتب التراث الإسلامي يجد تفصيلات كثيرة وبخاصة المؤلفات العامة التي أرخت للقرون الإسلامية الأولى، والمصادر اليمنية التي وثقت تاريخ وحضارة الدولة الزيدية في صعدة وصنعاء في القرون (٣-١٤هـ/ ٩-٢٠م)، فهي الأخرى مليئة بالأحداث والأخبار السياسية والحضارية الخاصة بأهل وأرض نجران[١].

والسائح اليوم في منطقة نجران يدرك اتساع رقعتها الجغرافية، وتنوع تضاريسها، وتباين كثافتها السكانية. والباحث في بعض المصادر التي استطعنا الاطلاع عليها يجد معظم المعلومات المدونة عنها تركز على بلدة نجران الرئيسية، مع أن هذه الناحية لا تمثل إلا جزءاً يسيراً من عموم منطقة نجران[٢]. وهذه البلاد بمفهومها العام ذات موقع استراتيجي يربط بين اليمن، ونجد، وجبال السروات بمنطقة عسير وما جاورها. كما أنها ذات موارد اقتصادية متنوعة، ناهيك عن تراثها الاجتماعي والعقدي والثقافي المتنوع والمؤثر في حياة الناس العامة والخاصة[٣].

وهذا الكتاب: **منطقة نجران (دراسات، وإضافات، وتعليقات) (من قبل الإسلام- ١٥هـ/ ق٥- ٢١م) (الجزء الأول)**[٤]. هو مجموع (١٤) دراسة علمية تم دراستها

---

(١) نعم هناك ذكر وأحياناً إشارات في المصادر المذكورة أعلاه. وبعض هذه التفصيلات دُرست في بعض البحوث والكتب الحديثة، لكن ما تم نشره حتى الآن لا يعطينا صورة واضحة عن تاريخ وتراث وحضارة الأوطان النجرانية. وما زال المشوار طويلاً في هذا الجانب. ونأمل من المؤرخين والآثاريين الجادين أن يلتفتوا إلى هذه البلاد الجديرة بالبحث والدراسة. كما نأمل من جامعة نجران أن تنشئ قسمًا علميًا للآثار والتاريخ لعله يقوم ببعض الواجب تجاه حفظ تراث وموروث منطقة نجران الحضاري.

(٢) هذا ما عرفته وقرأته عن منطقة نجران خلال العشرين سنة الماضية. وآمل أن أقوم برحلة شاملة في جميع أجزاء المنطقة النجرانية. كما آمل من المؤرخين الجادين في نجران أو أي ناحية من نواحي المملكة العربية السعودية أن ييمموا نحو البحث والتوثيق لتاريخ وحضارة هذه البلاد الغنية بالموروث الحضاري، والجديرة بالبحث والتنقيب.

(٣) ترددت على حاضرة نجران مرات عديدة منذ بداية القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، ووقفت على بعض آثارها، وقرأت وسمعت عن بعض لهجاتها، وعاداتها، وأعرافها، ناهيك عن تاريخها الاقتصادي والتنموي فهو غني بالمعلومات، وكل هذه الميادين وغيرها تستحق البحث والدراسة والتوثيق. بل تستحق المنطقة مراكز علمية بحثية تعكف على تدوين تراث الأرض وتاريخ وحضارة الناس عبر عصور التاريخ.

(٤) سبق هذا الكتاب جزء آخر عن منطقة الباحة (ق١- ق١٥هـ/ ق٧ – ٢١م٩). وأرجو أن أصدر عن كل منطقة في جنوب المملكة العربية السعودية أكثر من جزء وجميعها تدرس تاريخ وتراث وحضارة هذه البلاد التهامية والسروية الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز الرئيسية.

وتوثيقها ونشرها خلال العشر سنوات الماضية. وقد نُشرت في أوعية متفرقة من مؤلفاتي، أو في مجلات أو موسوعات علمية أخرى، ولهذا صار الاطلاع عليها يشوبه الكثير من العقبات لتباعد أزمنة نشرها، وتنوع وتفرق الأوعية التي نشرت فيها. وأيضًا تعدد الطلب والأسئلة عن بعضها، وبخاصة من الطالبات والطلاب في برامج الدراسات العليا، وبعض الباحثين والمؤرخين عن منطقة نجران عبر عصور الإسلام المختلفة[١].
ولهذا السبب رأيت توفير المال والجهد على كل باحث ومؤرخ وجمعت كل هذه البحوث الخاصة بمنطقة نجران في هذا السفر، وأرجو أن يتبعه أجزاء أخرى تحت العنوان نفسه. كما أرجو من كل باحثة أو باحث جاد أن لا يبخل علينا بالرأي أو التصويب في كل ما يجده من نقص أو قصور في ما تم نشره، ولا ندعي الكمال، لكننا ندعو إلى العمل الجاد والمفيد (بإذن الله تعالى)، كما نبحث عن الصواب والحقيقة في كل ما نقرأ ونبحث ونوثق[٢].

والناظر في هذه البحوث الأربعة عشرة يجدها تدور في فلك تاريخ وحضارة نجران والنجرانيين من قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر. واللافت للنظر أن الدراستين الأوليين تدرس نجران وبلاد تهامة والسراة قبل الإسلام وبعده سياسيًا وإداريًا وحضاريًا. وهاتان الدراستان تم نشرهما من قبل في بعض مؤلفاتي، ووجدت فيهما مادة علمية كبيرة عن منطقة نجران وأجزاء من بلاد تهامة والسراة، لهذا أرتأيت نشرها في هذا المجلد، لأهمية المعلومات الموجودة فيهما عن نجران، ثم لاتصال المنطقة النجرانية بالبلاد السروية والتهامية الممتدة من جازان ونجران إلى الطائف ومكة المكرمة. بل إن نجران نفسها تعد جزءاً من بلاد السروات حتى وإن كانت بعض أجزائها الشرقية والشمالية الشرقية تتصل ببلاد نجد لكنها في تركيبتها السكانية، والكثير من أعرافها وتقاليدها أشبه وأقرب إلى السروات وأهلها[٣].

---

(١) تتكرر هذه التساؤلات من المؤرخين وطلاب الدراسات العليا، ليس على نجران فحسب وإنما على الكثير من بحوثي ومؤلفاتي، لهذا حولت جميع كتبي ودراساتي الورقية إلى نظام رقمي، وهي وقف لله تعالى، وليست للربح أو التكسب، وتوجد على الرابط الآتي (Prof-ghithan.com)

(٢) هذا ما أرجوه وأتطلع إليه في كل أعمالي العلمية، واسأل الله عز وجل أن يرزقنا صدق القول والعمل، وأن يسخرنا لخدمة ديننا وبلادنا. وأن يجعلنا من عباده الصادقين المخلصين الذين يرجون العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة.

(٣) أقول هذه الأقوال، وهي نتيجة لما عرفته وشاهدته أثناء رحلاتي في أجزاء نجران وتهامة والسروات، الممتدة من جازان ونجران إلى مكة والطائف، وكذلك دراسة وتوثيق تفصيلات كثيرة عن هذه الأوطان المتقاربة في لهجاتها وتراثها اللغوي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والعمراني وغيرها من الميادين الحضارية الأخرى.

في الختام: اشكر كل من شارك في تدوين وتوثيق مادة هذا الكتاب، أو من اقترح جمع مادتـه في مكان واحد. كما أشـكر كل من وقف معي في صـفه وطباعتـه ومراجعته العلمية واللغوية. واسأل المولى- عز وجل- أن يجعل جميع أعمالنا خالصة لوجه الكريم، وأن يكون هـذا العمـل حجة لنا لا حجة علينـا، وأن لا يحرمنا أجره. وآخـر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا الكريم.

جمعه وكتب مقدمته العبد الذي يرجو مغفرة ورحمة ربه (عز وجل)
غيثان بن علي بن عبد الله بن جريس الثوابي الجبيري الشهري
الحجري الهنوئي الأزدي في مدينة النماص
(في منتصف شهر شعبان/ ١٤٤٠هـ الموافق ٢٠ إبريل/ ٢٠١٩م)

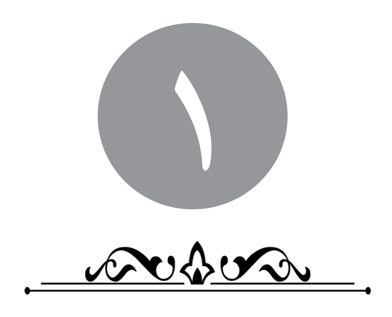


ثانياً

منطقــة نجــــــران

دراسات، وإضافات، وتعليقات

(من قبل الإسلام - ق١٥هـ / ق ٥ - ق ٢١ م)



الدراسة الأولى

صور من التاريخ السياسي والحضاري لبلاد نجران وتهامة والسراة قبل الإسلام وبعده.

بقلم : أ . د . غيثان بن علي بن جريس



الدراسة الأولى: صور من التاريخ السياسي والحضاري لبلاد نجران وتهامة والسراة قبل الإسلام وبعده: (١)

(١) نقصد بكلمة (بعده)، أي منذ ظهور الإسلام في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى عصري الخليفتين الأمويين معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد، أي ستينيات القرن الهجري الأول (السابع الميلادي) وقد ندرس مستقبلاً في سلسلة كتابنا: القول المكتوب في تاريخ الجنوب بعض الجوانب التاريخية والحضارية لبلاد نجران وتهامة والسراة وبخاصة في عصر بني أمية وما تلاه من عصور التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث.

أولاً : مدخل :

بلاد نجران وتهامة والسراة هي الأوطان الواقعة بين حواضر اليمن والحجاز، ومن مراكزها القديمة نجران، وجرش، وبيشة، وتبالة، وأزد السراة، والطائف[١] . وجازان، وصبيا، وبيش، والبرك، ووادي يبه وقنونا، والسرين، وعشم وغيرها[٢] . والباحث في تاريخ وحضارة هذه البلاد قبل الإسلام لا يجد عنها الشيء الكثير، مع أنها مواطن استيطان قديمة، فيوجد بها العديد من البطون والقبائل العربية القديمة، كما أن موقعها الجغرافي استراتيجياً فهي تربط بين اليمن والحجاز من الجنوب والشمال، وتطل على البحر الأحمر من الغرب، وتمتد حدودها الشرقية حتى تلتقي بالربع الخالي وبلاد نجد وما جاورها شرقاً، بالإضافة إلى أنها أرض خيرات اقتصادية متنوعة: كالرعي والصيد والزراعة والتجارة والحرف والصناعات التقليدية المختلفة[٣].

ومن المحاور المهمة والجديرة بالبحث والدراسة في هذه النواحي النجرانية والتهامية والسروية قبل الإسلام وبعده، التي نوصي ببحثها ودراستها، ما يلي :

١. تاريخ القبائل العربية التي تستوطن نجران وتهامة والسراة منذ العصور القديمة، أصولها، أنسابها، مواطنها، حروبها، علاقتها مع بعضها البعض، هجراتها، دورها الحضاري والسياسي قبل الإسلام وبعده، علاقاتها مع غيرها داخل الجزيرة العربية وخارجها، أعلامها قبل الإسلام وبعد.
٢. تاريخ العناصر غير العربية التي عاشت في بلاد نجران وتهامة والسراة منذ العصر الجاهلي حتى القرون الأولى من العصر الإسلامي، أصولهم، علاقاتهم بالعنصر العربي، إسهاماتهم التاريخية والحضارية في مجتمعاتهم .
٣. تاريخ الحياة السياسية أو الاجتماعية، أو الاقتصادية في المجتمعات النجرانية والتهامية قبل الإسلام وبعده حتى نهاية العصر الأموي أو العباسي، وكذلك الصلات التاريخية والحضارية لهذه المجتمعات مع بعضها البعض أو مع البلاد اليمانية أو الحجازية.
٤. تاريخ الحياة العلمية والثقافية والفكرية في نجران وتهامة والسراة قبل الإسلام، أو بعده حتى القرن الثالث أو الرابع الهجري (التاسع أو العاشر الميلادي) .

والمتأمل في حياة النجرنيين والسرويين الأدبية والثقافية قبل الإسلام، يجد أن لغتهم وأشعارهم كانت نشطة، والفاحص لكتب التراث الإسلامي المبكر سوف يجد شعراء مشاهير في الأدب الجاهلي من بلاد نجران وتهامة والسراة والبعض منهم قد جاءوا أو عبروا هذه

---

(١) جميع هذه الحواضر في البلاد النجرانية والسروية الممتدة من نجران حتى الطائف، وهناك مراكز حضارية أخرى في هذه السروات، وقد أشارت إليها كثير من المصادر التاريخية، والأدبية، واللغوية، والجغرافية وغيرها . ونأمل أن نرى بعض طلابنا في درجتي الماجستير والدكتوراه بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد يوجهون بعض دراساتهم وأطروحاتهم العلمية إلى هذه النواحي السروية المختلفة .

(٢) كل الحواضر الآنف ذكرها في المتن تقع في الأجزاء التهامية الواقعة بين مكة المكرمة وجازان، وهي الأخرى تحتاج إل من يدرسها ويدون تاريخها وحضارتها بشكل علمي رصين .

(٣) كل هذه المؤهلات التي امتازت بها نجران والسراة واضحة للعيان، ويتضح ذلك من خلال تجوالنا في مناكبها ثلاثين عاماً، وفحص آثارها ونقوشها ورسوماتها الصخرية، وكذلك القراءة عنها في كثير من مصادر التراث الإسلامي المبكر .

الأوطان النجرانية والسروية، ومنهم على سبيل المثال: امرؤ القيس ،والأعشى، والشنفرى، وحاجز الأزدي، وتأبط شرا، وسليك بن السلكة[١]. وعمرو بن معديكرب الزبيدي وغيرهم[٢].

وفي هذا القسم الذي بين أيدينا سوف نقصر حديثنا على رصد صفحات من تاريخ نجران وتهامة والسراه منذ عصر ما قبل الإسلام إلى العقد السادس من القرن الهجري الأول (السابع الميلادي). وهناك محاور ثلاثة سوف تكون مجال نقاشنا، وهي: (١) لمحات من العلاقات التاريخية والحضارية لأهل نجران وتهامة والسراة مع غيرهم من الأمم والمجتمعات داخل الجزيرة العربية وخارجها في العصور السابقة للإسلام. (٢) صفحات من تاريخ نجران وتهامة والسراة في عهد الرسول ﷺ. (٣) شذرات من تاريخ نجران وتهامة والسراة في عصر الخلفاء الراشدين (١١-٤٠هـ/٦٣١-٦٦٠م)، والعقدين الأوليين من عصر دولة بني أمية (٤٠-١٣٢هـ/ ٦٦٠- ٧٤٩م).

ثانيا: صور من صلات نجران وتهامة والسراة مع غيرها قبل الإسلام:

من الصعب أن نلم بالصلات التاريخية والحضارية بين بلاد نجران وتهامة والسراة وغيرها قبل الإسلام، ولكن في الصفحات التالية نورد لمحات من تلك العلاقات، وهي على النحو التالي:

١. صلات نجران وتهامة والسراة مع اليمن:

كانت نجران وتهامة والسراة مستقلة عن اليمن في معظم فتراتها التاريخية، إلا أنها ارتبطت بها في بعض الأطوار السياسية، وسوف نتناول هذا الموضوع من خلال التقسيم الزمني لدويلات اليمن المتتابعة، التي تتمثل في دول معين وسبأ وحمير، فقد قامت دولة معين في الفترة الممتدة (١٢٢٠ق م. ٦٣٠ ق م) في منطقة الجوف بن نجران وحضرموت في الجنوب وتمتد إلى شمال الحجاز حتى فلسطين[٣]، ولهذا فالعلاقة في الدور المعيني كانت سيطرة نفوذ فقط، ونستدل على ذلك من أن بعض قبائل نجران والسراة مثل: خولان[٤]، كان يتردد ذكرها في نقوش دولة معين[٥].

---

(١) الشنفرى، وحاجز الأزدي، وتأبط شراً، وسليك بن السلكة، استوطنوا جميعهم في بلاد السراة قبل الإسلام، وعرفوا بالخلعاء أو الصعاليك، بل أطلق عليهم وأمثالهم (شعراء الصعاليك)، ومنهم العرب، وغير العرب، إلا أنهم كانوا أصحاب شعر جيد حتى إن كانوا مطرودين أو منبوذين من مجتمعاتهم، وهم جديرون بالبحث والدراسة مع الحرص على معرفة علاقاتهم السلبية والإيجابية بمجتمعاتهم السروية والتهامية. للمزيد انظر عبد الحليم حفني. شعر الصعاليك منهجه وخصائصه (القاهرة، ١٩٧٧م)، ص٣٧ وما بعدها، يوسف خليف. الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي (دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م)، ص٨٠ وما بعدها.

(٢) عمرو بن معد يكري الزبيدي من أهل السروات، وتحديداً من بلاد زبيد في أرض قحطان. والدارس لأدب وشعراء نجران سوف يجد عدداً لابأس به من فحول الشعراء النجرانيين. ونقول إن دراسة كل شاعر من شعراء نجران وتهامة والسراة قبل الإسلام يستحق أن يكون عنوانا لرسالة ماجستير أو بحث علمي أكاديمي.

(٣) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ط القاهرة، ج١ ص٢٣، صالح أحمد العلي: محاضرات في تاريخ العرب، دار الكتب للطباعة والنشر بجامعة الموصل، بغداد، ج١، ص١٩. وبيومي مهران: تاريخ العرب القديم، (الإسكندرية، ١٩٨٨م)، ص١١.

(٤) خولان: هو مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ، وذكر ابن حزم أنه كان لخولان كثير من الولد مثل أبي إدريس حبيب وعمرو، والأصهب، وقيس، ونبت، وبكر، وغيرهم، انظر القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٨٤م، ص ٢٤٨

(٥) صالح العلي، ص ١٩. مازلنا بحاجة ماسة إلى دراسة الآثار والنقوش والكتابات التي أشارت إلى تاريخ وحضارة بلاد نجران وتهامة والسراة قبل الإسلام. ونأمل من أساتذة التاريخ القديم أن يفيدونا في هذا الجانب.

ويمكن تقسيم علاقة نجران وتهامة والسراة بسبأ إلى أربعة أدوار : الدور الأول كانت البلاد النجرانية والسروية والتهامية مستقلة عن مملكة سبأ على الرغم من محاولة ملوك سبأ مثل المكرب (سمة على ينف) و (ويثع إمريين) إخضاعهم، ومن ثم جردوا عليهم عدة حملات أوقعت بهم خسائر فادحة في جرش وعسير ونجران فقتلوا منهم حوالي خمسة وأربعين ألف رجل، وأسروا ثلاثة وستين ألف أسير، وغنموا واحداً وثلاثين ألف رأس من الماشية، وأحرقوا عدداً كبيراً من قراها ومدنها[١]. وعلى الرغم من كل هذه الخسائر التي أصابت قبائل السراة خاصة في نجران، فقد أخفق ملوك سبأ في فرض نفوذهم عليهم في الدور الأول من حكمهم لليمن .

أما الدور الثاني فيعتبر امتداداً للدور الأول لأن نفس المحاولات تكررت من ملوك سبأ مثل (شعر أوتر) فقد جرد عدة حملات، واحدة على الأشاعرة في جازان، وأخرى لإخضاع قبائل نجران ومن يعاونهم من الأحباش، لأن نجران كانت تدين بالولاء للأحباش حيث كان يجمعهم مذهب اليعاقبة[٢]، مع أن الملك (شعر أوتر) قد تمكن من فرض نفوذه على اليمن إلا أنه أخفق في بسط نفوذه على أرض نجران وتهامة والسراة، ولا سيما الأراضي الواقعة على ساحل البحر الأحمر من الأوطان التهامية حيث كان يسيطر عليها حكام معارضون " لشعر أوتر "[٣].

أما الدور الثالث فقد تجددت الثورة بصورة أشد عنفاً كما تشير النصوص الأثرية[٤]، التي تشير إلى أن بعض قبائل نجران وتهامة مثل عك وما جاورها تحرشت بجيوش ملك سبأ [٥]، الذي فوجئ بكثرة جيوش تلك البلاد، فعاد ووضع خطة أخرى لمحاربتهم ومن يعاونهم من الأحباش، وقبل بدء المعركة أرسل ملك سبأ فرقة استطلاعية لاستكشاف أخبار بلاد نجران وتهامة والأحباش، ثم جرد عليهم حملة عسكرية في ديار بيش[٦]، ودارت معارك عديدة انتهت بانتصار ملك سبأ[٧]، ثم تطورت محاولات ملوك سبأ حتى بلغت حد إكراه بعض القبائل السروية على الخضوع لملوك سبأ، ويتمثل ذلك عندما قامت الثورة في نجران على الملكين وهما (صحيم بن جشم، وال شرح يحضب) اللذان حاصرا نجران لمدة شهرين، ولكن انتهى الحصار بالفشل بسبب الدعم الذي تلقته نجران من سبقل وهو ممثل

---

(١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، ص ٢٨٣ . (الطبعة الثالثة) ، ج٢، ص ٢٨٣ وربما كان هذا العدد مبالغاً فيه ونحتاج إلى مصادر أخرى تؤكد أو تنفي ما تم الإشارة إليه .

(٢) للمزيد انظر، مهران، ص ٢٨١، ٣٠٧، أحمد أمين . فجر الإسلام (القاهرة، ١٩٧٨م) ص ٢٦ .

(٣) جواد علي، ج٢، ص ٤١٢، ج٦، ص ٦١٤ .

(٤) يشير نص الكتابات التي وسمت (jamme 594) (jamm575) وفيها أخبار عن معارك وقعت بين الملك الشرح يحضب وبين الأحباش ومن كان إلى جانبهم من الديار التهامية . جواد علي، ج٢، ص٤٢٦ .

(٥) ذكر جواد علي أن ملك سبأ يسمى (ال شرح يحضب) ، المفصل، ج٢، ص٤٢٧، ٤٢٨ .

(٦) لمزيد من التفصيلات عن وادي بيش وما جاوره من الأودية التهامية، انظر: عبد الرحمن الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية (الرياض : دار المريخ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ج١، ص ١٧٢ وما بعدها، انظر أيضاً فؤاد حمزة . في بلاد عسير . (القاهرة، ١٩٥١م) ص ٤٥ .

(٧) جواد علي، ج٢، ص ٤٣٨ .

الحبشة في نجران[١]، ثم أعاد الملكان الكرة وهاجما نجران فانتصرا وحصلا على غنائم كبيرة وعادا بها إلى صنعاء ثم أخذا عدداً من أبنائهم رهائن حتى يضمنا خضوعهم، ومع ذلك لم تخضع أوطان نجران وتهامة والسراة لملوك سبأ في تلك المرحلة[٢].

أما في الدور الرابع فقد نجح ملوك سبأ في إخضاع نجران وتهامة والسراة لهم في الفترة الممتدة من (٣٠٠ حتى عام ٥٢٥م)، عندما حمل ملوك سبأ لقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها في المرتفعات والتهائم) [٣]، وليس أدل على ذلك من خضوع بلاد نجران وتهامة والسراة لمملكة سبأ في الدور الرابع من أدوار تاريخها، وأن نجران أصبحت عاصمة اليمن ومقراً للحكم في عهد مملكة مهامر، وأيضاً مقراً للجيش حيث انطلقت من نجران حملة نحو الأنباط في الشمال فدمرتها [٤].

أما صلات النجرانيين والسرويين والتهاميين بدولة حمير، فقد ظهرت مملكة حمير سنة (١١٥ق م)[٥]، وكانت تمتاز بطابع عسكري، واشتهر ملوكها بالقيادة العسكرية مثل (شمر يهرعش) الذي جرد على أهل نجران والسراة وتهامة حملة عسكرية تتبعتهم حتى ساحل البحر الأحمر وانتصرت عليهم، وسير حملة أخرى تضم مئة وسبعين محارباً تحت قيادة (وفيم أحبر) لمهاجمة قبائل عك وقد حققت بعض الانتصارات عليهم [٦]، وتوجت انتصارات شمر يهرعش بخضوع منطقة نجران في النصف الثاني من حكمه، ولكن سيطرته على بقية نجران وتهامة والسراة، كانت تمثل خطراً على امرئ القيس مما دفعه إلى أن يحارب شمريهرعش، كما يشير إلى ذلك نص النمارة[٧] من الانتصار عليه [٨]، ثم حارب قبائل مذحج [٩]، ومعد[١٠]، ونجح في بسط نفوذه على بلاد السراة من الشمال حتى نجران في الجنوب[١١].

---

(١) المرجع نفسه، ج٢، ص ٤٣٨ .

(٢) المرجع نفسه، ج٢، ص ٤٣٨، ٤٣٩ .

(٣) مهران، ص ٢٧٢ .

(٤) جواد علي، المفصل، ج٢، ص ٥٠٧، ٥٠٨ .

(٥) حسن إبراهيم حسن، ج٢، ص٢٨ .

(٦) جواد علي، المفصل، ج٢، ص ٥٤٤، ٥٤٨ .

(٧) للمزيد انظر المرجع نفسه .

(٨) جواد علي، ج٢، ص ٥٤٨، ٥٤٩ .

(٩) مذحج : تنسب إلى مالك بن أدد بن زيد بن يشحب بن زيد بن كهلان بن سبأ، ومذحج له كثير من الولد مثل جلد بن مذحج، ويحابر وهو مراد بن مذحج، وزيد وهو عنس بن مذحج، وسعد العشيرة بن مذحج وسمي سعد العشيرة لأنه كان يركب من ولده لصلبه في ثلاثمائة فارس، وأمهم كلهم سلمى بنت منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر. أبو محمد علي بن سعيد بن حزم . جمهرة أنساب العرب . تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة، د. ت) ص ٤٠٥ .

(١٠) هو معد بن عدنان وله من الأولاد أربعة هم : نزار بن معد، وقضاعة بن معد، وقنص بن معد، وإياد بن معد، فأما قضاعة فتيامنت إلى حمير بن سبأ، وسمي سبأ لأنه أول من سبى من العرب، وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ابن هشام، السيرة النبوية . تحقيق طه عبد الرؤوف سعد (دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م)، ج٢، ص ١٠ .

(١١) جواد علي، ج٢، ص ٥٤٨ .

٢.صلات نجران وتهامة والسراة بمكة المكرمة :

العلاقات النجرانية السروية التهامية المكية متنوعة وتشمل النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والدينية [١]، والتاريخ الثابت لهذه العلاقة يعد قديما ودليل ذلك أن قصي بن كلاب جد الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو ثمرة المصاهرة بينهم، فقد أشار ابن هشام إلى أن مرة بن كعب تزوج امرأة من بارق هي أم يقظة البارقية، وتزوج كلاب بن مرة فاطمة بنت سعد من جعثمة الأزد[٢]، وهم حلفاء بني عبد مناف[٣]، فأنجبت له قصي بن كلاب وزهرة بن كلاب[٤]، واستمرت علاقات المصاهرة بين قبائل مكة والسراة قبل الإسلام وبعده، فتذكر بعض المصادر أن جعفر بن أبي طالب تزوج أسماء بنت عميس الخثعمية، ثم تزوجها بعده أبو بكر الصديق، ثم علي بن أبي طالب، وتزوج حمزة بن عبد المطلب أخت أسماء وهي سلمى بنت عميس الخثعمية[٥].

وكان الكثير من العادات الاجتماعية المشتركة بين مكة وأهل نجران وتهامة والسراة تنطلق من رحاب الدين ألا وهو الحمس[٦]، ومن العادات المشتركة إذا زوجوا امرأة منهم لغريب وولدت له فهو أحمس على دينهم[٧]، إلى جانب أنهم كانوا يختتنون أولادهم، ويغتسلون من الجنابة، وقد تباعدوا في الزواج من الابنة وبنت الابنة والأخت وبنت الأخت[٨]، بالإضافة إلى أنهم كانوا يتزوجون بالصداق والشهود[٩].

والعلاقات الدينية بين قبائل مكة والنجرانيين والسرويين تدور على محورين هما: دين الحمس والأصنام، ويعتبر دين الحمس هو القاسم المشترك الأعظم في العلاقات

---

(١) ابن حبيب، المحبر (ط دار الآفاق بيروت)، ص١٧٨، ١٧٩ .

(٢) جعثمة الأزد : هو جعثمة بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد بن الغوث، وإنما سموه الجدرة، لأن عامر بن جعثمة تزوج بنت الحارث بن مضاض الجرهمي، وكانت جرهم أصحاب الكعبة فبنى للكعبة جداراً فسمي عامراً بذلك الجدار فقيل لولده الجدرة، ابن هشام، ج١، ص ١٠٥ .

(٣) عبد مناف : هم بني الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة . ابن هشام، ج١، ص١٠٤، وذكر ابن الأثير أن أبا القشب الأزدي من أزد شنوءة بالسراة هو حليف بني عبد المطلب بن عبد مناف . ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة (ط دار العربي بيروت)، ج ٣، ص ٢٥٠ .

(٤) ابن هشام، ج١، ص ١٠٤ .

(٥) ابن حزم، ص ٣١٩ .

(٦) الحمس : هم الذين شددوا على أنفسهم في دينهم، فكانوا إذا نسكوا لم يسلأوا سمناً، ولم يطبخوا، ولم يدخروا لبناً، ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها حتى يعافه، ولا يبنون في حجهم شعراً، ولا وبراً ولا صوفاً ولا قطناً، ولا يأكلون لحماً، ولا يمسون دهناً، ولا يلبسون إلا جديداً، ولا يمسون المسجد بأقدامهم تعظيماً لبقعته، ولا يدخلون البيوت من أبوابها، ولا يخرجون إلى عرفات ويقولون نحن أهل الله، ويلزمون مزدلفة حتى يقضوا نسكهم، ويطوفون بالصفا والمروة . انظر: أبو جعفر محمد بن حبيب : المحبر، تحقيق ايلزة ليختن شتيتر، منشورات دار الآفاق الجديدة ببيروت، ص ١٧٩، ١٨٠ .

(٧) أحمس على دينهم : أي يكون المولود أحمسياً على دينهم . جواد علي، ج ٢، ص ٣٦٢ .

(٨) مهران، ص ٤٢٥ .

(٩) الصداق : هو مهر المرأة أي ما يدفعه الرجل إلى أهل البنت عند عقد الزواج، والأصل في المهر دفعه للمرأة غير أن ولي أمرها هو الذي يأخذه لينفق منه على ما يشترى لتأخذه المرأة معها إلى بيت الزوجية، ويعد المهر علامة شرف وفريضة لازمة لصحة عقد الزواج، وكانوا لا يقرون زواجها إلا إذا كان بمهر. جواد علي، ج٥، ص٥٣٠، ٥٣١ .

الدينية بينهم، وقبائل السراة التي تشترك مع قريش في دين الحمس هي خثعم، وبني عامر بن صعصعة وكلهم حمس لتحمس إخوتهم بني ربيعة بن عامر[١]، والحارث بن كعب، وزبيد، وأزد شنوءة والغوث[٢]، والملاحظ أن الروايات التاريخية قد أغفلت ذكر قبيلة بجيلة مع أنها كانت في ريادة الأحمسين العرب[٣].

وترجع أسباب وجود دين الحمس إلى دواع متنوعة منها شعورهم بمكانة الكعبة عند العرب، مما جعلهم يرون لأنفسهم مكانة لا يرتقي إليها غيرهم من العرب، لأنها تتصل بكرامة البيت وحرمته لأنهم أولياؤه والقائمون بالأمر فيه، من سقاية الحجيج وإطعامهم وتوفير الأمن لهم[٤]، ومن ثم نشأ عندهم ما يسمى بنظام الحمس، ويقصدون به ابن الحرم الذي ينتمي إلى الكعبة[٥]، ومن ثم نادوا بين الناس " نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم وولاة البيت وقاطنو مكة وساكنوها فليس لأحد من العرب مثل حقنا " ، فهو امتياز لأهل الحرم وولاة البيت وقاطني مكة وساكنيها[٦].

هكذا شعر أبناء مكة المكرمة وسكان نجران والسروات أنهم يشكلون نسيجاً خاصاً غير القبائل الأخرى[٧]، وأن اتجاههم نحو الحمس يعكس نبض المجتمع تجاه القيمة المقدسة للبيت الحرام، وذلك يبين سبب مقاومة قبائل خثعم ناهس وشهران لمحاولة أبرهة هدم البيت الحرام[٨]، وكان من مظاهر تشدد الحمس الدينية هي ألا يعظم الأحمسي شيئاً من الحل، أي الأرض التي وراء الحرم كما يعظم الحرم[٩]، وكانوا يقولون نحن أهل الحرم،

---

(١) بنو ربيعة بن عامر: هم: بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك وأنشد لعمرو بن معديكرب بما يفيد ذلك .

أعباس لو كنت شياراً جيادنا … بتثليث ماناصبت بعدي الأحامسا

ابن هشام، ج١، ص ١٨٥ .

(٢) الغوث : ينسب إلى أخزم بن عمرو بن مازن بن الأسد، وذكر الأزرقي أن امرأة من جرم، وجرم بطن من بطون بجيلة، تزوجها أخزم وكانت عاقراً فنذرت إن ولدت غلاماً أن تتصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها ويقوم عليها، فولدت له الغوث بن أخزم، فتصدقت به عليها، فكان يخدمها في الدهر الأول مع أخواله من جرهم، فولي الإجازة بالناس لمكانه من الكعبة، وقالت أمه حين أتمت نذرها :

إني جعلت رب من بَنيَّه … ربيطةً بمكة العليه

فباركنّ لي بها أليّه … واجعله لي من صالح البريه

فولي الغوث بن أخزم الإجازة من عرفة وولده من بعده في زمن جرهم وخزاعة حتى انقرضوا .الأزرقي : أخبار مكة، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص ١٨٦، ١٨٧ .

(٣) ابن حزم، ص ٣٨٨، وبجيلة : اسم امرأة، ويرجع نسبها إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث أخي أسد بن الغوث . انظر: السمعاني . كتاب الأنساب (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م)، ج١، ص٢٤٨ .

(٤) مهران ، ص ٤٢٤ .

(٥) ابن هشام، ص ١٨٤، مهران، ص ٤٢٤ .

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (القاهرة، طبعة دار المعارف)، ص١٨٨، الأزرقي، ج١، ص١٧٦، مهران، ص ٤٢٤ .

(٧) ابن هشام، ج١، ص٤٠، عبد الغني حمادة : مكة المكرمة، (سوريا، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م)، ص٥٣.

(٨) المصدر والمرجع نفسهما .

(٩) لذلك فقد تركوا الوقوف بعرفة لأنها خارج الحرم، بالرغم من إقرارهم بأنها من شعائر الحج، ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها ويفيضوا منها، مهران، ص٤٢٥ .

فليس لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما نعظمها، وإن الرجل منهم إذا أحرم بالحج لا يدخل دارا، وإذا كانت له حاجة في بيته لا يدخله بل ينادي أهله ليخرجوا له حاجته، وبعضهم كانوا يتسلقون ظهور بيوتهم ثم ينزلون حجراتهم دون أن يمروا تحت عتبة الباب، وبعد الإحرام يحرمون على أنفسهم أشياء لم تكن العرب تحرمها [١].

ولم يكن مسلسل التشدد قاصراً عليهم بل فرضوه على غيرهم مثل العرب، الذين ألزموهم نفس النهج في أثناء شعائر الحج، فلا يطوفون بالبيت إلا في ثياب الحمس، فإن لم يجدوا طافوا بالبيت عراة[٢]، وذكرت بعض المصادر إلى أنه إذا طاف بثيابه التي جاء بها من الحل، ألقاها إذا فرغ من طوافه ولم يمسها هو ولا أحد غيره أبداً [٣]، ونتيجة لمكانتهم فقد حملوا ذلك على قبائل السراة، الأمر الذي جعلهم يقفون على عرفات، ويفيضون منها، ويطوفون بالبيت عراة، وكذلك النساء في نجران وتهامة والسراة أيضاً كن عراة مثل " ضباعة بنت عامر "[٤]. وكانت ذات جمال وهيئة فطلبت ثياباً عارية فلم تجد من يعيرها، ولم تجد بداً من أن تطوف عارية وأنشدت في ذلك شعراً [٥].

وكان الحجاج يؤدون فريضة الحج وفقاً لمناسك الحج مرددين الأهازيج والأناشيد في أثناء طوافهم، وتجد صدق ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٦].

أما العلاقات العسكرية بين المكيين والسرويين والتهاميين والنجرانيين فتظهر واضحة في الحلف الذي عقد بين قريش والأحابيش عند الكعبة[٧]، وكان لهذا الحلف دوره في انتصار المشركين على المسلمين في غزوة أحد (سنة ٣هـ/٦٢٤م)، وذلك حينما منيت قريش بهزيمة من الرسول ﷺ وأصحابه في غزوة بدر (سنة ٢هـ/٦٢٣م)، وطلبت قريش من الأحابيش

---

(١) الأزرقي، ج١، ص١٧٧، مهران، ص ٤٢٥، ٤٢٦ .

(٢) ابن هشام، ج١، ص ١٨٦، مهران، ص ٤٢٦، جواد علي، ج١، ص ٣٦٧ .

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص١٨٠، الأزرقي، ج١، ص ١٧٤، ١٧٥، مهران، ص ٤٢٦ .

(٤) ضباعة بنت عامر : هي ضباعة بنت عامر بن صعصعة ثم من بني سلمة بن قشير من السراة وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله ﷺ قد خطبها، فذكرت له أنها كبرت فتركها، قيل إنها ماتت حزناً على ذلك، قال ابن حبيب إن كان صح هذا فما أحراها أن تكون أماً للمؤمنين وزوجاً لرسول رب العالمين إلا قولها، (اليوم يبدو بعضه أو كله) تكرمة من الله لنبيه، وعلماً منه بغيرته، والله أغير منه . ابن هشام، ج١، ص ١٨٧ .

(٥) ويذكر أن ضباعة بنت عامر قالت :

اليوم يبدو بعضُه أو كلُّه ... وما بدا منه فلا أُحِلُّه

ابن هشام، ج١، ص ١٨٧، الأزرقي، ج١، ص ١٧٨ .

(٦) سورة الأنفال، آية (٣٥) . وموقف الإسلام من الحمس أنه أنكر دعاوى الحمس المتشددة، وأنزل آيات قرآنية تنظم الحج والشعائر الدينية الأخرى في مكة المكرمة . ومما ذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله : " بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمره عليها الرسول ﷺ في رهط يؤذنون في الناس بأن لا يحج بعد ذلك العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان" . انظر: ابن هشام، ج١، ص ١٨٨، جواد علي، ج، ص ٣٧١ .

(٧) ذكر جواد علي نص هذا الحلف وهو " بالله وحرمة البيت، والمقام، والركن والشهر الحرام على التعاقد والتساعد على من عاداهم من الناس ما طلعت الشمس من مشرقها إلى يوم القيامة" ، المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص ٣٨١ .

الدفاع عنهم بموجب الحلف المعقود عند الكعبة [١]، وخرجت الأحابيش في حوالي ثلاثة آلاف من كنانة ونجران وتهامة وثقيف[٢]، وساهموا في انتصار المشركين على المسلمين في معركة أحد[٣].

كما ازدهرت الصلات الاقتصادية بين أهل نجران وتهامة والسراة والمكيين وأشار إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝﴾[٤]، وقد اشتهرت قريش بالتجارة وذاع صيتها بين أرجاء الجزيرة العربية، ونظم القرشيون رحلات تجارية عديدة من بينها رحلة الشتاء والصيف، وجعلوها على موسمين في إحداهما الشتاء وفيها تتجه القوافل إلى اليمن لشراء السلع، والأخرى في الصيف وفيه يتجهون إلى الشام لبيعها، وقد سلك تجار مكة في ذهابهم وإيابهم إلى اليمن عدة طرق منها المحاذي للساحل، وأخرى عبر سفوح السروات الشرقية [٥].

وكانت أرض السروات منذ القدم طريقاً للتبادل التجاري بين الشمال والجنوب [٦]، وتعد نجران ملتقى الطرق من الجنوب إلى الشمال، ومن أهم الطرق التي تربط بين مكة والسراة طريق بيشة، وهو الذي يعتبره العرب مفتاح اليمن من ناحية الشمال[٧]، وقد دفعت سيطرة السرويين على الطريق الممتدة بين مكة واليمن قريش إلى أن تعقد محالفات تجارية مع قبائل خثعم التي تعيش في أجزاء من الهضبة الممتدة من الطائف إلى نجران، وكانت هذه التحالفات ضرورية لأن القوافل التجارية كانت تتعرض لعمليات السطو من قبل بعض القبائل ولاسيما الصعاليك الذين يقطنون أماكن متفرقة من أرض السروات[٨]، والخلاصة أن العلاقات بين كل من قبائل مكة وتهامة والسروات ونجران لم تكن مقصورة على محالفات تجارية بل كانت تتجاوز كل ذلك إلى محالفات أمنية وسياسية.

ونلحظ أن معظم المصادر التاريخية تناولت موضوع محاولة هدم أبرهة للبيت الحرام من منظور ديني [٩]، لكن هناك اتجاها آخر تناول الموضوع من منظور اقتصادي فيذكر أن أبرهة استهدف الكعبة لدعم المسيحية في اليمن، وخلق منافس للكعبة في مكة التي صارت في ذلك الوقت مركز الحج والحياة الاقتصادية في الحجاز، لأن موقعها الجغرافي ساهم

---

(١) ابن كثير، (مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٠م) ج٤، ص٢٤، وراجع أيضاً ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، (بيروت، د.ت)، ج٣، ص٢٧، زين الدين عمر بن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر، ج١، ص ١٨١.

(٢) ثقيف: هو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن، واشتهر باسم أبيهم فيقال لهم ثقيف. القلقشندي، ص ١٩٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (دار الفكر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ج٢، ص١٠٣، ابن خلدون، ج٢، ص٢٤.

(٤) سورة قريش: آية ١، ٢.

(٥) جواد علي، ج٧، ص ٣٤٤.

(٦) محمد يحيى الحداد، تاريخ اليمن السياسي. (الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٦٨م) ج١، ص ١٥٣.

(٧) جواد علي، ج٧، ص ٣٤٤.

(٨) أحمد الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة، ص٢٣، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص ٨٠.

(٩) ابن هشام، ج١، ص ٤٠، السيد محمود الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، ج١، ٢٥١.

في جمع القوافل التي ترد من اليمن متجهة إلى الشام، أو العكس، وفي القرن السادس الميلادي نجح القرشيون في احتكار التجارة في بلاد العرب، وبالتالي سيطروا على طرق القوافل التي تربط بين اليمن والشام من ناحية، وبالعراق من ناحية أخرى، وهذا ما جعل أبرهة يتطلع إلى تحويل الحجاج من مكة إلى صنعاء، ولو تحقق له ذلك لاستولى على الموارد المالية العظيمة التي صارت تتدفق على خزائن مكة [(١)].

٣. صلات نجران وتهامة والسراة مع الروم :

كانت اليمن مركز اهتمام الرومان لأسباب اقتصادية وسياسية ودينية [(٢)]، فمن الناحية الإقتصادية كانت مقاليد تجارة الشرق تحت سيطرة اليمن[(٣)]، وكانت روما حريصة على انتزاع هذه المكانة، ولا سيما بعد أن مارس اليمنيون نوعاً من الاستغلال التجاري [(٤)]، ومما يصور شدة غضب الرومان من ابتزاز اليمن لأموالهم ما كتبه أحد مؤرخي الرومان عن بلاد اليمن . قال : " إن بلادٍ العرب سعيدة لأنها فياضة بمحصولات يستغذبها أهل الترف ويتأهبون في اقتنائها جهازاً لموتاهم " [(٥)]، هذا بالإضافة إلى القضاء على لصوص البحر الأحمر الذين كانوا يجتمعون بسواحل نجران وتهامة واليمن والسراة للهيمنة على البحر، وهذا ما دفع الرومان إلى وضع حراس على ظهر السفن التي تجتاز البحر الأحمر لحمايتها من أولئك اللصوص [(٦)]، وقد اتخذ الرومان هذا الموقف مدفوعين بأطماعهم في اليمن، لأنها كانت أغنى منطقة في الجزيرة العربية وأخصبها وأكثرها سكاناً، ولذلك أمر والي مصر أغسطس (٣١ق م - ١٤ ق م) بقيام حملة من أجل السيطرة على موارد اليمن وسارت الحملة عبر بلاد نجران وتهامة والسراة [(٧)].

وكان خط سير الحملة في بلا د نجران وتهامة والسراة، فقد تجمع الجيش في ميناء لويكة كومة[(٨)]، وبقيادة (إيليوس جاليوس) ، ثم تقدم نحو السراة فدخل أرضٍ الملك الحارث بنجران[(٩)]، ثم ساروا في أرض وعرة قليلة الزرع والأشجار مدة ثلاثين يوماً، وتقدموا إلى

---

(١) محمد مصطفى زيادة . تاريخ العالم العربي وحضارته في العصور القديمة حتى العصر الإسلامي (دار النهضة، القاهرة، د. ت)، ص ١٦٠ .

(٢) جودة حسنين جودة : شبه الجزيرة العربية، (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية) ١٩٨٨م) ص ٣٧ .

(٣) ذكر مصطفى زيادة أنه في الوقت الذي كانت روما في حاجة إلى منتجات اليمن وبخاصة البضائع التي احتكرها تجار اليمن، فعلى أيديهم كانت تنقل غلات حضرموت وظفار وواردات الهند إلى الشام وعن طريق الشام كانت تنقل الغلات إلى الروم مثل: المر واللبان والبخور . مصطفى زيادة، ص ١٥٩ .

(٤) المرجع نفسه، انظر أيضاً مهران، ص ٣٧٠.

(٥) مصطفى زيادة، ص ١٥٩ .

(٦) جواد علي، ج ٢، ص ٤٣ .

(٧) المرجع نفسه، ج٢، ص٤٣، غوستاف لوبون . حضارة العرب . ترجمة عادل زعيتر (مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، د .ت)، ص ٤٧ .

(٨) لويكة كومة : هو ميناء ينبع من ساحل الحجاز . جواد علي : المرجع السابق، ج٢، ص٤٦ .

(٩) الحارث : هو الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد وكان له من الولد كعب، وربيعة وأمهما هند بنت النخع بن عمرو، وكانت ديارهم بنواحي نجران . القلقشندي، ص٤٩، ويرى جلازر أن نجران هي الأرض التي قصدها سترابون، وأن الحارث : هو الحارث بن كعب، وهو كناية عن جد هؤلاء الذين أصبحوا يسمون ببني

أرض مأهولة بالأعراب تدعى أرارين[(١)]، ثم سار جاليوس حتى بلغ مدينة نجران، ويبدو أن الموقف الإيجابي المتعاون من جهة الحارث بن كعب مع الحملة الرومانية يوضح عمق العلاقات الدينية الرومانية النجرانية، حيث كان بنو الحارث يدينون بالدين المسيحي، وكان من بينهم الأساقفة والعلماء مثل: أبي حارثة [(٢)]، الذي درس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم مما رفع من شأنه عند ملوك الروم فاحترموه وأكثروا عطاءهم له[(٣)].

وتشير بعض الروايات إلى أن أباطرة الروم كانوا على اتصال دائم بنصارى نجران، وكانوا يساعدونهم ويمولونهم[(٤)]، وبعد فشل الحملة اختاروا السراة لتكون طريقاً للعودة، فمروا بنجران وأجزاء من السروات إلى ينبع، ثم أبحر من بقي حياً من الرومان إلى مصر[(٥)]. وكان انتشار النصرانية في نجران أثراً من آثار البعثات التبشيرية التي كان يرسلها الرومان إلى اليمن وتهامة والسراة مثل: نجران وما جاورها التي كانت أول من استقبل الديانة النصرانية حتى أصبحت البعثات التبشيرية سياسة عامة ولاسيما بعد دخول القيصر[(٦)] قسطنطين[(٧)] في النصرانية عام (٣١٣م) واتخاذها ديانة رسمية للدولة، ولم يأت العصر الجاهلي إلا ونجران معقل النصرانية ومنها انتشرت في أنحاء شتى من الجزيرة العربية[(٨)].

وتنوعت الروايات التاريخية حول سبب مجيء البعثات التبشيرية، فبعضها ترى أن البعثات التبشيرية جاءت عن طريق المراكب التجارية مثل (بعثة ثيوفيلوس) (سنة ٣٥٤م)[(٩)]،

الحارث بن كعب. جواد علي، ج٢، ص ٥٠ ويذكر أن بني الحارث بن كعب حي من اليمن من مذحج في نجران وهم أخوة همدان وموطنهم شمال صنعاء. حسين بن علي، اليمن الكبرى، ص ١٦٦.

(١) أرارين: موضع قبل نجران بمسيرة عشرين يوماً. جواد علي، ج٢، ص ٥٠.

(٢) أبو حارثة: هو أبو حارثة بن علقمة بن بكر بن وائل، دخل دين النصرانية فعظمته الروم لما يعرفون من صلابته في دينهم، وكان مع ذلك يعرف أمر رسول الله ﷺ ولكن صده الشرف والجاه عن اتباع الحق. ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٥٦.

(٣) ابن هشام، ج٢، ص ١٥٩، ابن كثير، البداية، ج٥، ص٥٦، غيثان بن علي بن جريس، نجران: دراسة تاريخية حضارية (ق١-ق٤هـ /ق٧-ق١٠م) (مطابع الحميضي، الرياض: ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الطبعة الثانية)، ج١، ص ٥٢ وما بعدها.

(٤) ذكر ابن هشام أن الروم كانوا يمولون نصارى نجران فيرسلون إليهم الهدايا والعطايا ويمدونهم بالعمال والأموال والخامات لبناء الكنائس في نجران. ابن هشام، ج٢، ص ١٥٩.

(٥) جواد علي، ج٢، ص ٥١.

(٦) القيصر: أول من سمي قيصر بعد أغسطس بست سنوات، وهذا الملك هو أول من سمي من ملوك الروم باسم قيصر، وهو الثاني من ملوكهم وتفسير قيصر (بقر)، أي شق عنه، وذلك أن أمه ماتت وهي حامل به فشق بطنها، فكان هذا الملك يفتخر في وقته بأن النساء لم تلده. المسعودي: مروج الذهب (ط بيروت) ج١، ص٣٠٩.

(٧) قسطنطين: الملك قسطنطين ومن بعده قليطانس وقد ملك قليطانس لمدة عشر سنين. المسعودي، ج١، ص ٣١٥.

(٨) جواد علي، ج٦، ص ٦١٢. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي (الطبعة الثامنة، دار المعارف القاهرة ١٩٧٧م) ص ٩٩.

(٩) ثيوفيلوس: يذهب البعض أن بعثة "ثيوفيلوس" التبشيرية كانت لضمان حسن نية الأمراء اليمنيين إزاء تجار الروم، لكن تلك البعثة فشلت في تحقيق أهدافها بسبب نفوذ الفرس في اليمن، وأثر ذلك في التجارة مع الحبشة تأثيراً سيئاً، وهنا اضطر النجاشي إلى أن يقدم رفضه للملك الحميري، مما كان سبباً في نشوب الحرب بينهما، وتزعم الرواية أن النجاشي كان حتى تلك اللحظة مايزال على الوثنية، ومن ثم فقد عرض عليه أن يعتنق النصرانية إذا

حيث اتجه من سيلان إلى اليمن ونجح في إنشاء عدة كنائس، واحدة في عدن والأخرى في ظفار[١]، وجعل للأخيرة حق الإشراف على شؤون نصارى نجران، وقد نجح المبشرون في القرن الرابع الميلادي عندما كانوا يتنقلون في البحار مع التجارة لنشر النصرانية، وتمكنوا بمعاونة الحكومة البيزنطية من تأسيس كنائس عديدة على سواحل جزيرة العرب، بهدف نشر النصرانية كمدخل لفرض سلطانها على اليمن وتحويل كنوز قوافلها إليهم[٢]، ويذكر أن أهل نجران كانوا يعبدون شجرة، ثم دخلت النصرانية إليهم عن طريق رجل صالح اسمه (فيمون) [٣]، الذي تطهر وصلى ركعتين، ثم دعا الله على تلك الشجرة فهبت رياح عاتية اقتلعتها من الأرض فآمن به أهل نجران وأخذ يعلمهم دين عيسى بن مريم[٤]، ومعظم المصادر الأجنبية تربط بين فيمون وانتشار المسيحية في نجران[٥]، أما المصادر الإسلامية فتذكر أن قصة الساحر والراهب كانت سبب دخول أهل نجران في النصرانية[٦] .

انتصر على الحميريين وحين انتهت الحرب في صالحه اعتنق المسيحية، وأرسل إلى القيصر يطلب منه إرسال عدد من رجال الدين ليعلموه العقيدة الجديدة وقد تم له ما أراد . مهران، ص٣٧٢ .

(١) ظفار : هي عاصمة الحميريين في ذلك الوقت . عبد المجيد عابدين : بين الحبشة والعرب (ط دار الفكر العربي) د.ت ص ٥٠ .

(٢) جواد علي، ج٦، ص ٦٠٢، مصطفى زيادة، ص ١٥٩ .

(٣) فيمون : كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة مجاب الدعوة، سائحاً ينزل بالقرى، فإذا عرف في قرية خرج منها إلى أخرى، ولا يأكل إلا من كسب يده، وكان بناءً يعمل بالطين، ويعظم الله، وخرج إلى أرض فلاة من الأرض فيصلي بها حتى يمسي ففطن لشأنه رجل من أهل القرية بالشام اسمه صالح فأحبه وكان يتبعه حيث يذهب فلزمه صالح، وكان أهل القرية يفطنون لشأنه، وإذا جاء العبد ضر دعا له فشفي، وإذا دعي إلى منزل أحد لم يأته، وكان هناك رجل من أهل القرية له ولد ضرير فدعا فيمون الله له فشفي، فعرف فيمون أنه عرف فخرج من القرية وأتبعه صالح، فاختفطهما سيارة من العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما في نجران، وكان أهل نجران يعبدون نخلة لهم عظيمة لها عيد كل سنة، فإذا جاء العيد علقوا عليها كل ثوب حسن .

(٤) ياقوت الحموي .معجم البلدان (دار صادر، بيروت، د .ت) ج ٥، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

(٥) جواد علي، ج٢، ص ٦٠٨

(٦) تشير المصادر الإسلامية إلى أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأصنام، وكان هناك ساحر يعيش في قرية بجوار نجران يعلم غلمان تلك القرية السحر، وهناك راهب في الطريق بين بلدة نجران والقرية التي بها الساحر، وأهل القرية يرسلون أولادهم إلى الساحر يعلمهم السحر، وابن الثامر بن عبد الله مع غلمان أهل نجران فإذا مر بخيمة الراهب أعجبه ما يرى من صلاته وعبادته فيجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى فقه فيها، فسأله عن الاسم الأعظم، فكتمه إياه وقال إنك لن تحمله أخشى ضعفك عنه، والثامر بن عبد الله يعتقد أن ابنه يختلف إلى الساحر كغيره من الغلمان فعندما رأى ذلك الغلام أن صاحبه قد ضن عنه بالاسم الأعظم عمد إلى قداح فجمعها ولم يبق لله اسماً يعلمه إلا كتب كل واحد في قدح، فلما أحصاها أوقد ناراً وجعل يقذف فيها قدحاً قدحاً حتى مر بالاسم الأعظم فقذف فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها ولم تضره النار شيئاً، فأتى صاحبه فأخبره أنه قد علم بالاسم الأعظم وهو كذا، فقال كيف علمته؟ فأخبره بما صنع، فقال: يا ابن أخي قد أصبته فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل، وجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحد به ضر إلا قال له يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني فأدعو الله فيعافيك ؟ فيقول نعم فيدعو الله فيشفى حتى لم يبق أحد بنجران به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ودعا له فعوفي، فرفع أمره إلى ملك نجران فأحضره وقال له أفسدت عليّ أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لأمثلن بك ! فقال: لا تقدر على ذلك فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح من رأسه فيقع على الأرض ويقوم وليس به بأس، ويرسله إلى مياه نجران لا يقع فيها شيء إلا هلك فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس، فلما غلبه قال عبد الله بن الثامر إنك لا تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به فإنك إن فعلت ذلك سُلطت عليّ فتقتلني، قال فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادته ثم ضربه بعصى فقتله وعندما قتل الغلام اجتمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر وهو النصرانية " ياقوت، ج٥، ص ٢٦٧، ٢٦٨ .

والواضح أن الرومان حصدوا ثمار البعثات التبشيرية في نجران وتهامة والسراة، ويتمثل ذلك في أن النجرانيين مثل بني الحارث بن كعب الذين كانوا يحسنون استقبال تجار الروم كما أحسنوا من قبل استقبال الغزاة الرومان[(١)]، وهذا ما دفع ذا نواس لضرب نصارى نجران عندما وجد أن التجار المسيحيين من الروم وعملائهم الأحباش يسيطرون على تجارة البحر الأحمر، مما أصاب بلاد اليمن بالتدهور الاقتصادي[(٢)]، ولاسيما بعد أن سيطر الأحباش على سواحل السروات[(٣)]، وأصبح لهم ممثل للمصالح في نجران يسمى سبقل[(٤)]، وكل هذا دفع ذا نواس أن يتخذ من نصارى نجران موقفا عدائيا، وتلك ذريعة وجدها الرومان للقضاء على استقلال اليمن، ولكن دون تدخل مباشر، وإنما بتحريض الأحباش على غزوها، وذلك بعدما اتفقت مصالح الأحباش والرومان في السيطرة على مصالح العرب الجنوبية .

ولا نغفل عن حركة ذي نواس وأنها كانت ذات صبغة قومية، وذلك لأن نصارى نجران كانوا على ولاء مع الحبشة حامية النصرانية في نجران' بل كان يجمع الحبشة ونجران مذهب واحد هو مذهب اليعاقبة، واتخذت الحبشة من النصرانية وسيلة للتدخل في شؤون اليمن، فأراد ذو نواس وقومه محو هذا النفوذ الحبشي عن طريق ضرب نصارى نجران[(٥)]، وعندما قتل ذو نواس نصارى نجران استنجدوا بالحبشة فأنجدتهم[(٦)]، ويشير ياقوت إلى أن ذا نواس قد أحرق نصارى نجران بعد أن شق لهم الأخدود، وقتل منهم ما يقرب من عشرين ألفا[(٧)]، ونزل في ذلك قوله تعالى ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ﴾[(٨)]، وتذكر بعض المصادر العربية أن الدولة الرومانية علمت بالخبر من دوس ذي ثعلبان[(٩)]، بينما تشير بعض الروايات الحبشية إلى أن دوس ذي ثعلبان من اليهود المعادين للمسيحية وهناك قصة تخالف الروايات العربية.[(١٠)]

---

(١) جواد علي، ج٣، ص ٤٥٣ .

(٢) أحمد أمين : فجر الإسلام " يبحث في الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية " الطبعة الثانية عشر (الناشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٨م) ص ١٣

(٣) وتمكن الأحباش من احتلال ساحل الحجاز من ينبع في الشمال إلى السواحل الجنوبية الواقعة على البحر العربي، جواد علي، ج٣، ص ٤٥٣ .

(٤) سبقل : هو مبعوث نجاشي الحبشة لرعاية مصالح الحبشة في نجران، جواد علي، ص ٤٣٨ .

(٥) مهران، ص ٣٧٠، أحمد أمين، ص ٢٦ .

(٦) عبد المجيد عابدين، ص٤٨ وذكر بيومي مهران أن بعض المؤرخين ينفي أن يكون تعذيب ذي نواس لنصارى نجران هو السبب الحقيقي لغزو الحبشة لليمن لأن الأحباش أغاروا على اليمن قبل قصة التعذيب هذه بسنين، وأنهم انتصروا عليهم وتمكنوا من الاستيلاء على نجران بعد حصار دام سبعة شهور، ص ٣٧٠، ٣٧١ .

(٧) معجم، ج ٥، ص ٢٦٨ .

(٨) انظر : سورة البروج، الآيات (١-١١) .

(٩) ابن هشام، ج١، ص ٣٧ .

(١٠) موجز هذه الروايات أن قديساً اسمه أذفير أقام الكنيسة ورفع الصليب وبشر بالنصرانية في نجران، وذلك في أيام الملك شرحبيل ينكف ملك حمير، فاستاء من ذلك (ذو ثعلبان) (وذو فيفان) وأرسلا رجالهما إلى المدينة لهدم الكنيسة، وأنزل الصليب وأمر بالقبض على القديس ففعلوا وألقوا به في (غياهب السجن) ، وفي أثناء إقامته فيه هدى قوم من السجناء إلى النصرانية بفعل المعجزات التي قام بها، فغضب الملك شرحبيل عليه وحاجه في دينه وفتح له أبواب اليهودية، فأبى اذفير، واحتال عليه الملك بالذهب والفضة فقال له أذفير: (الذهب والفضة فانيان إما كرستس ساكن السماء فباق وهنا لم يطق أحبار اليهود عليه صبرا، فحرضوا عليه الملك فأمر بإرساله إلى نجران لقتله، فلما بلغ المدينة قتله اليهود فمات شهيدا في سبيل الله . جواد علي، ج٦، ص ٦١٤، ٦١٥ .

٤.صلات نجران وتهامة والسراة مع الحبشة :

تعود علاقة التهاميين والسرويين والنجرانيين بالأحباش إلى عهود ملوك سبأ وريدان، وذلك عندما كان الأحباش يساعدون أهل السراة وبخاصة نجران ضد ملوك سبأ في اليمن[١]، وكانت العلاقات بين بلاد السراة والحبشة تدور على محورين أحدهما سياسي والآخر ديني، أما السياسي: فقد حاول الأحباش أن يسيطروا على نجران وأجزاء من السراة، وتوجت محاولتهم بالنجاح في عهد ملكهم عذبة[٢]، الذي قامت ثورة الحبشة على حكمه واستبدلوه بـ (ذي سكالس)، فانتهز أهل السراة ونجران فرصة انشغال الحكومة بهذه الثورة ونظموا صفوفهم، وهجموا على الأحباش وأخرجوهم من أرض نجران وما جاورها[٣] . وتشير بعض النقوش إلى حرب شنها (شمر يهرعش) على قبائل نجران وتهامة في صبيا وبيش وأجزاء من السراة، ثم امتدت المعركة إلى البحر الأحمر، وانتصر على هذه القبائل وأوقع بهم خسائر فادحة [٤]، ويذكر أن أولئك المهزومين كانوا من الأحباش الذين حكموا أجزاء من نجران وتهامة والسراة، ثم أطلق (شمريهرعش) على نفسه (لقب ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها في التهائم)[٥]، ويدل هذا اللقب الجديد على أن هذا الملك السبائي سيطر على بعض النواحي التهامية والسروية، وهناك بعض النقوش التي تؤكد أن الأحباش كانوا يستوطنون بعض الأجزاء التهامية قبل حادثة الأخدود [٦]، وتشير بعض الروايات إلى ملك اليمن يوسف أسار[٧]، وهو المشهور في التاريخ باسم ذي نواس[٨]، حارب نصارى نجران، وشيعتهم من الأحباش ونجح في أن يلحق بهم خسائر فادحة[٩]، وبالرغم من انتصار ذي نواس على قبيلة مذحج التي تشمل نصارى نجران، إلا أن سلطانه لم يكن يشمل اليمن كلها، لأن الأحباش كانوا يشاركونه ذلك السلطان[١٠]، بعد نجاحهم في غزو اليمن سنة (٣٣٥م)، في أثناء فترة الضعف التي أصابت الديار اليمنية بعد وفاة شمريهرعش[١١] .

---

(١) جواد علي، ج١، ص ٤٣٨، ٤٣٩ .

(٢) جواد علي، ج٣، ص ٤٥٥ .

(٣) جواد علي، ج٣، ص ٤٥٥.

(٤) جواد علي، ج٣، ص ٢٨٣ .

(٥) جواد علي، ج٣، ص ٢٨٣ .

(٦) الأخدود، هو الحفر المستطيل في الأرض، كالخندق والجدول ونحوه وجمعه أخاديد، انظر: ابن هشام، ج١، ص ٣١، جواد علي، ج٣، ص ٤٤٩ .

(٧) يوسف أسار : الروم يسمونه دميانوس، وهو شديد التعصب لليهودية غزا أهل نجران ثم ظفر بهم فخدد لهم الأخاديد وعرض عليهم اليهودية فأبو إلا دينهم فحرقهم في النار وحرق الإنجيل وهدم بيعتهم ثم انصرف إلى اليمن . جورجي زيدان : مؤلفات جورجي زيدان الكاملة (١٩٨٢م)، مج (١١)، ص١٤٧ .

(٨) ذي نواس : هو زرعة بن زيد بن كعب بن زيد بن سهل بن عمر بن قيس بن حميد سبأ بن يعرب بن قحطان .ابن هشام، ج١، ص٣٠ .

(٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠، جواد علي، ج٢، ص ٥٩٦ .

(١٠) يشير نقش حصن الغراب، الذي يرجع تاريخه إلى عام (٥٢٥م) إلى أن الأحباش استولوا على اليمن . جواد علي، ج٣، ص ٤٥٩، ٤٦٠ .

(١١) المرجع نفسه ،ج٣، ص٤٥٦ .

والدين هو المحور الثاني الذي ارتكزت عليه العلاقات بين الحبشة والسروات وبخاصة عندما لعب الأحباش دورا كبيرا في انتشار المسيحية في نجران، وأقيم فيها مزار (كنيسة) عرفت بكعبة نجران[١]، وقد أنشأ ثيوفيلوس كنيسة في (ظفار) وصار رئيس أساقفة ظفار مشرفا على الكنائس التي أنشئت في اليمن ومن ضمنها كنيسة نجران[٢]، وليس أدل على قوة العلاقات الدينية بين الحبشة ونجران وتهامة والسراة من أنه حينما تعرضت عقيدة نصارى نجران للعدوان كان موقف الحبشة صارما من حكام اليمن خاصة بعد غزو الأحباش لليمن نتيجة لحادث الأخدود الذي يعد من الأحداث الهامة في تاريخ العلاقات التهامية و السروية مع الحبشة[٣] .

وقد تعددت الروايات العربية وغير العربية حول حادث الأخدود على الرغم من أنها اتفقت على أن القائم بهذا العمل هو ذو نواس والضحايا هم نصارى نجران، فالطبري أشار إلى أن دوس ذو ثعلبان اتجه إلى النجاشي يشكو له ما حل بنصارى نجران، فأبدى استعداده للثأر لهم[٤]، وقال : الرجال عندي كثيرون، وكتب إلى الإمبراطور البيزنطي يخبره بما حل بنصارى نجران، ويطلب منه معاونته بمده بالسفن[٥]، بينما تذهب بعض المصادر- مثل ابن هشام- إلى أن رجلا من نجران هو دوس ذو ثعلبان تمكن من النجاة والوصول إلى الإمبراطور البيزنطي ليشكو له ما حل بنصارى نجران، ويطلب النجدة لحماية البقية الباقية من النصارى هناك، إلا أن الإمبراطور اعتذر عن الإقدام بنفسه لطول المسافة بين روما ونجران، وعهد إلى النجاشي ملك الحبشة بالمهمة[٦]، ونلاحظ أن اعتذار القيصر عن الذهاب بنفسه لم يكن رفضا للنجدة بل اعتذر بأن يقود الأمر بنفسه لأن الحادث جلل، ويمس العقيدة النصرانية التابعة للكنيسة الشرقية ويجب بقاؤه في مقر النصرانية الرئيس حتى يحافظ على هيبتها، ويسوس أمر النصارى في بلاد الشرق بشكل عام .

ويذكر الطبري بأن دوس ذو ثعلبان أسرع بكتاب الإمبراطور إلى ملك الحبشة[٧]،

---

(١) المرجع نفسه ،ج٣، ص٤٥٦، ٥٨٣ .

(٢) المرجع نفسه، ج٣، ص ٥٣٨ .

(٣) العلاقات السروية التهامية النجرانية مع الحبشة : هي قديمة ترجع إلى ما قبل الميلاد، فبين السواحل الإفريقية المقابلة لجزيرة العرب وبين السواحل العربية اتصالاً وثيقاً وقديما وتبادل بين السكان إذ هاجر العرب الجنوبيون إلى السواحل الإفريقية وكونوا لهم مستوطنات هناك، وهاجر الأفارقة إلى العربية الجنوبية وخاصة إلى بلاد نجران وتهامة وما جاورها. جواد علي، ج٣، ص ٤٤٩ .

(٤) الطبري، تاريخ الطبري (دار المعارف، ط٣) ج١، ص ٨١ .

(٥) الطبري : المصدر نفسه، ج١، ص ٨١ ويدلل " نشوان الحميري على خروج دوس ذو ثعلبان واستنجاده بالأحباش ضد ذي نواس، فقال:

فدعا ذو ثعلبان أحابشا	منهم بقاع الأرض غير ضواح
فتقحم البحر العميق بنفسه	وسلاحه وجواده السباح

فاطمة مصطفى عامر : نجران في العصر الجاهلي، (دار الاعتصام القاهرة، ص١، ١٩٧٨م)، ص ٢٤.

(٦) ابن هشام، ج١، ص ٣١، جورجي زيدان، ص ١٤٧، عبد المجيد عابدين، ص ٤٩، وذكر مهران أن الروم قد اشتركوا بطريقة فعلية في غزو اليمن عن طريق إرسال أسطولهم إلى مصر محملاً بالأسلحة والمؤن إلى الثغور اليمنية، ولعل الإمبراطور " جستنيان الأول (٥١٨-٥٤٧) قد اتخذ هذه الخطوات نتيجة لأطماع الفرس التي زادت في بلاد العرب حتى أنهم استقروا في سواحل الخليج العربي كالبحرين وما جاورها . بيومي مهران، ص ٣٧١ .

(٧) الطبري، ج١، ص ٨١

الذي أمر أحد قواده المسمى أرياط أن يخرج معه وينصره فذهب أرياط في حوالي سبعين ألفاً من الأحباش، وعدد كبير من الفيلة بالإضافة إلى جيش أبرهة[١]، ولاشك أن النجدة السريعة من روما ترجع إلى أن الإمبراطور (جستنيان) يرمي من وراء ذلك إلى عدة أغراض، أولها ديني وهو جعل السيادة في اليمن ونجران للدين المسيحي، وذلك بعد أن تنصر قياصرة الروم وأخذوا يضعون نشر المسيحية هدفاً يسعون إلى تنفيذه ويستعينون به على نشر نفوذهم، والآخر هو توسيع دائرة تجارتهم في الشرق ليقضوا على تجارة منافسيهم الفرس، فضلاً عن أن الرومان حاولوا عن طريق الحبشة السيطرة على الطريق التجاري الذي تحمل فيه الحاصلات التي يحتاجون إليها من بلاد العرب والهند حتى تنخفض أسعار هذه الغلات بعد أن قلق الرومان من ابتزاز العرب لهم بعد فشل حملة غاليوس[٢]، ويمكن القول إن حادث الأخدود كان مجرد وسيلة تذرع بها الأحباش للتدخل في شؤون اليمن، وأن الهدف الحقيقي هو التعويض عما فقده الأحباش من مركزهم في سواحل نجران وتهامة والسراة[٣]، ورغبة الحبشة في السيطرة على اليمن لضمان توزيع البضائع الحبشية دون أن تتعرض لاعتداءات الحميريين كما حدث في الصراع بينهم وبين شمريهرعش ونجاحه في القضاء على الأحباش.[٤]

تؤكد بعض المصادر العربية إن أبرهة كان من النصارى الغيورين على المسيحية، وازدادت غيرته عندما عمل جاهداً على صرف العرب عن مقدساتهم في مكة المكرمة، وذلك ببناء القليس[٥]، ويشير ابن هشام إلى أن أبرهة كتب إلى النجاشي قائلاً " أني بنيت لك كنيسة لم يُبن مثلها ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب "،[٦] وقد أثار كتاب أبرهة إلى النجاشي غضب رجل من النسأة[٧]، من بني كنانة[٨]، فدنس كنيسة أبرهة في

---

(١) ابن هشام، ج١، ص ٣١، الطبري، ج١، ص٨١، عبد المجيد عابدين، ص٤٩ . وأبرهة : هو الذي قاد حملة الأحباش إلى مكة المكرمة وقد نزلت فيه وجيشه سورة الفيل .

(٢) جورجي زيدان، مؤلفات جورجي زيدان، ص١٧٩، مهران، ص ٣٧١ . مصطفى زيادة، ص ١٥٩ .

(٣) كان الأحباش في اليمن في القرن الأول للميلاد والثاني أيضاً، ويظهر انهم كانوا قد استولوا على السواحل العربية، وهي سواحل قريبة من الساحل الإفريقي، ومن الممكن للسفن الوصول إليها وإنزال الجنود كما استولوا على الأرضين المسماة (Kinaidok olpitae) في جغرافية بطليموس ويراد بها سواحل الحجاز والسراة . جواد علي، ج٣، ص ٤٥٢، ٤٥٣ .

(٤) مهران، ص ٣٧٠، جواد علي، ج٣، ص ٤٥٥ .

(٥) الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (دار الكتب العلمية، بيروت . د. ت)، ج١، ٢٥١، عبد الغني حمادة : مكة المكرمة (حلب، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م)، ص ٥٣ .

(٦) القليس : هي الكنيسة التي أراد أبرهة أن يصرف حج العرب إليها، وسميت بهذا الاسم لارتفاع بنائها وعلوها، ومنه أخذت القلانس لأنها تعلو الرأس، وقد استذل أبرهة أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة، وكان ينقل إليها العديد من الرخام والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس، ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس . الألوسي، ص٢٥١، .

(٧) النسأة : الذين كانوا ينسأون الشهور على العرب في الجاهلية فيحلون شهراً من الأشهر الحرم ويحرمون مكانه شهر من شهور الحل ليواطئوا عدة ما حرم الله ويؤخرون ذلك الشهر ففيه أنزل الله تبارك وتعالى (إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً)، وكان أول من نسأ الشهور على العرب القلمس، وهو حذيفة بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة، وقيل له القلمس لجوده . الألوسي، ج١، ص ٢٥١ .

(٨) بنو كنانة : هو من بني عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر . ابن هشام، ج١، ص٧٣، الألوسي، ج١، ص ٢٥١ .

اليمن بسبب غيرته على البيت الحرام في مكة، وعندما بلغ أبرهة ذلك غضب وأقسم ليهدمن الكعبة، وبعد مراسلات بينه وبين نجاشي الحبشة في هذا الأمر تلقى العون منه في إعداد الجيش، وخرج بجيش جرار من اليمن، ومعه فيل اسمه محمود وفيلة أخرى[١]، ولكن ما إن سمع حلف خثعم[٢] مسيرة أبرهة لهدم البيت الحرام، حتى أخذ ذلك الحلف ينظم صفوفه من قبائل متنوعة في أرض السراة، شمال نجران مثل شهران، وناهس وغيرهم من السرو تحت قيادة نفيل بن حبيب الخثعمي[٣]، ودارت معركة في السروات بين الخثعميين وأبرهة فكان النصر من نصيب أبرهة[٤].

٥.صلات نجران وتهامة والسراة مع الفرس:

لقد تخلص اليمنيون من الاحتلال الحبشي، بمساعدة الفرس، وكانت النتيجة هي استبدال الاحتلال الروماني الحبشي بالاحتلال الفارسي، والذي يعنينا في هذا المحور هو موقف قبائل نجران وتهامة والسراة من هذا الاحتلال الفارسي، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن قبائل السراة حافظت على تقاليدها العريقة في الحرية والاستقلال، ففي الجنوب كانت نجران مستقلة بشؤونها ويديرها سادتها وأشرافها، ولها نظام سياسي وإداري خاص تخضع له[٥]، ويكاد سلطان الفرس عليها لا يذكر، حيث كان حكم الفرس لليمن مقصوراً على الجنوب، أما قبائل السروات في الشمال فكانت تتمتع بحريتها، بل إن الحكم فيها ترك لأبناء الأسر الحاكمة القديمة مثل زعماء القسر، وخثعم[٦]، وبنو الديان[٧]، واستقلال السروات يعود لعوامل متنوعة، منها أنها بعيدة عن بلاد الفرس، فلم يكن في مقدور الملك الساساني أن يوطد نفوذه فيها[٨] فضلاً عن ضعف إمبراطورية

---

(١) ابن هشام، ج١، ص ٤٠، الألوسي، ج١، ص٢٥٢، عبد الغني حمادة، ص ٥٣.

(٢) حلف خثعم: ذكر جواد علي أن خثعماً ليست قبيلة إنما هي حلف تألف من قبائل متعددة تحالفت فيما بينها لمصالح مشتركة جمعت بينهم. المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص ٤٤٤، ٤٤٥. انظر أيضاً، الأزرقي، ج١، ص ١٤٢.

(٣) ابن هشام، ج١، ص ٤٠، الأزرقي، ج١، ص ١٤٢. وشهران وناهس من بطون خثعم. انظر: الألوسي، ج١، ص ٢٥٢.

(٤) خثعم: مشتق من الخثعمة وهي أن يجتمع الناس، فيذبحوا ويأكلوا ثم يجمعوا الدم ويغمسوا أيديهم فيه ويتعاقدوا ألا يتخاذلوا، انظر: ابن منظور، لسان العرب، (بيروت، د. ت) ج١٢، ص ١٦٦، انظر أيضا: ابن هشام، ج١، ص ٤٦.

(٥) كان أمر نجران يؤول إلى ثلاثة رجال من أشرافهم هما العاقب والسيد والأسقف، وكان العاقب يتولى الأمور الداخلية، والسيد يتولى الأمور الخارجية حيث يتولى أمور العلاقات بينهم وبين القبائل الأخرى. أحمد أمين: فجر الإسلام، (الطبعة الثانية عشر ١٩٧٨م) ص٢٦، والأسقف يختص بالأمور الدينية. ابن كثير، ج٥، ص٥٦، فاطمة مصطفى عامر، ص٢٦، ابن جريس، نجران، ج١، ص٥٢ وما بعدها.

(٦) جواد علي، ج٢، ص ٢٥٩. وزعماء القسر هم بنو القسر بن عبقر بن أنمار، ومنهم جرير بن عبد الله البجلي. السمعاني، الأنساب، ج١، ص ٢٨٤. و من أهم زعماء خثعم شهاب الخثعمي، ومخارق بن شهاب الخثعمي. وهؤلاء الأعلام ذكرهم مؤلف مجهول في كتابه (فتوح اليمن)، وهذا الكتاب مليء بالمبالغات عن خثعم قبل الإسلام، ولا ننكر أن قبيلة خثعم من القبائل العريقة، لكنها لم تكن مملكة كما يقول مؤلف هذا الكتاب. انظر مؤلف مجهول، فتوح اليمن (القاهرة، د. ت)، ص٦ وما بعدها.

(٧) زعماء بني الديان: هم بطن من بني الحارث بن كعب من قحطان، وهم: بنو الديان واسمه ابن قطن بن زياد ابن الحارث بن مالك بن كعب، وكان لهم الملك على العرب، وانتهى ملكهم قبل البعثة إلى يزيد بن عبد المدان. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٥٥.

(٨) انظر: صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص٦٦.

الفرس واضطرابها [١] ،وعلى الرغم من ذلك صارت اليمن منذ سنة (٥٧٥م) إلى (٥٩٥م) حتى الفتح الإسلامي مقاطعة تابعة للفرس[٢].

وتبعد نجران عن العاصمة صنعاء بتسع مراحل [٣] ، بينما تقع خثعم والسروات في شمال اليمن[٤] ، وبالرغم من أهمية مخلاف نجران في شؤون السياسة والحكم[٥] ، إلا أن بلاد خثعم وما جاورها لا تقل أهمية عن دور نجران نظراً لما تملكه من إمكانات، ويشير صاحب فتوح اليمن في هذا الصدد إلى أن خثعماً كانت تملك جيشاً يزيد عدده على خمسين ألف فارس فضلاً عن وجود الأسلحة كالمنجنيق [٦] ، وكانت مدينة جرش من مواطن الخثعميين وتعتبر من أهم المراكز الصناعية لصناعة المنجنيق، ليس في السروات فحسب بل في الجزيرة العربية كلها.[٧]

وموقف قبائل السروات مثل : خثعم ونجران هو الانكار للدعوى الإسلامية، ويرجع سبب رفض نجران للإسلام إلى عقيدتهم الراسخة، حيث كان لهم تاريخ ديني معروف، فهي من أهم مواطن النصرانية في الجزيرة العربية، وتشتهر في التاريخ بحادث الأخدود الذي خلده القرآن الكريم[٨] ، أما خثعم وغيرها من بلاد السراة فيرجع موقفهم المعارض من الإسلام عند ظهوره إلى دينهم الوثني حيث كان لهم العديد من الأوثان [٩] . ولاشك أن موقف أهالي نجران وتهامة والسراة المعادي للإسلام في أثناء مجيئه كان طبيعياً من أناس مخلصين لعقائدهم الوثنية التي ورثوها عن آبائهم، واعتقادهم أن آباءهم وأجدادهم لم يورثوهم إلا خيراً، ولهذا كان موقفهم سلبياً ومعادياً للإسلام.

٦ ـ صلات نجران وتهامة والسراة مع بعض الأحلاف أو القبائل في الجزيرة العربية :

انصهرت علاقات قبائل نجران وتهامة والسراة الداخلية والخارجية في صورة أحلاف،

(١) عصام عبد الرؤوف الفقي، اليمن في ظل الإسلام، (الطبعة الأولى، الفكر العربي، ١٩٨٢م)، ص٢٦.

(٢) جواد علي، ج٦، ص ٦٥٩ .

(٣) تقع نجران في الشرق الشمالي من صعدة بينها وبين نجران مسافة يومان . الهمداني : الإكليل، (القاهرة، د.ت)، ج١، ص ١٤ .

(٤) مازلت أقول إن كتاب: فتوح اليمن، لمؤلف مجهول يشتمل على تفصيلات كثيرة عن بلاد السراة قبل الإسلام، وبخاصة ما سماه (مملكة خثعم) وبعد البحث في مصادر أخرى عديدة، فلم أجد ما ذكره هذا المؤلف، وربما تكون غير حقيقية، ونأمل أن نجد مصادر أخرى تؤكد أو تنفي ما أشار إليه هذا الكتاب.

(٥) فاطمة مصطفى عامر، ص٨ .

(٦) مؤلف مجهول، ص ٦ .

(٧) للمزيد عن تاريخ مدينة أو مخلاف جرش قبل الإسلام وبعده، انظر: أحمد البلاذري، فتوح البلدان (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ج١، ص ٣٣٧ـ٣٣٨، شمس الدين أبو عبد الله بن القيم. زاد المعاد في هدي خير العباد (مؤسسة الرسالة، بيروت) ١٤١٠هـ /١٩٩٠م)، ج٣، ص ٦٢٠ـ٦٢١، محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (دار النفائس، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ٢٨٩ـ ٢٩٠ .

(٨) أنظر سورة الفيل، وانظر أيضاً ابن جريس، نجران، ج١، ص ٥٢وما بعدها .

(٩) دراسة التاريخ الديني عند أهل نجران وتهامة والسراة قبل الإسلام وأثناء ظهوره موضوع جديد ويستحق أن يكون موضوعاً لبحث علمي أكاديمي .

والحلف[١] في اصطلاح علماء اللغة هو: العهد بين القوم على التعاضد والتساعد والاتفاق على العمل يداً واحدة[٢]، وفي كلمة الحلف دلالة على معاني الإيمان، لأن من عاداتهم القسم على الوفاء به[٣]، والحانث باليمين ينظر إليه بأشد أنواع الازدراء، وقد أمر الإسلام الوفاء بالعهد[٤].

ويمكن تقسيم الأحلاف في بلاد نجران وتهامة والسراة إلى أحلاف داخلية وخارجية، والأحلاف الداخلية، هي: أحلاف بين بعض العشائر السروية والنجرانية والتهامية، والغاية من الأحلاف الداخلية ترتكز على دوافع أمنية لأن أكثرهم بدو، وحاجتهم إلى الأحلاف أكثر من الحضر، لأن الغزو في البادية، يمثل ضرورة البقاء نظراً لفقر البادية وشحها وانبساط أرضها، وعدم وجود حواجز طبيعية تمنع عملية الغزو، أو تحمي القبائل من الإغارة عليها، ولهذا اضطرت القبائل إلى إيجاد حماية طبيعية لها من الأحلاف بقصد حماية المال والنفس وكبح المعتدين.[٥]

والأحلاف الداخلية عقدت في الغالب لمصالح مشتركة بينهم، وعلى سبيل المثال حلف خثعم [٦]، ويذهب المستشرق (ليفي دي لافيد) إلى أن خثعماً ليست قبيلة إنما هي حلف تألف من قبائل متعددة تحالفت لمصالح مشتركة جمعت بينهم، وقد ساهم الحلف بدور كبير في معارك أيام العرب، مثل يوم فيف الريح [٧]، ويعتبر حلف خثعم هو الجامع الذي انصهرت فيه بعض عشائر السراة مثل ربيعة وخثعم، وذكر البكري تيامن قبائل من ربيعة إلى بلاد اليمن فحالفت أهله، وبقوا على أنسابهم مثل أكلب بن ربيعة بن نزار [٨]، التي

---

(١) الحلف : هو القسم، وقيل الحلف اليمين وأصلها العقد بالعزم والنية، وقال ابن الأثير : أصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التساعد والإتفاق فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل والغارات، فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام بقوله ﷺ " لا حلف في الإسلام، وما كان في الجاهلية على نصرة المظلوم وصلة الأرحام فذلك الذي قال فيه الرسول ﷺ " أيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة " يريد من المعاقدة على الخير ونصرة الحق) انظر : ابن منظور لسان العرب، ط دار صادر بيروت، ج٩، ص٥٣.

(٢) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٩، ص ٥٣ .

(٣) جواد علي، ج٤، ص ٣٧١ .

(٤) جواد علي، المرجع نفسه ، ج٤، ص ٣٧١ .

(٥) المرجع نفسه، ج٤، ص ٣٢٧ .

(٦) ذكر ابن منظور أن خثعماً اسم جمل سمي به خثعم لأنهم نحروا بعيراً وتلطخوا بدمه وتحالفوا، و" الخثعمة " هي أن يجتمع الناس فيذبحوا ويأكلوا ثم يجمعوا الدم ويغمسوا أيديهم فيه ويتعاقدوا أن لا يتخاذلوا، ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص ١٦٦.

(٧) يوم فيف الريح : حدث بين عامر بن صعصعة ومذحج وفيه أغارت قبائل مذحج وخثعم ومراد وزبيد ورئيسهم ذو الغصة بن الحصين بن يزيد الحارثي علي بني عامر وهم منتجعون في فيف الريح بأعالي نجد، وقد فقئت عين رئيس بني عامر (ملاعب الأسنة) عامر بن الطفيل، بطعنة من مسهر بن يزيد الحارثي فقال عامر:

لعمري وما عمري عليّ بهين ... لقد شان وجه الحُرّ طعنة مسهر

وكان يوم فيف الريح عند مبعث الرسول ﷺ، وأدرك مسهر بن يزيد الإسلام فأسلم، وفي ذلك اليوم يقول عامر أيضاً :

قد علم المزنوق أني أكر ... على جمعهم كر المنيح المشهر

والمزنوق : اسم فرس عامر بن الطفيل، يوم فيف الريح : انظر: ابن منظور لسان العرب، ص ٢٩٢ . البكري: معجم ما استعجم (عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م) ج١، ص ٨٣ .

(٨) أكلب بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، انظر: ابن حزام، جمهرة أنساب العرب ص ٢٩٢، البكري: معجم استعجم، ص٨٣ .

نزلت ناحية تثليث فجاورت خثعم وحالفوهم وصاروا يداً واحدة معهم على من سواهم،[١] ونفي أبناء خثعم نسب أكلب إليها،[٢] وهناك من شعراء أكلب من قال شعراً في ذلك ،[٣] وأشار البكري إلى تيامن قبيلة من عنز [٤] وصاروا حلفاء لخثعم .[٥]

ولم تكن الغاية من الأحلاف أمنية فقط بل هي سياسية أيضاً ونستدل على ذلك أنه قامت مشيخات وزعامات سياسية عديدة في السروات على أساس الأحلاف مثل: قبائل خثعم،[٦] التي قامت على أساس حلف خثعم ،[٧] وتعتبر الحروب من الأسباب الأساسية لعملية الأحلاف، وليس أدل على ذلك من الحروب التي اشتعلت بين جرم،[٨] ونهد [٩]، فاقتتلوا وتفرقوا ودخلوا في أحلاف مع قبائل كبرى بهدف الحماية لها، ويشير البكري إلى أن قبيلة نهد ابن زيد لحقت ببني الحارث بن كعب فحالفوهم، ولحقت قبيلة جرم ببني زبيد فحالفوهم، ولكن ما لبث هذا الحلف أن تحطم على إثر موقف قبيلة جرم المتخاذل من الحرب بين زبيد وبني الحارث،[١٠] وتشير بعض المصادر إلى أنه على أثر عدة حروب نفي جواب[١١] قبيلة جعفر بن كلاب.[١٢]، ولحقوا ببني الحارث بن كعب بنجران فحالفوهم، ولكن هذه الأحلاف لم تستمر طويلاً إذ سرعان ما انتهت عندما تم الصلح

---

(١) ويذكر أن أكلب دخل بنوه في خثعم، وهم رهط أنس بن مدرك الخثعمي، وعائشة بن ربيعة، انظر: ابن حزم، ص ٢٩٢، البكري، المصدر السابق، ج١، ص ٨٣ .

(٢) ذكر البكري أن رجلاً من قبيلة خثعم من بطن شهران، ينفي أكلب بن ربيعة، فقال:

ما أكلب منا ولا نحن منهم ... وماخثعم يوم الفجار وأكلب
قبيلة سوء من ربيعة أصلها ... وليس لها عم لدينا ولا أب

البكري، ج١، ص ٨٣ .

(٣) ذكر البكري شعراً لأحد شعراء أكلب فقال :

إني من القوم الذين نسبتني ... إليهم كريم الجد والعم والأب
فلو كنت ذا علم بهم ما نفيتني ... إليهم ترى أني بذلك أثلب
فإلا يكن عماي حلفا وناهسا ... فإني امرؤ عماي بكر وتغلب

(٤) عنز : هو عبد الله بن وائل بن قاسط، وإنما سمي عنزاً، لأن رأسه يشبه رأس العنز وكان محدود الرأس. انظر: البكري، ج١، ص ٨٣ .

(٥) البكري، المصدر نفسه، ج١، ص ٨٣ .

(٦) مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص ٥ .

(٧) خثعم : تنسب إلى أنمار من أراش من القحطانية، القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب . ص ٢٤٣ .

(٨) جرم : بطن من بجيلة . القلقشندي، المصدر نفسه، ص ٢٠٩، ويقال هي جرم بن ربان وهي بطن من بجيلة من أنمار بن أراش من القحطانية . عمر رضا كحالة . معجم القبائل العربية القديمة والحديثة (ط مؤسسة الرسالة بيروت، (د.ت) . ج١، ص ١٨٢ .

(٩) نهد : بطن من قضاعة القحطانية وهم بنو نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة . القلقشندي، المصدر السابق ص ٤٣٣ .

(١٠) البكري، المصدر السابق، ج١، ص ٤٢ .

(١١) جواب : هو لقب واسمه مالك بن عوف بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب وهو الذي نفى جعفر بن كلاب، ابن حزم، الجمهرة، ص ٢٨٤ .

(١٢) كان لجعفر بن كلاب كثير من الأولاد مثل خالد الإصبع، وربيعة، والأحوص وغيرهم . ابن حزم، ص ٢٨٤ .

بينهما وبين قبائلهم الأصلية، كما حدث مع بني جعفر بن كلاب عندما رجعوا إلى جواب قومهم واصطلحوا،[١] وأيضاً عندما رجعت قبيلة جرم إلى نهد واصطلحوا على أثر موقف قبيلة جرم من الحرب التي وقعت بين زُبيد وبني الحارث.[٢]

ومن أحلاف نجران والسروات حلف الرباب،[٣] الذي عقد لمصالح مشتركة بينهم في ناحية تثليث مقر بني عقيل،[٤] وقد تنوعت الآراء حول تسمية حلف الرباب، وتذكر بعض الروايات إلى أن حلف الرباب عقد بين عدد من القبائل، وقد عرفوا بالمتحالفين الذين قاموا بإدخال أيديهم في (رب) وتحالفوا عليه وغمسوا أيديهم فيه[٥]، وقيل لأنهم اجتمعوا كاجتماع الربابة، ثم سار بين الناس كأنهم قبيلة واحدة وترجع إلى نسب واحد مثل قبيلة خثعم.[٦]

أما الأحلاف الخارجية فهي أحلاف بين قبائل نجران وتهامة والسراة وغيرها من القبائل في مختلف أجزاء شبه الجزيرة العربية، وتعتبر قريش من أهم القبائل التي عقدت محالفات مع قبائل الجزيرة العربية، وظاهرة التحالفات بين قريش والسرويين والتهاميين قديمة جداً، ولم تكن هذه الصلات مقصورة على أسس تجارية أو أمنية فقط بل كانت تمتد إلى المصاهرة بينهم،[٧] ويذكر ابن هشام إلى أن مرة بن كعب تزوج امرأة من بارق هي أم يقظة البارقية،[٨] وتزوج كلاب بن مرة فاطمة بنت سعد من جعثمة الأزد،[٩] وهم حلفاء بني عبد مناف، فأنجبت له قصي بن كلاب وزهرة بنت كلاب.[١٠]

---

(١) ابن حزم، المصدر نفسه، ص ٢٨٤ .

(٢) ذكر البكري أنه وقعت حرب بين بني الحارث بن كعب تحت قيادة عبد الله بن عبد المدان وقبيلة زُبيد تحت قياد عمرو بن معديكرب، فقال عمرو في ذلك، وهو يذكر جرم وفرارها من زبيد:

لحا الله جرم كلما ذر شارق ... وجوه كلاب هارشت فأزبأرت

للمزيد انظر: البكري، ج١، ص٤١، ٤٢ .

(٣) الرباب: هم من القبائل المختلطة الأنساب وهم بنو تميم وبنو عدي وبنو ثور وبنو عكل بن عوف بن عبد مناة بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . ابن حزم، ص ٤٧٩، ٤٨٠ .

(٤) انظر البكري، ج١، ص ٣٠٤ .

(٥) المتحالفون : هم تيم وعدي وعكل ومزينة وجهينة : ابن حزم، ص ٤٨٠، أنظر أيضا جواد علي، ج٤، ص٣٧٨.

(٦) جواد علي، ج٤، ص ٣٧٨ .

(٧) ابن هشام، المصدر السابق، ج١، ص ١٠٤ . الدارس لتاريخ قريش وأهل نجران وتهامة والسراة قبل الإسلام يجد أن صلاتهم بعضهم ببعض قوية، فهناك بعض نساء السراة تزوجن من بعض القرشيين والعكس صحيح . انظر: الطبري، ج٣، ص ٤٢٦، ابن حزم، ص ٣٨٩، ٣٩١، مصعب الزبيري . نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال (دار المعارف، القاهرة، د.ت) ص ١٣١، ١٧١.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص ١٠٤ .

(٩) جعثمة الأزد : هو جعثمة بن يشكر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران بن الحارث بن كعب بن عبدِ الله بن مالكٍ بن نصر بن زهران بن الحارث بن مضاض الجرهمي، وكانت جرهم أصحاب الكعبة فبنى للكعبة جداراً فسمي عامراً بذلك الجدار فقيل لولده الجدرة، انظر ابن هشام، ج١، ص ١٠٥ .جعثمة الأزد كانوا حلفاء بني الدبل بن بكر بن عبد المناف بن كنانة، ابن هشام، ج١، ص ١٠٤، وذكر ابن الأثير أن القشب الأزدي من أزد شنوءة كان حليف بني عبد المطلب بن مناف، ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت)، ج٣، ص ٢٥٠ .

(١٠) انظر: ابن هشام، ج١، ص ٤٦ ، ١٠٤ .

ومـن أهم الأحلاف التي عقدت لأغراض أمنية الحلف الذي عقد بين قريش وخثعم، ويذكـر ابن هشـام أن هذا الحلف كان لـه دور كبير في مواجهة حملـة أبرهة على مكة(١)، ولاسـيما قبيلتي شـهران(٢)، وناهس، ويشـير ابن كثـير عندما منيت قريش بهزيمة من الرسـول ﷺ وأصـحابه في غـزوة بدر سـنة (٢هـ/٦٢٣م)، أخذت تتصـل بحلفائها من بـلاد نجران وتهامة والسـراة مثـل: كنانة وقبائل نجـران وتهامة والأحابيش وثقيف(٣)، ونتيجة ذلك أن شـاركت بعض قبائل نجران وتهامة بثلاثة آلاف، معظمهم من الأحابيش وحلفائهم،(٤) ومن ثم انتصـروا على المسلمين في معركة أحد سنة (٣هـ/٦٢٤م) (٥)، ومن الملاحظ أن مسـاندة الأحابيش وحلفائهم من الديـار التهامية لقريش في واقعة أحد، كان بموجب حلف عقد بين مكة والأحابيش عند الكعبة(٦)، مع أنه كان يوجد حلف دفاعي دائم بـين قريش والأحابيش، إلا أن القرشـيين وتجاراتهم لم تسـلم من غارات الصـعاليك في السـروات الممتـدة من نجـران إلى الطائف، وذلك ممـا دفع قريشـاً إلى تكوين حلف مع الأحابيش للمحافظة على أمنها في مكة وأسواقها وأمن قوافلها المتجهة إلى اليمن(٧).

ثالثاً: صور من تاريخ نجران وتهامة والسراة في عصر الرسول ﷺ:

١. تمهيد:

لن نفصـل الحديث في تاريخ الدعوة الإسلامية السرية في مكة المكرمة، فكتب السير والمصـادر التاريخية المبكرة أسـهبت الحديث في هذا الباب(٨)، ولكن مع تطور الدعوة في

---

(١) انظر، الطبري، ج٣، ص ٤٢٦، ابن حزم، ص ٣٨٩، ٣٩١.

(٢) شـهران: بطن من خثعم، القحطانية، وهم بنو شـهران بن حلف بن خثعم منهم أبو قحافة بن عامر، القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٣٠٨. للمزيد انظر: ابن هشام، ج١، ص ٤٦.

(٣) ثقيف: بطن من هوازن من العدنانية، واشـتهروا باسـم أبيهم، فيقال لهم ثقيف، واسـمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن، القلقشندي، المصدر السابق، ص١٩٨.

(٤) ابـن الأثـير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٠٤، وابن كثير: المصـدر السـابق، ج٤، ص١٠، وابـن خلدون، تاريخ ابن خلـدون (مؤسسـة الأعلمي للمطبوعـات، بيروت. د. ت)، ج٣، صـ٢٤. محمد جمال الدين سـرور: قيام الدولة العربية الإسلامية (الطبعة الرابعة دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦٤م)، ص٨٧، ٨٨.

(٥) المصادر والمراجع نفسها.

(٦) أشار جواد علي إلى نص الحلف بين قريش والأحابيش وهو (بالله وحرمة البيت، والمقام والركن والشهر الحرام، على التعاقد والتسـاعد على من عاداهم من الناس ما طلعت شـمس من مشـرقها إلى يوم القيامة) وكانت الأحلاف تدون لتوكيدها وتثبيتها، وتحفظ عند المتعاقدين، وقد تودع في المعابد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٤، ص ٣٨٢.

(٧) يذكـر أن الحلـف يفرض على الأطراف المتحالفة حقوقـاً وواجبات حيث يكون بين الأطراف المتحالفة سـلام وود، ويسـتطيع أبنـاء القبائل المتحالفـة المرور بمواطن هذه القبائل غـير خائفين وتمر قوافلهم بأمـان وعلى أبناء هذه القبائل حماية من يجتاز بأرضهم، وتقديم المساعدات له. جواد علي، ج٤، ص ٣٨٢. والصلات التجارية بين أهل مكة وبلاد نجران وتهامة والسـراة قبل الإسـلام، وكذلك صـعاليك العرب في بلاد السراة وغاراتهم على التجارة والتجارات من الموضوعات الجديدة والجديرة بالبحث والدراسة في هيئة أبحاث أو رسائل علمية أكاديمية.

(٨) للمزيد من التفصيلات عن مراحل تاريخ الدعوة الإسلامية، منذ مولد النبي ﷺ إلى فترة ظهوره في مكة، ودعوته السـرية فيها. انظر: القرآن الكريم، وبعض التفاسـير، وكتب السـنن، أو السـير مثل: ابن هشام، وابن كثير، وابن القيم الجوزية وغيرهم. كما يوجد هناك مئات الدراسات الحديثة التي عالجت تلك الحقبة وفصلت الحديث فيها.

المرحلة المكية، ازدادت مظاهر العنف والتعذيب من القرشيين الكفار للمستضعفين من المسلمين، ولاسيما العبيد الذين كانوا من أبناء البلاد المجاورة لمكة، فلا عصبية لهم تحميهم، وقد شمل التعذيب جميع المستضعفين من أتباع الرسول ﷺ سواءً كانوا في نجران وتهامة والسراة أو غيرها من المناطق المحيطة بمكة[١]، وتنوعت صور تعذيب أولئك الضعفاء فكانوا يعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ليفتنوهم عن دينهم[٢]، ويظهر ذلك واضحاً في تعذيب بلال بن رباح[٣]. وهو من مولدي جبال السراة، وكان عبداً لأمية بن خلف الجمحي، فكان يخرجه وقت الظهيرة في صحراء مكة، ثم يضع الصخرة العظيمة على صدره، ويقول له، لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى[٤]، ولكنه كان يواجه كل هذا العذاب بقوله (أحد أحد)[٥]، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على صبر وجلد أبناء السروات التي ولد فيها بلال.

ويشير أحد المصادر المبكرة إلى أن بلالاً كان أول من أذن على ظهر الكعبة[٦]، ولم يكن صبر بلال وغيره من مولدي السروات على تسلط المشركين إلا من أثر البيئة، التي تتميز بصعوبة التضاريس ووعورة المسالك، وكثرة الجبال، لذلك فقد عود أبناء السراة أنفسهم على الصبر من أجل التكيف مع هذه البيئة، بالإضافة إلى أن أرض السراة، الممتدة من الطائف إلى نجران كانت أيضاً موطناً للأديان السماوية من يهودية ومسيحية[٧]، وغير سماوية مثل المجوسية، فضلاً عن دور العبادة المتنوعة مثل كعبة نجران وكعبة ذي الخلصة[٨]، ويتضح أن أهل السراة ونجران وتهامة كانوا أصحاب ديانة، ومن ثم يسهل عليهم تحمل أي عذاب من أجل ما يؤمنون به، وتؤكد ذلك بعض الروايات من أن

---

(١) انظر: ابن هشام، ج١، ص ٢٧٧.

(٢) انظر: أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي: تهذيب الأسماء واللغات (طبعة مصر سنة ١٩٤٣م) ج١، ص ١٣٦، ١٣٧.

(٣) بلال بن رباح: مؤذن رسول الله ﷺ هو أبو عبد الله ويقال أبو عبد الكريم ويقال أبو عبد الرحمن وهو مولى أبي بكر الصديق وأمه حمامة مولاة لبني جمح، انظر: النووي: المصدر نفسه، ج١، ص ١٣٦.

(٤) ذكر ابن هشام أن اللات كانت لثقيف بالطائف وكان سدنتها وحجابها بنو معتب من ثقيف، انظر، السيرة، ج١، ص ٧٩، وذكر ابن حبيب أن تلبية نسك اللات (لبيك اللهم لبيك، كفى بيتا بيته ليس بمهجور ولا بلية، ولكنه من تربة زكية، أربابه من صالحي البرية) انظر، المحبر، ص ٣١٢.

(٥) ابن هشام، ج١، ص ٢٧٧، ٢٧٨.

(٦) ذكر الأزرقي أنه لما كان يوم الفتح رقى بلال فأذن على ظهر الكعبة فقال بعض الناس يا عباد الله ألهذا العبد الأسود أن يؤذن على ظهر الكعبة؟ فقال بعضهم: أن يسخط الله عليه هذا الأمر يغيره فأنزل الله عز وجل (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) وفي رواية أخرى (جاءت صلاة الظهر يوم الفتح فأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يؤذن للظهر فوق الكعبة وقريش فوق رؤوس الجبال وقد فر وجوههم خوفاً أن يقتلوا فمنهم من يطلب الأمان، ومنهم من قد دخل الإسلام، فلما أذن بلال رفع صوته كأشد ما يكون). الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص ٢٧٤.

(٧) انظر: أحمد أمين، فجر الإسلام، ص١٣٧، فؤاد حمزة. في بلاد عسير (دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥١م) ص ٩١-٩٢.

(٨) ذكر ابن الكلبي أن ذا الخلصة كان يسمى الكعبة اليمانية. ابن الكلبي: الأصنام (القاهرة، د.ت) ص ٦٤، ذكر بيومي مهران أن البيوت المحرمة الحرام متنوعة كبيت الأقيصر، وبيت نجران، وبيت ذي الخلصة، انظر: تاريخ العرب القديم، ص٤١٦.

المهاجرين من السروات كانوا أكثر من ربع المهاجرين المسلمين إلى الحبشة[١]، ومن أولئك أسماء بنت عميس [٢]، وشرحبيل بن عبد الله أحد بني الغوث من خثعم، ومعيقب بن أبي فاطمة من قبيلة دوس، وأربعة عشر رجلاً من قبيلة زبيد [٣]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن السرويين كانوا على استعداد لتحمل أي تضحية في سبيل الدعوة الإسلامية .

وتطورت الدعوة الإسلامية من المرحلة السرية إلى الجهرية في مكة المكرمة، ثم جاءت هجرة الرسول ﷺ إلى يثرب، وقامت الدولة الإسلامية التي كان قائدها محمد بن عبد الله (عليه أفضل الصلاة والسلام)، ودخل المسلمون في ميادين المعارك مع قريش وغيرها، وكان لأهل نجران وتهامة والسراة دور بارز في تلك الحروب، فقد اشتركوا مع المشركين في القتال ضد المسلمين في أحد، والأحزاب وغيرها[٤].

ومن المؤكد أن هناك دوافع دعت قريشاً إلى الاستعانة بقبائل نجران وتهامة والسراة مثل الأحابيش، وكنانة، وثقيف، وذلك نتيجة لسابق بطولاتهم في وقائع أيام العرب[٥]، وأيضاً شعور قريش بالخوف والمذلة بعد أن هزمهم المسلمون في موقعة بدر سنة (٢هـ/٦٢٣م)[٦]. ويشير الحافظ ابن كثير إلى أن مبعوث المشركين إلى بلاد نجران وتهامة والسراة هو أبو عزة عمر بن عبد الله الجمحي[٧]، وقد اتجه إلى نجران وتهامة [٨]. يدعوهم إلى مساندة المشركين قائلا :

أيا بني عبد مناة الرزام	أنتم حماة وأبوكم حام
لا يعدوني نصركم بعد العام	لا تسلموني لا يحل إسلام[٩]

---

(١) انظر :ابن هشام، ج١، ص ٢٨٦ .

(٢) أسماء بنت عميس : هي أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تميم بن مالك بن عامر بن ربيعة بن سعد بن مالك بن بشر بن وهب بن شهران بن عفرس، وتزوج أسماء جعفر بن أبي طالب فولدت له عبد الله ومحمداً وعوناً، ثم تزوجها أبو بكر الصديق، فولدت له محمداً، ثم تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحيى، أنظر: ابن حزم، ص ٣٩٠

(٣) ابن هشام، ج١، ص ٢٨٢، ٢٨٥ .

(٤) انظر : ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٧، جواد علي ، المفصل، ج٤، ص ٣٨٢ . الواضح في كتب السير أن قريشاً كانت هي الفريق الرئيس في حرب الرسول ﷺ في بدر وأحد والخندق، لكن كان معهم مشاركون آخرون كثر من قبائل العرب، وأهل نجران وتهامة والسراة كانوا على صلات جيدة بأهل مكة، بل كانوا مساهمين معهم في جوانب سياسية وحضارية عديدة .

(٥) أيام العرب : هي الوقائع والمعارك التي نشبت بين قبائل العرب في الجاهلية وهي وقائع قد تنشب لأسباب متعددة سياسية واقتصادية أو اجتماعية أو نفسية، السيد عبد العزيز سالم : التاريخ السياسي والحضاري، ط، (بيروت، د. ت)، ص٢٤.

(٦) انظر : ابن كثير، ج٤، ص٢٤، انظر حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، ج١، ص١١١

(٧) أبو عزة عمر بن عبد الله الجمحي : كان من أسرى المسلمين يوم بدر، وقد من عليه رسول الله ﷺ يوم بدر لأنه كان فقيراً ذا عيال وحاجة، لكن صفوان بن أمية قال له : يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك واخرج معنا، فقال: إن محمداً قد منَّ عليّ فلا أريد أن أظاهر عليه، قال بلى فأعنا بنفسك فلك الله إن رجعت أن أغنيك وإن قتلت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن من عسر ويسر، انظر : ابن كثير، ص٢، ص١٠ .

(٨) نجران وتهامة من جبال صنعاء أولها مشرف على بحر القلزم مما يلي غربها، وشرقها بناحية صعدة وجرش ونجران، وشمالها حدود مكة. انظر: الاصطخري: المسالك والممالك (القاهرة، د.ت)، ص٢٦.

(٩) ابن كثير، ج٢، ص ١٠، ١١ . والرزام : أي الأشداء .

ويقال إن نافعاً بن عبد مناف[١]، خرج أيضـاً إلى نجران وتهامة[٢]، ودعاهم لتطبيق الحلف المعقود بينهم عند الكعبة وقال:

يا مال الحسب المقدم	أنشد ذا القربى وذا التذمم
من كان ذا رحم ومن لم يرحم	الحلف وسط البلد المحرم

عند حطيم الكعبة المعظم[٣].

وهكذا أخذ مبعوث قريش نافع بن عبد مناف يحرض قبائل نجران وتهامة باسم الحلف المعقود بين قريش وقبائل نجران وتهامة والسراة عند الكعبة، وعندما سمع الرسول ﷺ في معركة أحد بقدوم قريش وحلفائها من نجران وتهامة والسروات وغيرها استشار الصحابة عن كيفية مواجهتهم، فأشار الشباب بلقائهم خارج المدينة، بينما رأى كبار الصحابة البقاء في المدينة لحصانتها الطبيعية، لكن الرسول ﷺ رأى قريشا قد استعانت بالقبائل السروية والتهامية من الأحابيش وكنانة وثقيف، ووجد في عددهم كثرة وفي بأسهم قوة فعزم على الخروج، ونزل رسول الله ﷺ الشعب من جبل أحد، وعسكر على سفحه المواجه للمدينة[٤].

وتشير المصادر التاريخية إلى أن النصر كان حليف المسلمين في البداية، وسرعان ما نزل الرماة من الجبل يطلبون الغنائم تاركين الرمي على الأعداء، فخالفوا بذلك ما أمرهم به الرسول ﷺ فانقض المشركون على المسلمين في الجولة الثانية وانتهت المعركة بهزيمة المسلمين[٥].

أما عن دور عشائر نجران وتهامة والسراة من الأحابيش وكنانة وثقيف في غزوة الأحزاب فلا يقل عن دورهم في غزوة أحدٍ، ويشير ابن هشام إلى أن واقعة الأحزاب كانت في شوال سنة (٥هـ/٦٢٦م)[٦]، وكانت قريشا قد خرجت من أحد منتصرة وخُيل إليها أنه لم يبق لها إلا أن تشن غارة أخرى فتقضي على الرسول ﷺ نهائيا ويدل على ذلك صيحة أبي سفيان بن حرب إن موعدكم يوم بدر العام المقبل[٧]، فلما جاءهم وفد من اليهود[٨]، اطمأنت قريش إلى نصرتهم، واستدعت الأحابيش وعرب كنانة ونجران وتهامة، وأقبلت بهم في حوالي عشرة آلاف[٩].

---

(١) نافع بن عبد مناف: هو نافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح، انظر: ابن كثير، ج٢، ص١٠.

(٢) نجران وتهامة: نجران وتهامة الأرض المحاذية لساحل البحر الأحمر الشرقي وقال المبرد إذا نسبوا إلى نجران وتهامة، قالوا رجل تهام بفتح التاء وإسقاط ياء النسبة، كما قالوا رجل يمان وشام إذا نسبوا إلى اليمن والشام. انظر: جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص٦٤.

(٣) ابن كثير، ج٢، ص ١٠.

(٤) ابن خلدون، المصدر السابق، ج٢، ص ١٥، حسن إبراهيم حسن، ج١، ص ١١١.

(٥) السيد عبد العزيز سالم، ص ١٣٥، كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٥١.

(٦) انظر السيرة، ج٣، ص١١٤، ابن كثير، ج٤، ص٩٣.

(٧) ذكر ابن هشام أن قريشاً لم يسعفها الحظ ذلك العام لوقوع الجدب بأرضهم والكساد بتجارتهم. انظر: السيرة، ج٣، ص ١٢٧.

(٨) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٣١.

(٩) ابن هشام، ج٣، ص١٣١، ابن كثير، ج٥، ص ١٠٢، حسن سليمان محمود. تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي (المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٩م)، ج١، ص١١٣، ١١٧، السيد عبد العزيز سالم، ص ١٣٦.

وعندما علم الرسول ﷺ بقدومهم استشار الصحابة فيما يفعل، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق[١]، وأثناء حصار قوات قريش وحلفائهم من نجران وتهامة والسراة وغيرها لخندق المسلمين أخذ فرسان بارق مثل الشاعر بن مرداس يدعو عشائر نجران وتهامة أن يتأهبوا للقتال، ثم خرجوا بخيولهم حتى مروا بمنازل بني كنانة، فقالوا: تهيأوا يا بني كنانة للحرب[٢]. وكانوا على أهبة الاستعداد للقتال، وكان في عددهم كثرة وفي بأسهم قوة، وعندما وجد الرسول ﷺ أن التوازن العسكري من حيث العدد والسلاح ليس في صالح المسلمين لجأ إلى حيلة يفرق بها الأحزاب التي اجتمعت لقتاله، وقد واتته الفرصة لتحقيق أهدافه عندما أعلن نعيم بن مسعود إسلامه، وعرض على الرسول ﷺ استعداده ليقوم بأي عمل ضد الأحزاب المحاصرة للمدينة[٣].

وفي مرحلتي الدعوة المكية والمدنية كان أهل نجران وتهامة والسراة على اطلاع بما يجري في حواضر الحجاز الرئيسة (مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف)، بل كانوا في بادئ الأمر إلى جانب قريش في عدائهم للرسول ﷺ [٤]، ومع مرور الزمن بدأ الإسلام يتسلل إلى قلوب بعضهم، ولم تأت السنة العاشرة للهجرة، إلا والإسلام انتشر في أصقاع عديدة من الأوطان السروية والتهامية[٥]. وفي الصفحات التالية نورد نماذج من السرويين والتهاميين الذين دخلوا في حوزة الإسلام والمسلمين في عصر الرسالة[٦].

٢ : إسلام بعض السرويين والتهاميين والنجرانيين :

أ - إسلام دوس :

إن التحولات التاريخية في قبيلة دوس[٧]، من عالم الكفر إلى عالم الإيمان بدأت

---

(١) الخندق : كان الخندق شمال المدينة لأن الجهات الأخرى كانت محصنة بالجبال والنخيل والبيوت، وفرغ المسلمون من حفر الخندق قبل وصول قريش . انظر: حسن سليمان محمود، ج١، ص ١٢٧ .

(٢) وذكر ابن هشام أن بني كنانة عندما رأوا الخندق قالوا والله إن هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها . ابن هشام، ج٣، ص ١٣٤ .

(٣) للمزيد انظر: ابن كثير، ج٣، ص ١٠٥ ، حسن سليمان محمود، ج١، ص ١٢٠ . عندما جاء نعيم بن مسعود مسلماً إلى الرسول ﷺ وعرض عليه أن يكلفه أي عمل يقوم به في جهاد المشركين وصرفهم عن المدينة، قال له: خذل عنا فإن الحرب خدعة، فذهب ابن مسعود إلى بني قريظة وحذرهم من قريش، وقال إذا هزمتم نجت قبيلة قريش بنفسها وتركتكم تحت رحمة محمد، ثم نصحهم بألا يطمئنوا إلا أذا أعطوهم الرهائن من سادتهم وأشرافهم ، ثم ذهب إلى كل من قريش وغطفان وأوهمهم أن بني قريظة قد ندموا على نقضهم عهد محمد واتفقوا معه على أن يخدعوا قريشا وغطفان فيأخذوا بعض سادتهم على أنهم رهائن ويقدمونهم إلى محمد ليضرب أعناقهم، وأشار إلى عزم بني قريظة على الغدر بهم، حسن سليمان محمود، ج١، ص ١٢٠ .

(٤) هذا ما لمسناه في الصفحات السابقة من هذه الدراسة، فالبعض من العشائر السروية والتهامية شاركت المشركين في حروبهم ضد الرسول ﷺ . وموضوع التاريخ السياسي لبلاد نجران وتهامة والسراة والحجاز قبل الإسلام موضوع يستحق أن يكون عنوانا لرسالة أو بحث علمي.

(٥) للمزيد عن تاريخ الإسلام في نجران وتهامة والسراة في عصر الرسول ﷺ انظر: غيثان بن جريس . دراسات في تاريخ نجران وتهامة والسراة خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط (ق١ - ق١٠هـ/ق٧ - ق١٦م) . جزءان، انظر أيضاً للمؤلف نفسه، نجران، دراسة تاريخية حضارية (ق١ - ق٤هـ/ق٧ - ق١٠م)، الجزء الأول، ص٦٦ وما بعدها .

(٦) للمزيد من التفصيلات عن تاريخ الإسلام في نجران وتهامة والسراة في صدر الإسلام، انظر: ابن جريس، دراسات في تاريخ نجران وتهامة والسراة، جزءان .

(٧) دوس : هو دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث، ابن هشام، ج١، ص ٧٦ .

بالقمة وانتهت بالقاعدة، لذا كان من الضروري دراسة قصة إسلام شيخ دوس وهو الطفيل بن عمرو الدوسي، لأن قصة إسلامه تحمل مفاتيح إسلام قبيلة دوس، وهذا لا ينطبق على قبيلة دوس فحسب بل ينطبق على معظم قبائل نجران وتهامة والسراة مثل زبيد[١]، وبجيلة[٢]، ومراد[٣]، والأشعر[٤]، بل معظم القبائل التهامية والسروية نظرا للمكانة القيادية لشيخ القبيلة. ونتيجة لإدراك الرسول ﷺ لهذه الحقيقة الهامة فقد أعرض عن ابن مكتوم حينما كان يبسط دعوته لبعض سادات قريش[٥]، وعاتبه ربه ونزلت الآيات الكريمة ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[٦].

ويشير ابن هشام إلى أن رسول الله ﷺ كان يدعو كل من يأتي إليه من العرب إلى النجاة مما هم فيه[٧]، وعند قدوم شيخ دوس الطفيل بن عمرو الدوسي إلى مكة سعت إليه أشراف قريش، حيث كان الطفيل رجلا شريفا فشكوا إليه الرسول ﷺ وحذروه من السماع له، لأن قوله كما يزعمون كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه وأخيه وزوجته، وأعربوا له عن خوفهم عند سماعه ﷺ أن يحدث لقومه مثل ما حدث لقريش، وقد بلغ تأثر الطفيل مما سمعه من أشراف قريش عن الرسول ﷺ أن وضع في أذنيه كرسفا - أي قطنا[٨]. وعندما أدرك الطفيل أنه قادر على أن يميز الخبيث من الطيب، فحدثته نفسه أن يسمعه فإذا كان ما يقوله حسنا قبله، وإن كان غير ذلك تركه، وكأنه لم يسمع شيئا، فسعى إلى المسجد فوجد الرسول ﷺ قائما يصلي فسمع منه كلاما ما سمعه قبل ذلك من لسان بشر، وعندما أصابت آيات السماء قلب الطفيل فتحت مغاليق قلبه للإسلام، ثم أسرع إلى دار الرسول ﷺ وطلب منه أن يعرض عليه الإسلام، ثم ما لبث أن اطمأن قلبه للإسلام وأسلم[٩].

وعرض الطفيل على الرسول ﷺ أن يحمل رسالة الإسلام إلى قومه دوس لمنزلته فيهم وطاعتهم له، وطلب من الرسول ﷺ: أن يدعو له، وأن يجعل الله له عونا في حمل

---

(١) زُبيد: هو زبيد بن سلمة بن مازن بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج. ابن هشام، ج٢، ص٣٥.

(٢) بجيلة: تنسب إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث أخي أزد بن الغوث، السمعاني، الأنساب، ج١، ص٢٨٤.

(٣) مراد: هي قبيلة منسوبة إلى مراد بن مذحج بن أدد بن زيد بن عمرو بن زيد بن كهلان بن سبأ. إبراهيم أحمد المقحفي. معجم المدن والقبائل اليمنية (منشورات دار الحكمة، صنعاء، ١٩٨٥م)، ص٣٧٥.

(٤) الأشعر: هو النبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٣٩٧.

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، (ط دار صادر، بيروت د.ت) ج٤، ص ٢٠٨.

(٦) سورة عبس، الآيات (١-١٠)

(٧) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص ٢٢.

(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٢، وللمزيد انظر: محمد أمين صالح. تاريخ اليمن الإسلامي (مطبعة الكيلاني، القاهرة، د.ت)، ص ٤٣.

(٩) ذكر ابن هشام أنه اتجه إلى دار الرسول ﷺ يروي له حكايات أشراف قريش عنه ورغبته في أن يكتشف بنفسه صدق نبوته من عدمه فكانت آيات الله هي الفيصل في تصديق نبوته، انظر، السيرة، ج٢، ص ٢٨٢، للمزيد انظر، محمد أمين صالح، ص ٤٣، غيثان بن جريس، دراسات في تاريخ نجران وتهامة والسراة، ج١، ص٢١ وما بعدها.

الرسالة إلى قومه، فقال الرسول ﷺ " اللهم اجعل له آية" (١)، والمقصود بالآية علامة تميزه عن غيره، كما ميز الله الرسل عن غيرهم بالمعجزات، وبدأ الطفيل دعوته بالأقربين عقب عودته إلى سروات دوس حيث عرض الإسلام على أبيه (٢)، فأسلم بعد أن قام وتطهر وقال يا بني ديني دينك، ولكن أمه أنكرت الإسلام(٣).

بينما وجد الطفيل أن زوجته تميل إلى الإسلام، فقال لها اذهبي إلى ذي الشرى(٤)، وتطهري منه ثم أسلمت(٥)، وكان أمراً ضرورياً أن تتطهر من هذا الصنم نظراً لمدى تعلق نساء دوس بهذا الصنم(٦)، وبالرغم من معارضة أمه للدعوة الإسلامية إلا أن معارضة قومه كانت أشد وأكبر(٧)، ويتضح ذلك حينما دعا قومه إلى الإسلام، فكثر رفضهم واشتد إنكارهم له وبعد أن أصابه اليأس من إسلام قومه عاد إلى الرسول ﷺ وطلب منه أن يدعو على قومه، ولكن الرسول ﷺ دعا لهم بالهداية وقال: (اللهم أهد دوساً) وفي رواية أخرى: (اللهم أهد دوساً وارفق بها) وقال له : (ارجع إلى قومك فادعهم وأرفق بهم) "(٨). ويعلل ابن هشام موقفهم المعارض من الإسلام إلى ميراثهم الوثني الذي حال بينهم وبين قبولهم الإسلام، فضلاً على أن ميراثهم من العادات والتقاليد كان فاسداً وقدوتهم كانت على ضلال(٩).

عاد الطفيل إلى قبيلة دوس يدعو قومه برفق كما تعلم في مدرسة الرسول ﷺ، وقد امتدت دعوته لهم سنوات عديدة لأن الرسول ﷺ هاجر إلى المدينة، ومضت غزوات رسول

---

(١) يشير ابن هشام إلى الآية التي جُعلت له، وهي نور بين عينيه، فسأل الله أن تكون في غير وجهه لفراقه دينهم، فتحول النور فوقع في رأس سوطه، فكان يضيء في الليل، ولهذا لقب بذي النور، وفي رواية أخرى قال يارسول الله أخشى أن تكون مثلة، فرجع النور إلى طرف سوطه بعد أن كان في وجهه، وظهرت الآية عندما كان في طريقه إلى بلاد السراة، ويقال وقع نور بين عينيه مثل المصباح فقال اللهم في غير وجهي . ومن هذا يتضح بجلاء أن الآية لم تقع له أمام الرسول ﷺ بل وقعت له وهو في الطريق، هذا فضلاً على أنه سأل الله ولم يسأل الرسول ﷺ . للمزيد انظر: ابن هشام، ج٢، ص٢٣، محمد عجاج الخطيب : أبو هريرة راوية الإسلام، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، د. ت) ص ٨٥ .

(٢) يذكر أنه عقب عودته سأل أباه أن ينأى عنه، فسأله أبوه عن السبب فذكر له أنه أسلم واتخذ الإسلام ديناً، فسأله والده عن الإسلام فعرض عليه الطفيل الإسلام فقبله قبولاً حسناً، انظر: ابن هشام، ج٢، ص٢٣ .

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٣، محمد عجاج الخطيب، ص ٨٥ .

(٤) ذو الشرى : صنم لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد وفيه يقول أحد الشعراء:

أذن لحللنا حول مادون ذي الشري ... وشج العدى منا خميس عرمرم

انظر : ابن الكلبي، الأصنام (القاهرة، د . ت)، ص ٣٧ .

(٥) ابن هشام، ج٢، ص ٢٣ .

(٦) قال رسول الله ﷺ " لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخلصة " أي أنهم يرتدون ويعودون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان، وتسعى نساء دوس طائفات حول ذي الخلصة فترتج أعجازهن. الأزرقي : أخبار مكة، ص ٣٧٧، جواد علي، ج١، ص ٢٧٢ .

(٧) انظر : ابن هشام، السيرة، ج٢، ص ٢٤ .

(٨) للمزيد انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٥٣، ابن هشام، ج، ص٢٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص ٦٨٠، محمد الخطيب، ص٨٥ .

(٩) انظر: ابن هشام، السيرة، ج٢، ص ٢٤ .

الله ﷺ أحد، وبدر، والخندق، ولم يزل أبناء دوس على حالهم من الكفر والعصيان، مما يفيد أن دوساً قد تأخر إسلامها إلى السنة السابعة للهجرة، ثم قدم الطفيل على رسول الله ﷺ ومعه زهاء سبعين أو ثمانين رجلاً بخلاف نسائهم وأولادهم [١]، ومن الرجال الذين قدموا مع الطفيل أبو هريرة[٢]، وقد ساروا إلى رسول الله ﷺ وهو بخيبر، وقسم لهم من غنيمة خيبر، ثم قدموا إلى المدينة فقال الطفيل يا رسول الله لا تفرق بيني وبين قومي فأنزلهم عليه أفضل الصلاة والسلام جميعاً حرة الدجاج بالمدينة المنورة[٣]. وبعد أن هدم الرسول ﷺ أصنام مكة، في السنة الثامنة للهجرة، طلب من الطفيل أن يهدم صنم دوس وهو (ذو الكفين) [٤]، وتشير بعض المصادر في هذا الصدد إلى أنه عندما جاء نصر الله وفتح رسول الله مكة، وهدم الأصنام، بعث الطفيل إلى ذي الكفين لهدمه، وأمره أن يأتي بقومه إليه بالطائف، ويقال إن الطفيل حرق ذا الكفين وأخذ يوقد عليه النار ويقول:

يا ذا الكفين لست من عُبّادكا ... ميلادنا أقدم من ميلادكا
إني حشوت النار في فؤادكا [٥]

ب. إسلام بجيلة :

لعل من الضروري قبل الحديث عن إسلام بجيلة أن نعرف نسب بجيلة الذي تضاربت فيه أقوال المؤرخين، ولم يتفقوا على رأي واحد بشأنها، فيذكر السمعاني أن بجيلة من قحطان[٦]، وأن نسبها يرجع إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث أخي أسد (أزد) الغوث[٧]، وبجيلة وأختها من أمها باهلة[٨]، وهما قبيلتان عظيمتان تنسبان

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن إسلام عشائر دوس انظر: ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٢٠٩، ابن سعد، الطبقات، ج١، ص ٣٥٣، ابن جريس، دراسات في تاريخ نجران وتهامة والسراة، ج١، ص ٢٩ ومابعدها، محمد الخطيب، ص ٨٥، محمد أمين صالح، ص ٤٣ .

(٢) أبو هريرة : يقال أن سليم بن فهم أنجب ثعلبة، وينسب أبو هريرة إلى ثعلبة فهو عبد الله بن عامر بن عيد ذي الشري بن طريف بن عباد بن صعب بن سعد بن ثعلبه بن سليم بن فهم، وبنوه المحرز بن أبي هريرة، وعبد الرحمن بن أبي هريرة وبلال بن أبي هريرة ولأبي هريرة أخ يقال له كريم . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ص ٣٨١، ٣٨٢، وذكر محمد الخطيب أن نسبة أبي هريرة تعود إلى دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر وهو شنوءة بن الأزد . انظر: أبو هريرة راوية الإسلام، ص ٨٥ .

(٣) انظر : ابن سعد، ج١، ص ٣٥٣ .

(٤) ذو الكفين : كان لدوس في أرض السراة، وهو صنم من خشب كان لعمرو بن حممة الدوسي، وعمرو هذا هو والد الطفيل الذي أرسله رسول الله ﷺ إلى ذي الكفين فهدمه وحرقه، وإن ذا الكفين كان في بيت آل حممة، انظر: محمد الواقدي . كتاب المغازي تحقيق مارسدن جونس (عالم الكتب، بيروت، د. ت)، ج٣، ص٩٢٣، الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص٣٨٨، ٣٨٩، ابن هشام، ج١، ص٨١، ابن حزم، ص ٤٩٤، وجواد علي، ج٦، ص ٢٧٤، ٢٧٥، ابن جريس، دراسات في تاريخ نجران وتهامة والسراة، ج١، ص٣٢، ٤٨، ٤٩.

(٥) انظر : ابن حبيب، المحبر، تصحيح، إيلزة ليختن، ط دار الآفاق الجديدة بيروت، ص ٣١٨، ابن هشام، ج١، ص٣٨٥، ابن سعد، ج٢، ص١٥٧ .

(٦) قحطان : ذكر ابن حزم أن اليمانية كلها راجعة إلى ولد قحطان، انظر : جمهرة أنساب العرب، ص ٣٢٩ .

(٧) السمعاني، الأنساب، ج١، ص ٢٨٤ .

(٨) باهلة : هم بنو مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . ابن حزم، ص ٤٨١ .

إلى صعب بن سعد العشيرة[١]، بينما يذهب مرجع آخر إلى أن نسب بجيلة يرجع إلى العدنانية[٢]، ويدلل على ذلك بأن شيخ بجيلة جرير بن عبد الله البجلي نافر رجلا من اليمن إلى الأقرع بن حابس حكيم العرب وهو من العدنانية فقال له :

يا أقرع بن حابس يا أقرع   إنك إن يصرع أخوك تصرع[٣]

وبالرغم من أن قبيلة بجيلة دخلت في الإسلام متأخرة شأن معظم قبائل السروات إلا أن هناك دوافع دفعتهم إلى الإسلام منها سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين[٤]، وكانت كالسهم الذي أصاب بجيلة في مقتل ودفعهم إلى الإسلام دفعا، وتذكر بعض الروايات بأن جماعة من بجيلة اتجهوا إلى رسول الله ﷺ وقد كادوا يهلكون من فرط جهدهم، فأنزلهم الرسول ﷺ عنده، ثم طلبوا منه أن يكونوا في منأى عن المدينة، فأخرجهم الرسول ﷺ إلى مكان آخر خارج المدينة مع مولاه يسار، ولكنهم قتلوا مولى الرسول ﷺ ومثلوا بجثته، وساقوا إبل رسول الله معهم إلى بلادهم في أرض السروات[٥]، وعندما بلغت رسول الله ﷺ هذه الأنباء بعث في أثرهم سرية كرز بن جابر الفهري، وفي رواية أخرى سعيد بن زيد فأدركوهم، فأمر رسول الله ﷺ فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت عيونهم[٦]، وذلك بعد أن نزلت فيهم الآيات التالية ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[٧].

والمتتبع لأحداث السيرة النبوية يجد أنه لم تسمل عين ولم تقطع الأيدي والأرجل من خلاف لأحد في عهد الرسول ﷺ إلا أبناء بجيلة، وقد بلغت الأحداث ذروتها بهزيمة هوازن[٨] وثقيف، في موقعة حنين سنة (٨هـ/٦٢٩م)، والفائدة من هزيمة قبيلتي هوازن وثقيف، بالنسبة لبجيلة، أنهما تقعان شمال بلاد بجيلة، أي في سروات الطائف وما حولها، وهزيمتهم معناها، نهاية خط الدفاع الأول بالنسبة لبلاد بجيلة في أرض السروات، ويمكن القول إنه بهزيمة قبيلتي هوازن وثقيف أصبحت بجيلة في مواجهة غير متكافئة

(١) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ١٧١ .

(٢) العدنانية : ومن أولاد عدنان " معد " ومنه تناسل عقب عدنان، وكان لمعد أربعة أولاد إياد ونزار وقنص وأنمار . انظر: حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٣ .

(٣) انظر : عمر رضا كحالة : معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، (مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت)، ط١، ص ٦٣ .

(٤) العرنيون : هم ولد نذير بن قسر بن عيقر بن أنمار، منهم جرير بن عبد الله البجلي بن جابر بن مالك بن نصر ابن ثعلبة بن جشم بن عويف بن خزيمة، انظر: ابن حزم، ص ٣٨٧ .

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص ٩٣، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص ٨٨، ٨٩ .

(٦) المصدران نفسهما .

(٧) سورة المائدة، آية (٣٣) .

(٨) هوازن : جمع هوزان، وهو ضرب من الطير . وقد سمت العرب هوزناً فولد له هوازن، فمنهم بنو سعد بن بكر بن هوازن استرضع النبي ﷺ فيهم، فجاءته بنت حليمة أخته من الرضاعة يوم حنين فطرح لها رداءه وأعتق لها سبي قومها أجمعين .

مع قوات الرسول ﷺ، وذلك مما عجل بقدومها، ولاسيما بعد أن نجح الرسول ﷺ في القضاء على قوات خثعم في السراة[١].

وكان مجيء وفد بجيلة عقب هزيمة هوازن وثقيف في غزوة حنين، وقد تنبأ الرسول ﷺ بمجيء هذا الوفد فقال (يطلع عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن وعلى وجهة مسحة ملك)[٢]، فطلع جرير على راحلته ومعه قومه فأسلموا وبايعوا الرسول ﷺ في رمضان سنة (١٠هـ/٦٣١م) [٣]، وكان قدوم وفد بجيلة ودخولهم الإسلام موضع سعادة الرسول ﷺ فرحب بهم وبشيخهم جرير وألقى له رداءه وقال (إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، وما حجبه رسول الله ﷺ منذ أسلم ولا رآه إلا وضحك في وجهه)[٤]، ولم تكن مظاهر التكريم قاصرة على شيخ بجيلة، بل شملت قبيلة بجيلة، فكان يضيفهم ويكرمهم وينزلهم على الرحب والسعة في دور الضيافة بالمدينة، حتى ينزع من صدورهم ما علق بها من حادث العرنيين[٥].

وقد سأل الرسول ﷺ جريراً عن أحوال الإسلام في السراة والكعبة اليمانية[٦]، فأخبره بأن الإسلام ظهر في بلاد السراة وشاع الأذان في مساجدهم وساحاتهم، ولكن الكعبة اليمانية مازالت قائمة، فأمره الرسول ﷺ بهدمها[٧]، فنفر جرير إليها على رأس مائةٍ وخمسين فارساً من أحمس[٨]، فهدم البيت بعد أن حرقه ثم بعث إلى الرسول ﷺ رجلاً يدعى أبو أرطأة يبشره بهدمها[٩]، وما إن وصل إلى آذان الرسول ﷺ هدم الكعبة اليمانية حتى أخذته الفرحة فَبَرَّك على خيل أحمس ورجالها خمس مرات[١٠]، وكانت بهجة الرسول ﷺ بهدم الكعبة اليمانية (صنم ذو الخلصة) ترتكز على بعض الأسباب مثل: **(١)** إن هذه الكعبة الوثنية كانت أحد المعبودات الرئيسة في الجزيرة العربية[١١]. **(٢)** إن

---

(١) للمزيد انظر: مؤلف مجهول (فتوح اليمن)، ص٦، ٢١، محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ص ١١٢-١١٣، ابن جريس، دراسات في تاريخ نجران وتهامة والسراة، ج١، ص٣٥ وما بعدها.

(٢) السمعاني، ج١، ص٣٤٧، ابن كثير، ج٤، ص ٧٧.

(٣) ابن سعد : المصدر السابق، ج٢، ص ٣٤٧، ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٩٢.

(٤) ابن كثير، ج٤، ص ٧٧، السمعاني، ج١، ص ٣٤٧.

(٥) السمعاني، ج١، ص ٣٤٧، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص ٨٨.

(٦) الكعبة اليمانية : صنم ذو الخلصة وكانت تسمى الكعبة اليمانية. ابن الكلبي، الأصنام، ص ٦٤.

(٧) للمزيد عن تاريخ الكعبة اليمانية (ذو الخلصة) وكيف تم هدمها من قبل جرير البجلي، انظر: الأزرقي، ج١، ص ٣٨٠، ابن حبيب، المحبر، ص ٣٧٠، ابن جريس، دراسات في تاريخ نجران وتهامة والسراة، ج١، ص٣٩. ج٢، ص ٤٢٣ وما بعدها.

(٨) أحمس : هو من ولد الغوث بن أنمار، وأحمس بن الغوث بطن لهم سوابق في الإسلام منهم بنو نقر بن عمرو بن لؤي بن رهم بن معاوية بن أسلم بن أحمس، ومنهم قيس بن أبي حازم الفقيه، واسمه أبي حازم عوف بن عبد الحارث بن عوف بن حشيش بن هلال بن عوف بن جشم بن النقر ولأبيه صحبة، ابن حزم، ص ٣٨٨، ٣٨٩.

(٩) ابن كثير، ج٤، ص ٧٠٩.

(١٠) ابن كثير، ج ٤، ص ٧٠٩

(١١) الأزرقي، ج١، ص ٣٧٨، وذكر بيومي مهران أن البيوت الحرام متنوعة: كبيت الأقيصر، وبيت نجران، وبيت ذي الخلصة، انظر: تاريخ العرب القديم، ص ٤١٦.

صنم ذي الخلصة لم يكن وثناً محلياً، وإنما شبه قومي، نظراً لأنه كان قبلة الكثير من القبائل العربية مثل بجيلة وخثعم والحارث بن كعب(١)، وجرم وزبيد ودوس وأزد السراة (٢)، وهوازن والغوث وبنوهلال بن عامر وكانوا سدنته(٣).

ج. إسلام مراد، وزُبيد، وبارق، والأزد :

١. وفد مراد :

ظلت الوفود طوال السنة العاشرة للهجرة (١٠هـ/٦٣١م) تفد على المدينة من أنحاء بلاد نجران وتهامة والسراة تعلن دخولها في الإسلام، ومن هذه الوفود وفد مراد الذي قدم مع فروة ابن مسيك المرادي على رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كندة(٤)، وتذكر بعض المصادر التاريخية أنه قبيل مشرق الإسلام وقعت حوادث ووقائع عدة، منها واقعة يوم الرذم(٥)، وفي رواية أخرى يوم الردم(٦)، وأصابت فيها همدان من مراد دماً كثيراً وكان على رأس همدان في تلك الواقعة الأجدع بن مالك والد مسروق(٧)، وكانت هزيمة مراد مبعث أشجان ابن مسيك المرادي لانطلاق شعره (٨). وعندما توجه فروة إلى الرسول ﷺ

---

(١) الحارث بن كعب : ولد الحارث بن كعب، كعب، وربيعة فولد كعب بن الحارث بن كعب ربيعة، ومالك، ومويلك، ويعرفون بأمهم عقدة، وهم بنو عقدة، ومن بني مالك بن كعب بن الحارث بن كعب، بنو عبد المدان واسمه عمرو بن كعب بن الحارث بن كعب، وهم بيت مذحج وأخوال أبي العباس السفاح، انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٦١، ويقال إن بني الحارث بن كعب حي من اليمن من مذحج في نجران، وهم أخوة همدان، وموطنهم شمال صنعاء، انظر حسين بن علي، اليمن الكبرى، (القاهرة، د.ت)، ص ١٦٦ .

(٢) أزد السراة : كان للأزد من الأولاد، مازن ونصر وعبد الله، وهم ثلاثة أقسام: أحدهم: أزد شنوءة، وهم بنو نصر بن الأزد، وشنوءة: لقب لنصر، والثاني أزد السراة، بالإضافة إلى أزد السراة وهو موضع بأطراف اليمن نزلت به فرقة من الأزد فعرفوا به ، القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٩١، ويذكر أن سراة كل شيء أعلاه .جودة حسنين جودة : شبه الجزيرة العربية، (دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية، ١٩٨٨م)، ص ٣٣ . ونقول إن أزد السراة هي البلاد الممتدة من بلاد غامد وزهران شمالاً إلى شمال مدينة أبها حالياً .

(٣) ابن حبيب، المحبر (دار الآفاق الجديدة بيروت) ص ٣١٧ .

(٤) للمزيد انظر: ابن سعد، ج١، ص ٣٢٧، الطبري، ج٣، ص ٣١٤، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٩٥ . ابن كثير، ج٥، ص٧٠، ابن خلدون، ج٢، ص٥٥، عصام الفقي : اليمن في ظل الإسلام (دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت)، ص ٢٧ .

(٥) واقعة يوم الرذم ، أو الرزم : جرت في حوالي (٦٢٣م)، أي في السنة التي وقعت فيها معركة بدر، وقد حدث نزاع على الصنم يغوث، وأراد بنو مراد أن يكون الصنم فيهم وسدانته لهم، وأراد بنو أنعم الاحتفاظ بحقهم فيه، فهرب بنو أنعم بصنمهم إلى بني الحارث، وحدث نزاع بين بني مراد، وبني الحارث بن كعب حول الصنم، فلما أبت بنو الحارث تسليم الصنم إلى مراد أرسلت عليها مراد جيشا، فاستنجدت بنو الحارث بهمدان فنشبت بينهم معركة عرفت بيوم الرذم، وانهزمت فيها مراد ومنيت بخسارة كبيرة، وبقي الصنم في بني الحارث . انظر: جواد علي، ص ١٢٣.

(٦) انظر : ابن كثير، البداية، ج٥، ص ٧٠ .

(٧) مسروق : هو مسروق بن الأجدع بن مالك من ولد علك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد بن زيد بن كهلان بن سبأ . انظر، الطبري، ج٣، ص١٣٤، ابن الأثير، ج٢، ص ٢٩٥، ابن كثير، ج٥، ص٧٠، إبراهيم أحمد المقحفي، ص ٢٩٢ .

(٨) وأنشد فروة المرادي في هزيمة قومه :

فإن نغلب فغلابون قدما	وأن نهزم فغير مهزمينا
وإن نقتل فلا جبن ولكن	منايانا وطعمة آخرينا
كذلك الدهر دولته سجال	تكر صروفه حينا فحينا

مفارقاً قومه فقال:

لما رأيت ملوك كندة أعرضت — كالرجل خان الرجل عرق نسائها
يممت راحلتي أؤم محمداً — أرجو فواضلها وحسن ثرائها[(١)]

وحينما بلغ فروة وقومه المدينة، أحسن الرسول ﷺ استقبالهم[(٢)] ثم بايعوا الرسول ﷺ ويذكر أن الرسول ﷺ أعطى فروة اثنتي عشرة أوقية، وأعطاه حلة من نسيج عمان، واستعمله على مراد وزبيد ومذحج[(٣)]، وقد دار حوار بين الرسول ﷺ وفروة حول واقعة الرذم، وذكر الطبري أن الرسول قال له (يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرذم، فقال يا رسول الله : من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي ولم يسؤه ذلك)[(٤)]. فقال له الرسول ﷺ أما أن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيرا)[(٥)]، وكان الرسول ﷺ يرسل تلاميذه الذين نهلوا من فيض علمه إلى القبائل التي انضوت تحت لواء الإسلام، وبعد إسلام وفد مراد أرسل الرسول معهم خالد بن سعيد بن العاص يرشدهم في شؤون دينهم، ويعلمهم القرآن وفرائض الإسلام، واستعمله (عليه أفضل الصلاة والسلام) على الصدقات، وكتب له كتاباً فيه فرائض الصدقة، واستمر خالد بن سعد بن العاص على الصدقات إلى أن توفي رسول الله ﷺ[(٦)].

٢. وفد زُبيد :

قدم وفد زُبيد على رسول الله ﷺ سنة (١٠هـ/٦٣١م)[(٧)]، وفي بعض الروايات سنة

فبيناه يسر به ويرضى — ولو لبست غضارته سنينا
ومن يغبط بريب الدهر منهم — يجد ريب الزمان له خؤونا
فلو خلد الملوك إذاً خلدنا — ولو يبق الكرام إذاً بقينا
فأفنى ذاكم سروات قومي — كما أفنى القرون الأولينا

انظر : الطبري، ج٣، ص ٣١٥، ابن الأثير ،ج٢، ص ٢٩٥ .

(١) الطبري : ج٣، ص ١٣٥، ابن كثير، ج٥، ص ٧٠ .

(٢) هذه هي عادة الرسول في استقبال الوفود فقد كان يضيفها ويكرمها وينزلهم على الرحبِ والسعة في دار الضيافة بالمدينة فإذا أسلمت بايعها على الإسلام وأقطعها أرضها وبلادها وأمر عليها واحداً منها حتى إذا ما أذنت بالرحيل إلى بلادها أعطاها جائزة وبعث معها رسولاً يفقهها في دينها، انظر: محمد أمين صالح، تاريخ اليمن السياسي، ص ٤٧ .

(٣) الطبري، ج٣، ص ١٣٥، ابن سعد، ج١، ص٣٢٧، ابن خلدون، ج٢، ص٢٢٥ . مذحج: هو أبو مجموعة من القبائل اليمنية كثيرة العدد منها عبس، ومراد، والنخع، وصدا وغيرها، ومذحج يسمى سعد العشيرة لأنه كان يسأل فيجيب هؤلاء عشيرتي خوفاً من العين، ومن سعد العشيرة الحكم وإليه ينسب مخلاف حكم المشهور بالمخلاف السليماني نسبة إلى سليمان بن طرف الحكمي الواقع بجازان وتهامة الشمالية انظر: الهمداني : الإكليل (تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة، د. ت) ج١، ص٩٤ .

(٤) الطبري، ج٣، ص ١٣٥، ابن الأثير، ج٢، ص ٢٩٦ .

(٥) ابن الأثير، ج٢، ص ٢٩٦

(٦) انظر : ابن سعد، ج١، ص ٣٢٧، الطبري، ج٣، ص١٣٦، ابن الأثير، ج٢، ص ٢٩٧، ابن كثير، ج٥، ص ٧١ .

(٧) الطبري، ج٣، ص١٣٢، ابن كثير، ج٥، ص٧٢ .

(٩هـ/٦٣٠م) وعلى رأسهم عمرو بن معديكرب [١]، في عشرة نفر من زبيد إلى المدينة[٢]. ويذكر الطبري أن عمرو بن معديكرب قال لابن أخته قيس بن مكشوح المرادي[٣]، اذهب بنا إلى هذا الرجل - يعني رسول الله ﷺ - فلن يخفى علينا أمره [٤]، ولكن قيس رفض بشدة، فذهب عمرو مع من أطاعه من قومه إلى المدينة، وعند وصوله إلى يثرب، قال من سيد هذه البحرة، فقيل له سعد بن عبادة : فذهب إليه فرحب به سعد وأكرمه ثم اصطحبه إلى رسول الله ﷺ فأسلم[٥]، وتشير بعض المصادر إلى أن رسول ﷺ لم يستعمل عمراً على زبيد واستعمل بدلاً منه فروة بن مسيك[٦]، وسبب ذلك أن فروة كان مفارقاً لملوك كندة بعد واقعة الرذم[٧]، واستعمل الرسول ﷺ بدلاً منه فروة المرادي على قبيلة زبيد[٨]، مما كان مبعثاً على غضب عمرو وسخطه، وربما ذلك كان أحد الأسباب الرئيسة في ارتداده عن الإسلام[٩]، ونلحظ أن تعيين الرسول ﷺ شخصاً أجنبياً على قبيلة زُبيد مثل فروة بن مسيك سبب كارثة لشيخ زُبيد عمرو بن معديكرب الزبيدي، خاصة وأنه صاحب مكانة ليس في قومه فحسب بل في العرب جميعاً، وليس أدل على ذلك من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعده بألف فارس [١٠].

٣. وفد بارق :

يعتبر وفد بارق من الوفود التي انطلقت من ديار نجران وتهامة والسراة لإعلان

---

(١) عمرو بن معديكرب الزبيدي : ينتهي نسبه إلى زبيد فهو قحطاني الأصل، وفارس اليمن، وتضرب الأمثال بفروسيته وبسالته، ومعنى معديكرب وجه الفلاح، المعدي هو الوجه، والكرب هو الفلاح. ابن هشام : ج٢، ص ٣٥ .

(٢) انظر: ابن سعد، ج١، ص ٣٢٨، الطبري، ج٣، ص ١٣٢ .

(٣) قيس بن مكشوح المرادي : ليس من مراد إنما هو حليف لها واسمه مراد يحابر بن سعد العشيرة بن مذحج، ونسبه في بجيلة ثم في بني أحمس، وأبوه مكشوح واسمه هبيرة بن هلال . ويقال عبد يغوث بن هبيرة بن الحارث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن أحمس بن يغوث بن هبيرة، ويكنى قيس أبا شداد، وهو قاتل الأسود العنسي الكذاب، وقد اشترك معه في ذلك فيروز، وقتل مع علي يوم صفين، وله في هذا اليوم وفي حروب الشام ضد الروم وقائع لم يسمع بمثلها أحد بعد خالد بن الوليد، ابن هشام، ج١، ص ٣٥ .

(٤) الطبري، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٣٢، ١٣٣، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٥ .

(٥) انظر : ابن سعد، ج١، ص ٢٣٨، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٥ .

(٦) الطبري، ج٣، ص ١٣٤، ابن الأثير، ص ٣٩٨، ابن كثير، ج٥، ص٧٢، ابن خلدون، ج٢، ص٥٥.

(٧) الطبري، ج٣، ص ١٣٤، ابن كثير، ج٥، ص ٧٠ .

(٨) انظر :ابن سعد، ج١، ص٣٢٨، الطبري، ج٣، ص٣٢٧ .

(٩) النعمان عبد المتعال القاضي : شعر الفتوح الإسلامية (الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م) ص٢٠٢، ص ٢٠٧ .

(١٠) المرجع نفسه، ص ٢٠٧، وللمزيد عن شخصية عمرو بن معديكرب الزبيدي منذ دخوله الإسلام إلى ارتداده ثم رجوعه للإسلام وخروجه للجهاد في سبيل الله، انظر محمد بن عبد الله بن قتيبة . الشعر والشعراء (دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ص٢٤٠-٢٤٢، أحمد بن عبد ربه. العقد الفريد (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج١، ص ١٢٤، ٣١٨، ٣١٩. انظر أيضاً : أبو محمد أحمد بن أعثم . كتاب الفتوح (مصور من طبعة حيدر أباد بالهند، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ج١، ص ٢٧١ وما بعدها، غيثان بن جريس، دراسات في تاريخ نجران وتهامة والسراة، ج١، ص ٥٥-٩١ .

إسلامها في المدينة، وكان موضع استقبال الوفد في المسجد النبوي[١]، والمسجد في عهد الرسول ﷺ لا يمثل مكانا للعبادة فقط، بل كان يؤدي وظيفة إدارية، فقد كان يمثل مقر الحكم، الذي تجرى فيه مراسم الاستقبال، ويرحب فيه حسان بن ثابت بالوفود العربية، إلى جانب ذلك كان الرسول ﷺ يعطيهم الهدايا من الأموال والإقطاعات أيضاً[٢]، وحين بلغ وفد بارق مسجد الرسول فتح لهم الرسول ﷺ أبواب الإسلام، وبسط يده من فيض كرمه بما أرضاهم فدخلوا آمنين، وكتب لهم كتابا بذلك، وأشهد عليهم أبا عبيدة بن الجراح وحذيفة بن اليمان وكتبه أبي بن كعب، وجاء في ذلك الكتاب " هذا الكتاب من محمد رسول الله لبارق لا تجز ثمارهم ولا ترعى بلادهم في مربع ولا مصيف إلا بمسألة من بارق، ومن مر بهم من المسلمين في عرك أو جدب فله ضيافة ثلاثة أيام، وإذا أينعت ثمارهم فلابن السبيل اللقاط يوسع بطنه من غير أن يقتثم)[٣]. وقد أوردنا هذا الكتاب باعتباره وثيقة تاريخية ولازمة من لوازم استقبال الرسول ﷺ للقبائل.

٤. إسلام الأزد :

من أهم الوفود التي قدمت على الرسول ﷺ وفد الازد[٤]، وكان يتكون من بضعة عشر رجلا يتقدمهم صرد بن عبد الله الأزدي في شهر رمضان سنة (١٠هـ/٦٣١م)، ونزلوا على عبد الله بن عمر فحياهم وأكرمهم، واقاموا عنده عشرة أيام، ثم توجه صرد إلى رسول الله ﷺ وأسلم هو وقومه[٥]، ومن مظاهر حكمة رسول الله ﷺ أنه كان لا يحرم ذوي النفوذ في الجاهلية من نفوذهم في ظل الإسلام، وكانت الأفضلية محك اختبار الرسول لشيوخ القبائل، وقد رأى عليه أفضل الصلاة والسلام أن صرد أفضلهم فأمره على من أسلم من قومه، وأمره الرسول بأن يجاهد بمن أسلم من أهل بيته المشركين من قبائل اليمن . ويذكر الطبري أن صرد الأزدي رجع إلى جرش فوجد خثعم دخلتها[٦]، ونلاحظ أن قبيلة خثعم ليست من سكان جرش، وإنما سكانها عشائر عنز والعواسج[٧] ومنبه بن

---

(١) ابن سعد : المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٥، المسجد النبوي : طول المسجد النبوي في صدر الإسلام (٣٠٠) ذراع وعرضه (٢٠٠) ذراع، وحول المسجد زروع ونخيل، وللمنبر (٨) درجات يقعد الخطيب على السابعة، أو الثامنة. حيث كان وقوف النبي ﷺ، والمحراب يميل وسط الجدار نحو الشرق بحوالي عشرين ذراعا" انظر: سعد زغلول عبد الحميد : العمارة والفنون في دولة الإسلام . (دار المعارف، الإسكندية، د . ت) ، ص ٤٦، ٤٧ .

(٢) ابن سعد، ج١، ص ٣٢٥، محمد أمين صالح، ص ٤٧

(٣) انظر : ابن سعد، الطبقات، ج١، ص ٣٢٥ .

(٤) الأزد : تنسب إلى الأزد بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن يشجب بن قحطان، وبطون الأزد كثيرة منها الأوس والخزرج وخزاعة ومازن، وبارق وألمع، والحجر، وراسب، وغامد وزهران، وعك، ودوس عشيرة أبي هريرة رضي الله عنه فلما خرب السد تفرقوا في البلدان انظر: " إبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص ١٩، ٢٠ .

(٥) ابن سعد، ج١، ص ٣٣٨، الطبري، ج٣، ص ١٣٠، ابن الأثير، ج٢، ص٢٩٥، ابن كثير، ج٥، ص ٧٤ .

(٦) وفد الأزد، هم وفد جرش، وكانوا من أكثر الوفود تأثيراً في أهل السراة، وربما ذلك لأهمية مخلاف جرش موطنهم الرئيس .وللمزيد عن هذه الوفود منذ خروجهم من جرش (عسير حاليا) حتى رجوعهم إليها، انظر: ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٣٣٨، الطبري، تاريخ، ج٣، ص ١٣٠، ابن كثير، البداية، ج٥، ص ٧٤، محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية (القاهرة، ١٩٦٨م)، ص ٩٤، عصام الفقي، ص٢٨.

(٧) سكان جرش قبيلة عنز ويترأس فيها العواسج من أشراف حمير من ولد يريم ذي مقار القيل. ولهم سؤود ورفعة هناك، انظر: الهمداني : الإكليل، ج١، ص ٢٨٤ .

أسلم وغيرهم[(١)]، وأغلب الظن أن الخثعميين انتقلوا إلى جرش، عندما علموا بوصول قوات الرسول ﷺ إلى بلاد السراة لمحاربة المشركين فيها وعلى رأسهم قبيلة خثعم[(٢)].

د ـ نجران والإسلام :

١ـ إسلام القسم الوثني :

كانت نجران مستقلة بشؤونها يديرها سادتها وأشرافها ولها نظام سياسي وإداري خاص تخضع له[(٣)]، وسكانها ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : مسيحيين[(٤)]، ويهود[(٥)]، ووثنيين[(٦)]، وبالرغم من حرص اليهود ونصارى نجران على دينهم[(٧)]، فقد أسلم بعضهم[(٨)]، بينما استمر القسم الوثني على حاله، في الوقت الذي نشط فيه الرسول ﷺ والمسلمون في نشر الإسلام في الجزيرة العربية ومن ضمنها نجران[(٩)]، ويشير ابن هشام إلى أن رسول الله ﷺ عهد إلى خالد بن الوليد سنة (١٠هـ/٦٣١م) [(١٠)]، وأمره أن يدعو النجرانيين إلى الإسلام ثلاث مرات قبل أن يشتبك معهم في أي قتال، فإن قبلوا الإسلام، علمهم شرائعه وسننه وإن رفضوا قاتلهم[(١١)].

---

(١) منبه بن أسلم : هو منبه بن أسلم بن زيد بن الغوث بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد الشمس بن وائل بن الغوث بن الهميسع بن حمير بن سبأ، انظر: ياقوت، معجم، ج٢، ص ١٢٦ .

(٢) خثعم من قبائل السراة الرئيسة التي تصدت لدعوة الإسلام، ولم تدخل الديار الخثعمية في حوزة الإسلام إلا بعد حروب عديدة، انهزم فيها المشركون، ومن ثم أصبحت أرض السراة بلاد مسلمة يسود فيها شرع الله . أما الازد فقد وفد منهم وفد آخر على رسول الله ﷺ في المدينة فاستقبلهم الرسول ﷺ وقال لهم (مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً، وأصدقه لقاءً، وأطيبه كلام، ، وأعظمه أمانة، أنتم مني وأنا منكم، وحمى لهم حمى حول قريتهم على أعلام معلومة) . انظر : ابن سعد، ج١، ص٣٣٨، محمد حميد الله، ص ٢٨٩ـ ٢٩٠ . وللمزيد عن تاريخ قبيلة خثعم في الجاهلية وصدر الإسلام، انظر : رسالة دكتوراه للطالبة خلود بنت عبد الباقي إبراهيم البدنة، قبيلة خثعم منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر العباسي الأول . دراسة سياسية حضارية (١ـ١٣٢هـ/٦٢٢ـ٨٤٦م) قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الدمام (١٤٣٣.٣٢هـ /٢٠١٢.١١م) ص ٥٨ وما بعدها .

(٣) فاطمة مصطفى عامر: نجران في العصر الجاهلي وفي عصر النبوة، ص ٢٦ ،جواد علي، ج٣، ص ٥٣٢ .

(٤) عون الشريف قاسم، نشأة الدولة الإسلامية (الطبعة الثانية، دار الكتب المصري، القاهرة، ١٩٨١م) ص ١٢٧.

(٥) ذكر أحمد أمين أن اليهودية كانت منتشرة في بني الحارث بن كعب بنجران، انظر: فجر الإسلام، ص ١٠٧ .

(٦) كانت الحياة الدينية في الجزيرة العربية قبل الإسلام بدائية، فلقد اعتقد الأقدمون أن الطبيعة حولهم مشحونة بقوى أعظم من قوى الإنسان، ولكن بالإمكان تسخيرها لخدمته بطرائق خاصة، وتمثلوا هذه القوى روحاً بشرية ذات طاقات خطيرة، والواقع أن الوثنيين اعتبروا الأشجار والكهوف والينابيع والحجارة العراض على الخصوص مأهولة بالأرواح، ومن هنا قدس العرب القدماء ضروباً من الحجارة انظر: كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية (نقله إلى العربية نبيه فارس، منير البعلبكي، ط بيروت) ص ١٢٧ .

(٧) انظر: لويس شيخو، النصرانية وأدبها، ص١٢٨، جلال مظهر: محمد رسول الله وسيرته وأثره في الحضارة الغربية، ج١، ص ٣٨٠ .

(٨) يروي ابن سعد أن السيد والعاقب، عادا ثانية من نجران إلى المدينة حيث اعتنقا الإسلام وأديا الشهادتين أمام رسول الله ﷺ، وقد أنزلهم دار أبي أيوب الأنصاري، انظر: الطبقات، ج٢، ص ٣٥٨ .

(٩) عون الشريف قاسم الشريف، ص١٦١، جلال مظهر، ص ٣٨٠ .

(١٠) انظر : السيرة، ج٢، ص ٥٣٢، وللمزيد انظر: الطبري، ج٣، ص ١٢٦، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٣، ابن جريس، نجران، ج١، ص ٦٨ وما بعدها .

(١١) الطبري، ج٣، ص١٢٦، ابن الأثير، ج٢ ص٩٩، ابن خلدون، ج٢، ص٥٣ .

والملاحظ أن الأساليب المتبعة من خالد بن الوليد مع أهل نجران وبخاصة بني الحارث ابن كعب تنطوي على الشدة والعنف واستعراض القوة، وتذكر بعض المصادر أنه بعث الركبان يضربون في كل وجه وأخذ يدعوهم إلى الإسلام ويقولون " أيها الناس أسلموا تسلموا فأسلم الناس "[١]، وعندما دخلوا فيما دعاهم إليه أقام خالد بينهم يشرح لهم فضائل الإسلام وما جاء في القرآن الكريم، ويعلمهم سنن النبي ﷺ كما أمره الرسول ﷺ[٢]، ثم كتب خالد إلى رسول الله ﷺ قائلا: " السلام عليك يا رسول الله، أما بعد، يارسول الله ﷺ بعثتني إلى بني الحارث بن كعب وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا قبلت منهم وعلمتهم تعاليم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم، وإني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله، وبعثت فيهم ركبانا قالوا يا بني الحارث أسلموا تسلموا فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهرهم وآمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأعلمهم تعاليم الإسلام، وسنة النبي حتى يكتب إلى رسول الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته "[٣].

وكانت مكاتبة خالد لرسول الله ﷺ بإسلام القسم الوثني مبعث سعادة له (عليه أفضل الصلاة والسلام)، ولاسيما أنه القسم الوحيد بين سكان نجران الذين استجابوا للإسلام، ثم كتب الرسول علية السلام إلى خالد يستدعيه إلى المدينة في صحبة وفد من مسلمي نجران فقال: " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن كتابك جاءني مع الرسول تخبر أن بني الحارث ين كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم وأجابوا إلى مادعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه، فبشرهم وأنذرهم، وأقبل وليقبل معك وفدهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته "[٤].
وقدم خالد بن الوليد إلى المدينة بصحبة وفد نجران برئاسة قيس بن الحصين بن يزيد بن شداد ويقال له ابن ذي الغصة[٥]، وعدد من زعمائهم، مثل يزيد بن عبد المدان، ويزيد بن المحجل، وعبد الله بن قراد الزيادي، وشداد بن عبد الله القناني، وعمرو بن عبد الله الضبابي، وقد أحسن الرسول ﷺ استقبلهم ونطقوا أمامه بالشهادتين[٦].

---

(١) الطبري، ج٣، ص ١٢٦ .

(٢) ابن هشام، ج٢، ص ١٣٣ ، الطبري، ج٣، ص ١٢٦ ، ابن الأثير، ج٢، ص٢٠٠ ، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٣ .

(٣) انظر: ابن هشام، ج٢، ص ١٣٣ ، الطبري، ج٣، ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، عون الشريف قاسم، ص١٦١ ، ابن جريس، نجران، ج١، ص ٦٨ وما بعدها .

(٤) ابن هشام، ج٢، ص١٣٣ ، الطبري، ج٣، ص١٢٧ ، ابن كثير، ج٥، ص ٩٨، فاطمة مصطفى عامر، ص٢٧، ابن جريس، نجران، ج١، ص٦٨ وما بعدها .

(٥) ذو الغصة : يسمى بذلك لغصة في حلقه لا يكاد يبين منها واسمه الحسين بن زيد بن شداد الحارثي، ذكره عمر بن الخطاب يوماً فقال لا تزاد امرأة في صداقها عن كذا وكذا ولو كانت بذي الغصة، ابن هشام، ج٢، ص١٣٣ .

(٦) انظر : ابن هشام، ج٢، ص ١٣٣ ، الطبري، ج٣، ص ١٢٧ ، ابن خلدون، ج٢، ص٥٣، عون الشريف قاسم، ص١٦٢، فاطمة مصطفى، ص٢٧، ابن جريس، نجران، ط١، ص ٦٨ وما بعدها .

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنه دار حديث بين رسول الله ﷺ وملوك نجران المذحجيين، نسبة إلى قبيلة مذحج، وقد سألهم أنتم الذين إذا زجروا استقدموا وكرر عليهم السؤال ثلاث مرات دون أن يجيب أحدهم إلا في المرة الرابعة، إذ قال يزيد بن عبد المدان نعم يارسول الله [١]، فقال رسول الله : لو أن خالداً لم يكتب إلي أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم، فأجاب يزيد إنا والله ما حمدناك ولا حمدنا خالداً قال رسول الله فمن حمدتم ؟ قال : " حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله"[٢]. هكذا كان الوفد يحسن القول والرد على رسول الله ﷺ وقد سألهم عليه الصلاة والسلام " كيف كانوا يغلبون عدوهم ؟ فعلم منهم أن ذلك كان يتم باجتماعهم في إطار واحد، وعدم تفرقهم وأنهم كانوا لا يبدأون بظلم " [٣]. وتذكر المصادر التاريخية المبكرة أن رسول الله ﷺ منحهم عشر أواق، وزاد قيس ابن الحصين فأجازه باثنتي عشرة أوقية، وجعله أميراً على بني الحارث بنجران وعاد الوفد إلى نجران سنة (١٠هـ/٦٣١م)، ثم أرسل الرسول ﷺ معهم عمرو بن حزم يفقههم في الدين ويعلمهم شرائع الإسلام وفرائضه والسنن والأحاديث النبوية حتى يكونوا على وعي بأمور الإسلام وكتب له في ذلك كتاب[٤].

٢. معارضة القسم المسيحي للإسلام :

كما مر معنا في الصفحات السابقة، أن القسم الوثني بايع الرسول ﷺ على الإسلام، أما القسم المسيحي فقد رفضوا دخول الإسلام واحتفظوا بدينهم، فكتب إليهم رسول الله ﷺ : "من محمد رسول الله إلى أساقفة نجران بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب: أما بعد، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم أذنتكم بحرب والسلام " [٥]. ولما تسلم الأسقف هذا الكتاب ذعر ذعراً شديداً، واستشار كبار رجال نجران في الأمر، واستقر الرأي على خروج وفد منهم للقاء رسول الله ﷺ في المدينة[٦].

وتشير بعض الروايات إلى أن الوفد يتكون من ستين راكباً، وفي رواية أخرى من سبعين راكباً، وعلى رأس الوفد أربعة عشر من أشرافهم، ويتزعم الوفد ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم هم: العاقب والسيد والأسقف، والعاقب اسمه عبد المسيح وهو صاحب مشورتهم، وكان

---

(١) الطبري، ج٣، ص ١٢٧ ـ ١٢٨، ابن كثير، ج٥، ص١٩٩، ابن خلدون، ج٢، ص٥٤، فاطمة مصطفى عامر، ص٢٨، ابن جريس، نجران، ج١، ص٦٩ .

(٢) انظر : ابن سعد، ج٣، ص٣٤٠، الطبري، ج٣، ص١٣٤، ابن جريس، نجران، ج١، ص ٦٩ ـ ٧٢ .

(٣) المصادر والمراجع نفسها، ، انظر أيضاً، ابن كثير، ج٥، ص ١٩٩، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٤ .

(٤) المصادر والمراجع نفسها، انظر أيضاً البلاذري، فتوح البلدان، (دار الكتب العلمية، بيروت د. ت)، ص ٨٠ ، عمر رضا كحالة، معجم القبائل، ج٢، ص ٥٠٦، عون الشريف، ص ١٦٢، فاطمة مصطفى، ص ٢٨ .

(٥) انظر : الطبري، ج٣، ص١٢٦، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٣، فاطمة مصطفى عامر، ص٣٠، نجران، ج١، ص٨١، الفقي، ص ٢٥٣ .

(٦) المصادر والمراجع نفسها .

ثمالهم أي الملجأ والغياث، واختصاصه تولي الأمور الداخلية[١]، أما السيد فاسمه الأيهم، وفي بعض الروايات الأتهم، وهو صاحب رحلتهم، وكان اختصاصه مثل رؤساء القبائل فهو رئيسهم في الحرب، وهو الذي يدير أمورهم الخارجية ويتولى أمور العلاقات بينهم وبين القبائل الأخرى، أما الأسقف فهو أبو حارثة بن علقمة، ويعد أسقفهم وأمامهم ويختص بالأمور الدينية [٢]، ونلحظ أن وفد نجران يتميز بنظام إداري دقيق ويرجع ذلك إلى ماضيهم العريق في مجال الحكم والسلطان، حيث كان يحكم نجران ملوك العرب من بني الديان [٣].

ويشير البلاذري إلى أن وفد نصارى نجران رفض الإسلام وقبل الجزية فكانت أول جزية في الإسلام[٤]، ويرجع رفض نصارى نجران للإسلام لأسباب داخلية وخارجية، ومن الأسباب الداخلية، الحرص على ما بلغوه من ملك، فهم المذحجيون أهل الملك والسلطان، وكانوا ملوك نجران، وهم الذين بنوا كعبة نجران وعظموها مضاهاة للكعبة الشريفة وسموها كعبة نجران[٥]، وأغلب الظن أن المحافظة على الملك في نجران يعد من أهم العوامل التي دفعتهم إلى رفض الإسلام.

أما علاقة نصارى نجران الخارجية، فقد كانت نجران مرتبطة بوشائج وثيقة بالقوى المسيحية في العالم وهي الروم والحبشة، وذكر أحمد أمين أنه كان في نجران إدارة متخصصة في العلاقات الخارجية يرأسها السيد[٦]، ويشير ابن هشام إلى أن أباطرة الروم كانوا على اتصال بنصارى نجران يساعدونهم ويمولونهم، ويرسلون لهم الهدايا والأعطيات، وكانوا يمدونهم بالعمال والأموال، والخامات اللازمة لبناء الكنائس في نجران[٧]، وكانوا يكرمون من نبغ منهم في علوم الدين مثل أبي حارثة[٨]، الذي درس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم مما دفع ملوك الروم إلى أن شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات [٩]، ودعم روما لنصارى نجران لا ينطلق من وجود أقطاب المسيحية بها فحسب، بل كانوا يسعون إلى تحقيق مصالح لهم في اليمن بعد أن فشل السيف في تحقيق أطماعهم السياسية والاقتصادية [١٠]، بالإضافة إلى غنى منطقة نجران الاقتصادية حيث يوجد فيها أنواع متنوعة من الزراعة، فضلاً عن صناعة الأنسجة

---

(١) للمزيد انظر: ابن هشام، ج٢، ص ١٥٨، ابن كثير، ج٥، ص ٥٦، ابن جريس، نجران، ج١، ص٨٢ـ ٨٣.

(٢) ابن هشام، ج٢، ص ١٥٨، ابن كثير، ج٥، ص٥٦، أحمد أمين، ص٢٦.

(٣) الهمداني، الإكليل، ج١، ص٢٦، عمر رضا كحالة، ج١، ص ٢٣١.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٤.

(٥) انظر: البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٦٠٢، أحمد أمين، ص٢٦، فاطمة مصطفى عامر، ص ٨.

(٦) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ٢٦ .وللمزيد عن تاريخ النصارى في نجران، انظر: ابن جريس، نجران، ج١، ٨٣ وما بعدها.

(٧) ابن هشام، ج٢، ص ١٥٩.

(٨) أبو حارثة: هو أبو حارثة بن علقمة وهو من بني بكر بن وائل، انظر: ابن كثير، ج٥، ص ٥٦.

(٩) المصدر نفسه، ج٥، ص ٥٦.

(١٠) البلاذري: ص٧٥، مهران، تاريخ العرب القديم، ص ٣٧٠.

الحريرية والحلل اليمنية التي تغنى بها الشعراء، وكانت أيضاً قريبة من الطريق التجاري الذي يمتد إلى الحيرة وما جاورها[(١)].

ولاشك أن الخوف من ضياع المكاسب السياسية والاقتصادية التي اكتسبها نصارى نجران من الرومان كان الدافع الرئيس لرفضهم الإسلام، ولذلك أجمع الوفد قبل مقابلة الرسول ﷺ على معارضته، على الرغم من إيمانهم بالرسول فعلى سبيل المثال أبو حارثة الذي كتم إيمانه في قلبه خوفاً من ضياع هذه المكاسب التي يحصلون عليها من الروم[(٢)]، ونظراً لعلاقات نصارى نجران الخارجية فقد حدث صدام فكري مع الرسول ﷺ، ويتضح ذلك عندما عرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فقالا : " إنا قد أسلمنا قبلك فقال: كذبتما يمنعكما من الإسلام أكلكما الخنزير، وعبادتكما الصليب، وقولكما لله ولداً، وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ عندما دعاهم إلى الإسلام رفضوا وكثر الكلام والجدل بينهم[(٣)]، وذكر ابن هشام أن أحبار اليهود ذهبوا إلى الرسول ﷺ بعد علمهم بمقدم نصارى نجران، وتنازعهم معه، وقالوا لهم ما أنتم على شيء، وكفروا بعيسى والإنجيل، فأنكر أحد نصارى نجران نبوة موسى وكفروا بالتوراة[(٤)]، وهكذا أخذ كل فريق يشهد على ضلال الفريق الثاني فنزل فيهم قول الله تعالى : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾[(٥)]. وبذلك يصبح لزاماً عليهم اتباع العقيدة التي قررها الإسلام والتي بها وحدها يتحد الجميع في الطريق المستقيم، ويتخلصون من شقاقهم إذا كانوا راغبين في الحق[(٦)]، ويشير أحد المصادر المبكرة إلى أن الأمر لم يكن قاصراً على الشقاق والنزاع بينهم بل بلغ درجة كبيرة من الجهل والكفر، حتى إن أبا رافع النجراني قال لرسول الله ﷺ " تريد منا يا محمد أن نعبدك كما نعبد عيسى " فقال : معاذ الله أن آمر بعبادة غيره[(٧)]، فأنزل الله تعالى﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾[(٨)].

وقد امتد الجدل بين الرسول ونصارى نجران حول عيسى عليه السلام فسألوه عنه، فقال رسول الله ﷺ ما عندي فيه شيء، فانتظروا حتى أخبركم بما يقول الله

---

(١) للمزيد انظر: أحمد أمين، ص ٢٦ .

(٢) انظر : ابن هشام، ج٢، ص١٥٩، ابن كثير، ج٥، ص ٥٦، جواد علي، ج٣، ص ٥٣٣، ابن جريس، نجران، ج١، ص ٨٤ وما بعدها .

(٣) ابن هشام، ج٢، ص ١٦٠ ، ابن سعد، ج١، ص ٣٥٧، البلاذري، فتوح، ص ٧٥ .

(٤) انظر : ابن هشام، السيرة، ج٢، ص ١٤١ .

(٥) سورة البقرة، آية (١١٣) ، للمزيد انظر محمد عزة دروزة . تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص٤٨٦ وما بعدها.

(٦) المرجع نفسه .

(٧) ابن هشام، ج٢، ص ١٦٠ .

(٨) سورة آل عمران، الآية (٧٩) . وللمزيد عن تاريخ نصارى نجران ومباهلتهم مع الرسول ﷺ، انظر : ابن جريس، نجران، ج١، ص ٨١ وما بعدها .

في عيسى[١]، فأنزل الله عز وجل قوله ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾[٢]، وسرعان ما أدرك الرسول ﷺ أن جدالهم لا يهدف إلى فهم الإسلام بقدر ما يهدف إلى التشكيك فيه وإنكاره، كما أنكروا التوراة ونبوة موسى فدعاهم إلى المباهلة معه، فقالوا له قد رأينا أن نتركك على دينك ونرجع إلى ديننا واحكم علينا بما أحببت أن نعطيك أو نصالحك[٣]، فصالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب، ومثلها في صفر بالإضافة إلى أن يضيفوا رسل رسول الله ﷺ شهراً فما دونه[٤]، وهكذا استمر نصارى نجران على نصرانيتهم بعد دخول معظم قبائل نجران وتهامة والسراة في الإسلام[٥].

٣. المرتدون في اليمن ونجران وتهامة والسراة في عصر الرسول ﷺ :

يعتبر خروج الأسود العنسي (عبهلة) في اليمن ونجران والسروات صورة من صور المعارضة للحكم الإسلامي، وكان خروجه من كهف خبان[٦] في السنة (١٠هـ/٦٣١م)[٧]، ومعه سبعمائة فارس من أبناء اليمن ونجران[٨]، والظاهر أن ثورته سبقها تخطيط جيد من العنسي عندما أخذ يجري اتصالات مع القوى المعارضة للرسول ﷺ ومن هذه القوى بعض سكان نجران من قبيلة مذحج الذين كاتبوه وكاتبهم وكان موعدهم نجران[٩]، وقد تمت هذه الاتصالات في ظروف ملائمة

---

(١) ابن هشام، ج٢، ص ١٦٠.

(٢) سورة آل عمران .الآيات (٥٩، ٦٠، ٦١).

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٧٥ - ٧٦.

(٤) وكتب الرسول ﷺ مع نصارى نجران صلحاً، قال فيه "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب النبي محمد رسول الله ﷺ لأهل نجران، إذا كان عليهم حكمه في كل ثمرة، وفي كل صفراء وبيضاء ورقيق، فأفضل ذلك عليهم، وترك ذلك كله لهم، على ألفي حلة من حلل الأواقي، في كل رجب ألف حلة، وفي صفر ألف حلة، كل حلة أوقية من الفضة، فما زادت على الخراج، أو نقصت عن الأواقي فبالحساب، وما قضوا من دروع، أو خيل، أو ركاب، أو عروض أخذ منهم بالحساب، وعلى نجران مؤنة رسلي ومتعتهم ما بين عشرين يوماً فما دون، ولا تحبس رسلي فوق شهر، وعليهم عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع او خيل فهو ضمين على رسلي حتى يؤدوه إليهم، ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته، ولاراهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته ولا يحشرون ولا يعشرون، ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين، ومن أكل رباً من ذي قبل فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله حتى يأتي الله بأمره، فانصحوا وأصلحوا ما عليهم غير مثقلين بظلم" .انظر: البلاذري، فتوح، ص٧٦ ابن سعد، ج١، ص٣٥٨، ابن كثير، ج٥، ص٥٥، ابن جريس، نجران، ج١، ص ٨٨ - ٨٩، محمد حميد الله، ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٥) انظر: لويس شيخو، النصرانية وآدابها، ص ١٢٨، ابن جريس، نجران، ج١، ص ٨٩.

(٦) خبان: أرض أسفل نجران من ديار مراد وإليها ينسب كهف خبان وهو الكهف الذي مات فيه مرقش الأكبر، البكري، معجم، ج١، ص ٤٨٥.

(٧) الطبري، ج٣، ص ٢٢٩، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠.

(٨) انظر الطبري، ج٣، ص ١٥٨، ابن الأثير، الكامل، ج١، ص ٢٢٧.

(٩) عصام الفقي، المرجع السابق، ص ٣٨.

ساعدتها على النجاح، وذلك في أثناء مرض الرسول ﷺ حيث تمكن العنسي من إعداد نفسه إعدادا جيدا، وبالتالي تمكن من مواجهة المسلمين والانتصار على عمال الرسول ﷺ في بلاد اليمن والسراة، ولاشك أن نجاح هذه الاتصالات ذات مدلول سياسي هام، وهو نجاح هذا الثائر المرتد (العنسي) في بعث المشاعر التحررية داخل نفوس أتباعه ضد التدخل الأجنبي، نظرا لأنه يدعو إلى التخلص من الأبناء[١]، وهم رمز التدخل الأجنبي الذي قاسوا منه سنين طويلة، إلى جانب المسلمين وهم دخلاء أيضا حسب اعتقاده، والواقع أن الأسود العنسي لم يكن مجرد ثائر مرتد، وإنما كان الرهان الذي يعول عليه، هم أبناء اليمن والسراة ووقوفهم ضد أي تدخل خارجي.

وتعتبر نجران هي المحطة الأولى بعد خروج العنسي من كهف خبان، وبعد أن انضم إليه بعض ثوار مذحج ونجران استطاع السيطرة على الديار النجرانية [٢]، ثم ذهب إلى صنعاء[٣]، واشتبك مع واليها شهر بن باذان[٤]، وهزمه وقتله[٥]، ونلاحظ أن تسلسل الأحداث في ثورة الأسود العنسي ربما تؤكد حقيقة هامة، وإن كانت غير ثابتة في المصادر التاريخية، وهي أن هناك مؤامرة بين بعض عشائر اليمن والسروات على محاربة عمال الرسول ﷺ والإطاحة بهم، ثم طردهم من الأوطان اليمنية والسروية، وكانت إشارة البدء في عملية التآمر هي خروج العنسي من خبان إلى نجران [٦]، وإخراجه عمرو بن حزم وخالد بن سعيد منها، ثم ذهابه إلى صنعاء والسيطرة عليها [٧]، وقد امتد نفوذه ما بين صنعاء وحضرموت إلى الطائف[٨]، وأشار الطبري إلى أن ثورة الأسود العنسي شملت أيضا البحرين والإحساء، وعدن، وعثر، والشرجة، والجند، ودخلت اليمن بكاملها تحت سيطرته[٩].

ونلاحظ أن قادة الجيوش التي جعلت أمر الأسود في صعود حتى سيطر على بلاد اليمن، يرجع أصلها إلى بلاد السراة، مثل قيس بن عبد يغوث المرادي قائد الجيش ونائبه، ومعاوية بن قيس الجنبي، ويزيد بن الأفكل الأزدي، وبذلك حققت حركة العنسي أهدافها بفضل القوات العسكرية التي شكلت النواة الأساسية في الجيش، التي اعتمد عليها في طرد الولاة المسلمين وإعادة السيادة للعنصر اليمني، ونتيجة لذلك أخذ الأسود العنسي يستمتع بنصره وينظم ملكه، ويقيم القواد على الجيوش، والعمال على الإمارات، وكان

---

(١) ذكر عصام الفقي أن الأبناء هم أبناء الفرس في اليمن، انظر: اليمن في ظل الإسلام، ٣٨ .

(٢) لمزيد من التفصيلات انظر : البلاذري، فتوح، ص١١٤، الطبري، ج٣، ص ٣٢٩، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠، عصام الفقي، ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٣) انظر: الطبري، ج٣، ص ٢٢٩، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠ .

(٤) ذكر الطبري، أن شهر بن باذان كان يتولى اليمن قبيل وفاة الرسول ﷺ، ولما توفي باذان عهد الرسول ﷺ حكم اليمن إلى عدد من الولاة، تاريخ الطبري، ص٣٧ .

(٥) انظر: البلاذري، ص ١١٤، القلقشندي، ص٢٤، ابن خلدون، ج٢، ص٦٠ .

(٦) للمزيد عن حروب الأسود العنسي ضد المسلمين في نجران واليمن انظر، البلاذري، ص ١١٤، الطبري، ج٣، ص ٢٢٩، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٢٨، ابن خلدون، ج٢، ص٦٠ .

(٧) الطبري، ج٣، ص ٢٢٩، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٢٨.

(٨) ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠ .

(٩) الطبري، ج٣، ص٢٣٠، للمزيد انظر ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠، عصام الفقي، ص٣٨ .

لأبناء السراة نصيب الأسد من المناصب التي قسمها الأسود العنسي على رجاله، حيث كان خليفته على مذحج عمرو بن معديكرب، وعين على جنده قيس بن عبد يغوث، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز، وداذويه(١) .

والسؤال الذي يطرح نفسه ما هو موقف المسلمين، وعمال الرسول ﷺ، والرسول نفسه وهو على فراش الموت ؟ أما موقف المسلمين فقد عجزت قواتهم عن مواجهة الكثرة العددية لقوات الأسود العنسي، فكان لاسبيل لهم إلا الهرب، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنه بعد أن سيطر العنسي على أرض السروات من نجران حتى الطائف، أخذ المسلمون يفرون من بلاد اليمن، بما فيها السراة حتى لا ينالهم بطشه، أما عن الولاة فقد أثارت حركة هذا المرتد الرعب في قلوبهم، فدفعتهم إلى مسالك متنوعة، وتذكر بعض الروايات إلى أن بعض أمراء السراة اتجه إلى الطاهر بن أبي هالة في بلاد عك، بينما رجع عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص إلى المدينة، ثم وثب قيس بن يغوث قائد جيش العنسي على فروة بن مسيك وهو على (مراد وزبيد ومذحج) فأجلاه وحل محله(٢)، ومن ثم فقد انكمش الحكم الإسلامي في اليمن والسروات، وبسط العنسي سيطرته، وأقام ملكه في صنعاء.

ويبدو أن ابن الأثير جانبه الصواب في قوله بأن العنسي، غزا نجران، مع أنه لم يكن هناك حرب بين نجران والأسود العنسي، ولم يكن هناك أي عداء بينهم، وإنما بعضهم وعده بالمناصرة كما يروي ابن الأثير نفسه (٣)، فكيف يكون غزاها ؟، ومن الذي تصدى له في نجران ؟ وأين كانت الحرب؟ وتؤكد بعض المصادر أن أنصار العنسي في نجران هم الذين أخرجوا عمرو بن حزام وخالد بن سعيد، ولهذا كانت نجران هي المحطة الأولى لهذا الثائر الكذاب(٤).

أما موقف النبي ﷺ عندما بلغه خروج العنسي لقتال المسلمين، ومناصرة سكان نجران له، رأى ضرورة التخلص منه، فكتب ﷺ إلى بعض أمراء وشيوخ المسلمين بمدن اليمن وقرى السروات يدعوهم إلى جهاد الأسود العنسي، والقضاء على حركته، بأية وسيلة، ويقول بعض أولئك الأمراء فجاءتنا كتب النبي ﷺ يأمرنا بقتاله - يقصد العنسي - أما غيلة وإما مصادمة، وأن نكاتب من عنده دين (٥)، ويذكر الطبري أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران (فثبتوا) ، فتنحوا، وانضموا إلى مكان واحد(٦)، وكان لرسالته

(١) للمزيد انظر : الطبري، ج٣، ص٢٣٠ وما بعدها، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٢٣٧.

(٢) للمزيد: انظر البلاذري، ص ١١٣، الطبري، ج٣، ص ٢٢٧- ٢٣٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج٢، ص ٢٢٨، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠، القلقشندي، ص ٢٥ .

(٣) انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٢٨ .

(٤) انظر البلاذري، ص ١١٣، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠، القلقشندي، ص ٢٥ . والواقع أن حركة الأسود العنسي ما كانت لتنجح لولا مساعدة بعض عشائر السراة ورجالها من نجران إلى زُبيد ومذحج وغيرها.

(٥) الطبري، ج٣، ص ٢٣١ .

(٦) انظر : الطبري، تاريخ، ج٣، ص ٢٣٢ .

(عليه أفضل الصلاة والسلام) أثر السحر على أنصار العنسي من السروات، فخرج قيس بن عبد يغوث المرادي ونائبه من جيش العنسي وندما على مناصرتهما له[(١)]، كما تعاون بعض الأمراء المسلمين على إخماد حركته وقتله غيلة[(٢)]، وإذا ناقشنا بعض دوافع ثورة العنسي فسنجد أن العصبية القبلية ترفض تدخل أية جهة أجنبية في شؤونهم، وربما كانت أطماع هذا المرتد الثائر في الحكم هي أيضاً سبباً رئيساً في ثورته، وقد أشار العنسي نفسه في كتابه الذي بعث به إلى عمال الرسول ﷺ فقال: " عليهم أن يردوا ما بأيديهم فهم - يقصد هو وقومه - أولى به "[(٣)].

والمؤكد أن الإسلام حد من العصبية القبلية وخفف من غلوائها بين سكان المدينة المنورة لأن لها حظاً وافراً من تعاليم الإسلام، فضلاً عن وجود رسول الله ﷺ بينهم، بينما كانت بلاد نجران وتهامة والسراة وغيرها في الجزيرة العربية في منأى عن رسوخ قدم الإسلام فيها، لذلك ظلت العصبية القبلية حية متوقدة بين أهلها، وذلك لأن العصبية القبلية ضرورة في أرض السروات لدواع متعددة، لأن الناس فيها مفطورون على الصراعات، ودأبهم التخاصم والتنازع، فأهل المدن تضبطهم أحكام وقوانين، أما البدو فالحاكم بينهم مشايخهم وكبارهم، فإذا سطا عليهم عدو في منازلهم قام بالدفاع عنهم فتيانهم وشجعانهم، وهؤلاء لا يتأكد دفاعهم وبأسهم إلا إذا كانوا ذا عصبية تشتد بها شوكتهم ويخشى جانبهم، والواقع أن العصبية هي الوعاء الذي يجمع البدو، وأهل البلد الواحدة لابد لهم من جامعة تجمع أفرادها، وهذه الجامعة تختلف في الأمم باختلاف أحوالهم، فبعض الأقوام يجمعهم الوطن، وآخرون يجمعهم الدين، وغيرهم النسب واللغة، أما البدو فلا وطن لهم، وكانوا قبل الإسلام لادين لهم، ولم يكن لهم ما يجمعهم غير العصبية[(٤)].

رابعاً : صور من تاريخ نجران وتهامة والسراة في عصر الخلفاء الراشدين والأمويين:

١.ردة أهل نجران وتهامة والسراة في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

تشير بعض المصادر إلى أنه عقب وفاة الرسول ﷺ عام (١١هـ/٦٣٢م) ارتدت بعض عشائر السراة مثل: زُبيد، ومذحج، وخثعم، وعك، والأشعريين[(٥)]، وكان مظهر هذا الارتداد

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣١ .

(٢) لمزيد من التفصيلات عن قتال العنسي وقتله انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٢٨ .

(٣) حسن سليمان محمود : تاريخ اليمن السياسي، ص ٥٩ .

(٤) الباحث في تاريخ قبائل نجران وتهامة والسروات في الجاهلية وعبر التاريخ الإسلامي حتى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) يجد أن القبيلة هي الآمرة الناهية في أوطانها، بل إن شيوخ القبائل هم أصحاب القول الفصل في أقوامهم، وأحياناً تتحالف بعض العشائر في حلف واحد من أجل الدفاع عن أوطانها وسكانها، وقد اطلعنا على مئات الوثائق خلال القرون الخمسة الماضية المتأخرة وبها مادة علمية كثيرة تؤكد ما تم الإشارة إليه، وإذا رجعنا إلى العصر الجاهلي، فوضع القبيلة كان أقوى وأشد من عصور الإسلام .

(٥) انظر: الطبري، ج٣، ص ٣٢٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ٣٨، ٣١١ .

يتمثل في رفضهم الزكاة، لأنهم أيقنوا أنهم أصبحوا خاضعين لسلطة مركزية يؤدون إليها الزكاة وعليها رقابتهم، وهذا النظام لم يألفوه، لذلك خيل إليهم أن الزكاة ما هي إلا إتاوة، ومن ثم لم يجدوا مسوغاً لدفعها، فضلاً عن أنهم وجدوا في وفاة الرسول ﷺ فرصة للاستقلال والخروج عن سلطان قريش، لأن شخصيته كانت مناط الاستقرار في الجزيرة العربية[١].

والسؤال هل تنطبق مظاهر الردة على جميع قبائل نجران وتهامة والسراة؟، والواقع أن الردة في البلاد التهامية والسروية ونجران لم تكن تمثل عودة إلى الوثنية وعبادة الطاغوت كما كانوا من قبل، ولكن الردة كانت متنوعة بتنوع القبائل، ومن المبالغة إطلاق هذه التسمية على معظم السرويين والتهاميين والنجرانيين، إذ لم يحدث أن قبيلة ارتدت إلى ديانتها القديمة، كما أنهم لم يفكروا في العودة إلى الوثنية، بل إن الذي أشعل أشد حركات الردة في السراة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لم يدخل في الإسلام من الأساس مثل قيس بن عبد يغوث المرادي، ويتضح ذلك عندما طلب عمرو بن معديكرب الزُبيدي من قيس أن يذهب معه إلى الرسول ﷺ ليدخلا في الإسلام، فأنكر قيس على عمرو، وتوعده بكل شر إذا دخل في الإسلام [٢]، وعلى هذا الأساس لا يعتبر قيس بن عبد يغوث المرادي مرتداً، لأنه لم يدخل في الإسلام من الأساس، فكيف يعتبره بعض المؤرخين من المرتدين؟ فضلاً على أن هناك من انتظموا في صفوف حركة الردة بسبب توزيع المناصب، مثل عمرو بن معديكرب الزبيدي [٣].

ولا يجب أن نغفل أن إسلام قبيلة مذحج في نجران قد يكون إسلامها خوفاً من مواجهة جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد الذي أرسله الرسول ﷺ إليهم سنة (١٠هـ/٦٣١م)، بعد أن كاد ينتهي عام الوفود دون أن يرسلوا وفدهم لإعلان إسلامهم أمام الرسول ﷺ[٤]، ونستدل على ذلك بقول الرسول ﷺ لهم: (أنتم الذين إذا زجروا استقدموا، حيث كررها عليهم ثلاث مرات دون إجابة، وفي الرابعة أجاب سيد وفدهم يزيد ابن عبد المدان، نعم يا رسول الله نحن الذي إذا زجرنا استقدمنا"[٥]. قال رسول الله

---

(١) انظر: أدور فانديك: تاريخ العرب وآدابهم الجامعية (ط الأولى ببولاق مصر سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣م) ص٣٦، سامية توفيق وآخرون، عصر الخلفاء الراشدين (القاهرة، ١٩٨٠م)، ص٧١، السيد عبد العزيز سالم. التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية (دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د. ت) ص ١٨١.

(٢) للمزيد عن الردة والمرتدين في بلاد السروات انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٤، الطبري، ج٣، ص١٣٢، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٥.

(٣) ذكر الأصفهاني أنه قدم عمرو في وفد مذحج مع فروة بن مسيك المرادي على النبي ﷺ فأسلموا وعندما استعمل الرسول ﷺ فروة بن مسيك على مراد وزُبيد ومذحج لم يلبث عمرو أن ارتد عن الإسلام وقال في ملك فروة:

وجدنا ملك فروة شر ملك ... حمار ساف منخره يقذر

وإنك لو رأيت أبي عمير ... ملأت يدك من غدر وختر

انظر، كتاب الأغاني (دار صعب، بيروت، د. ت) ج١٤، ص٢٥.

(٤) للمزيد انظر: ابن هشام، ج٢، ص٥٣٢، الطبري، ج٣، ص١٢٦، ابن خلدون، ج٢، ص٥٣، جلال مظهر، ج١، ص٣٨٠، عون الشريف، ص١٦١.

(٥) الطبري، ج٣، ص ١٢٧.

ﷺ " لو أن خالد بن الوليد لم يكتب إلي فيكم أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدمكم "[١]، ويمكن القول إن إسلام بني الحارث بن كعب وغيرهم من المرتدين المذحجيين لم يكن عن يقين بقدر ما كان خوفاً لأنهم ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ مناصرين للأسود العنسي[٢].

وكان موقف الأسود العنسي من الزكاة بمثابة الوقود الذي أشعل حركة الردة، ويتضح ذلك في رفضه إخراج الزكاة حيث يرى في ذلك رمزاً لسيادة المسلمين على اليمن، وهذا النظام لم يألفوه، لذلك خيل إليهم أن الزكاة ما هي إلا إتاوة ولم يروا مسوغاً لدفعها، فرأوا في موت الرسول ﷺ فرصة يتخلصون بها من الفروض الإسلامية خصوصاً ما يتعلق منها بالمال كالزكاة[٣]، ومن الملاحظ أن ذلك كان حال معظم قبائل اليمن والسراة ففي الظاهر يخضعون للإسلام ولكن القلوب لم يتمكن منها الدين، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾[٤]، ولم تكن الزكاة السبب الوحيد للردة، بل كان هناك أسباب أخرى منها، عدم إشراك الرسول ﷺ بعض شيوخ نجران وتهامة والسراة في تولي أمر قبائلهم[٥]، وليس أدل على ذلك من موقف عشائر زبيد ومذحج، عندما عين عليهم فروة بن مسيك المرادي الذي اعتبروه أجنبياً عنهم[٦]. وتذكر بعض المصادر والمراجع إلى أن عمرو بن معديكرب، وقيس بن مكشوح انضما إلى الأسود العنسي بدافع الثورة والحصول على مكاسب مادية ومعنوية، حتى عندما قتل الأسود لم تهدأ ثورة بعض أبناء زبيد ومذحج، بل جعل فرسانهم يجوبون البلاد بين نجران وصنعاء، بهدف السيطرة عليهم[٧]. ويجب ألا نغفل طبيعة قبائل السراة التي تأبى أن تخضع لأحد، وعلى الرغم من أن الفرس بسطوا نفوذهم على اليمن إلا أنهم عجزوا عن بسط نفوذهم على الأوطان التهامية والسروية[٨].

ومن الأمثلة السابقة نستدل على أن حركة الردة بالنسبة لبعض قبائل نجران والسراة مثل مذحج وزبيد كانت حركة سياسية اتخذت الدين طريقاً، وكانت تسعى إلى المطالبة بالسلطة، بدليل أنهم اعتبروا الزكاة نوعاً من الإتاوة التي يؤديها المغلوب إلى الغالب فطالبوا بإعفائهم منها. والحقيقة أن عشائر نجران وتهامة والسراة لم يدركوا في المدة القصيرة

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٣٧٥، الطبري، ج٣، ص١٢٨ .

(٢) انظر : الطبري، ج٣، ص٢٢٩، ابن كثير، ج٦، ص ٣١٢ .

(٣) للمزيد انظر، عصام الفقي، ص٣٨، السيد عبد العزيز سالم، ص١٨٢، سامية توفيق، ص٧١، محمد الخضري بك . تاريخ الأمم الإسلامية (المكتبة التجارية، القاهرة، د.ت)، ج١، ص١٧٤ .

(٤) سورة الحجرات، الآية (١٤) .

(٥) انظر، الطبري، ج٣، ص٣١٩، الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص٢٦، ابن كثير، ج٧، ١١٩ .

(٦) الطبري، ج٣، ص٣١٩، ٣٢٦، ٣٢٧، الأصفهاني، ج١٤، ص ٢٦ ، ابن كثير، ج٥، ص٧١ .

(٧) الطبري، ج٣، ص ٢٣٠، ٢٣٦، الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص٢٦، النعمان عبد المتعال القاضي : شعر الفتوح في صدر الإسلام (الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م) ص ٢٠٢ . السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١٨٢ .

(٨) جواد علي، قبل الإسلام، بغداد ١٩٨٠م، ج٣، ص ٥٣٢، السيد عبد العزيز سالم، التاريخ السياسي، ص ١٨٣ .

أبعاد الدين الإسلامي الوليد، فظنوا أنه مجرد طقوس دينية لا ليقيم دولة قويمة حنيفة[١]، ولم يكن من السهل على أصحاب النفوذ القديم أن يقبلوا سلطة الدولة الجديدة لأن هذه السلطة تمثل مصيبة على بعض سادات السروات مثل: قيس بن مكشوح المرادي، وعمرو بن معد يكرب، وشيوخ خثعم وغيرهم، الذين أبطل الإسلام سلطانهم الوثني القديم[٢].

ولا يجب أن نغفل أن نجاح الرسول ﷺ في فتح مكة المكرمة جذب بعض شيوخ اليمن ونجران والسروات إذ كانوا يحاكون الرسول ﷺ في أعماله لكي يصلوا إلى ما وصل إليه ﷺ من مجد وشرف، وذلك مثل ما حدث من الأسود العنسي، الذي ادعى النبوة في حياة الرسول ﷺ واتبعه بعض أبناء السراة واليمن عصبية وأنفة من سيادة قريش، تلك السيادة التي ظلت حيناً من الدهر في العهد الجاهلي[٣]، والحقيقة التي لا يجب أن نغفلها أثر العادات والتقاليد على ظهور حركة الردة في نجران وتهامة والسراة وغيرها من بلدان الجزيرة العربية، لأن الإسلام أسقط الكثير من عادات وتقاليد القبائل العربية، وألزمهم بتكاليف لا تلائم ما نشأوا عليه، مثل تقييد حرية الزواج والطلاق[٤]، ويتضح ذلك في قوله تعالى ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾[٥]، وقال الله تعالى ﴿ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾[٦]، فضلاً عن تلك القبائل المرتدة التي لم تحتمل ترك الكثير من العادات مثل شرب الخمر، ولعب الميسر، وممارسة الزنا، ولكن الله حرمها في قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾[٧].

لم يكن لقبائل اليمن ونجران والسراة وغيرها قبل الإسلام قانون منظم مكتوب، بل كانت لهم تقاليد يتمسكون بها، وهي تقاليد صلبة ألفوها ويصعب تغييرها، ومن عاداتهم الأساسية الاندفاع وأحيانا الشراسة، وهي في اعتقادي توضح مدى الجمود وفقد المرونة وعدم الحوار، والإنسان الجامد يصبح مثل الحجر لا مدخل له ولا إمكانية لمجاراته أو التنازل عن أيةٍ فكرة، ولا يقبل إلا ما يؤكد أقواله وأفكاره[٨]. والواقع أن العزلة في أرض السروات نظرا لطبيعتها الجبلية[٩]، قد تكون من العوامل الرئيسة التي ساعدت أهلها على

---

(١) انظر: سامية توفيق، ص٧١، السيد عبد العزيز سالم، ص ١٨٣.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٢٣١، عبد الفتاح شحاتة. تاريخ الأمة العربية (الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م)، ج١، ص ٤٠.

(٣) انظر عبد الفتاح شحاتة، ج١، ص ٣٩، حسين سليمان محمود، ص٦٠، عصام الفقي، ص٣٨.

(٤) السيد عبد العزيز سالم، ص ١٨٣، عبد الفتاح شحاتة، ص ٣٩.

(٥) سورة النساء، الآية، (٢٠).

(٦) سورة البقرة، الآية (٢٢٩).

(٧) سورة المائدة، الآية (٩٠).

(٨) صالح أحمد العلي: محاضرات في تاريخ العرب (بغداد، د. ت)، ج١، ص١٦٢.

(٩) ذكر فؤاد حمزة أنه تحيط بسروات عسر سلسلة من العقبات أهمها عقبة قضا، وتبدأ من شعف آل عاصم من ربيعة

ترسيخ العناد والأنفة والبسالة والاعتداد بالنفس، ومن ثم فهم لا يخضعون لأية سلطة دون سلطة شيخ القبيلة لأنهم من أهل البادية الذين لم يتعودوا الخضوع لقانون أو نظام مدني[١].

وتعد حركة الردة أكبر مشكلة استهدفت الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ، ويرجع الفضل في القضاء عليها إلى قوة إيمان أبي بكر وشجاعته[٢]، والمؤكد أن الخليفة الراشد أبا بكر الصديق جمع بين رقة القلب والشجاعة والإرادة والتصميم، وقد صمم رضي الله عنه على توليه الخلافة سنة (١١هـ/٦٣٢م) على أن يسلك نفس السبيل الذي نهجه الرسول ﷺ في سبيل نشر الإسلام[٣]، وقد أشرنا إلى أن بعض عشائر نجران وتهامة والسروات، لم يرسخ الإسلام في قلوبهم، ولم يتأثروا بتعاليمه فرأوا في موت الرسول ﷺ فرصة يتخلون بها عن الإسلام، وكانوا فريقان أحدهما امتنع عن أداء الزكاة، والآخر اتبع مدعي النبوة (الأسود العنسي) ورفض الدين كله. وقد دفع الإيمان بأبي بكر إلى قتال المرتدين وقال: (لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه)[٤].

وقد دارت أحداث الردة في مناطق متنوعة من نجران وتهامة والسراة مثل زُبيد، والأعلاب[٥]، ويشير الطبري إلى أن عتاب بن أسيد كتب إلى أبي بكر يخبره بارتداد قبائل نجران وتهامة والسراة، فأرسل أبو بكر ثلاث كتائب إليها[٦]. **الكتيبة الأولى :** ويقودها " المهاجر بن أبي أمية[٧]، **والكتيبة الثانية :** بقيادة خالد بن أسيد حيث توجهت إلى أهل نجران وتهامة ونجح في هزيمتهم وشتت شمل المرتدين منهم[٨]، كما وجه أبو بكر رضي الله عنه **الكتيبة الثالثة :** إلى السروات بقيادة " جرير بن عبد الله البجلي[٩]، وأمره أن يستنفر من قومه بجيلة، من يثبت على الإسلام ويقاتل بهم المرتدين ويقيم بنجران،

وتصب في وادي حلي بن يعقوب، وعقبة رجم تبدأ من شعف آل الحارث من ربيعة ورفيدة في عسير وتصب في وادي تية، ، وعقبة فودة تصب في وادي حلي عند حرف ابن موهوب، ومن أصعب العقبات في بلاد عسير عقبة الصماء، وتنتهي في بلاد رجال ألمع، وعقبة توالب تبدأ من جبل السودة الذي هو أعلى نقطة في عسير وتصب في وادي العوص في بلاد رجال ألمع وتلك العقبة تنتهي في وادي حلي، وعقبة القرون تبدأ من جبل السودة الذي هو أعلى نقطة في سراة عسير وتصب في وادي شوكان ضمن بلاد رجال ألمع، وعقبة أمطهار (الطهار) تبدأ من السقا وتصب في مربة، وعقبة الصليف وتصب في وادي لتوه الذي ينتهي في مربة، وعقبات أخرى تزيد عن العشرين عقبة .

(١) للمزيد انظر جواد علي / ج٣، ص ٥٣٣، فاطمة مصطفى عامر، ص ٢٦ .

(٢) ذكر السيد عبد العزيز سالم أن أبا بكر شارك في الجهاد وكان يوم بدر أشجع المسلمين، فقد دافع عن رسول الله ﷺ وهو في عريشه خير دفاع . انظر: التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص ١٨٧ .

(٣) المرجع نفسه، ص ١٨٧ .

(٤) الطبري، ج٣، ص ٢٤٤ .

(٥) الأعلاب : تقع جنوب مكة على الساحل، وربما كانت في المنطقة الواقعة بين جازان وحرض، وينسب إلى هذا البطن مخلاف عك، عمر رضا كحالة : معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ج٢، ص ٨٠٢ .

(٦) الطبري، ج٣، ص٢٤٩، وللمزيد انظر: ابن كثير، ج٦، ص ٣١٤، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ١٩٠ .

(٧) السيد عبد العزيز سالم :المرجع نفسه، ص ١٩١ .

(٨) عصام الفقي، ص ٤٠ .

(٩) الطبري، ج٣، ص٣٢٢ . وللمزيد عن نسب جرير البجلي، انظر السمعاني، الأنساب، ج١، ص ٢٨٤، ٢٨٥ .

فتتبع جرير وقومه المرتدين من بطون بجيلة وخثعم وقضى عليهم[١]، أما عن ردة قبائل زبيد فقد كان يقودها اثنان هما: عمرو بن معديكرب الزبيدي، وقيس بن عبد يغوث بن مكشوح، وكان قيس بن يغوث قائد جيش الأسود العنسي، ويؤمن بمبادئه وتعاليمه، بل كان يرى ضرورة طرد الأبناء (الفرس) من اليمن ونجح قيس في أن يضم إليه أنصار حركة العنسي بعد اغتياله، وذلك لأنه عندما حارب تحت راية العنسي كان المرتدون وبخاصة العنسيون يترددون عليه سراً، لأنه كان نائب العنسي[٢]. وتشير إحدى الروايات إلى أن قيس بن مكشوح كتب إلى ذي الكلاع وأصحابه قائلاً: " أن الأبناء (الفرس) نزاع[٣]، في بلادكم، وإن تتركوهم لن يزالوا عليكم، وقد أرى من الرأي أن أقتل رؤوسهم وأخرجهم من بلادنا"[٤]، ثم قام قيس بإقصاء أسر الأبناء في اليمن وقسمهم، وسير أحدهم إلى عدن ليرحلوا من هناك بحراً إلى بلاد فارس، وسير القسم الآخر براً قائلاً التحقوا بأرضكم[٥].

وكان موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه تجاه عمرو بن معديكرب وأتباعه أن أرسل لهم جيشاً بقيادة المهاجر بن أبي أمية لمحاربة عمرو وقيس بن عبد يغوث وأنصارهما[٦]، وبعث معه كتاباً إلى أهل السراة، وحينما بلغ نجران انضم إليه فروة بن المسيك، وجرير بن عبد الله البجلي، وعبد الله بن ثور، وخالد بن أسيد[٧]، وفي الوقت نفسه عندما رأى فيروز بن باذان والي صنعاء من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم حركة قيس بن عبد يغوث موجهة إليه وقومه غادر صنعاء ولجأ إلى أخواله من قبيلة خولان، ونجح في استمالة جماعة من المسلمين، وعمل على تعضيد جبهته بالاتصال بالعديد من المسلمين الذين لا زالوا على إسلامهم، وسرعان ما لبى دعوته بعض بني عقيل والعكيين والتقوا بقوات قيس المرتدين ونجحوا في هزيمتهم[٨]، وبالرغم من خطورة ردة قيس بن مكشوح المرادي، إلا أن ردة خاله عمرو بن معديكرب الزبيدي ،كانت أشد خطورة وأكثر عنفاً، و ربما يرجع السبب في ذلك إلى عملية توزيع المناصب التي انتهت باستعمال الرسول صلى الله عليه وسلم على زبيد فروة بن مسيك دون عمرو بن معديكرب[٩]، وقد اشتد القتال بين المسلمين والمرتدين في السروات، وأخيراً صار عمرو بن معديكرب محاصراً بجيوش المسلمين، فترك ابن أخته قيساً وأتباعه، وسلم نفسه للمسلمين بغير أمان[١٠]،وهذه المسألة ليست من قبيل الجبن في طبيعة عمرو، وإنما هي نتيجة لرزانته وتعقله ويتضح ذلك في قوله:

---

(١) انظر الطبري، ج٣، ص ٣٢٢، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٨، عصام الفقي، ص٤١ .

(٢) ابن الأثير، ج٢، ص ٢٥٥، ابن كثير، ج٥، ص ٣٣٧ .

(٣) النزاع: جمع نازع وهو: الغريب . الطبري، ج٣، ص ٣٢٣ .

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٥٥ .

(٥) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٥، انظر أيضاً ابن خلدون، ج٢، ص٦٨ .

(٦) السيد عبد العزيز سالم، ص ١٩١، أحمد إبراهيم الشريف، ص ١٥٤ .

(٧) الطبري، ج٣، ص ٣٢٩، ٢٥٠، ابن الأثير، ج٢، ص ٢٥٦، محمد الخضري بك، ص ١٧٥، ١٧٦.

(٨) لمزيد من التفصيلات انظر البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٤، ابن حزم، ص٢٩٠، ابن الأثير، ج٢، ص ٢٢٩، ابن كثير، ج٦، ص ٣٣١، ابن خلدون، ج٢، ٦٧ .

(٩) انظر: الطبري، ج٣، ص ٣٢٨، الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص ٢٦، النعمان القاضي، شعر الفتوح الإسلامية، ص ٢٢ .

(١٠) النعمان عبد المتعال القاضي، ص ٢٠٢ ،

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع[١].

أما عن الردة في الأعلاب بنجران وتهامة فقد احترقت هذه المدينة بردة قبائل عك والأشعريين ومن جاورهم، وتذكر بعض المصادر أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه وجه إليهم الطاهر بن أبي هالة ومعه مسروق العكي وبعض قومه الذين لم يرتدوا عن الإسلام، فقاتلوا المرتدين وانتصروا علهيم وأعادوهم إلى حظيرة الإسلام[٢]، ويبدو أن كلاً من الفريقين كان له هدف في القتال، فقتال المسلمين في سبيل العقيدة الراسخة، أما قتال المرتدين فكان من أجل الاستئثار بالسلطة والكسب الدنيوي [٣].

وسبق القول إن المرتدين كانوا على فريقين أحدهما رفض الرسالة وأنكر الدين، والآخر أبى دفع الزكاة واعترف بباقي الأركان، وبالرغم من الفارق الكبير بين الفريقين إلا أن الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه عاملهم معاملة واحدة، وأعتقد أن هذه المعاملة كانت ضرورة للأمن وسلامة الدولة الإسلامية، والواقع أن عهد أبي بكر الصديق يعتبر من أخطر العهود، لأنه يمثل فترة الانتقال العصيبة التي تربط بين عهدين، عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو وعهد نزول الوحي، بينما كان عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عهد تنظيم الحكم الإسلامي واستقرار قواعده، ومن الصعب في هذه الظروف التي يتطلع فيها أعداء الأمة إلى ضربها أن يأخذ الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه المرتدين بالهوادة واللين، والثابت أن أبا بكر الصديق استعان بفرسان من قبائل الأزد وعك وبجيلة وخثعم لمحاربة المرتدين من نفس قبائلهم[٤]، والحقيقة أن سياسة الخليفة الراشد أبي بكر الصديق في ضرب المرتدين بالمسلمين في القبيلة الواحدة يدل على حكمته وبعد نظره، وبذلك استطاع القضاء على دعاة الردة في مختلف بلدان نجران وتهامة والسراة واسترجاع نفوذ الخلافة عليها[٥]، ويمكن القول إن العصبية القبلية والاعتزاز بالنفس والحرية المطلقة كانت وراء حركة الردة، فضلاً عن أن الردة كانت متوقعة من أعراب السروات مثل قبيلة بجيلة، وبطونها

---

(١) يروي الأصفهاني أن الصمة بن بكر أغار على قومه فاستاق إبلهم وسبى فيمن سبى، أخت عمرو، وكانت تدعى ريحانه، فتبعه عمرو ومعه أخوه عبد الله، وفي الطريق رجع عبد الله وتبعه عمرو ولم ييأس، ثم رجع وهي تناديه باعلى صوتها يا عمرو، وهو يقول :

أمن ريحانة الداعي السميع	يؤرقني وأصحابي هجوع
سباها الصمة الجشمي غصباً	كأن بياض غرتها صديع
وحالت دونها فرسان قيس	تكشف عن سواعدها الدروع
إذا لم تستطع شيئاً فدعه	وجاوزه إلى ما تستطيع

الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص ٨٠٢ .

(٢) الطبري، ج٣، ص ٣٢٠ ، ابن كثير، ج٦، ص٣١١، ابن خلدون، ج٢، ص٦٨ .

(٣) ابن كثير، ج٦، ص٣١١، السيد عبد العزيز سالم، ص ١٨٢ .

(٤) انظر : عصام الفقي، ص ٤٠، ٤١ .

(٥) حسن إبراهيم حسن، ج١، ص ٢٠٦، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص١٨٤.

العديدة، بسبب طبيعتهم غير المستقرة في مكان واحد [١].

٢. دور أهل نجران وتهامة والسراة في الفتوحات الإسلامية المبكرة:

الفتوح ظاهرة من الظواهر التاريخية المطردة تحدث كلما توحد شعب بعد أن كان مفككاً، أو كلما نهض شعباً وأصلح نفسه ثم أحس بكيانه[٢]، وتذكر بعض المصادر التاريخية أن حركة الفتوح بدأت عقب قضاء المسلمين على حركة الردة وأحسوا بكيانهم وتطلعوا إلى العالم المحيط بهم خارج الجزيرة العربية، واختلف المؤرخون في تعليل حركة الفتوح فبعضهم يرجع ظاهر الفتوحات إلى أسباب اقتصادية، والبعض الآخر يرى أنها ترتبط بالجهاد، وفريق ثالث يرجعها إلى العامل القومي[٣]، وليس موضوعنا دراسة دوافع الفتوح بشكل عام، لكن ما يهمنا هي الدوافع التي دفعت قبائل نجران وتهامة والسراة للمشاركة في الفتوحات الإسلامية المبكرة، وهناك فريق من المستشرقين انصب تحليلهم على أسس اقتصادية إذ جعلوا من حركة الفتوح امتداداً لحركة الهجرة القديمة التي بدأت قبل الميلاد، ويعتقد أصحاب هذا الرأي أن هذه الموجات هي هجرات اقتصادية إلى المناطق الغنية الخصبة الواقعة إلى الشمال الشرقي والغربي من الحجاز. ونعني بذلك منطقة الهلال الخصيب. نتيجة لتدهور الأحوال الاقتصادية في الجزيرة العربية[٤]. ويدلل أصحاب هذا الرأي بما رواه البلاذري، " من أن أبا بكر استنفر القبائل إلى الجهاد ورغبهم في غنائم الروم فسارع الناس إليه بين محتسب وطامع[٥]، وأيضاً بما رواه على لسان خالد بن الوليد عندما أراد أن يستحث عزائم المقاتلين من جنده في معركة " الولجة " [٦]، وبما أن النصوص التي ساقوها ما هي إلا عبارات حماسية قالها الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه أو خالد بن الوليد لجنده ليحثهم على الغنيمة بهدف نيل ثواب الجهاد ضد الروم[٧].

ومما يبطل ما زعمه المستشرقون من أن الدافع إلى الجهاد لم يكن دافعاً دينياً وهو تسابق بعض أهالي نجران وتهامة والسراة في سبيل الاستشهاد دفاعاً عن الدين ورغبة في نشره في كل أرجاء شبه الجزيرة العربية وخارجها، ومن هؤلاء جرير بن عبد الله

---

(١) ظعنت بجيلة إلى جبال السروات فنزلوها، وأهلها يومئذ حي من العاربة الأولى، يقال لهم بنو ثابر، فقاتلوهم فغلبوهم على السراة ونفوهم عنها، ثم قاتلوا بعد ذلك خثعماً أيضاً فنفوهم عن بلادهم، فصارت السراة لبجيلة إلى أعلى تربة فكانت دارهم جامعة ومتحدة حتى وقعت حرب بين أحمس بن الغوث بن أنمار وزيد بن الغوث بن أنمار، فقاتلت زيد أحمس قتالاً مريراً كاد أن يفنيهم. انظر: عمر رضا كحالة: معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ج١، ص٦٣، وللمزيد انظر ابن كثير، المصدر السابق، ج٦، ص ٣٠٥.

(٢) أحمد إبراهيم الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسية، ص ١٦١.

(٣) فهمي عبد الجليل، العرب والدولة الموحدة قبل الإسلام وبعده. (معلومات النشر بدون، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ص٦٥.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٥.

(٦) المصدر نفسه، وذكر الطبري أن واقعة الولجة كانت سنة (١٢هـ) بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد والفرس وانتصر فيها المسلمون، انظر تاريخ الطبري، ج٣، ص ٣٥٣، ٣٥٤.

(٧) انظر، السيد عبد العزيز سالم، ص ١٧١.

البجلي[(١)]، ويذكر البلاذري أنه أبلى في نصرة هذا الدين بلاءً رائعاً[(٢)]، حتى قال عنه سعد بن أبي وقاص " لقد كان يوم القادسية شديد النكاية بالعدو [(٣)]، وغيرهم كثير من الذين اندفعوا إلى الاستشهاد وقدموا أعمالاً قتاليةً جبارة قادت بعضهم إلى الإعاقة مدى الحياة[(٤)]، ولا يمكن اعتبار حركة الفتوح امتداداً لحركة الهجرة القديمة لأن ظروف الهجرة القديمة تختلف عن ظروف الفتوح الإسلامية، فالهجرات القديمة تمت على إثر حروب قبلية، أو بسبب أزمات معيشية طارئة مثل انهيار سد مأرب، ولم يحدث ذلك عندما بدأت حركة الفتوح الإسلامية، ويذكر أحد الباحثين المحدثين أنه في ظل الحكم الإسلامي أصبحت القبائل العربية لأول مرة تمارس حياة آمنة من الغارات وحروب الثأر، وانتعشت الموارد الاقتصادية بسبب ازدهار التجارة وتأمين طرقها في ظل الدولة الإسلامية[(٥)].

ولاشك أن حركة الفتوح الإسلامية المبكرة تمثل ضرورة بعد حركة الردة لرأب الصدع وتوحيد صفوف العرب[(٦)]، وتقول إحدى الروايات إن أبابكر وأصحابه رأوا أن يشغلوا العرب بمشروعات كبيرة عظيمة تصرف أذهانهم عن التفكير في المسائل الداخلية والدينية، كما أن رواسب الخلافات القديمة بين القبائل لم تمح آثارها، وأغلب الظن أن عملية الفتوح الإسلامية لم تكن تستند إلى ظروف داخلية فحسب بل كان هناك ظروف خارجية تمهد للفتح، وليس أدل على ذلك من الضعف الذي أصاب الدولتين الفارسية والرومانية[(٧)]، ولأن حركة التوسع الكبيرة ما كانت لتأخذ مجراها المعروف في التاريخ لو كانت في أوج قوتهما، ولكن شاء الله تعالى أن يكون ظهور العرب والمسلمين، وكانتا دولتا الفرس والروم في وضع ضعيف ومنهار [(٨)].

أما عن دور قبائل نجران وتهامة والسراة في فتح العراق وفارس، فقد ساهم عدد من قبائل تلك البلاد مثل بجيلة وأزد السراة في معركة البويب سنة (١٣هـ/٦٣٤م) [(٩)]، وتشير

---

(١) وعن دور أهل نجران وتهامة والسراة في الفتوح الإسلامية المبكر، انظر: غيثان بن علي بن جريس " دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوح الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام " بحث منشور في كتاب : دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١ـ ق١٠هـ/ق٧ق١٦م)، ج١، ص ٥٥ـ ٩٢ .

(٢) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٠٦.

(٣) النعمان عبد المتعال، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، ص٢٠٦ .

(٤) انظر، البلاذري، ص ٣٠٦ .

(٥) انظر: فهمي عبد الجليل محمود ، العرب والدولة الموحدة قبل الإسلام وبعده . ص ٦٦ .

(٦) سامية توفيق، ص ٧٨ .

(٧) كانت الدولتان الرومانية (البيزنطية) والساسانية منذ القرن السادس الميلادي قد اعتراهما الضعف والوهن بسبب الحروب المتبادلة بينهما، التي أدت إلى استنزاف طاقتهما، كما أدت إلى شيوع الفوضى والاضطراب في جميع المرافق الاقتصادية في تينك الإمبراطوريتين فمن انقسامات مذهبية عاتية، إلى كساد شنيع في التجارة والصناعة والزراعة، إلى إفلاس في الخزانة، إلى حروب أهلية طاحنة بسبب التنافس على العرش . انظر: السيد عبد العزيز سالم، التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص ٢٦٣ .

(٨) للمزيد انظر: إبراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون (الطبعة الثانية الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، د. ت)، ص٣٤ .

(٩) الطبري / ج٣، ص ٤٧٠.

بعض المصادر التاريخية إلى أن قبيلة بجيلة قدمت إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تريد الشام لأنها تضم أسلافهم من القبائل اليمنية[1]، ولكن الخليفة مارس ضغوطاً على شيخ بجيلة جرير البجلي من أجل أن يتوجه إلى العراق مدداً للمثنى بن حارثة الشيباني نظراً لما أصابه في معركة الجسر[2]. والحقيقة أن استجابة جرير بن عبد الله البجلي للتوجه نحو العراق كان بسبب النزاع الذي تفجر بينه وبين عرفجة بن هرثمة البارقي حول السيادة على قبيلة بجيلة، ونستدل على ذلك بما أشار إليه الطبري، وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمع قبيلة بجيلة تنفيذاً لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم لجرير البجلي وخرجت بطون قيس وكبة وعرنة من بين قبائل العرب[3]، واستعمل عمر بن الخطاب عرفجة على بطون بجيلة التي خرجت من قبيلة جديلة[4]، وولى جرير بن عبد الله على بطون بجيلة التي خرجت من بني عامر[5]، ولكن قبيلة بجيلة أنكرت تولي عرفجة عليهم لأن نسبه لا يعود إليهم[6]، وذكر الطبري أنه عندما تحقق عمر من صحة دعوى بجيلة استعمل جريراً مكانه[7]، واستعمل عرفجة بن هرثمة على الأزد وبارق، وبعثه إلى الشام[8]، ومن هنا كان من الطبيعي أن يتجه جرير إلى العراق حتى يبعد عن منافسه في قيادة بجيلة.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن عمر بن الخطاب عندما علم بهزيمة المسلمين في معركة الجسر أخذ يرسل الإمدادات إلى المثنى بن حارثة بالعراق، فلما سمع الفرس عن كثرة جيوش المثنى، بعثوا إليه جيشاً آخر بقيادة مهران، في مكان يقال له "البويب" وهو موضع قريب من الكوفة، وكان الفرات بينهم فقال الفرس أما أن تعبروا إلينا، أو نعبر إليكم، فقال المسلمون بل اعبروا إلينا، فعبرت الفرس إليهم، وأخذ المثنى يمر على كل راية من رايات القبائل يحثهم على الجهاد والصبر ودارت المعركة واقتتلوا قتالاً شديداً، ويذكر أن

---

(١) الطبري، ج٣، ص ٤٦٢، ابن كثير، ج٧، ص ٢٩.

(٢) معركة الجسر: ذكر ابن كثير أنه لما رجع الجالينوس هارباً مما لقي من المسلمين اجتمعت الفرس على رستم، ثم أرسل جيشاً كثيفاً عليهم ذا الحاجب فوصلوا إلى المسلمين وبينهم النهر وعليه جسر فأرسلوا إما أن تعبروا إلينا أو نعبر إليكم، فقال المسلمون لأميرهم أبي عبيدة أأمرهم فليعبروا هم إلينا، فقال ما هم بأجرأ على الموت منا، ثم اقتحموا إليهم فاجتمعوا في نحو من عشرة آلاف، وقد جاءت الفرس معهم بفيلة كثيرة لتخويف خيول المسلمين، فكلما حملوا على المسلمين فرت خيولهم، وأخيراً انهزم المسلمون وقتل منهم عدد كثير، للمزيد انظر: ابن كثير، ج٧، ص ٢٧، ٢٨.

(٣) ابن كثير، ج٧، ص ٢٩. قيس وكبة وعرينة: بطون من بجيلة من كهلان القحطانيين، انظر ابن حزم، ص ٢٨٧.

(٤) جديلة: بطن من طيئ من القحطانية، وجديلة أمهم وقد عرفوا بها وهي جديلة بنت سبع بن عمرو بن حمير. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٢٠٥.

(٥) الطبري، ج٣، ص ٤٦٢.

(٦) يروي الطبري أن بجيلة قالت للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعفنا من عرفجة، فقال لا أعفيكم من أقدمكم هجرة وإسلاماً، قالوا: استعمل علينا رجلاً منا، ولا تستعمل علينا نزيعاً فينا، فظن عمر أنهم ينفونه من نسبه، فقال: وما تقولون قالوا: نقول ما تسمع من نسبه، فأرسل إلى عرفجة، فقال إن هؤلاء استعفوني منك، وزعموا أنك لست منهم، فما عندك؟ فقال: صدقوا أنا من الأزد ثم من بارق. للمزيد انظر الطبري، ج٣، ص ٤٦٢.

(٧) الطبري، المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٦٢

(٨) المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٦٣.

المثنى هو الذي قتل مهران، وتشير رواية أخرى إلى أن الذي قتل مهران واجتز رأسه هو جرير بن عبد الله البجلي[١]، وبفضل مشاركة قبيلة بجيلة الفاعلة انهزم الفرس وقتل قائدهم [٢].

وبعد معركة البويب فُتح الطريق أمام المسلمين نحو مدن الفرس، وانطلق جرير يحث قومه على الجهاد وفتح الله على أيديهم بلاد عديدة، وظفروا بكثير من البقر والسبي وسائر الغنائم فقسمها المثنى بين المسلمين وأعطى بجيلة ربع الخمس[٣]. وكتب جرير إلى المثنى يبشره بالفتح ويطلب منه الموافقة على مواصلة الغزو حتى ساباط، ولكن أهلها تحصنوا فيها، ووجد المسلمون منهم مقاومة شديدة إلا أن فرسان بجيلة كانوا أول من دخلها، لأن طبيعتها جبلية مثل بلاد السروات، وهم مدربون على صعود الجبال، لذلك كان من الطبيعي أن يكونوا أول الفاتحين، أما دور أهل السراة في معركة القادسية، فلقد كان للسرويين والتهاميين جهود واضحة وبخاصة البجليون، فالذين شاركوا من عشائر بجيلة نحو ألفين من الفرسان، وأكثر من ألف من النساء[٤]، وفي رواية ألف وسبعمائة امرأة[٥]، وتشير إحدى الروايات إلى أنه لم يكن بين قبائل العرب نساء أكثر من نساء قبيلة بجيلة، ويرجع ذلك إلى أنهم يحرصون على اصطحاب نسائهم وأطفالهم معهم في الحروب حتى لا يكون لهم الخيار بين النصر أو الموت[٦]، ويذكر ابن الأثير أنه عندما بلغ المثنى بن حارثة خبر الاتصالات بين رستم قائد جيش الفرس وبين نصارى الحيرة، وجه المثنى قبيلة بجيلة إلى أهل العذيب مما يلي الكوفة ليثنوهم عن الوقوف ضد إخوانهم العرب [٧].

بدأت معركة القادسية سنة ست عشرة هجرية، وقيل خمس عشرة هجرية، وفي روايات أخرى سنة أربع عشرة هجرية[٨]، وقد أخذ الفرس يميلون على قبيلة بجيلة دون غيرها من القبائل حيث وجهوا إليهم حوال سبعة عشر فيلا وعلى كل فيل عشرون رجلا، وذلك مما أثار فزعهم [٩]، والقتال بالفيلة نوع جديد لم يعتد عليه العرب في حروبهم مما سبب فزعهم[١٠]، لكن ما السبب في ميل الفرس على بجيلة دون غيرها من القبائل العربية ؟ ويذكر ابن كثير إلى أن السبب في ذلك يرجع إلى أن أحد سكان الطائف ارتد

---

(١) الطبري، ج٣، ص ٤٦٥، ٤٧٢، ابن كثير، ج٧، ص ٢٩، السيد عبدالعزيز سالم، التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص ٢٥١ .

(٢) للمزيد : انظر، الطبري، ج٤٧٢، ابن كثير، ج٧، ص ٢٩ .

(٣) الطبري، ج٣، ص ٢٧٠ .

(٤) ابن كثير، ج٧، ص ٢٩، عمر رضا كحالة، معجم القبائل، ج١، ص ٦٤ .

(٥) انظر: الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ١٩٢ .

(٦) عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج١، ص ٦٤ .

(٧) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٣٣٧ .

(٨) للمزيد انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٣٣٧، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص٢١٧

(٩) ابن خلدون، ج٢، ص ٩٧ .

(١٠) المصدر نفسه

عـن الإسـلام وذهـب إلى الفرس وأخبرهـم أن بأس المسـلمين في الموقع الـذي تكون فيه بجيلة[١]، وفي معركة القادسية برزت مواهب عسكرية فذة في صفوف فرسان بجيلة منهم قيس بن مكشـوح الذي شـجع المسـلمين وحفزهم بالخطب والشـجاعة ورفع من معنويات المجاهدين[٢]، بينما الذي توج بالنصر في معركة القادسية من فرسان بجيلة هو زهير بن عبد شمس البجلي الذي استطاع أن يصرع رستم قائد جيوش الفرس[٣]. ثم قال في ذلك:

أنـــا زهـــير بـــن عـــبـــد شـــمـــس ... أردت بـالـسـيـف عـظـيـم الـفـرس

رســتـم ذا الـنـخـوة الـدمـقـسـي ... أطـعـت ربـي وشـفـيـت نـفـسـي[٤].

ومـن الملاحـظ أن مقتل قائد جيوس الفرس على يد أحد فرسـان بجيلة يكشـف عن كفاءتهم العسكرية، لهذا كانوا محل تقدير المثنى بن حارثة الشيباني، بل الخليفة نفسه حتى بلغ الأمر إلى تفضيلهم على غيرهم من القبائل، وليس أدل على ذلك من أن الخليفة جعل لهم " ربع الخمس مما أفاء الله عليهم من غزواتهم "[٥].

وبالرغـم من تمييز عمر بن الخطـاب رضي الله عنه لقبيلة بجيلة عن غيرهـم من القبائل إلا أنه كان ينكر منهم أي سـلوك يشـق صفوف المجاهدين. ويشير ابن خلدون إلى أن جريراً اشـترى أرضاً على شـاطئ الفرات فرفض عمر ذلك، ونهى عن شيء لم يقتسمه أهله[٦]، حرصاً من الخليفة على روح الإخاء بين المجاهدين المسلمين.

ولم يكـن الخطر على الفرس قاصـراً على قبيلة بجيلة فقط، بـل هناك قبائل أخرى من السـراة لا يقل دورهـا عن دور بجيلة مثل زُبيد، وعلى رأسـهم عمرو بن معديكرب[٧]،

---

(١) انظر، ابن كثير، ج٧، ص ٤٥.

(٢) قال قيس بن مكشـوح: يا قوم إن منايا الكرام القتل، فلا يكون هؤلاء أولى بالصبـر وأسـخى نفساً بالموت منكم ثم قاتل قتالاً شديداً. انظر: البلاذري ص ٢٥٩، ٢٦٠. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٣٢

(٣) البلاذري، ص ٢٦٠.

(٤) يروي الأصـفهاني: قال عمرو بن معديكرب يوم القادسـية الزموا خراطيم الفيلة بالسـيوف فإنه ليس لها مقتل إلا خراطيمها، ثم شـد على رسـتم وهو على فيل فضـرب فيله فجذم عرقوبه، وسقط رستم بعد ذلك عن فرسه فقتله: الأصـفهاني: الأغاني، ج١٤، ص ٣٠. بالرغم من أن رواية الأصـفهاني تتناقض مع رواية البلاذري إلا أننا نميل إلى رواية البلاذري، ليس لأنه أقرب إلى الأحداث من الأصـفهاني فحسـب، بل لأن الأصـفهاني روى الحديث على لسـان عمرو بن معديكرب، الذي اشـتهر بعدم الدقة في رواياته، ويظهر ذلك واضحـاً في عديد من الروايات منها ما يذكرها الأصـفهاني نفسـه من أن عمراً كان يذهب مع الأشـراف إلى الكوفة يتناشدون الأشعار ويتذكرون أيام الناس كعادتهم، ووقف مرة إلى جانب خالد بن الوليد الصقب النهدي، وأقبل عليه يحدثه ويقول: أغرت على بني نهد، فخرجوا إليّ مسـرعين وخالد بن الصـقب يتقدمهم فطعنته فوقع، وضربته بالصمصامة حتى فاضت روحه فقال له الرجل: يا أبا ثور " أنا مقتولك الذي تحدث " فقال عمرو " اللهم غفرانك إنما أنت بمحدث فاسـمع إنما نتحدث بمثل هذا وأشباهه لنرهب هذا المعدية " أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج١٣، ص٣٢.

(٥) الطبري، ج٣، ص ٤٦٩، ابن خلدون، ج٢، ص ١٠٣.

(٦) ابن خلدون، ج٢، ص ١٠٣.

(٧) ابن كثير، ج٧، ص٤٥، وذكر الأصـفهاني أن عمرو بن معديكرب الزُبيدي هو فارس العرب، ويقدمه أبوعبيدة على زيد الخيل في الشدة والبأس. الأصفهاني: الأغاني، ج٤، ص ٢٥.

وليس أدل على ذلك ما كتبه عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مقرن في نهاوند : بأن يستشيره في كل أمور الحرب[١]، ونراه في القادسية يباشر المعركة ويمر بين صفوف المعركة ويحمسهم ويدفعهم بقوله : "كونوا أسوداً أشداء، والزموا خراطيم الفيلة بالسيوف فإنها ليس لها مقتل إلا خراطيمها"[٢]، ويشير الأصفهاني إلى أنه عندما نشب القتال صاح غالب بن عبد الله الأسدي يطلب المبارزة، فبرز إليه عمرو بن معديكرب وأخذه وجلده على الأرض فذبحه[٣]، وقد كانت هذه البطولات العسكرية المميزة لأبناء السروات مثل عمروبن معديكرب، التي من شأنها أن تقلل من همة الفرس وقوتهم، وترفع الروح المعنوية للمجاهدين المسلمين، ونظراً لدور فرسان بلاد نجران وتهامة والسراة المميز في الفتوح، فقد ميزهم سعد في العطاء فكان نصيب عمرو بن معديكرب ثمانية آلاف وخمسمائة درهم في الوقت الذي كان فيه العطاء المقرر ستة آلاف درهم[٤].

أما عن دور قبائل السروات ونجران في فتح جلولاء[٥]، فقد شاركت فيها العشائر السروية والنجرانية مثل بجيلة، وزبيد، ومراد سنة (١٦هـ/٦٣٦م)[٦]، ولم يكن فرسان السروات مجرد مقاتلين شجعان، بل كانوا أيضاً يحاربون بخطط محكمة كما يظهر في معركة (جلولاء)، فحينما أرخى الليل سدوله أخذ أبناء السراة مثل عمرو بن معديكرب، وقيس بن مكشوح المرادي يتحصنون حتى انبلج الفجر ثم أخذوهم من كل وجه، وقتلوا منهم عدداً كبيراً وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة[٧]، وذكر ابن خلدون أنه عندما بلغت الغنائم النفيسة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورأى الجواهر والياقوت أخذ يبكي خشية أن يبعث ذلك على التحاسد والتباغض بين المسلمين[٨]، وما أن تم للمسلمين النصر في جلولاء حتى ضم هاشم بن عتبة إلى جرير بن عبدالله البجلي خيلاً كثيرة، وعهد إليه بالبقاء في جلولاء ليحمي جيوش المسلمين، ثم وجه سعداً إلى جرير نحو ثلاثة آلاف من المسلمين، وأمر جرير البجلي بأن يزحف إلى حلوان، فلما اقترب جرير منها، هرب يزدجرد ناحية أصفهان سنة (١٩هـ) وتم لجرير فتح حلوان صلحاً[٩].

---

(١) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٤، ص ٢٨ النعمان عبد المتعال القاضي، ص ٢٠٥ .

(٢) ابن كثير، ج٧، ص ٤٥ .

(٣) ابن خلدون، ج٢، ص ٩٧، الأصفهاني ج١٤، ص ٢٩ .

(٤) ذكر الأصفهاني أن عمر بن الخطاب فرض لعمرو بن معديكرب ألفين فقال له يا أمير المؤمنين ألف هاهنا وأشار إلى شق بطنه الأيمن وألف هاهنا وأومأ إلى شق بطنه الأيسر فما يكون هاهنا وأومأ إلى وسط بطنه فضحك عمر رضي الله عنه وزاده خمسمائة . الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص ٢٨ .

(٥) جلولاء : موضع في طريق خرسان، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ، وبها كانت الواقعة المشهورة على الفرس سنة (١٦هـ) فاستباحهم المسلمون فسميت جلولاء لما أوقع بهم المسلمون، ياقوت الحموي . معجم البلدان (ط دار صادر ببيروت، ١٩٧٩م) ج٢، ص ١٥٦ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) ابن كثير، ج٧، ص٧٠ .

(٨) ابن خلدون، ج٢، ص ١٠٣، انظر أيضاً : ابن كثير، ج٧، ص ٧٠ .

(٩) السيد عبد العزيز سالم، التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص ٢٥٦ .

أما دور قبائل السراة ونجران في فتح نهاوند فقد وقعت حرب نهاوند سنة تسع عشرة من الهجرة، وفي بعض الروايات سنة عشرين، وقيل سنة إحدى وعشرين [١]،ويشير البلاذري إلى أنه عقب هروب يزدجرد من حلوان حدثت مراسلات بين بعض المدن الفارسية مثل قومس[٢]، وأصبهان[٣]، وهمذان[٤]، وأسفرت هذه الاتصالات عن تجمع حوالي ستين ألفاً وقيل مائة ألف[٥]. وفي بعض الروايات مائة وخمسون ألفاً [٦]، وعين يزدجرد عليهم مردخاه ذا الحاجب[٧]. أما على الجانب الإسلامي فقد عزل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعد بن أبي وقاص على أثر شكوى قدمت ضده حول أمور فقهية[٨]، واختار عمر النعمان بن مقرن على قمة تسلسل قيادي أغلبه من شيوخ السروات، ويتضح ذلك من كتاب عمر إلى النعمان، عندما أمره أن يسير بمن هناك من الجنود إلى نهاوند، وإذا اجتمع الناس فكل أمير على جيشه، والأمير على الناس كلهم النعمان بن المقرن، فإذا قتل فحذيفة بن اليمان، فإن قتل فجرير بن عبد الله البجلي، فإن قتل فقيس بن مكشوح[٩]. ونلاحظ أن معظم الجيوش الإسلامية حوالي ثلاثين ألفاً، تمثل قبائل السروات السواد الأعظم منها مثل قبيلة بجيلة التي يقودها جرير بن عبد الله البجلي، وأيضاً قبيلة زُبيد التي يقودها عمرو بن معديكرب الزُبيدي، وقيس بن مكشوح المرادي[١٠].

وقبل بدء معركة نهاوند أرسل النعمان فرقة استطلاعية لاستكشاف أخبار العدو، ودارت المعركة يوم الأربعاء والخميس عام (٢١هـ/٦٤١م) وقد تحصن الفرس بخنادقهم، وبعد أن ضاق المسلمون بحصارهم، حاولوا استدراجهم من خنادقهم، ثم حملت بعض

---

(١) انظر ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ١١٣، ابن كثير، ج٧، ص١٠٥، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٢٥٦ .

(٢) قومس: هي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع، وهي في ذيل جبال طبرستان، وأكبر ما يكون في ولاية ملكها، وهي بين الري ونيسابور، ياقوت، ج٤، ص ٤١٤ .

(٣) أصبهان: هي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وهي اسم للإقليم بأسره، ومساحة أصبهان ستة عشر رستاق، وكل رستاق ثلاثمائة وستون قرية قديمة سوى المحدثة " ياقوت، ج١، ص ٢٠٦-٢٠٨ .

(٤) همذان: أكبر مدينة بالجبال، طولها من جهة الغرب ثلاثة وسبعون درجة وعرضها ستة وثلاثون درجة، وهمذان وأصبهان أخوان . ياقوت، ج ٥، ٤١٠ .

(٥) البلاذري، ص ٣٠٠ .

(٦) ابن خلدون، ج٢، ص ١١٥ .

(٧) البلاذري، ص ٣٠٠، ابن خلدون، ج٢، ص ١١٥ .

(٨) ذكر ابن الأثير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث محمد بن مسلمة ... وكان محمد صاحب العمال يقتص آثار من شكا زمان عمر، فطاف بسعد على أهل الكوفة يسأل عنه ...حتى انتهى إلى بني عبس فسألهم، فقال أسامة بن قتادة: اللهم إنه لا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، ولا يغزو في السرية، وخرج محمد بسعد إلى المدينة فقدموا على عمر فأخبروه الخبر، فقال: كيف تصلي ياسعد؟ قال: لا أطيل الأوليين وأحذف الأخريين، فقال هكذا الظن بك يا أبا إسحاق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بيناً، وقال: من خليفتك ياسعد على الكوفة؟ فقال: عبد الله بن عبد الله بن عتبان فأقره عمر على الكوفة . انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١١٨ .

(٩) ابن كثير، ج٧، ص١٠٨ .

(١٠) للمزيد من التفصيلات انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص ٢٥، ابن كثير، ج٧، ص١٠٨، ابن خلدون، ج٢، ص١١٦، النعمان عبد المتعال القاضي، ص١٩٧ .

عشـائر السراة ومجاهدون آخرون على الفرس، مما أدى إلى مقتل الكثير من الفرس، في الوقت الذي استشهد فيه النعمان، وحمل راية المسلمين حذيفة بن اليمان، وانتهت المعركة بانتصـار ساحق للمسـلمين[١]، أما دور بجيلة في فتح همذان فقد ساهمت بدور رئيسي في ذلـك الفتح عام (٢٤هـ/٦٤٤م)، وقد وردت بعض الروايـات التاريخية حول هذا الفتح، فالبلاذري أشـار إلى أن المغيرة بن شـعبة كلف جرير بن عبد الله البجلي بفتح همذان[٢]، وفي رواية أخرى أن المغيرة بن شعبة تولى فتح همذان بنفسه وجرير على مقدمة الجيش[٣].

٣ـ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونصارى نجران:[٤]

كان أول قـرارات عمـر بـن الخطاب رضي الله عنه فـور توليه الخلافة سـنة (١٣هـ/٦٣٤م) يتعلق بطرد نصارى نجران[٥]، وقد طرح هذا الحادث الجليل أسئلة كثيرة من الضروري البحـث فيها، فإذا كان إجلاء النصـارى قد تم بناءً على وصـايا الرسـول صلى الله عليه وسلم فلماذا لم ينفذها أبوبكر الذي عرفت عنه الشـدة في تنفيذ وصـايا الرسول صلى الله عليه وسلم، كما إذا كانت هذه تعليمات الرسـول صلى الله عليه وسلم بطرد اليهود والنصارى من جزيرة العرب، فلماذا لم يطبقها عمر بن الخطاب حرفياً واكتفى بطرد نصـارى نجران ويهود خيبر ؟ وأيضـاً إذا كان الرسـول صلى الله عليه وسلم (أعطـى عهـداً بالأمان نصـارى نجران فلمـاذا نقض عمر بـن الخطاب رضي الله عنه هذا العهد؟ وما هو سبب موقف بقية الخلفاء تجاه هذا الموضوع؟[٦].

ويعد حادث طرد نصـارى نجران من الحوادث المهمة التي مازالت موضع الجدل بين الباحثين حول الأسـباب التي أدت إلى سياسـة عمر بن الخطاب إزاء نصارى نجران رغم مالهم من عهود من الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، وتشير المصادر التاريخية إلى أنه تولي أبو بكر الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وجدد العهد لأهل نجران وكتب لهم عهده وكان متضمنا لما تضمنه كتاب رسول الله لهم، وذلك الكتاب هو: " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب به عبد الله أبو بكر خليفة محمد النبي، رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران، أجارهم بجوار الله، وذمة محمد النبي رسـول الله صلى الله عليه وسلم على أنفسهم وأراضـيهم وملتهم وأموالهم وحاشيتهم

---

(١) للمزيد انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٥-٦، ١١٨، ابن كثير، ج٧، ص ١٠٥-١٠٩، ابن خلدون، ج٢، ص ١١٦، محمد الخضري، ص ٢٢٣ .

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٠٦ . وللمزيد انظر : ابن كثير، ج٧، ص ١١٣، ابن خلدون، ج٨، ص ١١٨ .

(٣) لمزيـد من التفصـيلات حول فتح همـذان انظر: البلاذري، صـ ٣٠٦، ياقوت، معجم البلـدان، ج٥، ص ٢٤١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١١.

(٤) لمزيد من التفصـيلات عن أهل الذمة في الجزيرة العربية قبل الإسـلام، ونصارى نجران في أثناء ظهور الإسلام، انظـر، ابـن الأثير، الكامل في التاريـخ، ج٢، ص ١٩٩ـ ٢٠٠، ابن خلدون، ج٢، ص١٥٣، ابـن كثير، ج٥، ص٥٥ ـ ٥٧، فاطمة مصطفى عامر، ص٣٩، ابن جريس، نجران، ج١، ص ٥١ـ ١٢٤ .

(٥) انظر : محمد كرد علي . الإسلام والحضارة العربية (القاهرة) ١٩٦٨م)، ج٢، ص١٣٠، عصام الفقي، ص٧٧ .

(٦) للمزيد عن نصارى نجران منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى إخراجهم من نجران في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر : ابن جريس، نجران، ج١، ص ٨١ – ٩٠، ٤٧٩ – ٤٨٩ .

وعبادتهم وغائبهم وشاهدهم وأساقفتهم ورهبانهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يخسرون ولا يعشرون ولا يغير أسقف من أسقفيتهم ولا راهب من رهبانيته وفاءً لهم بكل ما كتبه لهم محمد النبي ﷺ[(١)].

أما عن تجديد أبي بكر الصديق العهد لنصارى نجران على الرغم من وصية الرسول ﷺ بطردهم فذلك يرجع إلى أسباب متنوعة منها قصر فترة خلافة أبي بكر، والأحداث الخطيرة التي انفجرت في عهده وشغلته عن تنفيذ كثير من وصايا الرسول ﷺ[(٢)]، ومن أهم هذه الأحداث خطر الفرس والروم الذي يهدد كيان الدولة الإسلامية الوليدة، هذا فضلاً عن حركة الردة في اليمن والسروات التي قادها الأسود العنسي، ومعظم سكان نجران ينتمون إلى قبيلة مذحج، ومنها ملوك نجران قبل ظهور الإسلام وفي أثنائه، وطرد نصارى نجران من شأنه أن يفتح على أبي بكر الصديق جبهة أخرى غير الجبهات القائمة في ذلك الوقت، وبخاصة أن نصارى نجران يتحصنون بعصبية قوية من بني الحارث بن كعب المذحجيين، وذلك وقف حائلاً دون تنفيذ وصية الرسول ﷺ بطرد أولئك النصارى[(٣)]، وقد تغير وضع نصارى نجران في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأجلاهم الخليفة عن بلادهم، واشترى منهم أرضهم وعقارهم، فخرجوا إلى بلاد العراق[(٤)]، وتنوعت الروايات التاريخية حول الأسباب التي دفعت الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى إخراج نصارى نجران، فتذكر بعض المصادر أن عمر بن الخطاب طرد نصارى نجران معتمداً على أحاديث الرسول ﷺ التي توصي باقتصار سكنى بلاد العرب على المسلمين دون غيرهم، ونذكر منها قول الرسول ﷺ: "لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً"، ويقال أيضاً: "لا يجتمع دينان في بلاد العرب" أي في جزيرة العرب"[(٥)].

ويشير القاضي أبو يوسف إلى أن إجلاء عمر بن الخطاب لنصارى نجران، إنما كان نتيجة لنقضهم بعض شروط عهدهم مع الرسول ﷺ مثل ترك الربا، فلما استخلف عمر بن الخطاب أصابوا الربا[(٦)]، وأصبح لزاماً على الخليفة أن يجليهم عن أراضيهم، ونتج عن تعامل أولئك النصارى بالربا، أن عظمت ثروتهم، وزاد بأسهم، وأحكموا السيطرة على

---

(١) انظر: القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم. كتاب الخراج. تحقيق إحسان عباس (دار الشروق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص ١٩١-١٩٢. وفي مصادر أخرى وردت بعض الاختلافات في مفردات هذا الخطاب، لكن المضمون واحد. للمزيد انظر: الطبري، ج٣، ٣٢١، ٣٢٢، حميد الله، ص ١٩١-١٩٢، لويس شيخو، النصرانية وآدابها، ص ٢٨.

(٢) ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، (تحقيق صبحي الصالح، ط جامعة دمشق، د.ت)، ص١٧٩، الطبري، ج٣، ص ٣٤٣.

(٣) فاطمة مصطفى عامر، ص١٢، محمد كرد علي، ج٢، ص ١٣٠.

(٤) للمزيد انظر: البلاذري، ص ٧٧، أبو يوسف، ص ١٩١، ابن القيم، ص ١٤٠.

(٥) انظر: البلاذري، ص ٧٧-٧٩، ابن القيم، ص ١٤٠، محمد كرد علي، ج٢، ص ١٣٠، ابن جريس، ج ١، ص ٩٠.

(٦) القاضي أبو يوسف يعقوب، ص ١٩١.

البلاد اقتصادياً، حتى أصبح اقتصادهم يهدد الاقتصاد الإسلامي الوليد، وذلك مما أثار القلق في قلب الخليفة عمر فأجلاهم عن نجران، وخرجوا الى بلاد العراق والشام[١]. وهناك رواية أخرى للبلاذري تذكر أن نصارى نجران قد تكاثروا وبلغ عددهم أربعين ألفاً، وبدأ الشقاق والتحاسد بينهم، فلجأوا إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فطلبوا منه أن يأذن لهم بالجلاء عن بلادهم إلى غيرها فوافق[٢]، ويقال إنهم ندموا بعد ذلك فعادوا يطلبون العفو من الخليفة عمر والسماح لهم بالعودة إلى بلادهم فرفض[٣]، ولكننا نرى أن تصرف الخليفة عمر بن الخطاب إزاء نصارى نجران كان بسبب اشتراكهم في حركة الردة مع الأسود العنسي، ونستدل على ذلك ببعض الأحداث، فالمصادر تشير إلى أنه عندما اشتعلت حركة الأسود العنسي في اليمن والسروات، كان خروجه على مقربة من نجران، وكان النجرانيون وبخاصة النصارى من أوائل مناصريه[٤]، ويؤكد ذلك نص كتاب عمر بن الخطاب إليهم قبل إجلائهم عن أرضهم ، فقال :(بسم الله الرحمن الرحيم، إلى أهل رعاش كلهم السلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم بعد، وإن من يتب منكم ويصلح لا يضر ارتداده ونصاحبه صحبة حسنة، فمن أبى إلا النصرانية فإن ذمتي بريئة ممن وجدناه بعد عشر تبقى من شهر الصوم من النصارى بنجران"[٥]، أما باقي أهل الذمة في نجران فقد ظلوا يزاولون أعمالهم بحرية كاملة تحت مظلة الخلافة الإسلامية، حتى مجوس نجران عاملهم المسلمون معاملة أهل الذمة، حيث يوصي بحسن معاملتهم، عندما قال " من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه "[٦].

خامساً : آراء ووجهات نظر :

١. ما تم إيراده في هذا القسم محاولة لفتح أبواب ومحاور جديدة مازالت تحتاج إلى دراسات عميقة في الرصد والتحليل، ونأمل أن يأتي من أبنائنا في برامج الدراسات العليا، بأقسام التاريخ والآثار، أو من الباحثين الجادين من يكمل ما قصرنا فيه، أو يصحح ما أخطأنا في تدوينه وتصحيحه .

٢. لم تكن بلاد نجران وتهامة والسروات معزولة عن العوالم السابقة لعصر الإسلام وبعده، وإنما كانت على صلات بتلك الأمم سياسياً وحضاريا، ولا ندعي الكمال

(١) انظر: محمد كرد علي، ج٢، ص ١٣٠ .
(٢) انظر : البلاذري، ص ٧٨ .
(٣) البلاذري، المصدر نفسه، ص ٧٨ .
(٤) للمزيد، انظر : الطبري، ج٣، ص ٣١٨، ابن خلدون، ج٢، ص٦٠، عصام الفقي، ص ٣٨.
(٥) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٦٦٠، وللمزيد انظر: البلاذري، ص ١١٣ .
(٦) انظر : عصام الفقي، ص ٢٨٩ .

فيما تم تدوينه، وإنما مجال البحث في تلك الحقب ما زال غنياً وواسعاً .

٣. ظهر لنا في هذا المبحث أن بلاد نجران وتهامة والسراة كان لها إسهامات كبيرة في التطور التاريخي الذي عرفته الجزيرة العربية خلال عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم) ، كما أن السرويين والتهاميين لعبوا أدواراً مختلفة في عصر الفتنة الكبرى في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي الصراع الذي وقع بين الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبني أمية الذين سيطروا على الخلافة الإسلامية بعد العصر الراشدي .

٤. ما زالت بلاد نجران وتهامة والسراة بحاجة ماسة إلى بعض الأبحاث الأكاديمية التي تدرس تاريخها وحضارتها قبل الإسلام، وفي عصري الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية، ونستطيع القول إن المصادر التقليدية لا تشفي الغليل لدراسة تلك الأزمنة، وإنما الدراسات الأثرية أفضل وأهم، ونأمل أن يأتي من يهتم بها، لعلنا نعثر على تاريخ حقيقي لهذه البلاد وبخاصة بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وخروج الخلافة الإسلامية من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام والعراق وغيرها.

٥. المقارنة بين أحوال السرويين والنجرانيين والتهاميين قبل الإسلام وبعده موضوع يستحق البحث، فقد تغيرت التقاليد والأعراف بعد ظهور الإسلام، وبعضها استمر العمل به في ظل الدولة الإسلامية، ومثل هذه الجوانب جديرة بالبحث والتحليل، كما جرى في عصر الإسلام بعض التحولات في عقائد الناس وتركيباتهم السكانية عما كانوا عليه في العهود السابقة، ومثل هذه التغيرات تستحق أيضاً الاهتمام والدراسة .

٦. هناك مئات الأعلام من التهاميين والسرويين والنجرانيين قبل الإسلام وبعده، وتواريخهم وإسهاماتهم تستحق البحث والتدوين، وكتب التراث الإسلامي مليئة بالتفصيلات التاريخية والحضارية لأولئك الأشخاص، فحبذا أن نرى باحثاً جاداً يحصرهم ويكتب عنهم .

٧. هناك أسماء مواقع قديمة قبل الإسلام وبعده، جرت فيها وقائع وأحداث تاريخية وحضارية، وبعضها مازال يحمل الاسم القديم . والواجب على المؤرخين والجغرافيين والآثاريين التعاون في دراسة مثل هذه الأماكن حتى يعلم جيل اليوم بالأهمية الحضارية لتلك المواقع، ومن ثم ربط تاريخ هذه البلاد الحديثة بأمجادها وحضارتها القديمة.



الدراســـة الثانيـــة

صفحات من التاريخ الحضاري لنجران وتهامة والسراة قبل الإسلام وبعده.

بقلم : أ . د . غيثان بن علي بن جريس



الدراسة الثانية: صفحات من التاريخ الحضاري لنجران وتهامة والسراة قبل الإسلام وبعده

أولا : تمهيد :

حافظت بلاد نجران وتهامة والسراة على استقلالها، طوال عهد ما قبل الإسلام ما عدا فترات قليلة من الحكم الحبشي، بسبب نجاح الأحباش في السيطرة على نجران وما حولها في عهد ملكهم عذبة[١]، بينما في العهد الفارسي كانت بلاد السراة تتمتع بالاستقلال من نجران في الجنوب، حتى ديار غامد وزهران في الشمال، [٢] وتشير المصادر التاريخية[٣] إلى أن نجران كانت مستقلة بشؤونها ويديرها ساداتها وأشرافها، ولها نظام سياسي وإداري خاص [٤]، وليس للفرس أي نفوذ عليها [٥].

وبقيت نجران وتهامة والسراة في منأى عن حكم ملوك اليمن، إلا في آخر دور من أدوار مملكة سبأ في الفترة الممتدة من سنة (٣٠٠م حتى عام ٥٢٥م) [٦]، عندما حمل ملوك سبأ لقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت أعرابها في المرتفعات والتهائم) [٧]، وأشارجواد علي أنه في تلك الفترة حرص ملوك اليمن على استقطاب قبائل السروات بعد أن أصبح لها دوراً كبيراً في ميزان السياسة والحكم [٨].

ثانياً : إدارة بلاد نجران وتهامة والسراة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلافة الراشدة، والأموية، وأوائل العباسية :

١. الإدارة في عهد الرسول ﷺ والخلافة الراشدة :

كان النظام الإداري في نجران وتهامة والسراة نظاماً بدائياً بسيطاً فلم يقم على توزيع الأعمال على الإدارات المختلفة، واختصاص كل إدارة بعمل معين، فقد كانوا

---

(١) ذكر جواد علي أنه قامت ثورة في الحبشة على حكم الملك عذبة وأحلت " ذو سكالس " محله، فانتهز أبناء السروات فرصة انشغال الحكومة بهذه الثورة ونظموا صفوفهم، وهجموا على الأحباش وأخرجوهم من نجران وما جاورها. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط. بغداد، ج٣، ص ٤٥٥ .

(٢) انظر : مؤلف مجهول فتوح اليمن، ص ٥، ٦ . وهذا الكتاب يوجد به خلط كبير وبخاصة في معلوماته. حبذا أن يدرس دراسة علمية أكاديمية ويتم التأكد من مادته .

(٣) الهمداني الإكليل، ط القاهرة، ج١، ص١٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٥٦ ابن خلدون : التاريخ، ج٢، ص٥٧، أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ١٥٨ .

(٤) ابن هشام، السيرة، ج ٢، ص ١٥٨ .

(٥) عون الشريف قاسم ، نشأة الدولة الإسلامية، الناشر دار الكتاب المصري القاهرة، الطبعة الثانية، ص١٢٧، جواد علي، ج٣، ص ٥٣٢، فاطمة مصطفى عامر: نجران في العصر الجاهلي وعصر النبوة، ص ٢٦ .

(٦) بيومي مهران، تاريخ العرب القديم، ط . الإسكندرية، ص ٢٧٢ .

(٧) بيومي مهران، ص ٢٧٢ .

(٨) ذكر جواد علي أن الذي حمل ملوك سبأ على إلحاق قبائل نجران وتهامة والسراة هو ظهور أهمية الأعراب، ولاسيما أعراب الهضاب وقبائل نجران وتهامة، إذ صاروا يؤثرون في سياسة البلاد العربية الجنوبية - أي اليمن - تأثيراً واضحاً، وصار في استطاعتهم إجراء تغيير كبير في الوضع السياسي، فانتبهوا لقوتهم هذه وأعاروها أهمية كبيرة، فأضافوا اسمهم إلى اللقب دلالة على سيطرتهم عليهم، وذلك أن حكم ملوك سبأ قد شمل التهائم بأعرابها وقراها، وكذلك قبائل معد التي تمتد منازلها من أرض نجران إلى مكة. جواد علي، ج٢، ص ٥٧٠ .

يحاربون ويؤدون ما يفرضه عليهم النبي ﷺ ابتغاء مرضاة الله، وكان الرسول ﷺ يولي رجالاً منهم عليهم . وبعد هجرته إلى المدينة ينيب عمالاً على القبائل وعلى بلاد السروات ليقوموا بإمامة المسلمين في الصلاة وجمع الزكاة ولم يكن لهم صفة سياسية[١] . ويشير الطبري إلى أن رسول الله ﷺ ولى باذان[٢] بعد إسلامه على جميع مخاليف اليمن بما فيها بعض نواحي نجران وتهامة والسراة[٣]، وحينما توفي باذان وزع الرسول ﷺ عمله على عدد من الولاة في اليمن ونجران وتهامة والسراة[٤].

وطبيعة بلاد السراة الجبلية[٥] تجعل من الصعب تعيين حاكم واحد[٦]، لذلك استعمل الرسول ﷺ صرد بن عبد الله الأزدي على من أسلم من قومه في أرض جرش[٧]، واستعمل أحد الملوك القسر، وهو جرير بن عبد الله البجلي على قبيلة بجيلة[٨]، واستعمل فروه بن مسيك المرادي على مراد وزبيد ومذحج[٩]، وبعث خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات[١٠]، ما بين نجران وزبيد، وكتب له كتاباً فيه فرائض الصدقة، ولم يزل على الصدقة حتى توفي رسول الله ﷺ[١١] .

ويذكر الطبري بأن رسول الله ﷺ عهد إلى عمرو بن حزم بولاية نجران[١٢]، وفي رواية أخرى أن الرسول عهد إلى قيس بن الحصين، من بني الحارث بن كعب، بولاية نجران[١٣]، ونؤيد الرواية الأولى ونستدل على ذلك ببعض المؤرخين الثقات[١٤] الذين يذكرون أن

---

(١) أحمد رمضان أحمد، حضارة الدولة العربية، ص ١٣٧ .

(٢) باذان: هو آخر ملوك الفرس في اليمن، وقد أسلم طوعاً، وابنه شهر بن باذان، وفيروز المعروف بابن الديلمي الذي قتل الأسود العنسي ولهم صحبة، انظر: ابن حزم، ص٥١٢ .

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص ٢٢٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ٣٠٧، ابن خلدون، التاريخ، ج٣، ص٥٩، محمد أمين صالح، تاريخ اليمن الإسلامي، ص ٥١ .

(٤) الطبري، ج٣، ص٢٢٨، ابن كثير، ج٦، ص ٣٠٧، عصام الفقي، ص٣٧، فاطمة مصطفى عامر، ص٣٥ .

(٥) جودة حسين جودة، شبه الجزيرة العربية، ط دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٨م، ص٣٩، فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص٩٠.

(٦) عصام الفقي، ص ٣٧ .

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ط دار صادر بيروت، ج١، ص ١٣٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٠١، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٥ . وللمزيد عن مخلاف جرش انظر: غيثان بن جريس "تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى . مجلة العصور، مج (٩)، ج١، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ص ٦٣-٧٨ .

(٨) عمر رضا كحالة، معجم قبائل العربية القديمة والحديثة، ج١، ص ٣٦، محمد أمين صالح، تاريخ اليمن، ص٤٦ .

(٩) ابن سعد، ج١، ص٣٢٧، الطبري، ج٣، ص ١٣٦ . ابن خلدون، ج١، ص٥٥، الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص٢٦.

(١٠) الطبري، ج٣، ص ١٣٦، ابن كثير، ج٥، ص ٧١ .

(١١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٨٠، يحيى بن قاسم، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص٧٤، محمد أمين صالح، تاريخ اليمن، ص ٥١ .

(١٢) الطبري، ج٣، ص ١٢٨، البلاذري، ص٨٠ .

(١٣) ابن سعد، ج١، ص ٣٤٠، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٤ .

(١٤) ابن هشام، ج٢، ٢٩٤، أبو يوسف، الخراج، ص ١٩٠ .

الرسول ﷺ أرسل عمرو بن حزم لأهل نجران يعلمهم شرائع الإسلام وفرائضه حتى يكونوا على يقين بكل أمور الدين[١]، وكتب له كتاباً [٢]، بل أشار ابن خلدون إلى أن الرسول بعث عمرو بن حزم على الصلاة فقط، بينما أرسل أبا سفيان بن حرب على الصدقات[٣]، وفي عهده ﷺ أرسل إلى الطاهر بن أبي هالة بحكم عك والأشعريين في نجران وتهامة[٤]، وبعث علي بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ثم يعود إليه[٥] .

وقد تغير الوضع الإداري في أرض نجران وتهامة والسراة في عهد الرسول ﷺ وذلك حينما اشتعلت فتنة الأسود العنسي في اليمن[٦]، وقد أصاب الرعب قلوب عمال الرسول ﷺ فذهب بعض عمال نجران وتهامة والسراة إلى الطاهر بن أبي هالة ببلاد عك في نجران وتهامة [٧]، وذلك على إثر الانتصارات المتوالية التي حققها الأسود العنسي على عمال الرسول ﷺ في السروات[٨]، بعد أن ناصرته مذحج ونجران[٩]، وتيسر له ضم نجران[١٠]، وأخرج منها عمرو بن حزم وخالد بن سعد بن العاص[١١] .

ويشير ابن الأثير إلى أن قيس بن عبد يغوث قائد جيش العنسي وثب على فروة بن مسيك وهو على مراد وزبيد ومذحج فأجلاه ونزل منزلهم[١٢]، وسار الأسود من نجران إلى صنعاء واشتبك مع واليها شهر بن باذان وهزمه وقتله[١٣]، وسيطر على بلاد اليمن ونجران وتهامة والسراة من نجران وسواحل عثر [١٤] حتى الطائف، وفر عمال الرسول[١٥]،

---

(١) البلاذري، ص٨٠، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٤ .

(٢) ابن خلدون، ج٢، ص ٥٤ .

(٣) ابن خلدون، ج٢، ص ٦٦، محمد كرد علي : الإسلام والحضارة العربية، ط الناشر لجنة التأليف والترجمة سنة (١٩٦٨م)، ج٢، ص ٩٤ .

(٤) الأشعريون: هي قبيلة تنسب إلى الأشعر بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، واسم الأشعر النبت، وإنما سمي الأشعر لأنه ولد على ذراعيه شعر فسمي الأشعر. انظر: إبراهيم المقحفي، معجم القبائل اليمنية، ط، دار الكلمة صنعاء اليمن، ص٢٤ .

(٥) ابن خلدون، ج٢، ص ٥٩، عصام الفقي، ص ٣٤ .

(٦) الأسود العنسي : هو الأسود بن كعب بن عوف العنسي، واسم عنسي هو زيد بن مالك بن أدد بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ، فتوح البلدان، ص ١١٣ .

(٧) الطبري، ج٣، ص ٢٢٧ .

(٨) البلاذري، ج٢، ص ٦٠ .

(٩) الطبري، ج٣، ص ١٨٥، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠ .

(١٠) ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠، عصام الفقي، ج٢، ص ٣٧.

(١١) الطبري، ج٣، ص ١٨٥، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠ .

(١٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٢٨ .

(١٣) البلاذري، ص١١٤، الطبري، ج٣، ص ٢٢٩ .

(١٤) الطبري، ج٣، ص ٢٣٠، عصام الفقي، ص ٣٨ .

(١٥) البلاذري، ص ١١٣، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠ .

وعين الأسود العنسي بدلاً منهم عمالاً أكثرهم من السروات، مثل عمرو بن معديكرب على مذحج[(١)]، وولّى قيادة الجيش قيس بن عبد يغوث وكان نائبه أيضاً، [(٢)] وكان أكثر قادة جيشه من قبائل السراة مثل يزيد بن حصين الحارثي، ويزيد بن الأفكل الأزدي[(٣)].

وبعد وفاة الرسول ﷺ تولى أبو بكر الصديق الخلافة سنة (١١هـ/٦٣٢م) [(٤)]، وسار في إدارة بلاد نجران وتهامة والسراة نفس سيرة الرسول ﷺ[(٥)]، وقسم هذه البلاد إلى عدة مخاليف هي: الطائف، وخولان[(٦)]، وزبيد[(٧)]، ورمع[(٨)]، ونجران[(٩)]،وجرش[(١٠)] ،وأبقى أيضاً على العمال الذين استعملهم الرسول ماعدا العمال الذين رفضوا أن يعملوا لغير رسول الله ﷺ[(١١)] مثل عمرو بن حزم، فعهد أبو بكر الصديق إلى جرير بن عبد الله البجلي ولاية نجران[(١٢)]، وعند رفض صرد ولاية جرش بعد وفاة الرسول ﷺ عهد أبو بكر إلى عبد الله بن ثور أحد بني الغوث بحكم جرش[(١٣)].

٢ـ الإدارة في العهد الأموي:

أما إدارة أرض نجران وتهامة والسراة في العهد الأموي، فقد بلغت الدولة الإسلامية أقصى اتساعها في ذلك العصر، فكانت تنقسم إلى ست ولايات كبرى[(١٤)].وبلاد نجران وتهامة والسراة ضمن ولاية الحجاز واليمن وأواسط بلاد العرب[(١٥)]، وتعد مكة هي مركز هذه الولاية، وتتبعها قرى ومدن السراة مثل: تربة، وقرن المنازل[(١٦)]، وبيشة، وتبالة،

---

(١) الأصفهاني، ج١٤، ص ٢٧، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠.

(٢) الطبري، ج٣، ص ٢٣٠.

(٣) الطبري، ج٣، ص ٢٣٠.

(٤) زين الدين عمر بن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، ص ٢١٥.

(٥) السيد عبد العزيز سالم، ص١٨٧، محمد كرد علي، ج٢، ص ١٠٧.

(٦) محمد كرد علي، ص١٠٧، أحمد رمضان أحمد، ص ١٣٧، وذكر القلقشندي أن خولان بطن من كهلان من القحطانية، وهم بنو خولان بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان. القلقشندي، ص٢٤٨.

(٧) محمد كرد علي، ص ١٠٧، أحمد رمضان أحمد، ص ١٣٧.

(٨) محمد كرد علي، ص١٠٧، أحمد رمضان، ص ١٣٧.

(٩) محمد كرد علي، ص ١٠٧، أحمد رمضان أحمد، ص ١٣٧.

(١٠) محمد كرد علي، ص ١٠٧، أحمد رمضان أحمد، ص ١٣٧.

(١١) محمد كرد علي، ص ١٠٧، أحمد رمضان أحمد، ص ١٣٧.

(١٢) الطبري، ج٣، ص ٣٧٢، يحيى بن قاسم، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص٧٥، فاطمة مصطفى عامر، ص٣٧.

(١٣) ابن سعد، ج١، ص٣٢٨، الطبري، ج٣، ص ٣٧٢.

(١٤) ذكر أحمد رمضان أن الدولة الإسلامية في عهد الدولة الأموية كانت مقسمة إلى ست ولايات هي: (١) الحجاز (٢) اليمن وأواسط بلاد العرب. (٣) مصر. (٤)ولاية الشام. (٥) ولاية الجزيرة. (٦) شمال إفريقيا وبلاد الأندلس وجزيرة صقلية. انظر: أحمد رمضان أحمد، ص ١٣٧.

(١٥) أحمد رمضان أحمد، ص ١٣٧.

(١٦) قرن المنازل: هو ميقات أهل نجد وقال الحسن بن محمد المهلبي قرن بينها وبين مكة أحد وخمسون ميلاً، وهي ميقات أهل اليمن انظر: ياقوت، معجم البلدان ٢، ج٤، ص ٣٣٢.

وجرش حتى نجران [١]، بالإضافة إلى بعض المخاليف التهامية [٢]، ويذكر البكري إلى أن عك تعد من مخاليف مكة التهامية.

ومن أشهر الولاة الذين تولوا بعض مخاليف السراة في العصر الأموي، الحجاج بن يوسف الثقفي[٣]، وخالد بن عبد الله القسري، ويشير البكري ، وأول عمل وليه الحجاج هي تبالة، فقيل إنه لما قرب منها قال للدليل : أين هي ؟ قال: تسترها عنك هذه الأكمة، فقال : أهون عليّ العمل ببلدة تسترها عني أكمة، وكر راجعا [٤]، والملاحظ أن تبالة لم تكن بهذا الحد من الصغر والهوان حيث ذكر الأزرقي أن وادي تبالة يحتوي على ثلاثين قرية[٥] .

ولعل أشهر من تولى مخلاف مكة الذي ينتظم في رحابه مخاليف نجران وتهامة والسراة في العصر الأموي[٦]، من أبناء السروات هو خالد بن عبد الله القسري[٧]، أحد أبناء الملوك القسر[٨]، فقد استعمله سليمان بن عبد الملك على مكة سنة (٩٦هـ/٩١٥م)[٩]، وذكر الأزرقي أن سليمان كتب إلى خالد القسري يريد الحج، وأمره أن يستخرج له عيناً من الماء العذب بدلا من زمزم[١٠]، فعمل خالد ما أمر به[١١]. وكان منصب أصحاب الشرطة من نصيب قبائل اليمن والسروات طوال العصر الأموي من (٤٠-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠هـ)[١٢]، وقبيلة عنس [١٣]، من أهم القبائل اليمنية السروية التي احتكرت هذا المنصب . ويذكر ابن حبيب أن معاوية بن أبي سفيان استعمل على الشرطة يزيد بن الحر العنسي[١٤]، وعندما استخلف يزيد بن معاوية سنة (٦٠هـ/٦٨٠م)[١٥]، أبقى

---

(١) البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج١، ص ٦٦٠ .

(٢) انظر، البكري، ج١، ص ٧٩٥ .

(٣) الحجاج بن يوسف الثقفي : هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب وأخوه محمد بن يوسف، وبنو الحجاج محمد، وعبد الله، وأبان، وسليمان، وللحجاج عقب بالبصرة ودمشق ومن ولده كان عمر بن عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف ولي بعض الولايات أيام الوليد بن يزيد . انظر: ابن حزم، ص ٢٦٧ .

(٤) انظر : البكري، معجم، ج١، ص ٣٠١ .

(٥) الأزرقي : أخبار مكة، ج١، ص ٣٨٥ . وللمزيد عن تاريخ وحضارة تبالة انظر: غيثان بن جريس "تبالة وأهميتها التاريخية والحضارية خلال القرون الإسلامية الأولى" بحث منشور في مداولات اللقاء العلمي السنوي الثامن لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي المنعقد في دولة البحرين (١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م)، ص ١٧٩ - ٢١٥ .

(٦) البكري، ج١، ص ٣٠٨ .

(٧) القسري : هذه النسبة إلى قسر وهو ابن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمر بن الغوث أخي أسد. السمعاني : الأنساب، تعليق عبد الله عمر البارودي، ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط (١٩٨٨م)، ج٤، ص ٣٩٧ .

(٨) الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج١، ص ٣٠١ .

(٩) الأزرقي، ج٢، ص ١٠٧ .

(١٠) المصدر نفسه .

(١١) المصدر نفسه .

(١٢) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ٢٧٠ .

(١٣) عنس : هم بني عنس بن مالك بن أدد بن يزيد بن يشجب بن زيد بن كهلان وإليهم ينسب الأسود العنسي، القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط دار الكتب الإسلامية سنة ١٩٨٠م، ص ٣٧٩ .

(١٤) ابن حبيب، كتاب المحبر، ص ٣٧٣ .

(١٥) الطبري، ج٥، ص ٣٢٢، علي إبراهيم حسن، ص ٢٧٢ .

يزيد بن الحر العنسي على الشرطة[١]، ولما تولى عبد الملك بن مروان سنة (٦٤هـ/٦٨٣م) استعمل على الشرطة كعب بن حامد العنسي واستمر في عمله واليا للشرطة في عهد الخليفتين الوليد بن عبد الملك[٢]، وسليمان بن عبد الملك[٣]، وفي عصر الخليفة عمر بن عبد العزيز عُزل من منصبه[٤]، وعندما ولي هشام بن عبد الملك الخلافة سنة (١٠٥هـ/٧٢٤م)[٥]، أقر كعب بن حامد العنسي على الشرطة أكثر من عشر سنوات حتى مات كعب، فجعل مكانه يزيد بن يعلى العنسي حتى مات هشام[٦]، وهكذا استمر أبناء السروات واليمن مسيطرين على وظيفة صاحب الشرطة خلال العصر الأموي.

٣. الإدارة في العهد العباسي الأول:

أما نجران وتهامة والسراة في العصر العباسي، فلم تختلف عن العهد الأموي، بينما تحسن وضع النجرانيين في عهد الخلفاء العباسيين الأوائل وصاروا يدفعون ما هو مقرر عليهم إلى بيت المال بالعاصمة دون وساطة عمال[٧]، ويرجع ذلك التحسن إلى صلة القرابة بين بني عبد المدان والخليفة العباسي الأول أبي العباس السفاح الذي بويع بالخلافة سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م)[٨]، وذكر ابن خلدون أن زياد بن عبد المدان هو خال السفاح[٩]، وولاه أبو العباس السفاح نجران[١٠]. ويذكر ابن حبيب إلى أن أم العباس هي ريطة بنت عبيد الله بن عبد المدان بن الديان[١١]، احد بني الحارث بن كعب من نجران، وقد بلغ أبناء السروات شأوا عظيما في العهد العباسي الأول، والدليل على ذلك أن عددا كبيرا منهم تولى المناصب العليا، مثل زياد بن عبيد الله الحارثي فقد استعمله أبو العباس السفاح على الحج سنة (١٣٣هـ/ ٧٥٠م)[١٢]، وفي العام نفسه استعمل على اليمن محمد بن زيد بن عبد المدان الحارثي، ولكن سوء سيرته أثارت عليه سخط أهل صنعاء[١٣]، وكان أخوه نائبا على

---

(١) ابن حبيب، ص ٣٧٣.

(٢) ابن حبيب، ص ٣٧٣.

(٣) ابن حبيب، ص ٣٧٣.

(٤) ابن حبيب، ص ٣٧٣.

(٥) علي إبراهيم حسن، ص ٢٧٠.

(٦) ابن حبيب، ص ٢٧٤.

(٧) البلاذري، ٧٩.

(٨) ابن الأثير، ج٤، ص ٣٢٢، نبيلة حسن: تاريخ الدولة العباسية، ط دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م، ص ٩١، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ط العاشرة مكتبة النهضة المصرية، ج٢، ص ٢١.

(٩) ابن حزم، ص ٤٧٧.

(١٠) ابن خلدون، ج٢، ص ٩٦.

(١١) ذكر ابن حبيب أن أم ريطة بنت عبيد الله، وأمها حسناء بنت سعيد بن زيد بن الأسود بن المحجل بن حزن بن مؤالة ،وأمها هي أم يزيد بنت يزيد بنت عابس بن نباتة بن زيد بن الضباب، وأمها هي فاطمة بنت العتير بن ربيعة بن معاوية بن صلاة بن المعقل بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب. ابن حبيب ،المحبر، ص ٣٢، ٣٣.

(١٢) ابن الأثير، ج٤، ص ٣٤١، يحيى بن قاسم، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص ١٢٨.

(١٣) ذكر يحيى بن قاسم أن محمداً بن زيد الحارثي أحدث في صنعاء أعمالاً قبيحة منها أنه هم بإحراق المجذومين وجمع الحطب لإحراقهم فهلك قبل ذلك، انظر: يحيى بن قاسم، ص ١٢٩.

عدنٍ، وعندما علم أبو العباس بموتهما بعث عليٍ اليمن عبد الله بن مالك الحارثي عاملا فلبث أربعة أشهر ثم عزله [١]، وولى بدلا منه علي بن الربيع بن عبد المدان ومكث أربع سنوات وعدة أشهر [٢]، وتوفي أبو العباس سنة (١٣٦هـ/ ٧٥٣م) [٣]، واستخلف المنصور.

ويعتبر عهد المنصور امتداداً لعهد أبي العباس السفاح من ناحية تولي أبناء اليمن والسروات المناصب العليا، مثل بني الحارث بن كعب في نجران[٤]، وقد استعمل أبو جعفر المنصور على اليمن عبد الله بن الربيع الحارثي فأقام مدة ثم سار إلى المنصور واستخلف ولده[٥]. ولم يكن تولي المناصب قاصرا على قبيلة بني الحارث بن كعب النجرانية بل كان يتمتع بها العديد من قبائل السروات مثل بجيلة وبطونها المتنوعة، والدليل على ذلك أن أبا جعفر المنصور استعمل محمد بن خالد بن عبد الله القسري على المدينة [٦]، ومن قبيلة بجيلة من تولى منصب القضاء في الدولة العباسية مثل " الحسن بن عمارة بن مضرب البجلي وهو قاضي بغداد أيام المنصور[٧].

وقد استطاع أبو جعفر المنصور التخلص من أبي مسلم الخراساني عن طريق جرير بن زيد البجلي[٨]، الذي استطاع أن يقنع أبا مسلم بضرورة مقابلة الخليفة[٩]، وقد تمكن جرير البجلي، وكان أوحد زمانه في المكر والخداع والدهاء، فقال للخراساني " أيها الأمير ضربت الناس عن عرض لأهل هذا البيت، ثم تنصرف على هذه الحالة، ما آمن أن يعيبك من هنالك ومن هاهنا ،وأن يقال طلب بثأر قوم ثم نقض بيعتهم فيخالفك من تأمن مخالفته إياك، وأن الأمر عن خليفتك ما تكره، ولا أرى أن تنصرف على هذه الحالة" وساعده عيسى بن موسى حتى ضمن له الوفاء من المنصور [١٠].

وتوفي الخليفة المنصور سنة (١٥٨هـ/ ٧٧٤م) [١١]، واستخلف ابنه المهدي[١٢]، واستعمل الخليفة المهدي على اليمن وجزءاً من السروات الجنوبية يزيد بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي سنة (١٦٣هـ/ ٧٧٩) [١٣]، وذكر يحيى بن قاسم أنه عندما أصاب

---

(١) ابن الأثير، ج٤، ص ٣٤٤، يحيى بن قاسم، ص ١٢٩ .
(٢) يحيى بن قاسم، ص ١٢٩ .
(٣) ابن حبيب، ص ٣٤، ابن الأثير، ج٤، ص ٣٤٦، بدر عبد الرحمن، دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص١٩ .
(٤) ابن الأثير، ج٤، ص ٣٤٧ .
(٥) يحيى بن قاسم، ص ٣٦ .
(٦) ابن الأثير ج٤، ص ٣٤٧ .
(٧) أبو يوسف، الخراج، ص ١٦٩ .
(٨) بدر عبد الرحمن، دراسات في تاريخ الدولة العباسية، ص ٢٨ .
(٩) المرجع نفسه، ص ٢٨ .
(١٠) المرجع نفسه، ص ٢٨ .
(١١) ابن حبيب، ص ٣٦، نبيلة حسن، ص ١٤٢ .
(١٢) المهدي : هو محمد بن عبد الله بن المنصور . ابن حبيب، المحبر، ص ٣٦ .
(١٣) يحيى بن قاسم، ص ١٣٦ .

الاضطراب بلاد اليمن في عهد الخليفة الهادي بعث إليها الربيع بن عبد الله الحارثي[١]، ولكن تغلب عليه أهل صنعاء فعزله [٢]، واستعمل إبراهيم بن سليمان الباهلي[٣]، وهو أحد أبناء قبيلة باهلة في بلاد السروات[٤]، وعندما تولى هارون الرشيد الخلافة سنة (١٧٠هـ/٧٨٦م) [٥]، بعث إلى أجزاء من السروات ونجران ثم اليمن الربيع بن عبد الله بن المدان الحارثي عاملاً عليها[٦]، ويجب ألا نغفل أن تولي بني الحارث بن كعب المناصب العليا في الدولة العباسية لا يعود إلى صلة القرابة بينهم وبين الخلفاء العباسيين بل يعود إلى كفاءتهم [٧]، فقد كانوا سادة اليمن وملوك نجران[٨].

٤ ـ إدارة نصارى نجران في القرنين الأولين من عصر الإسلام:

بلغ نصارى نجران درجة عالية من التنظيم الإداري، مما ظهر في توزيع المناصب التي انعكست بوضوح في تكوين وفدهم الذي زار الرسول ﷺ في المدينة[٩]، للقاء رسول الله، ويضم هذا الوفد ستين رجلاً[١٠]،من بينهم أربعة عشر من أشراف نصارى نجران وسادتهم[١١]،ومن بين هؤلاء ثلاثة يؤول إليهم أمرهم فهم أصحاب الشأن والأمر والنهي بأيديهم وهم: **الأول:** العاقب واسمه عبد المسيح وكان أمير القوم[١٢]، وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيه. **والثاني:** ثمالة، وصاحب رحلهم ومجتمعهم[١٣] ويسمى الأيهم [١٤]، **والثالث:** أبو حارثة بن علقمة[١٥]، وكان أسقفهم ورئيسهم الديني، ويعلمهم أمور هذا الدين، كما كان صاحب مدارسهم[١٦].

وكان النظام الإداري في نجران يختلف عن النظام الإداري في بقية مخاليف نجران

---

(١) يحيى بن قاسم، ص ١٣٦.

(٢) يحيى بن قاسم، ص١٣٦.

(٣) يحيى بن قاسم، ص ١٣٦.

(٤) باهلة: قبيلة من قيس عيلان سمو باسم أمهم باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة بن مذحج. انظر: حسين بن علي، اليمن الكبرى، ص ١٦٣.

(٥) نبيلة حسن، ص ١٦٦.

(٦) نبيلة حسن، ص ١٦٦

(٧) الهمداني، الإكليل، ج١، ص ١٣٢.

(٨) فاطمة مصطفى عامر، ص ١٢.

(٩) ابن هشام، ج٢، ص ١٥٨، الطبري، ج٣، ص ١٢٧. البلاذري، ص٧٥، ابن خلدون، ج٢، ص٥٧، عون الشريف، نشأة الدولة الإسلامية، ص ١٢٧.

(١٠) ابن هشام، ج٢، ص ١٥٨، ابن كثير، ج٥، ص ٥٦.

(١١) ابن سعد، ج٣، ص ٣٥٧، ابن كثير، ج٥، ص ٥٦. جواد علي، ج٣، ص ٥٣٧.

(١٢) ابن خلدون، ج ٢، ص ٥٧.

(١٣) ابن هشام، ج٢، ص ٥٧٥. أحمد أمين، فجر الإسلام، الطبعة الثانية عشرة ١٩٧٨م، ص ٢٦.

(١٤) ابن هشام، ج٢، ص٥٧٥، ابن كثير، ج٥، ص ٥٦.

(١٥) ابن هشام، ج٢، ص ١٥٨.

(١٦) ابن هشام، ج٢، ص ١٥٨، أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ٢٦.

وتهامة والسراة، وفي هذا الصدد يشير ابن هشام إلى أن عاقب [١] نجران كان من كندة[٢]، وأن أسقفها أبو حارثة بن علقمة[٣] كان من بكر بن وائل[٤]. ونخلص من ذلك إلى أن الرئاسة عند نصارى نجران لم تكن تتبع العرف القبلي في الزعامة، وإنما كانت عن اختيار، بينما كان الأمر على العكس تماما في بلدان نجران وتهامة والسراة، فقد كانت وراثية متمثلة في شيخ القبيلة وليس هناك اختيار[٥].

ويذكر البلاذري أنه لما تولى أبو بكر الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ جدد العهد لأهل نجران وكتب لهم عهده وكان متضمنا كتاب رسول الله لهم [٦]. وذلك نص كتاب أبي بكر " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب به عبد الله أبو بكر خليفة محمد النبي رسول الله ﷺ لأهل نجران أجارهم بجوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله ﷺ على أنفسهم، وأرضهم وملتهم، وأموالهم وحاشيتهم وعباداتهم وغائبهم وشاهدهم، وأساقفهم ورهبانهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ولا يحشرون ولا يعشرون، ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، وفاءً لهم بكل ما كتب لهم محمد النبي ﷺ، وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله وذمة النبي ﷺ، أبداً وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق[٧]. وكان يتولى أمر نجران في عهد أبي بكر جرير بن عبد الله البجلي[٨].

ثم تغير وضع نصارى نجران في عهد عمر بن الخطاب، فأجلاهم عن بلادهم، واشترى منهم أرضهم وعقارهم فخرجوا إلى النجرانية بالعراق[٩]، ويرجع موقف الخليفة عمر من نصارى نجران إلى عوامل متنوعة منها مشاركتهم في حرب الردة، نستدل على ذلك من نص كتاب عمر بن الخطاب إليهم "بسم الله الرحمن الرحيم من عمر بن الخطاب إلى أهل رعاش[١٠]، كلهم أما بعد: فإنكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم بعد، وأن من يتب ويصلح لا يضره ارتداده ونصحبه صحبة حسنة، فاذكروا ولا تهلكوا، ويبشر

---

(١) العاقب : يذكر علماء اللغة أن العاقب من كل شيء آخره، والعاقب السيد، وقيل الذي دون السيد، وقيل الذي يخلف من كان قبله، وهي لفظة عربية جنوبية، وردت في المسند بمعنى (رئيس) وممثل القوم، أي رسول القوم فوردت (عقبت نشقم) أي رئيس المدينة، ونشق بمعنى ممثل المدينة . جواد علي، ج٦، ص ٦١٨ .

(٢) ابن خلدون، ج٢، ص ٥٦ .

(٣) أبو حارثة بن علقمة: كان رجلاً من العرب من بكر بن وائل ولكن دخل في دين النصرانية فعظمته الروم وشرفوه، وبنوا له الكنائس ومولوه لما يعرفون من صلابته في دينهم، وكان مع ذلك يعرف بأمر رسول الله ﷺ ولكن صده الشرف والجاه عن اتباع الحق، ابن كثير، ج٥، ص ٥٦ .

(٤) ابن هشام، ج٢، ص ١٥٨ .

(٥) للمزيد عن تاريخ نجران وبخاصة النصارى والنصرانية فيها قبل وأثناء ظهور الإسلام، انظر: غيثان بن جريس. نجران : دراسة تاريخية حضارية (ق١-ق٤ هـ / ق٧-ق ١٠م) (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ/٢٠١٣م) . ج١، ص٧٤ وما بعدها .

(٦) البلاذري، ص ٧٧، ابن الأثير، ج٢، ص ٢٠٠ .

(٧) أبو يوسف، الخراج، ص ١٩١، ١٩٢، الطبري، ج٣، ص ١٢٩ .غيثان بن جريس، نجران، ج١، ص٩٦ .

(٨) البلاذري، ص ٧٧، فاطمة مصطفى عامر، ص ٣٧ .

(٩) أبو يوسف، ص ١٩٥، البلاذري، ص ٧٧ . عون الشريف، ص ٣١٣، فاطمة مصطفى، ص ٣٧ .

(١٠) رعاش : هو موضع من أرض نجران، البكري، معجم، ج١، ص ٦٦٠ .

من أسلم منكم، فمن أبى إلا النصرانية، فإن ذمتي بريئة ممن وجدناه بعد عشر تبقى من شهر الصوم من النصارى بنجران، أما بعد: فإن يعلى، كتب يعتذر، أن يكون أكره أحد منكم على الإسلام، وقد أمرت يعلى أن يأخذ منكم نصف ما عملتم من الأرض، وإني لن أريد نزعها منكم ما أصلحتم "[١] . واستمر وضع النجرانيين على ما أقره عمر بن الخطاب[٢]، حتى كانت خلافة عثمان ابن عفان سنة (٢٣هـ/٦٤٣م) [٣]، الذي عطف عليهم وقرر تخفيض ما عليهم من خراج[٤]، وكتب إلى الوليد بن عقبة عامل الكوفة قائلاً : " أما بعد، فإن العاقب، والأسقف، وسراة نجران أتوني بكتاب رسول الله ﷺ وأروني شروط عمر، وقد سألت عثمان بن ضيف عن ذلك، فأنبأني أنه كان قد بحث عن أمرهم فوجده ضاراً للدهاقين لردعهم عن أرضهم، وأني قد وضعت عنهم جزيتهم مئتي حلة لوجه الله، وعقبى لهم في أرضهم، وأني أوصيك بهم، فإنهم قوم لهم ذمة "[٥] .

ولما آلت الخلافة لعلي بن أبي طالب سنة (٣٥هـ/٦٥٠م) [٦]، تطلع النجرانيون إلى العودة إلى بلادهم الأولى في نجران، وسألوا الخليفة تحقيق ذلك وقالوا " شفاعتك بلسانك، وكتاب بيدك أخرجنا من أرضنا، فردها إلينا ضيعة [٧]، فأنكر الإمام طلبهم وقال لهم " ويلكم، إن عمر كان رشيد الأمر، فلا أغير شيئاً صنعه عمر "[٨] .

وقد حافظ الإمام علي بن أبي طالب على عهود من سبقه لنصارى نجران، ويتضح ذلك من كتابه لهم " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبد الله علي بن أبي طالب، أمير المؤمنين لأهل النجرانية أنكم أتيتموني بكتاب من نبي الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر فمن أتى عليهم من المسلمين فليف لهم، ولا يضاموا، ولا يظلموا[٩] .

أما في العهد الأموي، فقد أخذ وضع النجرانيين يتغلب تبعاً لأهواء الخلفاء والولاة، فكان هناك من يرق لحالهم ويخفف عنهم وطأة الجزية[١٠]، بينما كان هناك آخرون

---

(١) البلاذري، ص ٧٧ .

(٢) البلاذري، ص ٧٧، ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٦٩ .

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص ١٥ .

(٤) القاضي أبو يوسف، الخراج، ص ١٤٩، ياقوت، ج٥، ص ٢٧ .

(٥) أبو يوسف، المصدر نفسه، ص ١٩٤، البلاذري، ص ٧٧ .

(٦) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ٢٦٠ .

(٧) أبو يوسف ، المصدر نفسه، ص ١٩٥، البلاذري، ص ٧٨ .

(٨) أبو يوسف، ص ١٩٥، البلاذري، ص ٧٨ .

(٩) أبو يوسف، ص ١٩٥، البلاذري، ص ٧٨ .

(١٠) الجزية :قال الله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ والجزية هي: الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالاً، والمعنى حتى يعطوا الخراج عن رقابهم، وأن الجزية وضعت إذاً للكفار، وليس أجرة عن سكن الدار، ولو كانت أجرة لوجبت على النساء والصبيان والعميان، ولو كانت أجرة لكانت مقدرة المدة كسائر الإجارات، ابن القيم : أحكام أهل الذمة، ص ٢٢-٢٥ .

يزيدون عليهم ذلك "[١]. ففي عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، رأى النجرانيون أن يتقربوا إليه، فتقدموا بشكواهم [٢]، بعد أن نقص عددهم، واعتنق الكثير منهم الإسلام، وأخبروه بموقف الخليفة عثمان بن عفان، وسألوه أن ينقص جزيتهم كما فعل، فاستجاب لرغبتهم وأسقط عنهم مائتي حلة[٣]. وتذكر بعض المصادر التاريخية أن بعض الولاة لم يلتزموا بالقواعد الشرعية للمعاملة المالية التي حددها الرسول، مثل: محمد بن يوسف الثقفي الذي تولى اليمن من قبل عبد الملك بن مروان فقد أخذ محمد بن يوسف بعض بلدان نجران وتهامة والسراة لنفسه[٤]، وقرر عليهم خراجا، أي جعلها خراجية لا عشرية، وعندما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة سنة (٩٩هـ/٦١٧م[٥]، كتب إلى عامله على اليمن يستنكر ما قام به ويأمره[٦] الالتزام بالقواعد الشرعية في المعاملة المالية لأهل اليمن [٧].

وعلى الجانب الآخر تعرض النجرانيون لضغط بعض الولاة الأمويين مثل الحجاج بن يوسف الثقفي، والي العراق، فقد اتهم النجرانيون بالثورة والانضمام إلى حركة عبد الرحمن بن محمد الأشعث، فزاد في جزيتهم، انتقاما منهم، فبلغت آنذاك ألفا وثمانمائة وقيل ألف وثلاثمائة حلة [٨]، بينما لمس النجرانيون في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز التسامح والعدل، فشكوا إليه فناءهم ونقصان عددهم، وقيام الأعراب بالغارات عليهم وتحميلهم بكثير من الأعباء المجحفة بهم، وما كان من ظلم الحجاج بن يوسف الثقفي لهم [٩].

وكان وضع النجرانيين يتميز بالتقلب تبعاً لأهواء الخلفاء والولاة الأمويين خاصة في عهد الحجاج ابن يوسف الثقفي، والوليد بن عبد الملك، ثم تميز وضعهم بالاستقرار في عهد الخلفاء العباسيين الأوائل، لهذا استقبلوا الخليفة العباسي الأول أبا العباس السفاح بالورود والرياحين ونثروها عليه وهو منصرف إلى منزله من المسجد[١٠]، فكان ذلك من دواعي إعجابه بهم [١١]، وقد توثقت العلاقة أكثر عندما

---

(١) فاطمة مصطفى عامر، ص ٤١ .

(٢) عون الشريف، ص ١٣٠ .

(٣) البلاذري، ص ٧٨، عون الشريف، ص ١٣٠ .

(٤) البلاذري، ص ٨٤، عصام الفقي، ص ٢٦٥

(٥) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ٣٣٧ .

(٦) يروى أنه كان من أوامر عمر بن عبد العزيز لعامله " فدع ما أنكرت وخذ ما عرفت من الحق فإن الله يعلم أنك إن لم تحمل إليّ من اليمن إلا حفنة من كتم أحب إليّ من إقرار هذه الوظيفة ". البلاذري، ص ٨٤، عصام الفقي، ص ٢٦٦.

(٧) البلاذري، ص ٨٤، عصام الفقي، ص ٢٦٦ .

(٨) البلاذري، ص ٧٨، ابن الأثير، ج٢، ص ٢٠١، عون الشريف، نشأة الدولة الإسلامية، ص ١٣٠ .

(٩) البلاذري ص٧٨، فاطمة مصطفى عامر، ص ٤٢ ، ذكر الشريف أن عمر بن عبد العزيز حدد الجزية بمائتي حلة، وكانت قيمتها (١٨٠٠) درهم " عون الشريف قاسم، ص ١٣٠ .

(١٠) ذكر جرجي زيدان أن الجزية المقررة على نصارى نجران كانت ديناراً، ولكن عندما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة، اعتبر المبلغ قليلاً وبعث إلى عامله فأحصى الرؤوس، وجعل الناس كلهم عمالاً بأيديهم وحسب ما يكسب العامل في السنة كلها ثم طرح من ذلك نفقته في طعامه وأدمه وكسوته وطرح أيام الأعياد في السنة كلها، فوجد بعد ذلك في السنة لكل واحد أربعة دنانير فألزمهم ذلك جميعاً ". جرجي زيدان : مؤلفات جرجي زيدان الكاملة، ط بيروت، سنة (١٩٨٢م)، ج١١، ص٣٥٧.

(١١) البلاذري، ص ٧٩ .

ذكروا له أن بينهم نسباً في أخواله بني الحارث بن كعب، وصدقهم الحجاج بن أرطأة فيما ادعوا [١]، وذكر ابن حبيب أن أم العباس هي ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان أحد بني الحارث بن كعب من نجران [٢]. وعندما شكا النجرانيون إلى أبي العباس السفاح ما أصابهم في العهد الأموي، فردهم أبو العباس إلى مائتي حلة قيمتها ثمانية آلاف درهم[٣].

وقد بلغ وضع النجرانيين أقصاه في عهد هارون الرشيد، وفي هذا الصدد ذكر البلاذري [٤]، أنه عندما استخلف هارون الرشيد اتجه إلى الكوفة، موضع النجرانيين، يريد الحج، فشكوا إليه تعنت العمال ضدهم فكتب لهم كتاباً بالمئتي حلة، وأمر أن يعفو من معاملة العمال" وصاروا يدفعون ما هو مقرر عليهم إلى بيت المال بالعاصمة دون وساطة [٥]، كما تطور وضع نصارى نجران تطوراً إيجابياً لصالحهم، ونستدل على ذلك مما ذكره عصام الفقي، من أن نصارى نجران الذين هاجروا من بلاد اليمن، سرعان ما عادوا إليها وهم من بني الحارث بن كعب، في أوساط العصر العباسي[٦]، وامتلكوا الضياع واشتغلوا بالتجارة وكونوا الثروات الكبيرة[٧].

ثالثاً: صفحات من مظاهر الحياة الاقتصادية:

١- الزراعة:

عرفت أوطان نجران وتهامة والسراة الزراعة منذ فجر تاريخها، بدليل حادث الفيل[٨]، إذ لا يمكن أن تسير الفيلة من صنعاء إلى مكة [٩] مارة بالسروات دون أن يكون فيها زراعة تكفي لغذائها الكثير، والثابت أن نجران وتهامة والسراة امتداد لبلاد اليمن، وهي صاحبة حضارة عريقة لم ينقطع أهلها عن الاهتمام بالزراعة[١٠]. وتدخل أرض نجران وتهامة والسراة ضمن ما يسمى ببلاد العرب السعيدة، بسبب أمطارها الوفيرة، والثروة النباتية على جبالها وأوديتها[١١].

---

(١) البلاذري، ص ٧٩.
(٢) ابن حبيب، ص ٣٢.
(٣) البلاذري، ص ٧٩.
(٤) البلاذري، ص ٧٩.
(٥) البلاذري، ص ٧٩.
(٦) عصام الفقي، اليمن في ظل الإسلام، ص ٢٨٩.
(٧) عصام الفقي، المرجع نفسه، ص ٢٨٩.
(٨) محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ط دار الكتب العلمية بيروت، ج١، ص ٢٥١، أحمد إبراهيم الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسية، ص ٣٩.
(٩) محمود شكري الألوسي، ج١، ص ٢٥٢، عبد الغني حمادة، مكة المكرمة، ص٥١-٥٢، عابدين، بين الحبشة والعرب، ص ٦٤.
(١٠) عصام الفقي، مظاهر الحضارة الإسلامية في بلاد اليمن، ص ٢٤٤.
(١١) جودة حسنين جودة، شبه الجزيرة العربية، ط دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة (١٩٨٨م)، ص٣٩.

ومقومات الزراعة في نجران وتهامة والسراة متنوعة، ويرجع ذلك إلى العوامل الجغرافية المؤثرة في الظروف الطبيعية التي تؤثر في حياة الإنسان ونشاطه، ولاسيما النشاط الزراعي[١]، وذلك لأن هذه البلاد تقع ضمن المناخ المداري الجاف لغرب القارات[٢]، كما أنها تقع في منطقة الضغط المرتفع المداري شتاءً[٣]، ولوقوع البحر الأحمر في غربها [٤]. كل ذلك أدى إلى أن نجران وتهامة والسراة تتميز بارتفاع درجات الحرارة عامة [٥]. مع الاحتفاظ بالحرارة الدافئة في مناطق متنوعة مثل بيشة[٦].

وأشار جودة حسنين أن وقوع البحر الأحمر في غرب السروات يجعلها أكثر تأثراً بنسبة الرطوبة المرتفعة[٧]، التي تساعد كثيراً على نمو النباتات [٨]، كما تعتبر التربة من العوامل الحاسمة في الإنتاج الزراعي، لأن النبات يمد جذوره بها، ويستمد غذاءه منها، فإذا فقدت بالانجراف، أو إذا كانت خالية من الأملاح اللازمة لغذاء النبات، أو تحوي أملاحاً ضارة بالإنبات استحال وجود النبات فيها[٩].

والتربة هي الجزء المفتت من سطح القشرة الأرضية، والذي خضع لتغيرات كيميائية كبيرة، ويحتوي على المواد العضوية الناتجة عن تحلل المخلفات النباتية والحيوانية، كما يحتوي على العناصر المعدنية اللازمة لتغذية النبات[١٠]. وتنوع التربة من مكان لآخر في نجران وتهامة والسراة فهي في النطاق الساحلي فقيرة، وتتكون غالبا من مفتتات الأصداف

---

(١) عبد الرحمن الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، ج١، ص ٥٩ .

(٢) لأنها تقع بين درجتي (٢٠ ـ ٢٢) شمالاً . جودة حسنين جودة، شبه الجزيرة العربية، ص ٣٩ " وتقع أيضاً بين درجتي (٤٠ – ٥٤) شرقاً، سليمان السيد محمد سليمان، العمران الجبلي في سراة عسير، طبع في نشرة البحوث الجغرافية " نشرة دورية يصدرها قسم الجغرافيا بكلية البنات، جامعة عين شمس العدد : الحادي عشر ـ يناير (١٩٩١م)، ص١٢٧.

(٣) يتميز هذا النوع من المناخ بالتطرف الشديد في درجات الحرارة، ففي النهار تلهب الشمس الأرض بأشعتها، فتشتد الحرارة، ويعظم القيظ، وفي الليل يحدث الإشعاع للحرارة، لهذا يكون الليل بارداً، ويعظم المدى الحراري اليومي والفصلي أيضاً . جودة حسنين جودة : جغرافيا آسيا الإقليمية، الناشر توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية، (١٩٨٥م)، ص ٥٨ .

(٤) عبد الرحمن صادق الشريف، ج١، ص ٦١، جودة حسنين، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص٥٥ .

(٥) عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص٨٣ .

(٦) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ٦١ .

(٧) تكون الرطوبة بصفة عامة مرتفعة في المناطق الساحلية ومنخفضة جداً في المناطق الداخلية لأن البحر الأحمر مصدر الرطوبة، عبد الرحمن صادق الشريف، ج١، ص ٧٥، ٧٦ . ذكر جودة حسنين جودة أن الرطوبة الجوية تساعد على نمو النباتات لأنها تتسبب في تكوين كثير من قطرات الندى على الأسطح الباردة أثناء الليل .جودة حسنين جودة، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص ٣٤ .

(٨) جودة حسنين جودة، ص ٣٤ .

(٩) عبد الرحمن صادق الشريف، ج١، ص ١٦٣ .

(١٠) عبد الرحمن صادق الشريف، المرجع نفسه، ج١، ص ١٦٤ .

والشعاب المرجانية، وأرض رملية خصبة تتخللها السبخات[١]، وتزداد التربة خصوبة بالاتجاه شرقا نحو سفوح السروات[٢]، وفي جوانب الأودية وسهولها ورياضها وعلى المدرجات الجبلية[٣].

ومن أهم أودية السروات التي تتميز بالغنى والخصوبة وادي تبالة [٤]، وهو واد ذو تربة خصبة ويحتوي على ثلاثين قرية[٥] كما أن وادي نجران يشمل أكثر من سبعين قرية [٦]، نظرا لأن نجران تمتاز بغنى أحواضها المائية واتساع المساحات الزراعية[٧]، وأيضا هناك مناطق يضرب بخصوبتها وغناها المثل مثل بيشة[٨]، إلى جانب جيزان التي تتميز أوديتها بالخصوبة[٩]، وهناك وادي ترج الذي يوجد به النخيل ومزارع كثيرة[١٠].

كما أن الماء هو عنصر الحياة الأساسية الذي بغيره لا تكون حياة على سطح الأرض فعلى الماء يعتمد الاستقرار والعمران، وعلى أساسه يقوم النشاط الزراعي، وتعد الأمطار هي المصدر الرئيسي للمياه في بلاد نجران وتهامة والسراة، وتسقط على شكل زخات رعدية في فصلي الربيع والخريف[١١]، وتخضع لتأثير جهات نشطة تنشأ بسبب التقاء كتل هوائية [١٢].

وتدخل أرض السروات ونجران ضمن بلاد اليمن السعيد بسبب غزارة أمطارها[١٣]، وتنشأ أودية عديدة من انحدار المياه عقب سقوط الأمطار مثل وادي تبالة، ووادي تثليث[١٤]، ووادي حبونا ، ووادي بارق، ووادي رنية[١٥]، ووادي تربة[١٦] .

---

(١) ذكر جودة حسنين جودة أن التربة السروية تتألف من حبيبات رملية وطينية وتقل فيها حبيبات السيلت والطين، ونسيج الترييات خفيف إلى متوسط . انظر : جودة حسنين جودة، ص ٩٩ .

(٢) جودة حسنين جودة، المرجع نفسه، ص ٣٣ .

(٣) عبد الرحمن صادق الشريف، ج١، ص ٣٤ .

(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ٢١ .

(٥) الأزرقي، ج١، ص ٣٨٥.

(٦) الهمداني، الإكليل، ج١، ص ١٤ .

(٧) جودة حسنين جودة، ص ٣٣ .

(٨) الهمداني، الإكليل، ج١، ص ١٧٨، فؤاد حمزة، ص ١٦٩ .

(٩) فؤاد هاشم، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص ٢٨٧ .

(١٠) ياقوت، ج٢، ص ٢١ .

(١١) جودة حسنين جودة، شبه الجزيرة العربية، ص ٣٤ .

(١٢) ذكر جودة حسنين جودة أنه عندما تتقابل الرياح الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية يصعد الهواء وتكثر الأعاصير ويغزر المطر . جودة حسنين جودة، جغرافية آسيا الإقليمية، توزيع منشأة المعارف الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص ٢٣٦ .

(١٣) جودة حسنين جودة، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص ٣٩ .

(١٤) وادي تثليث : يبدأ من جبال عسير الجنوبية على حدود اليمن أي من سراة قحطان ويتجه نحو الشمال فيخترق الجزء الشرقي من هضبة عسير، وهنا يلتقي به العشرات من الروافد وبعد أن يمر ببلدة تثليث يتجه نحو الشمال الشرقي إلى أن يلتقي بوادي الدواسر . عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص ٨٩ .

(١٥) وادي رنية : يبدأ من سراة غامد ويتجه نحو الشمال الشرقي فيحاذي حرة البقوم، وعند قرية الروضة ينحني نحو الشرق إلى أن ينتهي عند رغوة قبيل التقائه القديم بوادي بيشة "، عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص ٨٩ .

(١٦) وادي تربة : يوازي وادي رنية، ويقع إلى الشمال الغربي منه وينبع من سراة زهران ويتجه نحو الشمال الشرقي فيحاذي حرة البقوم وحرة نواصيف من جهة الشمال الغربي، كما يحاذي جنوب حرة حضن بالقرب من بلدة تربة " . عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص ٩٠ .

وتتجمع مياه السيول المتكونة من الأمطار في وادي ترج[١] أما نجران فتصب إليه سيول صعدة[٢]، وهمدان وتلتقي في نجران جنوب جبل رعوم[٣]، وتكثر الأمطار أيضاً في جازان، ولكن أكثرها يجلب من آبار في شمال شرق جازان[٤]، وذكر ياقوت أن المياه تكثر أيضاً في وادي بيشة[٥]، كما عرفت مناطق عديدة في السروات بوجود جداول بها مثل : آل فراس[٦]، والأرفاغ[٧]، وجاش[٨] . ومن الجداول الهامة في أرض السراة الرساس [٩]، وثاج[١٠] .

وتتميز أرض السروات ونجران بالمياه الجوفية السطحية، لأنه يتجمع بها نسبة كبيرة من المياه الساقطة على مساحة واسعة من الأراضي المحيطة بتلك الأودية [١١]، ولهذا يتم الحصول على المياه سطحياً أو جوفياً على مدار السنة[١٢] . ويعتمد الري في نجران وتهامة والسراة على مصادر متنوعة منها مياه الآبار [١٣]، أو على مياه واد أو نبع يحتجز وراءه سداً صغيراً لجمعها وتوزيعها بواسطة قنوات، ومن ثم يتمكن الفلاح من توجيه المياه نحو الحقول السفلى عن طريق استخدام السواقي [١٤] . ويمكن القول إن السواقي كانت تنتشر في معظم مدن وقرى السراة ومن أهم القرى التي تكثر فيها السواقي قرية أبي تراب [١٥]، وسميت كذلك بسبب كثرة الرياح والسواقي بها[١٦]، وعندما فتحت اليمن ونجران ودخلها الإسلام اهتم المسلمون بإصلاح طرق الري[١٧]، لتأمين وتحسين أحوالهم الاقتصادية[١٨] .

---

(١) ياقوت، ج٤، ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

(٢) حسين بن علي، اليمن الكبرى، ص ١٧ .

(٣) عبد المنعم العلامي، ص ٤٨ .

(٤) عبد المنعم العلامي، ص ٤٨ .

(٥) ياقوت، ج٣، ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

(٦) آل فراس : في بلاد الأزد، أزد السراة بجبال السراة ويسمون آل فراس لكثرة ثلجها وأنشد فيها أبو ذؤيب الهذلي.

يمانية أجني لها مظ مابد وآل فراس صوب أسقية كحل

(٧) الأرفاغ : " جمع رفغ وهو جبل لبني سلامان وفيه موضع مياه يشربون منه "، البكري، ج١، ص ١٣٨ .

(٨) جاش : هو بلد من ديار مذحج تنتشر فيه الجداول وأنشد في ذلك أبو علي الهجري، البكري، ج١، ص ٣٤٢ .

(٩) الرساس : هو بئر لبني سلامان " البكري، ج١، ص ٣٤٢ .

(١٠) ثاج : ماء لبني الفرع من خثعم من مياه بيشة . البكري، ج١، ص ٣٣٣ .

(١١) عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص ٩٤ .

(١٢) جودة حسنين جودة، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص ٣٩ .

(١٣) الآبار : إذا قصرت مصادر المياه الثابتة أو الناتجة من تجمع مياه الأمطار أو مياه العيون عن تلبية حاجة الإنسان منها، اضطر إلى حفر الأرض للتفتيش عما قد يكون فيها من مياه، وتسود هذه العملية في بلاد السراة، وإن كانت عمليات الحفر تستخدم بالوسائل اليدوية، وهي عمليات مضنية وشاقة، وتكون فوهات الآبار واسعة وتبنى بطرق بدائية، وتسحب منها المياه مستخدمة الحيوانات، وتصب المياه في أحواض، ومنها إلى قنوات ترابية . عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص ١٠٢ .

(١٤) عبد الرحمن صادق الشريف، المرجع السابق، ج١، ص ١٠٢ .

(١٥) أبو تراب : "هو واد في مدينة بيشة يقال له أبو تراب " ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ٥٢٨ .

(١٦) ياقوت، المصدر نفسه، ج١، ص ٥٢٨ .

(١٧) محمد أمين صالح، تاريخ اليمن الإسلامي، ص ٥١ .

(١٨) جواد علي، ج٧، ص ٢٤ .

وإذا بحثنا عن المحاصيل الزراعية، في أرض نجران وتهامة والسراة وجدنا أنماطاً متنوعة من أشجار الجبال المثمرة مثل: النخيل وسائر أنواع الفواكه [١]، وأخرى غير مثمر [٢]، ويعد التمر أهم ما تنتجه أجزاء من بلاد السراة، ويعتمد سكانها على التمر في طعامهم ويستفيدون منذ القدم مما يصدرون من التمر الذي يعتبر ثروة ورأس مال يدر ربحا وفيرا [٣]، وقد ربح أصحاب النخيل أرباحا طائلة من اشتغالهم بزراعة النخيل [٤]، ويزرع النخيل في نواح من نجران وتهامة، وتنتج أنواعا متعددة من التمور [٥]، ويذكر عصام الفقي بأن أهل الجبال ينزلون إلى أجزاء من نجران والسروات عند السفوح الشرقية من بلاد السراة ويقيمون هناك مدة تتراوح ما بين شهرين أو ثلاثة تقريبا لرعاية النخيل، ويقضون هذه الفترة في لهو ومرح وسرور، ويجمعون التمر، ويحصلون من ذلك على ثروة كبيرة تكفي لمعيشتهم طوال العام [٦] .

ويوجد النخيل في مناطق مختلفة من السروات مثل نجران [٧]، وهي من أهم المناطق المشهورة بزراعة النخيل [٨]، فقد عنيت بزراعة النخيل، وكون أهلها بساتين واسعة [٩]، حيث تمتاز بوفرة أحواضها المائية واتساع المساحات الزراعية [١٠]، ويكثر النخيل في بيشة، إذ يذكر بعض المؤرخين أن بيشة تسمى بيشة النخيل [١١]، ولا مبالغة في أقوال المؤرخين حيث تؤكد الأرقام صحة ما جاء في أقوالهم، فيذكر الهمداني " أن عدد النخيل في بيشة حوالي نصف مليون نخلة" والرطب بالإضافة إلى أنواع من التمر التي تزيد على خمسين نوعاً [١٢] .

وترجع كثرة زراعة النخيل في بلاد نجران وتهامة والسراة إلى توافر عناصر المناخ الملائمة له حيث أن الحرارة عالية في بيشة، وهي من مقومات زراعة النخيل، ولولا ذلك ما نجحت زراعة النخيل في أرض بيشة [١٣]، إلى جانب بلاد رنية لأن هذه المنطقة عملت

---

(١) جواد علي، ج٧، ص ٦٨ .

(٢) الشجر غير المثمر: يستعمل حطباً أو في أعمال البناء إذا كان ذا خشب جيد وفي أعمال أخرى " جواد علي، ج٧، ص ٦٦.

(٣) لأن التمر ضرورة يعيش عليها أكثر العرب يأتدمون به ويأكلونه بدلاً من اللحم، وكان الأعراب يأتون أهل الريف بما عندهم من وبر من منتجات البوادي ليبادلوه بالتمر والدقيق بما يحتاجونه إليه في حياتهم البدوية من حاجتهم الضرورية، فكسب أصحاب النخيل أرباحاً طيبة من بيعهم التمور . جواد علي، ج٧، ص ٦٨ .

(٤) عصام الفقي، مظاهر الحضارة الإسلامية في بلاد اليمن، ص ٢٤٤ .

(٥) عصام الفقي، المرجع نفسه، ص ٢٤٤ .

(٦) عصام الفقي، المرجع نفسه، ص ٢٤٤ .

(٧) حسين بن علي، اليمن الكبرى، ص ١١٧ .

(٨) حسين بن علي، المرجع نفسه، ص ١١٧ .

(٩) جواد علي، ج٧، ص ٦٧حسين بن علي : المرجع السابق، ص ١١٧ .

(١٠) جودة حسنين جودة : جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص ٤٠ .

(١١) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ١٦٩ .

(١٢) الهمداني، الإكليل، ج١، ص ١٧٨ .

(١٣) ذكر جواد علي أن من أنواع التمور : الصرفان، والبرني، تمر أصفر مدور من أجود أنواع التمور وقيل: ضرب من التمر، والعمر نخل السكر، والبخون ضرب من التمر والصفري، وقد نعت بأنه سيد التمور، ثم السري ثم اللصف، ثم الفحاحيل ثم المجتنى، ثم الجعادي ثم الشماريخ، ثم الشمرخ ثم البياض، ثم السواد وأنواع أخرى كثيرة " جواد علي، ج٧، ص٧٢.

على امتصاص جزء من مياه الفيضان واختزنتها في الرسوبيات الطبيعية في الطبقات الصخرية المحطمة الواقعة تحتها [١]، فقامت عليها الواحات المليئة بأشجار النخيل[٢]، وهناك نواح عديدة من نجران وتهامة والسراة يتوافر بها أنواع من النخيل[٣] مثل جرش وتربة وزبيد[٤]، التي يحيط بها مجموعة من القرى تزدهر بالنخيل والتي نكثر فيها بساتين الخضر والفاكهة وترويها مياه غزيرة[٥]، وذكر ابن منظور أن مدينة حنذ [٦]، في السروات عرفت بجودة النخيل، وكذلك وادي ترج[٧]، وتمر السراة في بلاد جرش التي تعد من أهم مراكز السروات للاتجار بالتمر وهي تتصل ببيشة عن طريق درب القوافل[٨]. ومن الطبيعي أن يكون النخيل واسع الانتشار في بلاد نجران وتهامة والسراة، لأنه يتحمل الجفاف وكان ـ دائماً ـ يمثل عصب الاقتصاد في تلك البلاد فهو غذاء رئيسي للبدو مع ألبان الإبل والماعز[٩]، وتستخدم أنواعه الرديئة في غذاء الإبل والأغنام والماعز[١٠].

ومن أشهر الحاصلات الزراعية في السراة القمح، ويزرع في المناطق التي يتوفر فيها الماء، وتعد منطقة بيشة من أشهر مناطق زراعة القمح لوفرة مياهها وخصوبة تربتها، وتختص بإنتاج القمح خاصة في القسم المرتفع من واديها [١١]، وذكر فؤاد حمزة أن سكان تلك الأطراف يعتمدون في حياتهم على زراعة الحبوب لذلك سميت بيشة القمح[١٢] وبلغ من كثرة القمح في بيشة أن قيل " لو أن مع بيشة بيشة أخرى لسابت المعيشة " كناية بذلك عن كثرة خيرات وادي بيشة وخصوبته وغناه[١٣]، كما أن نجران تعد من أهم مراكز إنتاج القمح، وكذلك البلاد الممتدة من أرض جرش حتى الطائف[١٤].

ومن الفواكه التي زرعت في نجران والسروات الجوز والتين والرمان وغيره، وينتشر

---

(١) عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص ٤٦٥ .
(٢) المرجع نفسه، ص ٤٦٥ .
(٣) إبراهيم أحمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص ٨٧
(٤) زبيد : هي بنجران وتهامة اليمن في سهل من الأرض ويوجد بها نخل كثير" . شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ط دار المعارف بالقاهرة الهيئة العامة للكتاب، ص ٣٥ .
(٥) عبد المنعم علامي، جغرافية جزيرة العرب، ص ٤٧ .
(٦) حنذ: هو موضع قريب من مكة، من ديار بني سعد، وهو عين ماء وعليه نخل ويقال لذلك الماء حيئذ". ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص ٤٨٥ .
(٧) ابن منظور : المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٨٥ .
(٨) فؤاد هاشم، المرجع نفسه، ص ٢٨٣ .
(٩) جودة حسنين جودة : جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص ١٠٣ .
(١٠) جودة حسنين جودة : المرجع نفسه، ص ١٠٣ .
(١١) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ٥٥ .
(١٢) فؤاد حمزة، المرجع نفسه، ص ٥٥ .
(١٣) الهمداني، الإكليل، ج١، ص١٧٨ .
(١٤) حسين بن علي، اليمن الكبرى، ص ١١٧ .

في السراة معظم أنواع الفواكه [١]، وذكر القلقشندي أنه لا تخلو قرية من قرى نجران وتهامة والسراة ونجران وبلاد اليمن من أشجار ذات فواكه وأكثرها العنب واللوز [٢]. كما بزرع العنب في نواح متعددة من أرض السراة، وكثرت أصنافه، وتعددت أنواعه، ومن أهم أصناف العنب في هذه البلاد العنب التربي [٣] نسبة إلى مدينة تربة [٤]. والعنب الجرشي، نسبة إلى مدينة جرش [٥]، ويتميز بأنه أحمر اللون، وهناك نوع أبيض يميل إلى الخضرة، وعناقيده طويلة وحلو الطعم [٦].

ومن أهم مراكز زراعة العنب في السراة مدينة رنية، وخاصة في قرية بني بشر [٧]، حيث يكثر فيها العنب [٨]، أما الجوز فقد اشتهرت بلاد السروات بزراعته حيث ينبت في السراة والمرتفعات الممتدة من نجران إلى الطائف [٩]، واشتهرت نجران وجبال السراة أيضاً بزراعة الفواكه وبالأخص التين [١٠]، مثل التين الوحشي، أو التين البري، ويكثر وجوده في الجبال والمرتفعات، وعرفت جبال السروات بكثرة وجود هذا النوع من التين [١١].

٢. الحرف والصناعات:

كانت الصناعة محل اهتمام ولاة اليمن ونجران وتهامة والسراة فعملوا على ممارستها وتشجيع العاملين فيها على اعتبار أنها مورد الثروة، ومن أهم الصناعات التي ازدهرت في السروات ونجران صناعة المعادن وقد ساعد على تقدم الصناعات المعدنية في هذه البلاد وجود الأيدي العاملة من أهل البلد أنفسهم [١٢]، والخامات المعدنية خاصة، وتوجد المعادن في مناطق متنوعة من نجران وتهامة والسراة، وآثار لمناجم قديمة فيه [١٣]، وكانوا يستثمرونها في الماضي [١٤]، مثل مناجم النحاس والعقيق في نجران وبعض بلدان السراة [١٥]. كما استخرج أبناء السروات الرصاص من مناجم فهم وخولان [١٦]. والحديد من نجران [١٧].

---

(١) مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص٥.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق نبيل خالد الخطيب، ط دار الكتب العلمية بيروت، (١٩٨٧م)، ج٥، ص ٣٦.

(٣) جواد علي، ج٧، ص ٧٣.

(٤) جواد علي، المرجع نفسه، ج٧، ص ٧٣.

(٥) جواد علي، المرجع نفسه، ج٧، ص ٧٣.

(٦) جواد علي، المرجع نفسه، ج٧، ص ٧٣.

(٧) وادي بني بشر: هو من المواضع القريبة من رنية". الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٢٣.

(٨) الهمداني، المصدر نفسه، ص ١٢٣.

(٩) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٧٥.

(١٠) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٧٥.

(١١) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٧٨، ٧٩.

(١٢) مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص ١٠.

(١٣) جواد علي، ج٧، ص ٥٦٨.

(١٤) جواد علي، المرجع نفسه، ج٧، ص ٥٦٨.

(١٥) السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٩٠.

(١٦) الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج١، ص ٢٠٤. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٩٠.

(١٧) الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٤.

ووجد الذهب في نجران والسروات، وليس أدل على ذلك من أن البكري أشار إلى مواضع عرفت بوجود خام الذهب، حيث كان الناس يجمعون التبر منه، ويستخلصون منه الذهب مثل جبل حليب بأرض الضباب [١] . وذكر الألوسي أن معدن عشم وضنكان في تهامة بهما كميات ذهب جيدة [٢] . ويستدل على كثرة الذهب في السروات من قول جرير بن عبد الله البجلي: " نحن أهل الذهب الأصفر والأحمر [٣] . ونتيجة لوفرة الذهب في نجران وتهامة والسراة وجودته صارت هذه البلاد تتحكم في أسعار الذهب في الجزيرة العربية، ونستدل على ذلك بما ذكره السيد عبد العزيز سالم أنه حينما ظهرت معادن في السراة كان لظهورها أثر في موازين أسعار المعادن النفيسة خاصة الذهب فهبط سعره في العراق والجزيرة [٤]، وكان استخراج المعادن في نجران وتهامة والسراة لا يمكن أن يتم بغير إتقان أبنائها لصنعة الحدادة، وقد استعمل سكان هذه البلاد مناجم الذهب والفضة والحديد، وعثر في بعضها على أدوات استخدمت في إذابة المعدن[٥]، لاستخلاصه من المواد الغريبة العالقة به[٦] . وقد عثر في جبل (تهلل) حول مدينة أبها على أدوات أثرية لإذابة المعادن[٧]، وكانت السلطات الحاكمة تأخذ الخمس من معادن نجران[٨]، مما يدل على أن قبائل السروات كانوا يستغلون مناجم نجران في الإسلام .

ومن الصناعات التي ازدهرت في السراة عند ظهور الإسلام صناعة المنسوجات على اختلاف أنواعها، وكانت جرش من المراكز الكبرى لصناعة المنسوجات[٩]، كما اشتهرت زبيد ونجران وتهامة اليمن بصناعة المنسوجات [١٠]، لجودة صناعتها ونفاسة مادتها، ومن طرائف ما يعمل فيها البرود، وهي منسوجات رقيقة تصنع من الكتان ويدخل في لحمتها بعض المنسوجات الذهبية [١١] ويشير الزبيدي إلى أن البرود النجرانية تتميز بأنها ذات أرضية حمراء وفيها خطوط سود [١٢] وليس أدل على وفرة الحلل النجرانية وجودتها من أن الرسول ﷺ فرض على نصارى نجران ألف حلة في صفر ومثلها في رجب[١٣] . وذكر جواد علي أن الرسول ﷺعندما دفن كفن في ثلاثة أثواب نجرانية[١٤] .

---

(١) البكري، معجم، ج٢، ص ٨٧٥ .

(٢) ذكر الألوسي أن معدن عشم وضنكان هما من مخاليف تهامة " . الألوسي : المصدر السابق، ج٢، ص ٢٠٤.

(٣) الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص٣٠١ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٩٠

(٥) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٦٨ .

(٦) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٦٨ .

(٧) ذكر جواد علي أنهم كانوا يضعون خام الحديد المستخرج من منجمه في فرن مع الخشب والأغصان التي تخالطه، ويعملون على إشعال النار الكافية لإذابة المعدن واستخلاصه من المواد الأخرى التي تجعله هشاً قابلاً للكسر بسهولة، وقد يعالج عدة مرات إن أريد استعماله في السيوف" جواد علي، المرجع السابق،ج٧، ص ٥٦٨ .

(٨) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥١٠ .

(٩) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص٩٢ .

(١٠) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٩٢ .

(١١) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٩٢ .

(١٢) الزبيدي، تاج العروس، ج٣، ص ٣٨٧ .

(١٣) ابن القيم، أحكام أهل الذمة، ص٣٠، أبو يوسف، الخراج، ص١٩٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٥٥ .

(١٤) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٧٨ .

كما اشتهرت جرش بأنها من المراكز الكبرى في صناعة دباغة الجلود[١]، وليس أدل على شهرتها في دباغة الجلود من أنه نسب إليها الأدم المعروف بالأدم الجرشي[٢]، والأديم هو الجلد الذي تمت دباغته، ويدخل في الحرف التي تقوم على تحويل الجلد إلى سلع مثل الأحذية والقباب[٣]، وكانت نجران لا تقل عن جرش في صناعة الجلود، بل كانت تعد أهم مناطق صناعة الجلود في الجزيرة العربية[٤]، إضافة إلى زبيد في تهامة فقد كانت تماثل نجران في صناعة دباغة الجلود[٥]، وتقوم هذه الصناعة على أساس إصلاح الجلد وإبعاد الصوف والشعر والاستفادة منه في أغراض نافعة مثل القرب[٦]، التي يخزن فيها الماء، أو أوعية يحفظ فيها الخمور والسمن والطيب [٧]، وقد استخدم الدباغون مواد مساعدة تعين على التخلص من الصوف والشعر من الجلد بسهولة مثل مادة الجير أو مواد أخرى[٨]، مثل الشب [٩]، ويستعمل الشب في صناعة دباغة الجلود في عموم بلادة السراة [١٠]، الممتدة من نجران إلى الطائف[١١] .

وأشار جودة حسنين إلى أن سكان نجران والسراة صنعوا من منتجات النخيل صناعات متعددة مثل الخوص والليف والخشب والجريد [١٢]، كما استخدم السرويون التمور في صناعة الخل والكحول وعسل التمر والدبس[١٣] .

---

(١) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٧٨ .

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ١٢٦ .

(٣) القباب: هي التي تضرب للملوك والأشراف أمارة على الرئاسة والسيادة وتصبغ جلودها بلون أحمر في الغالب، وغالباً لا يملكها إلا أصحاب الجاه والمال، فكان سادة مكة إذا نزلوا منزلاً ضربوا قباباً من أدم، وكان حكام عكاظ والسادات الذين يحضرون السوق يضربون لهم قباباً، وأما سائر الناس فيضربون لهم بيوت الشعر، وبيوت الشعر أرخص ثمناً من القباب الأدم " جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٣٨ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٩٢ .

(٥) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٧٨ .

(٦) القرب: ذكر جواد علي أنها تعد في ذلك الوقت مهمة جداً في حياة الإنسان، فقد كانت مخازن متحركة يخزن فيها أشياء كثيرة ضرورية، مثل حمل الماء في الحضر وفي السفر، وكانت الأوعية الرئيسية لحفظ الخمور والأنبذة والزيوت والدهون والشحوم والدبس والمواد الغذائية الأخرى، ويحتاج إليها الأعرابي في حله وترحاله والحضري في مستقره وفي سفره، ويعالج إهاب القرب معالجة خاصة حتى لا يتأثر الشراب أو السوائل التي توضع فيها. جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٧٨.

(٧) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٧٨ .

(٨) واستخدمت مواد مساعدة على حفظ الجلد ومنعه من التلف لدبغه مثل العفص وغيره من مواد نباتية دابغة، وقد انف كثيراً من الناس من هذه الصناعة، وتجنبوها لما ينشأ عنها من روائح كريهة . جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٧٨.

(٩) الشب: هو من المعادن الأربعة التي لم تكتمل صورتها وهي الزاج والملح والنشادر والشب، والشب يشبه الزاج وفيه بعض الحموضة، والشب: هو ماء يقطر فيجمد قبل أن يصل إلى الأرض فيصير هذا الشب: جواد على، المرجع السابق، ج٧، ص٥٢٠ .

(١٠) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٢٠ .

(١١) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٢٠ .

(١٢) جودة حسنين، المرجع السابق، ص ١٠٣ .

(١٣) جودة حسنين، المرجع السابق، ص ١٠٣ .

أما عن الصناعات العسكرية فقد لقيت عناية سادت أرض السراة ونجران قبل الإسلام[١]، واستمر اهتمام ولاة السروات بالصناعات العسكرية بعد الإسلام، وكان لمدينة جرش المكانة الأولى في الصناعات العسكرية، وليس أدل على ازدهار الصناعات العسكرية في جرش من أن الرسول ﷺ أرسل اثنين من أصحابه إلى جرش لكي يتعلما صناعة الدبابات[٢]، والمنجنيق والصنور فيها [٣] .

ولاشك أن اتساع حركة الفتوح يقضي أن يتعلم المسلمون الصناعات العسكرية، ولم تكن جرش قبلة أصحاب الرسول ﷺ فحسب، بل كانت قبلة الجزيرة العربية كلها لتعلم أحدث الصناعات العسكرية، ويشير ابن خلدون إلى أنه عندما علم فرسان الطائف بقصد الرسول ﷺ باتخاذ اجراءات عسكرية نحو الطائف سنة (٨هـ/٦٢٩م) [٤]، اتجه عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة إلى جرش لكي يتعلما صناعة المجانيق والدبابات[٥]، ولاشك أن انطلاق فرسان العرب من مختلف أنحاء الجزيرة العربية إلى مدينة جرش يعد أمراً طبيعياً نظراً لأن جرش هي بيت الخبرة في الصناعات العسكرية مثل : صناعة الدبابات وغيرها، ولذلك عمل الرسول ﷺ على استثمار الخبرة العسكرية لأهالي جرش لتعليم المسلمين الصناعات العسكرية .

ومن المناطق التي اشتهرت بالصناعات العسكرية أيضاً نجران وعرفت بإنتاج الدروع، والأسلحة[٦]، ويرجع إلى بلاد السراة فضل السبق في إنتاج القوس الذي يقال لها القوس الماسخية نسبة إلى ماسخة[٧]، وهو رجل من أزد السراة[٨]، لأنه أول من عملها [٩]، وبلغ من قوة القسي ومتانتها أن صارت موضع شعر الشعراء ، ونلاحظ أن اختراع الماسخي

---

(١) مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص ١٠ .

(٢) الدبابة:هي ألواح خشبية تمشي تحتها الجنود في حرب لهجوم" محمد كرد علي، المرجع السابق، ج٢، ص١٠٣.

(٣) الصنور : جلود تغشى خشباً يدخل فيها الرجال، وقالوا الدبابات تقترب من الحصون لتنقب جدرانها وأسوارها" كرد علي: المرجع السابق، ج٢، ص ١٠٣ .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق، ج٢، ص ٤٨، محمد جمال الدين سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية، ط٤، دار الفكر العربي، سنة ١٩٦٤م، ص ١٠٨ .

(٥) ذكر ابن الأثير أنه لما اتجه الرسول ﷺ إلى ثقيف وحاصرهم بالطائف نيفاً وعشرين يوماً ونصب عليهم منجنيقاً، وحل نفر من المسلمين تحت دبابة ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف" ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٩١، للمزيد انظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٧، ابن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، ج١، ص١٠١ . محمد حسين هيكل، حياة محمد، ط السادسة عشر، دار المعارف، ص ٤٣٩ .

(٦) انظر: ابن القيم، أحكام أهل الذمة، ص ٣٠ .

(٧) ماسخة : ذكر ابن منظور ماسخي، والماسخيات . هي القسي المنسوبة إلى ماسخة من أرض السراة" ابن منظور : لسان العرب، ط دار صادر بيروت، ج٣، ص ٥٥ .

(٨) أزد السراة : قبائل من الأزد نزلوا السراة فنسبوا إليها، وهم بنو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك ابن كهلان" القلقشندي، المصدر السابق، ص ٩١ . وبلاد أزد السراة الأرض الممتدة من شمال مدينة أبها إلى بلاد غامد وزهران جنوب الطائف. وللمزيد عن بلاد السراة انظر : غيثان بن جريس، كتاب: تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، مجلدان في حوالي ألف صفحة .

(٩) ابن منظور : المصدر السابق، ج٣، ص ٥٥ .

للقوس وليد البيئة وحاجتها إلى هذا السلاح، كما ذكر ابن منظور بأن القواسين والنبالين من أهل السراة كثيرون لكثرة الشجر بالسراة[١] .

٣. التجارة :

حرص أهل السراة ونجران منذ صدر الإسلام على تيسير سبل التجارة ونشر الأمن والطمأنينـة، وأقاموا المحطات والآبار في طريق القوافـل [٢] ، وكان لعملهم هذا أكبر الأثر في نشـاط التجارة والمراكز التجارية في نجران وتهامة والسـراة، وتعتبر بلادٍ نجران من أهم المراكز التجارية، حيث توجد فيها أنواع متنوعة من الزراعة[٣] ، فضـلاً عن صناعة المنسـوجات الحريريـة والحلل، وليس أدل على وفرة الحلـل النجرانيـة وجودتها من أن السـلطات الإسـلامية كانت تأخذ من نصـارى نجران ألفي حلة[٤] ، وقد برزت نجران في ميدان الصـناعة، فكانت مركزاً تجارياً مهماً لأنها قريبة من الطريق التجاري الذي يمتد إلى الحيرة، كما كانت تتاجر في الجلود وفي صنع الأسلحة [٥] ، ويذكر جواد علي أن نجران تعتبر من المراكز الكبرى في تجارة الرقيق [٦] .

وتجارة الجلود تؤدي دوراً مهماً في اقتصـاديات السروات، وتعتبر جرش أهم المراكز السـروية في معالجة الجلود وتجارتها، فيقال أدم جرشـي[٧] ، نسـبة إليها، كما اشـتهرت جرش بالجمال وتنسـب إليها الإبل الجرشـية [٨] ، وكانت من الإبل النجيبة، وأشـار جواد علـي أنهـم كانوا لا يبيعـون الإبل النجيبة إلا اضـطرارا ويسـمونها الحرائـز[٩] ، وعرفت مدينة جرش بكثرة إنتاجها من العنب فيقال العنب الجرشـي نسـبة إليها [١٠] ، واشـتهرت أيضاً بإنتاجها من الصناعات العسكرية مثل المجانيق والدبابات وغيرها[١١] .

وكانت بيشة من أهم المراكز التجارية في أرض السروات، وقد ساعد على ذلك موقعها

---

(١) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٢٠ .

(٢) عصام الفقي، المرجع السابق، ص ٢٥٤ .

(٣) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، طبع في مطبعة عيسى الحلبي القاهرة، ص ٥٥، أحمد أمين، المرجع السابق، ص ٢٦ .

(٤) أبو يوسف، الخراج، ص ١٩٢، ابن كثير، المصدر السابق، ج٥، ص ٥٥ .

(٥) أحمد أمين، المرجع السابق، ص ٢٦ .

(٦) يروى أن الأشعث بن قيس خاصم أهل نجران إلى عمر في رقابهم وكان قد استعبدهم في الجاهلية، فلما أسلموا أبوا عليه فقالوا يا أمير المؤمنين إنا كنا عبيد مملكة، ولم نكن عبيد قن " وعبيد مملكة أي يغلب عليهم فيستعبدهم وهم في الأصل أحرار ".جواد علي : المرجع السابق، ج ٧، ص ٥٥٤ .

(٧) ياقوت، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٦، جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص٥٧٨، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص٩٢.

(٨) ياقوت، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٦ .

(٩) الحرائز : ذكر علماء اللغة أن الحرائز من الإبل التي لا تباع لنفاستها، والحرز خيار المال لأن صاحبها، يحرزها ويصونها، ومن الحديث في الزكاة لا تأخذوا من حرزات أموال الناس شيئاً أي خيارها " جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ١١٤.

(١٠) ياقوت، المصدر السابق، ج٢، ص ١٢٦ .

(١١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٨١، محمد كرد علي، المرجع السابق، ج٢، ص ١٠٣ .

الطبيعي وخصوبة تربتها وتنوع تضاريس إقليمها، وكونها متوسطة بين جرش والحجاز والدواسر [١]. وهي مفتاح اليمن من جهة الشمال [٢]، وتعتبر بيشة وجرش من أهم مراكز الاتجار بالتمر، وهذه النواحي تتصل بدرب القوافل [٣]، ورنية من المراكز الحضارية المهمة، وتستمد أهميتها من كثرة مزروعاتها كواحة واسعة غنية بالمزروعات، وكسوق مهم لتبادل المنتجات، وأيضاً كمحطة على طريق القوافل [٤].

أما الأسواق، فقد كانت محل اهتمام ولاة وشيوخ وأعيان السراة فعملوا على حمايتها وحفظ الأمن فيها [٥]، وقد اعتاد أبناء نجران وتهامة والسراة أن يقيموا الأسواق في أوقات معينة في المدن التجارية الهامة التي تعتمد على الأسواق، وقد أدت الأسواق دوراً كبيراً في هذه البلاد سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو الأدبية [٦]، فكانت السوق مركزاً للبيع والشراء، وبها تعقد الصفقات إذ إن السوق من أبرز ميادين تصريف الإنتاج الزراعي والصناعي [٧]، كما أثرت السوق في الحالة الاجتماعية ففيها يلتقي المسلمون وغيرهم بعضهم ببعض فيتعارفون ويتحادثون، وفيها اختلطت عناصر السكان المختلفة [٨].

وتضم أرض نجران والسروات أسواقاً متنوعة، وهي دائمة في أيام السنة يبيع فيها الباعة ويقصدها المشترون للشراء [٩]، بينما الأسواق الموسمية تعقد في مواسم معينة، فإذا ما انتهى الموسم رفعت [١٠]، ومن أهم أسواق نجران وتهامة والسراة سوق مجنة [١١]، ويقع في جنوب مكة [١٢]، ويقصدها العرب بعد أن تنفض سوق عكاظ في العشر الأخير من ذي القعدة وتجلب إلى سوق مجنة السلع المتنوعة ومن أهمها الخمر، نظراً لوجود اليهود والنصارى والمجوس في السروات ممن يتعاطون الخمر قبل الإسلام وبعده [١٣]، وكانت تحمل إليها من الشام ومن بصرى وغزة، حتى صار الشعراء ينشدون بخمرها الشعراء مثل: أبي ذؤيب الهذلي [١٤]

---

(١) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ٦١ .

(٢) عبد المنعم علامي، المرجع السابق، ص ٤٧ .

(٣) فؤاد هاشم، المرجع السابق، ص ٢٨٣ .

(٤) عبد الرحمن صادق الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، ط السعودية، ج٢ ، ص ٤٦١ .

(٥) ذكر الأزرقي أنه كان من عادة ولاة مكة أن تبعث إلى سوق حباشة في أرض تهامة رجلاً يخرج بجنده ويقيم هناك ثلاث أيام متوالية . الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص ١٩٢ .

(٦) ذكر الأزرقي أن في الناس من كان يخرج إلى سوق مجنة يريد التجارة، ومنهم من لم تكن له تجارة . الأزرقي : المصدر السابق، ج١، ص ١٨٨ .

(٧) علي حسني الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، ص ١٨٤ .

(٨) علي حسني الخربوطلي، المرجع نفسه، ص ١٨٤ .

(٩) جواد علي، ج٧، ص ٣٦٥ .

(١٠) جواد علي، ج٧، ص ٣٦٥ .

(١١) المجنة: " سوق بأسفل مكة قرب جبل يقال له الأسفل " الأزرقي، أخبار مكة، ص١٨٨ (هامش ٤) .

(١٢) الأزرقي، المصدر السابق، ج١، ص١٨٨، ياقوت : معجم البلدان، ج٥، ص ٥٩ .

(١٣) سعيد الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٤٥ .

(١٤) ذكر ياقوت أبا ذؤيب الهذلي وهو ينشد، قائلا: في خمر مجنة :

ومن الأسـواق الثابتة سـوق الحجور، ويتسـوق فيه أهل نجران وتهامة وأهل الجبال، حيـث تباع فيه الأخشـاب[١] التـي تكثر في جبال السـروات إلى جانب سـوق الجريب [٢]، وهـو سـوق لأهل تهامة وعـثر، وفي غربي زبيد باليمن ،وأهم ما اشـتهر به سـوق الجريب المشروبات كالخمر بالإضافة إلى البرود، وهي منسوجات رقيقة تصنع من الكتان، ويدخل في لحمتها خيوط الذهب العرضية في المنسوجات[٣]، ويعتبر سوق القويدرة من أهم أسواق تهامة، ويقع في شمال شرق مدينة زبيد اليمنية[٤].

ومن أسواق السروات وتهامة عند ظهور الإسلام سوق حباشة[٥]، وهي سوق الأزد[٦]، وتقع في ديار الأوصـام [٧]، من أرض بارق، وكانت تقام في شـهر رجب[٨] . وتعتبر سـوق حباشـة المتجر المتوسـط المشـترك بين الحجاز واليمن، وهي من أسـواق نجـران وتهامة القديمة [٩]، ومن أسـواق العرب في الجاهلية والقرنين الأوليين من عصـر الإسـلام [١٠]، وذكر البكري أن الرسـول ﷺ تاجر فيها بأموال السيدة خديجة[١١]، وكانت سوق حباشة تتمتع بما تتمتع به الأسـواق الكبرى من مزايا، حيث يكون فيها فداء الأسرى، وطلب الثأر [١٢]، إلى جانب أمور التجارة[١٣]، ونسـتدل على ذلك بما سـاقه سـعيد الأفغاني أنه لما قتل

سـلافـةُ راح ضُـمـنـتـهـا إداوةٌ ... مـقـيـرةٌ ردفُ لـمـؤخـرة الـرحـل
تـزودهـا مـن أهَـل بُـصـرى وغـزة ... عـلـى جـسـرة مـرفـوعـة الـذيـل والـكـفـلِ
فـوافـى بـهـا عُـسـفـان ثـم أتـى بـهـا ... مـجـنـة تـصـفـو في الـقـلال ولا تـغـلـيَ

ياقوت، المصدر السابق، ج٥، ص ٥٩ .

(١) عصام الفقي، المرجع السابق، ص ٢٥٤ .

(٢) وذكر ياقوت أن الجريب من مخاليف اليمن بزبيد . ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ٨٥ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٩٢ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٩٢ .

(٥) سـوق حباشـة: هي أكبر أسواق تهامة، وكانت تقوم ثمانية أيام في السنة، قال حكيم بن حزام رأيت رسول الله ﷺ يحضرها وهو يتجر في مال السيدة خديجة قبل البعثة . البكري، معجم، ج٢، ص ٤١٨ .

(٦) لم تكن سـوق حباشـة يتسـوق بها الأزد جميعاً، إنما هي خاصة بقسمين من أقسـام الأزد وهم أزد شنوءة، وهو بنو نصـر بن الأزد وشـنوءة لقب غلب على أولادهم، وأزد السـراة : هو موضع بأطراف اليمن، نزلت به فرقة من الأزد فعرفوا به، وكان أزد شنوءة مجاورين لأزد السراة، القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٩١ .

(٧) الأوصام : هي قرية كبيرة باليمن . الأزرقي، ج١، ص ١٩١ (هامش ٧) .

(٨) الأزرقي، المصدر نفسه، ج١، ص ١٩٢، جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٧٦ .

(٩) ياقوت، معجم، ج٢، ص ٢١٠، جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٧٦ .

(١٠) عبد المجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، ص ١٢ .

(١١) البكري، ج٢، ص ٤١٨، وذكر ياقوت أنه لما اسـتوى رسـول الله ﷺ وبلغ أشده وليس له كثير مال استأجرته خديجة إلى سوق حباشة، وهو سوق في تهامة، واستأجرت معه رجلاً آخر من قريش، قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عنها، "ما كنا نرجع أنا وصاحبي إلا وجدنا تحفة من طعام تخبئه" ياقوت، المصدر السابق، ج٢، ص ٢١٠ ـ ٢١١.

(١٢) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٩٢ .

(١٣) ذكر ياقوت أن هاشم بن عبد مناف ولد صيفاً، وأبا صيفي واسمه عمرو أو قيس وأمهما حية، وهي أمة سوداء كانت لمالك أو عمرو بن سلول والد عبد الله بن أبي بن سلول المنافق، وقال اشتريت حية من سوق حباشة وأخوهما لأمهما مخرقة بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي . ياقوت، المصدر السابق، ج٢، ص ٢١١ .

الشنفرى الشاعر حرام بن جابر قاتل أبيه [١] ،ثم أتى رجل إلى أسد بن جابر أخي المقتول فقال له : " تركت الشنفرى بسوق حباشة، فرصد له قوم القتيل حتى أسروه وقتلوه[٢] . ويشير الأزرقي إلى أن سوق حباشة بقيت قائمة حتى أواخر القرن الثاني سنة سبع وتسعين ومائة في العهد العباسي زمن داود بن عيسى ابن موسى العباسي عندما كان والياً على مكة [٣] .

وتعيش معظم أسواق السراة ونجران أوج ازدهارها حينما ينضج البلح، وينزل أهل الجبال إلى نجران وتهامة وبيشة، ويجمع المحصول ويشتريه الناس من أصحابه ويبيعونه في أسواق بلادهم [٤]، وتعد بلاد نجران وجرش [٥]، من أهم مراكز السراة للاتجار بالتمر، وهي تتصل ببيشة عن طريق درب القوافل[٦] .

ومن أهم طرق نجران والسراة، الطريق الممتدة من نجران إلى مكة، ثم إلى البصرة[٧]، وقد أشار جواد علي إلى أسماء مواضع يمر بها الطريق من نجران إلى البصرة[٨]، وقد سلك تجار مكة في ذهابهم إلى اليمن وفي إيابهم عدة طرق عبر نجران وتهامة والسراة، منها ما تمر بالساحل، ومنها ما تمر عند سفوح السروات الشرقية[٩]، وهو يبدأ من مكة ثم إلى قرن المنازل، وهي قرية كبيرة، ثم إلى تربة، ثم إلى رنية، ثم إلى تبالة[١٠]، ثم إلى بيشة ثم إلى يبنبم، ويذكر أن المسافة بين يبنبم وجرش حوالي أربعة عشر ميلاً[١١]، ثم إلى سروم راح، ثم إلى المهجرة[١٢]، بينما أهل اليمن إذا أرادوا مكة

---

(١) الشنفرى : هو لقبه ومعناه عظيم الشفة واسمه ثابت بن جابر من بني الحارث بن ربيعة بن الأواس بن الحجر بن الهنوء بن الأزد) انظر: الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج٢، ص ١٣٤ .

(٢) سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص ٢٥٩، وللمزيد عن قتل الشنفرى، انظر: الألوسي، المصدر السابق، ج٢، ص١٤٦.

(٣) سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص ٢٥٩، (وذكر الأزرقي أن السبب في خراب سوق حباشة يرجع إلى أن من عادة ولاة مكة أن يستعملوا عليها رجلاً يخرج معه بعض الجند فيقيمون بها ثلاثة أيام متوالية من أول رجب، واستمر الأمر على هذا حتى قتلت الأزد والياً عليها بعثه داود بن عيسى، فأشار فقهاء مكة على داود بتخريبها فخربها. الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٩٢، جواد علي، المرجع السابق، ج٣، ص ٣٧٦ .

(٤) عصام الفقي، المرجع السابق، ص ٢٥٥ .

(٥) انظر: فؤاد هاشم، جغرافية جزيرة العرب، ص ٢٨٣ . وعن تاريخ وحضارة مخلاف جرش انظر: الأزرقي، ج١، ص ٩٢، جواد علي، ج٣، ص٣٧٦، غيثان بن جريس . دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١-ق١٠هـ/ق٧-ق١٦م) (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ، ج١، ص ٩٣-١٢٦ .

(٦) المصادر والمراجع نفسها .

(٧) جودة حسنين جودة، المرجع السابق، ص ٣٨، محمد يحيى الحداد، تاريخ اليمن السياسي، ط٣، القاهرة سنة ١٩٦٨م، ج١، ص ١٥٣، جواد علي، ج٧، ص ٣٤٤ .

(٨) ذكر جواد علي أن من أسماء المواضع التي يمر بها الطريق من نجران إلى البصرة هي نجران، ثم كوكب، ثم الجفر، ثم العقيق، ثم الفلج ثم : الخرج، ثم الخضرمة، حتى البصرة. جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٤٤ .

(٩) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٤٤ .

(١٠) انظر البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٣٠١ .

(١١) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٦١ .

(١٢) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٦١ .

قصـدوا الرحابة، ثم إلى رافدة، ثم إلى خيوان، ثم إلى صعدة[١]، ثم إلى بيشة، ثم تبالة، ثم رنية، ثم إلى الفتق، ثم بستان ابن عامر[٢]، ثم إلى مكة[٣].

ويعتبر طريق بيشـة من أهم طرق السـروات، نظراً لموقعها الطبيعي وخصوبة تربتها وتنوع إقليمها وكونها متوسطة بين نجران والحجاز والدواسر، فأصبحت ذات أهمية كبيرة مـن ناحيـة المواصـلات حيث تقع على نقطـة مهمة في الطريـق بين وادي الدواسـر ومكة المكرمة[٤]، ويعتبرها العرب مفتاح اليمن من ناحية الشمال[٥]. وهناك طريق آخر مهم هو طريق أسـعد كامل نسـبة إلى الملك، وهـو يربط بين المناطـق المرتفعة الزراعية في الجنـوب والمناطق الشـمالية في السراة، ويمتد إلى شـمال الطائف، ويتصل بطريق الحجاز[٦]، ويمتد طريق أسعد كامل من خيوان وأعالي خولان في اتجاه بيشة[٧]، ثم يسير في منعرجات ضيقة إلى الطائف[٨].

وكانت طرق نجران وتهامة والسـراة في العصـور الإسـلامية المختلفة مع بلاد العالم القـديم على ما كانت عليه من الازدهار قبل الإسـلام، حيث كانـت تربطها طرق تجارية عديـدة مع البلاد. ومـن أهم هذه الطرق، طريق رنية ويمر منها طريق الطائف، الخرمة، رنية، بيشـة، ومنهـا إلى المناطق الجبلية، لذلك قيل في كتـب الأدب إن رنية من الأعراض الهامـة[٩]، وتسـتمد بلاد رنية أهميتها من كـثرة مزروعاتها ولازالت كواحةٍ واسـعة غنية بالمزارع، وكسـوق هامٍ لتبادل المنتجات، وكمحطة على طريق القوافل أيضـاً[١٠]، ومازالت مزروعات رنية طريقاً مهمة للمواصلات حتى وقتنا الحاضر[١١].

أما العملة، فلم يكن للعرب ومن ضمنهم أهل نجران وتهامة والسراة عملة خاصة بهم،

---

(١) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٦٢.

(٢) بسـتان ابن عامر: ذكر جواد علي أن بسـتان ابن عامر عند موضع نخلة ويقال لها مجمع النخلتين اليمانية والشامية، وإذا قال بستان ابن عامر بنخلة، وهو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة، جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٦٢.

(٣) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٦٢.

(٤) عبد المنعم علامي، المرجع السابق، ص ٤٧.

(٥) عبد المنعم علامي، المرجع السابق، ص ٤٧.

(٦) جواد علي، المرجع السابق، ج٢، ص ٥٨٠.

(٧) بيشة: "من عمل مكة مما يلي اليمن من مكة على خمس مراحل منها" ياقوت، المصدر السابق، ج١، ص٥٢٩.

(٨) ذكر جواد علي أن هذا الطريق يعتبر تحولاً خطيراً في الطريق البرية القديمة التي كانت تسير في حافلة الصحراء الشرقية المتصلة بالجوف، إذ يشير تحول هذه الطرق من الأرض السهلة إلى الهضاب التي يعيش عليها المزارعون الذين يعيشـون على الزراعة التي تعتمد على المطر، وقد شـمل هذا التحول فيما شمل طريق البخور واللبان القديم" جواد علي، المرجع السابق، ج٢، ص ٥٨٠.

(٩) عبد الرحمن صادق الشريف، المرجع السابق، ج٢، ص ٤٦١.

(١٠) المرجع نفسه، ج٢، ص ٤٦١.

(١١) فؤاد حمزة، المرجع السـابق، ص٥٠، للمزيد عن التجارة والطرق التجارية في بلاد نجران وتهامة والسـراة خلال القرون الإسـلامية المبكرة والوسـيطة انظـر: غيثان بن علي بن جريس "ملامح النشـاط التجـاري لبلاد نجران وتهامة والسراة في العصور الوسطى" بحث مقدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة من (٢٥-٢٧/٨/١٤٢١هـ الموافق ٢١-٢٣/١١/٢٠٠٠م) ونشـرت ضـمن بحوث الندوة في كتاب: طرق التجارة العالمية- عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ (حصاد ٨) (القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص ١٥٧-٢٢٢.

وكانت العملة المتداولة في بلاد العرب هي الدنانير البيزنطية أو الدراهم الساسانية[١]، وأشار ابن القيم إلى أن الرسول ﷺ فرض على أهل الذمة في اليمن جزية مقدارها دينار عن كل حالم ذكر أو أنثى حراً أو عبداً[٢]، وقد سبق القول إن معظم أهل الذمة في اليمن يقطنون منطقة نجران، ويتضح من ذلك أن الدينار هو العملة المتداولة في أرض السراة، ويشير المقريزي إلى أن الرسول ﷺ أقر النقود في الإسلام على ما كانت عليه[٣]، وكذلك فعل أبو بكر ولم يغير منها شيئاً[٤]، وعندما تولى عمر بن الخطاب الخلافة ضرب الدراهم على نقش الكسروية وشكلها غير أنه زاد في بعضها (الحمد لله) وفي بعضها (محمد رسول الله) وفي بعضها (لا إله إلا الله وحده)[٥]، أما الدنانير البيزنطية فقد خضعت لتطور تدريجي بدأت بالشارات المسيحية حيث طمست من فوق تيجان الأباطرة[٦]، وتظهر الكتابات العربية وصور الخلفاء إلى أن أصبحت هذه الدنانير عربية تماماً في عهد عبد الملك بن مروان[٧] .

وقد أدى أبناء السروات دوراً كبيراً في سك العملة، وفي هذا الصدد ذكر المقريزي " أن هشام بن عبد الملك أمر خالد بن عبد الله القسري سنة (١٠٦هـ/ ٧٢٤م) أن يعيد العيار إلى وزن سبعة[٨]، وأن يبطل السكة من كل بلدة إلا واسطاً، فضرب الدرهم بواسط فقط، وكبر السكة فضربت الدراهم على السكة الخالدية، حتى عزل خالد سنة (١٢٠هـ/ م)[٩] .

كما حرم الإسلام التعامل بالربا، ولكن اليهود والنصارى في نجران أباحوا لأنفسهم التعامل بالربا[١٠]، ونتج عن ممارستهم الربا أن عظمت ثروتهم، وزاد بأسهم وأحكموا السيطرة على البلاد اقتصادياً، حتى أصبح اقتصادهم يهدد الاقتصاد الإسلامي

---

(١) الدرهم الساساني : هو قطعة مستديرة من الفضة على أحد وجهيها نقش بمثل الجزء العلوي من صورة كسرى فارس، ويظهر وجهه في وضع جانبي وعلى رأسه التاج الساساني، وعلى الوجه الثاني للدرهم حارسان يحملان السلاح أو واقفان بدونه فيمكن اعتبارهما كاهنين بينهما معبد النار الذي يسهران على خدمته، انظر: عبد الرحمن فهمي، النقود العربية ماضيها وحاضرها، ط سنة (١٩٦٤م)، ص ٢٢-٢٤ .

(٢) ابن القيم، أحكام أهل الذمة، ص٢٩ .عصام الفقي، المرجع السابق، ص ٢٦٤ ، جرجي زيدان، مؤلفات جرجي زيدان الكاملة، المجلد الحادي عشر، ص ٣٥٧ .

(٣) المقريزي، النقود القديمة الإسلامية، تحقيق أنستاس ماري الكرملي البغدادي، ط القاهرة سنة (١٩٣٩م)، ص٣٠ .

(٤) عبد الرحمن فهمي محمد، موسوعة النقود العربية وعلم النميات، ط دار الكتب سنة (١٩٦٥م)، ص ٣٠.

(٥) المقريزي، المصدر السابق، ص ٣١-٣٢ .

(٦) عبد الرحمن فهمي محمد، النقود العربية ماضيها وحاضرها، ، ص ٢٨ .

(٧) عبد الرحمن فهمي محمد، المرجع السابق، ص٢٨ .

(٨) أي جعلت العشرة من الدراهم الفضة بوزن سبعة مثاقيل من الذهب ،لأن الذهب أوزن من الفضة وأثقل وزناً، فأخذت حبة فضة وحبة ذهب ووزنتا فرجحت حبة الذهب على حبة الفضة ثلاثة أسباع، فجعل من أجل ذلك كل عشرة دراهم زنة سبعة " المقريزي، المصدر السابق، ص ٤١ .

(٩) المقريزي : المصدر السابق، ص ٤٤-٤٥، وذكر البلاذري، ان النقود الخالدية تعتبر أجود نقود بني أمية ولم يقبل الخليفة المنصور نقوداً من بني أمية غيرها، البلاذري، كتاب النقود، ط القاهرة سنة (١٩٣٩م)، ص ١٥ .

(١٠) القاضي أبي يوسف، يعقوب، الخراج، ص ١٩١ .

الوليد، بينما ضعف أمر المسلمين، مما أثار القلق في قلب الخليفة عمر بن الخطاب فأجلاهم عن نجران .

رابعاً : بعض المظاهر الاجتماعية :

١- المرأة :

تتمتع المرأة في السروات وبلاد نجران بقسط من الحرية، وتستشار في مهام الأمور[١]، ويتضح ذلك حينما شكا سيد خثعم إلى ابنته وقال " أن محمداً أخذ أولادي الثلاثة وهم إخوتك وأدخلهم في دينه " فلما سمعت (الزلفا) من أبيها ذلك قالت له " يا أبي أما ما ذكرت من أمر اخوتي فإنهم ذو عقول راجحةٍ وآراء سديدة، ولولا أنهم ظهر لهم الحق وبان لهم الصدق ما كانوا اتبعوا محمداً قط، فإن أطعتني يا أبي فندخل في دين محمد ونصالحه ونأخذه لنا صديقاً، وتحفظ أموالك وأولادك وبلادك، وتترك عبادة الأصنام، فإن فعلت ذلك كان هذا خيراً لك مما أنت فيه من هذا العناد وأمور الفساد [٢] . وكانت المرأة تشارك في كثير من الأعمال مثل رعاية الأولاد وغيرها[٣]، وليس أدل على مركز المرأة الممتاز في السراة من أن الرجل كان يفخر بنسبه لأمه كما يفخر بنسبه لأبيه[٤]، مثل: " عبد الله بن بحينه " الذي ينسبٍ نفسه إلى " بحينه " وهي أمه [٥]، وأبوه مالك بن قشب الأزدي، من أزد شنوءة[٦]، وأيضاً سعد بن حبته[٧]، و " حبتة " أمه، وأبوه بجير بن معاوية بن سلمى من بجيلة [٨]، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن أبناء السروات قد مجدوا أمهاتهم، وتباهوا بعراقة أنسابهم، بل انتسبوا إليها، ولم يكن النسب إلى الأم قاصراً على الأفراد بل شمل القبائل أيضاً في أرض نجران وتهامة والسراة وذكر ابن حزم: أن قبيلة من أنمار بن أراش بن الغوث تسموا باسم أمهم بجيلة[٩] . وتقدير أبناء نجران والسراةِ لقيمة الأمومة من العوامل التي دفعتهم إلى تعظيم المنجبات، وضربوا بذلك مثلا عالياً يحتذى به في مجتمع يقدر الأم، ومن أشهر نساء السروات التي ضرب بها المثل في سرعة الإنجاب هي " أم خارجة [١٠]،

---

(١) عصام الفقي، مظاهر الحضارة الإسلامية في بلاد اليمن، ص ٣٠٣ .

(٢) مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص ١٣٢، المتأمل في المعلومات المدونة في هذا الكتاب يجد فيها روايات ترتقي إلى عالم الخيال، وعندما نبحث في مصادر أخرى لا نجد ذكراً لها في تلك المصادر .

(٣) عصام الفقي، المرجع السابق، ص ٣٠٤ .

(٤) يوسف أحمد القوصي، التاريخ العربي الإسلامي، القاهرة (١٩٧٧م)، ص ٨ .

(٥) ابن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ص ٢٦٧ .

(٦) ابن عبد البر القرطبي، المصدر نفسه، ص ٢٦٧

(٧) حبتة : هي أمة بنت مالك من بني عوف، القرطبي، المصدر نفسه، ص ٥٢ .

(٨) ابن عبد البر القرطبي، المصدر نفسه، ص ٥٢ .

(٩) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٨٧ .

(١٠) أم خارجة : هي عمرة بنت سعد بن عبيد الله بن قداد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار .

لأنهـا ولدت أبناء في أكثر من عشـرين قبيلة من آباء متفرقـين[١] ، وذكر ابن حزم أن من جملة أزواجها زياد العبسـي، وقد ولدت له الكملة، وربيعاً، والكامل، وقيس الحفاظ، وأنس الفوارس، وعمر الوهاب، أو عمارة، وكل منهم ساد في الجاهلية وقاد جيشاً"[٢] . وأشار أحمد الحوفي إلى أن أم خارجة سئلت : أي بنيك أفضل ؟ فقالت: الربيع، بل عمارة، بل قيس، بل أنس، ثـم قالـت : ثكلتهـم إن كنـت أعلـم أيهم أفضـل هـم كالحلقـة المفرغـة لا يدرى أين طرفاها[٣] .

٢ـ الزواج، الأسرة وتربية الأطفال، الزينة :

أ ـ الزواج :

يعتبر الزواج من أهم الأفراح في حياة الإنسان، فيحتفل الناس به بإقامة المآدب وبدعوة ذوي القربى لمشـاركة الزوجين أفراحهم [٤] ، والزواج يمثل دوراً اجتماعياً مهماً لأنه يؤدي إلى ترابط الأسـر البعيدة، وقد يؤدي إلى ترابط العشائر مع بعضها[٥] ، لذلك كانت قبائل نجران وتهامة والسراة تهتم باختيار الزوجة وكانوا يهدفون أن تكون زوجاتهم كفئات، ومن النجيبـات[٦] ، وليس أدل على ذلك من وصـية الحارث بن كعـب لأبنائه " تزوجوا الأكفاء، وتجنبـوا الحمقـاء فإن ولدها إلى أفن ما يكون[٧] ، أي أغبـى وأحمق ما يكون، والكفاءة في النكاح تعني أن يكون الزوج مسـاويا للمرأة في حسبها ودينها ونسبها وبيتها وغير ذلك[٨] ، والزواج رباط اجتماعي، وعقد بين طرفين يترتب عليه حقوق وواجبات[٩] ، وتنوعت أنماط الزواج لدى قبائل السروات مثل زواج الحمس، وزواج الأباعد (الخارجي) ، وزواج داخلي، وزواج الأسر إلى جانب نظام تعدد الزوجات[١٠] .

---

(١) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٣٨٩ .

(٢) المصدر نفسه، أحمد الحوفي : المرجع السابق، ص ٨٧ .

(٣) أحمد الحوفي، ص ٨٧ .

(٤) علي حسني الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، ص ١٢٣ .

(٥) جواد علي، ج٤، ص ٦٢٩ .

(٦) صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ط بغداد، ج١، ص ١٤٢ .

(٧) صالح أحمد العلي، المرجع نفسه، ج١، ص١٤٢ .

(٨) الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٦٥ .

(٩) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ٥٠٩ .

(١٠) لم يكـن تعـدد الزوجات عيبـاً كبيراً في ذلك الحين، كما لم يكـن زواج المرأة بعدة أزواج علـى التوالي غريباً، فبين نساء نجران وتهامة والسراة من تزوجت أكثر من عشرين زوجاً على التوالي مثل أم خارجة، وهي عمرة بنت سعد بـن عبـد الله بن قداد بن ثعلبة بن معاويـة بن زيد بن الغوث بن أنمار، التي يقال فيها أسـرع من نكاح أم خارجة، وتزوجها رجل من إياد، ثم تزوجها بعده بكر بن مزيقياء، ثم خلف عليها جشم بن مالك بن كعب بن القين بن جسر فولدت له عرانية، ثم خلف عليها عامر بن عمرو البهراني، ثم تزوجها عمرو بن تميم بن مر، وغيرهم . ابن حزم : المصدر السابق، ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠ .

١. زواج الحمس :

بالرغم من اختلاف عادات الزواج لدى قبائل نجران وتهامة والسراة، إلا أن هناك بعض القبائل لها مراسم واحدة في الزواج، وهي القبائل التي تعظم الحمس مثل: خثعم[١]، وبني عامر[٢]، والحارث بن كعب، وقبيلة بجيلة، ويذكر بيومي مهران أنه إذا بلغت الفتاة سن الزواج ألبسوها ما يزينها وخرجوا بها سافرة إلى المطاف، ثم أعادوها إلى بيتها لتبقى فيه لا تخرج إلا إلى بيت من يتزوجها[٣]، والغرض من طوافها هو عرضها سافرة على أعين الخاطبين، ولعلهم اختاروا المطاف بجوار البيت ليأمنوا نظرات الفاسقين[٤]، وعند زواجها اشترطوا على زوجها أن يكون أبناؤها أحمسيين على دينهم[٥] .

كانوا يتزوجون بالصداق [٦]، وهو مهر المرأة أي ما يدفعه الرجل إلى أهل البنت عند عقد الزواج، وترادف الصداق كلمة أخرى هي المهر[٧]، وذكر جواد علي أن طريقة هذه القبائل التي تعظم الحمس في دفع الرجل (المهر) للزوجة تناقض المألوف عند اليونان والرومان [٨]، والأصل في المهر دفعه للمرأة، غير أن ولي أمرها هو الذي يأخذه لينفق منه على ما يشترى لتأخذه المرأة معها إلى بيت الزوجية[٩]، وقد يأخذ ولي أمرها المهر لنفسه ولا يعطي المرأة منه شيئاً لاعتقاده أن ذلك حق له، لذلك نهى الله عن ذلك في قوله (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً)[١٠]، ويعد المهر علامة شرف وفريضة لازمة لصحة عقد الزواج، وكانوا لا يقرون زواجاً إلا إذا كان بمهر[١١]، ولكن لا يشترط دفع مهر إذا كانت المرأة قد وقعت في أسر فيتزوجها آسرها لأنها أسيرته ومن ثم فهي ملكه[١٢]، والمهر ليس له حد معلوم، بل يتوقف ذلك على الاتفاق، وتراعى في ذلك الحالة المالية للرجل في الغالب، ولما كانت النقود قليلة في ذلك العهد كان المهر عيناً في

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص ١٧٨، ١٧٩ .

(٢) ذكر ابن هشام أن بني عامر كلهم حمس لتحمس أخوتهم بني ربيعة بن عامر. انظر: ابن هشام: المصدر السابق، ج١، ص ١٨٥.

(٣) بيومي مهران، تاريخ العرب القديم، ط الإسكندرية، ص ٤٢٥ .

(٤) بيومي مهران، المرجع نفسه، ص ٤٢٥ .

(٥) جواد علي، المرجع السابق، ص ٣٦٢ .

(٦) بيومي مهران، المرجع السابق، ص ٤٢٥ .

(٧) ذكر (روبرتسون سميث) أن ترادف معنى الصداق، والمهر إنما حدث في الإسلام أما في الجاهلية فقد كان هناك فرق بين مدلول الكلمتين، فإن المراد من كلمة الصداق عند الجاهلين هو ما يقدم إلى العروس، أما المهر فهو ما يقدم إلى الوالدين . جواد علي، المرجع السابق، ج٤، ص ٣٣٦ .

(٨) حيث جرت عاداتهم أن تقدم المرأة صداقها إلى زوجها نقداً أو عيناً، وهي الطريقة المألوفة عند الغربيين حتى الآن وكان الرومان يستغربون طريقة الجاهليين في دفع المهر، جواد علي، المرجع السابق، ج٤، ص ٤٤٦ .

(٩) علي حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص ١٢٠، جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص ٥٣١ .

(١٠) سورة النساء، آية : ٤ .

(١١) جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص ٥٣٠ .

(١٢) جواد علي، ج٥، ص ٥٣٠.

الأكثر[١]، ويتضح ذلك في قبيلة جنب[٢]، فقد كان مهرها أدماً[٣] .

٢ـ الزواج بالأباعد :

انتشر هذا الزواج بين بعض قبائل نجران والسراة مثل: جنب، وبنو الحارث بن كعب، وخثعم، وبنو حلف[٤]، وبنو كلب[٥]، بالإضافة إلى الصعاليك . ومن أهم الدواعي التي دفعت تلك القبائل إلى الزواج بالأباعد هو الاعتقاد بأن هذا الزواج أدعى إلى إنجاب النجباء من الأولاد[٦]، وفي ذلك يقول الشاعر :

تجاوزت بنت العم وهي حبيبة مخافة أن يضوى على سليلي[٧]

وذكر ابن قتيبة من صور الزواج بالأباعد أن "مهلهلاً" صار إلى قبيلة جنب من قبائل السروات فخطبوا إليه فزوجهم وهو كاره لاغترابه عن قومه، وكان مهر ابنته من الأدم[٨]، وأنشد في ذلك شعراً[٩].

والزواج بالأباعد شاق على المرأة في بلاد السروات ونجران، لأنه يستلزم أن تترك عشيرتها لتسكن مع عشيرة زوجها الغريبة البعيدة عنها"[١٠]، لكن بعض العشائر السروية والنجرانية والتهامية لم تكن تمانع في هذا الزواج لكي يصاهروا من هو كفء لهم"[١١]، مثل قبيلة خثعم، ويذكر الزبيري بأنه عندما تقدم جعفر بن أبي طالب إلى أسماء بنت عميس الخثعمية"[١٢]، وافقوا فولدت له عبد الله ومحمداً وعوناً"[١٣] . ثم تقدم لها أبوبكر، فولدت له محمداً بني أبي بكر"[١٤]، ثم وافقوا أيضاً على الإمام علي فولدت له يحيى بن علي بن أبي

---

(١) جواد علي، ج٥، ص ٥٣١ .

(٢) جنب : أرومة عظيمة من مذحج يقال أنهم ستة رجال منبه والحارث والغلي وسيحان وشمران وهفان وسُموا جنباً لأنهم جانبوا أخاهم صداء، وحالفت صداء بني الحارث، الهمداني، الإكليل، ط القاهرة، ج١، ص ١١٩ .

(٣) الأدم : اسم جمع للأديم، والأديم الجلد، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣، ص ٩١.

(٤) بنو حلف : هم بنو حلف بن خثعم وكان لحلف بين عفرس وناهس وشهران وربيعة، القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٢٣٤ .

(٥) بنو كلب :هم ربيعة بن خثعم، القلقشندي : المصدر السابق، ص ٤٠٨ .

(٦) صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ج١، ص ١٦١ .

(٧) المرجع نفسه .

(٨) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣، ص ٩١ .

(٩) انظر ابن قتيبة، المصدر السابق، ج٣، ص ٩١ .

(١٠) صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ج١، ص ١٤٢ .

(١١) صالح أحمد العلي، ج١، ص ١٤٢.

(١٢) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٧٧، ابن حزم :المصدر السابق، ص ٣٩١.

(١٣) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٧٧، ابن حزم :المصدر السابق، ص ٣٩١.

(١٤) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٧٧، ابن حزم : المصدر السابق، ص ٣٩١.

طالب"[١]، وكذلك كانت أختها سلمى بنت عميس التي تزوجها حمزة بن عبد المطلب"[٢]، وقد يتزوج الخلعاء أيضاً مثل هذا الزواج من خارج قبيلتهم الأصلية، ويختارون زوجاتهم من القبيلة التي تجيرهم"[٣].

وكان لسكان نجران والسروات في الزواج مراسم معينة حيث كان أبناء السادة أو أفراد القبائل عموماً لا يتزوجون إلا من بنات القبائل المناظرة لهم في الشرف والمكانة مثلما حدث مع أسماء وسلمى، بل كان أبناء السادة يرفضون الزواج من بنات أصحاب الصناعات والحرف البسيطة، كالحلاقين أو صانعي الأحذية أو العبيد مهما يكن فيهم من مواصفات جيدة، فهم ينظرون لهم كعبيد أو في مرتبة اجتماعية أدنى من مرتبتهم"[٤]. وقد ترفعت المرأة السروية على أن تتزوج العبد أو الحر المنحدر من العبودية[٥].

٣. الزواج الداخلي:

هذا الزواج يعتبر الزواج الشائع لدى السواد الأعظم من قبائل نجران وتهامة والسراة، مثل بجيلة، وذلك لدواع متنوعة منها طبيعة الحياة في بلادهم، حيث تعيش العشائر السروية في منطقة جبلية منعزلة[٦]، وبالتالي يكون الاتصال بين أوطانهم وغيرها صعباً، بالإضافة إلى أن الزواج الداخلي أدعى إلى أن تحافظ القبيلة على انسجامها ووحدتها[٧]، ويدلل على ذلك ابن دريد بقوله: إن جرير بن عبد الله البجلي زوج ابنته إلى رجل شريف من نفس قبيلته هو أبو أراكة[٨]، وهو صاحب دار أبي أراكة بالكوفة[٩]، عملاً بالعرف القائل القريب أولى بالبنت من البعيد[١٠]. ومن الملاحظ أن الزواج الداخلي، وإن كان الغالب، إلا أنه لم يكن قاعدة ملزمة للجميع، بل كانت قبيلة بجيلة نفسها لا تمانع الزواج الخارجي أحياناً إذا توافر في النسب من هو كفء لهم[١١]، ونستدل على ذلك من أن جرير بن عبد الله

---

(١) ابن حزم، ص ٣٩١.

(٢) مصعب الزبيري، المصدر السابق، ص ٢٧٧.

(٣) ابن حزم: المصدر السابق، ص ٣٩١.

(٤) ولا زال التمايز في مجتمعات نجران وتهامة والسراة حتى اليوم، فالغالبية لا يزوجون نساءهم إلا من يساويهم في النسب، ومع كثرة النساء وازدياد العنوسة أصبح هناك من يتغاضى قليلاً في تزويج بناتهم.

(٥) انظر: الألوسي المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٣.

(٦) ذكر أحد الباحثين أن منطقة السراة تشكل كتلة جبلية تقع إلى الجنوب من بلاد الحجاز كما يزداد ارتفاع الجبال وتشتد وعورتها، كلما اتجهنا جنوباً. انظر: جودة حسنين جودة. جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص٣٩.

(٧) صالح أحمد العلي، ج١، ص١٦١.

(٨) أبو أراكة: هو اسمه، والأراكة: شجر معروف ويقال أرك بالمكان يأرك إركاً إذا اقام به وأريك موضع الأريكة الوسادة أو الفرش. ابن دريد، الاشتقاق، ج١، ص ٥١٦.

(٩) ابن دريد، المصدر نفسه، ج١، ص ٥١٦.

(١٠) جواد علي، ج٤، ص ٦٣٩.

(١١) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ١٣١.

البجلي زوج ابنته أميمة إلى سيد قريش سعيد بن العاص [١]، وأيضاً زوج جرير ابنته إلى المغيرة بن شعبة[٢]. ويذكر الواقدي بأن قبيلة بجيلة اصطحبت معها في حرب القادسية أكثر من ألفي امرأة [٣]، وقد تزوجهن أكثر من ألف رجل من مختلف قبائل العرب[٤].

٤ـ زواج الأسر:

عرف زواج الأسر لدى السرويين والنجرانيين، وذلك ناتج عن الحروب والغارات بعضهم على بعض وبخاصة في العصر الجاهلي، كان أسر النساء من العادات الشائعة عندهم، ويطلق على المرأة الأسيرة اسم النزيعة، وتعتبر ملكاً خاصاً لسيدها إن شاء تزوجها أو زوجها أو باعها[٥]. ويتضح ذلك عندما أغار الصمة بن بكر على زبيد وسبى أخت عمرو بن معديكرب، وتسمى ريحانه، ثم تزوجها فأنجبت له بنيه[٦]، ومن أهم العوامل التي دفعت بعض قبائل نجران وتهامة والسرة إلى الزواج بالأسر، هي كراهية الزواج من الأهل وذي القربى مخافة أن ينتج عن ذلك نسلاً ضعيف الجسم والعقل[٧]، بالإضافة إلى أنه زواج لا مهر له[٨]. ولم يكن زواج الأسر معناه إذلال للمرأة، ويتضح ذلك في قول الشاعر:

ما زادها فينا السباء مذلة ... ولا كلفت خبراً ولا طبخت قدرا
ولكن خلطناها بخير نسائنا ... فجاءت بهم بيضاً وجوههم وزهرا[٩]

ب ـ الأسرة وتربية الأطفال :

تعد ولادة الطفل وبخاصة الذكر حدثاً سعيداً، ويحاط هذا الطفل بألوان كثيرة من التعاويذ ضد الجن [١٠]، بل تعتبر كثرة الأولاد هدفاً يسعى إليه الآباء، وكان مدعاة للفخر، مثل سعد العشيرة [١١]. وكان من الشائع تسمية الأبناء بإسم يقتبس من الأصنام،

---

(١) مصعب، الزبيري، ص ١٣١ .
(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦٧ .
(٣) الواقدي، ج١، ص ١٩٢ .
(٤) الواقدي، ج١، ص ١٩٢، عمرو رضا كحالة، ج١، ص ٦٤ .
(٥) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ٥١٠ .
(٦) ريحانة: هي ريحانة بنت معديكري بن زبيد بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج وهي أم دريد وعبدالله ابني الصمة الجشميين، وزوج رسول الله ﷺ ابنة محمية من الفضل بن العباس فولدت له أم كلثوم بنت الفضل، وتزوجها أبو موسى الأشعري. ومحمية بن جزء بن عبد يغوث بن عويج بن عمرو بن زبيد له صحبة ولاه رسول الله ﷺ الأخماس والغنائم يوم بدر، انظر: ابن حزم، ص٤١١، ٤١٢ .
(٧) علي إبراهيم حسن، ص ٥١٠ .
(٨) المرجع نفسه، ص ٥١٠ .
(٩) المرجع نفسه ، ص ٥١٠ .
(١٠) جاك . س . ريسلر : الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبدون، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة، ص ٥٢ .
(١١) سعد العشيرة : قيل له سعد العشيرة لأنه كان يركب في عشرة من أولاده الذكور فكأنهم منه في عشيرة، فصاروا مثلاً للرجل يستكثر من أولاده وعشيرته ويتفاخر بهم، جواد علي، ص ٦٢٠ .

مثل عبد يغوث[(١)]، أو عبد نهم [(٢)]، والمرأة هي الوسيلة الوحيدة لإنتاج الرجال الذين يزيدون قوة القبيلة في السلم والحرب، ولاسيما في هذا المجتمع القاسي الذي يمتهن سكانه الحرب والرعي[(٣)]، ونستدل على ذلك من تربية الرسول ﷺ لدى بني سعد بن بكر بن هوازن[(٤)]، وفي ذلك تروي مرضعته حليمة أنها خرجت ومعها زوجها في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء، وقد أرضعت سفيان بن الحارث أيضاً[(٥)]، ولما ردته إلى مكة أثنى عبد المطلب على حسن تربيته وقال: " جمال قريش وفصاحة سعد وحلاوة يثرب "[(٦)].

وكانت الأم ترعى صحة الطفل وتربيته، وترضعه سنتين وتقوم على تنشئته بحنان[(٧)]. وعندما يبلغ الطفل خمس سنوات أو ست يقام له حفل ختان[(٨)] الذي يمثل عيداً للأسرة، وتتبادل النساء في نجران وتهامة والسراة الهدايا من تمر أو فاكهة، وكان إذا أهدت المرأة هدية في ختان ردت الهدية في ختان أيضاً[(٩)].

والحقيقة أن اختيار أشراف قريش وغيرهم نساء السروات لحضانة أو رعاية أبنائهم يعكس كفاءتهن في تربية الأولاد، حيث اهتم العرب باختيار المرضعات لما يكون للبن المرضعة من أثر في الرضيع، ولما يكون لها ولبيتها من أثر فيه[(١٠)]، وذكر جواد على أن العرب إذا أرادوا مدح إنسان والثناء عليه، ذكروا أن مرضعته وصفاء لبنها الذي رضعه فقالوا: " نعمت المرضعة مرضعته "، وإذا أرادوا ذم إنسان قالوا: " بئست المرضعة مرضعته " كناية على أنها هي التي أرضعته فخرج الرضيع على شاكلتها[(١١)].

---

(١) ذكر أحد الباحثين أن هناك كثير من أبناء السراة سمي بعبد يغوث، ففي مذحج كان قائد بني الحرث بن كعب على تميم في معركة (الكلاب) عبد يغوث، كما كان لدريد بن الصمة أخ اسمه عبد يغوث، ومن مذحج أيضاً (عبد يغوث) ابن وقاص بن صلاءة الحارثي الذي قتلته (تميم) يوم الكلاب الثاني، انظر: جواد علي، ص ٢٦٢.

(٢) ذكر ابن الكلبي: أن قبيلة مزينة كان لها صنماً يسمى نهم، وكانت تسمى عبد نهم وكان سادن نهم يسمى خزاعي بن عبد نهم من مزينة، انظر: ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ج١، ص ٣٧٠.

(٣) صالح أحمد العلي، ج١، ص ١٦١.

(٤) بنو سعد: هم بنو سعد بن بكر بن هوازن الذين أرضعوا النبي ﷺ وكان بنو سعد لا يروا مثلهم في برهم ووفائهم، وهم أرباء النبي ﷺ ومنها بنو سعد بن بكر في قيس عيلان، ومنهم بنو سعد في قضاعة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط دار صادر بيروت، ج٣، ص ٢١٧، ٢١٨.

(٥) أحمد محمد الحوفي، ص ٣٩٤.

(٦) الهمداني، الإكليل، ج١، ص ٢١٧.

(٧) جاك. س. ريسلر، المرجع السابق، ص ٥٣.

(٨) المرجع نفسه، ص ٥٣.

(٩) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ص ٣٦٦، عصام الفقي، ص ٣٠٤.

(١٠) جواد علي، ج٤، ص ٦٤٤.

(١١) المرجع نفسه.

ج- الزينة :

كانت المرأة الحضرية أكثر تفنناً واعتناءً بنفسها من الأعرابية، بسبب اختلاف المحيط والوضع الاقتصادي، والعادة أن المرأة تضفر شعر رأسها ضفائر وغدائر، أما الرجال فيتخذون لهم ضفيرتين تتدليان على طرفي الوجه إلى المنكبين [١]. ومن أهم طرق الزينة في نجران وتهامة والسراة طريقة العقص، وهي أن تأخذ المرأة كل خصلة من شعرها فتلويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها، فكل خصلة عقيصة، وقد عرف ضمام بن ثعلبة [٢]، بـ (ذوي العقيصتين) وكان ذا غديرتين وكان خصل شعره عقيصتين [٣]. ومن أشهر نساء نجران والسراة في مجال تزيين النساء أم غيلان، وذكر الجمحي أنها كانت تزين العرائس [٤].

ولم تكن الزينة قاصرة على النساء فحسب، بل كان كثيراً من شيوخ نجران والسروات ووجهائها يتزينون أيضاً مثل جرير بن عبد الله البجلي الذي كان يخضب لحيته بزعفران قبل أن ينام ويغسلها إذا أصبح فتخرج مثل لون التبر [٥]، وذكر ابن حبيب أن جرير بن عبد الله كان يتعمم مخافة النساء على نفسه من فرط جماله [٦]، وكان عمر بن الخطاب يقول عن جرير "إنه يوسف هذه الأمة لحسنه" [٧].

٣- بعض العادات والتقاليد :

حافظ عرب نجران وتهامة والسراة على العادات القبلية زمناً طويلاً حتى بعد انتقالهم إلى الحياة الحضرية، فكانت العلاقة بين رجال القبيلة الواحدة أوثق من سكان المدن الحضرية. ويتضح أن عشائر السروات ونجران إذا شاركت في فتح مدينة أنشأت فيها أحياء لها [٨]، مثل دار دوس بالأندلس [٩]، وهي تجمع أبناء دوس جميعاً في حي أو مكان واحد، ومنهم بنو شاهر بن ذرعة، وبنو هارون بن ذرعة [١٠]، وهناك دار زبيد، والأزد، وخثعم وغيرها [١١]. وكان أيضاً لقبيلة بجيلة دار جامعة بالأندلس بجهة أريونة تضم جميع أبناء بجيلة [١٢].

---

(١) جواد علي، المرجع نفسه، ج٤، ص ٦٢٠ .
(٢) ضمام بن ثعلبة، هو من بني سعد بن بكر من السراة، جواد علي، ج٤، ص ٦٢١ .
(٣) انظر: المرجع نفسه .
(٤) انظر: الجمحي، طبقات الشعراء ، ص ٩٨ .
(٥) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ص ١٧١ .
(٦) ابن حبيب، المحبر، ص ٢٣٢ .
(٧) ابن قتيبة، المصدر السابق، ص ١٧١ .
(٨) ابن حزم، ص ٣٩٠ .
(٩) ابن حزم، المصدر نفسه، ص ٣٩٠ .
(١٠) ابن حزم، المصدر نفسه، ص ٣٩٠ .
(١١) ذكر ابن حزم أن من دار خثعم وإلي الأندلس عثمان بن أبي نسعة بن إياس بن الحارث بن مالك بن جشم بن أوس بن مصعب بن غنم بن القريح بن شهران بن عفرس بن حلف بن خثعم " . انظر: ابن حزم، ص ٣٩٢ .
(١٢) ابن حزم، ص ٣٩٢ .

ولم يغفل أبناء نجران وتهامة والسراة الذين أقاموا في البلاد المفتوحة من بناء أسوار بين أحيائهم وأحياء القبائل الأخرى حفاظاً على تقاليد العزلة والجمود التي نشأوا عليها في الجزيرة العربية(١) . مثل دار أبي أراكة بالكوفة(٢)، وأيضا قبيلة بني دهن بن معاوية بن أسلم بن أحمس لهم دار بالبصرة، وليس بالبصرة من بجيلة غيرهم (٣)، وهذا دليل على خضوعهم للحياة القبلية في المدن أيضا، وقد حملوا هذه النزعة إلى كان كل مكان اتجهوا إليه في فارس والأندلس والعراق والشام ومصر وغيرها .

وأغلب الظن أن ذلك يرجع إلى طبيعة العلاقة بين أفراد القبيلة حيث كان أفراد القبيلة يعملون كجماعة واحدة، يرحلون سويا ويقاتلون سويا (٤)، وإذا ارتكب أحدهم جناية حملته قبيلته(٥)، وإذا غنم غنيمة فهي للقبيلة(٦)، ولم يكن أبناء السروات ونجران يؤمنون بشيء إلا بتقاليد قبيلتهم التي كانوا يعتزون ويفخرون بها، وهذا الشعور بالارتباط يحمي القبيلة وتحميه وهو المسمى بالعصبية القبلية(٧) .

أما الكرم، فإن الدارس لحياة قبائل نجران وتهامة والسراة يدرك أن شبح الفاقة كان يتهددهم، فجبال السروات قد تحجب سقوط الأمطار (٨)، فتجدب الأرض ويجف الضرع(٩)، وكانت هذه الحالة تدعو الغني المقتدر إلى أن يعين المحتاج، وفي ضوء هذا الاتجاه اندفع سادة السروات يدعون إلى الكرم مثل خالد بن عبد الله القسري الذي قال: "فإن الله لا يعدم فاعله جوازيه، ما ضعف الناس عن أدائه قوى الله على جزائه"(١٠)، وقد عرف عن النجرانيين والسرويين عادتهم بإشعال النيران فوق رؤوس جبالهم ومضاربهم، حتى لا يضل الساري في بلادهم (١١)، ومن أمثال من اشتهر بهذه العادة شداد بن أسامة بن عمرو(١٢)، الذي لقب بـ (الهادي)، لأنه كان يوقد النار ليلا للسائرين، وداره مفتوحة للمحتاجين

---

(١) صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج١، ص ١٦٢ .

(٢) أبو أراكة: هو أبو أراكة بن مالك بن عمرو بن ذبيان بن ثعلبة بن عمرو بن يشكر بن علي بن مالك بن سعد بن نذير ابن قسر. انظر: ابن حزم، ص ٣٨٨ .

(٣) ابن حزم، ص ٣٨٨ .

(٤) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ٥٠٣ .

(٥) ابن حزم، ص ٣٨٨ .

(٦) ذكر كارل بروكلمان أن جميع أفراد القبيلة متساوون ضمن إطار القبيلة في الحقوق والواجبات التي تنبثق عن العصبية الدموية فالبدوي ملزم بأن ينصر أخاه في الملمات، وليس له أن يتساءل أهو ظالم أم مظلوم". انظر: كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ١٩٨٨م، ص ١٨ .

(٧) علي إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص ٥٠٣ .

(٨) عبد الرحمن صادق الشريف: جغرافية جنوب غرب المملكة، ج٢، ص ٦١ .

(٩) أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي، الطبعة الثانية عشرة مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٧م، ج١، ص ١٣٩.

(١٠) هزاع بن عبد الله الشمري، مشاهير كرماء العرب، ص ٣ .

(١١) أحمد شلبي، المرجع السابق، ج١، ص ١٤٠ .

(١٢) شداد بن أسامة بن عمرو: هو أبو عمرو بن عبد الله بن جابر بن بشر بن مالك بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الليثي حليف بني هاشم . ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص ١٤١ .

والمسافرين[١] . ويعتبر إشعال النيران لدى العربي دعوة للضيف[٢]، وتدل على مدى حرصه على أن تجلب ناره الضيفان مهما كلفه ذلك من مال، لأن المال عندهم وسيلة لا غاية، وكان وسيلتهم إلى مساعدة المحتاج وما يتبع ذلك من كسب المحامد[٣] .كما كان إشعال النار في الظلام من عادة الكرماء في السروات ليراها الغريب والمحتاج، والجائع من مسافة بعيدة فيفد إليها[٤]، ويقدم له ما يحتاج من طعام، ويقال لها نار الضيافة[٥] .

وتروى كتب الأدب صوراً متنوعة من كرم أبناء نجران والسراة مثل عمرو بن معدي كرب، فيذكر الأصفهاني أن صديقه عيينة بن حصن نزل عليه زائراً في محلة زبيد بعد بناء الكوفة[٦]، وعمد عمرو إلى الكبش فذبحه وألقاه في قدر وطبخه، حتى إذا نضج جاء بجفنة عظيمة، فثرد فيها، وأكفأ القدر عليها فأكلاه[٧]، فلما أراد عيينة الانصراف قال عمرو : " لئن انصرف أبو مالك بغير عطاء إنها لوصمة عار" ثم أمر بناقة عظيمة له، وبأربعة آلاف درهم، فرفض عيينة المال وأخذ الناقة وانصرف[٨]، وهو ينشد في كرمه قائلاً :

جُزيت أبا ثور جزاء كرامة ... فنعم الفتى المزوار والمتضيفُ
قَرَيْتَ فأكرمت القرى وأفدتنا ... تحية علم لم تكن قط تُعْرفُ
وقلت حلال أن تدير مدامة ... كلون انعقاق البرق والليل مسدف[٩]

والكرم طبيعة متأصلة عند عشائر نجران وتهامة والسراة، وليس جود الرجل منهم من باب أداء الواجب أو طاعة القانون، وإنما لأن الجود يشبع في نفسه رغبة ويدخل عليها مسرة، وليس أدل على ذلك من قصة أبي خراش التي تبلغ حد الأسطورة ،مع أنه أحد الفقراء والصعاليك من بني هذيل، وقد كان حرصه على إكرام ضيوفه اليمنيين سبباً في هلاكه، حينما أخذ يهيئ لهم الطعام والذبيحة ثم رجاهم أن يحضروا ماءً من مكان قريب، فأبوا إلا أن يحضره هو[١٠]، فنزل على إرادتهم وأحضر الماء، ولكن أثناء عودته لدغته حية فتحامل على نفسه وأكمل رحلته بالماء إليهم [١١]، وازداد تحاملاً حتى قدم لهم الطعام دون أن يخبرهم بما جرى له حتى لا يفسد عليهم

(١) المصدر نفسه .
(٢) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١١، ص ١٤١ .
(٣) المصدر نفسه، ج١١، ص ١٤١ .
(٤) جواد علي، ج٥، ص ٥٨٢ .
(٥) نار الضيافة، هي نار توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل وكانوا يوقدونها على الأماكن المرتفعة، لتكون أظهر. انظر: جواد علي، ج٥، ص ٥٨٢
(٦) الأصفهاني، الأغاني، دار صعب، بيروت، ط١٤، ص ٢٦ .
(٧) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٤، ص ٢٦ .
(٨) النعمان عبد المتعال القاضي، شعر الفتوح الإسلامية، ص ٢٠٣ .
(٩) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٤ ، ص ٢٨ .
(١٠) عبد الحليم حفني، شعراء الصعاليك، ص ٤٨ .
(١١) عبد الحليم حفني، المرجع نفسه، ص ٤٨ .

شـهيتهم للطعام، وبات وهو يعاني سـكرات الموت دون أن يعرفوا بأمر اللدغة، وعند الصباح كان يحتضر، ثم مات وشيعوا جنازته[١] . وقد عقب عمر بن الخطاب بعد ذلك على قصة أبي خراش وأضيافه اليمنيين بأنه لولا أنٍ تذهب سنة لأمر ألا يستضاف يمني بعد تلك الحادثة[٢]. وهذه القصــة تؤكد بما لا يدع مجالا للشــك أن الكرم كان طبيعة متأصلة لدى أبناء السروات ونجران، وأن الجود لا يرتبط بالفقر أو الغنى، بل إن الجود هو قانون الحياة في مجتمعهم .

ويعـد المـاء الشـراب الأساسـي علـى المائـدة بجـوار الطعـام، وتنوعـت مصـادر مياه الشـرب في نجران والسروات بكثرة مياهها الجوفية والسطحية[٣]، ويمكن الحصول علـى هـذا النوع مـن المياه على مـدار السـنة[٤]، وينقـل الماء ويخـزن من مصـادره إلى دور السـرويين والنجرانيين بواسطة قرب مصنوعة من الجلد[٥]، وهذا النوع من الأوعية يصنع محلياً من جلود بعض الحيوانات[٦] .

والعسـل من الأطعمة والأشربة الأساسية في نجران وتهامة والسراة، وينتشر في كثير من قراها وحواضـرها[٧]، ويشـير الأزرقي إلى أن العسـل متنوع الأصـنـاف في بلاد دوس وأجـزاء من السـروات[٨]، ويرجع ذلـك إلى عوامل متنوعـة منها أن الأمطـار تختلف في كميتهـا من مكان إلى آخر[٩]، إلى جانب اختلاف مناخ هذه البلاد[١٠]، الأمر الذي يؤدي إلى تنوع الزراعة مما يجعل العسـل فيها يتميز بالتنوع والجودة، كالعسـل الناصع البياض بلون السـكر النقي ويسـمى مجرى، وهو طيب النكهة والمنظر[١١]، وعسـل آخر لونه أحمر يسمى الشوكة[١٢]، نظراً لأنه يتغذى على النبات الشائك[١٣]، وليس أدل على جودة العسل

---

(١) المرجع نفسه، ص ٤٨ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٨ .

(٣) عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص ٩٤ .

(٤) جودة حسنين جودة، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ص ٣٩ .

(٥) جواد علي، ج٧، ص ٥٨٧ .

(٦) السيد عبد العزيز سالم، ص ٩٢ .

(٧) عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص ٢٨٧ .

(٨) الازرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٣٨٣ .

(٩) ذكر جودة حسـنين أنه حينما تسـقط الأمطار الصيفية بكميات مناسبة في بلاد السراة تجود المحاصيل الصيفية، وفي المناطق التي تحظى بأمطار شـتوية كافية يزرع الشـعير والفواكه، كما أن الشـح في المطر في بعض المناطق قد تتركز الزراعة في الواحات حيث يمكن الحصـول على الماء من الينابيع المتدفقة أو من الآبار، جودة حسـين جودة، شبه الجزيرة العربية، ص ٥٨ .

(١٠) عبد الرحمن صادق الشريف، ج٢، ص٦١، جودة حسنين، المرجع السابق، ص٥٥ .

(١١) المرجع نفسه، ص٢٨٧ .

(١٢) المرجع نفسه، ص ٢٨٧

(١٣) النبات الشائك: وهو ذو الشوك وهو كل نبات به شوك وأرض مشوكة فيها السحاء والقتاد والهراس، والسحاء نبات شـائك ولـه زهرة حمراء في بياض تسـمى البهرمة يرعـاه النحل، وينبت في نجد ونجران وتهامـة" . جواد علي : المرجع السابق، ج٧، ٣٥ .

في السروات من أنه كان موضع تهافت الخلفاء والناس [١] .

أما الخمور فكانت منتشرة في نجران والسراة ويختص بصناعتها أهل الذمة وخاصة نصارى نجران، ويرجع ذلك إلى مهارتهم في صناعة الخمر القائمة على الكحول الذي يستخرج من التمور[٢]، المنتشرة في مناطق عديدة من بلاد نجران وتهامة والسراة[٣]، ولم ينفرد النصارى بعصر الخمور وبيعها بل سبقهم إلى الاتجار بها اليهود في الجاهلية[٤]، وكان أبناء السروات ونجران يصنعون الخمر من الكروم المزروعة في نواح عديدة مثل: بلدة نجران ، وجرش، ورنية، وتربة، وسروات الحجر وغامد ودوس وغيرها، وهذه السلعة كانت تباع في معظم أسواق نجران والسراة مثل: عكاظ، وذو المجنة،[٥]، والجريب وغيرها [٦]، وشرب الخمر من العادات السائدة عند التهاميين والنجرانيين والسرويين قبل الإسلام وعند ظهوره في الحجاز . مع أن موقف الإسلام من الخمر هو التحريم في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[٧]، وقد اعتبر الفقهاء جميع أنواع المشروبات المسكرة تدخل في نطاق التحريم بالقياس[٨]، حتى ولو لم تكن خمراً [٩]، ومع ذلك استمرت عادة شرب الخمر لدى بعض السرويين ولاسيما أهل الذمة والمجوس والوثنيين في بيشة والطائف ونجران وغيرها من بلدان السروات الأخرى [١٠].

وكان تعاطي الخمر منتشراً بين الأعيان والوجهاء قبل الإسلام حيث كانوا يشربونه في كاسات[١١]، بينما كانت الطبقات الدنيا تشربه في أدوات رخيصة، وذكر الأصفهاني أن العبيد كانوا يجالسون سادتهم ويشربون معهم الخمر في بلاد

---

(١) يروي ابن قتيبة أن أحد الخلفاء كتب إلى عامله بالطائف " أن يرسل له من عسل الندغ والسحاء من بني شبابة " انظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣، ص ٢٠٥، وذكر القلقشندي أن بني شبابة هي بطن من نهد القحطانية، وهم: بنو شبابة بن نهد، القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، (ص١٩٨٠م)، ص ٣٠٢ .

(٢) جودة حسنين جودة، شبه الجزيرة العربية، ص ١٠٣ .

(٣) من أمثلة هذه المناطق نجران، وتربة، وبيشة، ورنية، وجرش، وترج ونواحٍ أخرى من بلاد نجران وتهامة، حسين بن علي، المرجع السابق، ص١١٧ .

(٤) حبيب زيات، الديارات النصرانية في الإسلام، ص٣٤ .

(٥) سعيد الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٤٥ .

(٦) السيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٩٢ .

(٧) سورة المائدة، آية ٩٠ .

(٨) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٧٩ .

(٩) كارل بروكلمان، المرجع نفسه، ص ٧٩ .

(١٠) مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص١٦ .

(١١) يروي صاحب فتوح اليمن أن أحد المسلمين سار إلى بلاد خثعم فوجد خادماً وعليه ثياب من الحرير الأملس وحوله عبيد وغلمان، وأحد وجهاء خثعم يجلس في مجلسه وبين يده كاسات الخمور تدار على أصحابه، . مؤلف مجهول، ص ١٦.

السروات [١] . ويعتبر الخمر هو الشراب الأساسي في دور الضيافة عند أهل نجران وتهامة والسراة وكان رمزاً لإكرام الضيوف [٢] ، وقد تغنى الشعراء بمجالس الخمور وجودتها مثل أبي ذؤيب الهذلي[٣] . والتفاخر هو التعاظم ويعد من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية لدى قبائل السراة ونجران وتكون المفاخرة بالآباء والأجداد وبالسيادة وبالكثرة وبالحسب والنسب[٤] ، والكتب التاريخية تحوي كثيراً من المفاخرة ومنها منافرة[٥] ، جرير بن عبد الله البجلي، وخالد بن أرطأة الكلبي[٦] ، وتقع المفاخرات بحضور محكمين، وعلى الطرفين قبول الحكم وإطاعته [٧] ، وتكون المفاخرة بإظهار كل طرف ما عنده من خصال يفاخر بها، ثم يذكر ما امتاز به على خصمه بكلام منثور. أي ليس شعراً - منظم منسق منمق[٨] ، ثم ينظر المحكمون في الحجج التي استمعوا إليها ليبدوا حكمهم بموجبها. وهذا ما حدث في منافرة جرير بن عبد الله البجلي وخالد بن أرطأة، فقد تنافرا إلى الأقرع بن حابس عالم العرب في زمانه[٩] ، فقال الأقرع: ما عندك يا خالد؟ فقال : "نترك البراح ونطعن بالرماح ونحن فتيان الصباح[١٠] ، فقال: ماعندك يا جرير؟ فقال: " نحن أهل الذهب الأصفر والأحمر والمعتصر نخيف ولا نخاف نطعم ولانستطعم، ونحن حي لقاح نطعم ما هبت الرياح، ونضمن الدهر، ونصوم الشهر، ونحن الملوك القسر[١١] ، " فقال الأقرع بن حابس: " واللات والعزى لو نافرت قيصر ملك الروم، وكسرى عظيم الفرس، والنعمان ملك العرب لنفرت عليهم "[١٢] .

---

(١) يروي الأصفهاني أنه جاءت بنو مازن إلى عمرو بن معديكري فقالوا أن أخاك قتله رجل منا سفيه وهو سكران، وكان عبد الله بن معديكرب أخو عمرو في مجلس شرب مع بني مازن فتغنى عنده حبشي من عبيد بني مازن وكان يتشبب بامرأة من بني زبيد فلطمه عبد الله وقال له أما كفاك أن تشرب معنا حتى تتشبب بالنساء فنادى الحبشي ياآل بني مازن فقاموا إلى عبد الله فقتلوه . الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص ٣٣، ٣٤ .

(٢) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ٤٢ .

(٣) قال أبو ذؤيب الهذلي :

سلافة راح ضمنتها إداوة ... مقيرة ردف لمؤخرة الرحل
تزودها من أهل بصرى وغزة ... على جسرة مرفوعة الذيل والكفل
فوافى بها عسفان ثم أتى بها ... مجنة تصفو في القلال ولا تغلي

انظر : ياقوت، معجم، ج٥، ص ٥٩ .

(٤) جواد علي، ج٥، ص ٥٨٩ .

(٥) المنافرة : المحاكمة من النفر لأن العرب كانوا إذا تنازع رجلان منهم وادعى كل واحد أنه أعز من صاحبه تحاكما إلى عالم فمن فضل منهم قدم نفره عليه أي فضل نفره على نفره . الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٠١ .

(٦) الألوسي، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٠١ .

(٧) جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص ٥٩٠ .

(٨) جواد علي، المرجع نفسه، ج٥، ص ٥٩٠ .

(٩) الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق محمد علي قاسم، بيروت ١٩٨٦م، ص ٢٢.

(١٠) الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٠١ .

(١١) الألوسي، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٠١ .

(١٢) الألوسي، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٠١ .

لاشـك أن رأي الأقرع بن حابس يعكس مدى ولع سـادات السـروات بالفخر ويؤكد أن الفخر كان له المكانة الكبيرة في الحياة الاجتماعية عندهم، ولم تكن المفاخرة قاصرة على أشـرافهم بـل كانت عامة، ولا سـيما في بني عبد المدان في نجـران، الذين بارك الله لهم بسعة الصدر، وطول الأجسام، فكانوا يفخرون بذلك على غيرهم [١]، ويشير الجبوري إلى أن حسان بن ثابت سفههم بشعره حين قال:

لا بـأس بـالـقـوم مـن طـول ومـن عظم أجسـام الـبـغـال وأحـلام العصافير [٢]

فجاءوا إليه وقال له : يا ابن الفريعة كنا نفتخر على الناس بالعظم والطول فأفسدته علينا، فقال سأصلح لكم ما أفسدته فقال فيهم :

وقـد كـنـا نـقـول إذا رأيـنـا لـذي جِـسـم يـعـد وذي بـيـان
كـأنـك أيـهـا الـمـعـطـي بـيـانـا وجـسـمـاً مـن بـنـي عـبـد المـدان [٣]

فعـادوا إلى الافتخـار بذلك، ولعل من أهم مفاخر قبائل نجران وتهامة والسـراةٍ هو فك الأسـير، وهو يدل على الشـهامة وكرم النفس . ويشـير الأصـفهاني إلى أن رجلاً من ثمالـة [٤]، أقـام في جوار دريد بن الصـمة [٥]، ثم أغار أحد صـعاليك خثعـم وهو أنس بن مدركٍ الخثعمي [٦]، على بني جشـم، فأصـاب مال الثمالى، وبعض الناس من ثمالة كانوا جيراناً لدريد، وقد أبطأ في أمر الثمالى فسـمع منه ما يكره [٧]، ثم أشـار القوم على دريد

---

(١) يحيى الجبوري، الإسلام والشعر، ص ٢٣ .

(٢) يحيى الجبوري ، المرجع نفسه ، ص ٢٣ .

(٣) يحيى الجبوري ، المرجع نفسه ، ص ٢٣ .

(٤) ثمالة : هو عوف بن أسلم بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، فولد ثمالة : عوف وسلمة وعثمان وعمرو، وإلى ثمالة ينتمي المبرد النحوي البصـري محمد بن يزيد عبد الأكبر عمير بن حسـان بن مسـلم بن سـعد بن عبد الله بن زيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن مسـلم . ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٧٧.

(٥) دريد بن الصـمة : هو فارس شـجاع شـاعر فحل، جعله محمد بن سـلام أول الشـعراء الفرسـان، وقد كان أطول الشـعراء الفرسـان غزواً وأبعدهم أثراً وأكثرهم ظفراً، وكان سيد قومه وفارسهم وقائدهم، وغزا نحو مائة غزوة ولم ينهزم في واحدة منها، أدرك الإسلام، فلم يسلم، وخرج مع قومه يوم حنين مظاهراً للمشركين، ولا فائدة منه في الحرب لكبر سنه، وإنما أخرجوه تيمناً وليقتبسوا من رأيه . انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص٢ .

(٦) أنس بن مدرك الخثعمي: هو أنس بن مدرك بن عمر بن تيم الله بن مبشـر بن ربيعة بن عفرس. انظر: ابن حزم، ص ٣٩١، وذكر عبده بدوي أن أنس بن مدرك هو الذي قتل السليك بن سلكة وحين طولب بديته قال قصيدة منها:

إني وعـقـلـي سـلـيـكاً بـعـد مقتله كـالـثـور يـضـرب لمـا عـافـت الـبـقـر

عبده بدوي، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، ص ٥٣ .

(٧) وأنشد الثمالي قائلاً :

كـسـاك دريـد الـدهـر ثـوب خـزاية وجـدعـك الـحـامـي حـقـيـقـة أنـس
دع الخـيـل والـسـمـر الـطـوال لخثعم فما أنـت والـرمـح الـطـويـل ومـا الـفـرس
ومـا أنـت والـغـزو المـتـابـع للعدا وهـمـك سـوق الـعـود والـدلـو والمرس
فـلـو كـان عـبـد الله حـيـاً لـردهـا ومـا أصـبـحـت إبـلـي بـنـجـران تحبسِ

بـأن يذهب إلى بني عبد المدان لأن من أخلاقهم فك الأسـرى[١]، وسـرعان ما رحل دريد إلى يزيد بعد أن قال فيه:

بـنـي الـديـان ردوا مـال جـاري وأسـرى في كـبـولـهـم الـثـقـال
ورد الـسـبـي إن شـئـتـم بـمـن وإن شـئـتـم مـنـاداة بـحـال
فـأنـتـم أهـل عـائـذة وفـضـل وأيـد في مـواهـبـكـم طـوال[٢]

فلما بلغ يزيد شعره فك الأسرى، ومما مدح به دريد بن الصمة يزيد:

ورد الـنـسـاء بـأطـهـارهـا ولـو كـان غـيـر يـزيـد فـضـح[٣]

وأشـار سـعيد الأفغاني أن قيس بن عاصـم أغـار على بني مرة بن عـوف بن ذبيان، فأسـر أحـد رجلين مـن هوازن فاسـتغاث أخـوه بوجوه بنـي مرة فلـم يغيثـوه[٤]، وركب الهوازني إلى موسـم عكاظ فأتى منازل مذحج يسـتغيث بهم وأنشـد في ذلك شعراً[٥]، ثم اتجه إلى بعض شيوخ مذحج، مثل قيس بن مكشوح المرادي، فقص عليه قصته فقال قيس له: اشتر أخاك منه وعلي الثمن، ولا يمنعك غلاؤه[٦] ثم أتى عمرو بن معديكرب فقال له مثل ذلك[٧]، وأتى يزيد بن عبد المدان فقال له سـوف أبعث إلى قيس بن عاصـم فإن وهب

ولأصبحت عرسي بأشقى معيشة وشيخ كبير من ثمالة تعس
وكنت وعبد الله حي ما رأى أبالي من الأعداء من قام أو جلس
فأصبحت مهضوماً حزيناً لفقده وهل من نكير بعد حولين تلتمس

الأصفهاني، الأغاني، ج ٩، ص ١٧.

(١) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج٩، ص١٧. لويس شيخو، شعراء النصرانية، ص ٧٧٥.
(٢) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج٩، ص١٧.
(٣) علي الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص ٢٥٧.
(٤) سعيد الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٠٧
(٥) ومن الشعر العربي أنشد:

دعوت سناناً وأبي عوف وحارثاً وعاليت دعوى بالحصين وهاشم
أعيذهم في كل يوم وليلة بترك أسير عند قيس بن عاصم

فسمع صوت من الوادي ينادي بهذه الأبيات:

عليك بذي الحي من مذحج فإنهم للرضى والغضب
فيا يزيد بن عبد المدان وياقيساً وعمرو بن معديكرب
يفكوا أخاك بأموالهم وأقلل بمثلهم في العرب
حليفهم الأدنى وجار بيوتهم ومن كان عما سرهم غير نائم
فياليت شعري من لإطلاق عمه ومن ذا الذي يحظى في المواسم

انظر: سعيد الأفغاني، أسواق العرب، ص ٣٠٧.

(٦) سعيد الأفغاني، المرجع نفسه، ص ٣٠٨
(٧) سعيد الأفغاني، المرجع نفسه، ص ٣٠٨.

لي أخـاك شـكرته، وإلا أغرت عليه حتى يدفـع إلي أخيك، وإلا دفعت إليك كل أسـير من قبيلة قيس بن عاصـم عندنا بنجران فاشـتريت به أخاك، فرضي أخو الأسير بما عرضه عليـه يزيـد بن عبد المدان(١) . ولاشـك أن أخلاق سـادات السـروات كانـت تجعلهم قبلة يـأوي إليها الضـعفاء ويسـتغيث بهم أولوا الحاجة فيقضـون حاجتهم مهمـا كانت الكلفة أو العقبات . وسـرعان ما أرسـل يزيد بن عبد المدان به إلى قيس بن عاصـم رسولاً يدعوه إلى فك الأسـير(٢) . وعندما بلغ قيس رسـول يزيد جمع وجوه تميم وطلب منهم أن يغتنموا الفرصـة، ويطلقوا سـراحه، ولكنهم أبـوا إلا المغالاة في فدائه واعتـذر إلى يزيد قائلاً : " إن الأسـير بيد رجل من سـعد وقد اشتطوا في ثمنه"(٣)، فأرسـل يزيد إلى السعدي وقال: احتكـم، فقـال مائة ناقة ورعاؤها معها، فوبخه يزيد علـى قلة طلبه، لأنه لو طلب ماله كله لأعطـاه لـه(٤). وفي هذا دلالة على أنه لو طلب أموال بني الحارث كلها في سـبيل فك أسـر هذا الرجل لدفعها .

ومن أهم مفاخر قبائل نجران وتهامة والسـراة التفاخر بمن برز عندهم في عمل فذ، أو قام بفعل استحق الإعجاب، وكانت تتفاخر بذكر أسماء هؤلاء وتحفظ أسماءهم للتباهي بهم (٥)، ويشـير ابن عبد ربه إلى أنه حينما سـأل عمر بن الخطاب : من هو فارس العرب ؟ قالوا : عمرو بن معديكربٍ، ثم قال عمر: فأي سيوف العرب أقطع ؟ قالوا : الصمصامة(٦)، قال عمر: كفى بهذا فخراً لليمن(٧)، وكانت الصمصامة موضع شعر الشعراء(٨) .

---

(١) سعيد الأفغاني، المرجع نفسه، ص ٣٠٨.

(٢) ذكر الأفغاني أن يزيد بعث إلى قيس بن عاصم أبيات شعر قال فيها :

فيا قيس أرسل أسيراً من بني جشم	أني بكل الذي تأتي به حازي
لا تأمن الدهر أن تشجى بغضته	فاختر لنفسك إحمادي وإعزازي
فافكك أخا منقر عنه وقل حسنا	فيما سئلت وعقبه بإنجاز

انظر : سعيد الأفغاني، المرجع نفسه، ص ٣٠٩ .

(٣) سعيد الأفغاني، المرجع نفسه، ص ٣٠٩ .

(٤) سعيد الأفغاني، المرجع نفسه، ص ٣٠٩ .

(٥) جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص ٥٩٢ .

(٦) الصمصامة : هي سيف صارم لا ينثني، وفي حديث أبي ذر لو وضعتم الصمصامة على رقبتي وهي السيف القاطع، والجمع صماصم وفي رواية أخرى : أردوا بالصماصم أي جعلوها لهم بمنزلة الأردية لحملهم لها وحمل حمائلها على عواتقهم، والصمصامة اسم السيف القاطع، وقال الجوهري الصمصام والصمصامة السيف الصارم، ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص ٣٤٧.

(٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص ١٢٢ .

(٨) ذكر ابن عبد ربه أنه لما أهدي الصمصامة إلى موسى الهادي الذي قال لحاجبه ائذن للشعراء فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا فيه فأنشد أحدهم :

حاز الصمصامة عمرو	من جميع الأنام موسى الأمين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا	خير ما أغمدت عليه الجفون
اخضر المتن بين يديه نور	من فرند تمتد فيه العيون
أوقدت فوقه الصواعق نارا	ثم سالت به الزعاف القيون

وبالرغم من أن تلبية نجران وتهامة والسراة في الحج كانت مختلفة [١]، نظراً لاختلاف أصنامهم، إلا أنهم كانوا يشتركون جميعاً في شيء واحد هو الفخر بالآباء في الحج [٢]، وكانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون فيتفاخرون بمآثر آبائهم فيقول بعضهم لبعض: كان أبي يطعم الطعام ويقول بعضهم: كان أبي يضرب بالسيف فيخطب خطيبهم ويحدث محدثهم في هذا الشأن [٣]، وطالما كانت هذه المفاخرات مدعاة إلى وقوع حروب وسفك دماء، لذلك أبطلها الإسلام ونهى عنها [٤]، قال تعالى ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [٥]، أما البغاء [٦]، فقد كان موجودا في بلاد نجران السروات، وإن كنا لا نعلم مدى انتشاره، ولكن الثابت أن ممارسة البغاء كانت لا تمثل قيمة واحدة في المجتمع، فإذا مارسته الحرة فهو عار، وتقوم قيامة القبيلة من أجل دفن عارها، وإذا مارسته الأمة فهو أمر لا يثير شيئاً [٧]. وهذه القيمة ليست قاصرة على المجتمع بل إن هذه القيمة كانت متغلغلة وراسخة في أعماق المرأة [٨].

وليس أدل على ذلك من موقف المرأة السروية التي تنسب إلى قبيلة غامد [٩]، وهي

فإذا ما سللته بهر الشمس ضياء فلم تكد تستبين

انظر: ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج١، ص١٢٣ وذكر ابن منظور إن عمرو بن معديكرب قال حين وهبه لسعيد بن العاص:

خليل لم أخنه ولم يخني على الصمصامة السيف السلام
خليل لم أهبه من قلاه ولكن المواهب في الكرام
حبوت به كريما من قريش فسر به وصين عن اللئام

انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج١٢، ص ٣٤٧.

(١) استعرض ابن حبيب مظاهر هذا الاختلاف حين ذكر: "كانت تلبية من نسك ذا الخلصة لبيك اللهم لبيك، بما هو أحب إليك" وتلبية عك "أنهم كانوا إذا بلغوا مكة يبعثون غلامين أسودين أمامهم يسيران على جمل مملوكين قد جردا من ثيابهما فهما عريانان فلا يزيدان على أن يقولا نحن غرابا عك، وإذا نادى الغلامان بذلك صاح من خلفهم من عك، عك إليك عاينة عبادك اليمانية، كما نجح الثانية على الشدائد الناحية" وكانت تلبية يغوث من قبيلة مذحج بنجران: "لبيك اللهم لبيك لبيك أجيبنا بما لديك فنحن عبادك قد صرنا إليك". ابن حبيب، المحبر، ص ٣٠٩-٣١٥.

(٢) جواد علي، المرجع السابق ،ج١، ص ٣٧٤.

(٣) جواد علي، المرجع نفسه ،ج٥، ص ٣٨٩.

(٤) جواد علي، المرجع نفسه، ج٥، ص ٣٨٩.

(٥) سورة البقرة، الآية (٢٠٠)

(٦) البغاء: هو الفجور والجمع البغايا، والزنا هو الفجور، وهو إثم كبير عند العرب، فلا تقربه الحرة، أما الرجال، فلا يرونه عيباً، بل قد يتبجح بعضهم به، لأنه من أمارات الرجولة، وقد كانوا يذهبون إليهن ويتصلون بهن في مقابل أجر وكن من الإماء" جواد علي، ج٥، ص ١٣٣.

(٧) صالح أحمد العلي، ج١، ص ١٦١.

(٨) ذكر جواد علي أنه لما نزلت الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ ﴾، وعندما فرغ رسول الله من بيعة الرجال بمكة، واجتمع إليه نساء من قريش فيهن (هند بنت عتبة) وأخذ يبايعهن الرسول فلما وصل إلى قوله تعالى [ولا يزنين] فقالت يا رسول الله وهل تزني الحرة. جواد علي، ج٥، ص ١٣٤.

(٩) غامد: هو عمرو بن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد. ابن حزم، ص٣٧٧.

التي أتت الرسول ﷺ تطلب منه أن يقيم عليها الحد لأنها أصابت الزنا[١]، فأرجعها مرة تلو المرة، ثم أتته في الغد فاعترفت بالزنا وأقسمت بالله أنها حُبلى، فقال لها : ارجعي حتى تلدي، فلما ولدت جاءت بالطفل تحمله، فقالت يا نبي الله ولدته، فقال لها اذهبي فأرضعيه حتى تفطمينه[٢]، فلما فطمته جاءت إلى النبي فرجمها، وقال " والذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له فصلى عليها"[٣] وقد ذكر القرآن الزنا وشدد في تحريمه[٤] .

لاشك أن موقف المرأة الغامدية يوضح مبلغ تقدير المرأة السروية لشرفها، كما يعكس مدى ارتباط نساء أهل السراة بالدين، فضلا عن صدقها مع نفسها، بينما وجدت بعض عشائر السروات صعوبة في تقبل حكم الإسلام في تحريم الزنا [٥]، ويتضح ذلك عندما طلبت قبيلة هوازن من الإمام علي بن أبي طالب الأمان على تحليل الزنا، فامتنع [٦] .

ووجد في بعض قبائل نجران و السراة، فعلى سبيل المثال ذكر سعيد الأفغاني أن رجلاً يدعى جارية بن سليط، وكان من أحسن الناس وجها، فأبصرته امرأة من خثعم في سوق عكاظ [٧]، فأعجبها وتلطفت له حتى وقع عليها فلما فرغ قالت "إنك قد أتيتني على طهر، وإني لا أدري لعلي سأعلق لك ولدا، فموعدك فصال ولدي إن حملت لك[٨]، فسمى لها اسمه، وبعد ثلاث سنين أقبلت مع أمها وخالتها حتى رأته بعكاظ فعرفته، فقالت لأمها : هذا جارية فقالت أمها : " بمثل جارية فلتزن الزانية سراً وعلانية"[٩]. ووجد الرجل أن المرأة قد ولدت غلاماً وفطمته، ثم دفعن إليه الغلام فسماه عوفا، فشرف وساد قومه وهو عوف الأصم[١٠]، وقد ورد في الحديث الشريف " الولد للفراش وللعاهر الحجر"[١١] .

أما وأد البنات [١٢]، فهو دفن البنات وهن أحياء، وتعتبر هذه العادة من أشد وأشنع

---

(١) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص ٤٦٢ .

(٢) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٥، ص ٤٦٢

(٣) جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص ٤٦٢ .

(٤) قال الله تعالى [الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ] سورة النور . آية (٢) .

(٥) وقال الله تعالى في تحريم الزنا [وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا] سورة الإسراء، الآية (٣٢) .

(٦) جواد علي، المرجع السابق، ج٥، ص١٣٩ .

(٧) سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص ٣٢٣ .

(٨) سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص ٣٢٣ .

(٩) سعيد الأفغاني، المرجع نفسه، ص ٣٢٣ .

(١٠) سعيد الأفغاني، ص ٣٢٣ .

(١١) جواد علي، ج٥، ص١٣٧ .

(١٢) وأد البنات : يقال وأد البنات أي دفن البنت حية، والموءودة اسم كان يقع على من كانت العرب تدفنها حية من بناتها وهو وائد وهي وئيدة، انظر: الألوسي، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٢ .

العادات الاجتماعية في بلاد نجران والسراة، وهي أن يعمد الرجل إلى وليدته، وقد بدأت تستقبل الحياة فيلقي بها في حفرة[١]، ثم يهيل عليها التراب، ويدعها في غمرة الموت بين طيات الأرض[٢]، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ ﴾[٣]. وقد تنوعت دواعي الوأد عند العرب فمنهم من كان يئد البنات بسبب الغيرة ومخافة أن يلحقهم عار من وجودها، أو مرض أو قبح كأن تكون شيماء أو برشاء أو كسحاء[٤]، وهي من الصفات التي كان يتشاءم منها العرب، ومنهم من كان يقتل أولاده خشية الإنفاق وخوف الفقر[٥].

وكان الوأد مستعملاً في بعض قبائل العرب[٦]، إلا أنه لم يكن مستعملاً في كل قبائل نجران وتهامة والسراة، وإنما هناك بعض القبائل التي كانت تمارس هذه العادة مثل هذيل، وكنانة[٧]، وعشائر أخرى لم تمارسه مثل عك[٨] وبطونها، فكانوا لا يئدون بناتهم وعشائر أخرى من نجران وتهامة وبلاد اليمن[٩].

ورأى بعض شيوخ نجران والسراة بشاعة الوأد فنهضوا إلى محاربته والتخفيف من آثاره، وبذل بعضهم المال والمساعي الحميدة لمحاربة هذه العادة، مثل زيد بن عمرو بن نفيل الخثعمي[١٠]، فكان يشتري البنات ويفديهن من القتل[١١]، ويرجع ذلك إلى حسن تقديرهم للمرأة السروية، التي كانت تتبوأ مركزاً اجتماعياً ممتازاً وتمتعت بكثير من الميزات الاجتماعية التي أدت إلى رقي مستواها، ونذكر على سبيل المثال فاطمة بنت الخرشب الأنمارية فكان بيدها أمر طلاقها، وكذلك أم خارجة[١٢]، وهذه ميزة لا تحصل عليها المرأة إلا إذا بلغت من الشرف والمكانة في قومها شأناً عظيماً.

---

(١) الألوسي، المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٢.

(٢) غوستاف لوبون، مرجع سابق، ٤٠٣.

(٣) سورة النحل: الآيتان (٥٨، ٥٩).

(٤) الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ٤٣، جواد علي، ج٥، ص ٨٨.

(٥) الألوسي: المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٤، جواد علي: المرجع نفسه، ج٥، ص ٨٨.

(٦) محمود شكري الألوسي، مصدر سابق، ج٣، ص ٤٢.

(٧) كنانة: قريش من كنانة، وبنو ملكان بن كنانة، وبنو عبد مناة بن كنانة وبنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن ملكان بن كنانة، ابن حزم، مصدر سابق، ص ٤٦٥.

(٨) عك: بطن اختلف في نسبه، فقال بعضهم بنو عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد بن كهلان من القحطانية، وذهب آخرون إلى أنهم من العدنانية، وعك أصغر من معد بن عدنان أبو العدنانية، وقال آخرون أنه عك بن الديث، وكانت مواطنهم في نواحي زبيد ومن أراضيهم الأعلاب تقع بين مكة والساحل وينسب إلى هذا البطن مخلاف عك، انظر: عمر رضا كحالة، معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ج٢، ص ٨٠٢.

(٩) ابن حبيب، المحبر، ص ١٧٩.

(١٠) جواد علي، المرجع السابق، ج٤، ص ٦٣٦، ٦٣٧، وذكر الألوسي أن زيد بن عمرو بن نفيل كان يحيي الموءودة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤنتها " الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ٤٥.

(١١) جواد علي، المرجع السابق، ج٤، ص ٦٣٧.

(١٢) أم خارجة: هي عمرة بنت سعد بن زيد بن الغوث بن أنمار التي يقال فيها " أسرع من نكاح أم خارجة، ابن حزم، ص ٣٨٩.

ومـن العوامـل التـي حملت بعض قبائل نجـران والسـراة مثل هذيـل وغيرهـا[١]، على وأد البنات الفقر، نظراً لأن جبال البحر الأحمر تمنع سـقوط الأمطار داخل بلاد السروات[٢]، وكان مـن نتيجة ذلك انتشـار المجاعات، التي كانت تصـيب بعض البلاد التهامية والسـروية، ونجد صدق ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى : [وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ] [٣] .

أما الشـجاعة فهي صفة وضرورة عند أهل نجران والسروات، لأن الحياة في بلادهم لا تسـتقيم بدون شجاعة نظراً لطبيعة أرضهم وقساوتها [٤]، فلم يكن هناك وحدة جامعة لقبائلهم، بل هي أحلاف[٥] متفرقة تغزو وتتقاتل من أجل الغلبة والسيطرة[٦]. والبدو إذا انغمسوا في الرفاهية خرجوا إلى ميدان الحياة ضعافاً مجردين من أسلحة الكفاح لمواجهة الصـعاب [٧]، ولهذا تأصـلت الشـجاعة في نفس السروي منذ نشـأته الأولى في الجاهلية، وزادت مع الأيام قوة وبسـالة، ولاسـيما أنه بطبيعته يأبى الذل والهوان، وأن الشجاعة هي موضع الفخر والتقدير، بل من حديث القبائل وطموحاتها الرئيسية[٨] .

ويعلـل ابـن خلدون شـجاعة أهـل البادية عـن أهل المدن بقولـه : " إن أهل الحضـر ألقـوا جنوبهـم على مهـاد الراحة، ووكلوا أمرهـم في المدافعة عن أموالهم وأنفسـهم إلى الحاكم الذي يسوسـهم [٩]، بينما أهل البدو يحملون السـلاح، ويدافعون عن أنفسهم متى اسـتنفرهم صـارخ"[١٠] وليس أدل على صـدق ما ذكره ابن خلدون مـن أنه عقب هزيمة المشـركين في غـزوة بدر (سـنة ٣هـ/ ٦٢٤م) [١١]، اتجهت قريش إلى قبائـل جنوبي مكة المكرمـة مثل الأحابيش وكنانة ونجران وتهامة [١٢]، يطلبون منهم تطبيق اتفاقية التحالف المعقودة عند الكعبة[١٣].

---

(١) هذيل : من بني مدركة، وبنو مخزوم بن صـاهلة بن محارث بن تميم بن سـعد بن هذيل بن مدركة، وبنو قرد بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل، انظر، ابن حزم، ص٤٤٦

(٢) عبد الرحمن صادق الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، ج٢، ص ٦١ .

(٣) سورة الإسراء، الآية (٣١) .

(٤) جودة حسنين جودة، جغرافية شبه الجزيرة، ص ٣٩ .

(٥) الحلف : هو المعاقدة والمعاهدة على التعاضـد والتسـاعد والاتفاق، وتحالفوا بمعنى تعاهدوا وعقدوا اتفاقاً وعهداً، وتآخوا على العمل يداً واحدة وقد حالف الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار . انظر: جواد علي، ج٤، ص ٣٧٠ .

(٦) جواد علي، المرجع نفسه، ج٤، ص ٣٢٧ .

(٧) عز الدين فرج، تقاليد العرب، ص٤ .

(٨) عز الدين فرج، المرجع نفسه، ص ١٠ .

(٩) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص ٣١٨، ٣١٩ .

(١٠) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣١٨ .

(١١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص ٢٤ .

(١٢) ابن كثير، المصدر نفسه، ج٤، ص ١٠.

(١٣) يـروى أن قسـم قريش والأحابيش عند الركن يـوم تحالفوا وتعاقدوا، حلفوا (بالله وحرمـة البيت والمقام والركن والشـهر الحرام على التعاقد و التسـاعد على من عاداهم من الناس ما طلعت شمس من مشرقها إلى يوم القيامة، جواد علي، المرجع السابق، ج٤، ص٣٨١ .

والحقيقة لولا شجاعة قبائل نجران وتهامة والسروات ما اتجهت قريش إليهم لعقد اتفاقيات توفر الأمان لهم، ولمصالحهم التجارية[١]، ونستدل على وجود حلف دائم بين السرويين وقريش من أن قبائل السراة ولاسيما خثعم التي وقفت في وجه الحملة الحبشية التي توجهت لاحتلال مكة سنة (٥٧٠هـ) [٢]، وقد قوي شعور قبائل نجران وتهامة والسراة بالتضامن مع مكة بالمصاهرة عبر الزواجات المتبادلة بين الطرفين.[٣]

لقد تفجرت شجاعة فرسان نجران والسروات في حركة الفتوح ومن هؤلاء الفرسان عمرو بن معديكرب الزبيدي[٤]، ولد عمرو نحو عام (٧٥ ق. هـ، ٥٤٧م) [٥]، وظهرت شجاعته من خلال تجربة صعبة، صقلته، وحققت ذاته، وذلك في أثناء إغارة خثعم على زبيدة[٦]، بينما كان مستغرقاً في النوم، وعندما استيقظ وجد لواء أبيه مرفوعاً، فركن إلى النوم[٧]، وبعد فترة رفع رأسه ثانية فإذا بلواء أبيه قد نزل[٨]، فانطلق وراء خثعم وأصاب منهم كثيراً، وعندئذ حملت زبيد على خثعم[٩]، وهزمتها، وأصبح عمرو يومئذ يلقب بفارس زبيد[١٠]، واستمرّ نجمه في صعود بعد أن بارز صناديد العرب مثل عنترةً بن شداد، وعامر بن الطفيل، وعتبة بن الحارث بن شهاب، والسليك بن السلكة[١١]، فشهدوا له بالشجاعة وأصبح فارس اليمن، ولا مبالغة في ذلك فقد كان عمر بن الخطاب يعده بألف فارس[١٢] . وقد هيأت له خلقته الجسمانية[١٣]، وشجاعته، إلى جانب جرأته أن يكون الفارس الذي لا يفضل عليه غيره من العرب[١٤]، وقد تقدم به السن وكان يقاتل بشجاعة في معركة القادسية سنة (١٦هـ) [١٥]، ويقول للمسلمين هكذا اصنعوا بهم[١٦]،

---

(١) أحمد إبراهيم الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة، ص٢٣ .

(٢) أحمد إبراهيم الشريف، المرجع نفسه، طبعة، ص٢٣ .

(٣) أحمد إبراهيم الشريف، المرجع نفسه، ص ٢٣، وللمزيد عن المصاهرة بين قبائل قريش وقبائل السراة، انظر ابن حزم، ص ٣٨٩، ٣٩١، مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ١٣١، ص ٢٧٧ .

(٤) النعمان عبد المتعال القاضي، شعر الفتوح الإسلامية، ص ١٩٧ .

(٥) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج١، ص ٢٧٥ .

(٦) للمزيد انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص ٢٥ .

(٧) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٤، ص ٢٥، للمزيد انظر: النعمان عبد المتعال القاضي، المرجع السابق، ص ٩٨ .

(٨) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٢٥ .

(٩) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٤، ص ٢٥.

(١٠) النعمان عبد المتعال القاضي، المرجع السابق، ص ١٩٨ .

(١١) عبده بدوي، الشعراء السود، ص ٤٩ .

(١٢) النعمان عبد المتعال القاضي، المرجع السابق، ص ١٩٧ .

(١٣) كان عمر بن الخطاب إذا رآه يقول: "الحمد لله الذي خلقنا وخلق عَمراً تعجبا من عظمة خلقه، " الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص ٢٨ .

(١٤) النعمان عبد المتعال القاضي، المرجع السابق، ص١٩٩.

(١٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٥٦ .

(١٦) ويروي الطبري أنه مر في اليوم الأول من المعركة بين الصفين يحض العساكر، كذلك إذا خرج إليه فارس منهم فوقف بين الصفين ورماه بنشابة فما أخطأت قوسه، فالتفت إليه عمرو ثم حمل عليه فاعتنقه ثم أخذ بمنطقته

فيقول له بعضهم يا أبا ثور من يستطيع أن يصنع كما تصنع[١] .

وقد سجل شاعر بارق العباس بن مرداس قصيدة تؤكد شجاعته فقال :

إذا مات عمرو قلت للخيل أوطئوا زبيداً فقد أودى بنجديها عمرو[٢]

وهناك فرسان في بلاد نجران والسراة لا تقل شجاعتهم عن شجاعة عمرو بن معدي كرب مثل جرير بن عبد الله البجلي، وكان شجاعاً مقداماً صبوراً ، وذا إرادة قوية راسخة [٣]، وظهرت شجاعته في وقائع متعددة مثل فتح همذان، وقد قاتل فيها قتالاً شديداً وفتحها[٤] بعد أن فقد إحدى عينيه [٥]، وأبلى جرير في القادسية أيضاً بلاءً حسناً، وقال:

أنا جرير كنيتي أبو عمر قد فتح الله وسعد في القصر[٦]

وذكر الطبري أن سعد بن أبي وقاص قد شهد على شجاعته هو وقبيلته وأنشد في ذلك شعراً[٧] .

ومن بلغت شهرتهم الآفاق في الشجاعة دريد بن الصمة [٨]، ودريد لقبه، والصمة لقب أبيه، وأمه ريحانة بنت معدي يكرب [٩]، ونشأ دريد بن الصمة في أسرة من الفرسان الشجعان حيث كان أبوه قائداً لبني جشم يوم نخلة [١٠]، في

فاحتمله فوضعه بين يديه حتى ذا دنا من الجيش العربي كسر رقبته بيده ثم وضع سيفه على حلقه ثم ألقاه وقال، هكذا فاصنعوا بهم" انظر: الطبري، ج ٣، ص ٥٣٧ .

(١) بطرس البستاني، الشعراء الفرسان، ص ١٥٢-١٥٣ . للمزيد عن جهاد عمرو بن معدي كرب وغيره في جبهات الفتوح الإسلامية انظر: غيثان بن جريس "دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوح الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام" بحث منشور في كتاب: دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١-ق١٠هـ/ ق٧-ق١٦م) (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ج١، ص ٥٥-٩٢.

(٢) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٤ ، ص ٢٥ .

(٣) محمود شيت خطاب، قادة فتح العراق والجزيرة، ص ٢٣٩ .

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٠٦ .

(٥) ياقوت، المصدر السابق، ج٥، ص ٤١٠، ابن الأثير : المصدر السابق، ج٣، ص ١١ .

(٦) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٣ ، ص ٥٧٧ .

(٧) ومما أنشد سعد في شجاعة بجيلة قوله :

ما أرجو بجيلة غير أني أؤمل أجرها يوم الحساب
فقد لقيت خيولهم خيلاً وقد وقع الفوارس في الضراب

الطبري المصدر السابق، ج٣، ص ٥٧٧، محمود شيت خطاب : المرجع السابق، ص ٣٣١ .

(٨) دريد بن الصمة : واسم الصمة : معاوية بن بكر بن علقمة بن خزاعة بن عزية بن جشم بن معاوية بن بكر الفارس المشهور وأخواه عبد الله، وهو معبد، وأبو أسامه زهير بن معاوية وهو من بني عدي بن جشم، وقيل أنه قاتل سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه ثم أسلم بعد ذلك" ابن حزم : المصدر السابق، ص ٢٧٠ .

(٩) ابن حزم، المصدر نفسه، ص ٢٧٠ .

(١٠) يوم نخلة : نخلة موضع قريب من مكة فيه نخل وكروم، وسبب الحرب فيه يرجع إلى أن البراض بن قيس الكناني سكيراً فاسقاً خلعه قومه وتبرأوا منه، فشرب في بني الديل فخلعوه، فأتى مكة وأتى قريشاً، فنزل على حرب بن أمية فأحسن جواره وشرب بمكة حتى هم حرب أن يخلعه، فقال لحرب إنه لم يبق أحد ممن يعرفني إلا خلعني سواك وإنك إن خلعتني لم ينظر إليّ أحد بعدك، فدعني على خلعك، وأنا خارج عنك، وتركه وخرج، وكان النعمان بن المنذر

حرب الفجار (٣٨ق هـ / ٥٨٤م) [١]، أما خاله فهو فارس العرب عمرو بن معدي كرب الزبيدي[٢]، وكان لدريد وقائع[٣]، وغارات عديدة تؤكد شجاعته في شبابه وهرمه، وليس أدل على ذلك مما حدث يوم حنين، حينما سارت بنو هوازن لقتال المسلمين، وأخرجوا دريد معهم [٤]، وكان يومئذ شيخاً هرماً فانياً أعمى لا بقية له، ولكنهم أرادوا أن يستفيدوا بخبرته الطويلة في المعارك والوقائع[٥].

ولم تكن الشجاعة قاصرة على الرجال فحسب، بل كان لبعض نساء نجران والسروات نصيب منها. ولقد تنوعت دواعي الشجاعة عند النساء في الجاهلية والإسلام [٦]، وتجلت شجاعة النساء في حركة الفتوح، ولاسيما نساء قبيلة بجيلة[٧]، حيث كن يخرجن مع جيوش المسلمين في جهادهم وغزواتهم، يحملن الماء إلى الظمأ ويعن الجريح ويحرسن

قد بعث إلى سوق عكاظ بلطيمة يجيزها له سيد مضر، فتباع ويشترى له بثمنها الأدم والحرير والبرود والوشي، وجهز النعمان لطيمة وقال من يجيزها قال البراض أنا أجيزها على بني كنانة. فقال النعمان إنما أريد رجل يجيزها على أهل نجد، فقال عروة، أنا أجيزها على الناس جميعاً، فدفعها النعمان إلى عروة وخرج بها ثم قتله وأخذ الراحلة وانطلق وشاع الخبر وانطلقت على أثره حرب الفجار، محمد أحمد جاد المولى وآخرون: أيام العرب في الجاهلية، ص ٣٢٦-٣٢٨.

(١) عمر فروخ، مرجع سابق، ص ٢٢٩.

(٢) ذكر ابن كثير أن عمرو بن معدي كرب كان من الشجعان المذكورين، والأبطال المشهورين، والشعراء المجيدين، توفي سنة إحدى وعشرين" انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٧٢.

(٣) يروي الأصفهاني أن دريد بن الصمة أغار على غطفان بعد مقتل أخيه عبد الله يطالبهم بدمه، وقتل من بني عبس ساعدة ابن مر، وأسر ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب فقالت بنو جشم لو فاديناه، فأبى ذلك دريد عليهم وقتله بأخيه عبد الله، وقتل من بني حزام رجلاً يقال له حزام وأصاب جماعة من بني مرة ومن بني ثعلبة بن سعد ومن أحياء غطفان، وذلك في يوم الغدير، وفي هذا اليوم أنشد دريد بن الصمة في من قتل منهم في هذا اليوم.

جزيتا بني عبس جزاء موفرا ... بمقتل عبد الله يوم الذنائب

ولولا سواد الليل أدرك ركضنا ... نرى الرمث الأرضي عياض بن ناشب

قتلنا بعبد الله خير لداته ... ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص ٦.

(٤) ذكر الأصفهاني أنه لما سمعت هوازن بفتح مكة جمعها مالك بن عوف وفيهم دريد بن الصمة وكان أعمى لا يبصر، فقال دريد لمالك يا مالك مالي أسمع رغاء البعير وبكاء الصبيان. قال: أردت أن أجعل مع كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم، قال فانقض به ووبخه ولامه. ثم قال: راعي الضأن وأي أحمق أنت وهل يرد المنهزم شيء ؟! ثم قال ما فعلت كعب وكلاب: قال لم يشهدها أحد منهم، قال دريد غاب الجد والجد ولو كان يوم علا ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ولو وددت أنكم فعلتم مثل ما فعلوا، قال دريد: فمن شهدها منهم قال بنو عامر بن عامر، وبنو عوف بن عامر، قال ذلك الجذعان من عام لا يضران ولا ينفعان، ثم قال يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة، بيضة هوازن إلى نحور الخيل، فإن كانت لك لحق بك من ورائك وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك ولم تفضح في حريمك، فقال: لا والله ما أفعل ذلك أبداً إنك خرفت وخرف رأيك وعلمك والله لتطيعني يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف، فقالوا له أطعناك وخالفنا دريداً، فقال دريد هذا اليوم لم أشهده ولم أغب عنه. الأصفهاني، المصدر السابق، ج٩، ص ١٤، ١٥.

(٥) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج٩، ص ٢.

(٦) كانت دواعي الشجاعة عند النساء في الجاهلية متنوعة بين الوفاء للحاكم والرغبة في اللحاق، ولما جاء الإسلام وأقر الجهاد في سبيل الله، أخذت الشجاعة عند المرأة دوافع أرقى وأسمى، وزادت بطولاتها بعد أن أمنت أن الجهاد طريقاً إلى الجنة والرضوان، وأن لكل أجل كتاب، انظر: عز الدين فرج، تقاليد العرب، ص ٣٣.

(٧) الواقدي، فتوح الشام، ج٢، ص١٩٢. عمر رضا كحالة، معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ص٦٤.

مؤخرة الجيش[١]، بل كن يشتركن اشتراكاً فعلياً في النزال والقتال [٢]، وكن يقاتلن كل من يطوف بخيامهمن وحصونهن [٣]، وذكر الواقدي أنه لم يكن بين قبائل العرب في حروب القادسية نساء أكثر من نساء بجيلة، وكن حوالي ألفا وسبعمائة امرأة [٤]، وفي بعض الروايات ألفان[٥]، وتروي امرأة من بجيلة [٦]، " أنه حينما انهزمت الفرس شددنا ثيابنا وأخذنا الماء وابتغينا القتلى، فمن كان من المسلمين سقيناه ورفعناه، ومن كان من المشركين أخذنا ما عليه "[٧].

أما الصيد فقد ولع أبناء نجران وتهامة والسراة به، ويعد من أنواع تسليتهم المفضلة، كما أن طبيعة بلادهم الجغرافية وطبيعتهم البشرية مهيأة لذلك . والصيد في أرض السروات رغبة، وحاجة، وضرورة. (١) رغبة عند شيوخ حثعم وغامد والأزد والقسر[٨] والأغنياء، لأنه يؤدي إلى تعويدهم الفروسية، وإدمانهم للرمي بالنشاب، والضرب بالسيوف واعتياد القتل، وتقليل اللامبالاة بإراقة الدماء وغصب النفوس[٩]، (٢) حاجة عند الفقراء، وهم في العادة لا يملكون شيئًا، ولحم الصيد غذاء لهم لا يصل إليهم دائماً[١٠]. (٣) ضرورة لدى الصعاليك في نجران والسروات، لأنه يوجد فيها حيوانات وحشية مثل الأسد، وقد وجد في مناطق عديدة من نجران وتهامة والسراة [١١]. مثل عثر في بلاد جازان، ووادي حبون في نجران، ويذكر ياقوت بأنها مأسدة، أي كثيرة الأسود [١٢]، وأيضاً من مواضع الأسود ترج، وهو جبل بالسروات كثير الأسود[١٣]، كما وجدت الأسود وسباع أخرى في بيشة وتبالة[١٤].

---

(١) الطبري، المصدر نفسه، ج٣، ص ٥٨٢ .

(٢) كان المثنى وجرير أصابا في أيام البويب غنماً ودقيقاً وبقراً، فبعثوا بها إلى عيالات من قدم من المدينة، وإلى عيالات أهل الأيام قبلهم، وكان دليل الذين ذهبوا بنصيب العيالات عمر عبد المسيح بن بقيلة، فلما رفعوا النسوة فرأين الخيل تصايحن وحسبنها غارة، فقمن دون الصبيان بالحجارة والعمد، فقال عمر : هكذا ينبغي لنا هذا الجيش، انظر: الطبري، المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٦٩ .

(٣) عز الدين فرج، المرجع السابق، ص ٣٩ .

(٤) أبو عبد الله بن عمر الواقدي : المصدر السابق، ج١، ص ١٩٢ .

(٥) عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج١، ص ٦٤ .

(٦) ذكر الواقدي أن تلك المرأة تدعي أم كثير، وهي امرأة همام بن حارث" الواقدي : المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٢ .

(٧) الواقدي : المصدر السابق، ج٢، ص ١٩٣ .

(٨) كان آخر ملوك خثعم الخثعمي، وابنه محارق وهو الذي تولى الحكم من بعده، عاصر الرسول ﷺ، وهم سادات بني خثعم .مؤلف مجهول : فتوح اليمن، ص٥ .

(٩) علي إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامي العام، ص ٥١٥ .

(١٠) جواد علي، المرجع السابق، ج٤، ص ٦٧٦ .

(١١) للمزيد من التفصيلات عن مواطن الأسود والسباع في بلاد نجران وتهامة والسراة، انظر: البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٢١، ابن منظور، اللسان، ج٣، ص ٧٢ . وعن غمران وبيشة وترج وعثر وضنكان . انظر: معجم ياقوت الحموي، وبعض الكتب الجغرافية الإسلامية القديمة مثل : الهمداني، والإدريسي وغيرها .

(١٢) انظر : ابن منظور، اللسان، ج٢، ص ٢١.

(١٣) ياقوت، معجم، (طبعة بيروت، ١٤٠٤، ١٩٨٤م)، ج٢، ص٢١

(١٤) المصدر نفسه، أنظر أيضاً : فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ٥٨ .

وكان أبناء نجران والسروات يحتالون على صيد الأسد بطرق متنوعة منها طريقة إسقاطه في حفر تغطى فإذا مشى عليه سقط فيها، ولكن من الصعب صيده وهو في مكمنه، وفي ذلك قيل المثل : " كمبتغي الصيد في عرين الأسد " [١]،ومن الشائع كثرة القرود في جبال نجران وتهامة والسراة، ونجد، وهي لا تزال موجودة في هذه الأوطان حتى اليوم[٢]، إلى جانب بعض أنواع السعالي والغول[٣]، ولهذا كان معظم العرب يخافون هذه الأماكن التي تكثر فيها هذه الحيوانات، بعكس أبناء السروات ونجران، ويرجع ذلك إلى أنهم نشأوا وسط الجبال والنجود التي تكثر فيها هذه الحيوانات، لذلك نجدهم لا يخافون من هذه الحيوانات الوحشية، مثل (تأبط شراً) الذي كان يألف العيش في الأماكن التي تتواجد فيها السعالي وغيرها من الحيوانات البرية [٤] .

ويشير الأصفهاني إلى أن تأبط شراً كان يصطاد الغيلان والسعالي [٥]، وذكر عبد الحليم حفني أن أبا خراش قد تعرض لصيد هذه الحيوانات، وذكر صورة دقيقة لقطيع من الحمير الوحشي سعى لصيدها، حيث أخذ أبو خراش يتابع القطيع[٦]، عندما كان يمشي مرهفاً سمعه خشية أن يكون في طريقه صائد[٧]، ولكن القطيع لم يستطع أن يخفي وقع أرجله، ويعبر أبو خراش عن ذلك فيقول:

فلما دنت بعد استماع رهفته ... ينقب الحجاب وقعهن رجيل[٨]

---

(١) جواد علي، المرجع السابق، ج٤، ص ٦٧٨ .

(٢) جواد علي، المرجع السابق، ج٤، ص ٦٧٨ . عبد الحليم حفني : المرجع السابق، ص ١٦٤ . مشاهدات الباحث في بلاد نجران وتهامة والسراة خلال السنوات الماضية المتأخرة .

(٣) الغول : من السعالي وهو إناث الشياطين، سميت بذلك لأنها تتلون كل وقت، وفي كتاب: الحيوان للدميري (الغول بالضم أحد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين) وقال الجوهري (وهم من السعالى) . للمزيد انظر: الألوسي، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٤٦ .

(٤) انظر : الأصفهاني، الأغاني، ج١٨، ص ٢١٢ .

(٥) عبد الحليم حفني، المصدر السابق ،ص ٢٢٤

(٦) عبد الحليم حفني، المرجع السابق، ص ١٦٤ . ذكر الأصفهاني أن تأبط شراً تحدث عن صيد أحدهم فيقول:

ألا من مبلغ فتيان قومي ... بما لاقيت يوم رحى بطان
بأني قد لقيت الغول تهوي ... لقفز كالصحيفة صحصحان
فقالت لها كلاماً نضوا أين ... أخو سفر فجلي لي مكاني
فشدت شدة نحوي فخرت ... لها كفي بمصقول يماني
فأضربها بلا دهش فخرت ... صريماً لليدين وللجران
فلما أثقلت متكئاً عليها ... لأنظر مصبحاً ماذا أتاني
إذا عينان في رأس قبيح ... كرأس الهر مشقوق اللسان
وساقا مخدع وشواة كلب ... وثوب من عباء أو شنان

انظر : الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٨، ص ١٢ .

(٧) عبد الحليم حفني، المصدر نفسه، ص ٢٢٣ .

(٨) عبد الحليم حفني ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٣ .

ثم نزلت الحمير الوحشية بطن الوادي، عند تجمع مياه الأمطار والسيول، ثم تجف فتنبت منها طحالب وأنواع من نباتات الصحراء، وفي أثناء اجتياز القطيع هذا الماء الآجن بما فيه من نباتات مضى في طريقه صوب الجبل، وهنا كان أبو خراش يراقب القطيع ووجد الفرصة مواتية لاقتناص أحد هذه الحمر بسهمه فاختار أقربها إليه، وفجأة أحس الحمار بأبي خراش وسهمه فحاول النجاة، ولكنه وجد نفسه وليس أمامه إلا شق في الجبل، فأصبح كالصيد في الفخ، وحينئذ كان سهم أبي خراش الضخم يغور في فؤاد الحمار[١].

وهذه القصة توضح جانباً من جوانب حاجة الصعاليك إلى الصيد التي تعتمد عليه حياتهم، ويرجع ذلك إلى طبيعة حياتهم في الصحراء وانقطاعهم عن المجتمعات التي تمتد لشهور عديدة، وذلك في رحلات الغزو البعيدة المدى في الفترات الطويلة التي يضطرون فيها إلى التخفي من المطاردة، ولا وسيلة هناك للعيش إلا بالصيد، بل كان الصيد من أساسيات طعامهم ومعاشهم[٢]. بالإضافة إلى صيد الحيوانات المستأنسة مثل الأرانب التي كان أهل السراة يجيدون صيدها[٣].

كان لعشائر نجران وتهامة والسراة أعياد متنوعة في الجاهلية، وكان الاتصال بهم صعباً نظراً لطبيعة أرضهم الجبلية، لذا صارت أعيادهم كثيرة، وغير متفقة في زمان أو مكان، وذات صفة محلية وهي مرتبطة بالأصنام[٤]. لذلك لا يمكن تحديد عيد واحد يجمع قبائل السروات[٥]، أما أعياد النصارى واليهود والمجوس في نجران فكان لها وضع آخر، لأن اليهودية والنصرانية قد حددت تاريخا ثابتا للأعياد، فصارت معروفة عند أتباع الديانتين يحتفلون بها في الوقت المحدد[٦].

ولعبادة أصنام السرويين والنجرنيين والتهاميين أعياد متنوعة في المكان والزمان، أما المكانية فهي موضع أصنامهم وأماكن طواغيتهم، والزمانية التي يشد إليها الرحال في مواسم معينة مثل ذي الخلصة[٧]، فكان له عيد في وقت معلوم من السنة[٨]، وكانت العرب جميعا

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

(٢) عبد الحليم حفني، المصدر السابق، ص ٢٢٤ .

(٣) يروي الأصفهاني أن تأبط شراً أغار وحده على خثعم، فبينما هو يطوف إذا مر بغلام وهو يتصيد الأرانب معه قوسان ونبله، فلما رآه ذهب ليأخذه فرماه الغلام فأصاب يده اليسرى فضربه تأبط شرا وقال في ذلك :

وكادت وبيت الله أطناب ثابت ... تقوض عن ليلي وتبكي النوائح
تمنى فتى يلاقي ولم يكد ... غلام نمته المحصنات النوائح
غلام نمى فوق الخماسي قدره ... ودون الذي قد ترتجيه النواكح
فقد شهد في إحدى يديه كنانة ... تداوى لها في أسود القلب فادح

انظر : الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٨، ص ٢١٨ .

(٤) جواد علي، المرجع نفسه، ج٥، ص ١٠٠ .

(٥) جواد علي، المرجع نفسه، ج٥، ص ١٠٠ .

(٦) جواد علي، المرجع نفسه، ج٥، ص ١٠١ .

(٧) ذو الخلصة : هو مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة واليمن . ابن الكلبي، الأصنام، ٦٤ .

(٨) الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٤٥، ٣٤٦ . وللمزيد انظر: غيثان بن جريس " تبالة وأهميتها التاريخية والحضارية خلال القرون الإسلامية الأولى . نشر هذا البحث في مداولات اللقاء العلمي السنوي الثامن

تعظمه وتتجه إليه كثير من القبائل مثل: هوازن، وخثعم، وبجيلة، وأزد السراة، ودوس، والحارث بن كعب، وحرم، وزبيد، والغوث بن مرة [١]، وبنو هلال بن عامر [٢] . وقد تنوعت مظاهر الاحتفال بيوم ذي الخلصة ،حيث كانوا يلبسونه القلائد، ويهدون إليه الشعير والحنطة، ويصبون عليه اللبن، ويذبحون له، ويعلقون عليه بيض النعام [٣]، وكانت نساء دوس يحتفلن في العيد بالطواف حوله، ويؤكد ذلك قول الرسول ﷺ (لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخلصة) [٤]، واستمر الاحتفال بعيد ذي الخلصة حتى هدمه جرير بن عبد الله البجلي، بتكليف من رسول الله ﷺ (سنة ١٠هـ/٦٣١م) [٥].

بينما كان بنو الحارث بن كعب بن نجران، يعبدون نخلة طويلة ، ويصنعون لها عيداً كل عام [٦] في وقت معلوم، وإذا جاء وقت العيد علقوا على النخلة التي كانوا يدينون لها بالعبادة كل ثوب حسن وحلي ثم خرجوا إليها وعكفوا عليها [٧]. وقد ارتبطت نهاية عبادة النخلة في نجران برجل صالح يدعى فيمون[٨]، الذي كان على دين المسيحية وتبعه أهل نجران، ويشير ياقوت إلى أن أحد سادات نجران اشترى فيمون[٩]، وكان فيمون إذا قام للصلاة في بيت سيده، يبدد ظلام الليل نورا، فأعجب سيده ما رأى منه، فسأله عن دينه، فأخبره به[١٠]، وقال فيمون إنما أنتم على باطل، وهذه الشجرة لا تضر ولا تنفع، ولو دعوت الله لأهلكها[١١]، فقال سيده : إنك إن فعلت هذا دخلنا في دينك، وتركنا ما نحن عليه، فقام فيمون وتطهر وصلى، ثم دعا الله عليها، فأرسل الله ريحاً عصفت بها[١٢]، وعند ذلك تبعه أهل نجران وأسلموا جميعهم .

لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي المنعقد في مدينة المنامة بالبحرين في الفترة من (٧-١٠ربيع الآخر١٤٢٨هـ)، ص ١٧٩-٢١٥، للمزيد: انظر، الدراسة نفسها في كتاب: دراسات في تاريخ تهامة والسراة لابن جريس، الجزء الثاني، ص ٤٢٣، ٤٧٠ .

(١) الغوث بن مرة : هو إخوة طيء ومذحج والأشعريين وفهم، وهم بطون كثيرة تنتهي كلها إلى الحرث بن مرة .انظر الأزرقي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٧٦ .

(٢) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤٩٣ .

(٣) الأزرقي، المصدر السابق، ص ٣٧٦، علي إبراهيم، التاريخ الإسلامي العام، ص ١٥١ .

(٤) الأزرقي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٧٧، وذكر جواد علي أن المعنى أنهم يرتدون ويعودون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان فتسعى نساء دوس طائفات حول ذي الخلصة فترتج أعجازهن" انظر: جواد علي، المرجع السابق، ص٢٧٢.

(٥) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٣٨٠ .

(٦) ياقوت ،معجم البلدان، ج٥، ص٢٦٦، المصدر السابق، ج١، ص ٣٤٧

(٧) ياقوت، المصدر السابق، ج٥، ص٢٦٦، الألوسي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٤٧ .

(٨) فيمون: هو رجل صالح مجتهد في العبادة، مجاب الدعوة، وكان سائحاً فاختطفته سيارة من العرب، وخرجوا به حتى باعوه بنجران، وكان أهل نجران يعبدون نخلة إذا قام في الليل للصلاة في بيت سيده، وعندما رآه سأله عن دينه، فأخبره به وهو دين عيسى . للمزيد انظر: ياقوت : المصدر السابق، ج٥، ص ٢٢٦ .

(٩) ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٦٦ .

(١٠) ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٦٦ .

(١١) ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٦٦.

(١٢) ياقوت، المصدر نفسه، ج٥، ص٢٦٦ .

ومن الأصنام المهمة التي يقام لها الأعياد في السروات "نهم "[١]، وكان له أتباع يقدمون له الذبائح، ويقسمون به، ويلقبون أبناءهم باسمه، مثل (عبد نهم) من بني هوازن[٢]، وبجيلة، وخزاعة مما يدل على انتشار عبادة هذا الصنم بين قبائل عديدة في أرض السروات، وهناك رواية تذكر أن قبيلة مزينة كانت تدين له بالعبادة[٣] . ويشير ابن الكلبي إلى أنه لما سمع خزاعي بن عبدنهم من مزينة بالنبي ﷺ سار إلى الصنم فكسره وأشار يقول :

ذهبت إلى نهم لأذبح عنده — عشيرة نسك كالذي كنت أفعل
فقلت لنفسي حين راجعت عقلها — هذا إله أبكم ليس يعقل[٤]

ونستدل من شعر الخزاعي بن عبد نهم أنهم كانوا يذهبون إلى (نهم) في المناسبات ويذبحون عنده. وعندما ظهر الإسلام حارب جميع الأصنام المنتشرة في أرض السروات، وحرم التبرك بها في كافة الأعياد والحفلات عندها، وحل محلها أعياد دينية شرعية يحتفلون فيها المسلمين مثل عيدي الفطر والأضحى، وصار للمسلمين مواسم دينية أخرى كشهر رمضان، وصلاة الجمعة وغيرها من العبادات المفروضة على كل مسلم[٥] .

خامساً : صور من مظاهر الحياة الثقافية والفنية :

١- العلوم الدينية :

يعد الحديث الشريف المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي باتفاق جميع المذاهب الإسلامية، وقد نال الحديث حظاً وافراً من جهود اليمن ونجران وتهامة والسراة، ومن أشهر المحدثين في السروات أبو هريرة، وهو عريف أهل الصفة[٦] . ويكنى أبا هريرة[٧]، ويرجع نسبه إلى دوس[٨] . وعلى الرغم من أن أبا هريرة من الفقراء المساكين[٩]، إلا أنه قد بلغ درجة عالية في رواية الحديث بسبب ملازمته لرسول الله ﷺ

---

(١) نهم : ذكر ابن الكلبي أنه كان لمزينة صنم يقال له نهم، وبه كانت تسمى عبد نهم، وكان سادن نهم يسمى خزاعي ابن عبد نهم من مزينة. انظر: ابن الكلبي، الأصنام، ج١، ص ٣٧ .

(٢) هوازن : بطن من خزاعة من بني مزيقياء من القحطانية القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٢٤٢.

(٣) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ١٥٦ .

(٤) ابن الكلبي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٧٠ .

(٥) لم نفصل الحديث عن أعياد المسلمين التي كان يمارسها أهل نجران وتهامة والسراة، وهي نفس الأعياد التي كانت معروفة عند العرب المسلمين في الحجاز أو في الأمصار الإسلامية الأخرى .

(٦) الصفة : الموضع المظلل من المسجد، وكما كان جارياً في أبنية المسجد ألا تظلل فإن ظلل بها جزء لحاجة كانت صفة، وكان في مسجد رسول الله صفة يأوي إليها كثير من الفقهاء والغرباء يسمون أهل الصفة .انظر: محمود أمين النواوي : تراجم إسلامية لكبار الصحابة والتابعين، ص ٨٧ .

(٧) يروي ابن قتيبة أن أبا هريرة يكنى عبد الشمس، ويقال عمير بن عامر . ويقال سكين، انظر: ابن قتيبة : المعارف، ص٢٧٧ .

(٨) دوس : بطن من الأزد، وهو دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن الأزد، ابن قتيبة، المصدر نفسه، ص٢٧٧.

(٩) محمود أمين النواوي، المصدر السابق، ٨٩ .

وحبه للعلم [١]، بل يعتبر أبو هريرة أحد أعلام رواة الحديث ليس في السراة فحسب، بل في الجزيرة العربية والعالم الإسلامي كله، وليس أدل على ذلك من قول الشافعي [٢] أنه أحفظ من روى الحديث في دهره [٣].

وقد روى أبو هريرة كثيراً من الأحاديث حتى قال الناس إن أبا هريرة قد أكثر رواية الحديث [٤]، وأمره عمر بن الخطاب بعدم رواية الحديث [٥]، فانتهى أبو هريرة عن راوية الحديث في عهد عمر [٦]، وفي رواية أخرى أنه سمح له برواية الحديث [٧]. ومن الأحاديث التي سمعها أبو هريرة من الرسول ﷺ ورواها قوله: "جاء الطفيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ فقال إن دوساً قد هلكت وعصت وأبت فادع الله عليهم فقال رسول الله ﷺ (اللهم أهد دوساً وأت بهم) [٨]، ويروى عنه أنه قال: لما قدمت على النبي ﷺ وبايعته فبينما أنا عنده إذ طلع غلام فقال لي النبي ﷺ: يا أبا هريرة هذا غلامك فقلت: هو حر لوجه الله فاعتقته [٩]. ويروى عنه أيضاً أنه قال: قال: رسول الله ﷺ(أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرق أفئدة، الفقه يمان والحكمة يمنية) [١٠].

لم تكن رواية الحديث مقصورة في قبيلة دوس على أبي هريرة، بل كانت تمتد إلى غيره من الرواة مثل سعد الدوسي [١١]، الذي روى عن أنس بن مالك أن أعرابياً سأل

---

(١) قال أبو هريرة أنه لم يكن يشغلني عن رسول الله ﷺ غرس بالوادي، أو صفق بالأسواق، وإنما كنت أطلب من رسول الله كلمة يعلمنيها أو أكلة يطعمنيها فقال له ابن عمر أنت يا أبا هريرة كنت ألزمنا لرسول الله وأعلمنا بحديثه، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ص ١١٦ .

(٢) الشافعي: هو هاشمي قرشي ولد بغزة في محيط عربي لذلك نشأ بارعاً في اللغة والشعر القديم، وطلب العلم من شيوخ عصره خصوصاً الإمام مالك، وأم الشافعي يمنية، من الأزد . عصام الفقي، المرجع السابق، ص ٣١٧ .

(٣) محمود أمين النواوي: المصدر السابق، ص ٩١، (وقال الواقدي حدثني عبد الله بن نافع عن أبيه قال كنت مع ابن عمر في جنازة أبي هريرة وهو يمشي أمامها ويكثر الترحم عليه، ويقول كان ممن يحفظ حديث رسول الله ﷺ على المسلمين . ابن كثير، المصدر السابق، ج٨، ص١١٦ .

(٤) محمود أمين النووي، المصدر السابق، ص ٨٩ .

(٥) روى أبو زرعة الدمشقي عن سائب بن يزيد . قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة لتتركن الحديث عن رسول الله ﷺ أو ألحقنك بأرض دوس . ابن كثير، المصدر السابق، ج٨، ص ١١٥ .

(٦) ذكر ابن كثير أن أبا هريرة قال أكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي، أما والله إذ لأيقنت أن الدرة ستباشر ظهري، فإن عمر كان يقول اشتغلوا بالقرآن فإن القرآن كلام الله . ابن كثير، المصدر السابق، ج٨، ص١١٦ .

(٧) ذكر ابن كثير أن يحيى بن عبد الله روى عن أبيه عن أبي هريرة قال: بلغ عمر حديثي فأرسل إلي فقال: كنت معنا يوم رسول الله ﷺ في بيت فلان؟ قال: قلت: نعم قد علمت لم تسألني عن ذلك قال: ولم سألتك؟ قال: أن رسول الله ﷺ قال يومئذ. من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . إما إذا فاذهب فحدث . ابن كثير، المصدر السابق، ج٨، ص١١٥.

(٨) ذكر ابن هشام أن الطفيل حينما دعا قومه إلى الإسلام فكثر رفضهم واشتد إنكارهم له، وبعد أن أصابه اليأس من إسلام قومه عاد إلى الرسول ﷺ وطلب منه أن يدعو على قومه . ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٤، ابن كثير، المصدر السابق، ج٥، ص ٦٨، ابن سعد، المصدر السابق، ج١، ص ٣٥٣ .

(٩) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٦٨ .

(١٠) ابن كثير، المصدر نفسه، ج٥، ص ٦٨ .

(١١) سعد الدوسي: روى عن أنس بن مالك أن أعرابياً سأل النبي عن الساعة قال: ما أعددت لها ثم أتى المسجد فصلى فخفف الصلاة ثم قال أين السائل عن الساعة . انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص ٢٧٦ .

النبي ﷺ عن الساعة[١]. وإياس بن عبد الله بن أبي ذياب الدوسي[٢]. وكثيراً من المحدثين الثقات[٣]. ومن أهم رواة قبيلة بجيلة جرير بن عبد الله البجلي[٤]، ويذكر عنه أنه قال ما صحبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ورآني إلا وضحك[٥].

وروي عنه أيضاً أنه قال[٦] إني لا أثبت على الخيل، فضرب ﷺ بيده في صدري، وقال اللهم ثبته، واجعله هاديا مهديا[٧]، وروي عن جرير قال : قلت يا رسول الله اشترط عليّ فأنت أعلم بالشرط قال: أبايعك على أن تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتنصح المسلم وتبرأ من الشرك[٨].وروي عنه أيضاً أنه قال: بعث إليّ رسول الله ﷺ فقال : يا جرير لأي شيء جئت قلت: أسلم على يديك يارسول الله قال : فألقى عليّ كساء ثم أقبل على أصحابه فقال :إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه[٩]. ويشير ابن كثير بأنه روى عن جرير كثير من الرواة الثقات[١٠]. قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال: إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته[١١]، ومن الملاحظ أن رواية الحديث لم تكن مقصورة على شيخ قبيلة بجيلة جرير بن عبد الله البجلي، بل نهض بها عدد من

---

(١) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٧٦.

(٢) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٥ .

(٣) روى عبد الوهاب بن أبي منصور الصوفي بإسناد عن سليمان بن الأشعث عن أبي خلف وأحمد بن عمرو قال روى سفيان عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن إياس بن عبدالله بن أبي ذياب قال . قال رسول الله ﷺ لا تضربوا إماء الله عز وجل فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال زئر النساء على أزواجهن أي اجترأن على أزواجهن ونشزن عليهم، فرخص في ضربهن، انظر: ابن الأثير، المصدر نفسه ،ج١، ص ١٥٦ .

(٤) ذكر ابن الأثير أنه روى همام بن الحارث وأبو وائل وأبو زرعة عن عمر بن جرير وغيرهم وأخبرنا إسماعيل بن عبد الله وغيره بإسنادهم إلى محمد بن عيسى بن سورة السلمي، أخبرنا أحمد بن منيع عن معاوية بن عمرو عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي قال: ما صحبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا وضحك . ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص ٢٨٠ .

(٥) الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٧٨ .

(٦) ذكر ابن الأثير أنه روى إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي عندما أرسله الرسول ﷺ إلى ذي الخلصة ليهدمها قال: إني لا أثبت على الخيل فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال: اللهم اجعله هاديا مهديا، فخرج في مائة وخمسة وخمسين راكباً من قومه فأحرقها فدعا رسول الله ﷺ لخيل أحمس ورجالها، انظر:ابن الأثير المصدر السابق، ص ٢٨٠ .

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٧٨، الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٣٨٠، حسن سليمان محمود، تاريخ اليمن السياسي، ص ٥٧٥ .

(٨) ابن كثير، المصدر السابق، ج٥، ص ٧٨ .

(٩) ابن كثير، المصدر نفسه، ج٥، ص ٧٨ .

(١٠) ذكر ابن الأثير أنه روى عن جرير كثير من الرواة مثل أبي الفضل الخطيب عن أبي الخطاب عن عبد الله بن عبيد الله المعلم عن الحسين المحاملي عن أحمد بن محمد بن يحيى بن سعد عن الحسين الجعفي عن زائدة عن بيان البجلي عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال : "إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، ابن الأثير : المصدر السابق، ج١، ص ٢٨٠ .

(١١) ابن الأثير، المصدر السابق، ج١، ص ٢٨٠ .

أبنـاء بجيلـة مثل سـعد بن بجـير[١]، وزهير بـن علقمة البجلـي الذي روي عنـه أحاديث كثيرة[٢]، ومن رواة بجيلة أيضـا أبو حازم البجلي[٣]، وسـميط البجلي[٤]، كذلك يزيد بن عبـد الله البجلـي[٥]، وورد بن خالد السـلمي البجلي[٦]، وقد اشـتهرت قبيلة خثعم بكثير من الرواة مثل عبد الله بن مالك الخثعمي الذي روى عنه أبو يحيى عن عمرو بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسـول الله ﷺ مروا صبيانكم بالصـلاة إذا بلغوا سبعة[٧]، وروي عن أبي رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي[٨]، أنه آخى رسول الله ﷺ بينه وبين بلال بن رباح مولى أبي بكر، قال رسـول الله ﷺ أنت أخوه وهو أخوك[٩]، وروي عنه أيضـا قال: أتيـت رسـول الله ﷺ فعقد لي لواء وقال اخرج فنـاد من دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن، ومن رواة خثعم أيضـاً دكين بن سـعيد الخثعمي[١٠]، وقد روي عنه قال: أتينا رسـول الله ﷺ ونحـن أربعون وأربعمائة راكب نسـأله، فقال النبـي ﷺ ياعمر اذهب فأعطهم فقال يارسـول الله سـمعاً وطاعة، قال فقام عمر وقمنا معه فصـعد بنا إلى غرفة فأخرج المفتاح من غرفته ففتح الباب، وكان في الغرفة تمر، فأخذ كل رجل منا حاجته ما شاء[١١].

---

(١) سعد بن بجير: هو ينسب إلى بجير بن معاوية بن قحافة بن نفيل بن سدوس بن عبد مناف بن أبي أسامة بن سحمة بن سـعد ابن عبد الله بن قداد بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار بن أرش البجلي، ابن الأثير، المصـدر نفسـه، ج٣، ص ٢٧٠.

(٢) ذكر ابن الأثير عن زهير بن علقمة البجلي أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ، بابن لها قد مات، فقالت يا رسول الله قد مات لي ابنان فقال لقد احتظرت من النار حظاراً شديداً، ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٢، ص ٢١٠.

(٣) أبو حازم: هو صـخر بن العيلة. وهو بجلي من أحمس، وله صـحبة ورواية عن النبي ﷺ وروى عنه حفيده عثمان بن أبي حازم، وينسـب إلى عوف بن عبد الحارث، وقيل عوف بن حسـيس بن هلال بن الحارث بن كلب بن عمرو بن لؤي بن رهم بن معاوية بن أسـلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار. ابن الأثير: المصـدر نفسه، ج٥، ص ١٦٦، ابن كثير: المصدر السابق، ج٥، ص ٧٨.

(٤) ذكر ابن الأثير أنه روى عنه زيد بن الخباب عن موسـى بن عبيدة عن سـميط البجلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رابط يوماً في سبيل الله كان كعدل شهر صيامه وقيامه). ابن الأثير، المصدر السابق، ج٢، ص٣٥٧.

(٥) يزيد بن عبد الله البجلي: روى عنه ابنه حميد في فضل جرير بن عبد الله. ابن الأثير: المصدر السابق، ج٥، ص١١٦.

(٦) ورد بـن خالـد السـلمي البجلـي: هو الورد بن خالد بن خزيمـة بن عمرو بن خالد بن حذيفة بـن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن بهثة بن سـليم وكان على ميمنة الرسـول ﷺ يوم الفتح، أخرجه أبو عمر البجلي. انظر: ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٥، ص٨٦.

(٧) أبو رويحة عبد الرحمن عداده في الشـاميين وينسـب إلى قبيلة خثعم بالولاء، وقد روى أبو موسـى في ترجمة أبي رويحـة أن بـلالاً لمـا أذن له عمر أن يقيم بالشـام قال وآخى رسـول الله ﷺ بيني وبينه، فدل بهـذا أنه ليس أخ في النسـب، وقوله في هذه الترجمة أن رسـول الله ﷺ آخى بينه وبين بلالاً وقوله له الفرعي الخثعمي فإن الفرع بطن من شهران بن حلف بن خثعم. انظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج٥، ص ١٩٦.

(٨) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٥، ص ١٩٦.

(٩) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٥، ص ١٩٦.

(١٠) روى أبو ياسر عبد الوهاب بن هبة الله بإسناده إلى عبد الله بن أحمد عن أبي وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن دكين بن سـعيد الخثعمي أنه قال أتينا رسـول الله ﷺ ونحن أربعون وأربعمائة راكب نسأله الطعام فقال النبي ﷺ يا عمر اذهب فاعطهم. انظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج٢، ص ١٣٣.

(١١) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٣.

وظهر من قبيلة الأزد عديد من الرواة مثل زهير بن أبي جبل [١]، وهو من أزد شنوءة، ومن الأزد عروة بن الجعد البارقي، من قبيلة بارق [٢]، وروى عنه أن رأى رسول الله ﷺ يمسح خد فرسه فقيل له في ذلك، فقال إن جبريل عاتبني في الفرس [٣].

ومن رواة ثمالة عتبة بن عبد الله الثمالي روى أن النبي ﷺ قال: لا يدخل الجنة قبل سائر أمتي إلا بضعة عشر رجلا، منهم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط اثنا عشر وموسى وعيسى ومريم بنت عمران عليهم السلام [٤]، وأيضا عبد الرحمن بن فرط الثمالي، وروي عنه أن النبي ﷺ ليلة أسري به إلى المسجد الأقصى كان بين المقام وزمزم، وكان جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فطار به حتى بلغ السماوات السبع [٥]، ومن الرواة الذين اشتهروا من ثماله الحكم بن عمر الثمالي [٦]، والحكم بن عمير الثمالي [٧]، قال: صليت خلف رسول الله ﷺ فجهر في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم في صلاة الليل، وصلاة الغداة، وصلاة الجمعة [٨].

كما برز في قبيلة باهلة [٩] بعض من الرواة مثل أبي أمامة الباهلي [١٠]، روى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يومئذ يقول اكفلوا لي بست أكفل لكم الجنة، إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا أؤتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم [١١].

---

(١) زهير بن أبي جبل : قيل عبد الله، وقيل محمد بن زهير بن أبي جبل الشنوي من أزد شنوءة، أخبرنا أبو موسى، أخبرنا أحمد ابن إسحاق بن بهلول عن عبدة بن سليمان عن ابن مبارك عن شعبة عن أبي عمران الجوني عن زهير بن أبي جبل قال. رسول الله ﷺ من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له، ومن بات على ظهر بيت ليس عليه إجار فمات فلا ذمة له . انظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج، ص ٢٠٧ .

(٢) عروة بن جعد البارقي : وقيل ابن أبي الجعد البارقي، وقيل الأزدي سكن الكوفة، وروى عنه الشعبي، وسماك بن حرب، وشريح بن هاني وغيرهم، وكان ممن سيره عثمان بن عفان إلى الشام مرابطاً ومعه عدة أفراس منها فرس أخذه بعشرة آلاف من الدراهم، وقال شبيب بن عرقدة رأيت في دار عروة بن الجعد سبعين فرساً مربوطة للجهاد في سبيل الله . انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج٥، ص ١١.

(٣) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٦٣ .

(٤) ابن الأثير، المصدر نفسه ، ج٣، ص ٣٦٣ .

(٥) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٣٠ .

(٦) الحكم بن عمر الثمالي : ثمالة من الأزد، شهد بدراً وروى أحاديث كثيرة . انظر: ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٥،ص٣٧.

(٧) الحكم بن عمير الثمالي : يعد في الشاميين سكن حمص تفرد بالرواية عنه موسى بن حبيب وكان بدرياً، ابن الأثير: المصدر نفسه، ج٥، ص ٣٧ .

(٨) ابن الأثير، المصدر نفسه ، ج٥، ص ١٩٦.

(٩) باهلة : هم بنو مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، انظر: ابن حزم : المصدر السابق، ص ٤٨١.

(١٠) أبو أمامة الباهلي : واسمه صدي بن عجلان، وسكن مصر ثم انتقل منها فسكن حمص في الشام، ومات بها وكان من المكثرين في الرواية، وتوفي سنة إحدى وثمانين . ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص١٣٨، ١٣٩ .

(١١) ابن الأثير، المصدر نفسه ، ج٥، ص ١٣٩ .

ومن أهم رواة بني الحارث بن كعب هانئ بن يزيد[١]، وروي عنه أنه وفد على رسول الله ﷺ مع قومهم فسمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله ﷺ فقال. إن الله هو الحكم فلم تكنى أبا الحكم، قال: لأن قومي إذا اختلفوا في شيء فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال رسول الله ﷺ ما أحسن هذا إلى جانب عبدة من مسهر[٢]. وروي عنه أنه قال، قال رسول الله ﷺ أين منزلك يا ابن مسهر قال بكعبة نجران.

ومن رواة قبيلة زبيد نافع بن عمرو بن معد يكرب[٣]. يروى أنه قال: كنت أنا وعائشة إذ سألت رسول الله ﷺ عن الآية أعني [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ] فقال يارب، فأنزل الله عز وجل جبريلَ عليه السلام. فقال الله تبارك وتعالى يقرؤك السلام وهو يقول هذا عبدي الصالح بالنية الصادقة وقلبه نقي يقول يارب، فأقول لبيك فأقضي حاجته[٤].

وقد اشتهرت منطقة جرش بعدد من الرواة مثل ربيعة بن الغاز الجرشي[٥]. فضلاً عن ربيعة الجرشي[٦]، كما روى ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد بن ربيعة الجرشي قال: قال رسول الله ﷺ استقيموا ونعم إن استقمتم، وحافظوا على الوضوء، وخير عملكم الصلاة[٧]، إلى جانب يزيد بن عبد الله بن الشخير العامري الجرشي روى عنه[٨]، أنه قال. قال: رسول الله ﷺ يبتلى العبد أن أعطاه فإن رضي بما قسم الله بارك له، وإن لم يرض بما أعطاه لم يبارك له ولم يسعه[٩].

ومن رواة قبيلة مراد فروة بن مسيك المرادي[١٠]، يروي عنه كثير من الرواة الثقات.

---

(١) هانئ بن يزيد: هو هانئ بن زيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن الضباب، واسمه هانئ بن يزيد بن كعب المذحجي الحارثي، ويكنى أبا شريح بابنه شريح. ابن الأثير: المصدر نفسه، ج٥، ص ٥٣.

(٢) عبده بن مسهر: ذكر ابن الأثير أنه أدرك النبي ﷺ وروى عنه إسماعيل بن خالد عن أبي زرعة بن عمر وابن جرير عن عبده بن مسهر. ابن الأثير: المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٣٧.

(٣) نافع بن عمرو بن معد يكرب: روى حديثه محمد بن إسحاق عن إبراهيم بن نافع بن معدي كرب عن جده عن أبيه نافع ابن معدي كرب. انظر: ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٥، ص ١١.

(٤) انظر: ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٩٦.

(٥) ربيعة بن الغاز: هو هشام بن الغاز بن ربيعة، وكان يفتي الناس أيام معاوية، وكان فقيهاً، روى عنه عطية بن قيس والحارث بن يزيد وعلي بن رباح وبشير بن كعب. انظر: ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٧٠، ١١٧.

(٦) ربيعة الجرشي: هو ربيعة بن عمرو الجرشي، وقيل له صحبة، وقتل يوم مرج راهط، ابن الأثير: المصدر نفسه، ج٢، ص١٧١.

(٧) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٧١.

(٨) ذكر ابن الأثير أنه روى هشيم عن يونس بن عبيد عن يزيد بن عبد الله بن الشخير العامري الجرشي. ج٥، ص١١٦.

(٩) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٥، ص ١١٦.

(١٠) ذكر الميداني أنه روى أبو الحسن علي بن محمد الواحدي، عن أبي بكر محمد بن إبراهيم الفارسي، عن أبي عمر بن مظهر عن أبي خليفة عن أبي همام عن إبراهيم بن طهمان عن يحيى بن هانئ عن فروة بن مسيك المرادي. انظر: الميداني، مجمع الأمثال، ص٧٦.

عن فروة بن المسيك قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله سبأ أرجل هو أم امرأة؟ فقال: هو رجل من العرب ولد عشرة، تيامن منهم ستة(١)، وتشاءم منهم أربعة(٢)، فأما الذين تيامنوا فالأزد وكندة(٣)، ومذحج والأشعرون(٤)، وأنمار ومنهم بجيلة. وأما الذين تشاءموا : فعاملة(٥)، وغسان(٦)، ولخم(٧)، وجذام(٨)، وهم الذين أرسل عليهم سيل العرم(٩) .

ولم تكن رواية الحديث قاصرة على الرجال في قبيلة خثعم، بل كان ينهض بها عدد من النساء مثل أسماء بنت عميس الخثعمية (١٠). ويروى عن أسماء أنها قالت : دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر . فقال: استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، فكيف به إذا خلا بهم وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيتك، فقال لطلحة : إذا لقيت الله ربي فساءلني قلت : استخلفت على أهلك خير أهلك(١١) .

٢ـ العلوم الأدبية والعلمية :

أ ـ الشعر والشعراء .

يعد الشعر موهبة إنسانية عامة لا تختص بقوم دون قوم ولا بأمة دون أمة، وهو نتاج قرائح كل موهوب من كل القبائل(١٢). والشعر هو شعور، وتعبير عن عواطف تخالج النفس فكل إنسان يكون عنده حس مرهف، واستعداد طبيعي يمكن أن يكون شاعراً(١٣) .

---

(١) تيامن : قصدوا اليمن . الميداني : مجمع الأمثال، ص ٧٦ .

(٢) تشاءم : ساروا إلى الشام . الميداني: مجمع الأمثال، ص ٧٦ .

(٣) كندة : هي قبيلة تنسب إلى كندة بن ثور بن عفير بن عدي بن لحرث بن مرة بن أدد بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان إبراهيم احمد المقحمي، معجم المدن والقبائل اليمنية، ص ٣٥٠ .

(٤) الأشعرون : هم بني الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . انظر: عمر رضا كحالة، معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ج٢، ص ١٧ .

(٥) عاملة: بطن من كهلان، من القحطانية، وهم : بنو عاملة، واسمه الحارث بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد ابن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . انظر: القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٣٣٢ .

(٦) غسان : حي من الأزد من القحطانية، وسمو غسان لماء اسمه غسان بين زبيد ورمع شربوا منه، القلقشندي، المصدر نفسه، ص ٣٨٨ .

(٧) لخم : هو أخو عاملة . القلقشندي، المصدر نفسه، ص ٣٣٣ .

(٨) جذام : بطن من كهلان من القحطانية، وهم بنو جذام بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، القلقشندي، المصدر نفسه، ص ٢٠٥ .

(٩) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ١٣٤ .

(١٠) أسماء بنت عميس : هي أسماء بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن خلف بن أفتل وهو خثعم، الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٤٢٦ .

(١١) الطبري، المصدر نفسه، ج٣، ص٤٣٣ .

(١٢) جواد علي، المفصل، ج٥، ص ٣٥٠ .

(١٣) جواد علي، المرجع نفسه، ج٥، ص ٣٥٠ .

وقد اشتهرت بلاد نجران وتهامة والسراة بطائفة من الشعراء الذين لا تزال آثارهم حتى اليوم تشهد على ما بلغه الأدب من منزلة رفيعة في هذه الأوطان، ونذكر مجموعة من الشعراء يمثلون مختلف قبائل نجران والسروات مثل عمرو بن معد يكرب الذي يعد من أعظم شعراء السراة قبل الإسلام وبعده ويكنى بأبي ثور، وتنسب أمه إلى قبيلة جرم[١]، وتدور أغراض عمرو الشعرية حول الحماسة والفخر والهجاء والمدح والغزل، وصور الهجاء في شعر عمرو متنوعة ومنه القصيدة التي كانت سبب الحرب التي بين جرم ونهد[٢] وكانت جرم في حلف مع زبيد، ففي إحدى المعارك انهزم بنو زبيد[٣]، فخذلها بنو جرم ولم يراعوا حق الحلف، فأنشد عمرو شعراً قائلاً:

ومرد[٤] على جرد شهدت طرادها	**قبيل طلوع الشمس أو حين ذرت**
صبحتم[٥] بيضاء ببرق بيضها[٦]	**إذا نظرت فيها العيون ازمهرت[٧]**
لحا[٨] الله جرما كلما ذر شارق[٩]	**وجوه كلاب هارشت[١٠] فازبأرت[١١]**
ظللت كأني للرماح دريئة[١٢]	**أقاتل عن أبناء جرم وفرت[١٣]**
فلم تغن جرم نهدها إذ تلاقيتا	**ولكن جرماً في اللقا ابذعرت[١٤]**

ويعد الفخر من المحاور الأساسية التي يدور حولها شعر عمرو بن معديكري، ومن صور الفخر تلك الأبيات .

أنا أبو ثور وسيفي ذو النون	**أضربهم ضرب غلام مجنون**

يا آل زبيد إنهم يموتون[١٥]

---

(١) جرم : بطن من بجيلة من أنمار بن أراش من القحطانية انظر: عمر رضا كحالة، معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ج١، ص ١٨٢ .

(٢) نهد : بطن من قضاعة من القحطانية، وهم بنو نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، القلقشندي، المصدر السابق، ص ٤٣٣ .

(٣) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٢٥ .

(٤) المرد : جمع أمرد الفرسان الشابان . انظر : عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(٥) صبحتم : هاجمتهم باكراً ، عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

(٦) بيضاء:بكتيبة بيضاء اللون لكثرة ما عليها من الحديد، والبيضة : الخوذة ، عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(٧) أزمهرت العين : احمرت وتهيجت من النور الشديد ، عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(٨) لحا : لعن ، عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(٩) كلما ذر شارق : كلما طلع كوكب . عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(١٠) هارشت : تقاتلت . عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(١١) فازبأرت : انتعش ريشه أو تفرق ، عمر فروخ ، المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(١٢) دريئة : غرض . عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

(١٣) الألوسي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ج٣ ، ص ١٤٧ .

(١٤) الألوسي ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ١٤٧

(١٥) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٤ ، ص ٢٦ .

وأنشد عمرو أيضاً في الفخر بنفسه وقومه في حرب القادسية :

والقادسية حين زاحم رستم ... نا الحماة بهن كالأشطان
الضاربين بكل أبيض مخذم ... والطاعنين مجامع الأضغان
قوم هموا ضربوا الجبابر إذ بغوا ... بالمشرفية من بني ساسان
حتى استبيح قرى السواد وفارس ... والسهل والأجيال من مكران[١]

ولا مبالغة في ذلك فهو فارس اليمن الذي لا يفضل عليه فارس من العرب، وهو صاحب الغارات والوقائع مع فرسان العرب مثل عامر بن طفيل [٢] وعنترة بن شداد[٣] والسليك بن سلكة، بل عندما سئل عن العباس بن مرداس قال أقول فيه :

إذا مات عمرو قلت للخيل أوطئوا ... زبيداً فقد أودى بنجديها عمرو[٤]

إلا أن عمراً كان يركن إلى الفرار أحياناً، ويتضح ذلك عندما سبيت أخته ريحانه حين سباها الصمة فارس بني هوازن، وأعرض عمرو عن نجدتها وقال:

أمن ريحانة الداعي السميع ... يؤرقني وأصحابي هجوع
سباها الصمة الجشمي غصباً ... كأن بياض غرتها صديع
وحالت دونها فرسان قيس ... تكشف عن سواعدها الدروع
إذ لم تستطع شيئاً فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع[٥]

ويذكر الأصفهاني عن صور فراره أن ربيعة بن مكدم أحد فرسان العرب طعن عمرا فألقاه عن فرسه وأخذها، ثم لقيه مرة أخرى فضرب به فوقعت على سرج الفرس فقطعته فسأله عمرو وانصرف[٦]، وكان عمرو شاعر زبيد، والمعبر عنها بشعره في المناسبات المختلفة، ويتضح ذلك حينما انطلق هو وقومه إلى الرسول ﷺ فصدقه وآمن به[٧]، فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح المرادي توعد عمرا، وقال خالفني وترك رأيي[٨] فقال عمرو في ذلك :

أمرتك يوم ذي صنعاء أمراً بادياً رشده
أمرتك باتقاء الله ... والمعروف تاتعده[٩]

(١) النعمان عبد المتعال القاضي ، شعراء الفتوح الإسلامية ، ص ٢١٥ .

(٢) عامر بن الطفيل : هو ابن أخي عامر ملاعب الأسنة وكان أفرس أهل زمانه وكان منادى عمر بن الطفيل بنادي عكاظ . هل من راحل فأحمله، أو جائع فأطعمه، أو خائف فأؤمنه . أبو الفضل بن أحمد بن محمد بن أحمد . الميداني : مجمع الأمثال، ص ٩٨، ٩٩ .

(٣) عنترة بن شداد، هو من مشاهير شعراء الجاهلية، كما كان من الفرسان المذكورين وله وقائع كثيرة، الألوسي :المصدر السابق، ج٣، ص ١١٦ .

(٤) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص٢٨، انظر: النعمان عبد المتعال القاضي، مرجع سابق، ص١٩٩.

(٥) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٤ ، ص ٣٣ ، الألوسي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٤٦ .

(٦) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٣١ .

(٧) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ١٣٣ .

(٨) الطبري، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٣٣، الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٢٦ .

(٩) الطبري، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٣٣ .

أما عن شعر عمرو في الفتوح فقد كان قليلاً جداً، لا يتجاوز عدة مقطوعات قصيرة، وهذه ظاهرة عامة عند الشعراء القدامى الذين اشتركوا في الفتوح جميعها، ولا يمكن أن نجد في شعر الفتوح قصيدة طويلة، أو متعددة الأغراض، كقصائد الجاهلية، فلا ظروف القتال من جانب ولا نفسية المقاتل من جانب آخر تتيحان امتداد نفس الشاعر[١]، فتحولت القصائد إلى مقطوعات قصيرة، يصب فيها الشاعر عواطفه في لحظة سرعة وخاطفة، كتلك التي قالها عمرو يوم قتله لرستم، وساق معان كثيرة [٢] في تلك الأبيات القليلة التي تقول :

ألم بسلمى قبل أن تظعنا ... إن لنا من حبها ديدنا
قد علمت سلمى وجاراتها ... ما قطر الفارس إلا أنا[٣]

وهناك قصيدة له في فتح بلاد خثعم، وقد اشترك عمرو في فتحها بعد أن كتب الرسول ﷺ إليه "بسم الله الرحمن الرحيم، من عند رسول الله ﷺ محمد بن عبد المطلب إلى عمرو بن معدي كرب الزبيدي، إننا نازلون على بني خثعم نقاتلهم ونأمرهم بالإسلام وأنت ساعة وصول الكتاب إليك تأتي إلينا بمن معك من المسلمين على غاية العجل، والسلام على خير الأنام"[٤]، وبعد بلاء عمرو في المعارك قال :

وما زلت أفنيهم بقوة ساعدي ... ونفسي قد طمأنتها فاطمأنت
صبرت كأني للرماح دهينة ... أذب عن الدين القويم بقوتي
فكم فارس أرديت من بعد فارس ... ولم أبق من جيش العدا من بقية
فقطعتهم بالسيف والرمح والقنا ... وأسعدني ربي بخير البرية[٥]

تأبط شراً وهو شاعر من قبيلة فهم، ويلقب تأبط شراً[٦]، وهو أحد شعراء الصعاليك[٧]، وكانت قبيلته تضم عدداً كبيراً من الشعراء مثل الشنفري . وعن سبب تسميته تأبط شراً تشير المصادر التاريخية إلى أن ثابت بن جابر رأى كبشاً فحمله تحت إبطه فلما اقترب من منزله أدركه التعب من حمل الكبش فرمى به، فإذا هو غول فقالوا

---

(١) النعمان عبد المتعال القاضي، المرجع السابق، ص ٢١٧ .

(٢) ذكر النعمان عبدالمتعال أن القصيدة اشتملت على المعاني الآتية: تزويد صاحبه بإقراء سلمى صاحبته تحيته، وأن يذكره عندها ويذكر حبه لها، وأن ينقل إليها خبر قتله رستم . النعمان عبد المتعال القاضي، المرجع السابق، ص ٢١٧ .

(٣) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٤ ، ص ٢٩ .

(٤) انظر : مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص٧٥ . ونشك في صحة هذه الرسالة، لأن الرسول ﷺ لم يأت إلى بلاد السراة وإنما أرسل من قبله من ينشر الإسلام بين أهلها ويحارب الشرك والمشركين هناك .

(٥) مؤلف مجهول ، المصدر نفسه ، ص ٩٧ .

(٦) تأبط شراً : هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عميل بن عدي، بن كعب بن حزن بن تيم بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، وأمه امرأة يقال لها أميمة من بني القين بطن من فهم . الأصفهاني، الأغاني، ج١٨، ص ٢١ .

(٧) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٨، ص ٢١١ .

له لقد تأبطت شـراً فسـمي بذلك[١]، لذلك هو يتحدث عن لقائه بالغول كثيراً، فمن ذلك قوله:

فـأصـبـحـت الـغـول لي جـارة فـيـا جـار تـالـك مـا أهـولا[٢]

ويعتبر الرثاء من المحاور الأساسية التي يدور شعر تأبط شراً حولها، ويذكر الأصفهاني أنه حينما أغار هو وصاحبه على بجيلة فقتلت بجيلة صاحبه [٣]، فقال في رثائه :

ألا تلكما عرسي منيعة ضمنت من الله إثـمـا مـسـتـترا وعـالـنـا
تـقـول تـركـت صـاحـبـاً لـك ضـائـعـا وجـئـت إلـيـنـا فـارقـاً مـتـبـاطـئـا
إذا مـا تـركـت صـاحـبـي لـثـلاثـة أو اثـنـين فـلا أبـت آمـنـا[٤]

ومن عجائب تأبط شراً أنه قتل اثنين من أصحابه[٥]، وأنشد في رثائهما شعراً مؤثراً .

أبعد قتيل العواصي آسى على فتى وصـاحـبـه أو يـأمـل الـزاد طـارق
أأطـرد نـهـبـاً آخـر الـلـيـل أبـتـغـي عـلا لـة يـوم أو تـعـوق الـعـوائـق
لـنـعـم فـتـى كـان رداؤه على سرحة من سرح دومة شانق[٦]

وكان تأبط شـراً دائم الإغارة على قبائل السروات مثل خثعم وبجيلة وثمالة[٧]وهذيل ومما قاله في ذلك :

أرى قـدمـي وقـعـهـا خـفـيـف كـتـحـلـيـل الـطـلـيـم حـذار ثـالـه
أرى بـهـمـا عـذابـاً كـل يـوم لـخـثـعـم أو بـجـيـلـة او ثـمـالـه
وشـراً كـان صـب عـلـى هـذيـل إذا عـلـقـت حـبـالـهـم حـبـالـه[٨]

---

(١) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٨، ص ٢١١، الألوسي، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٤٥ .

(٢) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٨، ص ٢١١ ، الألوسي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٤٤ .

(٣) يروي الأصـفـهاني أن تأبط شـراً خرج غازياً يريد بجيلة هو ورجل معه، فقتل رجل منهم ثم اسـتاق غنماً كثيرة، فنذروا به فتتبعه بعضهم على خيل فلم رآهم عرف وجوههم فقال لصاحبه هؤلاء قوم عرفتهم ولن يفارقونا اليوم حتى يقتلونا ويظفروا بحاجتهم، فجعل صـاحـبه ينظر فيقول ما أتبين أحداً حتى إذا دهموهما قال لصـاحـبه اشتد فإني سـأمنعك مادام في يدي سـهم فاشتد الرجل ولقيهم تأبط . وجعل يرميهم حتى نفدت نبله، ثم أنه اشتد فمر بصاحبه فلم يطق شدة فقتل صاحبه وهو ابن عم لزوجته. الأصفهاني، المصدر السابق ، ج١٨، ص ٢١٥ .

(٤) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٨ ، ص ٢١٥ .

(٥) خرج تأبط شراً مع اثنين من أصحابه حتى أغاروا على العوص من بجيلة فآذوا نعماً لهم واتبعتهم العوص فأدركهم، وقد كانوا استأجروا لهم رجالاً كثيرة فلما رأى تأبط شراً أن لا طاقة لهم بهم، شد وتركهم فقتل صاحباه وأخذت النعم، وأفلت حتى أتـى عنـد امرأة من قبيلة فهم، يتحدث إليها فلما أراد أن يأتي قومه دهنته ورجلته، فجاء إليهم وهم يبكون فقالت له امرأته لعنك الله تركت صاحبيك وجئت مدهنا . الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٨، ص ٢١٦ .

(٦) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٨ ، ص ٢١٦ .

(٧) انظر : القلقشندي، المصدر السابق، ص ١٩٩ .

(٨) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٨ ، ص ٢٢٠ ، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ط٣، ص٢١٨.

وبالرغم من أن تأبط كان لصاً فاتكاً[١] إلا أنه كان لا يترك دم صديقه دون أن يثأر له، وأيضاً كان يحترم تقاليد مجتمعه الدينية، فيؤخر انتقامه حتى تنتهي الأشهر الحرم، وأنشد في هذا الصدد قائلا:

فعدوا شهور الحرم ثم تعرفوا قتيل أناس أو فتاة تعانق[٢]

ومن أهم شعراء قبيلة مذحج الأفوه الأودي في نجران[٣] واشتمل شعره على فنون الحكمة حتى عد من حكماء العرب[٤]، وصار شعره يتردد كالأمثال على ألسنة العرب ومن أمثاله السائرة قوله:

إنما نعمة قوم متعة وحياة المرء ثوب مستعار
ولياليه إلا للقوى ومدى قد تجتليها وشعار
وصروف الدهر على أطباقه خلفة فيها ارتفاع وانحدار[٥]

وبلغت حكمته أقصاها في أبياته الآتية:

والبيت لا يبنى إلا على عمد ولا عماد إذا لم تُرس أوتاد
فإن تجمع أوتاد وأعمدة وساكن بلغو الذي كادوا
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا
تهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت فإن تولت فبالأشرار تنقاد[٦]

يعتبر مقلقل بن شهاب الخثعمي زعيم خثعم من أهم شعراء السروات، وله قصائد متنوعة، ونذكر منها هذه الأبيات وهو يفاخر فيها ببلائه وقتاله للمسلمين أثناء فتح المسلمين لبلاد خثعم، ويقول فيها:

أنا قاتل الشجعان من إنس وجان فتأهبوا يا مسلمين صرامي
وتعجبوا لتصادم الفتيان فلأخذن فتيانكم أسارى
ولأجعلنكم فدا الأوثان وأسقيكم كاس الحمام بصارمي[٧]

وهناك رواية تشير إلى أنه عندما وصلت قوات المسلمين إلى ديار خثعم، أمر

---

(١) أحمد السكندري وآخرون: المنتخب من أدب العرب، ج٣، ص ٤٦ (هامش ١).

(٢) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٨، ص ٢١٦. يوسف خليف، المرجع السابق، ص ١٩٣.

(٣) الأفوه الأودي: لقب واسمه صلاءة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحرث بن منبه بن أود بن صعب بن سعد العشيرة، وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم، وكانوا يصدرون عن رأيه، وقيل له الأفوه لأنه كان غليظ الشفتين ظاهر الأسنان. انظر: الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٠٥ (هامش ٢).

(٤) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٨، ص ٢١١.، الألوسي، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٤٥.

(٥) الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٠٥.

(٦) الألوسي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٠٦

(٧) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص ١١١.

مقلقل قومه بالنزول لمواجهة المسلمين، فنزلوا ونصبوا خيامهم [١] وفي هذه المناسبة أنشد مقلقل قائلاً :

اليوم يعرف كل خصم خصمه عند البراز إذا التقى الجمعان
اليوم تختلف القنا عند اللقا وتخوض فيه الخيل كالعقبان[٢]

ومن شعراء خثعم أيضاً بشر بن ربيعة الخثعمي، وله شعر في الفتوح، ومن شعره في حرب القادسية [٣] قوله :

ألم خيال من أمية موهنا وقد جعلت أولى النجوم تغور
ونحن بصحراء العذيب ودارها حجازية أن المحل شطير[٤]

ويعد عمرو بن خثارم البجلي من أهم شعراء قبيلة بجيلة وهو جاهلي[٥]، وتنوعت أغراضه الشعرية بين المدح والفخر وغيره، وقد أنشد في مدح بني أفصى بن نذير بن عبقر بن أنمار البجليين قائلاً :

ألا ما كان مغترباً فإني لغربته على أفصى دليل
يغنون الغنى على غناه وينثر في جوارهم القليل[٦]

ويقول أيضاً :

فإن بلاد قومك قد أتيحت وحل مكانهم حي شطير[٧]

وقال عمرو بن خثارم وهو يذكر نفي بجيلة عن بلادهم من أرض السراة وقتالهم[٨] :

نفينا كأنا ليث دارة جلجل مدل على أشباله يتهمهم
فما شعروا بالجمع حتى بينوا بنية ذات النخل ما يتصرم[٩]

ولم يكن الشعر قاصراً على الرجال في نجران والسروات، بل كانت تنشده النساء

---

(١) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص ١١١ .
(٢) مؤلف مجهول ، المصدر نفسه ، ص ١١١ .
(٣) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص ١١١ .
(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٦١ .
(٥) الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٤ .
(٦) أبو عبيدة الله محمد بن عمران المرزباني : معجم الشعراء ، عن المجلد الوحيد بتهذيب المستشرق الأستاذ الدكتور سالم الكرنكوى ، عنيت بنشره للطبعة الأولى مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٩٤٢م ، ص ٢٣٦ .
(٧) المرزباني ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .
(٨) انظر:عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ط عالم الكتب، لبنان، ج١، ص ٥٩ .
(٩) البكري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٥٩ .

أيضاً، وليس أدل على ذلك من تلك المرأة التي أسلمت، بينما أنكر زوجها الإسلام، فحاربه الإمام علي بن أبي طالب وأسره[١] بينما لمعت الأنوار على جبين زوجته المسلمة، واستنارت طاعتها، فجعلت تنشد وتقول:

إن الزمان زماني منه الحزن — دلني لفراق الأهل والوطن
وفاض دمعي على الخدين منهمرا — ياليت شعري لذاك البين لم يكن[٢]

وكان زوج تلك المرأة يسمى زهيراً[٣] فدعاه الإمام علي بعد أن سمع كلام تلك المرأة وقال له: إلى زوجتك فإنها قد أسلمت وأمرها إلى ربها، وصارت مطيعة لنا في سائر أمورنا فإن أسلمت أنت الآخر فهي لك، وإن لم تسلم أنت الآن زوجتها لغيرك وهي طالقة منك لأنها تركت عبادة الأصنام[٤]، إلا أن زهيراً العامري أسلم وقال لعلي والمسلمين: سيروا بنا إلى ما تريدون، فها أنا بكم رفيق في كل أمر مضيق، ومحل ما تمضون فإنا معكم[٥] وفرح المسلمون بإسلامه فرحاً شديداً[٦].

ب) الخطابة والخطباء:

أول من كتب في علم الخطابة هم اليونان[٧] والخطابة فن قديم وجد مع الإنسان، فمتى وجدت جماعة من الناس تتكلم بلسان واحد فسرعان ما يختلفون في آرائهم ومعتقداتهم[٨] ثم يتجادلون ويحاول بعضهم إقناع بعض، ويتسابق النابهون منهم إلى استمالة المخالف[٩]. والخطيب الماهر يتخذ الوسائل المختلفة لإقناع السامعين، ويستعين على الإقناع بالأدلة والبراهين، ثم يحرك عواطفهم لاستمالتهم[١٠]، والخطابة هي فن مخاطبة الجمهور الذي يعتمد على الإقناع[١١].

وترجع نهضة الخطابة في بلاد نجران وتهامة والسراة في العصر الأموي إلى دواع متنوعة، نذكر منها كثرة الفتوحات السياسية والحروب، واشتداد الخلاف بين الأحزاب التي

---

(١) مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص ٣٠.
(٢) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص ٣٠.
(٣) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص ٣٠.
(٤) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص ٣٠.
(٥) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص ٣٠.
(٦) مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص ٣٠.
(٧) ذكر أبو زهرة أن اليونان هم مستنبطو قواعد الخطابة ومشيدو أركانها وذلك لأن أهل أثينا في عصر بيركليس قويت فيهم رغبة القول، واشتدت فيهم داعيته إذ صار يأسرهم القول البليغ دون سواه. انظر: أبو زهرة، الخطابة وأصولها، ص ١٢.
(٨) أشرف محمد موسى، الخطابة وفن الإلقاء، ص ٧.
(٩) أشرف محمد موسى، المرجع نفسه، ص٧.
(١٠) أشرف محمد موسى، المرجع نفسه، ص٧.
(١١) محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية في عصر بني أمية، ص ٢٣٢.

كـثرت في ذلـك العهـد [١] من شـيعة وأمويـين وخـوارج وروافض، [٢] وكان التنـازع بين العقائـد والمبـادئ في أوج قوتـه [٣]، وتلك الأحزاب اسـتعانت في نضـالها بالشـعر، إلا أن الخطابة كانت أكثر ممارسـة [٤] . نظراً لأن الشـعر لا يستطيعه كل إنسان، وقد يترفع عن قوله أولوا الأمر ووجهاء القوم، أما الخطابة فهي سلاح العالم والخلفاء وغيرهم [٥].

لقد ساق دم عثمان تياراً من العصبية على مدى العصر الأموي[٦] ،وأنشبت الحزبية مخالبها في كيانٍ دولة بني أمية وتشـعبت فيه الفـرق المختلفة[٧]، مثل حركة الخوارج التي اسـتمالت عـدداً كبيراً مثـل: رفاعة بن شـداد [٨]، الذي قـاد حركة التوابـين[٩]، وخطب خطبة حماسـية أشعلت الحماس في نفوس أتباعه قائلا : من أراد الحياة التي ليس بعدها موت، والراحة التي ليس بعدها نصـب، والسـرور الذي لِيس بعدهٍ حزن فيلقترب إلى الله بقتال هؤلاء "[١٠]، إلى جانب الروافض الذين جذبوا عدداً كبيراً من السـرويين مثل مولى بجيلة المغيرة بن سـعد[١١]، الذي كان يخطب قائلاً . لو شـاء الله لآخى عاداً وثموداً وقروناً بعد ذلك كثيرة [١٢]

يعتـبر إطفاءِ الفتنة وإصـلاح ذات البـين من أهم أغراض الخطابة لدى السـرويين، ويظهر ذلك جلياً عندما أبلغ سعد بن أبي وقاص أن طائفة من وجهاء القوم تتهمه بالخور وضـعف العزم في حرب القادسـية[١٣]، مما أثار غضـبه، وحبس أبا محجن الثقفي وغيره

---

(١) محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع نفسه، ص ٢٣٦ .

(٢) الروافض : إنما قيل لهم ذلك لأنهم رفضوا أبا بكر وعمر، ولم يرفضهما أحد من أهل الأهواء غيرهم، وهم الذين يفضـلون علياً على عثمان . أما الرافضـة فلها غلو شـديد في علي وذهب بعضـهم مذهب النصارى في المسيح وهم السبيئة أصحاب عبد الله بن سبأ . انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢، ص ٢١٨ .

(٣) محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ص ٢٣٦ .

(٤) علي محمد حسن، وزكي علي سويلم . الأدب وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، ص ٤١ .

(٥) علي محمد حسن وآخرون، المرجع نفسه، ص٤١ .

(٦) سعيد حسن منصور، القيم الخلقية في الخطابة العربية، ص ١٣٤ .

(٧) سعيد حسن منصور، المرجع السابق، ص ١٣٣ .

(٨) رفاعة بن شداد القتباني : هو رفاعة بن شداد بن عبد الله بن قيس بن جعال بن قتبان بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار، انظر:ابن حزم، ص ٣٨٩ .

(٩) ذكر ابن الأثير أن رفاعة بن شـداد القتباني حمل راية التوابين بعد مقتل خالد بن نفيل الأزدي . انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٣٤٣، ٣٤٤ .

(١٠) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٤٤ .

(١١) المغيرة بن سعد : هو من الروافض قال الأعمش : دخلت على المغيرة بن سعد فسألته عن فضائل علي، فقال إنك لا تحتملها قلت بلي، فذكر آدم صلوات الله عليه، فقال : علي خير، ثم ذكر من دونه من الأنبياء فقال: علي خير منهم حتـى انتهـى إلى محمد ﷺ فقال علي مثله فقلت : كذبـت عليك لعنة الله قال قد أعلمتك أنك لا تحملها، ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٢، ص ٢١٩ .

(١٢) ابن عبد ربه : المصدر نفسه، ج٢، ص ٢١٩ .

(١٣) الطـبري، تاريـخ الطبري، ج٣، وذكر النعمان عبد المتعال أن مصـدر الاتهام هو جرير بن عبد الله البجلي وأنشـد شعراً ينسب فيه الجبن إلى سعد ومن ذلك قوله :

من الرجال الذين أثاروا الناس عليه وقيدهم بالقصر [١] وذلك مما أثار غضب قومهم من أهل السراة، ولكن سرعان ما احتوى جرير بن عبد الله البجلي غضبه وقال: إني بايعت رسول الله ﷺ على أن أسمع وأطيع لمن ولاه الله الأمر وإن كان عبداً حبشياً [٢]. فسرت هذه الروح في نفوس الجند وسكنت بوادر الفتنة.

وتعد المناسبات الاجتماعية كالزواج والتهاني والتعازي من دواعي الخطابة الأساسية[٣]، وعلى سبيل المثال تهنئة خالد القسري لعمر بن عبد العزيز بالخلافة، وذكر ابن عبد ربه أن خالد القسري، حل على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة فقال: يا أمير المؤمنين من تكون الخلافة قد زانته فأنت قد زنتها، ومن تكون شرفته فأنت قد شرفتها[٤]، وأنت كما قال الشاعر:

وإذا الدر زان حسن وجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا[٥]

ويذكر أن جرير بن عبد الله البجلي نافر خالد بن أرطاة الكلبي [٦]، إلى عالم العرب الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: ما عندك يا جرير فقال: نحن أهل الذهب الأصفر والأحمر والمعتصر نخيف ولا نخاف، نطعم ولا نستطعم، نحن حي لقاح نطعم ماهبت الرياح، نضمن الدهر، ونصوم الشهر، ونحن الملوك القسر [٧]، فقال الأقرع بن حابس واللات والعزى لو نافرت قيصر ملك الروم، وكسرى عظيم الفرس، والنعمان ملك العرب لنفرت عليهم [٨].

أما عن الوفادة، فقد كان جرير بن عبد الله البجلي مبعوث الرسول إلى ملوك اليمن لإقناعهم بالدخول في الإسلام [٩]، وأشار ابن قتيبة إلى أن علي بن أبي طالب أوفده

أنا جرير كنيتي أبو عمر ... قد، فتح الله وسعد في القصر

وقد عرف سعد كيف يرد على شيخ السروات جرير بن عبد الله عندما أشاد ببطولة بعض من أمراء الجيش مثل: القعقاع بن عمرو وجمال الكناني، وقال غير ذلك في بجيلة فقال:

وما أرجو بجيلة غير أني ... أؤمل أجرها يوم الحساب
وقد لقيت خيولهم خيولا ... وقد وقع الفوارس في الضراب
فلولا جمع قعقاع بن عمرو ... وجمال للجو في الكذاب

النعمان عبد المتعال القاضي: المرجع السابق، ص ١٣٧.

(١) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٥٤٨، النعمان عبد المتعال القاضي، المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٢) النعمان عبد المتعال القاضي: المرجع نفسه، ص ١٣٧.

(٣) صلاح الدين الهادي، الأدب في عصر النبوة والراشدين، ص ١٣٣.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢، ص ١٠.

(٥) ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٠

(٦) الألوسي، بلوغ الأرب، ص ٣٠١.

(٧) الألوسي، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٠١.

(٨) الألوسي، المصدر نفسه، ط١، ص ٣٠١

(٩) محمد أمين صالح، تاريخ اليمن السياسي، ص ٤٧

إلى معاوية ليقنعه بالدخول في الجماعة[١]، وعندما قدم جرير على معاوية فقام خطيباً فقال: " يا أيها الناس إن أمر عثمان قد أعيا علياً ومن شهده، فما ظنكم بمن غاب عنه، إن الناس بايعوا علياً، وإن طلحة والزبير كانا ممن بايعا ثم نقضا بيعته، ألا إن هذا الدين لا يحتمل الغبن، ألا وإن هذا الدين لا يحتمل السيف، وقد كانت ملحمة أن يشفع البلاء بمثلها، فلا بقاء للناس، وقد بايعت العامة علياً لو ملكنا أمرنا لم نختر لها غيره، فمن خالف هذا استعتب، فادخل يا معاوية فيما دخل الناس فيه، فإن قلت أن عثمان ولاني ولم يعزلني، فإن هذا لو كان لم يقم الله دين، وكان لكل امرئ ما هو فيه " [٢] .

وتعتبر الوفادة من أغراض الخطابة الأساسية في نجران والسروات، ومن أهم سادات السراة الذين كانوا يفدون على الملوك قبل الإسلام والخلفاء بعد الإسلام هو عمرو بن معدي كرب الزبيدي، وقد هيأت له خلائقه الجسمانية ذلك حتى كان عمر بن الخطاب إذا رآه يقول الحمد الله الذي خلقنا وخلق عمراً تعجباً من عظمة خلقه[٣] ،حيث كان فارس اليمن [٤]، كذلك كان سيداً وجيهاً في قومه ومن ذوي الرئاسة والزعامة فيهم، فقد كان سيد زبيد قبل الإسلام وبعده [٥]، فيذكر أن عمراً وفد قبل الإسلام على مجاشع بن مسعود السلمي، يسأله الصلة أن يجزل له العطاء فأعطاه حاجته [٦]، فلما خرج من عنده، قال له أهل المجلس كيف وجدت صاحبك[٧] ؟، قال عمرو : " الله بنو سليم، ما أشد في الهيجاء لقاءها، وأكرم في اللأواء عطاءها، وأثبت في المكرمات بناءها، والله يا بني سليم لقد قاتلتكم ولقد سألناكم، ولقد هاجيناكم فما أفحمناكم، ولقد سألناكم فما أبخلناكم، وأنشد قائلاً :

فالله مسؤولاً نولا ونائلاً وصاحب هيج يوم هيج مجاشع[٨]

لم تكن الوفادة على الملوك والخلفاء قاصرة على أشراف نجران والسروات، بل كانت تقوم بها مجموعة من نساء نجران وتهامة والسراة ممن لهن من الشرف والبيان نصيب، وعلى سبيل المثال أم سنان بنت خيثمة، المذحجية[٩]، التي وفدت على معاوية، فدخلت عليه

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ٩٩ .

(٢) ابن قتيبة، المصدر السابق، ص ٩٩ .

(٣) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٢٥، النعمان عبد المتعال القاضي، ص ١٩٩.

(٤) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٢٥، الألوسي، المصدر السابق، ط١، ص ١٢١ .

(٥) النعمان عبد المتعال القاضي، المرجع السابق، ص ١٩٩ .

(٦) ذكر ابن عبد ربه أنه كانت بين عمرو وسليم حروب في الجاهلية ثم قدم على مجاشع السلمي بالبصرة يسأله الصلة، فقال له ذكر حاجتك فقال له حاجتي صلة مثلي فأعطاه عشرة آلاف درهم، وفرساً، وسيفاً جراذا، ودرعاً حصينة وغلاماً . انظر: ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٦٧ . محمود شيت خطاب، قادة فتح بلاد فارس، ص ٢٥٩ .

(٧) ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٦٧، محمود شيت خطاب، المرجع السابق، ص ٢٥٩ .

(٨) المصدر والمرجع نفسهما .

(٩) مذحج : هو مذحج بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان، إبراهيم أحمد المقمحي، معجم المدن والقبائل اليمنية، ص ٣٧٢.

وانتسبت فعرفها فقال لها : " مرحباً يا ابنة خيثمة ما أقدمك أرضنا وقد عهدناك تشتميننا وتحرضين علينا عدونا[١] ؟ قالت : " إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة، وأعلاماً ظاهرة، وأحلاما وافرة، لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم، ولا ينتقمون بعد عفو، وإن أولى الناس باتباع ما سن آباؤه لأنت"[٢]، ويعتبر قس بن "ساعدة"[٣]، من أشهر الخطباء ذكراً، وأرفعهم قدراً حيث روى رسول الله من كلامه [٤]، وفي الحديث " يرحم الله قساً، إني لأرجوه يوم القيامة أن يبعث أمة وحده "[٥]، وقس بن ساعدة أسقف نجران [٦]، وكان من القسيسين الذين يترددون على أسواق العرب[٧]، ويعظون ويبشرون ويذكرون البعث والحساب والجنة والنار، وذكر الأصفهاني أن قساً كان له كثير من الأمور العجيبة[٨]، ويشير الألوسي إلى أن قساً كان له باع طويل في الشعر والخطب وسائر فنون الكلام[٩]، وقد اجتمع له مالم يجتمع لغيره من فنون الفصاحة والشعر والحكمة[١٠]، فكان شاعراً وخطيباً، بل يعد خطيب العرب قاطبة[١١]، وذكر الأصفهاني أنه أول من علا على منبر وخطب عليه، وأول من قال في كلامه (أما بعد)، وأول من اتكأ عند خطبته على عصاه [١٢]، وأشار صلاح الدين إلى أن الرسول ﷺ كان يستمع إلى قس

---

(١) ذكر ابن عبد ربه أن سبب توجه أم سنان إلى معاوية أن مروان بن الحكم والي المدينة حبس غلاماً من بني ليث في جناية جناها، فأتته جدة الغلام أم أبيه، وهي أم سنان بنت خيثمة المذحجية فكلمته في الغلام فأغلظ لها مروان، فخرجت إلى معاوية فدخلت عليه فانتسبت فعرفها . انظر: ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٦ .

(٢) ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٦ .

(٣) قس بن ساعدة: هو قس بن ساعدة بن عمرو، وقيل عمرو بن عدي بن مالك بن النمر بن نهدم بن دعمي بن إياد خطيب العرب وشاعرها وحليمها وحكيمها وحكمها في عصره . انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص٤١ .

(٤) الألوسي : بلوغ الأرب، ج٣، ص٥٥ .

(٥) الألوسي: المصدر السابق، ج٣، ص ٥٥ .

(٦) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ٢٦ .

(٧) ذكر أحد الباحثين أن العرب لم يكن همهم من بعض أسواقهم النواحي المادية فحسب، بل كانوا يتسابقون بالخيل، وينشدون فيها الأشعار، ويقومون فيها بألوان من اللعب، وكانوا يفخرون ويتنافرون ويخطبون . على محمد حسن، انظر: التاريخ الأدبي للعصرين الجاهلي والإسلامي، ص٤٣ .

(٨) انظر: الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ١٤، ويذكر أن رجلاً قال يا رسول الله لقد رأيت من قس عجباً قال: ما رأيت قال: بينما أنا بجبل يقال له سمعان في يوم شديد حره إذا أنا بقس بن ساعدة تحت ظل شجرة عند عين ماء، وعنده سباع كلما أز سبع منها على صاحبه ضربه بيده، وقال كف حتى يشرب الذي ورد قبلك، قال ففرت، قال : لا تخف، وإذا بقبرين بينهما مسجد، فقلت له ما هذا القبران ؟ قال: هذان قبرا أخوين كانا لي فماتا، فاتخذت بينهما مسجداً أعبد الله وجل فيه حتى ألحق بهما ثم أنشد يقول :

خليلي هبا طالما قد رقدتما ... أحداكما لا يقضيان كراكما
ألم تعلما أني بسمعان مفرج ... ومالي فيه من حبيب سواكما

انظر : الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص٤٢٣ .

(٩) الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٢ .

(١٠) الألوسي، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢، على محمد حسن، المرجع السابق، ص ١١٣ .

(١١) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٤١، علي محمد حسن، المرجع السابق، ص ١١٣ .

(١٢) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٤١ .

بسوق عكاظ قبل البعثة[١] .

وكان يبشر بالدين الإسلامي ويدعو إلى الإيمان به، وذكر الأصفهاني أنه قال: " ما على وجه الأرض من دين أفضل من دين قد أظلكم زمانه، وأدرككم أوانه، فطوبى لمن أدركه فاتبعه، وويل لمن خالفه[٢]، ثم أنشد يقول :

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الأصاغر والأكابر
أيقنت أني لا محالة ... حيث صار القوم صائر[٣]

ونتيجة لذلك ظل أثر قس ماثلاً في نفس الرسول ﷺ بعد مبعثه[٤] .

ولعل من أهم خطب قس بن ساعدة خطبته التي جاء فيها : " أيها الناس اسمعوا وعوا، انظروا واذكروا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، على أن أبلغ العظات السير في الفلوات، والنظر إلى محل الأموات، إن في السماء لخبرا ! وإن في الأرض لعبرا، ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالمقام؟ أم تركوا هناك فناموا، يا معشر إياد أين الآباء والأجداد ؟ أين المريض والعواد؟ وأين الفراعنة الشداد، أين من بنى وشيد وزخرف ونجد، وغره المال والولد ؟ أين من طغى وبغى، وجمع فأوعى، وقال أنا ربكم الأعلى، ألم يكونوا أكثر منكم أموالاً ؟ وأطول منكم آجالاً " [٥] .

أما "الحرث بن كعب المذحجي" فقد كان من أفصح خطباء زمانه[٦]، ومن أهم خطبه تلك الخطبة التي قالها عندما حضرته الوفاة فجمع بنيه، وقال : " يا بني قد أتت علي ستون ومائة سنة ما صافحت بيميني يمين غادر، ولا قنعت نفسي بحلة فاجر، ولا بحت لصديق بسر، وإني لعلى دين شعيب النبي (عليه السلام) ، فاحفظوا وصيتي، وموتوا على شريعتي ... إلهكم فاتقوه يكيفكم المهم من أموركم، ويصلح لكم أعمالكم "[٧]، يابني كونوا جمعاً لا تفرقوا فتكونوا شيعاً فتضعفوا، وأن موتاً في عز، خير من حياة في ذل وعجز، وكل ما هو كان كائن، وكل جمع إلى تباين، والدهر دربان فدرب رخاء، ودرب بلاء، واليوم يومان : فيوم حبرة[٨]، ويوم عبرة، والناس رجلان فرجل معك، ورجل عليك، وزوجوه

---

(١) صلاح الدين الهادي، المرجع السابق، ص ١٣٤ .
(٢) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٤٢ .
(٣) الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٤، ص٤٢، الألوسي ، المصدر السابق ، ج٣، ص ١٢٢ .
(٤) صلاح الدين الهادي، المرجع السابق، ص ١٣٤ .
(٥) الأصفهاني، المصدر السابق، ج١٤، ص ٤٢، إيليا حاوي : المرجع السابق، ص ٥٣، ٥٤ .
(٦) الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٦٤ .
(٧) الألوسي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٦٤ .
(٨) حبرة : فرح وسرور . الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٦٤ .

الأكفاء، وليستعملن في طيبهن الماء، وإياكم والورهاء، وتجنبوا الحمقاء فإن ولدها إلى أفن ما يكون[١]، وإذا اختلف القوم مكنوا عدوهم منهم، وآفة العدد اختلاف الكلمة ....، وقطيعة الرحم، تورث الهم، وانتهاك الحرمة يزيل النعمة، وعقوق الوالدين، يعقب النكد، ويمحق العدد، ويخرب البلد" [٢].

كما يعتبر "سحبان وائل الباهلي" من أعظم خطباء السروات[٣]، ويضرب به المثل في البيان، فكانوا إذا أرادوا مدح إنسان بذلك قالوا: هو أخطب من سحبان بن وائل "[٤]، وليس أدل على ذلك من أنه دخل على معاوية، فخطب من صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ما تنحنح ولا توقف[٥]، فقال له معاوية: إنك أخطب العرب [٦]، وإذا كان معاوية يعده خطيب العرب فهو يعد نفسه أخطب العرب والعجم والإنس والجن[٧]، وأنشد وائل باهلة في نفسه:

لقد علم اليمانيون أنني إذا قلت "أما بعد" أني خطيبها[٨]

وهو الذي قال لطلحة الطلحات الخزاعي [٩].

يا طلح أكرم بها حسنا و أعطاهم لتالد
منك العطاء فأعطني وعلى مدحك في المشاهد[١٠]

ويعتبر جرير بن عبد الله البجلي من أشهر خطباء السروات في العهد الأموي، ويشير ابن قتيبة إلى أنه عندما تولى الخليفة علي بن أبي طالب الخلافة، عزل جميع ولاة عثمان ما عدا جرير بن عبد الله، فأبقاه على همذان، وطلب بيعته وبيعة همذان[١١]، ومما

---

(١) الألوسي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٦٥ .

(٢) الألوسي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٦٥ .

(٣) سحبان بن وائل: هو سحبان بن إياس الوائلي، وائل باهلة، أدرك الجاهلية، وأسلم ومات سنة أربع وخمسين هجرية، انظر: الألوسي، المصدر السابق، ص ١٥٦.

(٤) الميداني، مجمع الأمثال، ص ٧٢ .

(٥) الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٦٥ .

(٦) ذكر الألوسي أن معاوية أشار عليه أن يتوقف، وأشار عليه سحبان ألا تقطع كلامي! فقال معاوية الصلاة! فقال: هي أمامك ونحن في صلاة وتحميد، ووعد ووعيد، فقال معاوية: أنت أخطب العرب. فقال سحبان والعجم والإنس والجن. انظر: الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٦ .

(٧) الألوسي، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٥٦.

(٨) الميداني، مجمع الأمثال، ص ٧٢، الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٦ .

(٩) طلحة الطلحات الخزاعي: هو أحد الأجواد المشهورين في الإسلام واسمه طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، وأضيف إلى الطلحات لأنه فاق في الجود خمسة أجواد، اسم كل واحد منهم طلحة، وهم: طلحة الخير، وطلحة الفياض، وطلحة الجواد، وطلحة الدراهم، وطلحة الندى، وقيل كان في أجداده جماعة اسم كل منهم طلحة. الميداني، المصدر السابق، ص ٧٢، الألوسي، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٥٧ .

(١٠) الميداني، المصدر السابق، ص ٧٢، الألوسي، المصدر السابق، ج٣، ص ١٥٧

(١١) ابن قتيبة، الأمة والسياسة، ص ٩٥ .

قالـه في خطبـة يدعو فيها إلى بيعة همـذان للخليفة علي بن أبي طالـب " هذا كتاب أمير المؤمنـين علي بن أبي طالب وهو المأمون على الديـن والدنيا، وكان من أمره وأمر عدوه ما قد سمعتم . والحمد لله على قضائه، وقد بايعه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، ولو جعل الله هذا الأمر شورى بين المسلمين لكان عليّ أحق بها، ألا وإن البقـاء في الجماعة والفناء في الفرقة، وعلي حاملكم على الحق ما اسـتقمتم له فإن ملتم أقام ميلكم[١] .

ويعـد خالـد بـن عبد الله القسـري، مـن أبـرز خطبـاء السـراة في العهـد الأموي، وكانـت خطبه تدور حول الدعوة إلى الطاعـة [٢]، ومما قاله في ذلك : " أيها الناس، إنكم بأعظـم بـلاد الله حرمة، وهي التي اختار الله من البلدان، فوضـع بها بيته، ثم كتب على عباده حجه من اسـتطاع إليه سبيلاً ، أيها الناس فعليكم بالطاعة ولزوم الجماعة، وإياكم والشـبهات، فإني والله ما أوتى بأحد يطعن على إمامه إلا صـلبته في الحرم، إن الله جعل الخلافـة منه بالموضـع الذي جعلها فسـلموا وأطيعوا، واعلموا أنه بلغنـي أن قوماً من أهل الخلاف يقدمون عليكم ويقيمون في بلادكم، فإياكم أن تتركوا أحداً ممن تعلمون أنه زائغ عن الجماعة، فإني لأجد أحداً منهم في منزل أحد منكم إلا هدمت منزله، فانظروا ممن تنزلـون في منازلكم وعليكم بالجماعة والطاعة فإن الفرقة هي البلاء العظيم " [٣]، ويذكر الأزرقي أن الخليفة سـليمان بن عبد الملك أمر خالد القسـري أن يحفر له بئراً يشـبه بئر زمزم فقام بحفرها ثم دعا الناس وقال لهم : " أيها الناس . أحمد الله تبارك وتعالى وادعوا لأمير المؤمنين الذي سقاكم الماء العذب الزلال النقاح، بعد الماء الملح الأجاج الذي لا يشرب إلا صبراً يعني زمزم "[٤] .

أمـا دور الخطابـة في التحريض علـى القتال فقد اتخذ أشـكالاً متنوعة قبل الإسـلام وبعده، فبينما كان قبل الإسـلام يحرض الخطباء القبائل على قتال بعضهم بعضاً لأغراض واهية[٥]، وبعد الإسلام تحول التحريض إلى الجهاد لإعلاء كلمة الله، ويتضح ذلك في خطبة

---

(١) ابن قتيبة، المصدر نفسه ، ص ٩٥ .

(٢) سعيد حسين منصور، القيم الخلقية في الخطابة العربية، ص ١٣٤ .

(٣) إيليا حاوي، فن الخطابة وتطوره عند العرب، ص ٤٧٤ .

(٤) الأزرقي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٠٨، يحيى بن قاسم : المصدر السابق، ص ١١٥، وذكر إيليا حاوي رواية فيها شيء من المغالاة والافتراء على خالد القسري بل والتحريف وهي " إن خالد القسري من غلوه أنه خطب على منبر مكة، فقال أيها الناس، أيهما أعظم، الخليفة الرجل على أهله، أم رسوله إليهم ؟ والله لو لم تعلموا فضل الخليفة، إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقى ربه، فسـقاه ملحاً أجاجاً، واستسقاه الخليفة فسقاه عذباً فراتاً، يعني بئراً حفرها للوليد فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من أدم إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم . انظر: كتاب : فن الخطابة وتطوره عند العرب، ص ٤٧٥ .

(٥) ذكـر البكـري أنه تيامنت قبائـل من ربيعة إلى بلاد اليمن فحالفت أهله وبقوا على أنسـابهم منهم أكلب بن ربيعة بن نزار نزلت ناحية تثليث من اليمن وما والاها فجاورت خثعم، وحالفوهم، وأقامت سـائر قبائل ربيعة في أطراف نجران وتهامة حتى وقعت الحرب بينهم في قتل جساس بن مرة، وأخذت الحروب والوقائع تنفيهم من بلد إلى بلد وتنفيهم من أرض إلى أرض . انظر : كتاب: معجم ما استعجم، ص٨٠ .

جرير بن عبد الله البجلي في معركة البويب، وهو يحرض قبيلة بجيلة على قتال الفرس فقال: " يامعشر بجيلة إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء، وليس لأحد منهم في هذا الخمس غداً من النفل. أي الغنائم. مثل الذي لكم منه، ولكم ربع خمسه نفلاً من أمير المؤمنين، فلا يكونن أحد أسرع إلى هذا العدو ولا أشد عليه منكم للذي لكم منه، فإنما تنظرون إحدى الحسنيين الشهادة والجنة أو الغنيمة والجنة"(١).

ويشير الطبري إلى أن خطيب زبيد عمرو بن معد يكرب، أخذ يمر بين صفوف المسلمين، ويحرضهم على قتال الفرس في معركة القادسية ويقول: " يا معشر المهاجرين، كونوا أسوداً، ثم حمل على رجل من الفرس فذبحه، ثم قال هكذا اصنعوا بهم "(٢).

ج. الطب والأطباء:

احتل العرب المكانة الأولى في الطب فظلوا على رأس المعرفة بالطب طيلة أكثر من خمسمائة عام(٣)، وقد ورد في حديث منسوب إلى النبي ﷺ أن دراسة الطب ودراسة الدين هما الشقان الأساسيان للمعرفة(٤). وعدد الأحاديث الطبية الموروثة عن النبي ﷺ حوالي ثلاثمائة حديث، جمعت في كتاب: تحت عنوان: الطب النبوي، وتوصي هذه الأحكام عامة بالقناعة، وتفرض التطبيق العملي لعلم الصحة والنظافة(٥) والطب من العلوم الهامة في كل زمان ومكان، لما له من صلة بحياة الإنسان، وذكر بعض علماء اللغة إن الطب بمعنى السحر "(٦)، حيث كان هناك صلة بين الطب والسحر، فالساحر يداوي المرض ويشفي المريض بسحره، وكذلك كان الطبيب يداوي المريض(٧).

وقد اشتهر أبناء السروات ونجران بممارسة الطب مثل الشمردل(٨)، وهو من أعظم أطباء بني الحارث بن كعب بنجران، ويشير الطبري أنه قدم على الرسول ﷺ ضمن وفد بني الحارث بن كعب الذي قدم المدينة سنة (١٠هـ /٦٣١م) (٩)، وطلب من الرسول ﷺ وضع ميثاق لمهنة الطب (١٠)، وبعد أن وضع الرسول ﷺ ميثاق الطب

(١) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٤٦٩.
(٢) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ٥٧٦.
(٣) جاك . س . ريسلر، الحضارة الإسلامية، ص ١٩٣.
(٤) جاك . س. ريسلر، المرجع نفسه، ص ١٩٣.
(٥) جاك .س . ريسلر، المرجع نفسه، ص ١٩٣
(٦) جواد علي، ج٨، ص ٣٨٠.
(٧) جواد علي، ج٨، ص ٣٨٠.
(٨) الشمردل : هو الشمردل بن قباب الكعبي النجراني، انظر: أحمد شوكت، الطب عند العرب، ج١، ص ٣٦.
(٩) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٧.
(١٠) ذكر أحمد شوكت أن الشمردل قال يا رسول الله إني كنت كاهن (طبيب) قوي في الجاهلية، وأني كنت الطبيب فما يحل لي؟ فقال رسول الله ﷺ فصد العرق، ومجسة الطعنة إن اضطررت، ولا تداو أحداً حتى تعرف داءه" أحمد شوكت: المرجع السابق، ص ٣٥.

لأطباء نجران والسراة وعموم العرب، قال له الشمردل "والذي بعثك بالحق أنت أعلم بالطب مني[١] .

لاشك أن شهادة أطباء نجران والسروات لرسول الله ﷺ كطبيب تؤكد إن الرسول ﷺ كان على درجة عالية في مجال الطب[٢] . ويؤكد ذلك ما ذكره أصحاب الرسول ﷺ من انه كان يديم التطبيب، وكان يأمر بالحمية، وينهى عما يؤذي، ويصف الأدوية، ويحدث في حفظ الصحة[٣]، وقد تعلمت منه الطب زوجته عائشة، حتى قال هشام بن عروة "ما رأيت أحداً أعلم بالطب من عائشة"[٤]، تشير المصادر التاريخية إلى أنه عندما دخل علي بن أبي طالب والعباس على عمر بن الخطاب بعد أن أصابه أبو لؤلؤة المجوسي [٥]، فقال لهم : لا تعرني أنت وأصحابك[٦]، ثم قال : يا عبد الله خذ رأسي عن الوسادة فضعه على التراب لعل الله ينظر إليّ فيرحمني [٧]، ثم دعي له طبيب من بني الحرث بن كعب بنجران[٨]، ولم تكن مهنة الطب قاصرة على بني الحارث بن كعب بنجران، بل عرفت بها قبائل أخرى من بلاد السراة مثل الأزد وبطونها المتعددة، ولاسيما أزد شنوءة [٩]، وجرش، وأنمار[١٠] .

ولعل من أعظم أطباء أزد شنوءة هو ضماد بن ثعلبة الأزدي، قدم مكة معتمرا، فسمع رجال قريش يقولون محمد مجنون [١١] . فقال لو أتيت هذا الرجل فداويته[١٢] .فجاءه فقال يا محمد إني أداوي من الريح فإن شئت داويتك، فتشهد رسول الله وحمد الله وتكلم بكلمات[١٣] فأعجب ذلك ضمادا وقال: لقد سمعت كلام الكهنة، والسحرة، والشعراء، فما سمعت مثل هذا قط[١٤] . ومن أطباء جرش نافع

---

(١) أحمد شوكت، المرجع نفسه، ج١، ص ٣٦ .

(٢) يروى أن النبي ﷺ كان يداوي نفسه ويأمر بذلك لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه، وكان غالب أدويته مفردة لا مركبة، تماشيا مع القاعدة التي مازالت متبعة حتى الآن، وهي العدول عن الدواء المركب إذا كان الحصول على الشفاء ممكناً بالدواء المفرد" انظر: أحمد شوكت، المرجع السابق، ص٣٧ .

(٣) أحمد شوكت، المرجع نفسه، ص٣٦ .

(٤) أحمد شوكت، المرجع نفسه، ص٣٦ .

(٥) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ٢٣٩ .

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٢٧ .

(٧) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٧ .

(٨) بنو الحارث بن كعب : هو بنو الحارث بن كعب بن جلد بن مذحج الهمداني : الإكليل، ج١، ص ١٣٢ (هامش ٤) .

(٩) أزد شنوءة : ويقال له شنوءة باسم أبيهم، بطن من الأزد من القحطانية وهم بنو نصر بن الأزد، وبنو شنوءة هم الذين يقال لهم أزد شنوءة، انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ص ٣٠٨ .

(١٠) هو أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، أخي الأزد . انظر: ابن حزم، ص ٣٨٧ وذكر ابن جلجل، أن أحد أصحاب الرسول ﷺ دخل عليه وبه جرح وكان حاضراً عند حي من أنمار، فطلب الرسول ﷺ من أطباء السراة أن يعالجوه" للمزيد انظر: أبوداود سليمان (ابن جلجل)، طبقات الأطباء، ص٥٤.

(١١) ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ص ٢١٠ . أحمد شوكت، المرجع السابق، ص ٢٩ .

(١٢) ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ص ٢١٠، أحمد شوكت، المرجع السابق، ص ٢٩٠ .

(١٣) ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ص٢١٠، أحمد شوكت، المرجع السابق، ص٢٩ .

(١٤) ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ص٢٩، أحمد شوكت، المرجع السابق، ص ٢٩ .

الجرشي[١]، وقد آمن بالرسول ﷺ[٢] وذكر ابن جلجل أنه قال يارسول الله : أفي الطب خير ؟ قال: نعم أنزل الدواء من أنزل الداء[٣] .

٣. العمارة والفنون :

تعددت أنواع العمارة في بلاد نجران وتهامة والسراة نظراً لتنوع الدور الوظيفي لها، فكان منها العمارة الإسلامية المثلة في المساجد والزوايا الدينية، ومنها العمارة المسيحية المتمثلة في الكنائس والأديرة، كما كان للوثنيين عمائرهم المتمثلة في دور العبادة الخاصة بهم مثل الكعبة اليمانية [٤]. المسماة ببيت ذي الخلصة[٥] . ونلاحظ أن العمائر العسكرية المتمثلة في الحصون والقلاع متنوعة في أرض السروات.

أما العمارة الإسلامية، فيعتبر المسجد هو النموذج الأول للعمارة الإسلامية [٦]، فله منزلة عميقة في نفوس المسلمين، لأنه موضع اجتماع المسلمين فيه خمس مرات في اليوم لإقامة شعائر الصلاة [٧]، إلى جانب أنه مركز نشاطات متعددة الجوانب من دينية وثقافية واجتماعية وسياسية [٨]، ففي المساجد كانت تؤخذ البيعة للخلفاء، وعلى منابرها تلقى خطبهم الأولى التي تحدد منهاج كل منهم وطريقته في تسيير دفة الحكم[٩]، وأيضاً كانت أحياناً مقراً لإدارة الدولة، فكان الرسول ﷺ يستقبل الوفود والأفراد في مسجده بالمدينة ويرحب بهم ويجيزهم بالأموال والإقطاع[١٠]، وفي المسجد كانت تعلن أنباء الحروب والانتصارات، ويستنفر المجاهدون للقتال[١١]، وكان داراً للندوة يجتمع فيه للدرس[١٢] ، وفيه يعقد القاضي جلسات محكمته فيقضي بين الناس [١٣] .

فالمسجد كان بمنزلة مركز إشعاع ديني وعلمي واجتماعي قوي يعتبره كل مسلم بيت

---

(١) ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص ٧ .

(٢) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٥، ص ٧ .

(٣) ابن جلجل، المصدر السابق، ص ٥٤ .

(٤) ابن الكلبي، الأصنام، ص ٦٤ .

(٥) جواد علي، المرجع السابق، ج٤، ص ٢٧٠، ٢٧١ .

(٦) ذكر سعد زغلول أنه كان له تأثيره على غيره من العمارات الدينية والعسكرية والمدنية، ويرجع تخطيط المسجد الجامع ذي الصحن المتوسط، الذي تكتنفه البوائك بأعمدتها وأقواسها، والذي يمد بيت الصلاة بالضوء والهواء إلى تخطيط الدار السكنية القديمة ذات الفناء الأوسط المكشوف الذي تحيط به الفرق من جوانبه الأربعة، انظر: سعد زغلول عبد الحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، ص ٢٠٨ .

(٧) محمد إبراهيم، الفن والعمارة عند العرب، ص ٢٢ .

(٨) محمد إبراهيم، المرجع نفسه، ص ٢٢ .

(٩) محمد إبراهيم، المرجع نفسه، ص٢٢

(١٠) محمد أمين صالح، تاريخ اليمن السياسي، ص ٤٧

(١١) محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص ٢٢ .

(١٢) علي حسني الخربوطلي، الحضارة الإسلامية العربية، ص ٢٧٥ .

(١٣) علي حسني الخربوطلي، المرجع نفسه، ص ٢٧٥، محمد إبراهيم، المرجع السابق، ص ٢٢، ٢٣ .

الله[(١)]، فلا مبالغة في اهتمام قبائل نجران وتهامة والسراة التي دخلت في الإسلام ببناء المساجد باعتبارها رمزاً للإسلام، ويذهب الأزرقي إلى أن المساجد كانت منتشرة في بلاد السروات ويتضح ذلك حينما سأل الرسول ﷺ جرير بن عبد الله البجلي عن أحوال الإسلام في السراة فقال له : يا رسول الله قد أظهر الله الإسلام وأظهر الأذان في مساجدهم [(٢)] ومن نماذج مساجد السراة مسجد تبالة، وذكر الأزرقي أن مسجد تبالة تم بناؤه قبل وفاة الرسول ﷺ بشهرين سنة (١٠هـ /٦٣١م) [(٣)]، وكذلك بيت ذي الخلصة [(٤)] ويشير ياقوت إلى أنه بنى في موضع ذي الخلصة مسجداً لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم [(٥)]، إلا أن الثابت في المصادر التاريخية مثل الأزرقي وابن الكلبي أن جريراً هدم الصنم وبنى المسجد محله[(٦)] ولكن لم تذكر هذه المصادر بأن جرير هدم بيت ذي الخلصة كاملاً [(٧)]، وأغلب الظن أن أهل السراة اتخذوا هذا البيت مكاناً للمسجد، وهناك مسجد آخر قد أمر عمر بن الخطاب ببنائه في قرية الأخدود ببلاد نجران[(٨)] .

أما العمارة المسيحية فهي تتمثل في الكنائس والأديرة ومن نماذج الأديرة المسيحية، في السراة دير نجران[(٩)]، ويرجع تاريخ تشييده إلى عصر آل عبد المدان بن الديان من بني الحارث بن كعب، وكانوا قد بنوه مربعا مستوي الأضلاع والأقطار مرتفعا عن الأرض يصعد إليه بدرجة مثل بناء الكعبة[(١٠)] كما طعموا حيطانها وسقوفها بالفسيفساء والذهب[(١١)] والملاحظ على بناء دير نجران الإتقان والغنى الوفير. أما عمائر الوثنيين فكانت منتشرة في السروات قبل الإسلام وبعده، بل إن بعضها استمر قائما لفترة من الزمن في العصر الإسلامي [(١٢)] .

كما سجل الفنانون في نجران وتهامة والسراة تعبيراتهم الفنية على لوحات حجرية

---

(١) محمد إبراهيم، المرجع نفسه، ص٢٢، ٢٣

(٢) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٣٨٠ .

(٣) الأزرقي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٨٠ .

(٤) الأزرقي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٨٠ .

(٥) ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص ٥٣ .

(٦) ابن الكلبي، المصدر السابق، ص٣٤، الأزرقي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٨٠، ياقوت : ال مصدر السابق، ج٣، ص٥٣ .

(٧) يذكر أن البجلي لم يقم بهدم بنيان ذي الخلصة كله لضخامته، وأنه اكتفى بهدم الأوثان التي كانت فيه، وبقاء الجدران قائمة، ولما استولى جلالة الملك عبد العزيز الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية على الحجاز في عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) عين عبد العزيز بن إبراهيم أميراً على مقاطعة الطائف، وانتدبه لإخضاع القبائل القاطنة في سراة الحجاز، وبعد أن أخضعت الحملة قبائل زهران، خرجت إلى جبال دوس في شهر ربيع الآخر عام (١٣٤٤هـ/١٩٢٥م) وكان في جدران بنيان ذي الخلصة التي لازالت قائمة، فهدمتها ورمت بأنقاضها، ويقول أحد الذين رافقوا الحملة، إن بنيان ذي الخلصة كان ضخماً بحيث لا يقوى على زحزحة الحجر الواحد منه أقل من أربعين شخصاً، وإن متانته تدل على مهارة وحذق في البناء، الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٣٨٢ .

(٨) البكري، المصدر السابق، ج١، ص ٦٠٢ .

(٩) البكري، المصدر السابق، ج١، ص٦٠٢ .

(١٠) علي إبراهيم حسن ، التاريخ الإسلامي العام، ص ١٥٧ .

(١١) البكري، المصدر السابق، ج١، ص ٦٠٢ .

(١٢) الأزرقي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٨٢ .

كبيرة في شكل تماثيل متنوعة، وشكلت التماثيل من مواد مختلفة بعضها من خامات طبيعية كالحجر[١] بأنواعه المختلفة والخشب[٢]، وصنع بعض منها من الطين، أو الطين المحروق (الفخار)، والتصوير من الأمور النادرة جداً في أرض السراة قبل الإسلام وبعده، ويغلب على الظن أن الفنان في هذه البلاد قبل الإسلام فضل أسلوب النحت، والنقش، لأن النحت أبقى على مر الزمن، وفيه تبدو الأشكال مجسمة بعض الشيء، بينما التصوير بعد الإسلام من الأمور المحرمة [٣] . ونتيجة لذلك سوف نكتفي بالتماثيل التي صنعت من منتجات الفنون الصناعية لأغراض متنوعة، أهمها الغرض الديني[٤] .

وقد تنوعت أشكال الآلهة في نجران والسروات، حيث مثلت الآلهة على شكل الإنسان مثل فراش[٥] . وأخرى على شكل حيوان، مثل يغوث كان على صورة أسد[٦]، وبعضها من حجر مثل نهم[٧]، وأخرى من خشب مثل ذي الكفين[٨] . وصنم فراش يرجع إلى عهد زعماء ووجهاء خثعم قبل الإسلام، الذين استطاعوا أن يوجهوا حانباً كبيراً من إمكانات وفنون أهلها إلى التطور بما كانوا يستحبونه لأنفسهم من قصور ومعابد وتماثيل، ويذكر أحد المصادر أن زعماء خثعم، أمروا بإحضار الصناع وقالوا لهم نريد منكم أن تصنعوا صنماً كبيراً، ومالبثوا أن صنعوا لهم صمناً سموه فراش . وأصبح هو دين بلاد خثعم الرسمي[٩] .

أما ذي الخلصة فيعتبر من قمم الأعمال الفنية في السراة، وهو حجر أبيض[١٠]،

---

(١) صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج١، ص ١٩١ .

(٢) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٣٨٨ .

(٣) ذكر علي حسني الخربوطلي أن العرب لا يزالون حديثي عهد بالدين الإسلامي فقد منعوا من إظهار عبقريتهم في فن التصوير " انظر: علي حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص٢٩٠، وانظر سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٤) غوستاف لوبون: حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر، ص ٥١١، وذكر جمال سرور أن الوثنية شاعت في بلاد العرب قبل الإسلام، وقد قامت الوثنية على فكرة عبادة مظاهر الطبيعة الأرض والسماء والنجوم، ولما كان العرب يعتقدون بوقعهم في حياتهم تحت تأثيرها لذلك حرصوا على إرضائها، اجتلاباً لخيرها، فاتخذوا لها أشكالاً مختلفة من أحجار مصورة تمثل إنساناً أو حيواناً، وأخرى غير مصورة، ومن ثم أصبحت معبودات لهم " . انظر: محمد جمال الدين سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية، ص٤٨.

(٥) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ١٠ .

(٦) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص ١٤٩ .

(٧) جواد علي، المرجع السابق، ج، ص ٢٧٧ .

(٨) الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ٣٨٨، ٣٨٩ .

(٩) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ١٠ .

(١٠) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٠٧، جواد علي، المرجع السابق، ج٦، ص ٢٧١، ابن هشام، المصدر السابق، ج١، ص ٨٦، صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ج١، ص ١٩١ .

منقوش عليه كهيئة التاج[١]، وكان في تبالة بين مكة واليمن[٢]، بينما تشكيل ذي الكفين[٣]، يختلف عن غيره من الأصنام، فقد كان صنماً مصنوعاً من الخشب[٤]، وربما أنه ليس من الأصنام القديمة، ويتضح من ذلك قول الطفيل فيه :

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا
أني حشوت النار في فؤادكا[٥]

بينما يذهب ابن حزم إلى أن ذا الكفين عبارة عن صخرة مربعة وطويلة، ارتفاعها أربعة أقدام وطولها قدمان[٦]، والملاحظ أن الشعر الذي أنشده الطفيل يوضح أنه أحرقه بالنار، ومعنى هذا أنه لم يكن صنماً من حجر . إنما كان من خشب[٧] .

أما صنم يغوث فهو من أصنام السروات ونجران القديمة منذ عهد نوح عليه السلام[٨]، وقد ورد ذكره في القرآن ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾[٩]، وتشير المصادر التاريخية إلى أن يغوث كان على صورة أسد[١٠]، بينما كان من الأصنام الهامة التي يقام لها الأعياد كل عام[١١] وكان تشكيل صنم نهم من الحجارة، ونستدل على ذلك من أنه حينما سمع الخزاعي بن عبد نهم، سادن الصنم بالرسول ﷺ سار إلى الصنم فكسره[١٢] .

أما العمائر العسكرية والحصون والقلاع فمنتشرة في عموم بلاد السروات، وتشير إحدى الروايات إلى أن بلاد السراة ونجران كانت مقسمة إلى عدة قلاع وحصون وكل حصن له باب وكان الباب من الحجارة السوداء[١٣]، وكل حصن له أسوار عالية، ومعظم الأسوار محصنة بالصخور والمنجنيق[١٤] . وأحياناً يحارب أبناء نجران والسراة أعدائهم من وراء الأسوار[١٥] .

---

(١) ابن الكلبي، الأصنام، ص ٦٤، جواد علي، المرجع السابق، ج٦، ص ٢٧١ .
(٢) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص٩٨، علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام ، ص ١٥٢ .
(٣) ذو الكفين : كان لخزاعة ودوس كسره عمرو بن حمحمة الدوسي، انظر: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٩٤ .
(٤) الأزرقي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٨٨، ٣٨٩ .
(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص ٨٦ .
(٦) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤٩٤ .
(٧) الأزرقي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٨٨، ٣٨٩، جواد علي، المرجع السابق، ج٦، ص ٢٧٤، ٢٧٥ .
(٨) محمد جمال الدين سرور، قيام الدولة العربية الإسلامية، ص٤٩ .
(٩) سورة نوح، الآية رقم (٢١) .
(١٠) احمد عبد الحميد الشامي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٧٤، علي إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص١٤٩ .
(١١) جواد علي، المرجع السابق، ج٦، ص ٢٧٧ .
(١٢) ابن الكلبي، الأصنام، ج١، ص ٣٧٠ .
(١٣) مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص ٧٨ .
(١٤) مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص ٨١ .
(١٥) مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص ٨١ .

سادساً : آراء ووجهات نظر :

الباحث في بلاد نجران وتهامة والسروات يجد الكثير من الحقب والأزمان الغامضة، فلا تاريخ ولا حضارة مدون عنها، مع أنها بلاد مأهولة بالسكان منذ قديم الزمان . وإذا نظرنا في عصور ما قبل الإسلام، وفي القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة وجدناها من تلك الفترات المجهولة تاريخياً . وفي هذا القسم حاولنا إلقاء الضوء على بعض المظاهر الحضارية لهذه البلاد في العصور السابقة للإسلام، وفي العهود المبكرة من عصر الإسلام، ولا ندعي استكمال كل الجوانب التاريخية الحضارية في تلك الحقبة، لكننا نسعى إلى فتح أبواب ومنافذ للباحثين الجادين الذين قد يدرسون أحوال وتواريخ هذه الأوطان في العصور القديمة والوسيطة والحديثة .

وهناك الكثير من النقاط والمحاور المهمة والجديرة بالبحث والدراسة، ونذكر منها على سبيل المثال:

١. التاريخ الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو العلمي الثقافي التربوي في بلاد نجران والسروات خلال الخمسين أو المئة عام السابقة لظهور الإسلام .
٢. تراجم للأعلام والأشخاص الذين برزوا في أرض نجران وتهامة والسراة في القرن السابق لظهور الإسلام .
٣. حبذا أن نرى دراسات تاريخية أثرية لصناعات، وتجارات، وحرف وأسواق، وقرى، وطرق، وحصون ومنازل، وأدوات منزلية واقتصادية عرفها واستخدمها التهاميون والسرويون في العهد الجاهلي أو خلال القرون الإسلامية العشرة الأولى . ومن المؤسف أن لدينا في جنوبي البلاد السعودية حوالي خمس جامعات (الملك خالد، وجازان، والباحة، ونجران، وبيشة) ولا يوجد في أي واحدة منها قسم علمي جيد للآثار والتنقيب والحفريات، وهذا فعلاً أمر مخجل لهذه المؤسسات التعليمية، مع العلم أن بلاد نجران وتهامة والسراة من الأوطان العريقة في تاريخها وآثارها وحضارتها، ونحمل المسؤولية هذه الجامعات الآنف ذكرها فتدرس وتبحث عما يوجد في باطن وظاهر هذه البلاد التاريخية الحضارية .
٤. إذا ألقينا النظر على لغاتٍ ولهجات ومصطلحات سكان نجران وتهامة والسراة وجدناها أيضاً ميداناً واسعاً تحتاج إلى دراسات أكاديمية علمية .
٥. أما صلات أجزاء هذه البلاد بعضها ببعض أو مع ما جاورها من البلدان والحواضر فهو من الأبواب الكبيرة التي تحتاج إلى دراسة في شتى الجوانب الاقتصادية والثقافية والحربية العسكرية والدبلوماسية.
٦. دراسة التغيرات الاجتماعية والعقلية والفكرية والدينية في أرض نجران وتهامة والسروات قبيل وفي أثناء ظهور رسالة الإسلام، وكيف تحول سكان هذه البلاد من عبادة الأوثان أو ديانات أخرى إلى دين الإسلام، ثم ما جرى من تحولات على قيم

ومبادئ وأخلاق وعقائد أهل البلاد بعد دخولهم الإسلام . وهذه الفترة جديرة بالدراسة عندما تحولت البلاد (أرضاً وسكاناً) إلى مجتمعات إسلامية دستورها القرآن وسنة الرسول ﷺ (والله من وراء القصد) .

سابعاً : قائمة المصادر والمراجع :

١- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم . أسد الغابة في معرفة الصحابة (بيروت : دار إحياء التراث العربي، د. ت) .

٢- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم . الكامل في التاريخ (بيروت، دار الفكر العربي، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) .

٣- أحمد، أحمد رمضان . حضارة العرب (معلومات النشر بدون) .

٤- الأزرقي ،محمد بن عبد الله . أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار . تحقيق رشدي ملحس (بيروت: دار الثقافة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) .

٥- الأصفهاني، أبو الفرج علي . الأغاني (بيروت :دار صعب، د. ت) (مصور من طبعة بولاق الأهلية) .

٦- الأفغاني، سعيد. أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (دمشق : دار الفكر، د. ت) .

٧- الألوسي، السيد محمود شكري . بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . تحقيق محمد بهجت الأثري (بيروت :دار الكتب العلمية، د . ت) .

٨- أمين، أحمد . فجر الإسلام (القاهرة : (مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م) .

٩- بدوي، عبده، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م) .

١٠- بروكلمان، كارل . تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٨م)

١١- البكري، عبد الله بن عبد العزيز . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع .تحقيق مصطفى السقا (بيروت : عالم الكتب، د. ت) .

١٢- البلاذري، أحمد بن يحيى . فتوح البلدان . راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) .

١٣- ابن جلجل، سليمان بن حسن الأندلسي. طبقات الأطباء والحكماء. تحقيق فؤاد سيد (القاهرة : مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م) .

١٤- جودة، جودة حسنين . شبه الجزيرة العربية (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م).

١٥- جودة، جودة حسنين . جغرافية آسيا الإقليمية (الإسكندرية : منشأة المعارف، ١٩٨٥م).

١٦- حاوي إيليا . فن الخطابة وتطوره عند العرب (بيروت : دار الثقافة، د . ت) .

١٧- ابن حبيب، أبو جعفر محمد . المحبر . تصحيح د. إيلزة لختن شتيتر (بيروت: دار الآفاق الجديدة، د . ت) .

١٨- الحداد، محمد بن يحيى. تاريخ اليمن السياسي العام (القاهرة: مطبعة الكيلاني العامة، د.ت).
١٩- ابن حزم، علي بن سعيد الأندلسي . جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة: دار المعارف، د . ت) .
٢٠- حسن، حسن إبراهيم . تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (معلومات النشر بدون) .
٢١- حسن، علي محمد، وزكي علي سويلم . الأدب وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي (القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) .
٢٢- حسن، نبيلة . تاريخ بلاد العرب (الإسكندرية، ١٩٨٨م) .
٢٣- حفني، عبد الحليم . شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه (القاهرة، د . ت) .
٢٤- حمادة، عبد الغني . تاريخ مكة المكرمة (سوريا : حلب ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م) .
٢٥- ٢٥ـ حمزة، فؤاد . في بلاد عسير (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٥١م) .
٢٦- الخربوطلي، علي حسني . الحضارة العربية الإسلامية (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) .
٢٧- خطاب، محمد شيت . قادة فتح بلاد فارس وإيران (بيروت: دار الفتح، ١٣٨٥هـ/١٩٦١م.
٢٨- خفاجي، محمد عبد المنعم . الحياة الأدبية، عصر بني أمية (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، د . ت) .
٢٩- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد . تاريخ بن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر (بيروت: مؤسسة الإعلام للمطبوعات، د. ت) .
٣٠- ابن دريد، محمد بن الحسن . الاشتقاق. تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة : دار الخانجي، د.ت) .
٣١- ريسلر، جاك . س . الحضارة العربية. ترجمة غنيم عبدون (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، د . ت) .
٣٢- الزبيري، مصعب بن عبد الله. كتاب نسب قريش، صححه وعلق عليه ليفي بروفنسال (القاهرة: دار المعارف، د . ت .
٣٣- زيدان، جورجي . مؤلفات جورجي زيدان الكاملة (م .ن، ١٩٨٢م) .
٣٤- أبو زهرة، محمد أحمد . الخطابة : أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب(القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٠م) .
٣٥- سالم، السيد عبد العزيز .دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام (القاهرة، د. ت)
٣٦- سرور، جمال الدين . قيام الدولة العربية الإسلامية (القاهرة : دار الفكرالعربي، ١٩٦٤م) .
٣٧- ابن سعد، محمد . الطبقات الكبرى (بيروت : دار صادر، د . ت) .
٣٨- الشريف، أحمد إبراهيم . دور الحجاز في الحياة السياسية (معلومات النشر بدون) .
٣٩- الشريف، عبد الرحمن صادق . جغرافية المملكة العربية السعودية (الرياض : دار المريخ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م) .

٤٠- الشريف، عون قاسم. نشأة الدولة الإسلامية (القاهرة : دار الكتاب المصري، ١٩٨١م).
٤١- شلبي، أحمد . التاريخ الإسلامي (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د. ت) .
٤٢- شوكت، أحمد . الطب عند العرب (القاهرة : مؤسسة المطبوعات الحديثة، د. ت).
٤٣- صالح، محمد أمين . تاريخ اليمن الإسلامي (القاهرة : مطبعة الكيلاني، د . ت) .
٤٤- ضيف، شوقي . تاريخ الأدب العربي . (القاهرة : دار المعارف، ١٩٧٧م) .
٤٥- الطبري، أبو جعفر محمد . تاريخ الأمم والملوك .تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، د . ت) .
٤٦- عابدين، عبد المجيد . بين الحبشة والعرب (القاهرة : دار الفكر، د. ت) .
٤٧- عامر، فاطمة مصطفى. نجران في العصر الجاهلي وفي عصر النبوة (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٨م) .
٤٨- ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد. العقد الفريد . تحقيق محمد سعيد العريان (بيروت: دار الفكر، د . ت) .
٤٩- عبد الحميد، سعد زغلول. العمارة والفنون في دولة الإسلام (الإسكندرية منشأة المعارف،د .ت).
٥٠- علي، حسين . اليمن الكبرى (القاهرة، د . ت) .
٥١- العلي، صالح أحمد . محاضرات في تاريخ العرب (بغداد، د. ت) .
٥٢- علي، محمد كرد . الإسلام والحضارة العربية (القاهرة، ١٩٦٨م) .
٥٣- فراج، عز الدين . تقاليد العرب (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت) .
٥٤- الفقي، عصام عبد الرءوف . اليمن في ظل الإسلام (القاهرة : دار الفكر، ١٩٨٢م).
٥٥- فهمي، عبد الرحمن. موسوعة النقود العربية وعلم النميات (القاهرة : دار الكتب، ١٩٦٥م).
٥٦- فهمي، عبد الرحمن. النقود العربية، ماضيها وحاضرها. (القاهرة: دار القلم، ١٩٦٤م) .
٥٧- القاضي، النعمان عبد المتعال . شعراء الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٣٨٥هـ) .
٥٨- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم . الإمامة والسياسة . تحقيق طه الزيني (القاهرة: مؤسسة الحلبي للنشر، د. ت) .
٥٩- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم . عيون الأخبار (القاهرة، د . ت) .
٦٠- القلقشندي، أبو العباس أحمد . صبح الأعشى في صناعة الإنشا . تحقيق نبيل خالد الخطيب (بيروت : دار الكتب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) .
٦١- القلقشندي، أبو العباس أحمد . نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب . تحقيق إبراهيم الإبياري (بيروت : دار الكتاب، د . ت) .
٦٢- ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله . أحكام أهل الذمة . تحقيق صبحي الصالح (دمشق: جامعة دمشق، د . ت) .
٦٣- ابن كثير، الحافظ . البداية والنهاية (بيروت : مكتبة المعارف، ١٩٨٠م) .

٦٤- كحالة، عمر رضا . معجم القبائل العربية القديمة والحديثة (بيروت : مؤسسة الرسالة. د.ت).
٦٥- ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد . الأصنام (القاهرة، د . ت) .
٦٦- لوبون، غوستاف . حضارة العرب . ترجمة عادل زعيتر (القاهرة : مطبعة عيسى الحلبي، د.ت).
٦٧- المرزباني، محمد بن عمران . معجم الشعراء . تحقيق سالم الكرنكوي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م) .
٦٨- المقحفي، إبراهيم أحمد . معجم المدن والقبائل اليمنية (صنعاء : منشورات دار الحكمة، ١٩٨٥م) .
٦٩- المقريزي، تقي الدين أحمد . النقود الإسلامية القديمة . تحقيق أنستاس ماري الكرملي البغدادي (القاهرة، ١٩٣٩م) .
٧٠- منصور، سعيد حسين . القيم الخلقية في الخطابة (ليبيا : منشورات مطبعة بنغازي، د. ت) .
٧١- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد. لسان العرب (بيروت : دار صادر، د. ت) .
٧٢- ٧٢ـ مهران، بيومي . تاريخ العرب القديم (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨م) .
٧٣- موسى، أشرف محمد . الخطابة وفن الإلقاء (القاهرة : مكتبة الخانجي، د. ت) .
٧٤- المولى، محمد أحمد جاد وآخرون. أيام العرب في الجاهلية (القاهرة : داء إحياء الكتب العربية، د. ت) .
٧٥- الميداني، أبو الفضل أحمد. كتاب مجمع الأمثال . تحقيق محمد علي قاسم (بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) .
٧٦- النووي، محيي الدين . تهذيب الأسماء واللغات (القاهرة، ١٩٤٣م) .
٧٧- الواقدي، أبو عبد الله عمر . فتوح الشام (بيروت : دار الجيل، د . ت) .
٧٨- ابن الوردي، زين الدين عمر. تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) . تحقيق أحمد رفعت البدراوي (بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر، د . ت) .
٧٩- الهادي، صلاح الدين . الأدب في عصر النبوة والراشدين (القاهرة: مكتبة دار العلوم، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) .
٨٠- الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد . الإكليل. تحقيق محمد بن علي الأكوع (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) .
٨١- ياقوت، شهاب الدين . معجم البلدان (بيروت : دار صادر، ١٩٧٩ م) .
٨٢- أبو يوسف، القاضي أبو يوسف يعقوب . الخراج . تحقيق إحسان عباس (بيروت : دار الشروق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) .



الدراســـة الثالثـــة

التطور التاريخي لمنطقة نجران خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة

بقلم : أ . د . غيثان بن علي بن جريس



الدراسة الثالثة : التطور التاريخي لمنطقة نجران خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة.

أولاً- أصل التسمية :

إن تسمية بلاد نجران تعود إلى شقّين: شق لغوي، وآخر نسبي. فالنّجْرُ في اللغة هو القطع فيقال: نجر النجار العود، أي قطعة ونجره. ويقال: النَّجْرُ عمل النجار ونحته، والنَّجْرُ أيضاً هو نحت الخشبة، ونجارة العود، وما أنتجت منه عند النجر، والنجّار صاحب النجر وحرفته النجارة[١].

والنجران: هو الخشبة التي تدور فيها رجل الباب[٢] فيقول الشاعر:

صَبَبْتُ الماء في النَّجرانِ صَبّاً تَرَكْتُ البابَ ليس له صريرُ[٣]

ويقول ياقوت الحموي: إن النجران: هو خشبة يدور عليها رتاج الباب[٤] ويدلل على ذلك شعراً فيذكر البيت التالي:

وصَيْتُ الباب في النَّجرانِ حتى تَرَكْتُ البابَ ليس له صريرُ[٥]

والمقصود بالرتاج، أي الإغلاق، فيقول ارتج الباب أي أغلقه إغلاقاً وثيقاً، وأنشد الشاعر قوله:

---

(١) جمال الدين أبوالفضل بن منظور، لسان العرب، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه : علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م)، جـ ١٤، ٥١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م)، جـ ٥، ٢٦٦.

(٥) المرجع السابق.

ألم تَـــرَني عــاهــدْتُ ربــي وإنــنــي　　لَـبـيْن رِتـــاجٍ مُـقْـفَـلٍ ومَــقــام [١]

وفي الحديث: إن أبواب السـماء تفتح ولا تُرْتَجُ، أي لا تغلق، وفي الحديث أيضـاً: جعل ماله في رتاج الكعبة، أي فيها، فكنى عنها بالباب [٢].

أما تسمية نجران النسبية فتعود إلى نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، لأنه كان أول من عمرها ونزلها، وإنما صـار إلى موضع نجران؛ لأنه رأى رؤيا فهالته فخرج حتى انتهى إلى واد فنزل به فسـمي نجران به[٣]، وفي رواية أخرى ورد اسـم نجران بن زيد بن سـبأ [٤]. وهكذا نجد أن تسـمية نجران سواء لغوياً أو نسبياً تكاد تكون مكملة بعضها لبعض، فإذا قلنا إن النجران خشبة تدور (أو) يدور عليها رجل الباب (أو) رتاجه، فهذا صـحيح لأن موقع نجران تُعدُّ فعلاً شـبيهة بالخشـبة التي تـدور عليها رجل البـاب، وذلك لأهمية موقعها الذي تحتله، وهذا الذي أكسـبها ميـزة مهمة جعلتها محط التقاء القوافل التجارية بين اليمن والحجاز وأطراف شـبه الجزيرة العربية الأخرى، كما أن موقعها أيضـاً أكسـبها قوة اقتصادية نتيجة لتنوع محصـولاتها الزراعية، ولأن سوقها التجارية تأتي ضـمن الأسـواق النشـطة والمهمة في شـبه الجزيرة، وإذا نظرنا إلى الشـق النسـبي من الاسم نجده جاء أيضـاً مكملاً للشق اللغوي حيث صارت المنطقة ملتقى لعدد من القبائل العربية التي نزلتها واستقرت بها منذ أن انتجعها نجران بن زيد (زيدان) بن سبأ، فعرفت المنطقة باسمه لكونه أسهم باستقراره في هذا الوادي في اجتماع هذه القبائل هناك وأسهم -بالتالي- في نهضتها الحضارية.

ثانياً- تاريخ نجران في العهد النبوي:

في أعقـاب الهدنـة التي عقدها رسـول الله ﷺ مع قريش أثناء صـلح الحديبية [٥]، أخذ يبعث سـفراءه إلى الأمصـار في الشرق والغرب وإلى الشـمال والجنوب يدعوهم إلى الإسـلام[٦]، ومن هذه الأمصـار التي بعث إليها، مدينة نجران، ففي سنة ١٠هـ (٦٣١م) بعـث إلى نجـران سـرية بقيادة خالد بن الوليـد قوامها (٤٠٠) رجـل، في ربيع الآخر من

---

(١) ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب، مرجع سابق، جـ ٥، ١٣٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، مرجع سابق، جـ ٥، ٢٦٦.

(٤) المرجع السـابق؛ ولمزيد من التفصـيلات عن فروع قبائل اليمن قبل الإسلام بما فيهم أولاد زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب. انظر: عبدالملك بن قريب الأصـمعي، تاريخ العرب قبل الإسلام، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (بغداد: مطبعة المعارف، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م)، ٥٦ وما بعدها.

(٥) للمزيد عن صلح الحديبية، انظر: عبدالملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، (بيروت: دار القلـم، د. ت)، جـ ٣، ٣٢١ ـ ٣٢٩؛ محمد بن عمر الواقدي، كتاب المغازي، تحقيق: مارسـدن جونس، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٦٥م)، جـ ٢، ٥٧١ ـ ٥٧٣.

(٦) عن سـفارات الرسـول ﷺ وكتبه إلى ملوك وأمراء الأمصار والمناطق المجاورة انظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، ١٣٥ وما بعدها.

السنة المذكورة، وكانت السيادة بنجران بيد بني الحارث بن كعب[١].

وقد أوصى خالداً بأن يقيم بينهم ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام فإن أجابوا أقاموا بينهم ليعلموهم أساسيات ما جاء به الإسلام من تعاليم، مثل: التوحيد والصلاة والصيام، كما جاء في الكتاب والسنة وإن لم يجيبوا حاربهم[٢].

وقد وصلت سرية خالد إلى نجران، وصنع معهم كما أمره رسول الله ﷺ، فآمنوا، ولا سيما بنو الحارث بن كعب، وتبعتهم القبائل الأخرى، إلا النصارى فإنهم ظلوا على ديانتهم، وأقام المسلمون بينهم يعلمونهم الإسلام وشرائعه، وأخذوا الصدقات من أغنيائهم وردوها على فقرائهم[٣].

كان بنو الحارث بن كعب قد دخلوا في الإسلام، وكانوا قبل ذلك عازمين على القتال وأعدُّوا له العدة، فلماذا هذا التغير في الموقف. ونرى أن السبب في ذلك يعود لعاملين رئيسين. **الأول سياسي**، فالدولة الإسلامية في هذه الفترة التي نتحدث عنها، وهي السنة العاشرة للهجرة، قد أصبحت قوة مرهوبة الجانب ولا سيما بعد فتح مكة والقضاء على قريش، فوجد أهل نجران أن من العبث محاربة المسلمين، فدخلوا الإسلام حقناً لدمائهم. **أما العامل الثاني فأسبابه دينية**، والمعروف أن الديانة اليهودية ثم المسيحية قد أخذتا طريقهما إلى اليمن ولا سيما مدينة نجران التي توجد بها كعبة نجران، والكثير من الكنائس والأديرة، فكان بها عدد كبير يعتنقون المسيحية، ولا شك أن لهؤلاء تأثيرا على القبائل الوثنية، فحتما إذا ما قارنا بين عبادتهم للحجارة وبين ما عليه النصارى من ديانة، وقد كانت هذه الفرصة مواتية عندما جاءت الدعوة إلى الإسلام، التي تدعو إلى عبادة إله واحد، فكانت إيذانا بتحول نجران إلى الإسلام وعبادة الله سبحانه وتعالى، فدخلوا الإسلام في غضون أيام قلائل.

وبعد نجاح خالد بن الوليد في مهمته سلماً وإقناعه أهل نجران بالدخول في الإسلام، بعث بكتاب إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك، وأنه مقيم بينهم تلبية لأوامره يعلمهم شرائع الإسلام، وهو في انتظار الجديد من تعليماته ﷺ[٤]، فأجابه الرسول ﷺ برسالة يخبره من خلالها بوصول كتابه الحاوي لنبأ إسلام أهل نجران ويأمره بالعودة إلى المدينة،

---

(١) علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط٣، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٨م)، مرجع سابق، جـ ٤، ١٨٨، ١٨٩.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، ٩٤؛ أحمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (القاهرة: معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف، د. ت)، جـ ١، ٣٨٤.

(٣) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (بيروت: دار سويدان، د. ت)، جـ ٣، ١٢٦؛ غيثان بن علي بن جريس، نجران: دراسة تاريخية حضارية (ق ١ ـ ق ٤ هـ/ ق ٧ ـ ق ١٠م)، (الرياض: مطابع العبيكان، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م)، جـ ١، ٦٣؛ حسين علي المسري، "نجران ودورها السياسي والاقتصادي"، مجلة المؤرخ المصري، ع ٩، (القاهرة: جامعة القاهرة، ١٩٩٢م)، ٤١ ـ ٩٠.

(٤) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٣٩؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٧؛ ابن جريس، غيثان بن علي. نجران، مرجع سابق، ٦٤.

وبصحبته وفد من مسلمي نجران[١].

فلما وصل كتاب رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد، أخبر بني الحارث بن كعب برغبة رسول الله ﷺ مقابلة وفدهم، فشكلوا الوفد من أشرافهم، ثم جاء خالد إلى المدينة وبرفقته وفد نجران[٢]، ويمدنا الطبري بأسماء أعضاء الوفد النجراني وكان عددهم ستة أشخاص هم: قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذو الغصة[٣]، ويزيد بن عبدالمدان الحارثي، ويزيد بن المحجل، وعبدالله بن قريظ الزيادي، وشداد بن عبدالله القناني، وعمرو بن عبدالله الضبابي[٤]، فلما رآهم الرسول ﷺ قال: "من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند، قيل يا رسول الله، هؤلاء بنو الحارث بن كعب"[٥]، وربما شبههم الرسول ﷺ برجال الهند بسبب سمرة بشرتهم أو بسبب ملابسهم وأزيائهم التي يرتدونها، أو بهما معا.

وعندما وقفوا أمام الرسول ﷺ سلموا عليه، ثم قالوا: "نشهد أنك رسول الله وأن لا إله إلا الله، فقال رسول الله: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ثم قال رسول الله ﷺ أنتم الذين إذا زجروا استقدموا! فسكتوا، فلم يراجعه منهم أحد"[٦] ثم أعاد الرسول ﷺ عليهم هذه العبارة أربع مرات، وهم لا يردون عليه، وفي الرابعة قال يزيد بن عبدالمدان: "نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا زجروا استقدموا"[٧]. قالها أربع مرات فقال رسول الله ﷺ: "لو أن خالد بن الوليد لم يكتب إلي فيكم أنكم أسلمتم، ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم"[٨].

---

(١) محمد بن سعد البصري، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، جـ١، ٣٣٩. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ٣، ١٢٦، ١٢٧.

(٢) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ٣، ١٢٧.

(٣) سمي بذي الغصة، لغصة كانت تعتريه في حلقه حين يتكلم، وكان فارساً من ذوي الرباع؛ أي الذين كانوا يأخذون ربع الغنيمة التي يغنمها قومه في حروبهم مع غيرهم حضرها أم لم يحضرها. انظر: ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ٤، ٢٤١.

(٤) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ٣، ١٢٧؛ وللمزيد انظر: ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ١، ٣٣٩؛ المسري، حسين علي. "نجران ودورها السياسي والاقتصادي"، مجلة المؤرخ المصري، مرجع سابق ٤٢ وما بعدها؛ علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب، مرجع سابق، جـ٤، ١٨٨؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ١، ٦٥.

(٥) ابن هشام، عبدالملك . السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ٤، ٢٤٠، الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، جـ٣، ١٢٧.

(٦) ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ١، ٢٤٠.

(٧) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ٤، ٢٤٠ — ٢٤١، الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ٣، ١٢٧، ١٢٨؛ ويقصد بالزجر هنا، نوع من الكهانة والعيافة، والزجر للطير هو التيمن والتطير منها والتفاؤل بها. انظر: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ٦، ٢١، مادة (زجر). وعادة الكهانة كانت من العادات السائدة عند العرب قبل الإسلام، ويتضح من سياق الحديث أنها كانت موجودة عند أهل نجران.

(٨) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ٣، ١٢٧، ١٢٨؛ ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ٤، ٢٤٠، ٢٤١.

ويتضح من هذا اللقاء الذي حدث بين الرسول ﷺ ووفد نجران، ومن العبارات التي دارت بينهما أن الرسول ﷺ كان غاضباً عليهم وبخاصة ما ورد في العبارة الأخيرة. ولا ندري ما السبب، فإن كان غضب الرسول ﷺ لأنهم كانوا يعملون بالزجر والكهانة، فهذا لم يكن غريباً على الرسول ﷺ الذي كان يعرف أن هذه العادات كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام، وإن كان غضبه لأن الوفد لم يتجاوب معه عندما سألهم لأول مرة، ولم يردوا عليه إلا بعد أن سألهم أربع مرات، ليكون ردهم عن سؤاله إجابتهم إياه -ﷺ- أربع مرات أيضاً، فهذا الأمر حدث مرات عديدة مع الرسول ﷺ، بل كان هناك من عرب الجزيرة من يأتي إلى النبي الكريم-ﷺ- ويهاجمه بالكلام ويشتد عليه في القول، فيما كان الرسول ﷺ ليناً رفيقاً في معاملته وتجاوبه مع مثل أولئك[١].

ونجد ابن هشام، والطبري، وابن كثير يوردون هذا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين وفد نجران، دون أن يذكروا سبب غضب النبي ﷺ[٢]، في حين أن بعض المصادر التاريخية الأخرى قد أشارت إلى سرية خالد بن الوليد إلى اليمن، وإلى هذه المقابلة مع الرسول ﷺ مع تجنب ذكر هذا الحوار الذي يتصف بشدة اللهجة في كلام الرسول ﷺ، وربما أن هذه المصادر شكّت في صحة إسناد هذا الحوار إلى رسول الله ﷺ أو أنها تحاشت ذكره، فاليعقوبي وابن خلدون ذكرا بعض تفاصيل تلك السرية، وذلك اللقاء، لكنهما لم يوردا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ ووفد نجران[٣]. كما لم يشر ابن سعد في (الطبقات) إلى هذا الحوار، مع أنه ذكر أن رسول الله ﷺ أكرم وفد نجران ووزع عليهم الجوائز، فأعطى كل واحد منهم عشر أواق، ما عدا قيس بن الحصين، إذ أعطاه اثنتي عشرة أوقية، وجعله أميراً عليهم[٤]. أما ابن الأثير الذي يعتمد في نقله على الطبري، فقد-تجنب- أيضاً ذكر هذا الحوار مع أنه أشار إلى حديث الرسول ﷺ مع هذا الوفد[٥].

وإذا كان الطبري، وابن هشام، وابن كثير هم الذين تحدثوا عن هذا اللقاء والحوار الذي دار بين الرسول ﷺ ووفد نجران[٦] فقد واصل ثلاثتهم بقية الحوار، بعد أن رد عليهم الرسول ﷺ ردا فيه عنف وحِدَّة، فقال يزيد بن عبدالمدان: " أما والله يا رسول

---

(١) ونجد القرآن يذكر آيات كثيرة يوضح فيها لين الرسول ﷺ مع المسلمين، أثناء قيامه بالدعوة قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٠، ٢٤١؛ أبوالفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق:أحمد أبوملحم وآخرين، (بيروت: ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، مج ٣، جـ ٥، ٨٨، ٨٩.

(٣) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (بيروت: دار بيروت، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م)، جـ ٢، ٧٩؛ عبدالرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، وسهيل زكار، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م)، جـ ٢، ٤٧٣.

(٤) ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ ١، ٣٣٩، ٣٤٠.

(٥) علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: نخبة من العلماء، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، جـ٢، ١٩٩، ٢٠٠.

(٦) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٨؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج٣، جـ ٥، ٨٩.

الله، ما حمدناك ولا حمدنا خالداً، فقال رسول الله ﷺ فمن حمدتم؟ فقالوا: حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله، قال: صدقتم"(١).

وقد عرف بنو الحارث في الجاهلية بالشجاعة والإقدام، وشدة البأس، والصبر في الحروب، فما حاربهم أحد إلا انتصروا عليه، وكذلك اشتهروا بالكرم، والعدالة، وطيب الأخلاق والتعاون فيما بينهم، وكان الرسول ﷺ يعرف ما تواتر عنهم من تلك الصفات فأراد أن يقف على ذلك بنفسه ويعرف سر انتصاراتهم في الحروب، فواصل الحديث معهم بقوله: "بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا: لم نكن نغلب أحداً. فقال رسول الله ﷺ بل قد كنتم تغلبون من قاتلكم، قالوا: يا رسول الله، كنا نغلب من قاتلنا، أنا كنا بني عبيد، وكنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: صدقتم"(٢).

وفي نهاية المقابلة مع الرسول ﷺ عاد وفد الحارث بن كعب إلى بلادهم نجران في أواخر شهر ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة(٣). كما رأى رسول الله ﷺ أن أهل نجران في حاجة إلى من يبصرهم بتعاليم الإسلام ويفقههم في أمور الدين، ويفسر لهم ما جاء في الكتاب والسنة من التعاليم وكيفية أخذ الصدقات، وكان الأوفق أن يبعث إليهم من يقوم بهذه المهمة فاختار عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الخزرجي الأنصاري، ويرافقه شخص من بني النجار، وكان عمرو حين بعثه رسول الله ﷺ في السابعة عشرة من عمره(٤)، متمتعاً بالذكاء وسعة العلم بأمور الدين والتفقه فيه، وقد زوده رسول الله ﷺ بكتاب إلى أهل نجران وهو عقد بين رسول الله ﷺ وبينه، يتعهد فيه عمرو أن يعمل بما جاء في هذا الكتاب. ويتضمن هذا الكتاب مجموعة من التشريعات والتنظيمات تتصل بالحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وواضح أن الهدف من هذه التنظيمات، أن تكفل حياة كريمة آمنة لمجتمع قبائل نجران(٥).

ويبدو أن عمرو بن حزم كان وثيق الصلة برسول الله ﷺ فكان يطلعه حتى على أموره الخاصة، فقد بعث إليه ذات مرة رسالة يخبر فيها رسول الله ﷺ أنه رزق بمولود ذكر سَمّاه "محمداً" تيمناً برسول الله، وكنّاه بأبي سليمان، فرد عليه رسول الله ﷺ بقوله: بل كنّه بأبي عبدالملك، وظل عمرو بن حزم عاملاً على نجران إلى أن توفي رسول الله ﷺ وهو عليها(٦).

---

(١) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٠؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ ١، ٦٧.

(٢) ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ ٥، ٨٩، ٩٠؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٨، ١٢٩.

(٣) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٠؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٨؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ ٥، ٨٩، ٩٠.

(٤) البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف، مرجع سابق، ٥٣٨، ٥٣٩؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ ١، ٦٩.

(٥) انظر نص هذا الكتاب عند: ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤١، ٢٤٢؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، جـ ٣، ١٢٨، ١٢٩، ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٧٣، ٤٧٤؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٢٠٧، ٢٠٨.

(٦) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٣٠؛ البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب

ولم يقتصر الرسول ﷺ في دعوة أهل نجران ومن حولهم من قبائل اليمن على تلك السرية التي أرسلها تحت قيادة خالد بن الوليد[١] وإنما حث خالد بن الوليد على أن يتوغل في أرض اليمن الواقعة إلى الجنوب من بلاد نجران، وقد فعل ذلك، واستمر يدعوهم إلى الإسلام مدة ستة أشهر، لكنهم لم يتجاوبوا معه، وبقوا على وثنيتهم[٢]، فأرسل الرسول ﷺ سرية أخرى بقيادة علي بن أبي طالب إلى اليمن، وأمره بأن يعود خالد بن الوليد ومن معه إلى المدينة، وإن أراد أحد من رجال خالد بن الوليد البقاء مع سريته - يقصد علي بن أبي طالب - فليتركه[٣]. وعندما سمعت قبائل اليمن بمسيرة علي بن أبي طالب نحوها استعدت لقتاله، وعند وصوله حدود بلاد اليمن، جمع رجاله فصلى بهم، ثم حثهم على قتال المشركين، ومن يحارب الله ورسوله من أهل اليمن، ثم واجه بعض القبائل اليمنية، فأنذرهم، وقرأ عليهم كتاب النبي ﷺ فأسلمت همدان كلها في ذلك اليوم[٤]، فكتب علي بن أبي طالب إلى النبي ﷺ يخبره بإسلام همدان، فحمد النبي ﷺ الله وأثنى عليه، وخرّ ساجداً شكراً لله، ثم جلس وقال: " السلام على همدان " ثلاث مرات[٥].

ويتضح لنا من ذلك أن الرسول ﷺ كان حريصاً على أن يتوغل الإسلام في أرض اليمن وغيرها وصولاً لتحقيق عالمية الإسلام، فلم يقتصر على دخول أهل نجران في الإسلام، وإنما كان ذلك بمثابة مرحلة أولى في طريق دخول الإسلام إلى كل أصقاع اليمن حيث نراه يعقب على سرية خالد بسرية جديدة على رأسها علي بن أبي طالب، بعد أن تعسر على خالد إقناع اليمنيين في جنوب نجران بالدخول في الإسلام، فنجحت هذه السرية في إدخال همدان سلماً في الإسلام.

كما أرسل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب في مهمة أخرى في السنة العاشرة أيضاً، وكانت المهمة تلك المرة إلى أهل نجران[٦] ليجمع الصدقات من المسلمين، ويأخذ الجزية من أهل الذمة.

الأشراف، مرجع سابق، جـ ١، ٥٣٨، ٥٣٩؛ علي، جواد، المفصل، مرجع سابق، جـ ٤، ١٩١؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٢١١؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ١، ٧١.

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٦، ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ ١، ٣٣٩؛ ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٣٩.

(٢) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٩، ١٣٠، ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٧٥؛ علي، جواد. المفصل، مرجع سابق، جـ ٤، ١٨٩ وما بعدها.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ٣، ١٣٢؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. الكامل في التاريخ،مرجع سابق، جـ٢، ٢٠٥، قال الرسول ﷺ لعلي بن أبى طالب: (مر أصحاب خالد من شاء منهم يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل...) ابن كثير، إسماعيل. البداية والنهاية، مرجع سابق، مج ٣، جـ٥، ٩٣.

(٤) للمزيد عن قبيلة همدان، انظر: هشام بن محمد بن السائب الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م)، جـ ٢، ٥٠٩؛ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، راجعه: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م)، ٣٩٢ - ٣٩٥، ٤٧٥؛ الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م)، ٩٦ - ١٠٥.

(٥) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٣٢؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق،جـ٢، ٤٧٥.ابن كثير، إسماعيل. البداية والنهاية، مرجع سابق،مج٣، جـ٥،٩٤.

(٦) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٧؛ ابن خياط، خليفة. تاريخ ابن خياط، مرجع سابق، ٩٧؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٠٥؛ كان الرسول ﷺ حريصاً على

أما نصـارى نجران الذين ظلُّوا على مسـيحيتهم[(١)]، ولم يدخلوا في الإسـلام مع من دخل من أهل نجران، فقد بعث إليهم الرسـول ﷺ كتاباً موجهاً إلى أساقفتهم، قال فيه: "بسـم الله، من محمد رسـول الله إلى أسـاقفة نجران: بسـم الله، فإني أحمد إليكم إله إبراهيم، وإسـماعيل، وإسـحاق، ويعقوب، أما بعد ذلكم فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أنتم أبيتم فالجزية، وإن أبيتم آذنتكم بالحرب والسـلام "[(٢)]. ويتضـح من هذا الكتاب أن الرسول ﷺ بيّن لهم ما يجب عمله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، فإن لم يرضوا بهذا المطلب النبيـل فـإن عليهم دفع الجزية عن يد وهم صـاغرون، فإن امتنعوا عن هذا أيضـاً فليس بينهم وبين المسلمين إلا الحرب حتى يذعنوا لواحد من هذين الشرطين.

وبعد وصول كتاب رسول الله ﷺ إلى نصارى نجران علموا وتأكدوا من جدِّية الرسول ﷺ في مطلبه، فاجتمعوا وتشـاوروا فيما بينهم، ووصـلوا في نهاية اجتماعهم إلى إرسال وفد من أعيانهم إلى الرسول ﷺ ليناقشوه ويعرفوا حقيقة الأمور منه بشكل مباشر[(٣)].

وقـد اختلفت المصـادر في ذكر عدد أفراد وفد نصـارى نجـران، فمنهم من قال: إن عددهم أربعة عشر رجلاً من رؤسائهم وأشرافهم[(٤)] ومنهم من قال: إن عددهم ستون[(٥)]،

تزويد عماله بالتعليمات الشـرعية الأساسـية التي يسـيرون عليها، فنجده يزود معاذ بن جبل ببعض تلك النصـائح والتعليمـات عندمـا اختاره عاملاً على اليمن، فيقول له: (إنك سـتأتي قوماً أهل كتاب، فـإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشـهدوا أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسـول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهـم أن الله فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)؛ ابن كثير، إسماعيل. البداية والنهاية، مرجع سابق، مج٣، جـ٥، ٩٠؛ وللمزيد عن رحلة معاذ بن جبل من حاضرة الدولة الإسـلامية (المدينة المنورة) إلى الطائف ثم بلاد السـراة إلى نجران حتى دخل صنعاء، انظر: عمر بن علي الجعدي بن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق: فؤاد سيد، (بيروت: دار القلم، د. ت)، ١٧، ١٨؛ الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب. صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ١٤٤؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ١، ٧٢.

(١) يذكر أن المسـيحية لم تنتشـر في أهل نجران خاصـة، وأهل اليمن عامة إلا في قلة من الناس، والدليل على ذلك أن الكتاب المقدس لم يترجم إلى العربية في عصـر ما قبل الإسـلام، بينما ترجم إلى لغات البلاد التي انتشـرت فيها المسيحية انتشاراً واسعاً، وهذا يؤكد على أن كنيسة نجران وغيرها من الكنائس في اليمن استخدمت اللغة العربية، وربما أنها اسـتخدمت السـريانية أو العبرية. عصـام الدين عبدالرؤوف الفقي، اليمن في ظل الإسـلام منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني رسول، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ٢٥٣.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٨١؛ الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف. اليمن في ظل الإسلام، مرجع سابق، ٢٥٤.

(٣) ابن سـعد، محمد، الطبقات، مرجع سـابق، جـ١، ٣٥٧؛ علي بن الحسـين بن علي المسـعودي، التنبيه والإشـراف، إشـراف وتحقيق: لجنة تحقيق التـراث، (بيروت: دار ومكتبة الهـلال، ١٩٨١م)، ٢٥٥؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٧٧.

(٤) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٧.

(٥) المسـري، حسـين علـي. "نجران ودورهـا"، مجلة المؤرخ المصـري، مرجـع سـابق،ع٩، ٦١؛ ابن جريـس، غيثان. نجران،مرجع سابق، جـ١، ٧٥.

وآخرون قالوا أربعون[١]، فيما يشير ابن خلدون إلى أن عددهم سبعون نصرانياً[٢].

والاختلاف الذي وقع فيه المؤرخون حول عدد أفراد هذا الوفد، غير ذي أهمية، والمهم أنهم جميعاً أجمعوا على خروج وفد نجران النصراني إلى المدينة لأجل مقابلة الرسول ﷺ، بل إنهم قد ذكروا بعض أسماء الوفد، مثل أميرهم العاقب، واسمه عبدالمسيح وهو من قبيلة كندة، وأسقفهم وزعيمهم الروحي أبوالحارث بن علقمة[٣]، وأخوه كرز بن علقمة من قبيلة بني الحارث[٤]، وصاحب إدارة شؤونهم المالية، السيد ابن الحارث[٥] وأخوه أوس، وعدد آخر ورد ذكرهم في بعض المصادر التي أشارت إلى هذا الوفد[٦].

ويبدو أن بعض أفراد هذا الوفد كان عالماً بصحة نبوة الرسول ﷺ فهذا هو زعيمهم الروحي أبوالحارث بن علقمة يعترف لأخيه كرز بن علقمة بشكل واضح وصريح بذلك، حيث ترجم له ابن سعد في طبقاته فيقول عنه:

" كان أسقفهم وإمامهم، وصاحب مدارسهم، وله فيهم قدر، فعثرت به بغلته[٧]، فقال أخوه: تعس الأبعد، يريد رسول الله ﷺ فقال أبوالحارث بل تعست أنت، أتشتم رجلاً من المرسلين؟ إنه الذي بشر به عيسى، وإنه لفي التوراة، قال: فما يمنعك من دينه؟ قال: شرّفنا هؤلاء القوم، وأكرمونا، وموّلونا وقد أبوا إلا خلافه[٨]، فحلف أخوه (كرز) ألا يثني له صعراً حتى يقدم المدينة فيؤمن به[٩] ومضى يضرب راحلته ويقول:

إلَيْكَ يَغْدو قَلِقاً وضينُها مُعْتَرِضاً في بَطْنِها جَنينُها
مُخالِفاً دِينَ النّصارى دينُها[١٠]"

ويتضح لنا من النص السابق أن أهل العلم من نصارى نجران يعلمون صحة ما ورد

(١) حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق السياسية، مرجع سابق، ١٨٣؛ انظر أيضاً: أبوالفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن الكريم، (بيروت:دار المعرفة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، جـ ١، ٣٧٦.

(٢) ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٧٧.

(٣) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٧، ويذكر ابن خلدون، أن اسمه أبوحارثة بن بكر بن وائل، انظر: ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٤٧.

(٤) ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ ١، ٧٦.

(٥) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٧؛ ويذكر ابن خلدون، أن اسمه أيضاً الأيهم، والسيد معاً، انظر: ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٤٧.

(٦) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات. مرجع سابق، ٣٥٧؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٧٧؛ ابن كثير، أبوالفداء اسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ١، ٣٧٦.

(٧) وهم في طريقهم مع بقية الوفد متجهين إلى الحجاز لمقابلة الرسول ﷺ، انظر: ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ١٦٥.

(٨) يقصد الروم، انظر: ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ ١، ٣٧٦.

(٩) انظر: ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ١٦٤، ١٦٥؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ ١، ٧٦.

(١٠) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ١٦٥.

في كتبهم حول صدق نبوة الرسول محمد ﷺ ورغم ذلك لا يستطيعون الدخول في دين الإسلام، وذلك لما لهم من صلات سياسية، وعقدية واقتصادية مع امبراطورية الروم التي نشرت المسيحية في بلاد اليمن عامة، وفي بلاد نجران خاصة، وبالتالي فإنهم جعلوا نصارى نجران مسؤولين عن الدفاع عن النصرانية في بلادهم وما حولها، ومقابل ذلك فإنهم كانوا يغدقون عليهم العطايا والمنح المتنوعة من أجل الحصول على ولائهم، والبقاء تابعين لهم سياسيا وعقديا، وذلك يتضح في عبارة أبي الحارث، عندما قال عن الروم: " شرفنا هؤلاء القوم، وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافه "[١].

وهذا كرز بن علقمة، نراه يطلع على ضلال أخيه، أبي الحارث، ومخالفته الفطرة السليمة، فيتركه ويسبقه ووفده إلى الرسول ﷺ فيدخل الإسلام، وربما اكتشف بعض أعضاء الوفد وغيرهم من نصارى نجران تلك الحقيقة التي كان يعرفها أبوالحارث بن علقمة، ما جعلهم يتركون دين النصرانية ويدخلون دين الإسلام، وأكبر دليل على ذلك ما فعله العاقب والسيد اللذان دخلا الإسلام بعد مقابلتهما الرسول ﷺ في المدينة المنورة.

وصل وفد نصارى نجران إلى المدينة بعد صلاة العصر والرسول ﷺ في المسجد، وكان عليهم ثياب الحبرة [٢]، وأردية مكفوفة بالحرير، وفي أعناقهم وأيديهم الصليب، ثم أقاموا في المسجد يصلون نحو المشرق، فعزم بعض أصحاب رسول الله ﷺ على منعهم، فقال الرسول ﷺ :دعوهم[٣]. ويذكر ابن سعد أنهم جاؤوا إلى الرسول ﷺ بهيئتهم الآنفة الذكر فأعرض عنهم ولم يكلمهم، فقال لهم عثمان بن عفان: " ذلك من أجل زيكم هذا " فانصرفوا ذلك اليوم، وجاؤوا اليوم الثاني وعليهم زي الرهبان[٤].

وكانوا قد اتصلوا ببيت المدارس لليهود، والتقوا ببعض زعمائهم، مثل: الكاهن اليهودي، المسمى ابن صوريا، وكعب بن الأشرف وقالوا لهم: هذا الرجل ـ يقصدون الرسول ﷺ ـ عندكم منذ كذا وكذا قد غلبكم، احضروا امتحاناً له غداً. معتقدين أن ائتلافهم مع اليهود قد يجعلهم أصحاب الريادة والتفوق عندما يغلبون الرسول ﷺ.

وعند مقابلتهم الرسول ﷺ دارت بينهم مناقشات عديدة حول السيد المسيح عيسى بن مريم رضي الله عنها، وحول الإسلام، ثم دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام فقال السيد والعاقب: " إنا قد أسلمنا قبلك، فقال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام ثلاث، أكلكما الخنزير، وعبادتكما الصليب، وقولكما لله ولد، قالا فمن أبوعيسى، وكان الرسول ﷺ لا يعجل حتى

---

(١) المرجع السابق. وللمزيد عن علاقة نصارى نجران بالروم، انظر:عبد المجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، (القاهرة: دار الفكر، د. ت)، ٤٩، علي، جواد. المفصل، مرجع سابق، جـ ٣، ٤٤٩ وما بعدها.

(٢) الحبرة: يقال:إنها ضرب من بُرد اليمن منمر الشكل، وهي نوع من الألبسة الجيدة والغالية الثمن، ابن منظور، جمال الدين أبوالفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ ٣، ١٦، ١٧.

(٣) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ ٢، ٨٢؛ ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٥٧.

(٤) المرجع السابق، ٣٥٧، ٣٥٨.

يأمره ربه"[١]، ثم قال: هو عبد الله ورسوله، فقال أسقفهم أبو الحارث: "تعالى الله عما قلت، وهل رأيت ولداً من غير ذكر"[٢]. ويورد ابن كثير بعض التفصيلات عن هذا اللقاء، ويشير إلى أن الرسول ﷺ صمت ولم يجبهم عندما سألوه من هو أبو عيسى، ويستطرد ابن كثير قائلاً: "فأنزل الله في ذلك قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها..."[٣] حيث ردّ الله عز وجل سؤالهم للرسول ﷺ بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ۝٥٨ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾[٤]. إلى قوله تعالى ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ۝٦١﴾[٥]، ويذكر ابن كثير في تفسير هذه الآيات، أنه لما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله والفصل بينه وبينهم، وأمر بما أمر به من المباهلة[٦]، وملاعنتهم، قالوا للرسول ﷺ: "يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه، ثم انصرفوا عنه"[٧].

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن اليهود في المدينة كانوا يراقبون تلك المناقشات التي دارت مع الرسول ﷺ، ويشاهدونها عندما طلب نصارى نجران من الرسول ﷺ بعض الوقت ليفكروا في قبول المباهلة أو تركها، بل كانوا فرحين بما وصل إليه الأمر، ويودون هلاك الطائفتين، وفي ذلك يقولون: "والله ما نبالي أيهما أهلك الله: الحنيفية أو النصرانية". ومن هذا يتضح خبث اليهود ومكرهم لذاتهم، فلا يرغبون الحياة والعزة إلا لهم دون سواهم[٨].

---

(١) أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ٧٥، وللمزيد، انظر: ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٧. كما أن هناك بعض الاختلافات البسيطة في ذكر الرواية، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٨٢؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ١، ٣٧٦، ٣٧٧.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٨٢؛ محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، تفسير الكشاف، تحقيق: محمد مرسي عامر، (القاهرة: دار المصحف، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، جـ١، ١٧٧، ١٧٨.

(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ١، ٣٧٦.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ٥٨، ٥٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٦١. انظر: الزمخشري، محمود بن عمر. تفسير الكشاف، مرجع سابق، جـ١، ١٧٨.

(٦) المباهلة، جاءت من فعل (بهل) والبهل هو اللعن، يقال بهله الله بهلاً أي لعنه، وعليه بهلة الله أي لعنته، ويذكر في حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: من ولي من أمور الناس شيئاً فلم يعطهم كتاب الله، فعليه بهلة الله؛ أي لعنته. والمباهلة هي الملاعنة، ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا. انظر: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ١، ٥٢٢.

(٧) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ١، ٣٧٧–٣٧٨؛ ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ١، ١٧٨.

(٨) والنصارى أقرب في مودتهم للمسلمين من اليهود والمشركين، قال الله تعالى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢﴾. سورة المائدة، آية: ٨٢.

وبعد ذهاب نصـاري نجران من عند رسول الله ﷺ اجتمعوا بالعاقب، وكان صاحب رأي قاطع بينهم فقالوا: "يا عبدالمسيح، ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشـر النصارى، لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسـل، ولقد جاءكم بالفصـل من خبر صـاحبكم - يقصد عيسى رضي الله عنه - ولقد علمتم أنه ما لاعَن نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكـم إن فعلتم، فـإن كنتم أبيتم إلاّ ألف دينكم، والإقامة علـى ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فواعدوا الرجل، وانصرفوا إلى بلادكم"[١].

ويـورد اليعقوبي أن وفـد نجران قبلوا المباهلة مع الرسـول ﷺ، ولما جاء اليوم الثاني، جاء رسـول اللّه ﷺ آخذاً بيد سـبطيه الحسن والحسـين، تتبعه فاطمة وعلي بن أبي طالب عليهما السلام، وجاء العاقب والسـيد بابنين لهما عليهما الدّر والحلي، وقد التفوا بأبي الحارث، فقال أبوالحـارث: "مـن هؤلاء معه؟ قالـوا: هذا ابن عمه، وهذه ابنته، وهذان ابناه، فجثا رسـول اللّه ﷺ على ركبتيه، ثم ركع، فقال أبوالحارث: جثا واللهِ كما يجثو النبيون للمباهلة، فقال له السـيد: اِدن يا أبا حارثة للمباهلة، فقال إني أرى رجلاً حرياً على المباهلة وإني أخاف أن يكون صادقاً، فإن كان صادقاً لم يحل الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الطعام"[٢].

ولهذا تراجعوا عن مباهلة الرسـول ﷺ وقال أسـقفهم أبوالحارث للرسول ﷺ:"لا نباهلـك فأنـت على دينك ونحن علـى ديننا"، فقال رسـول اللّه ﷺ إذاً أبيتـم المباهلة، فأسـلموا، يكـن لكم ما للمسـلمين، وعليكم ما عليهم، فرفضـوا، فقال الرسـول ﷺ إذاً أحاربكـم، فقالوا: "نصـالحك على ألا تغزونـا، ولا تخيفنا، ولا تردنا عـن ديننا، على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة[٣]، ألفاً في صفر وألفاً في رجب".

فقبل رسـول اللّه ﷺ منهم، وصـالحهم على ذلك وكتب لهم كتاباً أوضح فيه شروط هذا الصـلح، وقد أشارت مصـادر التاريخ إلى هذا الصلح، فبعضهم نقله نصاً بما يعتقد أنـه ورد عن رسـول اللّه ﷺ، ومن هـؤلاء اليعقوبي، والبلاذري، وابن سـعد[٤]، فيما نقله آخرون من المصادر دون التزام منهم بنقل نص هذا الصلح. وإنما اكتفى بنقل ما ورد في

(١) ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ ١، ٣٧٦- ٣٧٧.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سـابق، جـ٢، ٨٢- ٨٣. ويورد الزمخشـري أن أباالحارث، عندما رأى الرسول ﷺ يوم خرج للمباهلة قال: (يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصـراني إلى يوم القيامة)، انظر: الزمخشـري، محمود بن عمر. تفسـير الكشاف، مرجع سابق،جـ١، ١٧٨. ويذكر البلاذري أنه: قال: (أحدهما لصاحبه - يقصد نصـارى نجران - اصـعد الجبل ولا تباهله، فإنك إن باهلته بؤت باللعنة، قال: فما ترى؟ قال:أرى أن نعطيه الخراج ولا نباهلـه؛ البـلاذري، فتوح، البلدان، مرجع سـابق، ٧٥- ٧٦؛ ابن الأثير، علي بن أبـي الكرم. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٢٠٠.

(٣) الحلة تسـاوي الأوقية، ووزن الأوقية أربعون درهماً من الفضـة. البلاذري، أحمد بـن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٦.

(٤) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٨٣؛ البلاذري،أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سـابق، ٧٦، ابن سـعد، محمد بن سعد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٥٨. للمزيد من التفصيلات، انظر: حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٧٥ - ١٧٩.

هذا الصلح من الشروط، ومن هؤلاء ابن الأثير، وابن خلدون[١].

ففي هذا الصلح أقر رسول الله ﷺ ما اتفق عليه نصارى نجران بدءاً من دفعهم الحلل في شهري رجب وصفر من كل عام، وهي ألفا حلة، قيمة كل حلة (٤٠) درهماً من الفضة، وأن يساعدوا المسلمين إذا ما وقعت حرب باليمن، بأن يمدوهم بالأسلحة فقط دون الاشتراك معهم في الحرب، وأن ينصحوا المسلمين، ولا يؤخذ أحد بخيانة غيره. وحرم عليهم التعامل بالربا، فمن عمل به بعد هذا الاتفاق، فقد نقض الصلح، فتكون ذمة محمد ﷺ منه بريئة[٢].

لقد ارتد البعض من أهل نجران عن الإسلام في عهد رسول الله ﷺ واتبعوا الأسود العنسي، الذي ثار في اليمن وادعى النبوة، فقد كان مشعوذاً بارعاً في الكلام [٣]، فانخدعت به بعض قبائل اليمن ونجران، وكانت بداية ظهوره وادعائه النبوة في السنة الحادية عشرة من الهجرة، بعد حجة الوداع لما علم بمرض رسول الله ﷺ، وهو في طريقه إلى المدينة[٤]، وقد تعاطف أهل نجران معه وأيدوه، فلما علم بنو الحارث بن كعب وقبائل مذحج دعوه إلى بلادهم، فقدم إليهم على رأس قوة عسكرية بلغ عددها خمسة آلاف مقاتل جميعهم من قبائل حمير[٥]، وتمكن من دخول نجران، وكان عمرو بن حزم عاملاً عليها من قبل رسول الله ﷺ فخرج منها متوجهاً إلى المدينة[٦].

وقد مكث الأسود العنسي أياماً بنجران ثم تحول عنها إلى صنعاء، لأنها أكثر حصانة من نجران، ورحل معه ستمائة فارس من بني الحارث بن كعب مؤيدين إياه ومناصرين، وقد واجه مقاومة عنيفة من الأبناء وهم المسلمون من الفرس[٧]، ومن قبائل اليمن التي تمسكت بإسلامها فكذبوا مزاعمه، وقد قاد هذه المقاومة شهر بن باذان، ابن والي اليمن السابق، ولكن الأسود العنسي كان أقوى منه فقضى عليه، واستولى على صنعاء[٨].

---

(١) ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ٢، ٢٠٠؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٧٧.

(٢) انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٦؛ ابن سعد، محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٥٨؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب . تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٨٣.

(٣) انظر: الطبري، محمد بن جرير.. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ١٨٥، ٢٣؛ مطهر بن طاهر المقدسي، كتاب البدء والتاريخ، تحقيق: س. هورت (باريس: ١٩١٦م)، و(صور مكتبة المثنى، بغداد، د. ت)، جـ ٥، ١٥٤؛ ابن الأثير، علي. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٢١٥.

(٤) البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ١١٣؛ نزار عبداللطيف الحديثي، أهل اليمن في صدر الإسلام، (بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت)، ١١٥.

(٥) الطبري، محمد بن جرير تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٢٣٠ ـ ٢٣٥، محمد عبدالمنعم الحميري، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٥م)، ٥٧٤.

(٦) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ١٨٥ ـ ١٨٧؛ ابن الأثير، علي. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ ٢، ٢١٥؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل، البداية والنهاية، مرجع سابق، مج ٣، جـ٦، ٣١٢.

(٧) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ١٨٥؛ سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي، تاريخ الردة، جزء مقتبس من كتاب: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي الخلفاء، اقتبسه وحققه: خورشيد فاروق أحمد (الهند: معهد الدراسات الإسلامية، د. ت)، ١٥١، ١٥٢.

(٨) البلاذري،أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، ١١٣؛ المقدسي، مطهر بن طاهر. كتاب البدء والتاريخ، مرجع سابق، جـ٥، ٢٢٩؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل، البداية، مرجع سابق، مج٣، جـ٦، ٣١١، ٣١٢.

كما استفحل أمر الأسود باليمن واتسع نفوذه فشمل نجران والطائف وصنعاء وحضرموت وعدن وامتد نحو الشرق حتى شمل البحرين وأجزاء أخرى من الخليج العربي، وقد اضطربت أوضاع المسلمين باليمن وأصابهم الخوف الشديد من بطش الأسود العنسي، فكانوا يتعاملون معه من منطلق مبدأ التقية ليأمنوا على أرواحهم(١)، فكانت حركة الأسود العنسي خطراً جسيماً على الإسلام والمسلمين باليمن، ربما لأنها حدثت في فترة حرجة من تاريخ الدولة الإسلامية، فرسول الله ﷺ قائد الأمة ورئيس الدولة كان على فراش المرض، هذا فضلاً عن الأوضاع المضطربة داخل اليمن، فهناك من لم يدخل الإسلام أو دخله ثم ارتد، وهناك من ظل على إسلامه، وهؤلاء يشكلون العدد القليل إلى جانب أهل الذمة. في ظل هذه الظروف السيئة التي تمر بها الأمة الإسلامية قامت حركة الأسود العنسي، إلا أن هذه الحركة لم يكتب لها النجاح، والحديث عنها سوف يبعدنا عن دائرة البحث، ولكن أشرنا إليها بقدر ما كان لها من صلة بمدينة نجران(٢).

وقد تصدى رسول الله ﷺ بحزم وقوة لهذه الحركة، ثم وجه نداء إلى المسلمين المحاصرين بنجران وإلى قادة المسلمين في اليمن يحثهم على الصبر وتوحيد الصفوف ليتمكنوا من قهر عدوهم، والطبري ينقل لنا نص هذه الرسالة: " إلى أهل نجران، إلى عربهم وساكن الأرض من غير العرب، فاثبتوا وانضموا إلى مكان واحد" (٣). ويعني بساكن الأرض من غير العرب المسلمين، وهم الفرس وقد عرفوا بالأبناء(٤).

وكان لهذه الرسالة التي وصلت إليهم من رسول الله ﷺ التأثير البالغ على نفوسهم، إذ أعادت إليهم الثقة والطمأنينة، كما أزالت الخوف والرعب من قلوبهم فتحركوا موحدي الهدف ضد الأسود العنسي، فتمكنوا من دحره والقضاء على حركته.

ثالثاً - تاريخ نجران في العهد الراشدي:

لم يُقْضَ على الردة في نجران بموت الأسود العنسي، وإنما استمرت بعد وفاة الرسول ﷺ، وخلال عهد الخليفة الراشد، أبي بكر الصديق رضي الله عنه ١١ - ١٣هـ (٦٣٢ - ٦٣٤م) وذلك أن بعض بني الحارث بن كعب في نجران انضموا إلى الأسود العنسي، وبعد مقتله، ومجيء عهد أبي بكر الصديق ظلوا على ردتهم، وهم مترددون في البقاء على الردة، أو العودة

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٢٣٠؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ ٦، ٣١٢.

(٢) للمزيد انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٢٣٠، ٢٣١؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٨٢.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٢٣٢.

(٤) الأبناء: من أبناء فارس دخلوا اليمن مع سيف بن ذي يزن الحميري، وأطلق عليهم هذا الاسم -فيما بعد- لأنهم استقروا باليمن وتزوجوا، ثم صار أبناء أبنائهم يطلق عليهم الأبناء، لأنهم من أبناء أولئك الفرس، ولأن أمهاتهم من أجناس غير فارسية، وعندما جاء الإسلام أسلموا وحسن إسلامهم، انظر: ابن منظور، جمال الدين أبوالفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ١، ٥٠٨، فعل (بني).

إلى الإسلام. وبينما هم على هذه الحال جاءهم مسروق العكي[١]، مع بعض من بقي على إسلامه من أهل اليمن، وكان عازماً على مقاتلتهم في حال رفضهم العودة للإسلام وبدأ أولاً بدعوتهم سلماً لترك الارتداد والعودة للإسلام، فاستجابوا وأسلموا دون قتال، فأقام فيهم يعمل على استتباب الأمور في بلادهم، حتى وصل إليه جيش الخليفة أبي بكر الصديق تحت قيادة المهاجر بن أبي أمية دعماً له في قتال المرتدين[٢].

وكان الرسول ﷺ قد أرسل قبل وفاته عدداً من مبعوثيه إلى بلاد السراة، وغيرها من نواحي بلاد اليمن، خصوصاً عندما سمع بظهور الأسود العنسي، ولكن عجلت الأنباء التي وصلتهم بانتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بعودة بعضهم إلى الحجاز، وكان جرير بن عبدالله البجلي من بعض الذين عادوا إلى المدينة المنورة، فرده الخليفة أبوبكر الصديق وأمره أن يدعو من قومه، من بني بجيلة، ومن ثبت على دين الله ولم يرتد ثم يذهب بهم إلى أجزاء عديدة من بلاد السروات، جنوب الطائف، فيقاتل من ارتد عن الإسلام، ثم يواصل سيره حتى يصل نجران فيقيم بها حتى يأتيه أمره. ويؤكد الطبري ذلك بقوله: " فخرج جرير فنفذ ما أمره به أبوبكر، فلم يقر له أحد إلا رجال عدة قليلة، فقتلهم وتتبعهم، ثم كان وجهه إلى نجران، فأقام بها انتظاراً لأمر أبي بكر رحمه الله "[٣].

ومن هنا يتضح لنا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أراد من جرير البجلي أن يعود إلى بلاد السروات فيحثَّ من بقي على إسلامه على التمسك بشرع الله، ويقاتل معه من خرج عن ملة الإسلام، ويظهر من نص الطبري أنه لم يقابل أعداداً كثيرة من المرتدين في البلاد الواقعة بين الطائف ونجران، وبالتالي فقد واصل طريقه مسرعاً حتى وصل نجران فوجد من بها من المرتدين قد رجعوا إلى الإسلام على يد مسروق العكي[٤].

أما المرتدون في بلاد اليمن، وبخاصة في صنعاء وما حولها وكذلك الأجزاء التهامية من بلاد اليمن، فقد ظلوا يعيثون في الأرض فساداً، بينما استقرت أمور الإسلام في بلاد

---

(١) الكلاعي، سليمان. تاريخ الردة، مرجع سابق، ١٥٣ وما بعدها، وقد ذكره باسم (الأصفر العكي)، بينما أسمته كتب الطبقات مسروق العكي، ولم تذكر (الأصفر)، ولعل الاسمين لشخصية واحدة، وللمزيد عن جهود مسروق العكي ضد المرتدين في عدة مواطن من بلاد اليمن راجع: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٠، ٣٢١ ـ ٣٢٨،٣٢٦.

(٢) وللمزيد عن تصدي الخليفة أبي بكر الصديق للردة وعن الجيوش التي أرسلها إلى كل مكان لمحاربة المرتدين، انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٣ وما بعدها؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٩٢، ٤٩٣؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ٦، ٣١٥ ـ ٣٣٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٢؛ ابن الأثير، علي. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٢٢٩ وما بعدها؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون،مرجع سابق، جـ٢، ٤٩٣؛شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري، نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق: علي محمد البجاوي، (القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، جـ١٩، ١٤٤.

(٤) الكلاعي، سليمان. تاريخ الردة، مرجع سابق، ١٥٦، الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٢؛ ابن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون. مرجع سابق، جـ٢، ص٤٩٣؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، جـ١٩، ١٤٤.

السراة الممتدة من الطائف حتى نجران لقلة عدد المرتدين وتمسك معظم مسلمي نجران بعقيدتهم، وإصرارهم على محاربة المرتدين، نستدل على ذلك بما ورد في بعض المصادر من إشارات إلى كتاب أرسله أحد زعماء نجران يدعى عبدالله بن عبدالمدان إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه يطالبه فيه بأن يأذن له فيسير في أهل نجران إلى صنعاء ومن حولها لمحاربة المرتدين هناك[١]. بل نجد كتاباً آخر يرسله أبوبكر الصديق إلى المرتدين من أهل صنعاء، فيذكرهم بدعوة الرسول ﷺ ثم دخولهم في الإسلام وبقائهم عليه إلى أن جاءهم خبر وفاة الرسول ﷺ فارتدوا عن دين الله، ثم كان في نهاية كتابه: " وقد منعني أن أسلط عليكم ابن عبدالمدان فيمن قبله انتظاراً، وما والله محدث مما لست بآيس منه، فإن تراجعوا الإسلام ترجعوا ديناً طالما نفعكم الله تعالى به، وإن تأبوا فإن لله تعالى حزباً منصوراً، وجنداً غالباً يقطع دابر القوم الذين ظلموا "[٢]. ويفهم من هذا الكتاب حزم الخليفة الراشد الأول تجاه المرتدين ومخاطبتهم بصيغة الإنذار وإعطاء فرصة أخيرة للمرتدين من أهل صنعاء للدخول ثانية في الإسلام ويعاود إنذارهم في حالة عدم استجابتهم فإنه سوف يحاربهم بعباد الله الصالحين مثل المسلمين من أهل نجران وما حولهم بزعامة ابن عبدالمدان.

وقد وضح بجلاء هذا العزم من قبل الصديق في التصدي لحركة الردة في جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية، فجهز عدداً من الجيوش التي اتجهت إلى نواح عديدة من البلاد، وكان أحدها بقيادة المهاجر بن أبي أمية، وقد أرسله لمحاربة المرتدين في الطائف وبلاد السراة ونجران وصنعاء[٣]. ويشير ابن خلدون إلى رحلة المهاجر إلى صنعاء فيذكر أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أمره "بأن يسير إلى اليمن ليصلح من أمره، ثم ينفذ إلى عمله، وأمره بقتال ما بين نجران وأقصى اليمن ففعل ذلك، ... وسار المهاجر حتى نزل صنعاء وتتبع شذاذ القبائل فقتل من قدر عليه، وقبل توبة من رجع إليه، وكتب إلى أبي بكر بدخول صنعاء، فجاءه الجواب بأن يسير إلى كندة..."[٤].

---

(١) انظر: حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٣٤١، ٣٤٢، وكان لعبدالله بن عبد المدان موقف مشرف في قومه عندما ارتدوا مع الأسود العنسي، إذ وقف فيهم ينهاهم عن الردة ويحذرهم عاقبة أمرهم؛ شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن محمد بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت) (مصور من النسخة الأصلية المطبوعة عام ١٨٥٣م في بلدة كلكتا بالهند)، مج ٢، جـ ٤، ٩٨.

(٢) حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٣٤٢، وللمزيد عن حركة الردة في صنعاء وما حولها والجهود العسكرية التي بذلها المسلمون في حرب المرتدين وإعادة البلاد إلى حظيرة الإسلام، انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، مرجع سابق، ١١٣، ١١٤؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٥ وما بعدها؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ٦، ٣٣٥، ٣٣٦؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون. مرجع سابق،جـ٢، ٤٩٢ وما بعدها.

(٣) للمزيد عن إرسال الخليفة أبي بكر الصديق الكتب والجيوش المنظمة إلى القبائل والنواحي المرتدة عن الإسلام،انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٢٤٩، وما بعدها؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل، البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ ٦، ٣١٩، ٣٢٠ وما بعدها؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٩٤ وما بعدها.

(٤) المرجع السابق، جـ ٢، ٤٩٤.

يفهم من هذا القول: إن المهاجر خرج من الطائف حتى وصل نجران، ولم يقابل أي عناء في هذه المنطقة الواسعة التي يصل طولها -تقريباً- إلى ثمانمئة كيل، ثم يؤكد عليه فيحارب المرتدين الذين كانوا بين نجران وصنعاء، وفي اعتقادنا أنهم ليسوا كثيرين؛ لأن من بقي من المسلمين هناك مع بعض قادة المسلمين في تلك النواحي أمثال: جرير بن عبدالله، ومسروق العكي وغيرهما، استطاعوا تذليل الصعاب والقضاء على المرتدين[1]، ويعد مجيء المهاجر بن أبي أمية ومن معه من المسلمين بمثابة توطيد لأوضاع الدولة الإسلامية في هذه البقاع وتأمين لها، وبخاصة في بلاد صنعاء وما حولها، ولو أن الوضع لا يزال خطراً هناك، لما كان الخليفة الصديق أمر المهاجر بالتوجه إلى بلاد كندة حيث لا يزال المرتدون بها يشكلون خطراً وتهديداً على الإسلام والمسلمين هناك[2].

ومع نهاية عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبداية عهد الخليفة عمر بن الخطاب ١٣ ـ ٢٣هـ (٦٣٤ ـ ٦٤٣م) استقر الإسلام ديناً ودولة في بلاد نجران وجميع البلاد الممتدة من الطائف ومكة المكرمة شمالاً حتى بلاد نجران وصعدة وصنعاء جنوبا، بالإضافة إلى الأجزاء التهامية المنخفضة غرباً عن تلك المواطن السروية الجبلية[3]، وتقاطر سكان تلك البلاد على المدينة المنورة رغبة في الجهاد في سبيل الله، وإعلاء كلمة التوحيد، وذلك عندما نادى فيهم الخليفة أبوبكر الصديق، ثم تلاه الخليفة عمر بن الخطاب، فانخرطوا في جيوش المسلمين التي خرجت في الفتوحات الإسلامية إلى بلاد فارس والعراق، وإلى بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس[4]، وقد تناثرت الأخبار في المصادر الإسلامية المبكرة على اختلافها مشيرة إلى الدور الفاعل الذي لعبه سكان البلاد الواقعة إلى جنوب حواضر الحجاز (مكة والطائف) والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى بما فيها نجران وأعمالها في الحياتين العامة والخاصة في المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، ولم يقتصر دورهم

---

(١) انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٨ ـ ٣٣٠؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل، البداية، مرجع سابق، مج٣، جـ٦، ٣٣٥، ٣٣٦. ويذكر ابن سمرة الجعدي، والكلاعي أن المهاجر خرج حتى وصل نجران، فوجد كلاً من جرير بن عبدالله ومسروق العكي فضمهما ومن معهما من المسلمين إلى جيشه، ثم قسم جيشه في نجران إلى قسمين؛ فرقة تتولى القضاء على فلول الأسود العنسي المتناثرة بين نجران وصنعاء، وكان المهاجر نفسه على هذه الفرقة، أما الفرقة الأخرى فكان على رأسها أخوه عبدالله بن أبي أمية، وكانت مهمتها تطهير منطقة نجران وتهامة اليمن من المرتدين، وقد نجحوا في ذلك، انظر: الجعدي، عمر بن علي، طبقات فقهاء اليمن، مرجع سابق، ٣٥ ؛ الكلاعي، سليمان. تاريخ الردة، مرجع سابق، ١٥٦، ١٥٧.

(٢) للمزيد عن الردة في بلاد كندة، انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٣٠، ٣٤٢؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج٣، جـ٦، ٣٣٤ ـ ٣٣٦؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٥٠٦، ٥٠٧.

(٣) عن التحديد الجغرافي لهذه المناطق وما ذكر عنها انظر: عبدالله بن عبدالعزيز البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، (بيروت:عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مج١،جـ٨، ١- ٩؛ الحموي، ياقوت. معجم البلدان، مرجع سابق، جـ٢، ٦٣، ٦٤،٢٠٢- ٢١٨ ؛ الحديثي، نزار. أهل اليمن في صدر الإسلام، مرجع سابق،٩٩-١٤١.

(٤) ابن حزم علي. جمهرة أنساب العرب، ٢٩٤، ٤٤٦، ٤٤٧؛ الحديثي، نزار. أهل اليمن في صدر الإسلام، مرجع سابق، ١٤٥ ـ ٢٠٦؛ غيثان بن علي بن جريس، دراسات في تاريخ نجران وتهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١ ـ ق١٠هـ/ ق٧ ـ ق١٦م)، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، جـ١، ٥٧ ـ ٩١.

على الجهاد العسكري فحسب، بل تعدى هذا المجال، فنجد أن كثيراً منهم شارك في البناء السياسي والإداري والعمراني للدولة الإسلامية علاوة على إسهاماتهم المؤثرة في بقية الجوانب الحضارية الأخرى، كالنواحي العلمية والفكرية والحياة الاقتصادية على اختلافها وشتى المظاهر الاجتماعية الأخرى، ومن يتتبع آثارهم وإسهاماتهم في هذه الجوانب فإنه سيجد مادة علمية ثرية لا يكفيها عدد من الأسفار لجمع هذا الجانب الحضاري الخاص بهم(١).

أما الأوضاع المحلية في بلاد نجران وما حولها، فللأسف الشديد، لم تفصح المصادر أو تمدنا بتفصيلات مهمة عن تلك الأوضاع وبخاصة بعد خلافة أبي بكر الصديق، ولكن يمكننا أن نستنتج من سير الأحداث أن الأوضاع الداخلية لبلاد نجران قد استقرت سواء كان ذلك مدنياً أو دينياً خصوصاً بعد وصول المهاجر بن أبي أمية، والتقائه بأهل نجران ومن كان فيها من الصحابة، وجهوده في توطيد الأمن هناك، تلك الجهود التي على إثرها ترك جرير بن عبدالله البجلي والياً على نجران، وذهب في طريقه إلى كندة لإكمال مهمته في القضاء على المرتدين تنفيذاً لأوامر الخليفة الصديق. ثم جاء عهد الخليفة عمر بن الخطاب، فكان أكثر استقرارا بفضل ما عرف عن هذا الخليفة الراشد من حزم في إدارة البلاد الإسلامية، فقد أرسل عماله في أنحاء الدولة الإسلامية، ومن عماله في نجران، يعلى بن أمية الذي كان والياً على أجزاء من اليمن منذ عهد الرسول ﷺ ثم عهدي أبي بكر وعمر، فكان مسؤولاً عن بلاد نجران وما جاورها من بلاد همدان ومأرب والجند، وقد استدعاه عمر بن الخطاب أكثر من مرة لكي يقدم تقاريره الإدارية عن سير أحوال البلاد التي يتولاها واستجوبه في بعض الأمور لأخبار بلغته عنه(٢)، ثم أعاده عاملاً على نجران وغيرها من النواحي فظل هناك حتى عهد الخليفة علي بن أبي طالب(٣).

أما عن الدور الذي لعبته نجران في بقية الأحداث السياسية التي ألمت بالدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، وبخاصة خلال الفتنة الكبرى في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ٢٣ ـ ٣٥هـ (٦٤٣ ـ ٦٥٥م) والصراع بين الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٣٥ ـ ٤٠هـ (٦٥٥ ـ ٦٦٠م) وبين معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه فإننا نجد أن سكان نجران، أسوة بغيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية، قد انخرطوا -على وجه التأكيد- في هذه الفتن، ومنهم من انضم إلى الخليفتين الراشدين عثمان وعلي، ومنهم من

(١) الحديثي، نزار. أهل اليمن، مرجع سابق، ١٥٠ ـ ٢٠٢؛ عبدالله بن عبدالكريم الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن. ط٢، (بيروت: منشورات العصر الحديث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ٨٨، ٨٩؛ أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين، (القاهرة: ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ١٧١ ـ ١٧٧.

(٢) من الشكاوى التي قُدمت في يعلى بن أمية أنه حمى لنفسه في نجران، فعزله من منصبه ثم أعاده بعد مسألته، انظر: ابن حجر، شهاب الدين. الإصابة، مرجع سابق، مج ٣، جـ٦، ٣٥٣.

(٣) المرجع السابق؛ وللمزيد انظر: الهادي يحيى الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور، (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، جـ١، ٩٣، ٩٤؛ شرف الدين، أحمد حسين. تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، مرجع سابق، ٢١، ٢٢.

كان ضدهما، ونال سكان بلاد السراة الممتدة منطقتهم من الطائف حتى صنعاء، ما نال غيرهم من هذه الفتنة، وبخاصة الذين توزعوا منهم في الأمصار الإسلامية من مصر إلى الشام إلى بلاد العراق وفارس، والمصادر التاريخية تعج بالكثير من الأخبار التي تؤكد انخراط سكان هذه المناطق في خضم الأحداث السياسية التي عاشتها الأمة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم[١].

أما عن تفاصيل هذا الدور الذي لعبته نجران وما يجاورها فلا ريب أنها قد تأثرت كغيرها من بلاد شبه الجزيرة العربية بالفتن التي وقعت زمن الخليفة عثمان بن عفان، وأدت إلى استشهاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم الصراعات التي وقعت بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان حيث تشير المصادر التاريخية المبكرة التي عالجت أحداث هذه الفترة إلى انتشار هذه الفتن حتى وصل خبرها بل تأثيرها، إلى كل صقع من أصقاع المسلمين آنذاك، ولكنها رغم ذلك لا تخصص الحديث عن دور أهل نجران فيها أو توضح بشكل مفصل مدى تأثيرها على تلك الأنحاء.. بل نلاحظ أنها لا تكاد تذكر في بطون هذه المصادر لانشغال مصنفيها بما يجري في الحواضر العربية الكبرى محل هذه الصراعات (المدينة المنورة ـ دمشق ـ الكوفة) ولا يتواتر ذكر نجران ثانيةً ودورها السياسي في أحداث الدولة الإسلامية إلا سنة أربعين من الهجرة حينما وجه معاوية بن أبي سفيان بسر بن أبي أرطاة العامري في ثلاثة آلاف رجل لاجتياح الحجاز في طريقه إلى نجران وبلاد الجند وصنعاء وما حولها. وقد أوضحت المصادر حينئذ سبب بعث بسر إلى تلك النواحي، وهو أن معاوية أثناء وجوده بالشام في خلافة عليٍّ بنِ أبي طالب تلقى خطاباً من بعض أهل صنعاء ونجران والجند وقد أظهروا له الموافقة على مطالبته بقتلة عثمان بن عفان، لأنهم استنكروا قتل أمير المؤمنين[٢].

وكان غالبية أهل نجران وما حولها من بلاد اليمن قد أعلنوا ولاءهم للخليفة عليٍّ بنِ أبي طالب الذي أرسل إليهم في عام ٣٥هـ (٦٥٥م) عبيد الله بن عباس ليكون والياً عاماً على بلاد اليمن بما فيها بلاد نجران وأعمالها[٣]، بينما خالفته فئة قليلة وأرسلت إلى معاوية وأعلنت له الولاء والبراء من علي بن أبي طالب، وعندما عرف والي اليمن عبيد

(١) لمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث انظر: القاضي أبوبكر محمد بن عبدالله بن محمد بن العربي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، تحقيق: محب الدين الخطيب، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٦هـ)، ٦١ ــ ١١٠؛ نصر المنقري بن مزاحم، وقعة صفين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، مكتبة الخانجي،١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م)، ١١٧، ١٧١، ١٩٠، ٢٢٧، ٢٦٢، ٤٤٣، ٥١٢؛ أحمد الكوفي بن أعثم، كتاب الفتوح، (بيروت: دار الندوة الجديدة، د. ت)، (مصور من طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد بالدكن- الهند، د. ت)، ٥٣ ـ ٦٩، ١٤٠.

(٢) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ١٩٧ـ ٢٠٠؛ ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ٤، ٦١، ٦٥؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ٣، ١٩٢ وما بعدها؛ الحسين، الهادي يحيى. غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، مرجع سابق، جـ١، ٩٦؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، جـ٢، ٢٥٩ ـ ٢٦١.

(٣) ابن سعد، محمد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ٦، ٨٤؛ الحسين، الهادي يحيى. غاية الأماني، مرجع سابق، جـ١، ٩٣، ٩٤.

الله بن عباس، بخبرهم استدعاهم وتحاور معهم فبيّنوا له أنهم ما زالوا يرون مجاهدة من سعى على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فلجأ عبيد الله إلى سجن بعض رجالهم، فثار لهم أعوانهم خارج السجن وهددوا عبيد الله، إما أن يطلقهم، وإما فلا طاعة له ولا لعلي بن أبي طالب، فرفض عبيد الله، فما كان منهم إلا أن استعصوا وامتنعوا عن دفع زكاة أموالهم لعبيد الله بن عباس[١].

وقد حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على استشارة زعماء اليمن الذين يرافقونه في هذه الأحداث التي تحصل في اليمن، وكان من أولئك الرجال يزيد بن أنس الأرحبي[٢] الذي نصحه بأن يكتب لهم كتاباً، فإن استجابوا كان بها، وإلا أرسل إليهم جيشاً، فكتب الكتاب وأرسله مع رجل من همدان[٣]. فلم يؤثر فيهم بل زادهم تمسكاً بموقفهم وكتبوا على إثر ذلك لمعاوية بأن يرسل إليهم أميراً من قبله فأرسل بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف رجل، وقيل أربعة آلاف مقاتل، وأوصاه بأن يذهب إلى الحجاز، ثم بلاد السراة حتى يصل إلى بلاد اليمن، ويكون حازماً شديداً على من يتصدى له[٤]، فخرج بسر وجيشه فجاس خلال الديار يقتل ويحرق ويشرد كل شخص أو فئة كانت متشيعة للخليفة علي بن أبي طالب، وعندما علم عبيد الله بن عباس بقدومه خرج هارباً إلى الكوفة، والتقى بالخليفة علي بن أبي طالب هناك، وقبل خروجه من بلاد اليمن خلف عليها عبدالله بن عبدالمدان الحارثي أحد أحفاد يزيد بن عبدالمدان الحارثي، الذي كان ضمن وفد أهل نجران الذين وفدوا على رسول الله ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة[٥].

وعند وصول بسر بن أبي أرطاة إلى نجران وجد بها عبدالله بن عبدالمدان فقتله، وقتل ابناً له يسمى مالكاً[٦]، ثم بقي بها يتهدد أهل نجران بالقتل، ثم جمعهم ونادى فيهم قائلاً: "يا إخوان النصارى، أما والذي لا إله غيره، لئن بلغني عنكم أمر أكرهه لأكثرن

---

(١) ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٥٤.

(٢) يذكر أن يزيد كان مرافقاً لعلي بن أبي طالب في الكوفة، وما زال له قوم وعشيرة قوية في بلاد اليمن، لهذا استشاره الخليفة، انظر تفصيلات ذلك في: المرجع السابق.

(٣) قبائل همدان كانت أكثر القبائل سمعاً وطاعة للخليفة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، منذ أن ذهب إليهم في عهد الرسول ﷺ حتى وفاته، وبقوا على الولاء لأبنائه وأحفاده،عاتق بن غيث البلادي، بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهدات، (مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ١٢١، ١٢٢؛ عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع، اليمن في صدر الإسلام (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧م)، ٣٣٢، ٣٣٣.

(٤) انظر: اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ١٩٧ وما بعدها؛ ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٥٤؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ ٣، ١٩٢ـ ١٩٤؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، جـ٢، ٢٥٩.

(٥) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ ٢، ١٩٧؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ ٣، ١٩٢ ـ ١٩٤؛ ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٥٤ وما بعدها.

(٦) وقد أنشد بعض بني عبدالمدان:

فلولا أن أخاف صيال بسر   بكيت على بني عبدالمدان

ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٦٣؛ ابن حجر، شهاب الدين. الإصابة، مرجع سابق، مج٢، جـ٤، ٩٨.

قتلاكم "[١]. ثم واصل مسيره إلى بلاد صنعاء يلاحق الموالين للخليفة علي بن أبي طالب ويقتلهم ويشردهم. ولما بلغ خبر بسر بن أبي أرطاة الخليفة علي بن أبي طالب بعث جارية بن قدامة السعدي في ألفين من الرجال، ووهب بن مسعود الخثعمي بالعدد نفسه، فتوجه جارية حتى أتى نجران فقتل جماعة ممن ناصروا بسر، وهرب ابن أبي أرطاة وأتباعه فطاردهم جارية السعدي ورجاله حتى دخلوا مكة المكرمة وهناك وافت الأخبار جارية بمقتل الخليفة علي بن أبي طالب على يد عبدالرحمن بن ملجم[٢].

أما النصارى في نجران الذين كانوا قد تصالحوا مع رسول الله ﷺ وفق شروط محددة، فإنهم لما علموا بوفاة رسول الله ﷺ أرادوا أن يجددوا العهد مع خليفة رسول الله فبعثوا وفدا إلى أبي بكر الصديق كي يوضحوا له التزامهم بالعهود التي صالحهم الرسول ﷺ عليها وعند مقابلتهم الخليفة أبا بكر سمع منهم وأقرّهم على تلك العهود، وكتب لهم كتابا قال فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبدالله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لأهل نجران أجارهم من جنده ونفسه، وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ إلا ما رجع عنه محمد ﷺ بأمر الله عز وجل في أرضهم وأرض العرب، إلا يسكن بها دينان، أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم، وعاريتهم، وغائبهم وشاهدهم وأسقفهم ورهبانهم وبيعهم حيثما وقعت، وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير، عليهم ما عليهم فإذا أدوه فلا يحشرون ولا يعشرون ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته ووفى لهم بكل ما كتب لهم رسول الله ﷺ وعلى ما في هذا الكتاب من ذمة محمد رسول الله ﷺ وجوار المسلمين وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق" [٣].

ويتضح من هذا الكتاب أن الخليفة أبابكر أقرّهم على وضعهم ما داموا ملتزمين بشروط الصلح الذي عقدوه مع رسول الله ﷺ، كما أوضح لهم موقف الرسول ﷺ من الديانات السماوية، اليهودية والنصرانية، وبقائها في جزيرة العرب، عندما روى لهم الحديث القائل: " أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب " [٤]، ولكنهم الآن محميون

---

(١) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ١٩٩؛ وورد النص بصيغة أخرى مختلفة عند ابن أعثم الذي يذكر أن بسر خاطب أهل نجران بقوله: (يا إخوان اليهود والنصارى، أما والله لئن بلغني عنكم أمر أكرهه من ولايتكم علي بن أبي طالب، لأرجعن عليكم بالخيل والرجال، ثم لأكثرن فيكم القتل، فانظروا لأنفسكم فقد أعذر من أنذر)، انظر: ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٦٣.

(٢) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ١٩٨، ١٩٩؛ ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٥٦، ٥٧، ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ٣، ١٩٢ وما بعدها؛ ابن حجر، شهاب الدين. الإصابة، مرجع سابق، مج٢، جـ٤، ٩٨؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٥٤، ٢٥٥؛ الحسين، الهادي يحيى. غاية الأماني، مرجع سابق، جـ١، ٩٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٣٢١، ٣٢٢؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٩١، ١٩٢.

(٤) في حديث رواه أبوعبيدة عن الرسول ﷺ أنه كان آخر ما تكلم به الرسول ﷺ قبل موته أن قال: (أخرجوا اليهود من الحجاز، وأخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب)، أبوعبيدالقاسم بن سلام، كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ١٤٤، ١٤٥، وفي رواية أخرى: (لا يبقين دينان في أرض العرب)، البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧.

تحت مظلة الاتفاقية التي عقدوها مع رسول الله ﷺ فلا خوف عليهم، ولهم الأمان[١].

وكانت أعداد النصارى بنجران في تزايد مستمر، وقد شعر الخليفة عمر بن الخطاب بخطرهم على نجران وما حولها من البلاد، ولكنه لا يستطيع فعل شيء، لالتزامه بنصوص الاتفاقية المبرمة معهم منذ عهد الرسول ﷺ التي جددها الخليفة أبوبكر، وفي عام ٢٠هـ (٦٤٠م) علم الخليفة أنهم يتعاملون بالربا، وهذا يعني أنهم قد خرقوا نصاً من نصوص الاتفاقية التي أبرمت بينهم وبين رسول الله ﷺ [٢]، فأجلاهم من نجران انطلاقاً من المبدأ القائل "من نقض عهداً فلا ذمة له" [٣]، بعد أن اشترى منهم عقارهم وأملاكهم فتفرقوا فمنهم من ذهب إلى العراق، وآخرون اتجهوا إلى الشام، فأما الذين سكنوا العراق فقد استقروا في الكوفة وسمي المكان الذي نزلوه باسم (النجرانية) نسبة إليهم[٤].

ويبدو أن عمر بن الخطاب قد تعاطف معهم يوم تركوا نجران واتجهوا إلى الشام والعراق، فكتب إلى من قبلهم من أمراء وعامة المسلمين، وذلك وفاء لهم بما كتب لهم رسول الله ﷺ وخليفته أبوبكر فقال: " أما بعد، فمن مرّوا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسعهم من حرث الأرض، فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة، وعقبة لهم مكان أرضهم لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مغرم. أما بعد، فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم، فإنهم أقوام لهم الذمة وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً، من بعد أن يقدموا، ولا يكلفوا إلا من ضيعتهم التي اعتملوا غير مظلومين، ولا معتدى عليهم" [٥]. وبهذا المكتوب أعطاهم الخليفة عمر فرصة عامين لترتيب أوضاعهم والاستقرار، دون أن يلزمهم بدفع الجزية المفروضة عليهم منذ عهد الرسول ﷺ وبعد انقضاء هذه المدة تعود الجزية كما كانت تفرض عليهم من قبل، أسوة بسائر أهل الذمة من النصارى واليهود[٦].

---

(١) المرجع السابق، ٧٧؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٣١٢؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٩١، ١٩٢.

(٢) ويذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب لهم كتاباً مطولاً قال فيه: (... من عمر أمير المؤمنين إلى أهل رعاش كلهم... أما بعد، فإنكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم بعد...)، انظر نص الكتاب كاملاً: ابن سلام، أبوعبيد القاسم. كتاب الأموال، مرجع سابق، ١٤٥؛ الهمداني، الحسن بن أحمد. صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ٣١٨، حاشية (١).

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٤، ١١٠؛ البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، ٧٧، ٧٨؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٩٢، ١٩٣، ويذكر أحد المصادر أن يهود نجران خرجوا معهم يوم ذهبوا إلى الشام والعراق، وكانوا كالأتباع لهم. البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧.

(٤) يعقوب إبراهيم أبويوسف، كتاب الخراج، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٨٢هـ)، ٧٤؛ ابن سلام، أبو عبيد القاسم. كتاب الأموال، مرجع سابق، ٢٧٤، البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧؛ المسري، حسين علي. "نجران ودورها السياسي والاقتصادي"، مجلة المؤرخ المصري، مرجع سابق،٧٣، ٧٤.

(٥) ابن سعد، محمد البصري. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ ١، ٣٥٨؛ البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧، ابن سلام، أبوعبيد القاسم . كتاب الأموال، مرجع سابق، ٢٧٤؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق السياسية، مرجع سابق، ١٩٣- ١٩٤.

(٦) المرجع السابق.

وهناك رأي آخر في سبب إجلائهم من نجران يرويه لنا البلاذري، إذ يذكر أن نصارى نجران قد تزايدت أعدادهم، وضاقت عليهم المدينة حيث بلغ تعدادهم قريباً من أربعين ألفاً وشاع بينهم التباغض والتحاسد، فرفعوا أمرهم إلى عمرٍ وطلبوا منه أن يجليهم من بلادهم، فاغتنم عمر هذه الفرصة، ولا سيما أنه كان متخوفاً منهم على المسلمين بنجران وما حولها من البلدان فلبى طلبهم وأخرجهم إلى الشام والعراق، وبعد ذلك ندموا على ما فعلوا، فعادوا إلى عمر يسألونه أن يلغي قرار الإجلاء ولكنه رفض وأصر على إجلائهم(١).

وفي اعتقادنا أن الرأي الأول هو الأصح في سبب إجلائهم، ولأنهم قد أعطوا العهود على أنفسهم، والتزموا بعدم نقضها، ولكن عندما نقضوها وجدها الخليفة عمر فرصة لإخراجهم، تقيداً بوصية الرسول ﷺ "لا يبقين دينان في ارض العرب"(٢). ومن يدقق النظر في هذا الحديث يجد أن عمر بن الخطاب لم يخرج في عهده من الجزيرة العربية إلا نصارى نجران، ويهود خيبر، في حين أنه كان في بلاد اليمن، وهجر، واليمامة، وأرض البحرين، بعض النصارى، واليهود، وأيضاً المجوس، حيث كانوا يعيشون في هدوء وسكينة تحت حماية دولة الإسلام، كذلك لم يتعرض أبوبكر من قبله لتلك العناصر غير المسلمة، وإنما جدد العهد لنصارى نجران حيث لم يجد كل منهما الفرصة لتنفيذ حديث رسول الله ﷺ فيخرجون أصحاب جميع الديانات الأخرى غير المسلمة من جزيرة العرب.

"وكان لنصارى نجران في مسألة إجلائهم من بلادهم على يد الخليفة عمر الخطاب أقوال وآراء يغلب عليها الطابع الغيبي، فيذكر ابن سعد أنهم زعموا، كما ورد في كتبهم، أن الذي يخرجهم من أرضهم في نجران رجل بفخذه شامة سوداء، وقد شاهدوا تلك الشامة بفخذ عمر بن الخطاب عندما ركب فرساً فانكشف ثوبه عن فخذه، فقالوا "هذا الذي نجد في كتبنا أنه يخرجنا من أرضنا"(٣).

وفي اعتقادي أن بعض أولئك النصارى الذين أجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب من بلاد نجران إلى الشام والعراق، قد عاد بعضهم إلى أرض نجران، ربما في زمن الدولتين: الأموية والعباسية، وبخاصة أثناء انغماس العالم الإسلامي في كثير من الحروب والصراعات الداخلية والخارجية خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة (الثامن والتاسع للميلاد)، ومما يؤكد هذا القول، ما ورد في المصادر عند الحديث عن قدوم الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين إلى اليمن في أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، واستقراره في صعدة وإشارتها إلى أنه بدأ يوسع دائرة نفوذه شمالاً فاصطدم بسكان نجران ودخل معهم في حروب طاحنة، وكما تشير المصادر فإن أغلب سكان نجران آنذاك كانوا مسلمين فيما

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٨.

(٢) المرجع السابق، ٧٧.

(٣) ابن سعد، محمد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ٣، ٣٦٢.

عدا فريق منهم كان لا يزال يدين بالنصرانية، وقد عقد معهم عهداً يضمن لهم البقاء في نجران وأن لهم ما تحت أيديهم من العقار والأملاك على أن يدفعوا على ذلك ضريبة[١].

رابعاً - العهدان الأموي والعباسي وما بعدهما :

١- الوضع السياسي بعد العهد الراشدي حتى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي :

ساد الاضطراب شبه الجزيرة العربية بعامة، وبلاد نجران بخاصة بعد انتهاء عصر الخلفاء الراشدين، وأهمل ذكرها في طيات المصادر، واستمر ذلك الإهمال والنسيان خلال العصر الإسلامي الوسيط، ولعل ذلك يرجع إلى عدد من الأسباب يأتي في مقدمتها انتقال حاضرة الخلافة الإسلامية، ومركز الثقل السياسي والزعامة من الحجاز إلى خارجه، أي من المدينة المنورة إلى خارج شبه الجزيرة العربية، حيث انتقلت العاصمة أولا إلى دمشق ببلاد الشام ثم إلى بلاد العراق، وقد أدى انتقال السلطة المركزية، والزعامة السياسية، لخارج الجزيرة العربية، إلى ظهور عدد من المشكلات والعقبات السياسية التي كان لها انعكاسها على النواحي الحضارية، نذكر منها:

تقلص الدور السياسي لشبه الجزيرة العربية التي تحولت أجزاؤها جميعها إلى مجرد ولاية عادية ضمن ولايات الدولة الإسلامية، بعد أن كانت مقراً للسلطة المركزية في عصري الرسالة والخلافة الراشدة، ولم تعد تشكل أهمية عند خلفاء بني أمية وبني العباس، فيما عدا حواضر الحجاز الكبرى، التي ظلت لها مكانتها الدينية والسياسية في هذين العصرين لكونهما (مكة المكرمة والمدينة المنورة) مقرين للحرمين الشريفين بما لهما من مكانة مقدسة في نفوس المسلمين، كما أن السيطرة عليهما، والقيام على خدمتهما وإسباغ الحماية عليهما، تحوز الرضا والتأييد السياسي والروحي من عامة المسلمين وخاصتهم، فترتفع بذلك مكانتهم، وبالتالي تتحقق المكاسب السياسية لأولئك الساسة لكونهم رعاة المقدسات.

أما أجزاء شبه الجزيرة العربية الأخرى خلاف مدن الحجاز المقدسة، فقد أصبحت منذ عصري بني أمية وبني العباس، وعلى مر القرون الإسلامية الوسيطة، هامشية تحت مظلة تلك الحكومات، فلم تعد لها الأهمية نفسها والقدر الذي كانت عليه في عصري الرسالة والخلفاء الراشدين، وذلك يعود -في رأينا- إلى البعد الجغرافي لمعظم أجزاء الجزيرة العربية عن الحاضرة السياسية للدولة الإسلامية ويرجع -أحياناً- إلى صعوبة التضاريس، ما أثر على سهولة الاتصالات فيما بين تلك البقاع والعاصمة، وهذان السببان نلاحظهما في بلاد اليمن ونجد والسروات التي تعد نجران جزءاً منها.

(١) وللمزيد من التفصيلات عن علاقة الهادي إلى الحق بنصارى نجران، انظر: علي بن محمد بن عبيد الله العباسي، سيرة الهادي إلى الحق، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت:١٩٨١م)، ١٠١؛ البلادي، عاتق. بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهدات، مرجع سابق، ٢٤١ - ٢٤٧.

وإذا ما سعينا لتقديم دراسة تاريخية حضارية لبلاد نجران خلال هذه الفترة، فإننا نجد أن الأمر يزداد غموضا، لأن العقبات المذكورة أعلاه تكاد تشمل أغلب نواحي شبه الجزيرة العربية، باستثناء بلاد الحجاز إلى حدٍّ ما، فإذا تطرقنا لمحاولة تقديم دراسة عن تاريخ منطقة صغيرة من شبه الجزيرة العربية مثل نجران وما شابهها، فإننا نقابل بصمت المصادر -تقريبا- عن إفادتنا بأي شيء حيال هذا الأمر، فالعلماء وأرباب القلم لا يذهبون -دائما وأبدا- إلا إلى المواطن التي يجدون فيها الدعم والرعاية، حيث تصنع الأحداث السياسية، ويقيم الحكام، ويزداد الثراء الحضاري، وهذا لا يتوافر إلا في الحواضر الكبرى، فتوافدوا على بلاط خلفاء بني أمية وبني العباس، ليكونوا قريبين من الأحداث وصنع القرار، فتركز اهتمامهم على التأريخ للدول وشخصيات الحكام دون الاهتمام بالتأريخ لموضوعات متخصصة إلا في القليل النادر، وإن دونوا شيئاً في مصنفاتهم عن تاريخ وأدب وحضارة بلاد بعيدة عن مواطنهم ومواقع استقرارهم مثل بلاد نجران، فذلك لا يكون إلا اعتماداً على الرواية الشفهية، أو بالاطلاع على بعض المصادر المحلية لتلك الأوطان وغالباً ما تكون هذه المصادر نادرة أو معدومة، وتزداد الأمور صعوبة على الباحث إذا ما تطرق إلى الدراسات الحضارية حيث يصادف ندرة في المعلومات التي تتصل بعدد من جوانب الموضوع، لتركيز المؤرخين في كتاباتهم على التاريخ السياسي، الأمر الذي جعل الجوانب الحضارية والاهتمام بها يضيع في زحام الصراعات السياسية، فقد يقرأ الباحث دراسات عديدة دون أن يتوصل إلى نص واحد يتناول مظهراً من مظاهر التاريخ الحضاري لمنطقة ما.

فعلى سبيل المثال إذا طالعنا المصادر الإسلامية على اختلافها من تاريخية وجغرافية وأدبية لنرى ما دونته عن نجران في العصرين الأموي والعباسي، فإننا نكاد لا نظفر بطائل، حيث اعتراها الإهمال، ومَرّ المصنفون عليها وعلى ما جرى فيها من وقائع وأحداث، دون أن يتناولوها سواء بإيجاز أو بتفصيل، فإذا حاولنا معرفة طبيعة النظام الإداري هناك، فإن المصادر لا تمدّنا بمعلومات واضحة أو صريحة عن ذلك، فكل ما أشارت إليه في هذا الصدد ذكر أسماء الولاة المعينين من قبل خلفاء بني أمية، وكذلك بني العباس على الحجاز أو اليمن أو البحرين دون أن تفصل لنا ماهية الأوضاع الإدارية في تلك الأجزاء الصغيرة [1].

أما بالنسبة ما يخص نجران ـ موضوع هذا البحث ـ فقد تعدى عدم الاهتمام بذكرها، وإهمال وقائعها في بطون المصادر للتاريخ الحضاري، ليشمل تاريخها السياسي

(١) تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: لجنة من العلماء، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، جـ٢، ١٦٦، ١٦٧؛ صالح أحمد العلي، (إدارة الحجاز في العصور الإسلامية الأولى)، مجلة أبحاث، س ٢١، جـ١، ٢، (١٩٦٨م)، ٣ـ٥٧.

Hugh. Kennedy , ((Centeral government and Provincial elites in the early Abbasid Caliphate)) Bulletin of the School of Oriental and African Studies , 44 (1981) , 26 – 38, S.B. Samadi "Some Aspects of the theory of State and Administration Under the Abbasids " Islamic culture , 29 (1955) ,120 – 150 , Elie Salem, " Muslim Administration " Islamic Culture 33 , (1959),19 – 30.

أيضـاً، فبدءاً من العصـر الأموي لا نكاد نجد في طيات المصـادر على اختلافها وتنوعها ما يشـفي غليل الباحث من المعلومات المتصـلة بهذا الإقليم ودوره السياسـي والحضاري، وكل مـا نعثر عليه لا يزيد على شـذرات متناثرة وأغلبها يعالج موضـوع الثورات وحركات العصـيان السياسي التي شهدتها أرجاء شبه الجزيرة العربية على وجه العموم، والمناطق الغربية والجنوبية الغربية منها بخاصـة ونعني بها الحجاز واليمن، التي تأتي نجران وما يجاورها ضـمنها، وبالتالي يمكننا أن نرجح أنه قد سـاد هذه المنطقة ما سـاد غيرها من مدن الحجاز الكبرى وحواضرها من فتن سياسية، وتأثرت بها [١].

ونجد بعض الولاة العباسـيين وعناصـر أخرى غير علوية أثارت بعض الاضـطرابات السياسـية في بـلاد الحجـاز واليمن، فقد عـزل الخليفـة المأمون حمدويه بن عيسـى بن ماهان عن بلاد اليمن، واسـتناب عنه في حكمه عيسـى بن يزيد الجلودي[٢]، ولما علم ابن ماهان بمقدم الجلودي إلى اليمن رغب في صـده عنها والاسـتقلال بهـا، فأعد العدة لمنع الجلودي من دخولها، ولكن الجلودي هزم جيش ابن ماهان واستولى على نجران وصعدة، ودخل صـنعاء وقبض على ابن ماهان وسـجنه وسـيطر على البلاد، وعهـد إلى عمال من قبلـه بحكم مخاليف اليمن، ومن بينها نجران، ثم عاد إلى العراق مروراً بالحجاز، وترك على ولاية اليمن إبراهيم الإفريقي الشـيباني[٣]، ولكن الاضـطرابات عادت من جديد في نجران وتهامة اليمن، وبشكل هدد استقرار الأمور هناك، الأمر الذي دفع الخليفة المأمون العباسـي للتفكير في فصـل نجران وتهامة اليمن عن نجدها، ووضـع والٍ مسـتقل عليها، يضـبط أمورها، وينشـر الأمن والاسـتقرار في ربوعها، فوجد ضالته في أحد قواده ويدعى محمـد بن عبد الله بن زياد فعهد إليه بولاية نجـران وتهامة وما يتبعها [٤] لتبدأ منذ تلك الفترة النزعة الانفصـالية تسري في أنحاء شـبه الجزيرة العربية، فبعد أن ظلت المنطقة المذكورة طوال عهد الرسـالة والخلافة الأموية حتى أوائل القرن الثالث الهجري (التاسـع الميـلادي)، تابعـة بالكليـة للخلافـة الإسـلامية التي عمـدت إلى تقسـيمها إلى عدد من الولايات ليسـهل الإمسـاك بزمامها مثل: الحجاز، واليمن، واليمامة، والبحرين، نجدها منذ السنوات الأولى من القرن الثالث حتى العاشر الهجريين (التاسع حتى السادس عشر الميلاديين)، تتأثر بالنزعة الاسـتقلالية التي سـرت في غالبية أصـقاع العالم الإسـلامي المترامية الأطراف الذي صـعب على الخلافة العباسـية أن تسيطر سيطرة مركزية عليه، فبدأت تسـمح بظهور دويلات مستقلة عنها سياسـياً، وتابعة لها اسمياً وروحياً، وإن كانت بعض الزعامات المحلية قد انتهزت فرصـة الضـعف الذي أصاب نظام الخلافة العباسـي في عصـره الثاني، وما صـاحبه من تردي شخصيات الخلافة، فاسـتقلوا سياسياً وإدارياً

(١) لمزيد من التفصيلات، وانظرابن جريس، نجران، جـ١، ص ١٠١ وما بعدها .

(٢) اليعقوبي، أحمد. تاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٤٤٨، ٤٤٩؛ الخزرجي، علي. الكفاية، مرجع سابق، ٩٩.

(٣) اليعقوبي، أحمد. تاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٤٤٩.

(٤) الجرافي، عبدالله عبدالكريم. المقتطف من تاريخ اليمن، مرجع سـابق، ١٠٥، ١٠٦؛ شـرف الدين،أحمد حسـين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ١٨٨ وما بعدها.

وبشـكل كامل عن العباسـيين. وعلى أي حال فقد تأثرت نجران، بل عموم أجزاء الجزيرة العربية بكل تلك التيارات السياسـية، فنشـأت بها دولة بني زياد ـ كما أسلفنا ـ في نجران وتهامة اليمن وما تبعها بدءاً من عام ٢٠٣هـ (٨١٨م) وهي أول دولة مسـتقلة تنشـأ هناك بعد انفصـال بعض بلاد اليمن عن الحكم العباسـي[١]، وتلتها الدولة اليعفرية في صنعاء عام ٢٢٥هـ (٨٣٩م)[٢]، ثم الدولة الزيدية في صـعدة عام ٢٨٤هـ (٨٩٧م)[٣]، ثم الدعوة الإسـماعيلية الأولى وكان علي بن الفضـل القرمطي الحميري، ومنصور بن حسن الكوفي هما اللذان قدما إلى اليمن بهدف نشر المذهب الإسماعيلي هناك[٤].

٢- أحوال نجران السياسية منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي :

ورغـم سـريان النزعة الانفصـالية في الجـزء الجنوبـي الغربي من شـبه الجزيرة العربيـة،إلا أن الأمور لم تهدأ، ولم تسـتقر أحوال تلك الدول الوليـدة، بل تتابعت حركات

---

(١) تذكـر المصـادر أنه في عـام ٢٠٣هـ (٨١٨م) شـق أهل نجران وتهامة اليمن عصـا الطاعة علـى الخليفة المأمون ١٩٨-٢١٨هـ (٨١٣-٨٣٣م)، فبعـث إليهـم الأمير محمد بـن عبدالله بن زياد وقلده أعمال تلـك البلاد لكي يؤدب العصـاة، فذهب ابن زياد واسـتطاع القضـاء على المتمردين هناك ثم طمع في الاسـتقلال بتلك النواحي، واختط مدينة زبيد وأسـس دويلة سـميت (الدولة الزيادية) اسـتمرت في عقبه مدة قرنين، وتم القضاء، عليها عام ٤٠٢هـ (١٠١١م) على يد بني نجاح. وللمزيد انظر: الجرافي، عبدالله بن عبدالكريم. المقتطف، مرجع سابق، ١٠٥، ١٠٦؛ الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف. اليمن في ظل الإسلام، مرجع سابق، ٨١-٨٩؛ شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ١٨٨، ١٨٩.

(٢) دولة بني يعفر تعد ثاني دولة نشأت في اليمن واتخذت بلدة شبام، ثم صنعاء مقراً لها، ومؤسسها إبراهيم بن يعفر الحوالي الحميري، وقد اسـتمرت هذه الدويلة تحكم صـنعاء وما جاورها من البلدان إلى عام ٣٩٣ هـ (١٠٠٢م)، وللمزيد انظر: الخزرجي، علي. الكفاية، مرجع سابق، ١٠٤ وما بعدها، ١٦٦-١٦٨؛ الجرافي، عبدالله عبدالكريم. المقتطف،مرجع سابق، ١٠٧، ١٠٨، الفقي،عصام الدين،اليمن في ظل الإسلام،مرجع سابق،٩٠-٩٧.

(٣) هـذه الدولـة نسـبة إلى زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسـين بن علي بـن أبي طالب، أنشـأها الإمام الهادي يحيى بن الحسـين بن القاسـم عام ٢٨٤هـ (٨٩٧م) الذي كان يعيش بالمدينة المنورة، ثم ترك محل إقامته وذهب إلى صـعدة فبويع إماماً بها على المذهب الزيدي الذي لا يزال المذهب الغالب على أهل اليمن، وقد اسـتطاع الإمام الهادي مد نفوذه إلى صنعاء وإلى عدة مواطن من بلاد اليمن، وخلفه عدد من الأئمة استمروا في حكم البلاد إلى القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، عندما تحولت الدولة إلى جمهورية، وللمزيد انظر: شرف الدين، أحمد حسـين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سـابق، ٢٤٥-٢٦٢؛ الفقي، عصـام الدين . اليمن في ظل الإسلام،مرجع سابق، ص ٣٧٨ وما بعدها.

(٤) الإسـماعيلية هي الباطنية نسـبة إلى إسـماعيل الإمام، ويعتقدون اختفاءه وأنه المهدي المنتظر الذي لا بد أن يظهر يوماً ما وحلول الذات الإلهية فيه، وأن القرآن يمكن تفسـيره عن طريق المجاز، وأن الحقيقة الدينية تفسـر بالمعنى الذي هو مقصـود في المعنى الظاهر. وبداية هذه الدولة أن علي بن الفضـل، ومنصـور بن حسن قد أرسلا في عام ٢٩١ هـ (٩٠٣م) من قبل عبدالله المهدي لنشر المذهب الإسماعيلي في اليمن، وقد خرجا حتى وصلا إلى اليمن، ثم افترقا، وبدأ كل واحد منهما يبذل جهده لنشـر هذا المذهب، لكن علي بن الفضـل ضل عن الخطوط العامة لمذهب الإسـماعيلية واتبع مذهب القرامطة الذي هو أشـد من مذهب الإسـماعيلية، وقد جمع من حوله أعداداً كبيرة ثم عاث في الأرض فساداً بعد أن هاجم عدداً من مدن اليمن، ولكن أمراء الدولة اليعفرية تصدوا لـه حتى تم القضاء عليه عام ٣٠٣هـ (٩١٥م) وبالتالي تمت ملاحقة من كان يعتقد بمذهب القرامطة والإسماعيلية حتى جاء علي بن محمد الصـليحي عام ٤٣٧ هـ (١٠٤٥م) فأعاد مذهب الدعوة الإسـماعيلية تحت مظلة الدولة الصليحية. انظر: الجرافي، عبدالله بن عبد الكريم، المقتطف، مرجع سـابق، ١١١-١١٤؛ عبدالواسـع بن يحيى الواسعي بن يحيى، تاريـخ اليمـن المسـمى فرجة الهموم والحزن في حـوادث وتاريخ اليمن،(صـنعاء: الدار اليمنية للنشـر والتوزيع، ١٤١٤هـ/ ١٩٨٤م)، ١٦٩-١٧١، شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ص ١٩٧، ١٩٨.

التمرد والعصيان، وشاعت الحروب، فبعد ظهور الإمام الهادي يحيى بن الحسين في صعدة عام ٢٨٤هـ (٨٩٧م) وتأسيس دولته الزيدية نجده، ومن جاء بعده من الأئمة الزيدية، يسعون إلى مد نفوذهم إلى صنعاء جنوباً، ونجران شمالاً، وقد وجدوا في بعض النجرانيين من يعضدهم، ويقف إلى جانبهم ويسهل لهم مهمة السيطرة على بلاد نجران، ومنذ ذلك الوقت وعلى مر العصور الإسلامية الوسيطة تزايد اهتمام دولة الأئمة الزيدية بمنطقة نجران، وسعى حكامها للسيطرة عليها ووضع الولاة من قبلهم ليتولوا أمرها، ولكنهم ما إن تنفر جيوشهم منها في طريقها إلى صعدة، حتى تقوم ثورات أهل نجران ضد ولاة الدولة الزيدية، وينجحون في إخراجهم وأنصارهم منها [١].

وهكذا ظلت الأمور في نجران طوال القرون الإسلامية الوسيطة: قلق واضطرابات وحروب داخلية بين الزيدية، وأهل نجران، ورغم طول المدة وتعدد الحروب والثورات والصراعات بين الأئمة الزيدية وأتباعهم ضد أهل نجران، وإحراز الزيديين عدداً من الانتصارات ضدهم، الاّ أنهم لم يستطيعوا ترسيخ مبادئهم ومذهبهم الزيدي فيها، حيث بقي معظم سكان نجران على المذهب السني الشافعي الذي كانوا عليه من قبل، واستمروا كذلك خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة [٢].

إن ما أشرنا إليه من فتن سياسية وثورات في هذه الدراسة[٣]، كان محلها بلاد اليمن أو الحجاز ضد خلفاء بني أمية أو بني العباس، ثم ظهور الدويلات المستقلة، وما تبع ذلك من اضطرابات، ليست إلا نماذج مختصرة، لنطلع القارئ الكريم على وضع شبه الجزيرة العربية بعد خروج حاضرة الخلافة الإسلامية منها، وبعد أن صارت أجزاؤها ضمن ولايات الدولة الإسلامية التي كانت عاصمتها دمشق في بلاد الشام، ثم بغداد في أرض العراق، وبالتالي فإن عامل البعد للحكومة المركزية جعل السيطرة على أجزاء شبه الجزيرة العربية مثل : الحجاز، وبلاد السراة، ونجران، واليمن وغيرها ضعيفاً، ولم يعد الخلفاء قادرين على السيطرة وقمع أي ثورة تقوم في أي جزء من أجزاء الجزيرة العربية بسهولة ويسر وفي فترة زمنية وجيزة مقارنة بعصري الرسالة والخلافة الراشدة، ولكن عصر بني أمية والقرن الأول من عصر بني العباس كانا أفضل حالاً من القرون التالية لذلك، فكان الخليفة يتمتع بالشخصية القوية الحازمة والقادرة على إرسال ولاة من قبله

---

(١) للمزيد من التفصيلات انظر، اسحاق بن يحيى الصنعاني . تاريخ صنعاء، تحقيق : عبد الله الحبشي، (صنعاء : مكتبة السنحاني، د. ت) ٦٦، ٧٤، ٨٣، ١٠٤ وما بعدها، سليمان بن يحيى الثقفي . سيرة الإمام أحمد بن سليمان (٥٣٢ — ٥٦٦)، تحقيق عبد الغني عبد العاطي (القاهرة : عين للدراسات والبحوث، ٢٠٠٢م)، ٢٥، ٤٠ — ٤٤، ٦٠ وما بعدها، أبو فراس بن دعثم . السيرة الشريفة المنصورة (سيرة الإمام عبد الله بن حمزة ٥٩٣ — ٦١٤ هـ)، تحقيق: عبد الغني عبد العاطي (بيروت: دار الفكر، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) . جـ١، ٣٣ وما بعدها . جـ٢، ٥٠٤ وما بعدها .

(٢) للمزيد عن تاريخ الأئمة الزيدية في صعدة وما حولها، انظر: العلوي، علي بن محمد العباسي. سيرة الهادي إلى الحق، مرجع سابق، ٧٢ وما بعدها؛ الواسعي، عبد الواسع بن يحيى. تاريخ اليمن، مرجع سابق، ١٧٩ ـ ١٨١، الجرافي، عبدالله بن عبدالكريم. المقتطف، مرجع سابق، ١٦٥، شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ٢٤٥ وما بعدها.

(٣) للمزيد انظر صفحات سابقة في هذه الدراسة، وكذلك الدراسة الرابعة في هذا الكتاب.

إلى كل من الحجاز واليمن وغيرهما ، بل كانت عنده القدرة على تأديب من يخرج عما رُسم له من قِبل الخليفة وعزله، ولكن منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) نجد معظم بلاد الجَزيرة العربية تخرج عن سلطة الخلافة العباسية في العراق، بل يظهر من لديهم أطماع لتكوين سلطات لهم في جزيرة العرب كما حدث مع دولة آل يعفر وغيرها في بلاد اليمن.

وإذا حاولنا معرفة أوضاع الأجزاء الصغيرة في الجزيرة العربية مثل: نجران وما شابهها في فترة الضعف هذه، فإن الأوضاع تزداد غموضا عند مدوني التراث، فهم لا يذكرون تفصيلات عن تاريخها والأحداث التي مَرّت عليها، ولا نجد إلا شذرات يسيرة في بعض المدونات المحلية في بلاد اليمن والحجاز [١]، وحتى هذه فإن الغموض يكتنفها، ولعل هذا الإهمال والغموض يعود إلى انعدام السيطرة والسلطة المركزية في تلك الأصقاع وتمادي نفوذ القبائل وزعمائها، حتى صاروا هم العناصر المسيطرة والمسيرة لمعظم الأحداث في الجزيرة العربية، ويؤكد ذلك الرحالة ابن المجاور، من أهل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) في حديثه عن أهل نجران وغيرهم من أهل البلاد الممتدة من صنعاء جنوباً إلى مكة المكرمة شمالاً، فيقول: " يحكم على كل قرية [عندهم] شيخ من مشايخها كبير القدر والسن، ذو عقل وفطنة، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولم يخالفه أحد فيما يشير به عليهم ويحكم فيهم... " [٢].

وهكذا كانت القبيلة تمثل قمة الهرم الإداري والسياسي المحلي عند نجران وغيرها من بلدان شبه الجزيرة العربية خلال العصر الإسلامي الوسيط، وقد استمرت الحياة الإدارية بهذه الصورة عند القبائل والعشائر البعيدة عن السلطة الإدارية التابعة للخلافة والموجودة في بعض مدن وحواضر شبه الجزيرة العربية.

وإن ظهرت دويلات هنا وهناك، فإنها لم تكن تجد الولاء المطلق من القبائل المتناثرة في بلاد نجران وغيرها، وإن انضمت بعض القبائل لبعض تلك الدويلات التي ظهرت فإن هذا الانضمام يكون بشكل مؤقت ولمصلحة ذاتية تعود على القبيلة والعشيرة وزعمائها، وأحياناً تدخل بعض القبائل والعشائر تحت سلطة حكومة أو دويلة معينة بأسلوب القوة والجبر ولهدف تقوية جانبها ضد أعداء آخرين يهددون كيانها واستقلالها. وبالتالي فالمؤرخون ومدونو التراث لا يهتمون بتلك الأحداث المحلية اليسيرة، فهم قد ركزوا جل اهتمامهم على ما يجري في بلاط القوى السياسية الكبرى في العراق وفارس ومصر والشام، وغيرها من الحواضر الإسلامية بزخمها الحضاري والسياسي، تاركين الاهتمام بهذه المناطق الصغيرة ليعتورها الإهمال والنسيان .

(١) الثقفي، سليمان بن يحيى . سيرة الإمام أحمد بن سليمان، مرجع سابق، ٣٢، ٤٠ وما بعدها، ابن دعثم، أبو فراس. الإمام عبد الله بن حمزة، مرجع سابق، جـ١، ٦٤، ٢٠٥، ٤٠١، جـ٢، ٥٢٨، ٧٩٨ – ٨٠٠، ٩٠٦، ٩٤٢ .

(٢) ابن المجاور، جمال الدين، صفة بلاد اليمن ومكة، مرجع سابق، جـ ١، ٢٦.



الدراســـة الرابعـــة

تاريخ نجران الاقتصادي خلال القرن الهجري الأول (السابع الميلادي)

بقلم : أ. فاطمة ضيف الله حسين العبدلي



الدراسة الرابعة: تاريخ نجران الاقتصادي خلال القرن الهجري الأول (السابع الميلادي). بقلم. أ. فاطمة ضيف الله حسين العبدلي[1]

---

(١) الأستاذة فاطمة العبدلي من مواليد قرية القصبة بالعبادل بمنطقة جازان عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م). درست مرحلة البكالوريوس في قسم التاريخ، كلية التربية بأبها، وتخرجت فيها عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) وحصلت على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي من جامعة الملك خالد بأبها عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م). وتعمل معلمة في التعليم العام بمدينة خميس مشيط. ولديها العديد من الدورات التدريبية، وشهادات الشكر والتقدير. (ابن جريس).

أولاً : مقدمة : [(١)]

إن بلاد نجران من الحواضر الرئيسية في شبه الجزيرة العربية، وتاريخها قبل الإسلام وبعده حافل بالأحداث السياسية والحضارية. وهذا البحث هو أساسا رسالة ماجستير للأستاذة فاطمة بنت ضيف الله بن حسين العبدلي [(٢)] . ورغبت نشرها في سلسلة **كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب**، لمؤلفه وصاحبه الأستاذ الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس . وهذا البحث بين أيدي القراء الكرام، ومن أراد الاطلاع على الرسالة كاملة فهي موجودة ورقيا في مكتبة جامعة الملك خالد المركزية أو رقميا في مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية [(٣)].

وأكرر شكري لطالبتنا الأستاذة / فاطمة العبدلي التي أتاحت لنا جميعاً الاطلاع على بحثها الموسوم بـ :**تاريخ نجران الاقتصادي خلال القرن الهجري الأول (السابع الميلادي)**. ونحن جميعا لا ندعي الكمال، وإنما نبذل قصارى جهودنا لخدمة ديننا وبلادنا وموروثنا الحضاري. وبلاد نجران (أرضا وسكانا) تستحق بذل المزيد وبخاصة في دراسة أوضاعها السياسية والإدارية والحضارية على مر العصور القديمة، والإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة، والمعاصرة [(٤)].

---

(١) هذه المقدمة من إعداد صاحب كتاب(القول المكتوب في تاريخ الجنوب). (ابن جريس) .

(٢) تقع الرسالة في (١٧٦) صفحة مقاس (A4) وتتكون من خمسة فصول رئيسية، هي:(١) العوامل المؤثرة في الحياة الاقتصادية، (٢) الزراعة والرعي.(٣) الصناعة. (٤) التجارة . (٥) أثر الحياة الاقتصادية في جوانب الحياة العامة. بالإضافة إلى مقدمة، وخاتمة، وملاحق لبعض الصور الفوتوغرافية والخرائط وغيرها، ثم قائمة المصادر والمراجع . وقد نشرنا معظم مادة الرسالة ماعدا الديباجات الموجودة في بداية الرسالة، والملاحق، وصفحات أخرى قليلة وغير مهمة .

(٣) عنوان الرسالة بعد مناقشتها وإقرارها الحياة الاقتصادية في نجران خلال القرن الأول الهجري(السابع الميلادي) . وكانت مناقشتها في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد في يوم الأربعاء (١٤٣٥/٢/٢٩هـ). وأعضاء لجنة المناقشة . أ. د. غيثان بن علي بن جريس مشرفاً ومقرراً والدكتورة حصة بنت عبد الرحمن الجبر مناقشاً خارجياً، والدكتور حسن بن يحيى الشوكاني مناقشاً داخلياً .

(٤) منطقة نجران من أقل بلدان شبه الجزيرة العربية في ميدان البحث العلمي. نعم هناك بعض الكتب، والرسائل، والبحوث العلمية المحدودة في علوم التاريخ، والآثار، والاجتماع، واللغة والأدب، وغيرها، لكنها لا تفي بالغرض ونتطلع إلى أن يصدر عنها بحوث علمية مطولة وموثقة في شتى الميادين المعرفية . وحقل الآثار والتاريخ في مقدمة المجالات العلمية التي تستحق الخدمة والتشجيع من الباحثين والمؤسسات العلمية الأكاديمية .

ثانياً: العوامل المؤثرة في الحياة الاقتصادية:

هناك عوامل عديدة أثرت إيجاباً أو سلباً في تاريخ نجران الاقتصادي، ومنها الطبيعية، والدينية، والسياسية والإدارية، والاجتماعية، ونذكر شيئاً من هذه العوامل في النقاط الآتية:

١. **تقع نجران[١] في جنوب شبه الجزيرة العربية**، في القسم الجبلي الذي اصطلح على تسميته بمنطقة السروات الجبلية، وتحيط بها الجبال من ثلاث جهات، وتحدها صحراء الربع الخالي من الشرق، حيث تنتهي مسايل أوديتها، ويخترقها من وسطها وادي نجران[٢]. ومدينة نجران قريبة من عدة مدن يمنية مثل: صنعاء، وصعدة، وأجزاء من بلاد اليمن جنوباً. وبلاد اليمامة (نجد). وأجزاء من مخلاف[٣]. جرش (عسير) شمالاً، البحرين وهجر (المنطقة الشرقية) والفلاة (الربع الخالي) شرقاً[٤]، فهي تقع على الطريق التجاري الذي يربط بين جنوب شبه الجزيرة وشمالها الشرقي، حيث كانت القوافل تبدأ من ممالك سبأ، ومعين وقتبان، وحضرموت، وحمير، متجهة إلى نجران ومنها إلى قرية الفاو[٥]، ثم إلى الأفلاج[٦]، فاليمامة[٧]، ثم تتجه شرقاً إلى الخليج وشمالاً إلى وادي الرافدين وبلاد الشام؛ فهي بذلك تعد مركزاً تجارياً واقتصادياً مهماً في شبه الجزيرة العربية[٨]، قال فيها أحد الباحثين: "وعند ظهور الإسلام تحولت التجارة إلى شرقي مأرب، بطريق يوصل مباشرة بين شبوة ونجران؛ لهذا فإن الازدهار الاقتصادي في اليمن، تحول إلى مدينة نجران"[٩]، فكانت نجران حلقة وصل بين العربية

---

(١) سميت نجران بهذا الاسم نسبة إلى نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان؛ لأنه كان أول من عمرها ونزلها، ويمكن أن يستخدم هذا المصطلح نفسه للدلالة على المكان ووادي نجران على حد سواء. انظر: البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، (مطبعة لجنة البيان العربي. القاهرة، د.ت) ج١، ص٧٩؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، (دار صادر. بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج٥، ص٢٦٦؛ الحميري، محمد عبدالمنعم، الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (مؤسسة ناصر للثقافة. دار السراج. بيروت، ط٢، ١٩٨٠م)، ج١، ص ٥٧٣.

(٢) العمري، هادي صالح، طريق البخور القديم من نجران إلى البتراء وآثار اليمن الاقتصادية عليه، (دار الكتب. صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ٥٧.

(٣) المخلاف الكورة ولكل مخلاف اسم يعرف به، انظر: ابن منظور جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب، (دار صادر. بيروت، ط١، د. ت)، ج٩، ص ٨٢.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) تقع قرية الفاو شمال شرق نجران، في المنطقة التي يتداخل فيها وادي الدواسر ويتقاطع مع جبال طويق، عند فوهة مجرى قناة تسمى بالفاو؛ ومن هنا جاءت نسبتها حديثاً إلى الفاو. تعريفاً بها وتمييزاً لها عن باقي القرى المجاورة، انظر: الأنصاري، عبدالرحمن الطيب، قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، (جامعة الرياض. ١٣٧٧هـ. ١٤٠٢هـ)، ص ١٦.

(٦) الأفلاج: قرية عظيمة من ناحية اليمامة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٢٧١، ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص ٣٤٦.

(٧) اليمامة من نجد، وقاعدتها حجر، وتسمى اليمامة: جوا، والعروض بفتح العين، وكان اسمها قديماً جوا، وسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم. ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٤٤٢.

(٨) الأنصاري، قرية الفاو، ص ١٦.

(٩) الحديثي، نزار عبد اللطيف، أهل اليمن في صدر الإسلام دورهم واستقرارهم في الأمصار، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت، د. ت)، ص ٢٠٧.

الشمالية، والعربية الجنوبية، كما تلتقي عندها الطريق القادمة من الحجاز بالطريق القادمة من اليمامة، والعراق [١]، وموقع نجران، أكسبها شهرة وأهمية خاصة على مر العصور، فقد ذكرها ابن حوقل بقوله : "ونجران وجُرش مدينتان متقاربتان في الكبر، ويشتملان على أحياء من اليمن كثيرة" [٢].

٢ـ تنقسم تضاريس نجران إلى ثلاثة أقسام: المنطقة السهلية : وتقع وسط نجران على الضفتين الغربية والشرقية لوادي نجران، وهي مجموعة من القرى القديمة، ذات المياه الوفيرة، تنتشر بها مزارع النخيل[٣]، وتضم العديد من الأودية، مثل: وادي نجران، ووادي حبونن[٤]، والواديان يسيران متوازيين تقريباً، وبُعد أحدهما عن الآخر في غالبٍ نقاطهما مسافة يوم للجمال المحملة، إلى أن يلتقي مع وادي نجران عند مصبهما معاً، في صحراء الربع الخالي[٥]، ومن الأودية الأخرى التي أسهمت في ثراء البلاد النجرانية وازدهار الزراعة بها: وادي العرض، الذي يصب في وادي نجران، فيزيد بذلك من كمية منسوب المياه به[٦].

والمنطقة الجبلية تحيط بنجران من ثلاث جهات رئيسية : الغرب والشمال والجنوب، ويتخللها أودية يصب معظمها في وادي نجران، وتنبت أشجار السدر بالإضافة إلى النباتات الجبلية، ويوجد بها مراعي خصبة، وصفها عرام السلمي[٧] بقوله : " وفي كل هذه الجبال نبات وشجر"، إلى قوله : " وفي هذه الجبال أوشَال[٨] عذاب وعيون" ، كما وصفها أبو الفداء[٩] قائلاً: "نجران بين عدن وحضرموت في جبال، ولها أشجار" ، وتتميز تلك المناطق باعتدال مناخها صيفاً، وحولها عدة قرى، مثل: بدر الجنوب، وحبونن، ويدمة، وثار، وهناك جبال تقع في أماكن

---

(١) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، (مكتبة النصر الحديثة ـ الرياض، ط٢، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ص ١٨٣؛ آل مريح، صالح بن محمد، نجران، سلسلة هذه بلادنا ٣٤، (الإدارة العامة للنشاطات الثقافية ـ الرياض، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص ٧١ـ٧٦ ؛ الهمداني، أبو الحسن بن أحمد، كتاب الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق محمد الأكوع، (مكتبة الإرشاد ـ صنعاء، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ج١، ص٦٥؛ ابن بنيه، سعيد عبد الله، تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، (دارة الملك عبدالعزيز ـ الرياض، ١٤٢٤هـ)، ص٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

(٢) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، كتاب صورة الأرض، القسم الأول، (مطبعة بريل ـ ليدن، ط٢، ١٩٣٨م)، ص٣٦.

(٣) الأنصاري، وآل مريح، نجران منطلق القوافل، ص ١١ .

(٤) انظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي، (مكتبة الإرشاد ـ صنعاء، ط١، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م)، ص٣٠٥ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٥١.

(٥) محمد الأكوع، اليمن الخضراء مهد الحضارة، (مكتبة الإرشاد ـ صنعاء، ط١، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م)، ص١٤٥ .

(٦) الهمداني، الصفة، ص ١٦٤، وانظر : البلادي، بين مكة وحضرموت، ص ١٩١ .

(٧) عرام، بن الأصبغ السلمي، أسماء جبال تهامة وسكانها، تحقيق: عبدالسلام هارون، (مكتبة الخانجي ـ مصر، ط١، د.ت)، ص ٤١٧ .

(٨) الوشل بالتحريك : الماء القليل من جبل أو صخرة، يقطر منه قليلاً قليلاً، لا يتصل قطره، ولا يكون ذلك إلا من أعلى الجبل، وهو ماء يخرج من بين الصخور، والجمع أوشال والوشل الماء الكثير ايضا. ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٧٢٥ .

(٩) أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل، كتاب تقويم البلدان، (دار صادر ـ بيروت، د. ت)، ص٩٣ .

متفرقة من نجران من أبرزها: جبال الكوكب[١]، وجبا القارة، وتقع إلى الشمال الغربي من وادي نجران، في حين تقع جبال العارض [٢] الجنوبية إلى الشرق من نجران، في الجزء الجنوبي الغربي من صحراء الربع الخالي [٣]، ومن أهم هذه المرتفعات الجبلية: جبل العِشة [٤]، وجبال أبو همدان ورعوم[٥] وجبل رير[٦]، والأحمر، وجبل صخا، والدريب، والنصال، وزكم، وجبيلات الشرفة، وجبل الخليف، وجبل الخضراء، وهذه الجبال تمتد من الجنوب الغربي إلى الجنوب الشرقي، أما من الشمال الشرقي فصامح [٧]، وجبل الصقور، ويريم أو جذيم، وجبل عكام، وغيرها[٨]. والمنطقة الصحراوية في نجران، تبدأ من حيث ينتهي وادي نجران، وتغطي منطقة واسعة، تمتد باتجاه الشرق [٩]، وتسمى المدلاء، تنبت الغضى [١٠]، والأرطى [١١] والأثل[١٢].

٣ـ يوجد في نجران موارد طبيعية، ساعدت على الاستقرار فيها، وعلى نهضة حياتها الاقتصادية في مجالات عدة، ومن أهم هذه الموارد: المياه، والنبات، والحيوان، والمعادن التي ذكرها الهمداني، وغيره من الجغرافيين المسلمين الأوائل، والدراسات الأثرية أثبتت وجود مناجم للمعادن في أجزاء متفرقة من نجران[١٣]. ويتحدث أبو الفداء

---

(١) كوكب على لفظ الواحد من الكواكب، وهو جبل في بلاد بني الحارث بن كعب. البكري، أبو عبيد عبدالله الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، (عالم الكتب ـ بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ)، ج٤، ص ١١٤٣.

(٢) العارض جبل وجهه يستقبل مغيب الشمس، وفيه أودية وشعاب، ويُعرف الآن باسم: جبال طويق، يمتد من جنوب القصيم، حتى يتصل برمال الربع الخالي شرق نجران، فيندفن طرفه فيها؛ فسمي بالمندفن، الأصفهاني، أبو علي الحسن بن عبدالله، بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر وصالح العلي، (دار اليمامة ـ الرياض، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ص٢٣١.

(٣) عبدالعزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص ٢٧.

(٤) يقع جبل العَشة في هضبة نجران، إلى الشمال من مدينة نجران، ويبلغ ارتفاعه ما بين (١٢٠٠و ١٨٠٠)، وتصب مياهه في وادي حبونا. انظر: الهمداني، الصفة، ص ٢٢٤؛ باسنبل، عبدالله بن سالم، زخارف فخار الأخدود بمنطقة نجران دراسة مقارنة، (مكتبة الملك فهد الوطنية ـ الرياض ١٤٣٠هـ)، ص٢١.

(٥) تمتد هذه الجبال من الجنوب الغربي إلى الجنوب الشرقي من نجران. انظر: باسنبل، عبدالله بن سالم، المرجع السابق، ص٢١.

(٦) رير جبل ضخم يقع جنوب وسط نجران، ويشرف على كل نجران. المرجع السابق، والصفحة نفسها.

(٧) يشرف على نجران من الشمال، المرجع السابق، ص٢٢.

(٨) المرجع السابق، ص ٢١، ٢٢.

(٩) عبدالعزيز منسى، آثار منطقة نجران، ص٢٨.

(١٠) الغَضَى شجر من الأثل، ينبت في المناطق الصحراوية، خشبه من أصلب الخشب وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ، واحدته غضاة. ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص١٢٨؛ وانظر: إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، إصدار: مجمع اللغة العربية، (القاهرة، ط١، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، ج٢، ص٦٥٥.

(١١) الأرطى نبات شجيري، من الفصيلة البطاطية، ينبت في الرمل، ويخرج من أصل واحد كالعصي، ورقه دقيق، وثمره كالعناب، الواحدة: أرطأة. انظر: إبراهيم مصطفى، المرجع السابق، ج١، ص١٤.

(١٢) الأثل شجر من الفصيل الطرفاوية، طويل مستقيم، يعمر، جيد الخشب، كثير الأغصان دقيق الورق، واحده أثلة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٧٧؛ إبراهيم مصطفى، المرجع نفسه، ج١، ص٦.

(١٣) الهمداني، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء، أعده حمد الجاسر للنشر، بإيضاح بعض غوامضه، وإعداد فهارسه، وإضافة بحث عن التعدين والمعادن في جزيرة العرب، (المطابع الأهلية للأوفست ـ الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ص ٨٦ـ٩٠؛ زاريس، يوريس، وآخرون، التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية، أطلال حولية الآثار العربية السعودية، ع٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، تصدر عن وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص ٣٣، ٣٤.

عن نجران فيقول: " أنها تقع بين قرى، ومدائن، وعمائر، ومياه[١] ويصفها الفاكهي قائلاً : "ونجران على عشرين يوماً من مكة، وهي أرض طيبة عذبه"[٢] والهمداني أفضل من وصف الموارد الطبيعية في نجران فقال : " وادي نجران وفروعه من ثلاث مناطق : من بلد حيف من وادعة[٣]، ومن بلد بني جماعة، ومن بلد شاكر "[٤]، وينحدر وادي نجران من الجبال الواقعة إلى الغرب، ويمتد باتجاه الشرق، ويبلغ طوله من أعلاه إلى أسفله نحو سبعة وعشرين ميلاً، ويبلغ معدل عرضه نحو ثلاثة أميال [٥]. وبشير أحد المؤرخين إلى طول وادي نجران بقوله : " وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع، وفيه ثلاث وسبعون قرية"[٦]، ويتسع الوادي تدريجياً، ليصب في الأطراف الغربية من صحراء الربع الخالي، وتركز السكان حوله، وعلى ضفتيه انتشرت القرى والمزارع والبساتين، وهي مناطق خصبة، تتوافر بها المياه الجوفية [٧]، ومن أبرز قراه : قرية الأخدود[٨]، وقرية رُعاش، وسكانها من يام، كانت مقراً لنصارى نجران، إلى أن أجلاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته [٩]. ومن عيون نجران بئر لبة[١٠]، ورحبة بئر عد[١١]، والغمارية مياه منها الجفر[١٢]، وعينا ذئب ماءان بنجران [١٣].

ويصف الأصمعي[١٤] الثروة النباتية في شبه الجزيرة العربية، وخصوصاً في منطقة السراة الممتدة من الطائف إلى نجران، فيقول: " ومن نبات جبال السراة : الشث [١٥]،

---

(١) أبو الفداء، كتاب تقويم البلدان، ص ٩٣ .

(٢) الفاكهي، محمد بن إسحاق، أخبار مكة، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، (دار خضر ـ بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ)، ج٥، ص١٠٧.

(٣) وادعة من ناحية نجد، ومن قراها بقعة، وعمران، وأعلى وادي نجران، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٧٠ .

(٤) شاكر : هو مخلاف باليمن عن يمين صنعاء، المصدر السابق، ج٣، ص٣١٠، الهمداني، الصفة، ص١٦٢ .

(٥) العمري، طريق البخور، ص ٥٧ .

(٦) البيهقي، أبو بكر أحمد، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، (دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج٥، ص ٣٨٦.

(٧) عبد العزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص ١٩ .

(٨) الأخدود: هو الشق المستطيل الغائص في الأرض.انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص١٦٠. وتمثل قرية الأخدود المدينة القديمة، التي كانت مكاناً للنمو والازدهار قبل الميلاد، انظر: AL- marih, Salih : "NAJRAN"، oP. cit,p365

(٩) البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص ٦٦٠ .

(١٠) تقع أسفل الجوف، وهي من موارد مياه بني الحارث بن كعب . الهمداني، الصفة، ص ٢٢٩ .

(١١) من موارد بني الحارث بن كعب : رحبة بئر عد، أي لا ينضب ماؤها، الهمداني، المصدر السابق، ص ص ٢٢٨، ٢٢٩ .

(١٢) الغُمارية من العيون التي تقع بين نجران والجوف، والجفر بالفتح ثم السكون وهي البئر الواسعة القعر. الهمداني، المصدر نفسه، ص ٢٢٩، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ١٤٦.

(١٣) الهمداني، المصدر السابق .

(١٤) الأصمعي، عبد الملك بن قريب، كتاب النبات، تحقيق: عبد الله يوسف الغنيم، (مطبعة المدني ـ القاهرة، ط١، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ص٣٦، ٣٧ .

(١٥) الشَّثُّ من شجر الجبال، وهو طيب الريح، مُرُّ الطعم . ابن منظور، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٥٨ .

والعرعـر، والطّباق[١]، والضـبر وهـو جوز الجبل، والمـظ، وهو رمان البر يُنـور ولا يعقد، والنحـل يأكل المظ ويجود العسـل عليـه .. والقان[٢]، والنشـم[٣]، والشـوحط[٤]، والنبع، والتألـب[٥]، والحمـاط[٦]، والحثيـل[٧]، والرنـف، وهـو بهرامج الـبر[٨]، والظيان، وهو ياسمين البر[٩]، والشوع، وهو شجر البان[١٠]، والخزم[١١]، والعتم[١٢]، وهو الزيتون البري"، ومن هذه الأشجار ما كان يستخدم في التعدين مثل: العرعر الأحمر[١٣]، والطلح الأبيض[١٤]، والشـث، والعفار[١٥]، والقرظ[١٦]، والعتم، والنشم، والبشام[١٧]، أما الكندر فهو اللبان، وهو صـمغ شجرة شائكة، موجودة في جبال نجران[١٨]، والأثل وله عدة أنواع، منها الطرفاء[١٩]، وتُستخدم أخشابه في عدة صناعات مثل البيوت، والأواني الخشبية، والمحراث الخشبي[٢٠].

---

(١) الطباق هو نبات عشبي معمر، من الفصيلة المركبة الأنبوبية الزهر. انظر: إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج٢، ص٥٥١.

(٢) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٣، ص ٣٢٩ .

(٣) النَّشَمُ شجر جبلي تُتخذ منه القسيّ . المصدر السابق، ج١٢، ص٥٧٦؛ إبراهيم مصطفى، المرجع نفسه، ج٢، ص٩٢٤.

(٤) الشوحط ضرب من شجر جبال السراة، تتخذ منه القسيّ ؛ ونباته قضبان تنمو كثيرة من أصل واحد، وورقه طوال، وله ثمرة مثل العنبة الطويلة إلا أن طرفها دقيق . وهي لينة، تؤكل، واحدته شـوحطة . إبراهيم مصـطفى، المرجع السابق، ج١، ص٤٧٤ . .

(٥) التَّألبُ شـجر يتخذ منه القسـيّ . الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقـوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (ط٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ص ٦١ .

(٦) شجر شبيه بشجر التين . انظر: إبراهيم مصطفى، المرجع نفسه، ج١، ص ١٩٨ .

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص ١٤٢ .

(٨) البهرامج الشجر الذي يقال له الرَّنفُ وهو من أشجار الجبال طيب الرائحة . المصدر السابق، ج٢، ص ٢١٧.

(٩) الظّيان من أشجار الجبال، وهو ياسمين البر، واحدته ظيانة . انظر: ابن سيده، أبو الحسن علي، المُخصص، (دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ج٣، ص ٢٣٢ .

(١٠) الشوع هو شجر البان، والبان ضرب من الشجر، لين، ورقة كورق الصفصاف، ويشبه به الحسان في الطول واللين، ابراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج١، ص ٥٠٠ ، ٧٧٠ .

(١١) الخزم هو شجر تتخذ من لحائه الحبال، والخوص . المرجع السابق، ج١، ص ٢٣٣ .

(١٢) العُتم : هو الزيتون وقيل شيء يشبهه ينبت بالسراة. ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص ٣٨٠ .

(١٣) ابن سيده، المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٣٢ .

(١٤) الطلح شجرة طويلة لها ظل، يستظل بها الناس والإبل، وورقها قليل، ولها أغصان طوال عظام ،ولها شوك كثير، وساق عظيمة لا تلتقي عليه يد الرجل ؛ تأكل الإبل منها أكلاً كثيراً، ولا ينبت الطلح إلا بأرض غليظة شديدة حصبة . ابن منظور: المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٣٠ .

(١٥) العفار وهي شجرة فيها نار، ليس في غيرها من الشجر، ويسوى من أغصانها الزناد، فيقتدح بها، المصدر السابق، ج٤، ص ٥٨٣ .

(١٦) القرظ : شجر عظام، لها سوق غلاظ أمثال شجر الجوز، وورقه أصغر من ورق التفاح، وله حب يوضع في الموازين، وهو ينبت في القيعان، واحدته قرظة، وبها سـمي الرجل قرظة وقريظة، وإبل قرظية : تأكل القرظ، وأديم قرظي : مدبوغ بالقرظ، وكبش قرظي، وقرظي : منسوب إلى بلاد القرظ، وهي اليمن، المصدر السابق، ج٤، ص ٥٨٣.

(١٧) البشام الواحدة بشامة وهو شجر طيب الريح والطعم، ذو ساق، ويُتخذ منه السواك . انظر: ابن سيده، المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٦٢.

(١٨) الهمداني، الجوهرتين، ص٢٥١، أبو الفضل، السيد أحمد، الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، مجلة الدارة، ع٤، (دارة الملك عبد العزيز ـ الرياض، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص ١٤٦.

(١٩) الطرفاء من النبات، ومنه أشجار وجنبات من الفصيلة الطرفاوية، ومنه الأثل . إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج٢، ص ٥٥٥ .

(٢٠) البريهـي، إبراهيم بن ناصـر، الحرف والصـناعات في ضـوء نقوش المسـند الجنوبـي، (وكالة الآثـار والمتاحف ـ الرياض، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص١٣٥ .

وتمتلك نجران ثروة حيوانية جيدة فقد ورد ذكرها في كتب الخراج، والأموال، وغيرها التي أكدت وجود مثل هذه الثروة ، وكانت مدعاة لتشريعات ضريبية متعددة[١] ، فقد صالح الرسول ﷺ نصارى نجران، على أن يدفعوا جزءاً من الفدية، بما يوازي قيمته سلاحا، أو خيلا ، أو عروض تجارة ،إذا تعسر عليهم دفع الحلل[٢] ، كما تتوافر في نجران ثروة معدنية ففيها من المعادن : الذهب، والفضة، والحديد، والعقيق، والرصاص[٣] . وتربة نجران خصبة ومعتدلة المناخ على مدار العام، وهذه العوامل ساعدت على الاستقرار البشري في بلاد نجران، والعمل بالزراعة[٤] ،ولم تسلم نجران من بعض الكوارث الطبيعية، فيذكر ابن المجاور أنه أصابها وعموم السروات قحط وجدب شديد[٥] ، وكانت نجران تتعرض للأمطار الغزيرة، التي تندفع في الأودية، وتجرف القرى والزروع، وكون أمطارها موسمية، فقد تمر أوقات طويلة دون أن تهطل أمطار، فتتعرض للجفاف[٦] . ومن ذلك ما مرت به نجران وما جاورها من بلدان اليمن والسروات، بأزمة شديدة . ومكثوا سنة جرداء، سموها سنة الجمود، لجمود الرياح فيها، وانقطاع الأمطار، وذهاب الماشية وهزلها، وثبات الغلاء، وقلة الأطعمة، وجفاف المياه في الأودية والآبار، وقد أشار الهمداني إلى هذه السنة بقوله : " وتسمى مثل هذه السنة : الحطمة، والأزمة، واللزبة، والمجاعة، والرمد، وكحل، والقصر، والشدة، والحاجز "[٧] ، وأنشد الشعراء في هذه السنة شعراً يتضرعون فيه إلى الله [٨] .

٤ـ كان للإسلام أثر إيجابي على الحياة الاقتصادية[٩] ، فقد نظم ملكية الأراضي الزراعية، من حيث أن ملكيتها تعود إلى من استصلحها أولا ؛ مما يجعل الإنسان يحرص على استغلال الأرض وزراعتها، فقد روى أبو داود في سننه " أن رسول الله ﷺ قال من أحيا أرضا ميتة فهي له " قال : " فلقد خبرني الذي حدثني هذا الحديث : أن رجلين اختصما إلى رسول الله ﷺ غرس أحدهما نخلا في أرض الآخر، فقضى لصاحب الأرض بأرضه، وأمر صاحب النخل أن يخرج نخله منها، قال فلقد رأيتها وإنها لتضرب أصولها

---

(١) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، (المطبعة السلفية ـ القاهرة، ط٥، ١٣٩٦هـ)، ص ص ٨٢، ٨٣.
(٢) الحلة تساوي الأوقية، ووزن الأوقية أربعون درهماً من الفضة . البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ٧٦ـ ٧٧ .
(٣) الهمداني : الجوهرتين، ص ٨٦ ـ ٩٠ .
(٤) العمري، طريق البخور، ص ٥٧ .
(٥) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٢١٢ .
(٦) عبدالوهاب شبرة، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في اليمن في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير، (جامعة الملك سعود، ١٤٠٥هـ)، ص ١٨ .
(٧) الهمداني، الصفة، ص ٣٣٣ .
(٨) المصدر نفسه .
(٩) للمزيد عن دخول بلاد نجران في دولة الإسلام في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، انظر : سيرة ابن هشام، وكتب التاريخ الرئيسية مثل: الطبري، وابن الأثير، وابن كثير، وابن خلدون وغيرها . و انظر غيثان بن جريس . نجران (ق١ـ ق٤هـ) ج١، (٥٦٢) صفحة .

بالفؤوس، وأنها لنخل عُم[١] حتى أخرجت منها"[٢]، ولأن من الناس من يملك الأرض والشجر، أو يملك الأرض ولكن لا يستطيع سقيها ورعايتها، إما لعدم معرفته بأمور الزراعة أو لانشغاله، ولأن هناك من يقدر على العمل، لكن لا يملك الأرض؛ فمن أجل ذلك كله أباح الإسلام المساقاة والمزارعة؛ تنمية للثروة الزراعية، وتشغيلا للأيدي العاملة، التي تمتلك القدرة على العمل ولا تملك المال، كما نهى الرسول ﷺ عن المحاقلة، وهي بيع الحنطة في سنبلها بحنطة صافية[٣] . ولذا انتعشت الزراعة في نجران انتعاشا كبيرا خلال القرن الأول الهجري، بفضل الإسلام وتعاليمه السمحة، حتى وصفها بعض الشعراء بـ : "نجران الحقول" [٤]، كما في قول الشاعر مزاحم العقيلي [٥] :

ما بين نجران الحقول إلى أعلام صارة [٦] فالأغوال من كثب[٧]

وقد تعددت المنتجات الزراعية، واستخدم بعضها في صناعة الخمر، فحرمه الإسلام، ففي حديث أحمد بن حنبل : " عن أبي إسحاق عن رجل من نجران، أنه سأل ابن عمر فقال : إنما أسألك عن اثنتين : عن الزبيب والتمر، وعن السلم في النخل، فقال ابن عمر : أتي رسول الله ـ ﷺ ـ برجل سكران، فقاتل إنما شربت زبيبا وتمرا، فقال : فجلده الحد، ونهى عنهما أن يُجمعا"[٨]، ونستنتج من هذا النص، أن الإسلام قد حرم صناعة الخمر، التي كانت منتشرة في نجران، كما حرم الربا، والاحتكار، والغش، وبيع الخمر، والمحرمات عامة من أصنام، وآلات لهو وغيرها، واهتم الإسلام بالموازين والمكاييل، باعتبارها من أساسيات نجاح التجارة، وركيزة أساسية للرخاء الاقتصادي[٩]، وأمنت الطرق، وقل السلبُ والنهبُ، كما أصبح الراعي ينتجع المراعي البعيدة المخصبة بإبله أو بغنمه، ويُشارك إخوانه المسلمين من قبائل أخرى، في المرعى آمنا على نفسه وماله .

أما المرافق في نجران فكان يقال لها : الأرفاق، وهي مقاعد للناس بالأسواق وأفنية

(١) عُم أي طوال، مفردها عميم، فيقال : نخلة عميم، ونخل عُمٌّ، إذا كانت طوالاً، ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٤٢٣ .

(٢) أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبو داود، (دار الكتاب العربي ـ بيروت / د. ت)، حديث رقم (٣٠٧٦)، ج٣، ص ١٤٣ .

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ، ط٣، (دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج٢، ص ٧٦٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص ١٦٠ ؛ أبو حبيب سعدي، القاموس الفقهي، (دار الفكر، دمشق ـ سورية، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ٩٥ .

(٤) البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص ١١٢٩ .

(٥) هو مزاحم بن عمرو بن مرة بن الحارث، من بني عقيل بن كعب، من عامر بن صعصعة، شاعر غزل، بدوي، من الشجعان، عاش في القرن الأول الهجري، وتوفي عام ١٢٠هـ/٧٣٨م)، انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، (دار العلم للملايين ـ بيروت، ط٥، ١٩٨٠م)، ج٧، ص ٢١١ .

(٦) صارة هو اسم جبل في ديار بني أسد : انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٣٨٨ .

(٧) كثب بفتح أوله وكسر ثانية، جبل أسود مما يلي حدود اليمن . البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص ١١٢٩ .

(٨) ابن حنبل، أحمد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (مؤسسة قرطبة، القاهرة، د. ت)، حديث رقم (٥٠٦٧)، ج٢، ص ٤٦.

(٩) شكري، محمد سعيد، الأوضاع القبلية في اليمن منذ بداية العصر الراشدي وحتى الفتنة الكبرى، رسالة ماجستير، (جامعة دمشق، ١٩٨٦م)، ص ١٢٦.

الشـوارع، ومنازل الأسـفار على الطرق [١]، وما تحتويه من آبار وأشـجار ،وغير ذلك مما يُعد منفعة عامة للجميع، ولا يملكها أفراد، وكان على الحاكم حفظها، والقيام برعايتها[٢]، فأصـبحت طرق التجارة طرقـاً للحج، عامرة بالحجاج والمعتمرين، مما شـجع التجارة، كما انتشـر الأمن، فأصـبح التاجر ينتقل بتجارته لا يخشى إلا الله، وأصبحت الأرض كلها إسلامية . وكانت الطرق اليمنية بالفعل إحدى الطرق التجارية القديمة، وذلك قبل ظهور الإسـلام، وقد اسـتخدمت جنبـاً إلى جنب مع طريق البخـور، وهناك مـن رأى أن ظهور الإسلام، قد أثر سلباً على التجارة في نجران حيث يقول : " ومع ظهور الإسلام انخفضت هـذه التجارة، وبدأ اسـتخدام هذه الطـرق البرية من قبل الحجـاج القادمين من نجران واليمن، وليس بواسـطة القوافل التجارية، وكان الطريق اليمني في الوقت نفسه، يُستخدم من قبل جيوش الفتح الإسـلامي في عام (٦٣٠-٦٣٣م) [٣]، ولكن كيف يؤثر الإسـلام سلباً على التجارة، إذا كان موسـم الحج من أكبر مواسـم الربح للتجار ؟ وفيه يبيع التجار من أهـل مكة مـا عندهم للأعراب القادمين إليها من الباديـة، ولأهل القرى البعيدة عن مكة ويشـترون منهم ما يحملونه معهم من مواد وسـلع[٤]. وأكد ذلك ابن جبير عندما وصـف قبائـل السـرو المائرين بأنهم : " يجمعون بـين النية في العمرة وميرة البلد، بضـروب من الأطعمـة .. ولولا هذه الميرة لكان أهل مكة في شـظف مـن العيش " [٥]. وهنا دلالة على أنه بعـد ظهور الإسـلام، عادت الحياة إلى طـرق القوافل التجارية القديمـة التي تحولت إلى دروب لقوافل الحجاج، كما عاد معها الانتعاش الاقتصـادي، ونشـأت مدن وقرى على هذه الدروب، واهتم الحكام والولاة بهذه الطرق ؛ فحفرت الآبار، وأنشـئت البرك لتوفير الماء، وأقيمت الاستراحات لخدمة الحجاج [٦].

وأقـول : إن الإسـلام مـن أهم العوامل المؤثرة في الحياة الاقتصـادية ؛ قضـى على المنازعات بين القبائل، ودعا إلى التآلف والمودة، وحدث اسـتقرار في البادية والحاضـرة، ولم تحدث هجرات إلا في سـبيل الله، إبان التوسـع في الفتوحات الإسـلامية، وعلى ضـوء هذا الاسـتقرار الذي منحه الإسلام للحاضرة والبادية في نجران، تحددت معالم الأرض فيها، كما جنت نجران ثمار ما تدفق على الدولة الإسـلامية في المدينة من الغنائم، نتيجة لفتح بلاد الشـام وفارس، سواء ما كان مباشراً يأخذه الجند المشاركون في المعارك بتوزيع

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص ٢٧٦ .

(٢) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق : أحمد مبارك البغدادي، (مكتبة دار ابن قتيبة - الكويت، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص ص ٢٤٤، ٢٤٥ .

(3) Al-Thanayan, Muhammad bin Abdulrahman Rashid : " THE YEMENE PILGRAIMGE ROAD ", Roods of Arabia , Musee Louvre, Paris 14July – 27 September 2010 (Printed by Graeiche Marini Villorda Italyin , 2010), p480.

(٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (جامعة بغداد، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ج٧، ص ٣٨١.

(٥) ابن جبير، رحلة ابن جبير، (دار صادر - بيروت، د. ت)، ص ١١٠ .

(٦) الصويان، سعد العبد الله، وآخرون، طرق التجارة والحج، موسوعة الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، (الدائرة للنشر والتوثيق - الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص ١١٤ .

الخمس، أو ما كان أثراً للتحسن الاقتصادي بشكل غير مباشر، كمردود لتدفق الأموال على التجارة والصناعة، ولهذا فإن ظهور الإسلام، وتكون الدولة الإسلامية بزعامة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده، جاء ليلبي طموحات شتى لحركة التجارة. ومما دعم هذا الاستقرار، وساعد على تحديد معالم الأرض، تلك الإقطاعات التي كان يقطعها الرسول ﷺ للوافدين عليه بإسلامهم، أو إقرارهم على ما أسلموا عليه من أرض ومياه، وتبين ذلك من خلال إقرار الرسول ﷺ أهل نجران (مسلمين وذميين) على ما في أيديهم من عقار وأملاك، على أن يدفعوا الجزية والخراج المفروض عليهم، وهذا يُعد بمنزلة الإقطاع والمنحة، وكان كثير من تلك الوفود، يطلبون من الرسول أن يكتب لهم بذلك كتاباً أو عهداً مكتوباً، يحملونه في عودتهم لموطنهم، وظلت تلك الكتب والعهود، يحتفظ بها الناس سنين عديدة، ويتوارثها الأبناء عن آبائهم، اعتزازاً بها[١]، ومن ذلك كتاب الرسول ﷺ لبني الضباب من بلحارث بن كعب: " إن لهم ساربة [٢] ورافعها، لا يحاقهم فيها أحد" [٣]، كما كتب الرسول ﷺ لعبد يغوث بن وعلة الحارثي: " إن له ما أسلم من أرضها وأشائها، يعني نخلها"[٤].

٥. **<u>للجانب السياسي والإداري والاجتماعي أثر إيجابي على الاقتصاد</u>**، فالأبناء من الفرس حكموا اليمن قبل ظهور الإسلام، وكان مقرهم صنعاء، ولم يمتد حكمهم إلى نجران بصورة مباشرة؛ إذ كان رؤساء القبائل هم الحكام الحقيقيين، فالقبيلة ـ وقتئذ ـ هي صاحبة السلطة على أرضها، ولا ينتزع منها السيادة إلى قبيلة أقوى منها، ولا تمر بها قبيلة إلا بإذنها؛ ومعظم الأماكن تسمى بأسماء القبائل المسيطرة عليها، فيقال لنجران: بلاد بني الحارث [٥]، حيث كانت القبيلة الرئيسية في نجران وقت ظهور الإسلام، وقبيلة بني الحارث بن كعب (بلحارث) من مذحج، المنحدرة من همدان بن زيد، وتتزعمهم أسرة بني عبدالمدان بني الديان [٦]، وفي عهدهم استقلت نجران بشؤونها؛ إذ كان يديرها ساداتها وأشرافها، والذين أسندت إليهم مهام مختلفة؛ لتنظيم نجران وإدارتها، حتى أصبح لهم نظام إداري، وسياسي، وروحي خاص يمثل الجهة العليا في حكمها، ويتألف هذا النظام من: السيد وهو من يتولى الشؤون المالية، كما أنه مسؤول عن تسيير قوافلهم التجارية، والعاقب وعمله رئاستهم وتدبير أمورهم، والأسقف وهو المرجع الديني لهم،[٧]

---

(١) أبو يوسف، الخراج، ص ص ٧٧، ٧٨، ٧٩.

(٢) السرب وهو المسلك والطريق، والسرب بالفتح: المال الراعي ويقصد بالمال الإبل، وقيل: الإبل وما رعى من المال، وظبية ساربة: ذاهبة في مرعاها. ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٤٦٢؛ الزبيدي، محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الهداية، د. ت)، ج٣، ص ٥٤.

(٣) حميد الله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (دار النفائس ـ بيروت، ط٦، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص ١٦٨.

(٤) حميد الله، المرجع السابق، ص ص ١٦٩، ١٧٠.

(٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ص ٢٢٨، ٢٨٣.

(٦) عبدالعزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص ص ٦٨، ٦٩.

(٧) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص ١١٢.

فقد عملوا على تنظيم شؤون نجران تحت رئاسة وحكم بني عبد المدان، إلى أن ظهر الإسلام، فخضعت نجران ـ كغيرها من مدن وأمصار العالم القديم ـ لحكم الإسلام وتشريعاته، وبقي النصارى من أهلها على دينهم، واهتموا بمصالحهم الاقتصادية، وعلاقاتهم السياسية مع الدولة الإسلامية في المدينة في عهد الرسول ﷺ ؛ فقبلوا دفع الجزية[١].

وكان للترتيبات الإدارية التي وضعها الرسول ﷺ الأثر الفعال في الحياة الاقتصادية في نجران ؛ فقد كتب لهم بحرية التصرف على ما تحت أيديهم من قليل وكثير[٢]، وأقر الملكية الفردية والجماعية للقبيلة في نجران، وبين المنافع العامة، وجاء الإسلام بما طهر النفس ؛ فاتجهت في عبادتها إلى بارئها، وصار معيار التفاضل بين الناس تقوى الله، والولاء لله ولرسوله، والطاعة لأولي الأمر، وأصبح العدل سقفا يستظل به الجميع، ثم تناوب على حكم نجران عدد من أبناء القبيلة، ثم عين الرسول ﷺ أبا سفيان بن حرب على نجران، وأرسل معاذ بن جبل على اليمن أميرا وقاضيا وجابيا لصدقاتها[٣]، وتناوب على أمر القضاء والحكم الإداري فيها عدد من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ومن أبرزهم: عمرو بن حزم الخزرجي الأنصاري، وأبو سفيان بن حرب، في زمن الرسول ﷺ[٤]، وجرير بن عبدالله البَجلي، ويعلى بن أمية بن أبي عبيدة الحنظلي، على عهد أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبيدالله بن عبد المطلب في عهد علي بن أبي طالب[٥]، وعثمان بن عفان الثقفي، وفيروز الديلمي، وبحيرا بن ريسان الحميري[٦]، والضحاك بن فيروز الديلمي في عهد الدولة الأموية[٧]. كما سعى الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون من بعده لإحياء الأرض الموات، وذلك بإقطاعها للمسلمين ؛ لتعميرها[٨]، وتنوعت إقطاعات الرسول ﷺ ما بين إقطاع أرض معلومة ومعروفة الحدود والمساحة، إلى إقطاع آبار وعيون ماء، ومعادن، وأرض مزروعة[٩].

---

(١) المصدر نفسه، ج٣، ص ١١٣ ؛ المصري، جميل عبدالله . أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري، (مكتبة الدار ـ المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص٨٤

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٢٦.

(٣) القواسمي، سحر يوسف، التجارة الدولية ودولة الخلافة في صدر الإسلام منذ فترة الرسول وحتى أواخر الدولة الأموية، رسالة ماجستير (جامعة النجاح الوطنية ـ فلسطين، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص٧٨ .

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص٨٣، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص١٩٥ ؛ جواد علي، المفصل، ج٤، ص١٩١؛ حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ص٢١١.

(٥) حميد الله محمد، المرجع نفسه، ص ١٩٤؛ عبدالواحد، المرجع نفسه، ص ص ١٤٢، ١٤٣، ٢٠٩ .

(٦) كانت ولايته على اليمن ضماناً بمال معلوم، يحمله في كل سنة إلى الخليفة يزيد بن معاوية، فكان بحيرا بن ريسان الحميري، يبعث بالمال، وبسبعين رأساً من الرقيق، ما بين وصيف ووصيفة، انظر: الأشرف، أبو العباس الرسولي، فاكهة الزمن ومفاكهة الأدب والفتن في أخبار من ملك اليمن على أثر التبابعة ملوك العصر والزمن، الباب الرابع، دراسة وتحقيق علي حسن علي عمر، رسالة ماجستير، (جامعة اليرموك، ١٩٩٧م)، ص ٥٥ .

(٧) الحسيني، يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد، أنباء الزمن في تاريخ اليمن، الناسخ : محمد علي بن يحيى بن لطف الشامي، (مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمّان ١٣٨٧م)، ص٤ .

(٨) الخريصي، جواهر صالح عبد العزيز، تأثير الرقيق والموالي والوافدين في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير، (جامعة الملك سعود، ١٤٠٨هـ)، ص٦٠ .

(٩) دراغمة، بلال أحمد محمود، الإقطاع والتمليك والاستغلال للمنفعة في صدر الإسلام دراسة تاريخية، رسالة ماجستير (جامعة النجاح الوطنية ـ فلسطين، ٢٠٠٨م)، ص ٤٦ .

وأرسل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلى بن أمية إلى نجران، وأمره أن يقوم بإجلاء نصارى نجران عنها، وجرى بينه وبين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مكاتبات بشأن كيفية الإجلاء، وتقدير ممتلكاتهم وتعويضهم عنها، ثم تسلم أراضيهم، وقام بتوزيعها على من يقومون بزراعتها، لصالح الدولة الإسلامية [١].

والجدير بالذكر أن الخلفاء الراشدين كانوا يهتمون بأمور نجران اهتماماً كبيراً، فقد اهتم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمر غلاء الأسعار؛ حتى جعل الجزية عن كل فرس ديناراً لغلاء أسعارها [٢]، إذ بلغ سعر الفرس الواحد مئة قلوص[٣]، ونظراً لغلائها أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه من واليه على اليمن يعلى بن أمية، أن يأخذ من كل أربعين شاة شاة، وألا يأخذ من الخيل شيئاً، وأن يأخذ عن كل فرس ديناراً[٤]، كما كان الخلفاء يراقبون الولاة المكلفين على اليمن ونجران وغيرها، ومن الأمثلة على ذلك أن عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان يرسل من يعرف أخبار أهل اليمن، دون أن يعرف الولاة ذلك[٥]، ومن موقف عثمان يتضح لنا مدى اهتمام الخلفاء بالأوضاع الاقتصادية لبلاد نجران، وقد سار خلفاء بني أمية على هذا النهج [٦]، ونستطيع القول بأن الخلفاء والولاة اهتموا بالنشاط الاقتصادي في نجران، وانعكس ذلك على مختلف جوانب الحياة فيها.

تأثرت الحياة الاقتصادية في نجران بالأحداث السياسية، والثورات، والتحالفات القبلية، وبعد أن توحدت بلاد اليمن تحت راية الإسلام وأصبحت ولاية من ولايات الدولة الإسلامية ،ساد الهدوء والاستقرار مختلف ربوع اليمن .بما فيها نجران .في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعهد خلفائه الراشدين باستثناء حركة الردة والتمرد، التي قام بها الأسود العنسي[٧] . كذلك تأثرت الحياة الاقتصادية بالصراع الذي حدث بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في سنة (٤٠هـ/٦٦٠م) [٨]، حيث تركت هذه الفتن آثارها على بلاد نجران، وطبعت الحياة بشيء من القلق والخوف والاضطراب، كما هو الحال

---

(١) حميد الله محمد، الوثائق السياسية، ص ص ١٩٤، ١٩٥ .

(٢) الأشرف الرسولي، فاكهة الزمن، ص٣٥ .

(٣) القلوص هي : الإبل الفتية، ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص ٧٩ .

(٤) الحسيني، أنباء الزمن في تاريخ اليمن، ص١ .

(٥) ابن سمرة، عمر بن علي الجعدي، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق : فؤاد سيد، (مطبعة السنة المحمدية. القاهرة، ١٩٥٧م)، ص٤٠ .

(٦) الخريصي، تأثير الرقيق والموالي والوافدين في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص٦٠ .

(٧) للمزيد عن الأسود العنسي، انظر، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص ٢٤٨. ٢٤٩، ابن الأثير، الكامل، ج١، ص ٣٦٢. ٣٦٤ ؛ ابن كثير، البداية، ج٦، ص ٣٠٥. ٣١٠؛ ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي المغربي، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب: العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م)، ج٢، ص ٦٠ ؛ عبدالواحد دلال، البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، ج١، ص ١٨٤. ١٨٨ ؛ الزهراني، رحمة أحمد، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في بلاد اليمن في العصر الأموي ٤١. ١٣٢هـ، رسالة دكتوراه، (جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)، ص ١١٢ .

(٨) للمزيد انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ١٥٣ .

عندما استولى نجدة بن عامر الحروري[١] في عام (٦٧هـ/٦٨٦م) على اليمامة، والطائف، والسراة [٢]، وما صاحب ذلك من إخافة السبيل، وتعطيل التجارة، وفي العهد الأموي كانت الحياة الاقتصادية مستقرة بصفة عامة، وأحياناً تتأثر أو تتدهور عند اضطراب الأحوال السياسية أو الإدارية والمالية وبخاصة عندما انتهج بعض ولاة بني أمية سياسة أثقال كواهل أهل اليمن ونجران بالضرائب الإضافية، حتى ألغاها عمر بن عبدالعزيز وقال: " والله لأن تأتيني من اليمن حفنة كتم [٣]، أحب إليّ من إقرار هذه الوظيفة "[٤].

وكانت نجران في عهد بني أمية تابعة إما لوالي الحجاز، أو والي اليمن، ولم تعد علاقتها بمركز الدولة الإسلامية وبالخليفة مباشرة [٥]، ويستعين الوالي بمن يساعده في تسيير أمور ولايته، ومن المعروف أن نجران ولاية اقتصادية مهمة، وتحتاج إلى حفظ الأمن، فلا بد أن واليها قد عين صاحبا للشرطة، ومراقباً للأسواق والأسعار، يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أنه لا بد من الإشراف على زكوات الناس وتوزيعها على المحتاجين، ولم تكن نجران على اتصال دائم بمركز الخلافة، أو الولايات الكبيرة التي تتبعها، فقد كانت المراسلات في عهد النبي ﷺ وفي عهد خلفائه الراشدين، تتم عبر الطرق التجارية، ومن أهمها : الطريق التجاري، وطريق الحاج السروي، حيث تشغل نجران مساحة واسعة على الطريق المؤدي من ولاية الحجاز إلى اليمن، ولابد أن يكون في أراضيها عدة محطات للبريد، وأقربها إلى نجران محطة الثجة موضع البريد[٦]، ومحطة كتنة [٧].

وللعادات والتقاليد الاجتماعية السائدة بين سكان نجران من بدو وحضر، تأثير كبير على الحياة الاقتصادية . والتقاليد والعادات تنعكس على تصرفات الأفراد، وبالتالي توجه المجتمع عموماً نحو سلوكيات معينة، وقبل التطرق لمثل هذه التقاليد، يجدر بنا الإشارة إلى القبائل المتعددة التي كانت تقيم في نجران ومنها: بطون من بني الحارث بن كعب بن عمرو من مذحج، وأشهرهم بنو عبد المدان بن عمرو بن الديان، وكانت لبني

---

(١) نجدة بن عامر الحروري الحنفي، من بني حنيفة، من بكر بن وائل، ولد في عام (٣٦هـ)، والحروري : نسبة إلى حروراء، موضع على ميلين من الكوفة، كان أول اجتماع الخوارج به، فنسبوا إليه، وهو من كبار أصحاب الثورات في صدر الإسلام، انفرد عن سائر " الخوارج " بآراء، وقتله أصحاب ابن الزبير، في عام (٦٩هـ) . انظر: الزركلي، الأعلام، ج٨، ص١٠.

(٢) الحسيني، أنباء الزمن، ص ٦ .

(٣) الكتم نبت يُخلط بالحناء ويخضب به، ينبت في الجبال ،وأصله إذا طُبخ بالماء كان منه مداد للكتابة، انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج٣٣، ص ٣٢٥ .

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ٨٨ .

(٥) ابن عبد المجيد، تاج الدين عبد الباقي، تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق : مصطفى حجازي، (دار الكلمة ـ صنعاء، ط٢، ١٩٨٥م)، ص ص ٢١، ٢٢ .

(٦) ثجه بالضم ثم الفتح من مخاليف اليمن، بينه وبين الجند ثمانية فراسخ . انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ص ٧٤، ٧٥؛ ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله، المسالك والممالك، ويليه نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، لأبي الفرج قدامة بن جعفر البغدادي، (مطبعة بريل ـ ليدن، ١٨٨٩م)، ص ١٨٩ .

(٧) كتنة : مخلاف من مخاليف مكة النجدية، وهي أول حد الحجاز . انظر: الهمداني، الصفة، ص ٣٠٢؛ البكري، معجم ما استعجم، ج٤، ص ١١١٥ .

الحارث سطوة وجاه؛ فهم أصحاب زرع وتجارةٍ، أمر عليهم الرسول ﷺ قيس بن الحصين ذا الغصة، وعمرو بنٍ حزم الأنصاري فقيها لهم [١]، وقبيلة بني الحارث بن كعب، تعد اقتناء الإبل يزيدها عزاً ومنعة [٢]، وهناك بطن من بني يام بن أصبي بن رافع من حاشد من همدان، وتفرعت منهم بطون عديدة، يتصفون بالقوة والمنعة[٣]، أما قبيلة نهد بن زيد بن ليث، من قضاعة، فكان منهم حنظلة بن نجد، الذي يُعد من أشراف العرب في الجاهلية ،وله منزلة بعكاظ في مواسم العرب، وجاورهم في منازلهم بنجران بنو عمومتهم من جرم، الذين وفدوا على رسول الله ﷺ بالمدينة عام (٩هـ/٦٢٩م) يتقدمهم سلمة بن قيس الجرمي، فأعلنوا إسلامهم، وكتب لهم الرسول ﷺ كتابا على ما أسلموا عليه من أرضهم [٤]، كما كان بنجران بطن من شاكر[٥]، والذين تنصروا كانوا من أفراد هذه القبائل ومن غيرهم، وقد وُجدت طائفة منهم تعمل في صناعة الجلود، والنسيج؛ وغيره مما اشتهرت به نجران [٦].

ويبدو أن معظم قبائل نجران كانت تضمهم تحالفات فيما بينهم؛ فكان على كل عشيرة عريف، وكل قبيلة عدة عرفاء، يرأسهم شيخ القبيلة[٧]، وأثرت هذه التحالفات إيجابياً على الحياة الاقتصادية في نجران، يؤكد ذلك ما قاله الرسول ﷺ لوفدهم عندما قدموا إليه: " بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟" قالوا: " كنا نغلب من قاتلنا يارسول الله، أنا كنا نجتمع، ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم". قال: " صدقتم " [٨]. ومن تقاليدهم المعروفة أنهم عندما يتنقلونٍ من موقع إلى آخر-وخاصة في السفر- فإنهم يشكلون جماعات مترابطة، يحمي بعضها بعضا؛ حتى يبلغوا غايتهم، ويظهر هذا الأمر أكثر عندما تكون وجهتهم للحجاز بغرض الحج، أو العمرة، أو جلب الميرة[٩]. كما كانت القبائل تتجمع بأفرادها حول مزارعها وقت جني محصولها[١٠]، وقد أكد ذلك ابن المجاور بقوله: " فإذا فرغ النخل، خرج الصغار مع الكبار والأخيار مع الفجار، بالطبل والزمر، بعدما يلبسوا جملاً عدة تامة من الأجراس والقلاقل، ويُشد في رقبته المقانع والحلي، ويركب كل أربعة من الناس على جمل" [١١].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٥، ص ٢٩٤؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ٥٤ .

(٢) العتيبي، محمد بن عوض، نجران في عصر النبوة والخلافة الراشدة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، (جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ١٤٢٣هـ)، ص ٦٧ .

(٣) عبد الواحد، البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، ج١، ص ١٢٦ .

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ص ٣٣٥، ٣٣٦، عبد الواحد، البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، ج١، ص ص ١٢٧، ١٢٨ .

(٥) الهمداني، الصفة، ص ٢٥٠ .

(٦) عبد الواحد، المرجع السابق، ج١، ص ١٣٠ .

(٧) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٢٦ .

(٨) العرشاني، نظام الدين، كتاب الاختصاص (ذيل لتاريخ مدينة صنعاء للرازي)، تحقيق: حسين بن عبدالله العمري، (دار الفكر - دمشق، ط٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص ٥٢١ .

(٩) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ص ١١٠، ١١١ .

(١٠) موسى، محمود سعيد، الحياة الزراعية في الحجاز في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير، (الجامعة الأردنية، ١٩٦٦م)، ص ١١٨ .

(١١) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٨٠ .

ومـن تقاليدهم التي أثرت سلباً على الحياة الاقتصـادية في صـدر الإسـلام، أنهم ينظرون إلى كل الصناعات نظرة ازدراء واحتقار؛ لرسوخ البداوة فيهم، ولطبيعة حياتهم التي تقوم على أساس التنقل والترحال، فهم يرون أن كل حرفة أو صناعة تربطهم بالإقامة الدائمة، ما هي إلا وسـيلة من وسـائل الذل والضـعف [١]، وكانوا يرون أن أشـرف شـيء يمكـن أن يقوم به الرجل، هو الدفاع عن النفس، والأخذ بالثار [٢]، فكراهيتهم للصـناعة واحتقارهم لمهنة الصـانع قلل من الصـناع، وجعل هذه الحرف حكراً على أناس أرقاء، أو مهاجرين من أماكن أخرى ؛ مما جعل هؤلاء الصنف من الناس أصحاب ثروات ينافسون أهـل نجـران في المال، ومثال ذلك : أن الفرس وغيرهم من الموالي، كانوا يمارسـون بعض الحـرف والمهن في أرض نجـران وما حولها ؛ نظـراً لتطرف بعض التقاليـد الاجتماعية، وامتناع عرب نجران من القيام بالأعمال اليدوية، لاستنكافهم منها، فتركوا ذلك لرقيقهم ومواليهم [٣] . وأطلقوا على الحداد، أو صـاحب الصـنعة، اسـم (القين) [٤]، وقد وردت كلمة (قين) في بعض النصـوص التي عُثر عليها في نجران [٥]، مما يدل على وجودهم في الجاهلية وصدر الإسلام[٦] . وكان هناك أسر وعشائر خرجت عن المألوف ومارست بعض الصناعات، إلى جانب الموالي من الفرس واليهود وغيرهم [٧].

ثالثاً : تاريخ نجران الاقتصادي (ق١هـ/ق٧هـ) :

مارسـ النجرانيون حرفاً اقتصـادية عديدة، ومن أهمهـا: (١) الزراعة والرعي[٨]، والحرف والصـناعات التقليدية، والتجارة . وسوف ندرس في الصفحات التالية شيئاً من تلك الميادين الحضارية[٩].

---

(١) الهمداني، كتاب الجوهرتين، ص ١٠ .

(٢) الرشيد، ناصر بن سعد، تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي، الأبحاث المقدمة للندوة العالمية الثانية لدراسـات تاريخ الجزيرة العربية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٩م، (قسم التاريخ. جامعة الملك سعود. الرياض الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام)، ص ٢١٦ .

(٣) الخريصي، تأثير الرقيق والموالي، ص ٧٠ .

(٤) القـين : الحداد وقيل كل صـانع قـين، والقين بمعنى العبد، وتأتـي كلمة التقيين بمعنى التزيين، ومنـه الحديث : " أنا قينت عائشة أي زينتها "، وتسمى من تهيئ العروس بالزينة المقينة، كما يطلق اسم القين على الحداد وعلى المولى، ويرى بعضهم أنه كل صانع يعالج صنعة بنفسه . ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص ٣٥٠؛ الهمداني، كتاب الجوهرتين، ص ١٣ .

(٥) العنزي، ناصـر بن محمد زيدان، نقوش عربية قديمة من جبال كوكب دراسـة تحليلية مقارنة، رسـالة دكتوراه، (جامعة الملك سعود، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ص ٨٠، ٨١، النص ٣٣ .

(٦) انظـر: كحالـة، عمـر رضـا، معجـم قبائـل العـرب القديمـة والحديثـة، (دار العلـم للملايـين. بـيروت، ط٢، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ج٢، ص ٧٨١. العنزي، المرجع نفسه .

(٧) الهمداني، كتاب: الجوهرتين، ص ١٣ .

(٨) كان معظم سـكان منطقة نجران بدواً وريفيين، والرعي من المهن الرئيسـية التي عملوا فيها . وجل حيواناتهم الإبل، والأغنام، والماعز، والأبقار، والحمير، ونجد بعض كتب التراث الإسلامي المبكرة تذكر نتفاً من تاريخ الحياة الرعوية في عموم بلاد السروات، ونجران وما جاورهما . وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في هيئة بحث أو كتاب علمي .

(٩) لا ندعي الكمال في هذه الدراسـة العلمية، لكننا اجتهدنا في جمع وتحليل مادتنا العلمية من مصـادرها الأساسية، وقد يأتي بعدنا من يستكمل ما لم ندرسه، أو تصحيح ما أخطأنا في دراسة وتدوينه .

أولاً: الزراعة والرعي:

١. الري:

تعددت مصادر الري في نجران، كالأمطار، ومياه الأودية، والغيول[١]. والآبار، والعيون، واعتمد المزارعون بشكل كبير على مياه الأمطار الموسمية في فصلي الصيف والخريف[٢]. وبرع أهل نجران في الاستفادة من مياه الأمطار بإقامة السدود[٣]، وإنشاء البرك والأحواض؛ وذلك لحفظ المياه وخزنها، إلى وقت الحاجة إليها في الشرب والسقي[٤]، ثم توزيعها وقت الضرورة بقدر، وفيها أبواب تتحكم في سير الماء[٥]، ويتبين من بعض التقارير والدراسات الأثرية تشابه طرق الري في نجران، مع طرق الري في مواقع من بلاد اليمن، ومن أشهرها عدن[٦]، ونظراً لعامل القرب بين نجران واليمن ؛ فقد تشابهت أنظمة الزراعة وطرق الري فيهما، واجتهد النجرانيون في تجميع المياه، وتخزينها، واستغلالها بشتى الوسائل التي ابتكروها وطوروها ؛ ليتمكنوا من استثمار المناطق الجافة، فأنشأوا السدود الصغيرة المؤقتة، التي تسمى بالضفائر أو العقوم، وذلك

---

(١) الغيول : جمع غيل والغيل: هو الماء الجاري على وجه الأرض، وفي الأنهار والسواقي، أو كل موقع فيه ماء من واد أو نحوه، ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص ٥١٠، وانظر: ابن دريد، الاشتقاق، ج١، ص ١٨٨ .

(٢) ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر، كتاب الأعلاق النفيسة، المجلد السابع، تحقيق : إم جي دي خويه، (مطبعة بريل ـ ليدن، ١٨٩١م)، ج٧، ص ١٠٩ ؛ وانظر : البكري، أبوعبيد عبدالله الأندلسي، المسالك والممالك، تحقيق : جمال طلبة، (دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٢٤هـ)، ج١،ص ٢٧٨ ؛ وانظر: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، (مطبعة بريل ـ ليدن، ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م)، ص ٣٤ .

(٣) يؤكد ذلك ما اكتشفه علماء الآثار من أنظمة ضخمة، لإقامة السدود في نجران؛ لحجز مياه السيول، وهي تشابه أنظمة الري في مأرب، والحريضة، وفي حجر بن حميد، كما عثر في نجران على بقايا وآثار لسد الجلد، حيث لا تزال آثار قنواته التي تم شقها وتبليطها موجودة، وهي تمثل مواضع تحويل مياه السيول؛ لتصب في الحقول الواقعة ناحية الشرق، كما يوجد سد آخر في أخدود نجران، للتحكم في مياه السيول والأمطار، وفي هذا السد عثر علماء الآثار على جدار مرتفع لتحويل المياه، تم بناؤه من كتل ضخمة متقابلة جزئياً من الحجر الرملي، زين بعضها بنقوش مسندية، تتعلق بعملية إنشاء السد، وقد كتبت النقوش مطابقة لأبجدية سبأ، والتي يرجع تاريخها إلى القرنين الخامس والسادس الميلاديين، وعثر على جدار آخر لتحويل المياه ناحية شرق السد، وعلى حوض دائري صغير خلف السد، وهو في حالة تلف شديد. انظر: زارينس يوريس، وآخرون، تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران. الأخدود في عام (١٤٢٠هـ/١٩٨٢م)، أطلال ع٧، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، (ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص ٢٧؛ وانظر: العمري، طريق البخور، ص ص١٥٥، ١٥٦ .

(٤) عثر في سد المضيق ـ الذي يقع بالقرب من سد وادي نجران الحديث ـ على نظام ري، لتحويل مياه السيول للحقول والبساتين، الواقعة إلى الشرق من مصب وادي نجران، على شكل قنوات مائية محفورة في الصخر، بعمق مترين وعرض ٩٠سم، تمتد بطول (١٢٥) م، وعثر على آثار لبعض الإنشاءات المتعلقة بنظام الري، استخدم فيها الجص، ربما تمثل جزءاً من بوابة للتحكم في المياه، ويوجد جنوب الأخدود نظام ري مشابه لهذا النظام، ولكن استخدمت فيه الحجارة الكبيرة في بناء القنوات المائية ؛ لتحويل مياه السيول إلى أحواض، يتم التحكم فيها أثناء عملية الري، وذلك بحجزها في الأراضي المرتفعة حتى تغطي الكعبين، ثم بعد ذلك تفجر ؛ حتى تنزل المياه إلى الأراضي المنخفضة . انظر: البريهي، الحرف والصناعات، ص ٧١، عبد العزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص ١٧٤، ٧٥، الخريصي، تأثير الرقيق والموالي، ص ٦٤ .

(٥) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص ١٦٢، ج٨، ص ٤١٩ .

(٦) زارينس، تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران الأخدود، أطلال ع٧، ص ١٢٧، وانظر :العمري، طريق البخور، ص ص ١٥٥، ١٥٦ .

باستخدام الخشب، أو الحجارة والحصى والتراب، لاعتراض مجاري الأودية والسيول، وتحويلها إلى الأراضي الزراعية[١]، كما شيدوا السدود الضخمة، التي كان يحتاج بناؤها إلى أيد عاملة كثيرة[٢]. ولجأ بعض المزارعين إلى تكوين مياه سيلية من مياه الأمطار، يتحكمونّ بتوجيهها عن طريق إقامة مسايل وقنوات ؛ لإجبار الماء على المرور فيها، وتمتد هذه المسايل على التلال المحيطة بالأودية، من قمتها إلى أسفلها، وبهذا يتحول المطر الذي يهطل على التلال إلى جداول، تسيل نحو الأودية، فكان الماء المتجمع فيها، يتم توزيعه عبر قنوات على الأراضي الزراعية [٣]، وشيدوا السدود البسيطة والمؤقتة في مواسم الأمطار[٤]، كانت تعمل من الأتربة والحجارة الصغيرة، وهذا النوع من السدود يقام في الأودية الصغيرة الفرعية والشعاب ؛ لتوجيه مياه السيول إلى أراضيهم، والعقوم نوع آخر من السدود، وغالباً ما تكون عقوماً صغيرة على جزء من الوادي، والفرضة فتحة في حائط السد ليتدفق منها الماء إلى القناة الرئيسية بعد ارتفاع مستواه، وفي هذه الحالة تقسم الأراضي الزراعية إلى أطيان أو جرب تحاط بسور ترابي قليل الارتفاع، ويجعل بين كل حقل والذي يليه فتحة، لتمرير الماء منها إلى الحقل المجاور له، وبذلك يتم إرواء الحقول جميعاً [٥]، ونظام الري في نجران لم يكن يهدف إلى خزن مياه السيول فقط، وإنما توزيعها والاستفادة منها، والحواجز تعمل على رفع مستوى مياه السيل ؛ لكي تصل إلى الأراضي الزراعية المحيطة بمجرى الوادي، ولها مصارف يفيض منها الماء، إذا كان حجم السيل أكبر من المعتاد، لكن تلك الحواجز التي موادها من التراب، كثيراً ما تتعرض للهدم، بسبب قوة السيول، وهناك قنوات تحول المياه من وراء تلك الحواجز، وتحملها إلى الأراضي الزراعية، ثم تتولى توزيعها على الحقول شبكة من الجداول المتداخلة في الحقول الزراعية، وهذه الطريقة تشبه طريقة ري الحياض، التي تقوم على فيضانات الأنهار [٦].

أما الأودية فقد وفرت المياه الكافية للأراضي الزراعية ؛ مما انعكس على نشاط المزارع النجراني بالإيجاب وضاعف من نتاج الأرض وغلتها، وقد أشار الهمداني إلى

(١) محمود سعيد، الحياة الزراعية في الحجاز في القرن الأول الهجري، ص ١٢٤ .

(٢) فقد تم العثور في موقع الأخدود على قنوات البحيرات والسدود، والخنادق التي تم تزويدها بالماء، المرجع السابق، ص٦٧؛ وانظر: AL- marih, Najran . op. cit, p367

(٣) البريهي، الحرف والصناعات، ص ٨٩ .

(٤) أكدت ذلك النقوش الدالة على كثرة أمطار نجران وغزارتها، ومنها النقش الذي ورد فيه كلمة قطر، أي المطر، عُثر عليه في مكان تتجمع فيه مياه الأمطار، في أماكن دائرية طبيعية ،تشبه الأحواض، تحتفظ بالمياه لفترات طويلة، العنزي، نقوش عربية قديمة من جبال كوكب، النص ٤٣، ص ص ٩٦، ٩٧ .

(٥) المرجع السابق، ص ٩٧ .

(٦) أثبتت التقارير والدراسات الأثرية وجود صخور عند نجران، قد نحتت لعمل ممر منها للماء ؛ ليذهب إلى حوض واسع، أحيط بسد وجدار، حيث يمكن خزن مئة مليون غالون من الماء فيه، كما تم العثور على أحواض تُعد من طرق الري المستخدمة في قيعان ونقاط اتصال الأودية في منطقة بئر حمى نجران . انظر: زارينس، التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية، أطلال ع٥، ص٢٩ ؛ بافقيه، محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت، ١٩٧٣م)، ص ص ١٩٦، ١٩٧ ؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٢١٣ .

ذلـك، فقال: " موارد بني الحارث بن كعب : أعداد[١] مياه بلحارث مما يصـلي الهجيرة، ، حمـى : مـاء بأطراف جبال غاذ ، بين مريـع[٢] والغائط[٣]، ومريع وعبـالم، وقد ينقطع، وقلت يقال له : يدمات، والملحات، ولوزة وشـعي، قلت أيضـاً من أسـافل غاذ[٤]، والكوكب :ماء أسـفل من حمى بجبل منقطع بالغائط دون العارض، والبراق : ماء بأعلى وادي ثار، والزيادية بحبونن، والحصـينية أسفل منها على شط الوادي .. والربيعية بأسفل نجران، ومذود والهرار والبتراء، هذه أعداد شـمالي بلاد بني الحارث". وأول الأودية بين نجران والجوف قضيب[٥]، فيه من مياه بلحارث ؛ الأغبر والجموم وماؤه، وخليقا بأسفله، ومدرك بني حجنة في قضـيب من الفيفا من بلد دهمة، ثم الخل[٦]، بين قضـيب، واليتمة واد من بلد دهمة، أعلاه فيه من مياه بلحارث فتح عد [٧]، ثم مدرك[٨] بني دهي أيضـاً عندغيل، وبأعلاه الشليلة نخل وماء لبني داعر، ثم وادَي خبان[٩]، فاعلاه طثر وأسواء ماءان عدان، وبئـر ذي بئر، ثم صـرحان ولا ماء فيه، وهو واد بينه وبـين الأحداء رملة الأذن، وبالأحداء مـن المياه : شـطيف والنخل وهو أسـفل أوبـن"[١٠]. والأودية في نجران مـن أهم مناطق الزراعة، ففيها الخصب، والنماء، والماء، وقد نبتت حولها الأشجار المثمرة والزروع، وأنواع الخضر، والبقول، والأزهار .

واسـتخدم النجرانيون ماء الغيـول في الزراعة، وفي الحديث " ما سُـقي بالغيل ففيه العشـر، وما سُـقي بالدلو ففيه نصف العشر"[١١]، وتوجد غيول عدة في نجران، خاصة في المناطـق التي تسـتقبل كميات كبيرة من الأمطار، ويؤكد ذلـك الهمداني بقوله : " والغيل، ويسلك في البطانان في أسفل العشة، ويلقاه من أوديتهم وادي عكوان، ويمدهما من المغرب

---

(١) العـد : مجتمـع الماء وجمعه أعـداد . انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العـين، تحقيق : مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال، د. ت)، ج١، ص ٧٩ .

(٢) مريع: بفتح أوله وسـكون ثانية وفتح الياء وعين مهملة، وهو من الريع والنماء، اسـم موضع بين نجران وتثليث، وهو لبنـي زبيـد، قيل : هي جبال وثنايا وأودية من بلاد بني زبيد، وقيل : مريع من ديار مذحج . انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ١١٨ ؛ الهمداني، الصفة، ص ٣٠٥، طبعة (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ص ٢٥٤. البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٣٥٩.

(٣) الغائط لبني يزيد فيها نخل باليمامة . انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٩٣ .

(٤) غاذ أو عاذ بالعين: موضع في نجران . انظر: البكري، المصدر السابق، ج٣، ص ٩١٠ .

(٥) قضـيب : واد في أرض نجران وتهامة، ويوم قضـيب كان بين بني الحارث وكندة . انظر: المصـدر السابق، ج٤، ص ٣٦٩، وقيل: هو واد باليمن لمراد، وقيل: واد بأرض قيس عيلان . انظر: البكري، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٠٨٠ .

(٦) الخل : موضع في وادي رمع من نجران وتهامة اليمن . الهمداني، الصفة، ص ٢٢٨ .

(٧) الفتح : هو الماء الجاري في الأرض، والعِد : الذي لا ينقطع، المصدر السابق، ص ٢٢٨ .

(٨) مدرك :موضع نخل، ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٧٦ .

(٩) خبان بضـم أوله وتشـديد ثانية، وآخره نـون، ويجوز أن يكون فعلان من الخب ،وهي قريـة باليمن، في واد يقال له وادي خبان قرب نجران . المصدر السابق، ج٢، ص ٣٤٣ .

(١٠) الهمداني، المصدر نفسه، ص ص ٢٢٨، ٢٢٩، انظر (طبعة ١٣٩٧هـ)، ص ٢٥٤-٢٥٥ .

(١١) انظر : محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح (بيروت) ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ج١، ص ٤٨٨ .

وادي رُبيع ونِسرين، ويتصل بهما سِيل الصِحن[١] ووادي علاف، وعلاف خير أودية خولان، أكرمها كرماً، وأكثرها خيراً وزرعاً وأعناباً وماشية، وتجتمع مياه هذه الأودية بالفقارة من أسفل البطنة ثم إلى بلد سابقة من همدان، ثم إلى نجران "[٢]. وكتب الرسول ﷺ إلى معاذ بن جبل وهو باليمن : " أن فيما سقت السماء أو سقى غيلاً العشر، وما سقي بالغرب فنصف العشر "[٣]، كما كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليعلى بن أمية عندما توجه إلى أرض نجران، يأمره أن يقاسم أهل الأرض من نصارى نجران على الثلث والثلثين، مما أخرج الله منها من غلة، وأن يقاسم ثمر النخل ما كان منه يسقى سيحاً[٤]، فللمسلمين الثلثان، ولهم الثلث، وما كان يسقى بغرب (القرب) فلهم الثلثان وللمسلمين الثلث[٥] .

وكانت الآبار والعيون من مصادر الري في نجران، ودخلت في التشريع الضريبي، وذكر ابن زنجويه : " وفيما سقت العيون العشور "[٦]، وتميزت نجران بالعديد من الآبار في أرضها[٧] ،كما استفادوا منها في سقي مزارعهم، وقد أشارت النقوش إلى كثرتها وتنوعها[٨]، ومعظم الأيدي العاملة في حفر الآبار في السروات وبلاد نجران من أهل البلاد أنفسهم، ويساعدهم في ذلك الرقيق والموالي[٩]. ومن أنواع طرق الري في نجران نضح الماء من الآبار ؛ سواء بواسطة الإنسان، أم الحيوان من الإبل والبقر[١٠]، أو باستخدام بعض الأدوات مثل: الدلو (الغرب)، وهو الوعاء أو القربة المصنوعة من الجلد[١١]، وفي الغالب تمتلئ بالماء حين دخولها في ماء البئر ؛ ومن ثم تسحب وتفرغ في مكان السكب، عبر السواقي إلى المزارع، أو إلى المدينة، أو البيوت[١٢].

---

(١) الصحن جبل في بلاد بني سليم . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٣٨٩ .

(٢) الهمداني، الصفة، ص ٢٢٤ .

(٣) ابن زنجويه، حميد، كتاب الأموال، تحقيق : شاكر ذيب فياض، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، حديث رقم (١٩٦٤)، ج١٢، ص ١٠٦١.

(٤) السيح : الماء الجاري على الأرض . انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق : عبد الرحمن محمود، (مطبعة دار الكتب ـ القاهرة، ١٩٥١م)، ج١، ص ٤٥٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص ٤٩٢، الرازي، مختار الصحاح، ج١، ص ٣٢٦؛ المقري، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، تحقيق : يوسف الشيخ محمد، (مكتبة العصرية ـ د. ت)، ج١، ص ١٥٥ .

(٥) أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ٩٢ .

(٦) ابن زنجويه، الأموال، ج١٢، ص ١٠٦١ .

(٧) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٩٣ .

(٨) تمكنت فرق المسح الأثري من تسجيل العديد من المواقع الأثرية فيها، مما يدل على اهتمام أهل نجران بحفر الآبار، واتقانهم لذلك، ففي موقع آبار خطمة، التي تقع في الجهة الغربية من جبال العارض الجنوبية، ثم اكتشاف بئرين عميقين مطويتين بالحجارة بإتقان، إحداهما لها فوهة مربعة، والأخرى دائرية . انظر: البريهي، الحرف والصناعات، ص ٧٩ ؛ وانظر: عبدالعزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص ١٦٤ .

(٩) وقد عثر علماء الآثار فيها أيضاً على بئر يصل عمقه إلى حوالي خمسة أمتار، تتحول المياه منه إلى الحقول، بواسطة بوابتي تحويل، تم شقها خلال الصخور، كما تم العثور على بئر أخرى محفورة في الصخر، مبطن بكتل حجرية، انظر: الخريصي، تأثير الرقيق والموالي، ص٦٥ . وانظر: بوريس زارينس، تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران، أطلال، ع٧، ص٢٨.

(١٠) ابن زنجويه، الأموال، ج١٢، ص ١٠٦٥ .

(١١) البريهي، الحرف والصناعات، ص٨١ .

(١٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ١٨٨ .

واستخدم النجرانيون المحالة[١]، والساقية، وهي عجلة كبيرة، مثبتة بين قاعدتين مقامتين على جانبي البئر، وبها أوان فخارية أو دلاء، وتدار العجلة بواسطة الحيوانات، مثل الجمال والثيران، وتملأ تلك الأواني بالماء، وبعد ذلك ترفع، وتفرغ في حوض لتوزيعه[٢]، ويذكر أن الرسول ﷺ كتب لعمرو بن حزم، حين بعثه إلى نجران: " أن ما سقت السماء أو سقى فتحا فالعشر، وما سقى بغرب أو دالية نصف العشر "[٣]، واستخدموا (المأجل) وهو شبه حوض واسع، يؤجل (أي يجمع) فيه الماء إذا كان قليلا، ثم يفجر إلى المزارع لإسقائها، واستخدموا البركة وهي كالحوض، سميت بذلك لإقامة الماء فيها[٤]. والنجرانيون اعتمدوا على الزراعة كأهم مصادر رزقهم؛ فأبدعوا في طرق الري المختلفة، من حفر للآبار[٥]، وإنشاء القنوات والسدود. وهم من أوائل من طور طرق الري في المرتفعات الخصبة، باستغلال كميات الماء الكبيرة، وتحويل الصحاري القاحلة إلى واحات خصبة [٦].

٢. المحاصيل الزراعية:

الاهتمام بوسائل الري زاد من رقعة الزراعة، وانتشرت القرى والمزارع والبساتين. على ضفتي وادي نجران، وتنوعت المحاصيل الزراعية [٧]. ويشير ابن المجاور إلى ذلك، قائلاً: " جميع زرعهم الحنطة والشعير، وشجرهم الكروم والرمان واللوز، ويوجد عندهم من جميع الفواكه والخيرات "[٨]. كما عدد الهمداني أصنافاً من المحاصيل الزراعية التي اعتاد الفلاحون على زراعتها، ومن أهمها: المحاصيل الغذائية كالبر (الحنطة، والقمح، والعلس[٩]) والشعير، والذرة، والسمسم، والدخن[١٠]، وقال: " باليمن من غرائب الحبوب،

---

(١) المحالة: هي التي يستقى عليها، وهي خشبة مستديرة في وسطها محز للحبل، وفي جوفها محور تدور عليه، وهي في قول: بعضهم من حديد. انظر: الفراهيدي، كتاب العين، ج٣، ص ٢٤٣؛ وانظر: ابن دريد، الاشتقاق، ج١، ص٤٩؛ ابن سيده، المخصص، ج٢، ص ٤٦٧.

(٢) نورة النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، (دار الشواف، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص ص ٧٤، ٧٥.

(٣) يحيى بن آدم، كتاب الخراج، (مطبعة بريل- ليدن، ١٩٨٤م)، ص ٨٣.

(٤) ابن سيده، المخصص، ج٣، ص ٣٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص ١١.

(٥) ومن الآثار المشهورة في نجران: بئر الخضراء جنوب وادي نجران، وبئر الحصينية شمال وادي حبونا، وبئر سلوة غرب بئر الحصينية، وبئر يدمة، وبئر الحشر شمال وادي يدمة، وآبار حمى، وعددها ست آبار تقريباً وتقع في شعب حمى، وبئر العريسة وتقع شمال وادي نجران، وهي من الآبار القديمة، وبئر أوبين من الآبار القديمة الواقعة في قرية الدريب، جنوب وادي نجران، انظر: الأنصاري، نجران منطلق القوافل، ص ٨٦.

(6) Michaael J . Harrower : " Irrigation and Social change in ancient Yeman ". (ACotsen Institute of Archaeology, University of California , 01 March 2009), p66

(٧) عبد العزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص ص ١٩، ٢٣.

(٨) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٣٨.

(٩) العلسُ ضرب من البر، تكون حبتان منه أو ثلاث في قشرة، وهو طعام أهل صنعاء. انظر: ابن سيده، المخصص، ج٣، ص ١٨٨، إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج٢، ص ٦٢١.

(١٠) نبات عشبي، حبة صغير، أملس كحب السمسم، ينبت برياً ومزروعاً. انظر: إبراهيم مصطفى، المرجع السابق، ج١، ص ٢٧٦.

ثم من البر العربي الذي ليس بحنطة[١]). ومن ذلك الذرة بنجران، في قابل يام من ناحية رُعاش "[٢]، وألوان الذرة البيضاء، والصفراء، والحمراء، والغبراء [٣]. والتمور من ثمار أرض نجران، وقال عنها الهمداني : " لا يشرب إلا من السيل...، وبها القسب[٤] من التمر الذي لا يسحق، ويحلو مع السويق [٥] كالقند[٦] فذاك بنجران"[٧]. وقد اهتم النجرانيون بزراعة النخيل ،وأقاموا بساتين واسعة منها، وأرض نجران مشهورة بزراعتها [٨] ويؤكد ابن حوقل ذلك بقوله : " ونجران وجرش مدينتان متقاربتان في الكبر، وبهما نخيل " [٩].

وتنتج من الأراضي الزراعية في نجران أنواعاً من الخضروات مثل: القثاء[١٠]، والبطيخ[١١]، والقرع[١٢]، ويصفها ابن رستة [١٣]: بأنها "كبار كل قرعة مثل جرة كبيرة"، يباع مقطعاً، وكل ما كان كبيراً، كان رطباً ولذيذاً، وتوجد في نجران، ونجران وتهامة[١٤]، بالإضافة إلى الباقلاء الأخضر (الفول) ، والجزر، والخيار، والأبصال[١٥]، ومن الفواكه : العنب، حيث اشتهرت زراعة العنب النجراني[١٦]، ومن أنواعه: الملاحي، والأشهب، والدربج، والنواسي، والزيادي[١٧] والعنب على ثلاثة ألوان : الأبيض، والأسود، والأحمر، ويستمر حوالي ثمانية أشهر، فالأبيض ويشمل : الرازقي الذي لا بذر فيه، والبياض وهو من أجود أنواع العنب الأبيض، وأشهره الروضي، والأطراف، والجوفي، والعرقي، والأسود أيضا على أصناف منه: العيون، والعذاري، والحدرم، والحاتمي، والحواتم، والأحمر له نوعان وهما : العاصمي، والزيتون، وتبلغ أنواع العنب ثمانية وعشرين نوعاً [١٨]، والجفنة

---

(١) لباب القمح يعني الحنطة، والحنطة البر، والحناطة : حرفة الحناط وهو يبيع البر، الفراهيدي، كتاب العين، ج٣، ص ١٧١.

(٢) الهمداني، الصفة، ص ٣١٧ .

(٣) المصدر نفسه، والصفحة .

(٤) القسب: أي الصلب . انظر: إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج٢، ص ٧٣٣.

(٥) السويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة، والشعير، سمي بذلك لانسياقه في الحلق . ابن سيدة، المخصص، ج١، ص ٤٣٧، إبراهيم مصطفى، المرجع نفسه، ج١، ص ٤٦٥.

(٦) القند: عصارة قصب السكر إذا جمد، الفراهيدي، كتاب العين، ج٥، ص ١١٨ .

(٧) الهمداني، الصفة، ص ٣١٩.

(٨) الهمداني، المصدر نفسه، ص ٣١٩؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٦٧ .

(٩) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٦ .

(١٠) القثاء: نوع من البطيخ، نباتي قريب من الخيار، لكنه أطول، واحدته قثاءة . انظر: الفراهيدي، كتاب العين، ج٥، ص٢٠٣، إبراهيم مصطفى، المرجع السابق، ج٢، ص ٧١٥ .

(١١) الهمداني، الصفة، ص ٣١٨.

(١٢) القرع : حمل اليقطين والواحدة قرعة، والقرع هو الدباء . الفراهيدي، المصدر السابق، ج١، ص ١٥٥؛ ابن سيده المخصص، ج٣، ص ٣١٨.

(١٣) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ج٧، ص ١١٣ .

(١٤) المصدر السابق .

(١٥) الهمداني، الصفة، ص ٣١٤، ٣١٦، ١٤٣، ١٨٨، ٣١٧، ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ١٨٦.

(١٦) الهمداني، المصدر السابق، ص ٣١٤؛ البريهي، الحرف والصناعات، ص ١٢٣.

(١٧) الهمداني، المصدر السابق، والصفحة .

(١٨) عنان، زيد، تاريخ وحضارة اليمن القديم، (دار الآفاق العربية ـ القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) ، ص ص ١٦،١٧.

ضـرب من العنب، والجفنة الكرم[١]، والحصرم: حبة العنب حين تنبت[٢]، والفرسك[٣]، والأتـرج[٤]، وفيه يقـول الهمداني : " ومن ذلك الأترج بنجران ليس حماض [٥]،فيه كبار أحلى من العسـل، تبلغ الواحدة ربع دينار [٦]، وخمس وسـدس وليس له نظير في بلد " [٧]، ومن الفواكه التي انتشـرت زراعتها في نجران الموز[٨]، والمشمش، والسفرجل[٩]، والتفاح، والخـوخ، والكمثرى[١٠]، ومن المزروعـات الأخرى : العُطب (القطـن) ويعد من المنتجات الرئيسـية منذ القدم، ومن المواد الأساسـية في صـناعة الغزل والنسـيج[١١] والكتان يزرع بكميات وافرة[١٢]، وعُرف بأسـماءٍ مختلفة، مثل الشريع [١٣]، والخنيف[١٤]. ونسـتنتج مما سـبق أن نجـران كان بلداً زراعياً توافر فيه مقومات الزراعـة، مما جعله يتميز بمنتجات زراعيـة متنوعـة، عن غيره من البلـدان المجاورة؛ فقـد زرعوا المناطق الجبلية والسـهلية والمنخفضات[١٥]، وصدروا منتجات عديدة من البقول والحبوب وأشجار الفاكهة[١٦].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص ٨٩ .

(٢) المصدر السابق، ج١٢، ص ١٣٧.

(٣) الفرسك: بالكاف بمعنى الخوخ، انظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج١٠، ص ٤٧٥؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٢٦، ص ٢٧٩.

(٤) الأترج : شجر يعلو ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبار، وهو ذهبي اللون ذكي الرائحة، والأترج واحدته ترنجة وأترجة، فقد روي : " أترجة نضح العبير بها كأن تطياتها في الأنف مشموم " . انظر: ابن سيده، المخصص، ج٣، ص٢٦٥ ؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج٢، ص ٢١٨؛ إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج١، ص٤.

(٥) يقال : للذي يكون في جوف الأترج حماض . الفراهيدي، كتاب العين، ج٣، ص ١١١ .

(٦) وهـو كلمة مشـتقة من لفـظ لاتيني (Denarius Aureus)، وهو اسـم وحـدة من وحدات السـكة الذهبية عند الرومـان، وقد عرف العـرب هذه العملة الذهبية، وتعاملوا بها قبل الإسـلام وبعده، ويزن الدينار اثنين وعشـرين قيراطاً إلا حبة، الشافعي، حسن محمود، العملة وتاريخها دراسة تحليلية عن نشأة العملة وتطورها وهواية جمعها، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م)، ص٨٣ .

(٧) الهمداني، الصفة، ٣١٨ .

(٨) المصدر السابق، ص ص ١٤٣، ٣١٤ .

(٩) السـفرجل: من الفواكه يشـبه التفاح، والواحدة سـفرجلة . انظر: الهمداني، المصـدر نفسـه، ص٣١٤؛ الفراهيدي، كتاب العين، ج٦، ص ٢١٠.

(١٠) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ١٨٥ .

(١١) الأكوع : اليمن الخضراء، ص ص ٣٧، ٦٤ .

(١٢) البريهي، الحرف والصناعات، ص ٢٤٦

(١٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص ١٧٥ .

(١٤) ابن منظور، المصدر السابق، ج٩، ص ٩٧، البريهي، المرجع السابق، والصفحة .

(١٥) عثر علماء الآثار على أدوات كانت تستخدم في الفلاحة والزراعة في نجران، مثل: المحراث المصنوع من الحديد، والمثبت بقطعة من الخشـب، والرحى الضـخمة التي تم العثور عليها في موقع الأخدود بنجران، التي كانت تستخدم في عصر الزيتون والسمسم ؛ لاسـتخراج الزيـوت، كما كانت تسـتخدم في تقشـير الحنطة، ووجود هذه الرحى الضـخمة وغيرها مـن الأدوات الزراعية في نجـران، دليـل على ازدهار الزراعة، ووفرة المحاصـيل الزراعية بها . انظر: زارينس، تقرير مبدئي عن مسـح وتنقيب نجران/ الأخـدود، أطـلال، ع٧، ص ٣١؛ العمري، طريق البخور، ص١٤٦، الزهراني، عوض علي السـبالي، وآخـرون، تقرير مبدئي عن حفرية الأخدود بمنطقة نجران الموسم الثاني ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، أطلال حولية الآثار العربية السعودية، (وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ع١٦، ص ٢٤؛ الغبان، علي إبراهيم ،وآخرون، دليل المتحف الوطني، الهيئة العامة للسياحة والآثار. (الرياض ١٤٣١هـ، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣٢هـ) ص٩٩، العيسـى ،عباس محمد زيد، موسـوعة التراث الشـعبي في المملكة العربية السعودية، ج٤(الأدوات الزراعية) ، (وكالة الآثار والمتاحف. الرياض، ص٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص ١٦.

(١٦) عنان زيد، تاريخ وحضارة اليمن القديم، ص ١٠٥ .

٣. الرعي وتربية المواشي :

الرعاة صنفان : الأول : رعاة إبل لا يرعون معها غيرها، يتنقلون معها أينما سرحت، ويُسمون بالجشر[١]. والصنف الثاني رعاة الإبل مع الغنم والماعز، وهم لا يبتعدون عن الحضر ؛ لحاجتهم للماء[٢]. أما المراعي في نجران، فهي المراعي الخاصة، وتختلف عن مراعي أهل البادية، ويطلق عليها (محجرة) أي أحميه ومراع، والحمى أو المحجر يحتوي على المراعي والأشجار[٣]، وهذا النوع من المراعي حماه الإنسان ورعاه حتى أصبح دائم العشب، ترعاه الماشية طيلة الأيام والمواسم، وأغلب حيوانات المراعي الخاصة هي : من الأغنام، والماعز، والأبقار، والخيول[٤]، والمراعي الخاصة تكون لأسر أو عشيرة معينة[٥]. أما المراعي العامة فهي مشاعة بين جميع أبناء القبيلة أو العشيرة الواحدة [٦] ولا تدخل في ملكية أحد، وتعرف بالمراعي المتنقلة، وهي موسمية[٧]، وهذه الملكيات الخاصة أو العامة في نجران عادة ما تزول بانتهاء العشب[٨] . وقد ساعد وجود المراعي الخصبة في نجران[٩]، تنوع التضاريس، فسفوح الجبال، وبطون الأودية، والأراضي الرملية، مناسبة لمراعي الإبل والماشية، وفي ذلك يقول الهمداني : " ويكون على هذه الأودية بنو الحارث بن كعب يُسيمون النعم "[١٠]، وكانت آبار حمى[١١] من أهم الأماكن الرعي في بلاد نجران ؛ حيث يوجد بها أكثر من ثلاثة عشر موقعاً تحتوي على رسوم لمناظر صيد ورعي[١٢].

---

(١) الجشر: وهم القوم يبيتون مكانهم في مرعى الإبل، لا يرجعون إلى بيوتهم . انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص ١٣٧.

(٢) الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، الحضارة الإسلامية عبر العصور في المملكة العربية السعودية، (مؤسسة التراث-الرياض، ١٤٢٧هـ)، ص٣٢ .

(٣) البريهي، الحرف والصناعات، ص ١٣٩ .

(٤) المرجع السابق، والصفحة .

(٥) الأنصاري، الحضارة الإسلامية، ص ٣٣ .

(٦) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٩٧ .

(٧) البريهي، الحرف والصناعات، ص ١٤١ .

(٨) النعيم، نورة، الوضع الاقتصادي، ص ١٥٦ .

(٩) ابن جريس، غيثان بن علي، دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١ق١٠هـ/ق٧ق١٦م)، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج١، ص ١٤٨ .

(١٠) النعم: هي الإبل والبقر والغنم، ويسيمون : يرعون السائمة . الهمداني، الصفة، ص ١٥٤ .

(١١) آبار حمى : هي من أبرز مواقع الرسوم والنقوش الصخرية في نجران . العمري، عبدالعزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص١٦٦.

(١٢) الأنصاري، الحضارة الإسلامية عبر العصور، ص٣٣٠ . لم تغفل النقوش القديمة عن ذكر الثروة الحيوانية في نجران، فمنها: نقش النصر (RES3945)، للملك دولة سبأ (كرب إيل وتر) الذي ذكر في بعض سطوره مقدار ما صادر من ماشية في أثناء انتصاراته على نجران، إذ غنم مئتي ألف من ماشيتهم إبلا، وبقراً، وحميراً، ما يدل على أن نجران بلد زراعي ورعوي منذ القدم . انظر: الرحامنة، عادل حسين، تاريخ دولة سبأ منذ القرن العاشر قبل الميلاد حتى القرن الثاني قبل الميلاد، رسالة ماجستير، (جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ص ص ٢٣٢، ٢٣٧ ؛ وانظر: ناشر، هشام عبدالعزيز، التجارة بين شبه الجزيرة العربية وسورية في الألف الأول قبل الميلاد، رسالة ماجستير، (جامعة عدن، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص٤٨ .

واهتم أهل نجران بتربية الحيوانات، من الإبل، والغنم، والماعز، والبقر، والخيل، وساعدهم في ذلك تنوع المناخ، وخصوبة التربة، ووفرة المياه[١]، وقد فرض الرسول ﷺ على نصارى نجران الجزية، وحددها لهم بقوله: "وعليهم عارية ثلاثين درعا، وثلاثين فرسا، وثلاثين بعيرا"[٢]، ويؤكد هذا على امتلاكهم لثروة حيوانية تجعلهم قادرين على دفع الجزية. وكانت الثروة الحيوانية من أعمدة حياتهم الاقتصادية ومورد رزق واكتساب، فالإبل لعبت دورا كبيرا في التجارة، وسهلت نقل البضائع، واستعملت في نقل المياه، وفي أوقات السلم والحرب لحمل ما يصعب نقله من مكان لآخر[٣]. واشتهرت بعض الإبل في نجران بمسميات منها: الداعرية، وتنسب إلى داعر من بلحارث[٤]، والصيعيرية، نسبة إلى الصيعر من بلاد كندة[٥]، والحوشبية في وبار، وهي بين نجران وحضرموت[٦]، وللإبل أهمية في حياة أهل نجران، حيث يعدون اقتناؤها مظهرا من مظاهر الغنى والثراء[٧].

كما اعتنى أهل نجران بالخيول وتربيتها[٨]، وكانت تسمى المراعي الخاصة بالخيول (الخبت): أي السهل الواسع، وجاء في لسان العرب: "الخبت ما اتسع من بطون الأرض"[٩]، وكانت تؤخذ الزكاة على الخيول في نجران[١٠]. كما اهتم الراعي النجراني

---

(١) بيضاني، إيمان محمد، الوضع الاقتصادي والحياة الاجتماعية في اليمن في صدر الإسلام، (دار الفكر العربي. مصر، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ص٥٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٥٨؛ البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ص ٧٦، ٧٧، الأنصاري، وآل مريح، نجران منطلق القوافل، ص ٣٠.

(٣) اشتهرت بعض الإبل في جنوب شبه الجزيرة العربية بمسميات منها: السكسكية، وهي مخصصة لنقل الأحمال، ويفضلها الناس على بقية الإبل؛ لقوتها وضخامة أجسامها، والأرحبية نسبة لأرحب بن الدعام من همدان، والمهرية وهي أنجب الإبل، وتفضل في السير على سائر الإبل، وتنسب إلى قبيلة مهرة، وقد اشتهرت هذه القبيلة بتربية الإبل والعناية بها؛ حتى ضرب المثل بالإبل المهرية، وتنافس العرب في اقتنائها، كما افتخروا بها؛ لجودتها وسرعتها، وكانت النجائب المهرية توصف بأنها كريمة جداً، لدرجة أن خلفاء بني أمية كانوا يطلبونها، كما حدث أيام الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك (٩٦هـ-٩٩هـ)، حيث طلب إلى عامله باليمن أن يشتري منها، لكثرة الطلب عليها، والمجيدية، وهي من أكرم الإبل وأنجبها بعد الإبل المهرية، الهمداني، الصفة، ص ص ١٩٦، ٢٢٠، ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص ص ٢٧٢، ٢٩٠، ابن قتيبة، عيون الأخبار، (دار الكتب العلمية - بيروت لبنان، د.ت)، ج١، ص ٢٥٢، العمري، طريق البخور، ص ٢٩؛ البريهي، الحرف والصناعات، ص ١٤٤، صراي، حمد محمد، الإبل في بلاد الشرق الأدنى القديم وشبه الجزيرة العربية تاريخياً - آثارياً - أدبياً، الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار الثالث، جامعة الملك سعود - الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص ٨.

(٤) الهمداني، الصفة، ص ٣٢٠.

(٥) الهمداني، الصفة، ص ١٦٦.

(٦) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٣٧.

(٧) انظر: زارينس، التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية، أطلال، ع٥، ص٣٦؛ عبد العزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص٧٨؛ الهاشمي، رضا جواد، تاريخ الإبل في ضوء المخلفات الأثرية والكتابات، مجلة كلية الآداب، ع٢٣، (جامعة بغداد، ١٩٧٨م)، ص ٢٠٩.

(٨) تم العثور على صورة فرس، نحتت على واجهة أحد حجارات جدار مبني الأخدود في نجران؛ وهذا يدل على اهتمام النجرانيين باقتناء الخيول وتربيتها، الهاشمي، تاريخ الإبل، ص ٢٠٩.

(٩) ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص ٢٧؛ البريهي، الحرف والصناعات، ص ١٤٦.

(١٠) أبو يوسف، الخراج، ص٨٣، حميد الله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٧٥.

بتربيـة الأبقـار:، وهي مـن الحيوانات التي لا تقـدر على تحمل العطش، ويقـال لذكرها : ثور، كما يقال للإبل والبقر: العوامل والعوامل من البقر التي يُستقى عليها وتستخدم في الحـرث[١]، ويذكر الهمـداني أن أهل نجران، يجلبون الأبقار مـن البلدان المجاورة فقال: " ومـن جبـلان تجلب البقر الجبلانيـة العراب الحرش الجلـود "[٢]، كما تُجلب الحمير الحضـرمية، والمعافريـة[٣]. وامتاز رعـاة الأغنام في نجران بالخـبرة والحذر، المتمثل في معرفة أنواع الأعشاب التي ترعاها مواشيهم فبعض الأعشاب سام، ويقتل الأغنام بمجرد أن تأكلـه، ومـن هذه الأعشـاب المعروفة بـ (القشـب)[٤]، وكانـت تربي الإبـل، والأغنام للاسـتفادة من لحومها ولبنها وصوفها، وهي من السلع الرائجة [٥]، التي اعتمدت عليها العشـائر الرعويـة[٦]، بينما امتلكت القبائل الزراعية المسـتقرة الأبقـار والماعز[٧]، وكتب الأحاديث والخراج والأموال تؤكد وجود ثروة حيوانية في نجران، كانت مدعاة لتشـريعات ضـريبية[٨]. ونسـتنتج مما سـبق أن الرعي وتربية المواشـي بمختلف أنواعهـا، كانت من أهـم الحـرف العامة في بلاد نجـران، وكانت القبائل تعتمد على الرعي بصـورة رئيسـة كمصـدر للعيش، وتنتقـل تبعـاً للـكلأ والمـاء بهـدف توفـير الغـذاء لمواشـيهم، وهـذا ما دفعهم إلى الاحتكاك بالقبائل الأخرى، وساعد في نهضة الحياة الاقتصادية في نجران، وثراء أهلها .

ثانياً : الحرف والصناعات التقليدية :

ازدهرت الصناعات التقليدية وارتبطت بحياة المجتمع النجراني ارتباطاً وثيقاً، إلى درجة أن بعض الحرف أصبحت مرادفة لتسـمية النجراني نفسـه، مثل كلمة حائك، ودابغ، وناسـخ، حتى قيل فيهم : " كانوا بين دابغ جلد، أو ناسج برد"[٩] . وتلك الصفات تعبر عن حضارة وتقدم المجتمعات، ومن الصناعات والحرف التي عرفها ومارسها النجرانيون ما يأتي :

---

(١) ابن سيده، المخصص، ج٣، ص ٩٥ .

(٢) الهمداني، الصفة، ص ٢٠٥ .

(٣) الهمداني، المصدر نفسه، ص ٣٢٠ .

(٤) القشـب: وهو نبات يشـبه المقر، والمقر هو السُّمُّ ، وجمعه أقشـاب، وقد قشـب له سـقاه السـم، انظر: ابن سيده، المخصص، ج٢، ص ٣١٤، العمري، عبد العزيز إبراهيم، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول، (دار إشبيليا، الرياض، ط٣، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، ص ٦٩ .

(٥) النعيم، نورة، الوضع الاقتصادي، ص ١٥٩ .

(٦) الهمداني، الصفة، ص ١٦٦ ؛ شكري، الأوضاع القبلية، ص١٠٨ .

(٧) شكري، المرجع السابق، ص ١٠٩ .

(٨) مالك بن أنس، أبو عبدالله الأصبحي، موطأ الإمام مالك، رواية محمد بن الحسـن، تحقيق تقي الدين الندوي، (دار القلم - دمشق، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩١م) ج٢، ص ١٤٤، ج٣، ص٢٥٤. ابن زنجويه، الأموال، ج١١، ص ٩١٠. ابن سلام، أبو عبيد القاسم، كتاب الأموال، تحقيق : محمد عمارة، (دار الشروق، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص٥٢٢، شكري، المرجع السابق، ص ١٠٩ .

(٩) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٤٤٨ .

١ـ النسيج والبرود :

شهدت صناعة النسيج في جنوب شبه الجزيرة العربية بصفة عامة، ونجران بصفة خاصة، تقدماً ملحوظاً، وازدهاراً كبيراً في عصورها الإسلامية، وقد نصت معاهدة الرسول ﷺ مع أهل نجران، على تحديد الجزية بحلل [١]، وهي الأقمشة ؛ مما يدل على أنهم كانوا متقدمين في صناعة النسيج بمختلف أنواعه، وأن الأردية والأثواب النجرانية، كان لها شهرة واسعة، فقد كان الرسول ﷺ يمتلك بردة نجرانية، كما كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يلبس البرود النجرانية [٢]، وهذا يؤكد شهرة نجران بصناعة النسيج، وكانت البرود النجرانية من أهم الأنسجة اليمانية، كما استعملت في تكفين الموتى، ويذكر أن رسول الله ﷺ كُفن في حلة حمراء نجرانية، كان يلبسها[٣]، ونستنتج من هذه الرواية جودة الصنعة في نجران، وهو ما دعا علي بن أبي طالب ـ رضوان الله عليه ـ إلى اختيار أثواب نجران على غيرها. كما عرف النجرانيون أنواعاً مختلفة من المواد الخام اللازمة لصناعة المنسوجات، مثل: الصوف، وشعر الماعز، والكتان، والقطن[٤]، والحرير، والوبر[٥]. وكان يصنع من الصوف أنواع عديدة من الملابس : كالكساء، والبجاد[٦]، والنمرة[٧]، والبردة، والشملة[٨]، والبرجد [٩]، والعباءة[١٠] . وكان الكتان يُنسج في بلاد نجران، حيث ينظف، ويمشط بأمشاط خاصة، وبعد ذلك يتم غزله[١١]، وصناعة النسيج في نجران معروفة منذ القدم، فقد اشتهرت بجودة صناعته، وإتقانه ؛ وكان أغنياء الحجاز، وغيرهم من جزيرة العرب، يتفاخرون بحصولهم على البرد (الحبر) النجرانية، التي تعد من أغلى الملابس في عهد الرسول ﷺ [١٢] . أما الأداة التي استخدمت في نسج الأقمشة فهي : النول

---

(١) عبدالعزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص ١٤٦ .

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص ٢٨ .

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٨٦ .

(٤) وردت عبارة الأثواب اليمانية المصنوعة من الكرسف ـ وهو القطن ـ في بعض المعاجم العربية، وهذا يوحي أن القطن كان يزرع في اليمن . انظر: ابن سيده، المخصص، ج١، ص ٣٨٤ ؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص٢٩٧ . وقد تم اكتشاف العديد من المنسوجات، معظمها من الكتان، وصوف الأغنام، ووبر الجمال، وهي أجزاء من ملابس، كان يستعملها كلا الجنسين، وأجزاء أخرى كانت تُزين ظهور الجمال، وتغطى الهوادج، وكان بعضها يحاك بنعومة فائقة، من خيوط رفيعة من الكتان، الأنصاري . قرية الفاو، ص ٢٨ .

(٥) عبدالعزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص ص ١٤٦، ١٤٨ ؛ وانظر: ربيع حامد خليفة، الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، (الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص ١٦٧ .

(٦) البجاد : كساء مخطط . انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص ٧٧ .

(٧) النمرة : بردة مخططة، وقد روي أن الرسول ﷺ كان يلبس النمرة . المصدر السابق، ج٥، ص ٢٣٤ .

(٨) الشملة : مئزر من صوف، المصدر السابق، ج١١، ص ٣٦٤

(٩) البرجد : كساء من صوف أحمر، وقيل:كساء مخطط، المصدر السابق، ج٣، ص ٨٩ .

(١٠) ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق، كتاب الألفاظ أقدم معجم في المعاني، تحقيق : فخر الدين قباوة، (مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٨م)، ص ٤٩٤ .

(١١) البريهي، الحرف والصناعات، ص ٢٤٦ .

(١٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٥٧ ؛ عبدالعزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص ١٤٦، ١٤٨ .

أو المنوال أو المنسج، وهو الخشبة التي ينسج عليها الثوب[١]، واستخدموا لصناعة الحرير آلة أشار إليها الهمداني، وهي " آلة الحرير النفيسة الملوكية"[٢]، ولا ندري هل استخدمها عامة الحرفيين في الغزل والنسيج، أم استخدمها الخواص فقط، الذين يعملون لحساب الأمراء والأعيان، لصنع أنسجة حريرية خاصة تليق بمكانتهم، ويبدو من الاسم " آلة ملوكية" ، أنها خاصة لعمل الحرير لحساب الأمراء والأعيان، ومما لاشك فيه أن الحرفي النساج، بحاجة إلى أدوات عمل للغزل والنسيج، كالقصي[٣] وغيرها .

وكانت المنسوجات النجرانية تفوق نظيرتها في الثمن [٤]، فمن أشهر هذه المنسوجات: البرود[٥]، والأتحمية[٦] ، وأكياش[٧]، والتجاويز[٨]، والجيشانية[٩]، والحبرة [١٠]، كان يلبسها أهل نجران، وما يؤكد ذلك أنه عندما قدم وفد نصارى نجران على الرسول ﷺ، كانت عليهم ثياب الحبرة، وأردية مكفوفة بالحرير[١١]. وكانت ثياب الحبرة من أثمن البرود وأنفسها عند أهل مكة، وغيرهم من العرب، ومن المنسوجات : الحلل وتكون ثوبين، وهي إزار ورداء برد[١٢]، والخال[١٣]، والأخماس[١٤] ، والسند[١٥]، والسندس من البرود أيضاً [١٦]، والسيراء [١٧]، والشيح أو السيح، والمشيح

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص ٦٨٣ .

(٢) الهمداني، الصفة، ص ٣٢١ .

(٣) القصيّ : الخيوط التي يطرحها الحائك من أطراف الثوب إذا فرغ، انظر: ابن سيده المخصص، ج٣، ص ٤٣٨ .

(٤) الجاحظ، عمرو بن بحر، كتاب التبصير بالتجارة، تحقيق : حسن حسني عبدالوهاب، (دار الكتاب الجديد - بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ٢٧ .

(٥) البرود : هي الثياب، واحدها برد وهو ثوب فيه خطوط، وخص بعضهم به الوشي، وكان يضرب بها المثل في الحسن والجمال، كما أنها تعد من نفائس الملابس، الثعالبي، انظر أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعارف - القاهرة، ط١، ١٩٦٥م)، ص ٥٩٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٥، ص ٣٩٢، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٥٩٧؛ العمري، طريق البخور، ص ١٧٣ .

(٦) ضرب من البرود، ويقال : أتحمت الثوب إذا وشيته، وهي برود مخططة بالصفرة، انظر ابن منظور، المصدر السابق، ج١٢، ص ٦٣،

(٧) أكياش : وهي البرود، المصدر السابق، ج٦، ص ٣٤٤ .

(٨) التجاويز: برود موشاة، واحدها تجواز، المصدر السابق، ج٥، ص ٣٢٦ .

(٩) الجيشانية : برود موشاة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٢٠٠.

(١٠) الحبرة : من البرود ما كان موشياً مخططاً، الفراهيدي، كتاب العين، ج٣ ص ٢١٨.

(١١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٥٧ .

(١٢) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٤، ص ١٥٧ ، الزبيدي، تاج العروس، ج١٠، ص ٥٠٨ .

(١٣) الخال : برود مواشاة، ويتصف هذا النوع من البرود بنعومته . انظر: ابن سيده، المخصص، ج١، ص٣٨٦ .

(١٤) الفراهيدي، كتاب العين، ج٤، ص ٢٠٥ .

(١٥) السند : من البرود يلبس قميصاً، ثم يلبس فوقه قميصاً أقصر منه . المصدر السابق، ج٧، ص ٢٢٩؛ ابن منظور، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢٠ .

(١٦) ابن منظور، المصدر السابق، ج٦، ص ١٠٧ .

(١٧) السيراء : ضرب من البرود فيه خطوط صفر، موشى بالحرير أو بالذهب الخالص، وقيل ثوب مسير فيه خطوط

المخطط[١]، والعصب [٢]، من المنسوجات الغالية [٣]، والأفواف[٤]، والمراحل أو المرحل[٥]، والمسهم [٦]. والمقطعات[٧]، والمعاجر [٨]، والوصايل[٩]، وكانت تنسج في الجاهلية، واستمر نسجها في القرون الإسلامية الأولى مع احتفاظها بخصائصها التي تتميز بها بين الأقمشة، وهي الخطوط التي تنساب طويلة أو عريضة، لتعطي منظراً وألواناً متعددة [١٠]، وشملت صناعة النسيج والحياكة في نجران فنوناً متنوعة، وتخصصات مختلفة، منها ما هو ضروري في حياة سكانها اليومية، مثل الخدر، والخيام، والفرش، والملابس، ومنها ما هو كمالي، ارتبط بمظاهر الترف والذوق الفني الرفيع، مثل العمائم، والشمائل، والأقمشة الفاخرة الأخرى[١١]، وهناك صناعات أخرى قامت في نجران، كالأقفاص من جريد النخل[١٢]، والحصر، وبعض الأطباق من الخوص، وتعرف هذه الحرفة بالخواصة، وتعني : نسج بعض الأدوات والأثاث من خوص النخيل[١٣] ،الذي كان متوفراً في أرض نجران [١٤]، كما كانت الخيام تصنع من الجريد والخوص .

تعمل من القز، كالسيور أو خطوط من الذهب، وهي حلل الأغنياء والوجهاء، انظر: ابن سيده، المصدر نفسه، ج٥، ص ٤٧؛ ابن منظور، المصدر السابق، ج٤، ص ٣٨٩ .

(١) الفراهيدي، كتاب العين، ج٣، ص ٢٦٣، العمري، طريق البخور، ص١٧٦ .

(٢) وهي برود مخططة، يعصب أي (يجمع) غزلها، ثم يصبغ، ثم يحاك، فيأتي موشياً لبقاء ما عصب منه أبيض، الفراهيدي، كتاب العين، ج١، ص ٣٠٨، ابن منظور، المصدر نفسه، ج١، ص ٦٠٢ .

(٣) المقدسي، محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق : غازي طليمات . (وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دمشق، ١٩٨٠م)، ص ١٠٨ .

(٤) الأفواف : ضرب من البرود يسمى برد أفواف، وبرد مفوف، أي: رقيق، والأفواف ثياب رقاق موشاة . انظر: الفراهيدي، المصدر نفسه، ج٨، ص ٤٠٨؛ ابن منظور، المصدر نفسه، ج٩، ص ٢٧٣ .

(٥) المراحل : من البرود، سمي بهذا الاسم لأن عليه تصاوير رحل قوافل السفر . انظر: الفراهيدي، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٠٨؛ ابن سيدة، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٨٦ .

(٦) المسهم : برد مخطط .انظر الفراهيدي، المصدر السابق، ج٤، ص١١، ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٢، ص ٣١٤ .

(٧) المقطعات : برود عليها وشي مقطع، وتكون مختلفة الألوان، ويلبس أسفل منها ثوب على لون آخر، ابن منظور، المصدر السابق، ج٨، ص ٢٧٦ .

(٨) المعاجر : هي الثياب اليمانية، والمعجر هو الثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها، ثم تتجلبب فوقه بجلبابها، والجمع المعاجر، ومنه أخذ الاعتجار وهولي الثوب على الرأس من غير إدارة تحت الحنك . انظر: الفراهيدي، كتاب العين، ج١، ص ٢٢٢، ابن سيده، المخصص، ج١، ص ٣٨٦، ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥٤٢ .

(٩) الوصايل: وهي: ثياب يمانية مخططة بيض وحمر، واحدتها وصيلة، وهي نوع من الأقمشة المعروفة، انظر: ابن سيده، المخصص، ج١، ص٣٨٦ .

(١٠) الزهراني، رحمة أحمد، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في بلاد اليمن، ص ١٣٦ .

(١١) من المنسوجات الصوفية في نجران، المجرة، والرداعة أي فراش صغير، والهدر : فراش طويل وعريض، ، والبساط من المنسوجات وغالباً ما يكون أسود، والخرج : حاوية لحمل الأمتعة على ظهور الدواب، والبطانة لتبطين بيوت الشعر . عبدالعزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص ١٤٨ .

(١٢) السيف، عبدالله محمد، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، (مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ١٦٥ .

(١٣) الخوص : ورق النخل، والمقل، والنارجيل، ونحوه، وأحوصت الخوصة والشحرة أي بدت، والخياصة عمل الحواص، أي علاجه للحوص . الفراهيدي، كتاب العين ،ج٤، ص ٢٨٥ .

(١٤) الهمداني، الصفة، ص ٣١٩ .

٢. الخياطة والصباغة :

مارس النجرانيون صناعة الملابس وخياطتها [(١)]، ونسبت إليهم البرود النجرانية[(٢)]، كما تنسب إليهم العصب، وهي نوع من البرود النسائية التي تصبغ قبل أن تنسج ؛ مما يجعلها مخططة [(٣)]، ويتم نسجها من الكتان المصبوغ بأصباغ يمنية، خاصة ما يعرف بـ : (الورس) وهو صبغ نباتي أصفر اللون، وتصبغ به الملاحف [(٤)]، ويزرع في نجران، ويذكر أن " الورس باليمن، ونجران "[(٥)]، وهو من الأصباغ النادرة التي تم تصديرها من نجران، إلى بعض البلدان الأخرى التي تستخدمها في الصباغة، ويقال أن الجمال التي تحملها كان يصفر لونها بتأثر لون أحمالها[(٦)]، ومن النباتات التي استعملت في الصباغة : الزعفران[(٧)]، ويقال للثوب إذا صبغ بالزعفران (مجسد) [(٨)]، والفوة يصبغ ويداوى بها، وتسمى عروق الصباغين[(٩)]، والعصفر، وقد صُبغت به الدروع[(١٠)] .

٣. الدباغة والصناعات الجلدية :

اشتهرت نجران بدباغة الجلود، والاستفادة منها في أغراض مختلفة، وتصدر الجلود إلى أماكن أخرى عديدة في شبه الجزيرة العربية، عن طريق التجار والمسافرين، ويؤكد ابن المجاور ذلك بقوله: " ويدبغ الأديم في جميع إقليم اليمن والحجاز ونواحيها، ويبيعوه طاقات بالعدد "[(١١)]، وقد عُنيت نجران بالصناعات الجلدية ؛ وذلك لتوافر المواد الخام الأولية المتمثلة في جلود : الإبل، والبقر، والأغنام، والماعز، كما توافرت بها الأيدي العاملة، التي مارست دباغة الجلود وتحويلها إلى أدوات للاستخدامات اليومية، كالحبال والسروج، والدلاء، والأفرشة، والأحذية، وغيرها. وكانت نجران من أهم مراكز صناعة الجلود، ويشير ابن حوقل إلى ذلك قائلاً : " ويتخذ بنجران وجرش والطائف أدم كثير

---

(١) لم يقتصر مفهوم أهل نجران للخياطة على خياطة الأقمشة، بل تعدى ذلك إلى الخياطة الجلدية، حيث كانت النساء يصفقن الطباب أو الطبة، وهي الجلدة التي تجعل في طرف في الجلد في القربة أو السقاء، وذلك بخياطة قطعة من الجلد على طرف الجلد في القربة والسقاء، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٥٥٣ .

(٢) عدوى، محمود محمد، الملابس في شمال ووسط الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام وعصر الرسول (٥٠٠-٦٢٢م)، رسالة ماجستير، غير منشورة، (الجامعة الأردنية، ١٩٩٨م)، ص ٤٩ .

(٣) ابن منظور، المصدر السابق، ج١، ص ٦٠٢ .

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٤٥١، الزبيدي، تاج العروس، ج١٧، ص٩ .

(٥) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، كتاب النبات، تحقيق : برنهارد ليفين، (فرانز شتاينر، فيسبادن، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ج٣، ص ١٦٥ .

(٦) دليل، مطلق، السدو والحياكة التقليدية في المملكة العربية السعودية، (١٤٢٧هـ)، ص ٩٨ .

(٧) المرجع السابق، والصفحة .

(٨) الدينوري، كتاب النبات، ج٣، ص ص ١٧٢، ١٧٣ .

(٩) الفوة : نبات له سيقان غليظة ،وعروق دقيقة طوال حمر، وتعطي هذه النبتة اللون الأحمر القاتم . المصدر السابق، ج٣، ص ١٧٤؛ ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص ٥٢٥، دليل مطلق، السدو والحياكة، ص١٢٧.

(١٠) العصفر : صبغ نباتي أحمر اللون، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص ٧٠ .

(١١) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ١٣ .

غزير" [١]، وبها تُدبغ الجلود التي لا يبلغها شيء في الجودة، وكان أهلها مشهورين بذلك[٢]. وقد تعددت المواد المستخدمة في الدباغة، مثل: النجب [٣]، والدهناء[٤]، والقرظ[٥]، وكان أجود مواد الدباغة [٦]، وكذلك الغرف[٧]، وعرفت الجلود التي تدبغ بها بـ: (الجلود الغرفية) [٨]، ومنها جلود يمانية وجلود نجرانية[٩]، كما استخدم الدباغون مادة الجير في إزالة الشعر من الجلد بسهولة، وكذلك العفص[١٠]، للمحافظة على الجلد من التلف لحين دبغه[١١]، أما الأدوات التي استخدمت في دباغة وخرز الجلود فمنها : المحط، والمجلاة[١٢]، بالإضافة إلى أدوات أخرى استخدمت في أغراض شتى للدباغة والخرازة، ومنها : المخط[١٣]، والمنحاز[١٤]، والمسرد، والخصف[١٥]، والميجنة[١٦]، فضلاً عن مطاحن القرظ، التي وُصفت بضخامة حجارتها[١٧] .

وتعددت الصناعات الجلدية في نجران، فمنها : صناعة القرب التي استخدمت في حفظ الزيوت، والدهون، والشحوم، والمواد الغذائية الأخرى، وقد عولجت هذه القرب معالجة خاصة ؛ حتى لا يتأثر الشراب بداخلها من رائحة الجلد [١٨]، كما صنعت الدلاء

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٦.

(٢) الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (عالم الكتب. بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ج١، ص ص ١٤٦، ١٥١ .

(٣) النجب: قشر سيقان نبت الطلح، النظر: ابن منظور، لسان العرب ،ج١، ص ٧٨٤. ويُسمى الجلد المدبوغ به: الجلد المنجوب . عدوي، الملابس في شمال ووسط الجزيرة، ص ٣٦.

(٤) الدهناء : عشبة حمراء، لها ورق عراض يدبغ به، ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٣، ص ١٦٠؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٣٥، ص ٤٣ .

(٥) القرظ : ورق نبات السلم. ابن منظور، المصدر السابق، ج٧، ص ٤٥٤، ويسمى الجلد المدبوغ به الجلد المقروظ، ابن السكيت، كتاب الألفاظ، ص ١٣٣ .

(٦) الدينوري، كتاب النبات، ج٣، ص ١٠٥ .

(٧) الغرف: شجرة صغيرة، تنبت في جزيرة العرب، أوراقها مستطيلة أو رمحية، والثمرة لحمية برتقالية اللون، ترتفع إلى ثلاثة أمتار . انظر: إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج٢، ص ٦٥٠ .

(٨) الدينوري، المصدر نفسه، ج٣، ص١١٩ .

(٩) الزبيدي، المصدر نفسه، ج٢٤، ص ٢٠٤ .

(١٠) العفص : هو الذي يُتخذ منه الحِبر، وقيل هو حمل شجرة البلوط، تحمل سنة بلوطاً وسنة عفصاً، ابن منظور، المصدر السابق، ج٧، ص ٥٤ .

(١١) البريهي، الحرف والصناعات، ص ٢٥١.

(١٢) المحط : يستخدم لصقل الأديم وتنميقه، وهو مصنوع من الخشب، أو الحديد ؛ لإزالة الوسخ العالق بالجلد، والمجلاة أو المحلاة وهي: حجر خشن، الدينوري، المصدر نفسه، ج٣، ص١١٧ ؛ ابن سيده، المخصص، ج١، ص ٤٠٨ .

(١٣) المخط : هو العود الذي يخط به الحائك الثوب .ابن سيده، المخصص، ج١، ص ٣٨٢ .

(١٤) المنحاز ما يدق فيه، والنحز الضرب . انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص ٤١٤ .

(١٥) المسرد والمخصف وهي ما يُخرز بها، أي يثقب بها، وقيل : الدرع مسرودة وسردها نسجها . انظر: المصدر السابق، ج٣، ص٢١١ .

(١٦) الميجنة : التي يوجن بها الأديم، أي: يدق ليلين عند دباغته، وهي من الحجر أو غيره .انظر: المصدر السابق، ج١٣، ص ٤٤٣ .

(١٧) عثر في نجران على طواحين ضخمة، مصنوعة من الحجر، وكان يطحن بها القرظ ؛ لاستخدامه في معالجة الجلود .ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص٢٠ .

(١٨) الدينوري، كتاب النبات، ج٣، ص ١١٧، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص٥٨٨ .

والركاء، وهما مما يستخرج بهما الماء من البئر، بواسطة الحبال التي كانت تُصنع من الجلود، وقد خصص الدينوري في كتابه النبات باباً سماه : "باب الحبال"[١]، أورد فيه أوصاف الحبال التي تتخذ من النباتات والجلود، حيث يدل ذلك على أهمية الصناعات الجلدية، وكذلك صُنعت أدوات السقي من الجلد[٢]، كما دخلت هذه الصناعة في سروج الخيل ولجامها، وفي أغمدة السيوف، وفي بعض التروس، وفي صناعة الكنانة للسهام، وغيرها من الصناعات الحربية[٣]، وكذلك في الخيام، والحياض، والأواني الجلدية مثل: العلاب[٤]، والعيبة[٥]، وغيرهما، بالإضافة إلى الخافة[٦]. وأيضاً القباب وهي البناء من الأدم[٧]، وكانت كعبة نجران قبة من أدم، من ثلاثمائة جلد[٨]، كما استعملت جلود النمور والثعالب في صناعة بعض الأشياء، مثل: الفرش النفيسة، والسروج[٩]، واتخذ من جلود الثعالب الفراء، ومن أنواعه : سبنجونة، والفنك والمسانق[١٠] .

ويبدو من خلال ما أوردته المصادر التاريخية، أن نجران اشتهرت بدباغة الجلود والصناعات الجلدية، منذ عصور ما قبل الإسلام، واستمرت شهرتها خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة، وصدرت ما زاد عن حاجتها من الجلود المدبوغة أو المصنوعة الجلدية، إلى الأقاليم الأخرى، فكانت هذه الصناعة من أهم الحرف التي زاولها النجرانيون، واشتهروا بها ؛ حتى انتشرت القباب المصنوعة من الأدم، خلال القرن الأول الهجري[١١]، وكسيت الكعبة في عهد الرسول ﷺ بالثياب اليمانية، ثم كساها بنو أمية في بعض أيامهم بالحلل، التي كان أهل نجران يؤدونها[١٢] .

٤. الصناعات الخشبية :

تسمى الخشبة التي تدور فيها رجل الباب : النجران، ويقال لأنف الباب : الرتاج، ولمترسه القناح والنحاف[١٣]، وربما كانت تسمية نجران بهذا الاسم ؛ نظراً لشهرتها

---

(١) كتاب النبات، ج٣، ص ٢٣٣ .

(٢) جواد علي، المرجع نفسه، ج٧، ص ٥٩٠ .

(٣) العمري، الحرف والصناعات، ص ٢٨٤ .

(٤) العلاب : قدح ضخم من جلود الإبل . ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٦٢٧.

(٥) العيبة : حصير منسوج، خيوطه سيور . ابن منظور، المصدر السابق، ج١٢، ص ٤٨٧.

(٦) الخافة : فرو من جلد، يلبسها العسال عند دخوله بيت النحل . المصدر السابق، ج٩، ص٩٩ .

(٧) الزبيدي، تاج العروس، ج٣، ص ٥١١ ؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٥٩٠ .

(٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٦٨ .

(٩) الهمداني، الصفة، ص ٣٢١ .

(١٠) جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٩٢.

(١١) ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٣، ص ٢٠؛ جواد علي، المرجع السابق، ج٧، ص ٥٣٨ .

(١٢) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ٥٤، ٥٥ .

(١٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص ١٩٣.

بالصناعات الخشبية، حتى قيل: "نجران الباب: الخشبة التي يدور عليها "[١]، ومن أهم الصناعات الخشبية التي اشتهرت بها نجران: صناعة الأبواب والأسقف، والنوافذ، والأثاث بأنواعه من أوان للطعام[٢]، وأدوات للزينة[٣]، وأدوات زراعية كالمحراث الخشبي، ومقابض الفؤوس، والمسّحاة، والمطارق، والسروج المستخدمة مع الإبل والخيل[٤]، والأسلحة مثل: القسي، والرماح، والنبال، والسهام[٥]، وكانت تصنع من أشجار أخشابها صلبة يتم اختيارها، مثل أشجار الشوحط، والضال[٦]، وكانوا يضعون هذه السهام في جعبة تسمى الكنانة[٧]، كما صنعت الأقواس من شجر الشوحط، وهو شجر ينبت في جبال السراة، ويسمى النبع أحياناً[٨]، وقيل: "القواسون والنبالون من أهل السراة كثير لكثرة الشجر بالسراة"[٩]. كما يروى أن الأقواس كانت تعمل عند قبيلة بلحارث من شجر التألب[١٠]،وكذلك الأقواس المرانية، نسبة إلى بلاد مران من خولان[١١].

وتوافر الأخشاب في الطبيعة[١٢]، وسهولة استخدامها؛ ساعد على تنوع مصنوعاتها، فمن جذوع النخيل أو الأثل، صُنعت الأبواب، والنوافذ، والسروج، والسواقي واستعمالاتها، مثل: الأقداح، والمكاييل، والقطع المعدنية[١٣]، كما صُنعت أبواب البيوت، والنجيرة وهي السقيفة من خشب، ليس فيها قصب ولا غيره[١٤]، واستخدام الخشب وجريد النخل بشكل

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٦٦.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ج٣٤، ص ٣٥٩؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٥٥٠.

(٣) مثل بعض الأمشاط الخشبية، التي صنعت من أخشاب الترمدا. انظر: النعيم، نورة، الوضع الاقتصادي، ط١٨٦، وقد أسفرت أعمال التنقيب في نجران، عن اكتشاف مصنوعات يدوية خشبية، عبارة عن أجزاء من أمشاط مزينة ومزخرفة. انظر: "NAJRAN" : Salh AL-marih . op.cit., pp365

(٤) هذه أدوات كانت تستخدم في حرفة الزراعة، والحراثة، والنجارة في نجران، حيث تم العثور على بعض منها في نجران انظر زارينس. تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران، أطلال، ع٧، ص٣١؛ النعيم، نورة، المرجع نفسه، ص١٨٥.

(٥) النعيم، نورة، المرجع نفسه، ص ١٨٥. تم العثور في نجران على بعض الأسلحة كالرماح، والنبال، والسهام، والأقواس، والسروج. Walter Dostal : The Development of Bedouin Life in Arabia Seen From Archaeological Material". Sources for the History of Arabia, Vol. 1(Riyadh University Press, 1399H/1979 A.D) pp126. 129

(٦) الضال: السدر البري، واحدته ضالة. انظر: ابن سيده، المخصص، ج٣، ص ٢٥٧ إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج١، ص ٥٤٨.

(٧) واضح الصمد، الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، (المؤسسة الجامعية للدراسات بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م)، ص ١٦٥؛ البريهي، الحرف والصناعات، ص ٢٦٨.

(٨) الزبيدي، تاج العروس، ج١٩، ص ص ٤٠٢، ٤٠٣، ج٢٢، ص ٢٢٨.

(٩) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٥٥.

(١٠) السيف، الحياة الاقتصادية، ص ١٦٤.

(١١) البريهي، الحرف والصناعات، ص ٢٧٠.

(١٢) من جذوع النخيل أو الأثل، صُنعت الأبواب، والنوافذ، والسروج، والسواقي. انظر: الشريف، عبدالرحمن صادق، جغرافية المملكة العربية السعودية، (دار المريخ- الرياض، ط٦، د.ت)، ص ٢٩٠.

(١٣) عبدالعزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص ١٣٧.

(١٤) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٥، ص ١٩٣. وقد عثر المنقبون في نجران على ألواح من الخشب، وعلى شبابيك ومواد

رئيس في السقوف والأبواب والنوافذ[١]، واستعانوا بعدد من الأدوات، بعضها من صنع الحداد، مثل: الفأس على اختلاف أشكالها، والمنشار وهو حديدة لقطع الخشب[٢]، والمحفار والمنقار المصنوع من الحديد، ويستخدم لحفر الخشب ونقشه[٣]، والمسحل، والمثقب الذي يثقب به الخشب[٤]، والكلبتان التي يستخدمهما الحداد والنجار على حد سواء، وهي آلة يخرج بها النجار المسمار من الخشب[٥]، والمسامير لشد الخشب. وغير ذلك من المعدات والأدوات، التي تستخدم في قطع الخشب، وفي صقله، وتنظيمه، وهندسته ؛ لجعله مناسباً للعمل[٦].

٥. التعدين، والحدادة، والصياغة :

المعدن منبت الجواهر من الذهب والفضة والحديد، ومعدن كل شيء أصله ومبدؤه[٧]،والمعدن من عدن، وتعني الإقامة، حيث كان مستخرجو المعادن يقيمون فيه شهوراً، فلا يسأمون من استخراج المعادن[٨]، وقد صور الشعر العربي تعامل اليمني مع المعادن، وتطويعها بالنار، وعمله الدائب فيها، قائلاً :

يمانياً يظلُّ يَشدُّ كيراً ويَنْفُخُ دائباً لَهَبَ الشُّواظِ[٩]

وحظيت الصناعات المعدنية في نجران بأهمية كبيرة منذ اكتشاف المعادن[١٠]، التي تعد أكثر المواد قدرة على تحمل تبعات الاستخدام لفترة طويلة، وتعددت المعادن واستخداماتها، فشملت الأسلحة والنقود[١١]، والحلي، والأواني، والأدوات المختلفة[١٢]. وتوفرت في نجران

خشبية أخرى، منقوشة نقشاً جميلاً، ومحفورة بإتقان، تدل على تمكن النجار من مهنته، وقدرته على استخدام أدوات النجارة، في صنع ما يريد من الخشب، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص٥٤٧.

(١) عبدالعزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص ١٣١ .

(٢) الزبيدي، تاج العروس، ج١٠، ص٥٥ .

(٣) المصدر السابق، ج١٤، ص ٢٧٥ .

(٤) العمري، الحرف والصناعات في الحجاز، ص٢٠٥.

(٥) المرجع السابق، والصفحة .

(٦) الزبيدي، تاج العروس، ج١٣، ص٧٥ .

(٧) الهمداني، الجوهرتين، ص٢٥٥ .

(٨) البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، كتاب الجماهر في معرفة الجواهر، (عالم الكتب ـ بيروت، د.ت)، ص٣٨ . ووجدت معادن تسمى : (المرقشيثا) الذهبية والفضية في صعدة، بالقرب من نجران، كما وُجد الحديد في نجران وصعدة، وعدن . انظر: ناشر، التجارة بين شبه الجزيرة العربية وسورية، ص ٥١ .

(٩) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص ٤٤٦؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٤٤٧ .

(١٠) النعيم، نورة، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص٢٦٧ . ويؤكد المنقبون وعلماء الآثار ذلك، حيث عثروا على مواضع لعدد من أفران استخلص المعادن من خاماتها، نظرا لوجود رماد، وفحم نباتي، كما عثر في نجران على جفاء معادن البرونز والنحاس، وبعض الأنواع المختلفة من الزجاج، ووجد بها مطاحن ضخمة، وهذا يوحي أنه كان يوجد بها احتراق شديد . انظر: زارينس، تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران، أطلال، ع٧، ص٢٥ .

(١١) تم العثور في نجران على قطع نقدية برونزية دائرية، وأخرى مصنوعة من الفضة، انظر: AL –marih, NA-JRAN. Op.cit,p367.

(١٢) عبد العزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص١٣٨. أسفرت أعمال التنقيب في نجران، عن اكتشاف العديد من الأدوات المنزلية والحلي، مصنوعة من المعادن المختلفة . انظر: الزهراني، عوض علي السبالي، حفرية الأخدود بمنطقة نجران، الموسم الخامس ١٤٢٤هـ. أطلال، ع١٩، (وكالة الآثار والمتاحف ـ الرياض، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص١٩ .

معادن الذهب، والفضة، والحديد، والرصاص، والنحاس[١]، ومن معادن الذهب ما ذكرها الهمداني بقوله: "معدن القفاعة من أرض الجزيرة من خولان، وقد يدعى: معدن البار، وهو خير المعادن جميعاً وأقلها وضوحة، وأشدها حمرة، ومثله وقريب منه معدن المخلفة من أرض حجور، من أرض همدان، وبأرض بني سابقة[٢] بالحد ما بين صعدة ونجرانٍ، وهو معدن جيد، ومنها: معدن العقيق، عقيق جرم، بين نجران والفلج[٣]،وهو غزير جداً، ويُسمون القطعة هناك: دقة، فهذه ماعمل من معادن الذهب بنجران وتهامة واليمن"[٤]، وما ذكره الهمداني ينهض دليلاً على توفر معادن الذهب[٥] في نجران وما جاورها من البلدان، وغزارتها، واشتهار أهلها بحرفة التعدين، فقد عثر المنقبون في شمال نجران على أدلة، تؤكد استغلال الذهب من منجم الهجيرة[٦]،كما عُثر على شواهد تؤكد قيام نشاط التعدين في وادي تثليث[٧]، حيث تم العثور على بقايا مناجم أصلية وأولية للذهب، وقد شوهد العديد من آبار المناجم الصغيرة الرأسية، مع أنه لا يوجد بالقرب منها آثار للمستوطنين، ويرى المنقبون أن هذه المناجم استغلت خلال مدة ازدهار الممالك اليمانية، وتعدد مناجم الذهب والحديد في كل من تثليث، وبيشة، وتبالة[٨].

ومن معادن الفضة معدن الرضراض باليمن[٩]، الواقع جنوب نجران[١٠]، ذكر الهمداني أن أهله جميعاً كانوا من الفرس في الجاهلية، وأيام بني أمية، وكانوا يسمون: فرس المعدن، وقد نقل الهمداني عن معدني الفضة قوله: "ليس بخراسان ولا بغيرها كمعدن اليمن، وهو في حد نهم، ومخلاف يام"[١١]، وأشار إليه الأصفهاني عندما وصف جبال كوكب في نجران بقوله: "الكوكبة هي على رأس جبل، كان مثقوباً فيه باب، وإنما

---

(١) النعيم نورة، الوضع الاقتصادي، ص٨٩.

(٢) بنو سابقة: هما سابقة الكبرى من حاشد من همدان، وسابقة الصغرى من وادعة، ثم من حاشد أيضاً، وبنو سابقة هم قبيلة وادعة القبيلة الكبيرة، التي تسكن في أعلى وادي نجران، مجاورة لقبيلة يام. انظر: الهمداني، الجوهرتين، ص٢٦١.

(٣) الفلج: مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة، وقشير بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ٢٧١.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص ٨٦، ٨٧.

(٥) من أسماء الذهب: الحمد، والطيب، والزرجون، والزرنب، والزرياب، انظر: الهمداني: الجوهرتين، ص٢٣٠.

(٦) قرية الهجيرة: أقصى بلاد بني الحارث من جهة الشمال، الهمداني، المصدر السابق، ص ص ٢٢٨، ٣٠٥، العمري، طريق البخور، ص ١٦١؛ حمد الجاسر، المعادن القديمة في بلاد العرب، مجلة العرب، (السنة الثانية ربيع الأول ١٣٨٨هـ /١٩٦٨م)، ج١١، ص ٩٨٩.

(٧) تثليث: واد بنجد، وهو على يومين من جرش في شرقيها، إلى الجنوب ثلاث مراحل ونصف من نجران، إلى ناحية الشمال. البكريّ، معجم ما استعجم، ج١، ص ٣٠٥.

(٨) العمري، المرجع السابق، ص ص ١٦١-١٦٣.

(٩) الرضراض: أرض في ديارهم من همدان، وفيها معدن فضة، البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص١٦٥٥، الهمداني، الجوهرتين، ص٨٩.

(١٠) حمد الجاسر، المعادن القديمة في بلاد العرب، مجلة العرب، ج٩، ص ٨٤٢.

(١١) الهمداني، المصدر السابق، ص ٩٠.

سميت الكوكبة ؛ لأن رجلاً مر فإذا هو بفضة شبه الكوكب فحفروها"[١]، والشب من المعادن المنتشرة في نجران، ومصدره جبل باليمن، يخرج منه الشب سائلاً، ثم يتجمد قبل أن يصل إلى الأرض، ويستخدم لأغراض علاجية، كما يستخدم في صناعة الجلود[٢]، ومن الصناعات المعدنية، صناعة الأواني النحاسية، والفضية، والذهبية، التي استعملت في الأكل والشرب[٣]، وقد حرم الإسلام أواني الذهب والفضة، وشدد الرسول ﷺ في النهي عن ذلك[٤] . كما اشتهرت صناعة السيوف، والسهام، والرماح، والدروع اليمانية[٥]، وذكرت المصادر الأثرية[٦]، والأدبية أن النجرانيين صنعوا الأسلحة المعدنية وبخاصة السيوف، والخناجر، والسكاكين، والنبال[٧]، وتعد نجران من أشهر المناطق العربية الجنوبية في صناعة السيوف، وذلك لوجود مناجم المعادن في مواقع شتى من جبالها، بالإضافة إلى استيراد الحديد من بلدان أخرى [٨]، وكانت السيوف اليمانية منتشرة في نجران ؛ نتيجة للصلات التجارية، وما يؤكد على ازدهار صناعة السيوف، وغيرها من الأسلحة في نجران، ما طلبه الرسول ﷺ من نصارى نجران إمداد المسلمين بالسلاح إذا حدثت حرب باليمن[٩].

وتجارة القوافل، وقيام الحروب، ورحلات الصيد، تطلبت بعض الصناعات المعدنية في نجران، مثل: بعض أجزاء السروج، والألجمة، كالحلقات والمقابض والسلاسل وغيرها[١٠]، كما صنعت الخناجر الحديدية بمقبض مصنوع من قرون بعض الحيوانات، ويحلى بقطع فضية أو ذهبية، في حين يصنع الغمد من الخشب المغطى بالجلد، أو بصفائح من الفضة،

---

(١) الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٣٨٣ .

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٧٢ ، ابن منظور، لسان العرب ،ج١، ص ٤٨٠، جواد علي ،المرجع نفسه، ج٧، ص ٥٢٠ .

(٣) العمري، طريق البخور، ص ص ١٨٠، ١٨١ .

(٤) مالك بن أنس، الموطأ، حديث رقم (٣٤٢٠) ،ج٥، ص ١٣٥٤ .

(٥) العمري، طريق البخور، ص ص ١٨٠، ١٨١ .

(٦) تم العثور في منطقة بئر حما ويدمة بنجران، على نقوش ورسوم صخرية لأشخاص يتقلدون الخناجر، والسيوف، والسكاكين، والنبال، وتعد صناعة الخناجر أبرز الصناعات التي لاتزال قائمة في نجران ؛ لما تمثله الخناجر لدى أهالي نجران من أهمية، بصفتها زياً تقليداً . عبدالعزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص ١٣٨.

(٧) البريهي، الحرف والصناعات، ص ٢٦٤ .

(٨) ومن أقدم وأشهر السيوف اليمنية القديمة : السيوف البرعشية، وعرفت بالسيوف الحميرية أيضاً، والصمصام من أشهر السيوف اليمنية العتيقة، وهو سيف لا ينثني، ذو حد واحد، وله شفرة حادة، والأخرى جافة، وأشهر هذا النوع صمصامة عمرو بن معدي كرب . انظر: عبدالرحمن زكي، السيوف العربية، مجلة الدارة، (دارة الملك عبدالعزيز ـ الرياض، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ، ع١، ص٤٦. والذي أهداه ـ بعد إسلامه ـ إلى خالد بن العاص، عامل الرسول ﷺ على اليمن، والمشرفية من السيوف اليمنية العتيقة، وقد تميزت هذه السيوف بجودتها وصلابتها، ومن أسمائها: البائرة، والحسام، والحداد، والفولاذية، وكانت هذه السيوف تزخر بالنقوش . انظر: البريهي، المرجع نفسه، ص ص ٢٦٦، ٢٦٧ .

(٩) عثمان صبري، الجزية في عهد الرسول دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، (جامعة النجاح ـ نابلس ـ فلسطين ٢٠٠٩م) ، ص٥٨ .

(١٠) الأصفهاني، بلاد العرب، ص ٣٨٣ .

ودلت الرسوم الصخرية في منطقة بئر حما ويدمة، على أن الخناجر كانت تستخدم في الدفاع عن النفس، وكانت رمزاً للشجاعة[١]. وفي مجال الزراعة صنعت الأدوات اللازمة لها، مثل: المساحي والفؤوس، والمحاريث المصنوعة من الحديد والمثبتة بمسامير في قطع من الخشب[٢]، والمنجل وغيرها[٣]، كما صنعت الإبر، والمخايط، والمراود والمفاتيح[٤]، وصنع الحدادون أقفال الأبواب، وذلك بوضع وتد حديد خلف الباب، فلا يمكن فتحه، كما صنعوا بعض الأدوات اللازمة للبيت، كأدوات الطبخ، والغسيل، والزينة، والتجميل كالمدرى[٥]، واستعان الحداد على صنع الحديد بعتلة من الحديد، تغرز على خشبة[٦]، ومن أدواته: كور الفحم، والمنفاخ، والملقط، والمطرقة، والسندان[٧]. أما الصياغة فقد حظيت بأهمية كبيرة لدى أهل نجران، وتنوعت مواد هذه الحرفة، فشملت المعادن النفيسة، كالذهب والفضية، وغيرها مثل: الحديد، والنحاس، والبرونز، إلى جانب الأحجار الكريمة، واشتهرت نجران بتوافر العديد من المعادن والأحجار التي تم استغلالها لصنع الحلي، وأدوات الزينة[٨]، ويطلق لفظ (الصائغ) على من يحترف الصياغة، ويعمل في سبك الذهب أو الفضة، وتسمى الفضة بعد سبكها: الزرسيم[٩]، ويبدو أن النجرانيين كان لديهم معرفة بالصياغة وطرقها، ووجد لديهم صواغ قبل ظهور الإسلام وبعده[١٠]، وتم الكشف عن بعض الحلي، والمجوهرات الذهبية، والفضية، والنحاسية، واللؤلؤ، والأحجار الكريمة وغيرها، وذلك في أجزاء متفرقة من اليمن، تتميز بدقة صناعتها، وصغر حجمها، وأهميتها، وتنقلها من مكان إلى آخر، مثلما وجد في قرية الفاو من أساور مشغولة من الذهب، يتجلى فيها الذوق الرفيع، والمهارة في الصياغة[١١]، كما تم العثور في قرية الفاو على أنواع من المشغولات الفنية، مثل: العقود، والقلائد، والخواتم، والأختام، والخلاخل وغيرها، وهي مصنوعة من الذهب، والفضة، والأحجار الكريمة، والنحاس، والعظام، والعاج، وغير ذلك، وعثر على بعض الخواتم الفضية والنحاسية والحديدية وعلى مجموعة كبيرة من الخرز، بأنواع وأشكال مختلفة، من العقيق، والياقوت، والزجاج المعتم، والشفاف، صنعت منها العقود والقلادات[١٢].

---

(١) عبدالعزيز منسي ،آثار منطقة نجران، ص ١٣٨ .

(٢) الزهراني، تقرير مبدئي عن حفرية الأخدود بمنطقة نجران، أطلال، ع١٦، ص ٢٤ .

(٣) البريهي، الحرف والصناعات، ص ٢٧٢ .

(٤) الأنصاري، قرية الفاو، ص ٢٨ .

(٥) المِدْرَى والمِدْرَاةُ : آلة محددة الطرف، من حديد، يسرح بها شعر الرأس، وهو كسن من أسنان المشط .انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص ٢٥٤ ؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٥٥٩ .

(٦) الهمداني، الجوهرتين، ص ٢٥٣ .

(٧) واضح الصمد، الصناعات والحرف، ص ١١٧ .

(٨) عبد العزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص ١٤٢ .

(٩) وتعني الفضة التي يخالطها الذهب . انظر: الهمداني، الجوهرتين، ص ص ١٤٤، ٢٥٦ .

(١٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص ٤٣٤ .

(١١) البريهي، الحرف والصناعات، ص٢٨٤.

(١٢) الأنصاري، قرية الفاو، ص ٢٨ .

وبالرغم من أن الحفريات في موقع الأخدود الأثري، كشفت عن القليل فقط من الحلي، فإن صناعتها في جنوب شبه الجزيرة العربية بشكل عام، وفي نجران بشكل خاص، كانت من الصناعات المتميزة [١]، والمتنوعة، فقد شملت القلائد المصنوعة من الخرز[٢]، مثل الظفار، والعقيق الأبيض، والأسود، والأحمر، وكذلك اللؤلؤ، والزجاج، والجزع[٣]، وتطلى الحلي المصنوعة من الفضة بالذهب، وتميزت صناعة الحلي أكثر من غيرها، بالتركيز على الجانب الفني والجمالي؛ لذلك تنافس الصاغة في العناية بالتفاصيل الدقيقة، من خلال الزخارف الجميلة[٤]، فبعض الحلي تكون ملونة، وتحوي فصوصاً وكتابات ونقوشاً، ومن ذلك خاتم معدني، تم العثور عليه في نجران، قطره حوالي (٢) سم، يلتقي طرفاه مكوناً فص الخاتم، وآخر معدني، لونه بني مائل إلى الرمادي، وبه فص من العقيق الأحمر، وهو على هيأة ختم، حيث كتب على الفص عبارة : (حسبي الله) [٥]، وهذه العبارة تؤكد أن الخاتم، يعود تاريخه إلى القرون الإسلامية الأولى ؛ مما يؤكد أن الصواغ كانوا يقومون بصناعة الخواتم، ويكتبون عليها إذا طلب منهم ذلك.

ونظراً لقرب نجران من قرية الفاو، فلا يستبعد أن يكون هناك تبادل تجاري وصناعي بينهما، بدليل التشابه الكبير بين مكتشفاتهما الأثرية، وأكد ذلك فريق البحث والتنقيب، في تقريرهم المبدئي عن حفرية الأخدود بمنطقة نجران، بقولهم : " وإذا ما أخذنا بعض المعثورات الكاملة والمميزة، لغرض المقارنة مع المواقع الأخرى، نلاحظ أن تلك المعثورات تشابه تماماً معثورات (قرية) الفاو"[٦]. وقد عرف الصاغة الكثير من الأدوات التي تساعدهم في صنعتهم ؛ فكانوا يستعملون مطارق صغيرة خاصة بهم، وتسمى العسقلان، كما استعملوا حديدة تسمى: الغداف، يدخل الصائغ في أحد طرفيها الخاتم، ويركزها على الجبأة، والجبأة هي الخشبة بين يديه، واستعملوا منفاخاً، يتكون من حديدة مجوفة، ينفخ فيها الصائغ إذا أراد النفخ في كيره، وتسمى :الحملاج ،واستعملوا الكير لإذابة المعادن بفعل الحرارة، والمثقب، والكلبتين [٧] . وإلى جانب هذه الصناعات، وُجدت في نجران صناعات وحرف أخرى صغيرة، ومنها : صناعة الأواني من الفخار والأحجار، حيث تم العثور في نجران على العديد من الأواني الفخارية، التي زخرفت بعناصر متعددة ومختلفة، تمثلت في أشكال هندسية، مثل: الدوائر، والخطوط المستقيمة،

---

(١) عبد العزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص ١٤٢ .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) الجزع : ضرب من العقيق، يعرف بخطوط متوازية مستديرة مختلفة الألوان، انظر: إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج١، ص ١٢١ .

(٤) عبد العزيز منسي، المرجع نفسه، ص ١٤٤ .

(٥) انظر : المرجع نفسه .

(٦) الزهراني وآخرون، تقرير مبدئي عن حفرية الأخدود، أطلال، ع١٦، ص ٣٢.

(٧) البريهي، الحرف والصناعات، ص ص ١٨٧-٢٨٦ .

والمتعرجة والمتموجة، ويرجع تاريخها للقرن الأول الهجري[١]، وعدد من الكسر الفخارية، التي تمثل أجزاء من أوان مختلفة الأشكال والأحجام، تبعاً للغرض الذي استخدمت من أجله، سواءً لتخزين المواد الغذائية، أو لحفظ بعض أنواع السوائل[٢]، مختلفة الأشكال والأحجام، كما تم العثور على كميات من الفخار الملون[٣]، والمزجج، والخزف الصيني[٤]، ما يدل على أن أهل نجران قد عرفوا الخزف الصيني، وأقبلوا على استعماله، ولابد أن وصوله إليهم كان نتيجة للعلاقات التجارية الوثيقة بين نجران والصين، خلال القرن الأول الهجري. ومن هذه الأواني: الجرار[٥]، والأغطية[٦]، والأكواب والمباخر[٧]، وقدور الطبخ المنحوتة من الحجر الصابوني، ذي اللون الرمادي، والرحى الحجرية[٨]، والكؤوس، والأقداح، أو الزبادي، والزمزميات، والمصافي المصنوعة من الفخار والحجر الصابوني[٩]، كما اشتهر أهل نجران بحرفة النقش والنحت، وما يؤكد على اتقانهم لهذه الحرفة، ما وجد على تلك الأواني من زخارف ونقوش مختلفة[١٠] فقد عثر على مجموعة من الكسر الفخارية، تعود إلى العصر الأموي، وتتميز بزخرفة ممشطة وشرائط، ولا يوجد لها نظائر متشابهة في الكسر الفخارية التي تم العثور عليها في مواقع أخرى[١١]، كما اشتهرت نجران بحرف وصناعات أخرى، ومنها: صناعة الطيوب والعطور، يؤكد ذلك ما تم العثور عليه من المباخر في نجران[١٢]، وبعض المباخر نقش عليها عبارات مثل: ضرو، ورند، وهي من أسماء الطيوب[١٣]، كما وجدت لفظة (وصب) على بعض المباني التقليدية في نجران،

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) الزهراني، حفرية الأخدود بمنطقة نجران، أطلال، ع٩، ص ١٧.

(٣) ومن ذلك فخار ذو طلاء أزرق شفاف، به زخرفة بارزة، ترجع للقرن الثالث الهجري، انظر: زارينس، التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية، أطلال ع٥، ص ٣٢.

(٤) عبد العزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص ١٣٤.

(٥) صنعت هذه الجرار من عجينة ذات لون بني، يخالطها كسر من الحجر الرملي والجيري، وقد أضيفت إليها مادة القش لتقويتها، ويظهر على بعض هذه الأواني طلاء لونه بيج، وزخارف. الزهراني، حفرية الأخدود بمنطقة نجران، أطلال، ع١٩، ص١٧.

(٦) عثر في نجران على عدد من الأغطية، مسطحة الشكل، ذات مقابض دائرية، مقعرة من الأعلى، ويظهر عليها الزخارف. المرجع السابق. ص١٨.

(٧) عثر في نجران على عدد من الأجزاء تمثل أكواباً صنعت من الفخار. المرجع السابق، ص٢٢، انظر أيضاً: الزهراني، حفرية الأخدود بمنطقة نجران، أطلال ع١٩، ص٢٠، كما عثر على ثلاث مباخر أخرى من الحجر بعضها كامل، وعليها زخارف هندسية، ولها أرجل، وقد نحتت من أحجار مختلفة الألوان. الزهراني، حفرية الأخدود بمنطقة نجران، أطلال ع١٨، ص١٦.

(٨) الزهراني، حفرية الأخدود بمنطقة نجران، أطلال، ع١٩، ص ٢٣.

(٩) الزهراني، حفرية الأخدود بمنطقة نجران، أطلال، ع١٨، ص ص ١٤، ١٥، لاحظت الباحثة أثناء زيارتها لمتحف نجران وجود مثل تلك المصافي.

(١٠) الزهراني، حفرية الأخدود بمنطقة نجران، أطلال، ع١٨، ص ص١٤ - ١٦.

(١١) زارينس: تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران، أطلال، ع٧، ص٣٦.

(١٢) انظر: المرجع نفسه.

(١٣) الزهراني، عوض علي السبالي، وآخرون، حفرية الأخدود بمنطقة نجران تقرير مبدئي عن أعمال الموسم الثالث ١٤٢١هـ، أطلال ع١٧، (وكالة الآثار والمتاحف - الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠١م)، ص٢١.

وكانت اللفظة تستخدم لتدل على مراكز التعامل الرئيسية في البخور[١]، وهذا يدل على أن نجران كانت نقطة ارتكاز مهمة لتجارة التوابل والبخور، ومن الحرف أيضا حرفة صناعة الحلوى، وأشار الهمداني إلى وجود سكر العشر في بلاد نجران، ولا يكون منها إلا في شق بلحارث[٢].

ثالثاً : التجارة :

التجارة هي محاولة للكسب بتنمية المال، وذلك بشراء السلع بأرخص الأثمان، وبيعها بأغلى من ثمنها، سواءً أكانت زرعاً، أم أقمشة، أم حبوباً، أم حيوانات، أي اشتراء الرخيص وبيع الغالي[٣]، ويتم ذلك عن طريق عرضها في الأسواق، أو نقلها إلى بلد آخر، تنفق فيه، تباع بأغلى من ثمنها على الآجال[٤]، ونستعرض في هذا المحور التجارة في نجران، كرافد اقتصادي حيوي، نهض بالحياة الاقتصادية فيها .

١. التجارة الداخلية :

نجران من أسواق العرب القديمة، وتميزت بوضع تجاري مهم، وذلك لموقعها على مفترق الطرق التجارية [٥] .كما توافرت فيها المقومات الأساسية للتجارة، ونعني بذلك : السلع التجارية المحلية، ووسائل النقل المختلفة، والموقع الجغرافي المتميز [٦]، وتشجيع الإسلام للتجارة، بالإضافة إلى الحج، ووحدة الدول الإسلامية ،وحفظ الأمن، إلى جانب أهمية نجران كمحطة تجارية، وتوافر الأيدي العاملة، ومنهم الرقيق والموالي، حيث كان لهم دور كبير في التجارة الداخلية في نجران [٧] .وكان من النجرانيين أهل رعي وبداوة، ومنهم فريق أهل تجارة، والتجارة صنفان : داخلية لها أسواقها ومحطاتها ،وخارجية لها صادراتها ورسومها، وفي كل الحالات لابد للتجارة من الطرق السالكة والآمنة[٨]، ولربما تخلل نجاح هذه العوامل وجود بعض السلبيات، مثل : الفتن، والقلاقل والثورات، وبعض الكوارث ،والنوازل، والأوبئة[٩]

---

(١) زارنيس، وآخرون، تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران، أطلال، ع٧، ص ٣٩.

(٢) العشر: شجر معروف في نجران، ينزل عليه سكر من الهواء، فيكون بقدرة الله- عز وجل- من العشر، وهو ضرب من المن، وهيأته مثل قطع اللبان والمصطكى، وقد يجمع ويعمل منه سكر كبار، مطبع في القوالب، انظر: الهمداني، الصفة، ص ٣١٨.

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، تحقيق : درويش الجويدي، (المكتبة العصرية- بيروت ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص ٣٦٦ .

(٤) المصدر السابق، والصفحة .

(٥) الهمداني، الصفة، ص٢٩٦، أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٩٢ ؛ بيضاني، الوضع الاقتصادي، ص ١٤٠، شكري، الأوضاع القبلية، ص ١٣١ .

(٦) العمري، طريق البخور، ص ١٧ .

(٧) الخريصي، جواهر، تأثير الرقيق والموالي، ص ٨٧ .

(٨) الأنصاري، الحضارة الإسلامية، ص ٣٠.

(٩) ابن بنيه، تجارة الجزيرة العربية، ص ص ٧٤، ١٠٧، أبو داهش، عبدالله بن محمد بن حسين، أهل السراة في الجاهلية والإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، (إصدار نادي أبها الأدبي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص٣١٥ .

أ- الطرق التجارية الداخلية ووسائل النقل:

اعتمد التجار النجرانيون مسالك لقوافلهم، توافر فيها عدة من العوامل الطبيعية والبشرية، التي تحكمت في مسار الطريق واتجاهه، يأتي في مقدمتها وجود الآبار والعيون، حيث تنزل عليها القوافل للراحة، وللتزود بالماء، والعلف، وكان للماء أثر واضح في تحديد معالم الطرق[١] ،كما أن توفير الأمن للقوافل التجارية، من أهم العوامل التي ساعدت على تطور طرق التجارة في نجران وازدهارها، وكان للقبائل دور في حماية هذه القوافل[٢] .

ومن الطرق التجارية الداخلية: طريق(نجران- حبونا)[٣]، وكانت مناهل بني الحارث بن كعب الواقعة إلى شمال نجران، توفر المياه للقوافل المارة على هذا الطريق[٤]، ويمتد الطريق التجاري من حبونا إلى ثار الذي يبعد عن حبونا مسافة (٣٠) كم تقريبا، وسط سفوح الجبل[٥]، ثم يتجه الطريق إلى منطقة بئر حمى[٦]، ثم الضجيان[٧]، ثم يمر الطريق بمنطقة مريع[٨]، ثم إلى قرية الهجيرة[٩]، ولاشك أن هناك طرقاً أخرى، سلكتها القوافل التجارية فيما بين أجزاء نجران نفسها[١٠]، لكنها لم تشتهر، ولم ترد في كتب المتقدمين. وتعد وسائل النقل من أهم العوامل المهمة لتطور طرق التجارة وازدهارها، بوصفها الوسيلة التي جعلت الطرق محجة (أي طريقاً مستقيماً)[١١]، فقد تعددت واختلفت وسائل النقل، فكانت الحمير أول وسيلة نقل عرفها طريق البخور[١٢]، وإلى جانب الحمير استخدمت البغال، كما استخدمت الخيول كذلك، كوسيلة من وسائل الركوب والنقل، عبر الطرق التجارية، والجمال يفضل استخدامها في المواصلات البرية، وفي نقل السلع والبضائع، وتعد من أهم وسائل النقل[١٣]، فكانت تحمل ضعف حمولة البغل، وتقطع مسافات طويلة دون أن تتزود بالماء[١٤]،

---

(١) العمري، طريق البخور، ص ٣٥ .

(٢) المرجع السابق، ص٣٦ .

(٣) وادي حبونا من مناهل العرب المشهورة في نجران، مما جعله من محطات طريق البخور التجاري، انظر: الهمداني، الصفة، ص ص١٦٤، ٣٠٥ .

(٤) العمري، طريق البخور، ص ٦٤ .

(٥) المرجع السابق، ص ٦٨ .

(٦) يقال لماء حمى: يدمات. الهمداني: المصدر نفسه، ص ٢٢٨ .

(٧) الضجيان: موضع بين نجران وتثليث في طريق اليمن. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٤٥٤ .

(٨) الهمداني، المصدر نفسه، ص ٣٠٥ .

(٩) المصدر السابق، ص ص ٢٢٨، ٣٠٥ .

(١٠) للمزيد انظر: ابن جريس، غيثان بن علي، نجران دراسة تاريخية حضارية (ق١- ق٤هـ/ق٧- ق١٠م)، مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض، ط٢، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ج١، ص ٣٥٩، ٣٦٠ .

(١١) ويسمى كل طريق يكثر الاختلاف عليه محجة، وطريقاً مجدودة بالوطأ، وقارعة الطريق وسطها، سميت بذلك من قرعها بالحافر والخف، الهمداني، المصدر نفسه، ص ٢٩٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٨، ص ٢٦٢، إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج١، ص ١٥٧.

(١٢) العمري، المرجع نفسه، ص ٢٧ .

(١٣) الهاشمي، تاريخ الإبل، ص ص ٢٢٤، ٢٢٥ .

(١٤) العمري، طريق البخور، ص٢٨ .

وقد تمكن النجراني من تأسيسٍ تجارة متواصلة فيما بين أجزاء نجران ؛ فاستخدم الجمال في النقل البري، فنقلت له أنواعاً مختلفة من السلع مثل: البخور، والأعشاب الطبية، واللبان، والسلع المستودرة، كالقطن، والمجوهرات، والذهب، والفضة، والعاج، والبهارات[١]، وكان لاستخدام الإبل وغيرها، في النقل والقوافل والتجارة، أكبر الأثر في ازدهار الطرق البرية الداخلية والخارجية، ومنح السكان ميزة التحكم في طرق القوافل. كما كان لمرور القوافل التجارية اليمانية بنجران، أثر مهم في قيام أسواقها المحلية والموسمية ؛ حيث توافرت فيها الشروط الأساسية لقيام سوق تجارية، والمتمثلة في وجود مواضع خصبة، يوجد بها مصادر المياه القريبة من المراكز الحضرية والتجمعات السكانية [٢] .

ب. الأسواق التجارية وتنظيمها :

تعد نجران إحدى أسواق العرب القديمة، وذكرها الهمداني بقوله : " أسواق العرب القديمة : عدن، ومكة، والجند، ونجران"[٣]، ويوجد في بلاد نجران أسواق مهمة وكبيرة[٤]، لوقوعها على مفترق الطرق القديمة، وهي من الأسواق المستقرة، التي تحمل طابع الديمومة، فلم تكن من الأسواق الموسمية، التي تعقد في فترات محدودة من العام، وتستقطب العديد من المرتادين من كافة الأقطار في وقت واحد معلوم[٥]، ولعل هذا هو الذي جعل بعض المهتمين يذكر أسواق العرب القديمة في شبه الجزيرة يغفلون ذكر سوق نجران [٦]، أو يعدونه من الأسواق الثانوية [٧]، رغم أنه من أقدم الأسواق وأكبرها، بل عده البعض هو المعول عليه في البيع والشراء[٨]، يقصده الكثير من طلاب السلع والبضائع، وكان موطناً خصباً للشعر وسائر فنون الأدب [٩]، وسمى سوق نجران بـ: (سوق العمدين)، عُرف بهذا الاسم ؛ لأن مشائخ العرب، كانت تقيم به عمود ذهب وعمود فضة، يعرف بهما السوق [١٠]، وربما كان إلى جانب سوق العمدين بتلك الأنحاءٍ أسواق أخرى في المدن والقرى، يقول أحد المؤرخين المحدثين : " إن العلماء أهملوا أسواقاً ثانوية تقام في نجران"[١١]. ومن البديهي أن كل بلدة لها سوق، ولها متاع أو محصول تختص به،

---

(١) صراي، الإبل، ص ص ٢١، ٢٢ .

(٢) العمري، المرجع نفسه، ص ١٨٥ .

(٣) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٩٦ .

(٤) العمري، طريق البخور، ص ٥٨ .

(٥) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٤٥٤ .

(٦) ابن حبيب، أبو جعفر محمد، كتاب المحبر، (جمعية دائرة المعارف العثمانية ،١٣٦١هـ)، ص ص ٢٦٣-٢٦٨ ؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، (مطبعة بريل -ليدن، ١٨٨٣م)، ج١، ص ص ٣١٣-٣١٥؛ الأصفهاني، أبو علي المرزوقي، كتاب الأزمنة والأمكنة، (جمعية دائرة المعارف- حيدر أباد، ط١، ١٣٣٢هـ)، ج٢، ص ص ١٦١- ١٧٠ .

(٧) الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، (دار الفكر، بيروت- لبنان / ط٣، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ص ٢١٦.

(٨) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٢٠٩ .

(٩) جواد علي، المرجع نفسه، ج٧، ص ٣٨٣.

(١٠) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٢١٠ .

(١١) الأفغاني، أسواق العرب، ص ٢١٦ .

ولكل قبيلة أو قبائل متجاورة سوق محلية تقوم في وقت معين[١]، وقد أكثر الشعراء من ذكر نجران في أشعارهم، حتى قال أعرابي:

إن تكونوا قد غبتموا وحضرنا ونزلنا أرضاً بها الأسواق
واضعاً في سراة نجران رحلي ناعماً غير أنني مشتاق [٢]

وهذا ينهض دليل على وجود الأسواق بنجران[٣]، كما كان بعض أسواقها يُعرف بالأسواق الأسبوعية[٤]؛ لأنها تقام في يوم محدد من كل أسبوع، حيث يعرض أرباب البضائع والصناعات بضائعهم في الأسواق المحلية، كيوم الجمعة مثلا، وفي هذا اليوم يخرج من أعوزه شيء ليشتريه [٥]، وتوجد مخازن للبيع والشراء الدائم، في مواقع مختلفة من قرى نجران، إلا أن الأهمية هي ليوم السوق؛ حيث تُقضى الأمور والدعاوى وتحل النزاعات، وتبادل السلع[٦]، فقد روي أن عثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف -رضي الله عنهما- كانا يشتريان من أسواق نجران البز [٧]، والتمر والذرة[٨]. ويتم التبادل التجاري عن طريق هذه الأسواق الأسبوعية[٩]، التي كانت تقام بانتظام في نجران، وكان لها دور آخر، لا يقل أهمية عن الدور التجاري، يتمثل في تبادل الأخبار، وتبليغ الإعلانات، والفصل في المنازعات وغير ذلك[١٠]. ونظراً لكون نجران سوقاً تجارياً كبيراً، ولأهميتها الاقتصادية، فقد وُجدت بها وظيفة الحسبة[١١]، لمنع وقوع المنكرات في السوق كالغش، والتلاعب بالأسعار، والتقاعس عن دفع الضرائب، وبيع الخمور، والتطفيف في المكيال والميزان، ومراقبة السلع المغشوشة، والعملة المزيفة، فالحسبة نظام إسلامي شأنه الإشراف على المرافق العامة، وصاحب الحسبة أو المحتسب يمثل منصباً دينياً يتصل بالقضاء[١٢]، وقد عرفت أسواق نجران هذه الوظيفة، لضبط حركة الأسواق فيها.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢١٤.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٧٠.

(٣) من أسواق نجران: سوق الأحد في دحضة، وسوق الإثنين في بني سلمان، وسوق الثلاثاء في بدر، وسوق الأربعاء قرب العان، وسوق الخميس في القابل، وسوق الجمعة في صاغر. انظر: فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ١٨٧.

(٤) فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص ١٨٦.

(٥) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، (دار الرشيد، ١٩٨١م)، ص ٨٣.

(٦) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص١٨٧.

(٧) البز: ضرب من الثياب والبزازة حرفة البزاز. انظر: الفراهيدي، كتاب العين، ج٧، ص ٣٥٣.

(٨) البيهقي، دلائل النبوة، ج٥، ص ٣٨٦.

(٩) ابن جريس، نجران، ج١، ص ٣٦٩.

(١٠) يشير الهمداني إلى وجود أسواق داخلية خاصة بالقبائل-إلى جانب أسواق المدن-وأشهرها: الجريب لجميع همدان وأهل نجران وتهامة، وعثر، ومكة، وهمل، من الخارف لحاشد، والمخلفة، وشحبان، وسوق العبلاء في بلاد خثعم، وغيرها من الأسواق المحلية التي تنتشر في مختلف قرى وبلدان اليمن، ويتم في هذه الأسواق تسويق جميع منتجات نجران الزراعية والحيوانية والصناعية. انظر: الهمداني، الصفة، ص ٢٢٤.

(١١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٣١٥.

(١٢) ابن الأخوة، محمد القرشي، كتاب معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق: محمد محمود شعبان، وصديق أحمد المطيعي، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م)، ص٢٣.

ج. السلع التجارية :

كان لنجران دور في تجارة التوابل بفضل موقعها على مفترق الطرق التجارية القديمة، وهي: واحة زراعية خصبة [١]، فقد تاجر النجرانيون بالبخور، والمر، والورس، والقرفة التي تنتج في بلادهم، وتاجروا أيضاً بمنتجات، جلبوها من الهند وشمال شرق إفريقية [٢]. والبضائع القادمة من الهند تصدر إلى شبه الجزيرة العربية عبر طريق القوافل البرية، الذي يبدأ من أقصى جنوب شبه الجزيرة العربية، ثم يمر بنجران[٣]. والأواني الفخارية من الشواهد الأثرية على انتشار هذه السلع في نجران وما حولها، فقد عثر على مباخر للطيوب والعطور مصنوعة من الفخار، أو الحجر [٤]. وتنوعت السلع التجارية النجرانية فبعضها محلية وأخرى خارجية آسيوية، وإفريقية، وأوروبية[٥] .

وتمثلت السلع في : الحبوب : كالقمح والشعير، والحنطة [٦]، وثمار الأترج[٧]، والعنب، وكان أهل الحجاز يتاجرون بعنب نجران واليمن[٨]، والسمسم يتدهنون بزيته[٩]، والملح من أهم السلع التي تبادلها اليمنيون مع النجرانيين، واليمن من أشهر الأقاليم العربية المنتجة للملح[١٠] . وظهرت جماعة متخصصة بكيل الملح وتعبئته، لإرساله إلى الأسواق، عرفت في كتابات المسند الجنوبي باسم :(سلا وزلا) ، كما أشارت النصوص إلى الملح وإلى تجارته[١١]، وإلى التجارة في : البقول، والتمور، والثياب، والنعال، والمنسوجات من الشعر أو القطن، والزيوت، والحيوانات من إبل، وبقر، وغنم، وماعز[١٢]، والمعادن، والصناعات الفخارية، والحديدية، والخشبية . وأشارت بعض المصادر إلى بعض السلع المحلية النجرانية وأسعارها فيذكر ابن رستة أن : "عندهم العسل الكثير، ويفضلون لحم البقر على لحم الضأن السمين، يشترى جميع ذلك بسعر واحد، ومن عندهم يجلب الأدم، والنعال المشعرة والأنطاع، والبرود[١٣] . والأردية، يبلغ الثوب من البرد عندهم خمس مائة دينار، وأنواع الخرز،

---

(١) عبد العزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص٤٠ .

(٢) مهيوب غالب أحمد، الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول قبل الميلاد، (مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٧، العدد الأول والثاني، ٢٠١١م)، ص ٣٥٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٩ .

(٤) الزهراني، تقرير مبدئي عن حفرية الأخدود بمنطقة نجران، أطلال، ع١٦، ص ٢٣ .

(٥) الأنصاري، الحضارة الإسلامية عبر العصور، ص ٣١ .

(٦) الهمداني، الصفة، ص ص ٣١٧، ٣١٨، الأنصاري، الحضارة الإسلامية، ص٣١.

(٧) الهمداني، المصدر نفسه، ص ٣١٨ .

(٨) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٥٤١ .

(٩) ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٢٨، النعيم، نورة، الوضع الاقتصادي، ص ٢٦٥ .

(١٠) الهمداني، الصفة، ص ص ١٧١، ٢٠٤، ٣٢٠ .

(١١) المصدر السابق، ص ٢٠٤، جواد علي، المرجع نفسه، ج٧، ص ص ٥٢٢، ٥٢٣ .

(١٢) الأنصاري، المرجع نفسه، ص ٣١ .

(١٣) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ج٧، ص ١١٣ .

يبلغ الفصان من البقراني مائة دينار وأكثر "[١]، وذكر الهمداني بعض السلع، فقال: " ومن ذلك الأترج بنجران ... تبلغ الواحدة ربع دينار وخمس وسدس [٢]، وبها من الجرب الكبار، التي تأتي بعشرين ألف ذهب، فذاك ثلاثون ألف قفيز "[٣]، وقال في معدن الذهب : " معدن المخلفة من أرض حجور، من أرض همدان، وبأرض بني سابقة بالحد، مابين صعدة ونجران، وهو معدن جيد، يأتي رطله بالعيار العلوي مئة وأربعة، وأقل شيئاً "[٤]، وسعر الجلود المدبوغة للنعال، يبلغ الجلد منها عشرة مثاقيل، وأكثر وإلى عشرين[٥]، والنعال المصنوعة من جلود البقر الملمعة، فيها تلميع من بياض وصفرة، كأحسن الوشي، تُباع بدنانير[٦]، والأسلحة - من سيوف وقسي ورماح - وكانت العرب تسمى السيف المستورد من اليمن بسيف يمان، أو سيفاً يمانياً [٧]، ومن السلع الأخرى الأصباغ (الخضاب والحنا)، ولاسيما صبغ الورس الذي لا يوجد بغير نجران واليمن[٨]، ويعد الرقيق من السلع التي استخدموها في الزراعة واستصلاح الأراضي وخدمة البيوت، وغيرها من المهن [٩].

٢. التجارة الخارجية :

لموقع نجران دور كبير في ازدهار التجارة الخارجية ؛ إذ تقع على درب البخور، الذي يمثل الشريان النابض، في ربط جنوب شبه الجزيرة بشمالها [١٠]، حتى غدت نجران محطة تجارية، تتجمع فيها القوافل القادمة من الممالك اليمانية، بغرض البيع والشراء، لاسيما أن فيها سوقا، من أهم وأكبر أسواق العرب[١١]، وكانت مركزا صناعيا وتجاريا، لمختلف السلع والمنتجات المحلية [١٢]. ولاشك أن الزراعة فيها ساعدت على الصناعة والتجارة[١٣]، فقد كان تجار نجران يحضرون إلى مكة أثناء مواسم التجارة، في أسواق عكاظ، وذي

---

(١) ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ج٧، ص ١١٣، وبقران من مخاليف اليمن، يجتلب منه الجزع البقراني، وهو أجود أنواعه. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٧١ .

(٢) الهمداني، الصفة، ص ٣١٨ .

(٣) الجرب جمع جراب، وهو إناء أو وعاء يحفظ فيه التمر. الهمداني، الصفة، ص ٣١٩، والقفيز من المكاييل، وهو من الأرض قدر مائة وأربعة وأربعين ذراعاً، والجمع أقفزة وقفزان والقفيز مقدار من مساحة الأرض. ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص ٣٩٥ .

(٤) الهمداني، الجوهرتين، ص ٨٦، ٨٧، والرطل الذي يوزن به ويكال، وهو ثنتا عشرة أوقية والأوقية أربعون درهماً، وجمعه أرطال، ابن منظور، المصدر نفسه، ج١١، ص ٢٨٥.

(٥) الهمداني الصفة، ص ٣٢٠ .

(٦) البكري، المسالك والممالك، ج١، ص ٢٧٨ .

(٧) العمري، طريق البخور، ص ١٨٠ .

(٨) الدينوري، كتاب النبات، ج٣، ص ١٦٥ ، الهمداني، الصفة، ص ٣١٩، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٤٤٨.

(٩) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٤٥٣، ٤٥٤ .

(١٠) عبد العزيز منسي، آثار منطقة نجران، ص ٧٣ .

(١١) الهمداني، الصفة، ص ٢٩٦، العمري، طريق البخور، ص٥٨ .

(١٢) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٩٣ .

(١٣) بيضاني، إيمان، الوضع الاقتصادي، ص ١٤٠ .

المجاز[١]، فيبيعون منتجاتهم المحلية، ويشترون ما يحتاجونه.

أ. الطرق التجارية الخارجية :

نجران مفترق لطرق القوافل التجارية[٢]، إذ يتجه قسم منها شرقاً إلى قرية الفاو، حتى يصل جرهاء على ساحل الخليج العربي[٣]، والقسم الآخر يواصل سيره شمالاً، عبر الطريق الرئيس للبخور إلى بلاد الشام [٤]، وهذه مسارات لدرب البخور، وأهمها الطريق الذي يتجه من نجران إلى الشمال، عبر حبونا، ثم الملحات، ثم عبالم، ثم مريع[٥]، ثم الهجيرة، ثم تثليث، إلى جرش، وقد ازداد هذا الطريق أهمية بعد ظهور الإسلام، لكونه الطريق المناسب للحجاج [٦]. وتمتعت نجران بوضع تجاري مهم، وازداد مركزها السياسي والحضاري، خلال القرن الأول الهجري [٧]. كونها إحدى المحطات التجارية الرئيسية في جنوب شبه الجزيرة العربية[٨]، ونجد طريق البخور يخرج من مأرب إلى البتراء، عبر الحجاز[٩]. ويمر بين الجوف، ونجران، وسلبة[١٠]، ثم يخرج شمالاً إلى مكان يسمى : مدرك، ثم تنزل القوافل في قضيب [١١]، وتخرج شمالاً، حتى تنزل العطفين[١٢]، ثم يتجه هذا الطريق شمالاً، بنهاية وادي حلف[١٣]، ومنه إلى بئر خباش[١٤]، وهو منهل في صحراء، ثم تقطع القوافل مسافة، حتى تنزل على منهل بئر الخضراء، على الضفة الجنوبية لوادي نجران، ثم تدخل القوافل نجران من جنوبه الشرقي[١٥]، وطريق الرضراض من مأرب

---

(١) حسن معمري، مكة وعلاقتها التجارية مع شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية خلال القرنين ٥ و ٦ للميلاد، رسالة ماجستير، (جامعة الجزائر، ٢٠٠٥ ـ ٢٠٠٦م)، ص ٨٠ .

(٢) جواد علي، المرجع نفسه، ج٧، ص ٣٤٥ .

(٣) الأنصاري وآل مريح، نجران منطلق القوافل، ص ١٩.

(٤) العمري، طريق البخور، ص ٥٨ .

(٥) الهمداني، الصفة، ص ٣٠٥ .

(٦) عبدالعزيز منسى، آثار نجران، ص ٧٣ .

(٧) شكري، الأوضاع القبلية في اليمن، ص ١٣١ .

(٨) المرجع نفسه .

(٩) صراي، الإبل، ص ٢٢ .

(١٠) سلبة : بطن من بني معاوية بن عاملة (هو الحارث بن عدي بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن زيد بن كهلان، من القحطانية. انظر: كحالة، معجم قبائل العرب، ج٢، ص ٥٣٣ . وسلسلة قرى آهلة بالسكان والآبار، وقيل سلبة واد لبني متعان . انظر: البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص ٧٤٦ .

(١١) قضيب من أودية همدان، ثم لشاكر، الهمداني، المصدر نفسه، ص ٢١٨ .

(١٢) وادٍ من أودية همدان ثم لشاكر، ويعد من مناهل العرب المشهورة . الهمداني، الصفة، ص ١٦٢ .

(١٣) روضة الفلاج بكسر الفاء وآخره جيم، روي أن (تقتد) قرية بالحجاز، بينها وبين (قلهي) جبل، يقال: له أديمة، وبأعلى هذا الوادي رياض، تسمى : الفلاج بالجيم، جامعة للناس أيام الربيع، وبها مسك كثير لماء السماء، يكتفون به صيفهم وربيعهم، إذا مطروا قالوا : فذي حلف فالروض روض فلاجة . انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٩٣، الهمداني، المصدر نفسه، ص ١٦٢ .

(١٤) خباش: نخل لبني يشكر باليمامة، ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٤٣ .

(١٥) العمري، طريق البخور، ص ٤٥ .

إلى نجران، فشمال شرق شبه الجزيرة العربية، حيث مدينة الجرهاء المشهورة على الخليج العربي [(١)]، ويذكر ابن المجاور طريق الرضراض فيقول: "كان من نجران إلى البصرة طريق الرضراض، وكان المسافة فيما بين هاتين المدينة سبعة أيام، وقد بُني على حد كل فرسخ منه ميل، بالآجر والجص" [(٢)].

ومن الطرق التجارية جنوب نجران: الطريق عبر الأودية الشرقية (قنا - نجران)، وقد شكلت الوديان الشرقية - التي كونتها الأمطار الموسمية الغزيرة مع مرور الزمن - ممراً لطريق التجارة؛ إذ إن أنسب طريق للقوافل، هو ذلك الذي يمر على موارد المياه، فطريق موانئ (ظفار - والشحر، وقنا، وعدن) إلى شبوة [(٣)]، ومأرب؛ يمر بنجران وجرش، ثم إلى مكة والبتراء، متوجهاً إلى غزة[(٤)]، وهذا الطريق يتفرع منه فرعان: الأول: يتجه شرقاً على امتداد وادي ميفعة، ومنه إلى شبوة ومأرب ورداع، ثم نجران، ثم يسير شمالاً حتى يصل مكة، ويعد هذا الطريق من أبرز وأكثر الطرق التي سلكتها القوافل التجارية القديمة، وله أهمية في التجارة العالمية منذ أقدم العصور[(٥)]، والطريق الثاني من قنا إلى وادي حجر أو (هجر) ماراً بوادي أرماح، فشبوة ثم عدن، حتى يصل إلى نجران، ثم منها شمالاً إلى قرية الفاو، فالأفلاج واليمامة، التي يتفرع منها طريقان، أحدهما: يسير إلى الخليج العربي، والآخر إلى بلاد الرافدين، وبلاد الشام[(٦)].

<u>وهناك طرق أخرى تربط نجران مع غيرها من البلدان، مثل:</u> **(١)** طريق صنعاء، نجران، اليمامة، الكوفة فأعالي آسيا[(٧)]، **(٢)** طريق صنعاء، نجران، تربة[(٨)]، **(٣)** طريق نجران، الفلج، المعدن، اليمامة[(٩)]. **(٤)** طريق يخرج من شبوة باتجاه الشمال، حتى تنزل القوافل في العبر، وهو منهل فيه آبار، ومنه في مفازة صيهد[(١٠)]، ثم إلى نجران مسيرة نحو ثمانية أيام[(١١)]. **(٥)**طريق يبدأ من جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، ويمر بمسالك سبأ ومعين وقتبان وحمير، ومن هناك إلى نجران، ومنها إلى دادان العلا، ثم مدين، وأيلة

---

(١) صراي / الإبل، ص ٢٣.

(٢) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٢١٤.

(٣) شبوة: مدينة لحمير، وأحد جبلي الثلج بها، والثاني لأهل مأرب، وقيل: لما احتربت مذحج وحمير، خرج أهل شبوة من شبوة، وسكنوا حضرموت، وبهم سميت شبام. انظر: ياقوت، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٢٢.

(٤) شكري، الأوضاع القبلية في اليمن، ص ١٣٢، العمري، طريق البخور، ص ص ٣٩، ٤٦؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٢، ص ٥٠٧، الأنصاري، وآل مريح، نجران منطلق القوافل، ص١٩.

(٥) الهمداني، الصفة، ص ص ٣٠٤، ٣٠٥، الأنصاري، وآل مريح، المرجع نفسه، ص١٨.

(٦) الأنصاري، وآل مريح، المرجع نفسه، ص ص ١٨، ١٩.

(٧) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٥٣، ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٢١٤؛ شكري، المرجع نفسه، ص١٣٣.

(٨) شكري، المرجع السابق، ص١٣٣، وتربة: واد يأخذ من السراة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢١.

(٩) قدامة بن جعفر، كتاب الخراج، ص ٨٧، بيضان، إيمان، الوضع الاقتصادي، ص١٤١.

(١٠) صيهد: بفتح أوله وإسكان ثانيه، بعده هاء مفتوحة ودال مهملة، أرض باليمن، وهي ناحية منحرفة، ما بين بيحان، فمأرب، فالجوف، فنجران، فالعقيق، فالدهناء. انظر: البكري، معجم ما استعجم، ج٣، ص٨٤٩.

(١١) الهمداني، الصفة، ص ص ١٦٥، ٣٠٥.

العقبة، ثم سلع البتراء، ويتفرع إلى فرعين : فرع يتجه إلى الشام، والآخر إلى غزة ومصر[١]. **(٦)** طريق يبدأ من حضرموت، إلى العبر، ثم يتجه إلى نجران، ومنها إلى واحة يبرين، ثم الجرهاء (ميناء قرية الفاو على الخليج العربي)، ومنها إلى العراق، أو يتجه من بيرين إلى اليمامة[٢]. **(٧)** طريق الحج اليمني التي تربط صنعاء ومكة المكرمة، عن طريق صنعاء. و**(٨)** الطريق من عدن إلى مكة المكرمة عن طريق صنعاء و**(٩)** الطريق صعدة إلى مكة عبر جبال السروات ومدينة الطائف، ويسمى (النجدي)[٣]،". **(١٠)** طريق يبدأ من حضرموت، ويمر بمأرب، ويقف في نجران، ثم يتفرع إلى فرعين : أحدهما يسير إلى اليمامة، والآخر إلى مكة ويثرب. **(١١)** طريق الحج الحضرمي الذي يأتي من العبر، ويلتقي مع الطريق اليمني الآتي من مأرب، ويدخل نجران عند بئر خضراء، ثم يتجه إلى حبونا، وإلى وادي تثليث، ثم إلى بيشة[٤]. وتمر هذه الطرق عبر الصحارى القاحلة، والرمال العظيمة، ما عدا بعض الواحات، فكان لابد لها من تأمين وحماية، وقد اهتمت الممالك، والإمارات، والمشيخات، والقبائل بتلك الطرق، وزودتها بالخدمات[٥].

ب. الصادرات والواردات :

كان للنشاط التجاري في نجران أثره في رواج الحركة التجارية، داخل الأسواق المحلية والخارجية ؛ حيث نشطت حركة التبادل التجاري للبضائع، كالحبوب، والمعادن، والأقمشة[٦]، ومدت نجران معظم مدن شبه الجزيرة العربية وغيرها من بلدان العالم العربي والإسلامي بالذهب، والطيب، والبخور، والمسك، والعنبر، والمر، والصبر، واللبان (الكندر)، والقرفة[٧]. ومما يؤكد على نشاط التجارة الخارجية في نجران، وتنوع صادراتها ؛ ما حفظته المصادر من معلومات عن تجارة قريش وسلعها المكونة من : الأدم، والزبيب، والصمغ، والطيب ،والتبر، والبرد اليمانية، والثياب العدنية، والأسلحة، ومصنوعات الحديد، والمعادن والبخور وغيرها[٨]، وقد عُدت الطيوب من أهم المواد التي تاجر بها النجرانيون، وصدروها إلى بلاد الشام، والعراق، ومصر، وكان الطيب يُستخرج من أنواع متعددة من الأشجار، ويتألف من المر واللبان، ويُجلب بعضه من الهند وإفريقيا الشرقية[٩]، وقد وردت إشارات في بعض المراجع الأجنبية إلى أن اللبان كان من أهم

---

(١) المصدر السابق، ص ص ٣٠٤، ٣٠٥ ؛ الأنصاري، وآل مريح، نجران منطلق القوافل، ص ١٨، ١٩.

(٢) الهمداني، المصدر السابق، والصفحة، الأنصاري، وآل مريح، المرجع السابق، والصفحة .

(3) Al- Thanayan " ThE YEMENI PILGRIMAGE ROAD" op,cit.- p479.

(٤) كباوي، عبدالرحمن بكر، وآخرون، حصر وتسجيل الرسوم والنقوش الصخرية ١٤١١هـ/١٩٩٠م، وادي الدواسر. نجران، (الموسم السادس، أطلال، ع١٤، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٤٧ .

(٥) الأنصاري، الحضارة الإسلامية عبر العصور، ص ٣٢ .

(٦) بيضاني، إيمان، الوضع الاقتصادي، ص١٣١ .

(٧) المرجع السابق، والصفحة .

(٨) المرجع السابق، والصفحة .

(٩) بلقاسم رحماني، علاقة جنوب شبه الجزيرة العربية بشرق إفريقيا منذ قيام الدويلات العربية الجنوبية حتى الفتح الإسلامي، رسالة ماجستير، (جامعة الجزائر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص٥٣ .

الصــادرات، عبر طرق تجارة جنوب شبه الجزيرة العربية[١]. ويأتي الذهب والفضة على رأس صادرات نجران المعدنية، عبر طريق البخور التجاري، إلى بلاد الحجاز والشام [٢]. كما صدروا الأواني النحاسية، والفضية، والذهبية [٣]، ومن صادرات نجران أيضاً: معدن الفضــة (معدن الرضراض)، وهو في حد نهم ومخلاف يام. وظل تجار العراق، وفارس، والشام، ومصر؛ يتاجرون بفضة اليمن في بلدانهم، طيلة القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، وكانوا يربحون الربح الوفير؛ نظراً لرخص ثمنها، ولكثرتها في اليمن ونجران، ويؤكد ذلك الهمداني بقوله: " فحمل التجار من العراقيين، والفرس، والشاميين، والمصريين، فضض اليمــن في ذلك العصــر، وكانوا يربحون فيها الربح الخطــير "[٤]، ويذكر ابن خرداذبة أن اليمن تصــدر إلى الهند والصــين بعض الحيوانــات، مثل: البغال، والحمير، إضــافة إلى الوشــي[٥]، والورس[٦]، ومن صــادراتها الكتان، الذي كانت تصــدره إلى مصــر[٧]. كما صــدرت أنواعاً عديدة من الأقمشــة والثياب، إلى مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية[٨]. فــكان مما يجلــب إلى الحجاز البرد اليمانيــة، والثياب العدنيــة، والنجرانية، وقد ورد في حديــث عــن أنس بن مالك قال: " كنت أمشــي مع النبي -ﷺ- وعليــه برد نجراني غليظ الحاشــية [٩]. وقــد رود في حديــث آخر عــن أنس بن مالك قــال: " كان أحــب الثياب إلى النبي ﷺ أن يلبسها الحبرة "[١٠]، ومنها برود السند، وهو نوع من البرود اليمانية، وكانت منتشــرة في الحجاز[١١]. وبرود الأفواف، وهي ثيابٍ رقاق موشاة، ومن ملابس أغنياء مكة والمدينة[١٢]، وكان المكيون من أكثر الناس استيراداً للبرود اليمانية، وذكرت بعض الروايات أن مكة، كانت تستورد في موسم الحج فقط أكثر من عشرة آلاف حلة[١٣]، وقد كانت نجران

(1) William C. Brice.," Classical Trade-Routes of Arabia, from the Ptolemy, Strabo, and Pliny":Pre-Islamic Arabia, Studies in the History of Arabia, Vol.II (King Saud University Press: 1948 A. D) , p178

(٢) العمري، طريق البخور، ص ١٧٨ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٧٩ .

(٤) الهمداني، الجوهرتين، ص ٩١.

(٥) الوشــي نقش الثوب، ويكون من كل لون، ونوع من الثياب الموشــية، وحجر به وشي حجر من معدن فيه ذهب. انظر: إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج٢، ص ١٠٣٦.

(٦) الورس: نبات له صــبغة صــفراء، وقيل: حمراء، يُستعمل في صبغ الملابس. انظر: ابن خرداذبة، المسالك، ص ص ٧٠، ٧١؛ ابن سيده، المخصص، ج٣،

(٧) البريهي، الحرف والصناعات، ص ٢٤٦ .

(٨) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٥٢٤ .

(٩) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، حديث رقم (٢٩٨٠)، ج٣، ص ١١٤٨ .

(١٠) المصدر السابق، حديث رقم (٥٤٧٦)، ج٥، ص ٢١٨٩ .

(١١) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص ٢٢٠ .

(١٢) الفراهيدي، العين، ج٨، ص ٤٠٨، ابن منظور، المصدر نفسه، ج٩، ص ٢٧٣، العمري، طريق البخور، ص ١٧٧.

(١٣) الأزرقي، محمد بن عبدالله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: على عمر، (مكتبة الثقافة الدينية، ط١، د.ت)، ص ٧١، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤، العمري، المرجع نفسه، ص ١٧٧ .

من المواطن الرئيسية لتصدير الجلود[١] . ومن صادرات نجران الجواري، وقد ذكرها الهمداني: " وجواري خيوان ونجران، متعالمات بالنفاسة والصباحة والدلال"[٢] .

أما واردات نجران، فهي كثيرة، ومنها ما هو موجود باليمن، ولكن بكميات قليلة، مثل: العنبر[٣] ، إذ يأتيها نوع جيد، يشترونه من التجار المسافرين إليهم، أو من التجار الذين يبيعونه فيها بأرفع قيمة[٤] ، والأدم، حيث كانت تستورده من صعدة[٥] . وتستورد نجران ماء الورد المصنع من الطلع[٦] ، والقيصوم [٧] ، والزعفران ، والخلاف[٨] ، وينقل من جور في جنوب فارس، إلى عدة مناطق يمنية[٩] . وكان يأتيها الرقيق من الحبشة[١٠] ، وبعض أنواع الجزع من الصين[١١] ، وظهور السلاحف التي يتخذ منها أهل اليمن قصاعاً، يستخدمونها لغسلهم أو خبزهم[١٢] ، وكانت تستورد الملح من البلدان المجاورة لها في اليمن[١٣] ،وتستورد الحديد من بلدان أخرى كالهند[١٤] .

والمنتجات التي لا تتوافر لديهم من بعض المدن المجاورة، وأقطار العالم المختلفة، مثل: أخشاب الأبنوس والعاج من إفريقية[١٥]، والصندل، والفولاذ ، والحرير ، والمسك ، والعود ، والفلفل، من الهند، والصين[١٦] ، وأنواع من المنسوجات المصرية [١٧] . وكانت القوافل التجارية تمر عبر طرق التجارة إلى مكة محملة بالسلع من العقيق، والصمغ، والورس، وغيرها من المنتجات الزراعية والصناعية النجرانية، وتعود محملة بالسلع الحجازية،

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٦ .

(٢) الهمداني، الصفة، ص ٣٦٤ .

(٣) العَنْبَرُ: ضرب من الطيب . انظر: الفراهيدي، كتاب العين، ج٢، ص ٣٤١.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ٥٢.

(٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٦ .

(٦) الطلعُ : طلع النخلة الواحدة، وقيل: الطلع هو الكافور، انظر: الفراهيدي، كتاب العين، ج٢، ص ١٢؛ ابن سيده، المخصص، ج٣، ص٢٢٠.

(٧) القيصوم : نبات طيب الرائحة، وهو من رياحين البر، ولورقه هدب، وله نورة صفراء، وهي تنهض على ساق وتطول، ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص ٢٢.

(٨) يُسمى شجر الخلاف الصفصف، والخلاف الصفصاف، وهو بأرض العرب كثير، ويسمى السوجر، وهو شجر عظام، وأصنافه كثيرة . انظر: الفراهيدي، المصدر نفسه ،ج٧، ص ٨٩، ابن منظور، المصدر نفسه، ج٩، ص٨٢ .

(٩) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، تعريب : محمد عبدالهادي أبوريدة، (دار الكاتب العربي ـ بيروت لبنان، ط٥، د.ت) ج٢، ص ٣٦٢ .

(١٠) الإدريسي، المصدر نفسه، ج١، ص ٥٣ .

(١١) البكري، المسالك والممالك، ج١، ص ٢٧٧.

(١٢) الإدريسي ،نزهة المشتاق، ج١، ص ٥٢ .

(١٣) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ١٩٩ .

(١٤) البريهي، الحرف والصناعات، ص ٢٦٦ .

(١٥) جورج لوفران، تاريخ الحضارة، ترجمة : هاشم الحسيني، (دار مكتبة الحياة ـ بيروت، د. ت)، ص١٥ .

(١٦) ابن خرداذبة، المسالك، ص ص ٧٠، ٧١ .

(١٧) البريهي، الحرف والصناعات، ص ٣٠٦ .

من عسل وسمن وتمور[١]، ويبدو من خلال ما أوردته المصادر التاريخية، أن الصناعات الجلدية في نجران، قد اتسع نطاقها بمرور الوقت، ولزيادة الطلب على المصنوعات الجلدية في نجران، كانت نجران تستورد الكثير من الماشية من بلاد الحبشة، بغرض المتاجرة بجلودها[٢].

ويتضح مما سبق أن الحركة التجارية - خلال القرن الهجري الأول - قد نشطت في نجران، وتم تصدير الكثير من منتجاتها الزراعية ،والصناعية، واستيراد الكثير من البضائع التي تحتاجها في تلك الفترة، وبرزت مدن وبلدان كثيرة، أسهمت في النشاط التجاري مع نجران، منها: الشرق الأقصى، كالهند والصين، وبلاد الشام، ومصر، والعراق، واليمامة، والحبشة، وفارس .

ج- الرسوم التجارية :

عينت الحكومات العربية الجنوبية، وشيوخ القبائل القوية جباة يجلسون في الأسواق، وعند مداخل الحدود ؛ لجمع المكوس عن البيع والشراء، والاتجار، وحق المرور[٣]، ونظراً لوجود إمارات وعشائر وقبائل عديدة في نجران، تمر بأرضها القوافل ؛ فقد كان على أصحاب القوافل وأرباب المال، دفع إتاوات لهم، وهدايا لحمايتهم، وللسماح لهم بالمرور[٤]، فالقوافل تمر محملة بالبضائع عبر الصحراء، وعبر طريق البخور، مروراً بنجران، حتى غزة شمالاً ،ويتخلل هذا الطريق نحو خمس وستين محطة تجارية، تجبي المكوس[٥] والضرائب من هذه القوافل، عند هذه المحطات، حسب مرورها من نفود قبيلة إلى أخرى ؛ مقابل حماية الركب[٦]. ويتمثل حسن العلاقات فيما بين القوافل النجرانية وغيرها من القبائل المجاورة، في تسهيلات مرور قوافل التجارة بأرض نجران، وتداول السلع فيما بينهم، وقيام بعض النجرانيين كمندوبين للتجارة [٧]، فكانت القوافل التجارية لا تعبر نجران - في الغالب - إلا بإذن من رؤساء القبيلة المهيمنين عليها، وأعمال الخفارة للقوافل، لإجازتها عبر المسالك، وحمايتها من النهب والسرقة، وكان ذلك يخضع لاتفاق مسبق للإذن بالعبور، وكثيراً ما كان يتم العبور من قبيل النخوة والشهامة [٨]. ثم فرضت ضريبة العشور على كافة عروض التجارة، التي تمر على حدود الدولة الإسلامية، أو

(١) الزهراني، رحمة أحمد، الحياة السياسية، ص ٦٥ .

(٢) الهمداني، الصفة، ص ٩٣، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ١٦٤ .

(٣) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٤٧٨ .

(٤) المرجع السابق، ج٧، ص ٣٢٥ .

(٥) المكس : دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق . انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٦ .

(٦) الناصري، سيد أحمد علي، الرومان والبحر الأحمر، مجلة الدارة، العدد٢، السنة السادسة، (دارة الملك عبدالعزيز - الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص ٢٣ .

(٧) السيد عبدالعزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، (مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية، ١٩٩٧م)، ص ٣٠٥ .

(٨) عبد الواحد، البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، ج١، ص ٦١ .

التي يتنقل بها التجار بين الأقاليم والمدن [١]، وكان يقوم على تحصيلها عامل يُسمى : (العاشر) [٢]، أو أناس مختصون بذلك، وكانت تحصل مرة واحدة في السنة، حتى لو مر صاحب المال على العاشر أكثر من مرة، ولكن بنفس المال والتجارة خلال السنة[٣]. والملاحظ أن بعضاً من الروايات، تفيد أن الرسول ﷺ ألغى العشور على المسلمين، ولم يطالبهم بدفعها[٤]، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: " ليس على المسلمين عشور، إنما العشور على اليهود والنصارى "[٥]، وأصبحت العشور تعرف في الإسلام، بأنها: الأموال والرسوم التي تؤخذ على تجار أهل الحرب، وأهل الذمة، المارين على ثغور دول الإسلام، فقد رُوي أنه: " يُعشر الذمي التغلبي، والذمي من أهل نجران ،كسائر أهل الذمة من أهل الكتاب "[٦]، ومن هذه الرواية يتضح لنا أن أهل نجران، دفعوا المكوس لبعض الأمراء والأشراف، والملوك، الذين تقع السوق ضمن مناطق نفوذهم في الشمال [٧]، أما في الجنوب فكانت العشور في بعض الأسواق للأبناء من الفرس، مثل سوق صحار، والمشقر، ودبا[٨] .

٣ـ أساليب التعاملات التجارية :

استخدم التجار النجرانيون أساليب مختلفة في تعاملاتهم التجارية ؛ بغرض تحقيق عمليات البيع والشراء في أسواقهم، وتنمية أموالهم في مراكز التجارة الأخرى، إلا أن هذه الأساليب، مرت بمراحل متتابعة من التطور، ولم يتم الاعتماد عليها دفعة واحدة، ومنها: المقايضة، والتعامل النقدي، والدفع بالأجل، والموازين والمكاييل . فأول هذه الأساليب هو: المقايضة : " تعني إنتاجاً مقابل إنتاج، وقايضه مقايضة، إذا أعطاه سلعة وأخذ عوضها سلعة "[٩]، فكانوا يبيعون تمراً بتمر، وشعيراً بشعير، كما تعاملوا بتنوع السلع، مثل بيع حنطة بشعير، لوجود الحاجة، ولقلة النقد[١٠]، وفيها يقول أحد الدارسين : " ولم يكن ضرورياً أن يكرس الناس كل نشاطهم لإجراء المقايضة ؛ لأنهم اكتفوا لحقبة طويلة بمبادلة ما يملكون

---

(١) وهي تماثل حالياً الضريبة الجمركية، حنايشة، عماد شحادة عارف، الأتاوى " الضرائب " في الجزيرة العربية عشية ظهور الإسلام دراسة في الجذور التاريخية لموقف الإسلام من الضرائب، رسالة ماجستير، (جامعة النجاح ـ فلسطين، ٢٠٠٨م)، ص ٧٢ .

(٢) أبو يوسف، الخراج، ص ١٤٣ .

(٣) ابن آدم، كتاب الخراج، ص ١٠ .

(٤) ابن سلام، الأموال، ص ٦٣٨، بطاينة، محمد ضيف الله، الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، (دار الكندي ـ الأردن، د.ت)، ص ص ٩٨، ٩٩.

(٥) ابن حجر، أحمد بن علي الشافعي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق : علي محمد البجاوي، (دار الجيل ـ بيروت، ١٤١٢هـ)، ج٧، ص ٣١ ، ص ص ٩٨، ٩٩ .

(٦) أبو يوسف، المصدر نفسه، ص ١٤٤ .

(٧) حنايشة، الأتاوى الضرائب في الجزيرة، ص ٥٢ .

(٨) سوق دبا وصحار بعمان، وسوق المشقر بهجر . ابن حبيب، المحبر، ج١، ص ص ٢٥٦، ٢٦٦، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ص ٣١٣، ٣١٤ . ودبا بفتح أوله، وهي سوق من أسواق العرب بعمان . انظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٤٣٥ .

(٩) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص ٢٢٤ .

(١٠) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٤٨٨، ٤٨٩ .

بكثرة، مقابل ما كانوا بحاجة إليه، دونما واسطةٍ مهنية "[١]، وكان لجوء التجار في نجران إلى المقايضة لإبرام الصفقات التجارية ؛ نظراً لقلة بعض العملات النقدية في أسواقهم، وشملت المقايضة كل أنواع السلع المتبادلة في الأسواق، حيث كان المنتجون يقومون بنقل إنتاجهم للأسواق المحلية، فيجدون فيها سلعاً أخرى، هم في حاجة إليها، ويتم تبادل السلع بعضها ببعض، كل حسب حاجته، ولم تكن المقايضة بوصفها إحدى وسائل التعامل التجاري، مقتصرة على الأسواق المحلية في نجران، وإنما كانت سائدة أيضاً داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، فكان أهل نجران وعموم بلاد السراة يوجهون تجارتهم نحو الحجاز، وبخاصة مكة المكرمة، ويتحقق هذا الإسهام الاقتصادي في ميرة الحجاج [٢]، وفيهم يقول ابن جبير: " إن قبائل من اليمن تعرف بالسرو، وهم أهل جبال حصينة .. يستعدون للوصول إلى هذه البلدة المباركة، قبل حلولها بعشرة أيام ؛ فيجمعون بين النية في العمرة، وميرة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة، وسائر الحبوب، إلى اللوبياء، إلى ما دونها، ويجلبون السمن، والعسل، والزبيب، واللوز، فتجمع ميرتهم بين الطعام والإدام، والفاكهة، ويصلون في آلاف من العدد، رجالا وجمالا موقرة بجميع ما ذكر ؛ فيرغدون معايش أهل البلد المجاورين فيه، يتقوتون، ويدخرون، وترخص الأسعار، وتعم المرافق، فيعد منها الناس ما يكفيهم لعامهم، إلى ميرة أخرى، ولولا هذه الميرة، لكان أهل مكة في شظف من العيش"[٣] .وأكد ابن جبير على أن المقايضة وسيلة للتعامل التجاري، وأنها أساسية بين تجار اليمن، ونجران، والسروات، وأهل مكة فيقول : " ومن العجب في أمر هؤلاء المسافرون، أنهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم، إنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل"[٤]، فتعامُل أهل نجران كان بالمقايضة أولا، ولما وجدوا صعوبة في التعامل بهذه الطريقة، لجأوا إلى التعامل النقدي[٥]؛ فاستعملوا نقوداً سُكت من ذهب، ونقوداً سُكت من فضة، وأخرى سكت من نحاس، ومن معادن أخرى[٦]، فاشتروا الرقيق بأواقي يحددونها من ذهب أو فضة، وكانوا يتبايعون بأوزان اصطلحوا عليها فيما بينهم، كما تعاملوا بالعملات الأجنبية، مثل النقود اليونانية، والرومانية، والمصرية، والحبشية، والفارسية[٧]، وكانت العملة المتداولة في نجران . خلال القرن الأول الهجري . هي الذهب والفضة، ترد إليها من الممالك دنانير [٨] الذهب القيصرية من قبل الروم، ودراهم [٩]

---

(١) جورج لوفران، تاريخ التجارة، ص٥ .

(٢) أبو داهش، أهل السراة في الجاهلية والإسلام، ص ٣١٢ .

(٣) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ١١٠ .

(٤) ابن جبير، المصدر السابق، ص ١١١ .

(٥) انظر : النعيم، نورة، الوضع الاقتصادي، ص ١٧٥؛ الحسيني، محمد باقر، مدن الضرب على النقود الإسلامية، (مجلة المسكوكات، ع٥، ١٩٧٤م)، ص ١١٦ .

(٦) المرجع نفسه .

(٧) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ٤٨٧ .

(٨) الشافعي، العملة وتاريخها، ص ٨٣ .

(٩) وهو وحدة من وحدات السكة الفضية، وهو مشتق من اسم الدراخمة اليونانية، ويزن الدرهم خمسة عشر قيراطاً والقيراط أربعة حبات، والحبة واحدة الحب، وتعني بذور الشعير، ويبلغ وزنه الشرعي ٢،٩٧ جراماً. انظر: المرجع السابق، ص٨٤.

الفضة التي كانت تضرب في الدولة الفارسية[١]، وهي على نوعين: سوداء وافية، وطبرية عتيقة[٢] . والدور الأساسي لهذه العملات مرتبط بالتجارة الخارجية أكثر من ارتباطه بالتجارة الداخلية والمعاملات المحلية [٣]، التي غالباً ما تقوم على المقايضة .

وتميزت النقود المتداولة في نجران بدقة أوزانها، مع غياب الدقة الفنية[٤]، وكان النجرانيون قبل الإسلام، يتعاملون بالنقود الرومية والفارسية، وبقليل من نقود اليمن الحميرية، والنقود الغالبة على التعامل، هي الدنانير الذهبية الرومية، والدراهم الفضية الفارسية[٥]، ولقد تم العثور في نجران على قطع نقدية برونزية دائرية، بأقطار تتراوح ما بين (١) إلى (٢) سم، كما تم اكتشاف العديد من القطع النقدية المصنوعة من الفضة [٦] . ثم أقر الرسول ﷺ النقود على حالها، التي كان أهل الحجاز واليمن يتداولون بها، ومنها الدنانير البيزنطية، وهي ما سمي عند الفقهاء : بـ (الدينار الشرعي) ؛ تمييزاً لها عن غيرها[٧]، فقد فرض الرسول ﷺ الجزية على أهل الكتاب ؛ ديناراً من ذهب على كل بالغ، كما أخذ من نصارى نجران[٨]، وفي زمن الخليفة عمر رضي الله عنه ، كانت الدراهم على نقش الكسروية[٩]، وزاد في نقش بعضها عبارة التوحيد، وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ضرب الدراهم، ونقشها بكلمة الله أكبر، ولما آلت الخلافة للدولة الأموية، ضرب معاوية بن أبي سفيان السود الناقصة من الدراهم، وضرب الدنانير، ولما قام عبد الله بن الزبير في مكة، ضرب دراهم مدورة، وعندما تولى عبد الملك بن مروان، ضرب الدنانير الإسلامية سنة (٧٧هـ/٦٩٦م) على أرجح الأقوال، ووحد العملة على وزن واحد[١٠]، فكانت العملة الذهبية هي العملة السائدة في العالم الإسلامي، زمن الدولة الأموية، وقد استخدمها أهل نجران[١١]، يؤكد ذلك ما اكتشفه علماء الآثار في نجران، فقد تم العثور على العديد من الدراهم الفضية والذهبية الأموية، وبعضها يؤرخ بالعامين (٨٦ و ٩٠) للهجرة[١٢] ،وكانت النقود الفضية متداولة في أسواق العرب، مثل سوق عكاظ وسوق نجران[١٣] .

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ج٣، ص ٥٧١ .

(٢) المقريزي، تقي الدين أبو العباس، كتاب الأوزان والأكيال الشرعية، تحقيق : سلطان بن هليل المسمار، (دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ،١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، ص٤٩ .

(٣) البريهي، الحرف والصناعات، ص٢٨٩ .

(٤) المرجع السابق، والصفحة .

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ج٣، ص ص ٢٧١، ٢٧٢، السيف، الحياة الاقتصادية، ص ١٣٦ .

(6) AL-marih. " NAJRAN": op. cit. pp367.

(٧) العمري، الحرف والصناعات في الحجاز في زمن الرسول، ص ١٥٤ .

(٨) ابن سلام، كتاب الأموال، ج١، ص ١٠٠ .

(٩) نسبة إلى كسرى، والمقصود الدراهم الفارسية، انظر: المقريزي، تقي الدين ؛ إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق : كرم حلمي فرحات، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م)، ص ١٢٤ .

(١٠) المصدر السابق، ص ص ١٢٤ ـ ١٢٦، ابن بنيه، تجارة الجزيرة العربية، ص ١٩١ .

(١١) السيف، المرجع نفسه، ص ١٣٦ .

(١٢) زارينس، التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية، أطلال، ع٥، ص ٣٢ .

(١٣) القيسي، ناهض عبد الرازق، الدرهم العربي الإسلامي من ٣١هجرية ـ حتى العصر العثماني، (دار المناهج، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م)، ص١٠.

ومع تعدد العملات المتداولة، فقد ظهر الصيارفة في العصر الأموي [١]، لتبديل العملات الفضية والذهبية، للتجار وغيرهم من السكان، وأطلق على هذه العملية اسم: "الصيرفة"، فكان العمل الأساسي للصيارفة هو تحويل الدنانير إلى دراهم والعكس [٢]، ولا نستبعد أن تكون قد نشأت فئة من الصيارفة اليمنيين المسيحيين، من بني الحارث في نجران؛ إذ نجد هؤلاء اليمنيين الصيارفة - بعد إخراجهم من نجران أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه - يشغلون دورا رئيسيا في حركة التبادل والصيرفة في الكوفة، بعد تمصيرها [٣]، وهذا يؤكد على أن حركة تعامل نقدي وصرافه قد جرت في نجران، ثم إن ما فرضه الرسول صلى الله عليه وسلم على نصارى نجران من جزية مقدارها دينار عن كل حالم [٤]، ينهض دليلا على أن أهل نجران، قد تعاملوا بالنقود في تجاراتهم، وقد أثبتت الاكتشافات الأثرية ذلك، حيث تم العثور على العديد من العملات النقدية الفضية والبرونزية تحوي كتابات ونقوشا بالمسند الجنوبي [٥].

ومن أساليب التعاملات الدفع بالأجل، ويعرف بالقبالة أو التقبيل. وكان البيع بالمؤجل متبعا في الأسواق [٦]، فالناس يشترون من التجار، ويؤجلون دفع الثمن، حتى يخرج عطاؤهم [٧]، لكن المصادر لا تروي لنا إلا أمثلة قليلة جدا ومن ذلك ما ورد عند ابن المجاور، أن التجار في موسم جني التمور، كانوا يشترون التمر من أصحابه، والدفع لأجل يتفقون عليه [٨].

واستعمل النجرانيون الموازين، والمكاييل [٩]، وتعددت أنواع وأسماء المكاييل التي استخدموها في التعامل مع الحبوب، والغلال، والتمور، وسائر الأطعمة [١٠]، ومنها: الصاع: وهو أربعة أمداد، ويستخدم في بيع الحنطة، وسائر الحبوب، والمد: يبلغ وزنه خمسة أرطال وثلثا، أو ما يعادل ربع صاع، ويستخدم لكيل التمور، وسائر الأطعمة [١١]، والقفيز: ويساوي صاعا [١٢]، وقيل: أربعة وستين رطلا [١٣]، وكان يستخدم لتقدير كميات

---

(١) المبرد، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ

(٢) السيف، الحياة الاقتصادية، ص ١٤٧.

(٣) البلاذري، المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٤٩، شكري، الأوضاع القبلية في اليمن، ص ١٣١.

(٤) أبو يوسف، الخراج، ص ٧٢.

(٥) الزهراني، حفرية الأخدود الموسم الخامس، أطلال، ع١٩، ص ص ٢٠، ٢١.

(٦) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٦٦.

(٧) السيف، الحياة الاقتصادية، ص ١٤٣.

(٨) ابن المجاور، المصدر نفسه، والصفحة.

(٩) أبو داهش، أهل السراة، ص ٣٤٧. عثر في شمال نجران على عيار وزن، بشكل مكعب مستطيل، يعلوه مقبض نصف دائري، ويقف على أربعة أرجل قصيرة، ويزن هذا العيار حوالي أربعة كيلوا جرامات. الأنصاري، قرية الفاو، ص٣٨.

(١٠) ابن المجاور، المصدر نفسه، ص ١٣.

(١١) ابن سلام، الأموال، ج٢، ص ٦٢١، المقدسي، أحسن التقاسيم، ج١، ص ١١٠، هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية: كامل العسلي، (الجامعة الأردنية، ط٢، ١٩٧٠م)، ص٧٤، والمد بالضم: مكيال اختلف الفقهاء في تقديره، كما اختلفوا في عياره من منطقة إلى أخرى، فهو رطل وثلث عند أهل الحجاز والشافعي، ورطلان عند أهل العراق وأبي حنيفة، ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص ٣٩٦.

(١٢) هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٦٦.

(١٣) البريهي، الحرف والصناعات، ص ٢٨١.

الأشياء الجامدة، والسدل ، وهو مكيال الدقيق، والفرق: يساوي ثلاثة صيعان[١]، والوَسق : مكيال يقدر بستين صاعا، وكان في صدر الإسلام يقدر بحمل بعير[٢] ،وقيل (٣٢٠) رطلا [٣]، ومن وحدات الوزن المعروفة في نجران المن: وهو رطلان، والجمع أمنان، والمن كيل، أو ميزان [٤]، وفي صدر الإسلام كان الرطل الواحد يساوي اثنتي عشرة أوقية، كل أوقية أربعون درهماً[٥]، والرطل الحجازي يساوي مئة وعشرين درهماً[٦]، وفي نجران كان الرطل هو رطل بغداد، ويساوي مئة وثلاثين درهما [٧]، واستخدم الرطل في وزن المعادن، مثل: الحديد، والنحاس، والرصاص، والذهب[٨]، وتوزن به معظم السلع التجارية[٩]، فالذهب في نجران يأتي رطله بالعيار العلوي مئة وأربعة وأقل شيئاً [١٠]، والأوقية وتساوي أربعين درهماً[١١]، وورد في نص الصلح مع نصارى نجران : كل حلة أوقية، ومازادت حلل الخراج أونقصت عن الأواقي، فبالحساب "[١٢]، وهذا يؤكد استخدام أهل نجران للأواقي، وغيرها من الموازين والمكاييل، لمختلف السلع التجارية . ومن الموازين أيضا : المثقال ، وكان سعر الفضة غير المنقوطة، وهي الحرق، على أربعة عشر مثقالاً[١٣]، بدينار مطوق، والمطوق ثلثا مثقال وحبتان ، فكان يقطع المطوق من الفضة عشرين درهماً[١٤]، والشاقلة[١٥]، والدينار، والدرهم، والدانق[١٦]، والقيراط[١٧]، وكانت النقود توزن وزناً، ولا تعد[١٨]، فكان

---

(١) ابن سلام، الأموال، ص ٦٢٢، المقريزي، الأوزان والأكيال، ص ٧٩، هنس، المكاييل والأوزان، ص٦٤ .

(٢) المقريزي، الأوزان والاكيال، ص ٤٧، هنتس، المرجع السابق، ص ٣٠ .

(٣) السامر، المرجع السابق، ص ٧١١ .

(٤) ابن منظور، ج١٣، ص ٤١٥. ويساوي المن (٢٦٠) درهماً، انظر، هنتس، ص ٤٥ .

(٥) المقريزي، الأوزان والأكيال، ص ٤٧، هنتس، ص ٣٠ .

(٦) السامر، ملاحظات في الأوزان، ص ٧٠٦ .

(٧) هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٣١ .

(٨) السيف، الحياة الاقتصادية، ص ١٥٠ .

(٩) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ١٢ .

(١٠) الهمداني، الجوهرتين، ص ٨٦، ٨٧ . والرطل هو الذي يوزن به ويكال، ومقداره ثنتا عشرة أوقية، والأوقية أربعون درهما، وجمعة أرطال، ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ٢٨٥ .

(١١) المقريزي، الأوزان والأكيال الشرعية، ص ص ٤٦، ٤٧. والأوقية زنة سبعة مثاقيل وزنة أربعين درهماً، ابن منظور، المصدر نفسه، ج١٥، ص ٤٠١ .

(١٢) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص ص ٧٦، ٧٧، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٥٨.

(١٣) المثقال في الأصل مقدار من الوزن أي شيء كان من قليل أو كثير فمعنى مثقال ذرة وزن ذرة والناس يطلقونه في العرف على الدينار . انظر: ابن منظور، المصدر نفسه، ج١١، ص٨٥ .المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ١٢١ .

(١٤) حمد الجاسر، المعادن القديمة في بلاد العرب، ج٩، ص ٨٤٠ .

(١٥) الشاقلة : لفظة تختص بوزن الذهب والفضة والنحاس . انظر: البريهي، الحرف والصناعات، ص٢٨١.

(١٦) الدانق : من الفارسية، ويعني سدساً، وهو كوحدة وزن ونقد، ويساوي سدس درهم. انظر: المقريزي، الأوزان والأكيال، ص٦٣، هنتس، المكاييل والأوزان، ص٢٩ .

(١٧) القيراط : مأخوذ من قرط عليه، أي: أعطاه قليلاً قليلاً، والقيراط جزء من أربعة وعشرين جزءاً من الدينار، وهو ثلاث حبات من الشعير، المقريزي، الأوزان والأكيال، ص ٦٤ .

(١٨) المقريزي، المصدر السابق، ص ٤٦ .

وزن الدرهم ستة دوانق، وكان أساس نظام الأوزان الإسلامية عامة هو الدرهم، ويزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب(١) .

رابعاً : أثر الحياة الاقتصادية على الحياة العامة :

قامت في نجران خلال القرن الأول للهجرة نهضة زراعية ورعوية وحرفية وتجارية، وتوافرت لها الكثير من المقومات الأساسية، وهذا ما سوف ندرسه في الصفحات التالية .

١. الحياة الدينية والعلمية :

كانت نجران خلال القرن الأول الهجري، موطناً خصباً لكثير من الأديان والعقائد(٢)، فقد عاشت فيها - جنباً إلى جنب - الوثنية ؛ واليهودية، والنصرانية، قال عنها ابن المجاور: " وينقسم أهلها على ثلاث ملل : ثلث يهود، وثلث نصارى، وثلث مسلمين، فالمسلمون الذين بها ينقسمون على ثلاثة مذاهب : ثلث شافعية، وثلث زيدية، وثلث مالكية"(٣)، وكان التجار وسيلة الإعلام الأولى، التي تم من خلالها نقل مختلف الديانات والمذاهب إلى نجران، فدخول المسيحية إلى نجران، كان بواسطة تاجر نجراني، يدعي: حيان أو حنان، تنصر في الحيرة، ثم عاد إلى موطنه وبشر فيه(٤)، كما ورد في بعض المصادر أن فيمون - الراهب النصراني الذي قدم إلى نجران - هو من أدخل النصرانية إلى بلاد نجران بعد أن وجد أهلها يعبدون الأوثان(٥) .

كان النجرانيون أصحاب علم ودين وتجارة، فكتبوا على الحجارة، والصخر، والخشب، والمعادن، وذلك بالحفر عليها، نتيجة لتوافر أدوات نقش الأحجار، وهي المثاقب الحجرية، والقلم الحديد، وأقلام من معادن أخرى، للتدوين بها على صفائح من الخشب، كما استخدموا الفحم، وبعض الآلات الحادة كالمسامير(٦)، وما يؤكد ذلك، هو وجود كتابات إسلامية في عدة مواقع من نجران، من أهمها: آبار حمى، وجبل الذرواء، حيث يوجد فيها العديد من النقوش الإسلامية(٧) . كما توافرت لديهم أدوات الكتابة، وفي

---

(١) انظر: المقريزي، المصدر نفسه، ص ٥٧ ؛ ابن سلام، كتاب الأموال، ص٦٢٦ ؛ هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٩؛ الكرملي، أنستاس، رسائل في النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، (مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م)، ص١١٧ .

(٢) ولعلنا نستنتج أن الدعوات الدينية، التي قامت على أرض نجران، من مسيحية ويهودية، لم تكن تهدف إلى توثيق عقيدة دينية فحسب، بل كانت قد رمت إلى أبعد من ذلك ؛ حيث تطلعت إلى تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية، تنالها حين تمد سلطانها على هذه الأرض، التي حباها الله بمميزات عدة .

(٣) ورد بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجلى نصارى نجران عنها، فلعل ما يقصده ابن المجاور بثلث من النصارى كان قبل ذلك . ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٢٠٩ .

(٤) العتيبي، نجران، ص ١٢٤ .

(٥) الطبري، تاريخ الأمم والرسل والملوك، ج١، ص ص ٤٣٤، ٤٣٥ .

(٦) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٨، ص ٢٥٥، البريهي، الحرف والصناعات، ص ص ٤٣، ٤٤ .

(٧) الأنصاري، نجران منطلق القوافل، ص ص ٥٢، ٥٣ .

مقدمتها : القلم الذي كان يصنع من السعف والقصب[١]، وكذلك السكين، وهي أداة بري القلم [٢]، والمواد المساعدة له، كالحبر أو المداد، وكان يحفظ في المحبرة (الدواة) [٣]، وقد استخدمها العلماء، وطلبة العلم، وغيرهم، واستخدموا المواد التي تكتب عليها مادة العلم، كالحجارة، والعظام، وعسب النخيل، والقراطيس[٤]، وشاعت الكتابة على الألواح الحجرية بنجران في عصر الإسلام، رغم صعوبة التدوين، وذلك لقدرتها على البقاء أكثر من الجلد أو العظم[٥]، كما استخدموا الجلود المتوافرة، وهي أبرز مواد الكتابة، وأكثرها انتشاراً في نجران، وأسهلها استخداماً، وأطولها بقاءً، وعُرف من الجلود عدة أنواع، سميت حسب صناعتها، كالرق وهو الجلد الأبيض، والأديم وهو الجلد الأحمر المدبوغ [٦]، ومن الأرجح أن تكون مادة الجلد بكل أنواعها من أبرز مواد الكتابة المنتشرة بين حملة العلم في نجران، خلال القرن الأول للهجرة، لأن نجران أحد أهم مراكز تصنيع الجلود، ودباغتها في بلاد العرب [٧]، وكذلك جدت حرفة التدريس، ويذكر أن أسقف نجران، كان حبرهم ،وإمامهم، وصاحب مدارسهم[٨] .

وكان للأسواق التجارية الأثر الفعال في انتعاش حركة العلم ؛ فالدعاة والمعلمون الأوائل للإسلام، يلتقون بالناس في الأسواق، ويعلمونهم سنن الإسلام وشرائعه، وكانوا ينزلون في بيوت الوبر، وبيوت الطين، والحجر [٩]، ويذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يبعث المعلمين إلى بوادي جزيرة العرب، ومنها نجران، فيقرئون الناس القرآن، ويعلمونهم القراءة والكتابة [١٠]،

وتعد الحياة العلمية من أبرز الجوانب الحضارية التي انتعشت في نجران خلال القرن الهجري الأول وارتبط ذلك الانتعاش بالرخاء الاقتصادي ؛ فبنيت المساجد وأماكن العبادة[١١] ،وظهر بعض العارفين بعلوم الفلك، وخاصة ما يتعلق بمواسم الأمطار، وأوقات

---

(١) القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق : يوسف علي طويل، (دار الفكر ـ دمشق، ١٩٨٧م)، ج٢، ص ٤٧٤.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص ٦٩ .

(٣) القلقشندي، المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٧٠ .

(٤) عبدالسلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، (مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص ١٧.

(٥) آل ناحي، عوض عبدالله، الحياة العلمية في نجران في صدر الإسلام (من عام ١ إلى ٤٠هـ/٦٢٢إلى٦٦٠م)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الملك خالد، ١٤٢٧هـ/١٤٢٨هـ)، ص٦٦ .

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج١٠، ص ١٢١ .

(٧) الاصطخري، كتاب مسالك الممالك، تحقيق : دي خويه، (مطبعة بريل ـ ليدن، ١٩٣٧م)، ص٢٤، ابن حوقل، صورة الأرض، ٣٦ .

(٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٥٧ .

(٩) آل ناحي، المرجع نفسه، ص ٧٧ .

(١٠) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص ١٥١ .

(١١) أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببناء مسجد في نجران، ولاشك بأنه كان لهذا المسجد دوره الديني والعلمي في نجران، خلال القرن الأول الهجري، البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ١٢١ .

الزراعة، والحصاد[١]، كما امتهن بعض النجرانيين الطب، وعدوه من مجالاتهم الاقتصادية، يقول ابن حجر في معرض حديثه عن الشمردل بن قباب الكعبي النجراني: "كان في وفد نجران بني الحارث بن كعب، قال فنزل الشمردل بين يدي النبي ﷺ فقال: يارسول الله، بأبي أنت وامي، كنت كاهن قومي في الجاهلية، وإني كنت أتطبب، فما يحل لي ... قال: .. لا تجعل في دوائك شبرما، وعليك بالسنا[٢]، ولا تداو أحداً حتى تعرف داءه، قال: فقبل ركبتيه فقال: والذي بعثك بالحق أنت أعلم بالطب مني"[٣]، ولا نستبعد ظهور أطباء آخرين مارسوا مهنة الطبابة، فقد كان هناك الكثير من الأمراض والأوبئة التي تصيب الإنسان، والحيوان، مما يجعل الناس يبحثون عمن يقوم على مكافحتها، وإيجاد العلاج المناسب لها.

٢ـ الجانب السياسي والعسكري:

أثر النشاط الاقتصادي على الجانب السياسي والعسكري ،واهتم النجرانيون ببناء الأسوار والحصون[٤]، وذلك يدل على مدى القوة العسكرية التي وصلوا إليها، وهذا ما نستنتجه من انتصارات قبيلة بني الحارث بن كعب على بقية القبائل[٥]، وعندما علموا بانتشار الإسلام بادروا بزيادة تحصيناتهم[٦]، واستخدموا في حروبهم الخيل، وهو ما تسجله الرسومات، والنقوش، واللوحات، وبعض التماثيل النحاسية وغيرها، كما استخدموا الرماح، والنبال، والسيوف في دفاعهم[٧]، وبالغ بنو عبد المدان، في إعمار نجران؛ فشيدوا الكثير من المساكن والملاجئ للاحتماء بها من الغزاة، وكانت نجران من أشد المعاقل تحصنا[٨]، وخاصة هجر ـ وهي قرية آل عبدالمدان ـ التي عرفت بالحصن؛ لشدة مناعتها وتحصينها[٩]، ولعل هذا ما جعلها ملاذاً آمناً وملجأً قوياً لكل من أراد اللجوء والحماية، في كنف سادتها بني عبد المدان، واستمر تحصين المدينة حتى بعد ظهور الإسلام[١٠].

ومن الآثار الاقتصادية على الجانب السياسي، قيام مصالح اقتصادية مشتركة، بين الفرس (الأبناء) وقبيلة مذحج التي كانت تقطن نجران وتسيطر على الجزء الرئيس من الطريق التجارية، من صنعاء إلى اليمامة[١١]؛ وكان بنو جعيد المراديون خفراء لبعض

---

(١) ابن جريس، نجران، ج١، ص ٤٣٤.
(٢) السَّنا: نبت يتداوى به، ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص ٤٠٣.
(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص ٣٥٨.
(٤) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، (عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج٢، ص ٨٤٧.
(٥) العرشاني، كتاب الاختصاص، ص ٥٢١.
(٦) الواقدي، المصدر نفسه، الجزء، والصفحة.
(٧) زارنيس، التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية، أطلال، ع٥، ص٢٤، الأنصاري، قرية الفاو ،ص١٧.
(٨) الواقدي، كتاب المغازي، ج٢، ص ٨٤٧، جواد علي، المفصل في التاريخ، ج٣، ص ص ٥٣٤ـ ٥٣٥.
(٩) الهمداني، الصفة، ص ٢٨٣.
(١٠) الواقدي، المصدر نفسه، الجزء، والصفحة.
(١١) شكري، الأوضاع القبلية في اليمن، ص ١٩٩.

العير، التي كان يرسلها باذان إلى كسرى فارس، محملة بثياب من ثياب أنسجة اليمن، ومسكاً، وعنبراً [١]، كما كانوا مسؤولين عن حراسة قافلة الجباية من صنعاء إلى فارس، عبر نجران واليمامة[٢].

وكان من نتائج سقوط العاصمة الفارسية في صدر الإسلام، وقتل الملك الفارسي (كسرى إبرويز) عام (٧هـ/٦٢٨م) إن أصبح الحكم الفارسي في جنوب شبه الجزيرة العربية واهياً، ولا يملك أي سند قوي في المنطقة، فبدأ بعملية تحالفات داخلية، لمصالح اقتصادية [٣]، ومنها: تحالفهم مع قبيلة همدان[٤]، المعادية لقبيلة مذحج[٥]، كما أن قطع باذان علاقته مع الإمبراطورية الفارسية، منذ السنة السابعة من الهجرة أضر بمصالح قبيلة مذحج [٦]. وعلى ضوء هذه التحالفات، ودخول باذان - والي الإمبراطورية الفارسية على اليمن - في الإسلام، تقوى مركز الأبناء الفرس في اليمن [٧]، وتحول ولاؤهم إلى حكومة المدينة منذ السنة السابعة للهجرة، وأدى هذا التحول السياسي في اليمن إلى ضعف حركة التجارة من صنعاء، عبر الرضراض، فالجوف، ثم إلى نجران، ثم إلى اليمامة والحيرة، خاصة وأن هناك روابط تجارية وعشائرية كانت تربط مذحج عامة - وبني الحارث بن كعب خاصة - بكبار التجار، ومالكي الأراضي في الحيرة، مما جعل العشائر القاطنة على هذا الخط التجاري، تتضرر من هذا التدهور، وتفقد عوائدها التجارية المهمة التي كانت موردها الرئيسي، وهذه القبائل هي : مراد، وعنس، وبنو الحارث بن كعب، إلى جانب زبيد، وجنب، فشكلت هذه العشائر أساساً لردة قبيلة بني مذحج عن الإسلام، بزعامة عبهلة بن كعب العنسي [٨]، وامتنع بعض أفراد القبائل عن دفع الضرائب ؛ حتى خاطب أحدهم الخليفة أبا بكر رضي الله عنه بقوله : "إن العرب لا تطيب لكم نفساً بالإتاوة، فإن أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها ؛ فستسمع لكم وتطيع، وإن أبيتم فلا أرى أن تجتمع عليكم[٩]"، وقال بعضهم : "نؤمن بالله، ونشهد أن محمداً رسول الله، ونصلي ولكن لا نطيعهم في أموالنا" [١٠]، وهناك من يرى أن المرتدين كانوا ضد الضرائب المفروضة على المحاصيل

---

(١) الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق : سمير جابر، (دار الفكر - بيروت، ط٢، د.ت)، ج١٧، ص ٣١٨ .

(٢) شكري، المرجع نفسه، ص ٢١٦ .

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٢٦٠، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص١٣٤، ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق : علي شيري، (دار الفكر - بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج٢٧، ص ٣٥٧.

(٤) ابن سعد، المصدر نفسه، ج٦، ص٢٨/ الرازي، أبو العباس أحمد بن عبدالله، تاريخ صنعاء، تحقيق : حسين عبدالله العمري، (دار الفكر - دمشق، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص ٩٤، ٩٥ .

(٥) حيث كانت بينهم وقائع في الجاهلية، منها وقعة الرزم كانت قبل الإسلام بين مراد وهمدان، أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا، الأصفهاني، الأغاني، ج١٥، ص ٢٠٢، العرشاني، كتاب الاختصاص، ص ٥١٣ .

(٦) شكري، الأوضاع القبلية، ص ٢١٦ .

(٧) ابن سعد، المصدر نفسه، ج٥، ص ٥٣٣؛ الطبري، المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٤، القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢٤.

(٨) البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص١٢٥، شكري، الأوضاع القبلية، ص ٢١٨.

(٩) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص ٢٦٣ .

(١٠) ابن عبد الوهاب، عبد الله بن محمد، مختصر سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - : (دار الفيحاء - دمشق، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج١، ص ٥٢٧ .

الزراعية، وكانوا ضد ظلم الأبناء من الفرس لهم وبخاصة طبقة الفلاحين منهم[١]، وما نستنتجه من النص هو أن ردتهم كانت بسبب الضرائب وتعسف بعض الولاة في جمعها، حتى ألغاها عمر بن العزيز في خلافته[٢].

وإذا كان النشاط الاقتصادي في نجران، قد هيأ لبعض العامة أسباب الثراء، فلا عجب أن يكون للأمراء نصيب واسع منه؛ حيث حصل الأمراء على أموال كثيرة كالتجار، وامتلكوا بها العديد من الأراضي والقرى، ومن أمثلة ذلك عامل الوليد بن عبد الملك على اليمن، محمد بن يوسف الثقفي (٩١هـ/٧٠٩م)، الذي اشتهر بالتجارة، وعُرف عنه مقدرته على تنمية الأموال أثناء ولايته[٣]، هذا ويُعد امتلاك الأمراء العديد من الأراضي والقرى، مؤشرا قويا على وجود نهضة زراعية، وعمرانية في نجران. ومن الآثار الاقتصادية على الجانب العسكري في نجران، توافر الأسلحة وأدوات الحرب، فقد شارك أهل نجران في الفتوحات الإسلامية، وعليهم الزرد[٤]، الضافية، والقسي العربية، فغنموا الغنائم الواسعة[٥].

٣. الحياة الاجتماعية:

إن طبيعة أرض نجران الخصبة، ومواردها المتنوعة، وتوافر مصادر المياه فيها، وغناها بالمعادن، وبالحجر الصالح للبناء، ساعدت الإنسان كيف يرفع حافة الأرض ليحبس الماء في الأحواض، و يعمل فتحات في تلك الأحواض ليخرج الماء منها وقت الحاجة، وكل ذلك طبع الإنسان النجراني بطابع خاص، وأكسبه صفات عقلية وجسمية متميزة، وما يؤكد ذلك هو موقف الرسول ﷺ من وفد أهل نجران، عندما قدموا عليه، فقال: "من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال من الهند؟"، فقيل له: هؤلاء رجال من بني الحارث بن كعب[٦]، وقد وصف المسعودي سكان اليمن ونجران، فقال: "في أهله همم كبار، ولهم أحساب وأخطار، مغايضة خصبة، وأطرافه جدبة، وفي هوائه انقلاب، وفي سكانه اغتيال، وبهم قطعة من الحسن، وشعبة من الترفة، وفقرة من الفصاحة"[٧]، كما أنها جذبت الفلاحين الذين عملوا في الحقول، والتجار الذين كانوا يحملون البخور، والرعاة والمسافرين[٨]، والصناع الذين كانوا يعملون في التعدين والحدادة.[٩] وموقع الأخدود هو مكان الاستيطان الرئيسي في وادي نجران، ومركز التجمع السكاني[١٠]، نظرا لوفرة

---

(١) شكري، المرجع نفسه، ص ٢٢٣.

(٢) البلاذري، المصدر نفسه، ج١، ص ٨٨.

(٣) القواسمي، التجارة ودولة الخلافة، ص ٨٠.

(٤) الزرد: وهي الدروع، والزرد مثل السرد، وهو تداخل حلق الدرع بعضها في بعض، ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص ١٩٤.

(٥) الحسني، أنباء الزمن في تاريخ اليمن، ص ١.

(٦) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٥، ص ص ١٩١، ١٩٢، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٤٠.

(٧) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص ٦٢.

(8) Michael J. Harrower, op . cit,pp67.

(٩) حمد الجاسر، المعادن القديمة في بلاد العرب، مجلة العرب، ج٩، ص ٨١٠.

(١٠) زارينس، تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران، أطلال، ع٧، ص ٢٧.

المياه ؛ واعتماد السكان بشكل كبير وأساسي على الزراعة، ووجود أنظمة الري المحكمة، ووفرة الإنتاج الزراعي[١]، وساعد ذلك أهل نجران على تطوير حياتهم الاجتماعية، فمال كثير منهم إلى الاستقرار، وإلى الاشتغال بالزراعة والعيش منها، وساعدهم على السكنى في القرى والمدن[٢]، ومن أبرز هذه القرى : قرية الأخدود [٣]، وقرية رُعاش[٤]، وشوكان، والجوز، والداران، والحمدة، والجلاليان، ونفحة، ونعامان، والبيران، وسكانها بنو وادعة من همدان[٥]، والحضن، وسكانها وائلة بن شاكر، وجيران لهم من ثقيف[٦]، وسوحان، وميتان، وسكانها بنو الحارث بن كعب، وكذلك هجر، وبها حصون بني الحارث بن كعب، والموفجة[٧]، وذات عبر، وعكمان، والغيل، وقرقر[٨]، وسحبل[٩]، كما عمل أهل نجران بالتجارة، واشتغلوا بنقل فائض منتجاتهم إلى البلدان المجاورة، ويؤكد ابن جبير ذلك بقوله : " فيرغدون معايش أهل البلد، والمجاورين فيه، يتقوتون ويدخرون، وترخص الأسعار، وتعم المرافق" [١٠]، وكان غالب أقواتهم التمر، وسيدة الأشجار لديهم النخلة [١١]، وأكلهم السمن والعسل[١٢]، وفاضت منتجاتهم من البر والشعير والسمن والعسل وغيرها ؛ فتاجروا بها، وفيهم قال ابن المجاور: " فإذا دخلوا مكة ملأوها خبزا من الحنطة، والشعير، والسويق، والسمن، والعسل، والذرة، والدخن، واللوز، والزبيب"[١٣]، ولغزارة انتاجهم من الفواكه والثمار كالعنب وغيره، فقد كانوا يصنعون منها الخمر، وقد نهاهم الرسول ﷺ عن خلط الزبيب بالبسر [١٤] .

ونتيجة للرخاء الاقتصادي ؛ ظهرت طبقة اجتماعية مرفهة من أهل نجران، يلبسون الحلل، والحبر، وبرود الوشي المثقل بالذهب [١٥]، وفيهم قال البيهقي [١٦]، " ولبسوا

---

(١) المرجع السابق، والصفحة .

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج٧، ص ١٦١ .

(3) AL-marih , Salih. NAJRAN, op.cit,p365

(٤) البكري، معجم ما استعجم، ج٢، ص ٦٦٠ .

(٥) الهمداني، الصفة، ص ٢٨٣ .

(٦) المصدر السابق، والصفحة .

(٧) الموفجة : هي أول القرى العامرة في علو وادي نجران، بعد تشكله من مضيق مروان وعقبة رفادة، وتعرف بقرية ابن الزين، وهي تبعد عن صعدة مسيرة يومين على الجمال. فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ١٨٢.

(٨) قرقر : مدينة عامرة، كان يقوم تحتها سوق نجران المسمى بالعمدين . انظر: ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ص ٢٠٩، ٢١٠ .

(٩) سحبل بفتح أوله وسكون ثانيه، ثم باء موحدة مفتوحة، هو اسم موضع في ديار بني الحارث بن كعب، انظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ١٩٤ ؛ الهمداني، الصفة، ص ٣٨٣، البكري، المصدر نفسه، ج٣، ص٧٢٧ .

(١٠) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ١١٠ .

(١١) الاصطخري، مسالك الممالك، ص ٢٤ .

(١٢) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٣٨ .

(١٣) المصدر السابق، ص ٢٧ .

(١٤) البسر : جمع البسرة وهي ثمر النخيل قبل أن يرطب . مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، (دار الجيل بيروت، ودار الآفاق الجديدة ـ بيروت، د.ت) ، ج٦، ص١١٦، ابن حنبل، المسند، حديث رقم (٥٠٦٧) ، ج٢، ص ٤٦ .

(١٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٣٠٥.

(١٦) البيهقي، دلائل النبوة، ج٥، ص ٣٨٦.

حللاً لهم، من حبرة، وخواتيم الذهب"، فكانت ثياب الحبرة، من أثمن البرود، وهي حلل الأغنياء والوجهاء منهم، كما كانوا يلبسون الحرير [١]، وخواتيم الذهب، فقد روي: "ان رجلاً قدم من نجران إلى رسول الله ﷺ وعليه خاتم ذهب، فأعرض عنه رسول الله ـ ﷺ ـ "[٢] .وكانوا يبعثون بالهدايا من منتجاتهم المحلية، ومن ذلك أحد نصارى نجران الذي أهدى للرسول ﷺ برداً، وقعباً، وعصاً[٣]، وهذا يدل على ولاء نصارى نجران وحبهم للرسول ﷺ. وكان لذلك الثراء تأثير على المظهر الخارجي، للخاصة والعامة في المجتمع النجراني؛ حتى يذكر أنهم كانوا يأكلون ويشربون في صحاف من ذهب، وفضة[٤]، ويؤكد ذلك ما اكتشفه علماء الآثار من أوان فخارية، وحجرية، ومعدنية، ومنها ملعقة مصنوعة من البرونز، تستخدم للمساحيق بأنواعها [٥]، وعظام حيوانات، ومواقد، ورماد، كما تم العثور على أشكال متباينة من شظف حوامل المباخر، وقطع أحجار رحى مستديرة كبيرة، وحوامل الأواني الدائرية الصغيرة، ذات الأرجل القصيرة [٦]، وقد كانوا يعتمدون على منتجاتهم المحلية، ويستوردون ما يحتاجون إليه من أدوات للطعام، واللباس، والزينة، وتؤكد أعمال التنقيب في نجران، على اكتشاف العديد من الأواني، المصنوعة من الزجاج الأزرق الداكن، والزجاج الأخضر الفاتح، كما تم العثور على حبيبات الخرز، المصنوعة من الزجاج الأسود، مع دوائر بيضاء، وبعضها مصنوعة من الصدف، والبعض الآخر من السيراميك الأصفر[٧] .

كما تعددت أنواع التعاملات التجارية، وظهور أنظمة مالية جاء بها الإسلام؛ ليحقق العدالة الاقتصادية والاجتماعية، فسارع الموسرون لإخراج زكاتهم للفقراء[٨]، فكان لجمع الزكاة من أغنياء الناس وردها على فقرائهم، أثر اقتصادي واجتماعي كبير، متمثل في إصلاح أحوال الفقراء المالية، ونشر ثقافة التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع النجراني، وممن جمع صدقات نجران: خالد بن الوليد بعثه الرسول ﷺ إلى أهل نجران، ليجمع صدقاتهم[٩]. وأبو سفيان بن حرب كان والياً على صدقات نجران[١٠]، كما كان علي بن

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١،ص ٣٥٧ .

(٢) ابن حنبل، المسند، حديث رقم (١١١٢٤)، ج٣، ص١٤ .

(٣) البيهقي، دلائل النبوة، ج٥، ص ٣٩١، والقعب: هو القدح الضخم المصنوع من الخشب، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص ٦٨٣.

(٤) العمري، طريق البخور، ص ١٧٩ .

(٥) المرجع نفسه .

(٦) زارينس، تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران، أطلال ع٧، ص ص ٢٨، ٣١ .

(7) AL- marih, NAJRAN, op. cit. pp368.

(٨) العتيبي، نجران، ص ص ٦٢، و ٧٨ .

(٩) الأشرف الرسولي، فاكهة الزمن، ص ٣٥ .

(١٠) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص ٦٦، الدار قطني، علي بن عمر أبو الحسن البغدادي، السنن، تحقيق السيد عبدالله هاشم يماني المدني، (دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٨٦هـ /١٩٦٦م)، حديث رقم (٤٦)، ج٤، ص١٦ .

أبـي طالـب يجمع الزكاة والجزية من أهـل نجران[١]، وهذا يدل على ثـراء أرض نجران ،وانتعاش الحياة الاقتصـادية بها، كما ساهم ضـرب العملة الإسلامية وتوحيدها وتعيين مقدارها ؛ في حل قضـايا الخراج، وتيسير جبايته من النقد، إضافة إلى تسهيل المعاملات التجارية، وتعيين أنصبة الزكاة، ومقادير الديات، والأنكحة، وغيرها[٢].

كما وجدت وظيفة الحسـبة التي تقوم على إصـلاح كل ما يمارسـه الناس في حياتهم اليوميـة[٣] ومهامها كثيرة ومتعددة، منها: الأمر بالمعروف، كالحث على أداء الصـلاة في وقتهـا، وعمل الطاعات، وبذل الخير، وتقديم الصـدقات. والنهي عن المنكر، مثل إسـاءة الأدب في الأماكن العامة، أو مضـايقة النـاس، أو إظهار المعاصـي[٤]، أو مراقبة الأسـواق، ومنع الغش والتدليس والمغالاة في الأسـعار، ووضـع كل ما نهى عنه الإسـلام في المعاملات التجارية، كما تمتد مهام الحسبة إلى الإشراف على تطبيق الحدود، والأحكام الشرعية المتعلقة بكل الجوانب السـابقة[٥]. ونتيجة للرخاء الاقتصـادي الذي شـهدته نجـران. ابتداءً من عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تزايد أعداد الرقيق وكثر انتشارهم ؛ حيث أصبح الناس يعتمدون عليهـم في كثـير من الأعمـال[٦]، وكان لوجـود الرقيـق دور في تقديم الخدمات لمـن يمتلكونها، ومؤازرتهم عند الحاجة، ومساندتهم في بعض الأعمال الزراعية والصناعية والتجارية .

ومـن الآثـار السـلبية للحياة الاقتصـادية علـى الجانـب الاجتماعي : تزايـد أعداد النصـارى في نجران[٧]وتعاملهـم بالربـا، وهـذا جعـل الخليفـة عمر بـن الخطاب رضي الله عنه يجليهم عن نجران، بعد أن اشـترى منهم عقارهم، وأملاكهم[٨]، ومن الآثار أيضـا تفوق الأبنـاء مـن الفرس في النشـاط الاقتصـادي[٩]، وازدياد أعدادهم ؛ مما تسـبب في قيام ثورة الفلاحين من أهل نجران وغيرهم ضـد الأبناء[١٠]، كما أثرت الصلات التجارية في علاقات القبائل مع بعضها ؛ فتكونت تحالفات ضد بعضهم البعض، فقامت التحالفات بين

(١) الطبري، تاريخ الأمم والرسل والملوك، ج٢، ص ٢٠٤، ابن خلدون، المصدر نفسه، ج٢، ص ص ٥٨، ٥٩ .

(٢) السـامر، فيصل، نهضـة التجارة في العصور الإسـلامية، مجلة المؤرخ العربي، ع١٧، (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص ص ٦٩، ٧٠ .

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٣١٥، القرشي، كتاب معالم القربة في أحكام الحسبة، ص٣٣.

(٤) ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية، تحقيق : عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ـ المدينة المنورة، ١٤١٦هـ /١٩٩٤م)، ص ١٣٧ .

(٥) النبراوي، المرجع السابق، والصفحة .

(٦) العتيبي، نجران، ص ٨٦ .

(٧) ابن جريس ،غيثان بن علي، دراسـات في تاريخ تهامة والسـراة خلال القرون الإسـلامية المبرة والوسـيطة (ق١ـ ق١٠هـ/ق٧ـ ق١٦م) المسـمى تاريخ الجنوب (الباحة وعسـير، وجازان ونجران) (مطابع الحميضـي ـ الرياض، ط١، ١٤٣١هـ ـ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠ـ٢٠١١م) ، ج٢، ص ٣٤١ .

(٨) ابن حجر، فتح الباري، ج٥، ص١٢ .

(٩) التويم، مانع عبد الله محمد، الأبناء في اليمن منذ فجر الإسلام حتى نهاية القرن الثالث الهجري دورهم السياسي والحضاري(٧ـ ٣٠٠هـ/٦٢٩ـ٩١٣م) رسالة ماجستير ، جامعة الملك سعود .

(١٠) شكري، الأوضاع القبلية، ص ٢١٦ .

سكان مخلاف نجران، وبعض القبائل المحيطة، ومثال ذلك التحالف الذي تم بين قبائل أنعم، مع قبائل بني الحارث في نجران، ضد قبيلة مراد ومن حالفها[١]، كما أثرت أنظمة الري في العلاقات بين القبائل، وأحقيتها في تملك المناطق الغنية بالمياه[٢]، وكانت وقعة وادي (الرزم)[٣] -وقيل- الردم- بين مراد وهمدان، خير شاهد على احتدام الصراع بين القبائل بسبب المياه، حيث أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا[٤]، وبعد انتشار الإسلام، وتبعية نجران للدولة الإسلامية، كان لابد أن تتأثر مظاهر الحياة الاجتماعية بالدين الجديد، من حيث التكافل والتعاون، وانتشار قيم التسامح والإيثار، وقد تقاربت القبائل أكثر بعد ظهور الإسلام، وكونت كتائب لحرب المرتدين، ونشر العقيدة الإسلامية.

٤- الجانب العمراني:

من الطبيعي أن يرتبط الجانب العمراني بالجانب الاقتصادي في نجران، فلا عمران بدون اقتصاد، وقد أسهمت الزراعة، والصناعة، والتجارة في تحقيق الازدهار المادي ونهضة الجانب العمراني؛ فشيد النجرانيون أنواعاً متعددة من المباني السكنية، والدينية، والعسكرية، والزراعية، والمائية، طبقاً لحاجتهم، وأبدوا فيها حساً فنياً من حيث الفخامة في البناء، وقاموا على تزيينها وتجميلها بعناصر زخرفية متنوعة، من نباتية وهندسية وحيوانية[٥]، ويذكر ياقوت الحموي[٦]، العمران عندهم بقوله: "وبنوا دياراتهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجر والرياض والغدران ويجعلون في حيطانها الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور"، ومثال على ذلك كعبة نجران التي وصفت بأنها على نهر بنجران، وأنها قبة من أدم، من ثلاث مئة جلد[٧]، ويؤكد ذلك ما اكتشفه علماء الآثار من مبان، منها المسجد الذي تم بناؤه داخل قلعة الأخدود بنجران، الذي يعود تاريخه إلى القرن الأول الهجري، وربما أنه المسجد الذي أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببنائه في نجران[٨]، كما انتشرت الأبنية في قرى نجران، الواقعة على ضفاف وادي نجران، وكذلك في حبونا، وبدر الجنوب[٩]، ويوجد في العديد من الأمكنة النجرانية مخلفات عمرانية وخزفية،

---

(١) الشهري، غرمان بن عبد الله، مخلاف جرش من صدر الإسلام إلى نهاية القرن السابع الهجري، رسالة ماجستير (غير منشورة)، (جامعة الملك خالد، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م)، ص١٦٢.

(2) Michael J, Harrower , op,cit,pp62 .

(٣) أرض الرزم بالجوف، الهمداني، الصفة، ص ٣١٩.

(٤) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص ٥٨١، جواد، المفصل، ج٦، ص ٢٦٠.

(٥) البريهي، الحرف والصناعات، ص ٣٠٦، قلعة الأخدود كانت وحدة معمارية على هيأة مستطيل، مبنية من حجارة ضخمة مهذبة، منقوشة برسوم حيوانية، واستخدمت كمكان لإقامة الشعائر الدينية، أو المناسبات الاجتماعية، وبعد ظهور الإسلام استخدم الجزء الشمالي الغربي منها لإقامة مسجد، ساعد في ذلك اتجاهها الطولي نحو مكة المكرمة قبلة المسلمين، الزهراني، تقرير مبدئي عن حفرية الأخدود بمنطقة نجران، أطلال، ع١٦، ص ١٨.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٥٣٨.

(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٦٨.

(8) AL- marih, NAJRAN , op.cit.pp366

(٩) الأنصاري، نجران منطلق القوافل، ص ٦٢.

مثل موقع (شعيب دحضة) ، وهو قرية صغيرة، تقع في مضيق مسدود الطرف، على رافد يصب في وادي نجران، وتم العثور فيها على ستة مبان ذات شكل مستطيل، وأساساتهً حجرية، وكذا موقع(الدريب) في نجران، ويحتوي على مبان مربعة الشكل عليها العديد من النقوش[١] ، وقد استخدموا في المباني ما وفرته البيئة الطبيعية من أحجار، ومعادن، وأخشاب، ومواد صنعوها للبناء، وأثاث، وما استوردوه من مواد أخرى، وأصبح لفن العمارة في جنوب شبه الجزيرة العربية سمة مميزة، وطابع خاص بها ؛ حيث اتخذت أغلب المباني السكنية فيها نمط المخروط المقطوع، أي أن البناء يضيق كلما ارتفع، ولاتزال هذه السمة موجودة في بعض مباني نجران حتى اليوم، كما تميزت باستعمال الحجر في معظمها، الأمر الذي يفسر سر بقائها منذ مئات السنين[٢] ، وتأخذ بعض المباني في موقع الأخدود شكل المستطيل، وتنتشر على جدرانها الخارجية الكثير من الكتابات والرسوم التي تمثل أشكال جمال وخيول ووعول وثعابين وأيد وأقدام [٣] . وحول مدينة الأخدود سور وبوابة من الجهة الغربية، ويوجد داخل أسوار المدينة نحو عشرين مبنى، شيدت من كتل حجرية، رُصت على هيأة أفقية منتظمة، وتبلغ مساحة أصغر هذه المباني نحو ستة أمتار مربعة، وقد كسيت المباني بطبقة من الصلصال، وكانت هذه المباني بمنزلة قواعد ثابتة، لبناء المساكن ذات الطوابق المتعددة، التي شيدت من الطوب اللبن [٤]، وكانت مدينة الأخدود ذات تخطيط مربع، ومحاطة بأسوار غير منتظمة، إذ تم اتباع نظام قديمٍ للدفاع عن المدينة، يقوم على صف المنازل التي تكون سور المدينة، ويتم حمايتها أيضا بأبراج في الأركان، وهذا ما دلت عليه الدراسات الأثرية التي أجريت بموقع الأخدود[٥] ، ويؤكد ذلك ما ذكره الواقدي[٦] ، من موقف أهل نجران، عند سماعهم خبر ظهور الإسلام قال: "فجعلت بلحارث بن كعب يصلحون ما رث من حصنهم، وجمعوا ماشيتهم" ؛ مما يدل على أن الكثير من القرى والمدن في نجران، كانت تُعد قلاعا حصينة، استخدمها السكان في صد أي عدوان على قراهم ومزارعهم، كما أنشئت السجون في نجران، ومنها السجن العتيد، الذي أودع به العديد من الجناة واللصوص، ومنهم عطارد بن قران[٧] ، أحد اللصوص، وكان قد أخذ وحُبس بنجران، فقال :

تذكرت هل لي من حميم يهمه بنجران كبلاي اللذان أمارس [٨]

(١) زارينس، التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية، أطلال، ع٥، ص ٢٤.

(٢) البريهي، الحرف والصناعات، ص ٣٠٦ .

(٣) زارينس، التقرير المبدئي عن مسح وتنقيب نجران، أطلال، ع٥، ص ٢٤ .

(٤) الأنصاري، الحضارة الإسلامية عبر العصور، ص ٣٢٨ .

(٥) المرجع السابق، والصفحة .

(٦) الواقدي، المغازي، ج٢، ص٨٤٧.

(٧) عطارد بن قران، ت (١٠٠هـ/٧١٨م) ، من بني صدي بن مالك : شاعر مطبوع مقل، من الصعاليك حبس بنجران، وله شعر في حبسه بها. الزركلي، الأعلام، ج٤، ص ٢٣٦ .

(٨) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، الأكوع، القاضي إسماعيل بن علي، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، (مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ، ص ٢٨٦.

فكان لهذا السجن الأثر في إيقاظ ملكاتهم الشعرية[١]، ولاشك أن بناء مثل هذه القلاع والأبراج والحصون في نجران، يحتاج إلى أيد عاملة، ومواد بناء مختلفة، من خشب ومعادن، كالحديد وغيرها، وهي بلاشك متوافرة في بلاد نجران، مما كان له أكبر الأثر في ازدهار العمران وحركة التشييد فيها، وقد نتج عن ازدهار التجارة انتعاش مرافق الحياة المختلفة، فتاجر أهل نجران بالحبوب، والطيوب، والنسيج، والأحجار الكريمة، والمعادن، كالذهب، والفضة، والنحاس، والحديد، والرصاص؛ فأثروا بذلك ثراءً كبيراً، انعكست آثاره على ما بنوه من قصور، وأسواق، ومقابر، ومعابد، ومساجد، وما زينوا به بيوتهم من رسوم متنوعة في مادتها ونوعها، وتماثيل معدنية، وأخرى مصنوعة من المرمر[٢]، وقد وصفت مبانيهم ومنازلهم بالفخامة، فالأبواب والجدران والسقوف مختلفة الألوان؛ بما رُصع فيها من العاج، والفضة، والحجارة، والخشب[٣]، كما رُوي أن "في كل قرية قصراً من حجر وجص، وكل من هؤلاء ساكن في القرية، له مخزن في القصر يخزن في المخزن جميع ما يكون له من حوزه وملكه وما يؤخذ منه إلا قوت يوم بيوم. ويكون أهل القرية محتاطين بالقصر من أربع ترابيعه"[٤]، واحتاجت هذه المباني إلى عمالة فنية، وقد وُجدت العمالة الأجنبية في نجران، إلى جانب عمال وطنيين، بالإضافة إلى أنها استوردت بعض المواد والمنتجات، التي لا تتوافر لديها من بعض أقطار العالم، مثل: أخشاب الأبنوس والصندل من الهند، وأنواع من المنسوجات المختلفة من مصر، وهذا نتيجة لنشاط التبادل التجاري[٥].

خامساً: الخاتمة[٦]:

دونت الأستاذة فاطمة العبدلي في خاتمة رسالتها ملخصاً لفصول الرسالة وبخاصة تاريخ نجران الزراعي، والرعوي، والحرف والصناعات التقليدية، والحياة التجارية، كما بذلت جهداً جيداً في جمع مادتها العلمية، وكتابتها وتوثيقها. لكنها قصرت في ذكر بعض النتائج والتوصيات التي خرجت بها من دراسة هذا الموضوع. ونذكر في السطور التالية نقاطاً مكملة لهذا النقص الموجود في الرسالة، وهي على النحو الآتي:

١. منطقة نجران ثرية بتاريخها الحضاري منذ العصور القديمة وعبر أطوار التاريخ الإسلامي، والذي دون في هذه الرسالة العلمية صفحات مشرقة من تاريخ نجران

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البدان، ج٥، ص ٢٧٠؛ فائزة العتيبي، حركة الشعر في نجران في الجاهلية وصدر الإسلام، رسالة ماجستير (منشورة)، (جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية وآدابها، ١٤٢٩هـ)، ص ص ٣٤، ٣٥.

(٢) الأنصاري، قرية الفاو، ص ١٧.

(٣) سلطان، نايفة عبدالحميد، تجارة البخور والمواد العطرية وتأثيراتها على مجتمعات الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير (غير منشورة)، (جامعة الملك سعود - الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ٢٨١.

(٤) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص ٣٧.

(٥) البريهي، الحرف والصناعات، ص ٣٠٦.

(٦) هذه الخاتمة من إعداد صاحب كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (ابن جريس). وخاتمة الأستاذة العبدلي ملخص لفصول الرسالة، وللمزيد انظر الرسالة نفسها، ص ١٣٤-١٣٧.

الاقتصادي خلال القرن الهجري الأول. ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يستكمل ما قصرت الباحثة في دراسته وتحليله وتوثيقه.

٢. اتضح لنا من مادة هذا البحث أن بلاد نجران كانت ذات صلات اقتصادية جيدة مع سكان نجران أنفسهم، ومع البلدان العربية والإسلامية داخل الجزيرة العربية وخارجها .

٣. قصرت الباحثة في تدوين أي شيء عن حياة الصيد، والجمع والالتقاط في منطقة نجران مع أن هذه الحرفة كانت موجودة، ويمارسها الكثير من النجرانيين . كما أنها لم تورد شيئاً عن ملكية الأراضي الزراعية العامة والخاصة، والمعوقات التي كانت تقابل المزارعين أثناء ممارسة الزراعة منذ حرث الأرض وبذرها حتى حصاد محاصيلها وخزنها . وهناك حرف وصناعات يدوية لم تذكر مثل: الجزارة ،والبناء ونقش وتجصيص العمارة النجرانية، والحلاقة، وحراسة الأسواق والمزارع وغيرها من الحرف في ميادين اجتماعية واقتصادية عديدة . ولم تذكر أيضاً تفصيلات عن أسواق نجران الأسبوعية، وأسعار السلع، والمعوقات التي كانت تواجه التجارة والتجار على أرض نجران .

٤. هذه الدراسة قد تفتح أبواباً جديدة لدراسة عناوين وموضوعات تخص بلاد نجران منذ العصر القديم إلى وقتنا الحاضر، ونذكر بعضاً من تلك العناوين التي تستحق الدراسة والبحث، وهي على النحو الآتي:

أ. تاريخ نجران السياسي، أو الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو العلمي، أو الثقافي، أو الديني، أو الإداري قبيل ظهور الإسلام، وبخاصة خلال القرن السابع الميلادي. وهذه الموضوعات مهمة جدا وتستحق أن تدرس وتصدر في عدد من الكتب والرسائل العلمية.

ب. تاريخ نجران السياسي ،أو الإداري، أو الديني، أو الحضاري خلال القرون الثلاثة الإسلامية الأولى . وإذا كان صدر بعض الدراسات المحدودة عن بعض هذه المحاور، لكن مازالت تستحق بحوث علمية مطولة وموثقة.

ج. تاريخ نجران خلال القرون الإسلامية الوسيطة وبداية الحديثة (ق٤-١٣هـ/ ق١٠-١٩م) مجهول بدرجة كبيرة، وإن ذكرت في بعض المصادر اليمنية، فتلك شذرات قليلة لا تعطينا صورة واضحة عن تاريخ وحضارة هذه البلاد ذات الكثافة السكانية الكبيرة، والموقع الاستراتيجي الجيد. ونأمل أن نرى بحوثاً جيدة وموثقة عن هذه الفترة الزمنية الطويلة، كما نأمل من المتخصصين الآثاريين أن يدلوا بدلائهم في خدمة هذا الميدان الجدير بالبحث والدراسات والتنقيب[1] .

---

(١) أقول هذه التوصيات بعد معاناة طويلة استمرت حوالي عشرين عاماً وأنا أجمع تاريخ وحضارة وموروث بلاد نجران وتهامة والسراة، الواقعة بين حواضر الحجاز واليمن الكبرى، وجميع هذه البلاد مازالت تستحق منا الجد والبحث المتواصل عن تاريخها وتراثها وحضارتها، فهي فعلاً غنية بالتاريخ والحضارة، لكن سادها النسيان عبر أطوار التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط، وبداية الحديث. ونأمل من جامعاتنا السعودية المحلية في هذه البلاد أن تنشئ مراكز بحثية علمية، تهتم بجمع ودراسة تاريخ وحضارة هذه الأوطان السعودية العربية .

د. تاريخ نجران الحديث (ق١٣-١٥هـ/ق١٩-٢١م) أفضل حالاً من العصور السابقة، فقد صدرت بحوث ودراسات قليلة عن هذه الفترة، وبعضها محدودة في زمانها ومكانها ومعلوماتها، لكن مادتها مازالت متوفرة في أمكنة عديدة داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها[١] . ونرجو من أقسام التاريخ والمؤرخين أن يدرسوا هذه القرون الحديثة والمعاصرة، وهي تستحق الدراسة والتوثيق .

هـ. تمر بلاد نجران منذ خمسين عاماً في حركة تنموية وحضارية جيدة، وفي شتى المجالات، وهذا المجال جدير بالدراسة والتوثيق. ونأمل أن تقوم إمارة وجامعة نجران بإنشاء مراكز بحوث علمية مخصصة لهذا الميدان وتدرس الأوضاع الجغرافية، والسياسية، والإدارية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية والتعليمية والثقافية والفكرية، والسياحية، وكيف أثرت هذه القطاعات وما تقوم به من إنجازات حضارية على حياة الفرد والمجتمع النجراني؟[٢] .

سادساً: قائمة المصادر والمراجع :

أولا : المصادر المطبوعة :

١- ابن الأثير، علي محمد الشيباني، (ت ٦٣٠هـ) : الكامل في التاريخ، تحقيق، عمر عبدالسلام تدمري، ج١، ج٢، (دار الكتاب العربي- بيروت، ط٤، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) .

٢- ابن الأخوة، محمد بن محمد القرشي، (ت ٧٢٩هـ) : كتاب معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق: محمد شعبان، وصديق المطيعي، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م) .

٣- يحيى بن آدم، القرشي، (ت٢٠٣هـ) . كتاب الخراج .(مطبعة بريل، ليدن، ١٩٨٤م) .

٤- الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن عبد الله، (ت :٥٦٠هـ) كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، (عالم الكتب- بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) .

٥- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم الفارسي (ت٣٤٥هـ): كتاب مسالك الممالك، تحقيق : دي خويه، (مطبعة بريل- ليدن، ١٩٣٧م) .

٦- الأصفهاني، أبو علي الحسن بن عبدالله، (ت الثالث الهجري): بلاد العرب، تحقيق : حمد الجاسر، وصالح العلي، (دار اليمامة- الرياض، ١٣٨٨هـ/١٩٧٨م) .

٧- البكري : أبو عبيد عبد الله الأندلسي، (ت ٤٨٧هـ): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق : مصطفى السقا، ج١-ج٤، (عالم الكتب- بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ) .

---

(١) نعم من يزور دور الوثائق في العالم العربي والأجنبي فإنه سوف يجد الكثير من الوثائق والمخطوطات غير المنشورة، ولبلاد نجران ذِكر فيها منذ القرن (١٢-١٥هـ/ق١٨-٢١م) . كما يوجد عند النجرانيين أنفسهم وثائق محلية حديثة تعكس شيئاً من تاريخ وحضارة بلادهم. ومازال هناك رواة ومسنون عاصروا تاريخ نجران منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهم من المصادر المهمة والرئيسية في حفظ شيء من تاريخ سكان وأرض نجران .

(٢) تعيش عموم بلاد المملكة العربية السعودية في تمدن وحضارة حديثة منذ خمسة أو ستة عقود . وهذه التنمية تستحق الدراسة والتوثيق، ولا تخلو أيضاً من بعض الجوانب السلبية . والواجب على الباحث المنصف أن يدون الجوانب الإيجابية والسلبية، مع ذكر الأسباب والمسببات، وأيضاً طرق ومواجهة الجوانب السلبية ووضع الحلول العملية للتخلص منها .

٨- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى، (ت ٢٧٩هـ) : فتوح البلدان، ج١، ج٣، (مطبعة لجنة البيان العربي ـ القاهرة، د.ت) .
٩- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت٤٤٠هـ): كتاب الجماهر في معرفة الجواهر، (عالم الكتب ـ بيروت، د.ت).
١٠- الجاحظ، عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ) كتاب التبصير بالتجارة، تحقيق : حسن حسني عبدالوهاب، (دار الكتاب الجديد ـ بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .
١١- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكتاني، (ت ٦١٤هـ): رحلة ابن جبير، (دار صادر ـ بيروت، د.ت) .
١٢- ابن حبيب، أبو جعفر محمد، (ت ٢٤٥هـ) : كتاب المحبر (تحقيق إيلزة ليختن شتيتر)، (مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، ١٣٦١هـ) .
١٣- الحميري، محمد بن عبد المنعم، (ت ٩٠٠هـ) : الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ج١، (مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ـ دار السراج، ط٢، ١٩٨٠م) .
١٤- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، (ت ٣٦٧هـ) : كتاب صورة الأرض، القسم الأول، (مطبعة بريل ـ ليدن، ط٢، ١٩٣٨هـ).
١٥- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله (ت ٢٩٩هـ) : المسالك والممالك، ويليه نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، لأبي الفرج قدامة بن جعفر البغدادي، (مطبعة بريل ـ ليدن، ١٨٨٩م) .
١٦- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد الحضرمي المغربي، (ت ٨٠٨هـ): تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج٢، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م) .
١٧- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داوود، (ت ٢٨٢هـ): كتاب النبات، الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس، تحقيق : برنهارد ليفين، (ألمانيا : فيسبادن، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) .
١٨- الرازي، أبو العباس أحمد بن عبدالله، (ت ٤٦٠هـ): تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين عبدالله العمري، (دار الفكر ـ دمشق، ط٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) .
١٩- ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر، (ت٣٠٠هـ): كتاب الأعلاق النفيسة، المجلد السابع، تحقيق : إم جي دي خويه، (مطبعة بريل ـ ليدن، ١٨٩١م) .
٢٠- زنجويه، حميد بن مخلد، (ت ٢٥١هـ): كتاب الأموال، تحقيق : شاكر ذيب فياض، ج١١، ج١٢، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) .
٢١- ٢١ـ ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، (ت ٢٣٠هـ) : الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، (دار صادر ـ بيروت، ط١، ١٩٨٦م) .
٢٢- ابن سلام، أبو عبيد القاسم، (ت ٢٢٤هـ) : كتاب الأموال، تحقيق : محمد عمارة، ج١، (دار الشروق،القاهرة، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) .
٢٣- الطبري، محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ): تاريخ الأمم والرسل والملوك، ج٢، ج٣، (دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ) .

٢٤- ابن عبدالمجيد، تاج الدين عبد الباقي، (ت ٧٤٣هـ) : تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق مصطفى حجازي، (دار الكلمة ـ صنعاء، ط٢، ١٩٨٥م) .

٢٥- عرام، ابن الأصبغ السلمي، (ت القرن الثالث الهجري) : أسماء جبال تهامة وسكانها، (ضمن سلسلة نوادر المخطوطات) تحقيق : عبدالسلام هارون، (مكتبة الخانجي ـ مصر، ط١، ١٩٥٤م) .

٢٦- العرشاني، نظام الدين، (ت ٥٩٠هـ) : كتاب الاختصاص (ذيل تاريخ مدينة صنعاء للرازي)، تحقيق : حسين بن عبدالله العمري، (دار الفكر ـ دمشق، ط٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) .

٢٧- ابو الفداء، عماد الدين إسماعيل، (ت ٧٣٢هـ) : كتاب تقويم البلدان، (دار صادر ـ بيروت، د. ت) .

٢٨- ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني، (ت ٢٩٠هـ) مختصر كتاب البلدان، (مطبعة بريل ـ ليدن، ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م) .

٢٩- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، (ت ٢٧٦هـ) : عيون الأخبار، ج١، (دار الكتب العلمية ـ بيروت، د.ت) .

٣٠- قدامة بن جعفر، (ت ٣٣٧هـ): الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق : محمد حسين الزبيدي، (دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م) .

٣١- القلشندي، أحمد بن علي، (ت ٨٢١هـ) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف علي طويل، ج٢، ج٥، (دار الفكر ـ دمشق، ١٩٨٧م) .

٣٢- ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل، (ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية ،ج٥، ج٦، (مكتبة المعارف ـ بيروت، د.ت).

٣٣- ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد، (ت ٦٣٠هـ): صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تأريخ المستبصر، تحقيق : أوسكر لوفغرين، (مطبعة بريل ـ ليدن، ١٩٥١م).

٣٤- المرزوقي، أبو علي الأصفهاني، (ت ٤٢١هـ): كتاب الأزمنة والأمكنة، (جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن ـ الهند، ط١، ١٣٣٢هـ) .

٣٥- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت٣٤٦هـ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد، ج١، ج٢، (مطبعة السعادة ـ مصر، ط٤، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) .

٣٦- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت ٣٨٠هـ) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق : غازي طليمات، ج١، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ دمشق، ١٩٨٠م) .

٣٧- المقريزي، تقي الدين أبو العباس، (ت ٨٥٤هـ): كتاب الأوزان والأكيال الشرعية، تحقيق : سلطان بن هليل المسمار، (دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) .

٣٨- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ): لسان العرب، (دار صادر ـ بيروت، ط١، د. ت) .

٣٩- ابن هشام، أبو محمد عبدالملك، (ت ٢١٣هـ): السيرة النبوية، تحقيق : طه

عبد الرؤوف سعد، ج٣، (دار الجيل ـ بيروت، ١٤١١هـ).

٤٠- الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، (ت ٣٤٥هـ) : صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، (مكتبة الإرشاد ـ صنعاء ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

٤١- كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء، أعده حمد الجاسر للنشر بإيضاح بعض غوامضه وإعداد فهارسه، وإضافة بحث عن التعدين والمعادن في جزيرة العرب، (المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).

٤٢- الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، ج١، ج١٠، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي، (مكتبة الإرشاد ـ صنعاء، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) .

٤٣- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، (ت ٢٠٧هـ) : كتاب المغازي، تحقيق : مارسدن جونس، ج٢، (عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

٤٤- ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ،(ت ٦٢٦هـ) : معجم البلدان، ج٢ـ ج٥، (دار صادر ـ بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

٤٥- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، (ت ٢٩٢هـ): تاريخ اليعقوبي، ج١، (مطبعة بريل ـ ليدن، ١٨٨٣م) .

٤٦- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، (ت ١٨٢هـ) : كتاب الخراج، (المطبعة السلفية ـ القاهرة، ط٥، ١٣٩٦هـ).

ثانياً : المراجع العربية :

٤٧- الأكوع، محمد بن علي الحوالي: اليمن الخضراء مهد الحضارة، (مكتبة الإرشاد ـ صنعاء، ط٣، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) .

٤٨- الأكوع، القاضي إسماعيل بن علي : البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، (مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٨٨) .

٤٩- الأنصاري، عبد الرحمن الطيب : قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية، (جامعة الرياض ـ ١٣٧٧هـ ـ ١٤٠٢هـ) .

٥٠- نجران منطلق القوافل: سلسلة قرى ظاهرة على طريق البخور، ٣، (دار القوافل ـ الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) .

٥١- الأفغاني، سعيد: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، (دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

٥٢- باسنبل، عبد الله بن سالم: زخارف فخار الأخدود بمنطقة نجران دراسة مقارنة، (مكتبة الملك فهد الوطنية ـ الرياض ١٤٣٠هـ).

٥٣- البريهي، إبراهيم بن ناصر: الحرف والصناعات في ضوء نقوش المسند الجنوبي، (وكالة الآثار والمتاحف ـ الرياض، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).

٥٤- بطاينة، محمد ضيف الله : الحياة الاقتصادية في العصور الوسطى، (دار الكندي ـ الأردن، د.ت).

٥٥- البلادي، عاتق بن غيث: بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهدات، (دار مكة ـ مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .

٥٦- بن بنية، سعيد عبد الله : تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، (دارة الملك عبدالعزيز ـ الرياض ،١٤٢٤هـ).

٥٧- بيضاني، إيمان محمد : الوضع الاقتصادي والحياة الاجتماعية في اليمن في صدر الإسلام، (دار الفكر العربي ـ مصر، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) .

٥٨- ابن جريس، غيثان بن علي : نجران دراسة تاريخية حضارية (ق١ـ ق٤هـ/ق٧ـ ق١٠م)، ط٢، مكتبة الملك فهد الوطنية ـ الرياض، ج١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) .

٥٩- دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١ـ ق١٠هـ/ق٧ق١٦م)،ج١، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).ج١، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) .

٦٠- دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١ـ١٠هـ/ق٧ـ١٦م) المسمى تاريخ الجنوب (الباحة وعسير، وجازان ونجران)، ج٢، (مطابع الحميضي ـ الرياض، ط١، ١٤٣١هـ/١٤٣٢هـ/٢٠١٠ـ٢٠١١م).

٦١- الحديثي، نزار عبداللطيف : أهل اليمن في صدر الإسلام دورهم واستقرارهم في الأمصار .، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت، د. ت) .

٦٢- حميد الله، محمد : الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (دار النفائس ـ بيروت، ط٦، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) .

٦٣- خليفة، ربيع حامد : الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، (الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ط١٤١٢،١هـ/١٩٩٢م).

٦٤- دلال، عبدالواحد محمد راغب : البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، ج١، ط١، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) .

٦٥- أبوداهش، عبدالله بن محمد بن حسين: أهل السراة في الجاهلية والإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، (إصدار نادي أبها الأدبي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

٦٦- الرشيد، ناصر بن سعد : تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي، الأبحاث المقدمة للندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٩م)، (قسم التاريخ ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض ،الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام).

٦٧- الزركلي، خير الدين : الأعلام، ج٤، (دار العلم للملايين ـ بيروت، ط٥، ١٩٨٠م) .

٦٨- السيف، عبدالله محمد : الحياة الاقتصادية في نجد والحجاز في العصر الأموي، (مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .

٦٩- العملة وتاريخها دراسة تحليلة عن نشأة العملة وتطورها وهواية جمعها، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م) .

٧٠- الشريف، عبدالرحمن صادق : جغرافية المملكة العربية السعودية، (دار المريخ ـ الرياض، ط٦، د.ت).

٧١- صراي، حمد محمد: الإبل في بلاد الشرق الأدنى القديم وشبه الجزيرة العربية تاريخياً ـ آثارياً ـ أدبياً، الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار الثالث، جامعة الملك سعود، (مكتبة الملك فهد الوطنية ـ الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) .

٧٢- الصمد ،واضح : الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م) .
٧٣- الصويان، سعد العبد الله، وآخرون : طرق التجارة والحج، موسوعة الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، (الدائرة للنشر والتوزيع ـ الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) .
٧٤- عبد العزيز منسي وآخرون : آثار منطقة نجران، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، وكالة الآثار والمتاحف، (مكتبة الملك فهد الوطنية ـ الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م)
٧٥- علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ج٣، ج٤، ج٦ـ ج٨،(جامعة بغداد، بغداد، ط٤، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
٧٦- العمري، عبد العزيز إبراهيم :الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول، (دار إشبيليا ـ الرياض، ط٣، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) .
٧٧- العمري، هادي صالح : طريق البخور القديم من نجران إلى البتراء وآثار اليمن الاقتصادية عليه، (دار الكتب ـ صنعاء، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
٧٨- العيسى، عباس محمد زيد : موسوعة التراث الشعبي في المملكة العربية السعودية، ج٤، (الأدوات الزراعية)، (وكالة الآثار والمتاحف ـ الرياض، ط٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) .
٧٩- فؤاد حمزة : في بلاد عسير، (مكتبة النصر الحديثة ـ الرياض، ط٢، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) .
٨٠- القيسي، ناهض عبد الرزاق: الدرهم العربي الإسلامي من ٣١هـ ـ حتى العصر العثماني، (دار المناهج، ط١، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م).
٨١- كحالة، عمر رضا : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج١، (دار العلم للملايين ـ بيروت، ط٢، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) .
٨٢- آل مريح، صالح بن محمد بن جابر: نجران. ضمن سلسلة هذه بلادنا، (الرئاسة العامة لرعاية الشباب ـ الرياض ١٤٢٠هـ/١٩٩٢م) .
٨٣- المصري، جميل عبدالله : أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري، (مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م).
٨٤- النعيم، نورة : الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، (دار الشواف، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

ثالثا : المراجع المعربة :

٨٥- جورج لوفران، تاريخ التجارة، ترجمة : هاشم الحسيني، (دار مكتبة الحياة ـ بيروت، د.ت).
٨٦- الكرملي، الأب أنستاس ماري، رسائل في النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، (مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م) .
٨٧- هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمه عن الألمانية : كامل العسلي، (الجامعة الأردنية ، ط٢، ١٩٧٠م).

رابعاً: الرسائل العلمية:

٨٨- التويم، مانع عبدالله محمد: الأبناء في اليمن منذ فجر الإسلام حتى نهاية القرن الثالث الهجري دورهم السياسي والحضاري ٧-٣٠٠هـ/٢٩٩-٩١٣م، رسالة ماجستير، غير منشورة، (جامعة الملك سعود، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
٨٩- حنايشة، عماد شحادة عارف: الأتاوى "الضرائب" في الجزيرة العربية عشية ظهور الإسلام دراسة في الجذور التاريخية لموقف الإسلام من الضرائب، رسالة ماجستير، (جامعة النجاح - فلسطين، ٢٠٠٨م).
٩٠- الخريصي، جواهر صالح عبدالعزيز: تأثير الرقيق والموالي والوافدين في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير، (جامعة الملك سعود، ١٤٠٨هـ).
٩١- دراغمة، بلال أحمد محمود: الإقطاع التمليك الاستغلال المنفعة في صدر الإسلام دراسة تاريخية، رسالة ماجستير (جامعة النجاح الوطنية - فلسطين، ٢٠٠٨م).
٩٢- الرحامنة، عادل حسين: تاريخ دولة سبأ منذ القرن العاشر قبل الميلاد حتى القرن الثاني قبل الميلاد، رسالة ماجستير، (جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
٩٣- رحماني، بلقاسم: علاقة جنوب شبه الجزيرة العربية بشرق إفريقيا منذ قيام الدويلات العربية الجنوبية حتى الفتح الإسلامي، رسالة ماجستير، (جامعة الجزائر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
٩٤- الزهراني، رحمة أحمد: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في بلاد اليمن في العصر الأموي ٤١-١٣٢هـ، رسالة دكتوراه، (جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
٩٥- شكري، محمد سعيد: الأوضاع القبلية في اليمن منذ بداية العصر الراشدي وحتى الفتنة الكبرى، رسالة ماجستير، (جامعة دمشق، ١٩٨٥م - ١٩٨٦م).
٩٦- الشهري، غرمان بن عبدالله: مخلاف جرش من صدر الإسلام إلى نهاية القرن السابع الهجري، رسالة ماجستير، (جامعة الملك خالد، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).
٩٧- شيرة، عبدالوهاب: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في اليمن في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير، (جامعة الملك سعود، ١٤٠٥هـ).
٩٨- صبري، عثمان: الجزية في عهد الرسول دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، (جامعة النجاح - نابلس - فلسطين ٢٠٠٩م).
٩٩- العتيبي، فائزة رداد عزيز ضاوي: حركة الشعر في نجران في الجاهلية وصدر الإسلام، رسالة ماجستير، (جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية وآدابها، ١٤٢٩هـ).
١٠٠- العتيبي، محمد بن عوض: نجران في عصر النبوة والخلافة الراشدة، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ).
١٠١- عدوى، محمود محمد: الملابس في شمال ووسط الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام وعصر الرسول (٥٠٠-٦٣٢م)، رسالة ماجستير، (الجامعة الأردنية، ١٩٩٨م).
١٠٢- العنزي، ناصر بن محمد زيدان: نقوش عربية قديمة من جبال كوكب دراسة تحليلية مقارنة، رسالة دكتوراة، (جامعة الملك سعود، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

١٠٣- القواسمي، سحر يوسف : التجارة ودولة الخلافة في صدر الإسلام منذ فترة الرسول وحتى أواخر الدولة الأموية، رسالة ماجستير (جامعة النجاح الوطنية ـ فلسطين، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

١٠٤- معمري، حسن : مكة وعلاقاتها التجارية مع شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية خلال القرنين ٥و٦ للميلاد، رسالة ماجستير، (جامعة الجزائر، ٢٠٠٥م ـ ٢٠٠٦م) .

١٠٥- موسى، محمود سعيد :الحياة الزراعية في الحجاز في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير، (الجامعة الأردنية، ١٩٦٦م) .

١٠٦- ناشر، هشام عبدالعزيز : التجارة بين شبه الجزيرة العربية وسورية في الألف الأول قبل الميلاد، رسالة ماجستير (جامعة عدن، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) .

١٠٧- آل ناحي، عوض عبدالله سعد : الحياة العلمية في نجران في صدر الإسلام (من عام ١ إلى عام ٤٠هـ/ ٦٢٢ إلى ٦٦٠م)، رسالة ماجستير، (جامعة الملك خالد، ١٤٢٨هـ) .

١٠٨- سلطان، نايفة عبدالحميد : تجارة البخور والمواد العطرية وتأثيراتها على مجتمعات الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة الملك سعود ـ الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

خامسا : الدوريات :

١٠٩- الجاسر ،حمد " المعادن القديمة في بلاد العرب "، مجلة العرب، السنة الثانية ربيع الأول ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ج٩، ص ص ٧٩٨ـ ٨٤٥، ج١١، ص ص ٩٧٩ـ ١٠٠١ .

١١٠- الحسيني، محمد باقر " مدن الضرب على النقود الإسلامية " مجلة المسكوكات، ع٥، ١٩٧٤م)، ص ص ١٠٤ـ ١١٦ .

١١١- زارينس، يوريس، وآخرون "التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية " أطلال حولية الآثار العربية السعودية، ع٥، (١٤٠١هـ/١٩٨١م) (تصدر عن وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص ص ٩ـ ٣٦ .

١١٢- زارينس يوريس، وآخرون " تقرير مبدئي عن مسح وتنقيب نجران /الأخدود في عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) أطلال ع٧، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، (ط٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص ص ٢١ـ ٤٠ .

١١٣- زكي، عبدالرحمن " السيوف العربية " مجلة الدارة، ع١، (دارة الملك عبدالعزيز ـ الرياض، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص ص ٤٤ـ ٥٧ .

١١٤- الزهراني، عوض علي السبالي، وآخرون " تقرير مبدئي عن حفرية الأخدود بمنطقة نجران الموسم الثاني ـ ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) أطلال حولية الآثار العربية السعودية، ع١٦، (وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ص ص ١٣ـ ٣٥ .

١١٥- " حفرية الأخدود بمنطقة نجران تقرير مبدئي عن أعمال الموسم الثالث ١٤٢١هـ" أطلال، ع١٧، (وكالة الآثار والمتاحف ـ الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠١م)، ص ص١٣ـ ٢٨ .

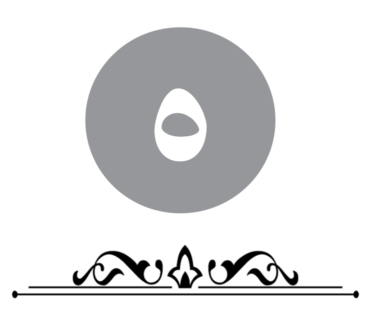
١١٦- " حفرية الأخدود بمنطقة نجران الموسم الرابع " ١٤٢٢هـ: أطلال ع ١٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، (وكالة الآثار والمتاحف ـ الرياض)، ص ص ١١ـ ٣٣ .

١١٧- " حفرية الأخدود بمنطقة نجران، الموسم الخامس ١٤٢٤هـ" أطلال ع١٩، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، (وكالة الآثار والمتاحف ـ الرياض)، ص ص ١١ـ ٣٣ .

١١٨- أبو الفضل، السيد أحمد " الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام " مجلة الدارة، ع٤، (دارة الملك عبد العزيز ـ الرياض، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).
١١٩- السامر، فيصـل " ملاحظات في الأوزان والمكاييل الإسلامية وأهميتها" مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد، م٢، العدد ١٤، ١٩٧٠ـ ١٩٧١م) ص ص ٦٩٣ـ ٧١٥ .
١٢٠- "نهضـة التجـارة في العصـور الوسـطى الإسـلامية " مجلـة المـؤرخ العربـي، ع١٤٠١،١٧هـ/١٩٨١م)، ص ص ٦١ـ٧٨ .
١٢١- كباوي، عبدالرحمن بكر، وآخرون "حصـر وتسـجيل الرسوم والنقوش الصخرية ١٤١١هـ/١٩٩٠م، وادي الدواسـر ـ نجـران" الموسـم السـادس، أطـلال، ع١٤، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ص ٤٥ـ ٦١ .
١٢٢- مهيوب، غالب أحمد : الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصـيب ومصـر خلال الألف الأول قبل الميلاد " (مجلة جامعة دمشـق، المجلد ٢٧، العدد الأول والثاني، ٢٠١١م)، ص ٣٣١ـ ٣٦٤.
١٢٣- النـاصري، سيد أحمد علي "الرومان والبحر الأحمر"، مجلة الدارة، العدد٢، السنة السادسة، (دارة الملك عبدالعزيز ـ الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
١٢٤- الهاشمي، رضا جواد" تاريخ الإبل في ضوء المخلفات الآثارية والكتابات" مجلة كلية الآداب،ع٢٣، (جامعة بغداد ـ دار الحرية، ١٩٧٨م)، ص ص ١٨٥ـ ٢٣٢ .

سادساً: المراجع الأجنبية :

125- Al-Thanayan , Muhmammad bin Abdulrahman Rashid: THE YEMENI PLLGRIMAG ROAD", Roods of Arabia, Musee Louvre, Paris 14July-27 September 2010(Printed by Graeiche Villorda: italyin , 2010),479485-.
126- Michael J.Harrowera: "Irrigation and change in ancient Yemen", aCotsen Institute of Archaeology,(University of California, Los Angeles , Online Publication Date:01 March 2009), pp5867-.
127- Walter Dostal: "The Development of Bedouin Life in Arabia Seen From Archaeological Material", Sources for the History of Arabia, Vol. 1(Riyadh University Press, 1399H/1979 A.D) , pp125126-.
128- Hashim, syed anis, " Pre-islamic ceramics in Saudi Arabia", (Kingdom of Saudi Arabia ministry of education deputy ministry of antiquities and museums, 2007- 1428).
129- William C. Brice." Classical Trade – Routes of Arabia, from the of Ptolemy, Strabo, and Pliny":Pre- Islamic Arabia, Studies in the History of Arabia, Vol. 11(King Saud University Paress: 1984 AD).



الدراســـة الخامسة

خلاصة تاريخ نجران عبر أطوار التاريخ الإسلامي (ق١ - ق١٥هـ/ ق٧- ق٢١م)

بقلم : أ . د . غيثان بن علي بن جريس



الدراسة الخامسة : خلاصة تاريخ نجران عبر أطوار التاريخ الإسلامي (ق١ـ ق١٥هـ/ق٧ـ ٢١)

أولاً ـ تسمية نجران :

إن تسمية بلاد نجران تعود إلى شقين: شق لغوي، وآخر نسبي. فالنَّجْرُ في اللغة هو القطع فيقال: نجر النجار، أي قطع العود ونجره. ويقال: النَّجْرُ عمل النجار ونحته، والنَّجْرُ أيضا هو نحت الخشبة، ونجارة العود، وما أنتجت منه عند النجر، والنجار صاحب النجر وحرفته النجارة [١].

والنجران: هو الخشبة التي تدور فيها رجل الباب [٢] فيقول الشاعر:

صَبَبْتُ الماء في النَّجرانِ صَبّاً   تَركْتُ البابَ ليس له صريرُ [٣]

ويقول ياقوت الحموي: إن النجران: هو خشبة يدور عليها رتاج الباب [٤] ويدلل على ذلك شعرا فيذكر البيت التالي:

---

(١) جمال الدين أبوالفضل بن منظور، لسان العرب، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه : علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م)، جـ ١٤، ٥١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م)، جـ ٥، ٢٦٦.

وصَيْتُ الباب في النَّجرانِ حتى تَرَكْتُ البابَ ليس له صريرُ[١]

والمقصود بالرتاج، أي الإغلاق، فيقول ارتج الباب أي أغلقه إغلاقاً وثيقاً، وأنشد الشاعر قوله:

ألم تَرَني عاهدْتُ ربي وإنني لَبيْن رِتاجٍ مُقْفَلٍ ومَقام[٢]

وفي الحديث: إن أبواب السماء تفتح ولا تُرْتَجُ، أي تغلق،وفي الحديث أيضاً:جعل ماله في رتاج الكعبة، أي فيها، فكنى عنها بالباب[٣].

أما تسمية نجران النسبية فتعود إلى نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان، لأنه كان أول من عمرها ونزلها، وإنما صار إلى موضع نجران، لأنه رأى رؤيا فهالته، فنزل فخرج حتى انتهى إلى واد فنزل به فسمي نجران به[٤]، وفي رواية أخرى ورد اسم نجران بن زيد بن سبأ [٥]. وهكذا نجد أن تسمية نجران سواء لغوياً أو نسبياً تكاد تكون مكملة بعضها لبعض، فإذا قلنا إن النجران خشبة تدور (أو) يدور عليها رجل الباب (أو) رتاجه، فهذا صحيح لأن موقع نجران تُعدُّ فعلاً شبيهة بالخشبة التي تدور عليها رجل الباب، وذلك لأهمية موقعها الذي تحتله، وهذا الذي أكسبها ميزة مهمة جعلتها محط التقاء القوافل التجارية بين اليمن والحجاز وأطراف شبه الجزيرة العربية الأخرى، كما أن موقعها أيضاً أكسبها قوة اقتصادية نتيجة لتنوع محصولاتها الزراعية، ولأن أسواقها التجارية تأتي ضمن الأسواق النشطة والمهمة في شبه الجزيرة، وإذا نظرنا إلى الشق النسبي من الاسم نجده جاء أيضاً مكملاً للشق اللغوي حيث صارت المنطقة ملتقى لعدد من القبائل العربية التي نزلتها واستقرت بها منذ أن انتجعها نجران بن زيد (زيدان) بن سبأ، فعرفت المنطقة باسمه لكونه أسهم باستقراره في هذا الوادي في اجتماع هذه القبائل هناك وأسهم -بالتالي- في نهضتها الحضارية.

ثانياً - نجران في العهد النبوي:

في أعقاب الهدنة التي عقدها رسول الله ﷺ مع قريش أثناء صلح الحديبية [٦]، أخذ يبعث سفراءه إلى الأمصار في الشرق والغرب وإلى الشمال والجنوب يدعوهم إلى

(١) المرجع السابق.

(٢) ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب، مرجع سابق، جـ ٥، ١٣٠.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، مرجع سابق، جـ ٥، ٢٦٦.

(٥) المرجع السابق؛ ولمزيد من التفصيلات عن فروع قبائل اليمن قبل الإسلام بما فيهم أولاد زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب. انظر: عبدالملك بن قريب الأصمعي، تاريخ العرب قبل الإسلام، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (بغداد: مطبعة دار المعارف، منشورات المكتبة العامة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م)، ٥٦ وما بعدها.

(٦) للمزيد عن صلح الحديبية، انظر: عبدالملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، (بيروت: دار القلم، د. ت)، جـ ٣، ٣٢١ - ٣٢٩؛ محمد بن عمر الواقدي، كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٦٥م)، جـ ٢، ٥٧١ - ٥٧٣.

الإسلام[١]، ومن هذه الأمصار، مدينة نجران، ففي سنة ١٠هـ (٦٣١م) بعث إليها سرية بقيادة خالد بن الوليد قوامها (٤٠٠) رجل، في ربيع الآخر من السنة المذكورة، وكانت السيادة بنجران بيد بني الحارث بن كعب[٢].

وقد أوصى خالداً بأن يقيم بينهم ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام فإن أجابوا أقاموا بينهم ليعلموهم أساسيات ما جاء به الإسلام من تعاليم، مثل: التوحيد والصلاة والصيام، كما جاء في الكتاب والسنة وإن لم يجيبوا حاربهم[٣].

وقد وصلت سرية خالد إلى نجران، وصنع معهم كما أمره رسول الله ﷺ، فآمنوا، ولا سيما بنو الحارث بن كعب، وتبعتهم القبائل الأخرى، إلا النصارى فإنهم ظلوا على ديانتهم، وأقام المسلمون بينهم يعلمونهم الإسلام وشرائعه، وأخذوا الصدقات من أغنيائهم وردوها على فقرائهم[٤].

كان بنو الحارث بن كعب قد دخلوا في الإسلام، وكانوا قبل ذلك عازمين على القتال وأعدُّوا له العدة، فلماذا هذا التغير في الموقف. ونرى أن السبب في ذلك يعود لعاملين رئيسين. الأول سياسي، فالدولة الإسلامية في هذه الفترة التي نتحدث عنها، وهي السنة العاشرة للهجرة، قد أصبحت قوة مرهوبة الجانب ولاسيما بعد فتح مكة والقضاء على قريش، فوجد أهل نجران أن من العبث محاربة المسلمين، فدخلوا الإسلام حقناً لدمائهم. أما العامل الثاني: فأسبابه دينية، والمعروف أن الديانة اليهودية ثم المسيحية قد أخذتا طريقهما إلى اليمن ولا سيما مدينة نجران التي توجد بها كعبة نجران، والكثير من الكنائس والأديرة، فكان بها عدد كبير يعتنقون المسيحية، ولا شك أن لهؤلاء تأثيرا على القبائل الوثنية، فحتما إذا ما قارنا بين عبادتهم للحجارة وبين ما عليه النصارى من ديانة، وقد كانت هذه الفرصة مواتية عندما جاءت الدعوة إلى الإسلام، التي تدعو إلى عبادة إله واحد، فكانت إيذانا بتحول نجران إلى الإسلام وعبادة الله سبحانه وتعالى، فدخلوا الإسلام في غضون أيام قلائل.

وبعد نجاح خالد بن الوليد في مهمته سلماً وإقناعه أهل نجران بالدخول في الإسلام،

---

(١) عن سفارات الرسول ﷺ وكتبه إلى ملوك وأمراء الأمصار والمناطق المجاورة انظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، ١٣٥ وما بعدها.

(٢) علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط٣، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٨م)، مرجع سابق، جـ ٤، ١٨٨، ١٨٩.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، ٩٤؛ أحمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (القاهرة: معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف، د. ت)، جـ ١، ٣٨٤.

(٤) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (بيروت: دار سويدان، د. ت)، جـ ٣، ١٢٦؛ غيثان بن علي بن جريس، نجران: دراسة تاريخية حضارية (ق ١- ق ٤ هـ/ ق ٧- ق ١٠م)، (الرياض: مطابع العبيكان، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م)، جـ ١، ٦٣؛ حسين علي المسري، "نجران ودورها السياسي والاقتصادي"، مجلة المؤرخ المصري، ع ٩، (القاهرة: جامعة القاهرة، ١٩٩٢م)، ٤١-٩٠.

بعث بكتاب إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك، وأنه مقيم بينهم تلبية لأوامره يعلمهم شرائع الإسلام، وهو في انتظار الجديد من تعليماته ﷺ[١]، فأجابه الرسول ﷺ برسالة يخبره من خلالها بوصول كتابه الحاوي لنبأ إسلام أهل نجران ويأمره بالعودة إلى المدينة، وبصحبته وفد من مسلمي نجران[٢].

فلما وصل كتاب رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد، أخبر بني الحارث بن كعب برغبة رسول الله ﷺ مقابلة وفدهم، فشكلوا الوفد من أشرافهم، ثم جاء خالد إلى المدينة وبرفقته وفد نجران[٣]، ويمدنا الطبري بأسماء أعضاء الوفد النجراني وكان عددهم ستة أشخاص هم: قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذو الغصة[٤]، ويزيد بن عبد المدان الحارثي، ويزيد بن المحجل، وعبد الله بن قريظ الزيادي، وشداد بن عبد الله القناني، وعمرو بن عبد الله الضبابي[٥]، فلما رآهم الرسول ﷺ قال: "من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند، قيل يا رسول الله، هؤلاء بنو الحارث بن كعب" [٦]، وربما شبههم الرسول ﷺ برجال الهند بسبب سمرة بشرتهم أو بسبب ملابسهم وأزيائهم التي يرتدونها، أو بهما معا.

وعندما وقفوا أمام الرسول ﷺ سلموا عليه، ثم قالوا: "نشهد أنك رسول الله وأن لا إله إلا الله، فقال رسول الله: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ثم قال رسول الله ﷺ أنتم الذين إذا زجروا استقدموا! فسكتوا، فلم يراجعه منهم أحد" [٧] ثم أعاد الرسول ﷺ عليهم هذه العبارة أربع مرات، وهم لا يردون عليه، وفي الرابعة قال يزيد بن عبد المدان: "نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا زجروا استقدموا" [٨]. قالها أربع مرات

---

(١) ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٣٩؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٧ ؛ ابن جريس، غيثان بن علي. نجران، مرجع سابق، ٦٤.

(٢) محمد بن سعد البصري، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، جـ ١، ٣٣٩. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٦، ١٢٧ .

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٧.

(٤) سمي بذي الغصة، لغصة كانت تعتريه في حلقه حين يتكلم، وكان فارساً من ذوي الرباع؛ أي الذين كانوا يأخذون ربع الغنيمة التي يغنمها قومه في حروبهم مع غيرهم حضرها أم لم يحضرها. انظر: ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤١.

(٥) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ٣، ١٢٧؛ وللمزيد انظر: ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ١، ٣٣٩؛ المسري، حسين علي. "نجران ودورها السياسي والاقتصادي"، مجلة المؤرخ المصري، مرجع سابق ٤٢ وما بعدها؛ علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب، مرجع سابق، جـ٤، ١٨٨؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ١، ٦٥.

(٦) ابن هشام، عبد الملك . السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٠، الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، جـ ٣، ١٢٧.

(٧) ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ ١، ٢٤٠.

(٨) ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ٤، ٢٤٠ – ٢٤١، الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٧، ١٢٨؛ ويقصد بالزجر هنا، أي نوع من الكهانة والعيافة، والزجر للطير هو التيمن والتطير منها والتفاؤل بها. انظر: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ ٦، ٢١، فعل (زجر). وعادة الكهانة كانت من العادات السائدة عند العرب قبل الإسلام، ويتضح من سياق الحديث أنها كانت موجودة عند أهل نجران.

فقال رسول الله ﷺ: "لو أن خالد بن الوليد لم يكتب إليّ فيكم أنكم أسلمتم، ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم"[١].

ويتضح من هذا اللقاء الذي حدث بين الرسول ﷺ ووفد نجران، ومن العبارات التي دارت بينهما أن الرسول ﷺ كان غاضباً عليهم وبخاصة ما ورد في العبارة الأخيرة. ولا ندري ما السبب، فإن كان غضب الرسول ﷺ لأنهم كانوا يعملون بالزجر والكهانة، فهذا لم يكن غريباً على الرسول ﷺ الذي كان يعرف أن هذه العادات كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام، وإن كان غضبه لأن الوفد لم يتجاوب معه عندما سألهم لأول مرة، ولم يردوا عليه إلا بعد أن سألهم أربع مرات، ليكون ردهم عن سؤاله إجابتهم إياه -صلى الله عليه وسلم- أربع مرات أيضاً، فهذا الأمر حدث مرات عديدة مع الرسول ﷺ، بل كان هناك من عرب الجزيرة من يأتي إلى النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- ويهاجمه بالكلام ويشتد عليه في القول، فيما كان الرسول ﷺ ليناً رفيقاً في معاملته وتجاوبه مع مثل أولئك[٢].

ونجد ابن هشام، والطبري، وابن كثير يوردون هذا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين وفد نجران، دون أن يذكروا سبب غضب النبي ﷺ[٣]، في حين أن بعض المصادر التاريخية الأخرى قد أشارت إلى سرية خالد بن الوليد إلى اليمن، وإلى هذه المقابلة مع الرسول ﷺ مع تجنب ذكر هذا الحوار الذي يتصف بشدة اللهجة في كلام الرسول ﷺ، وربما أن هذه المصادر شكّت في صحة إسناد هذا الحوار إلى رسول الله ﷺ أو أنها تحاشت ذكره، فاليعقوبي وابن خلدون ذكرا بعض تفاصيل تلك السرية، وذلك اللقاء، لكنهما لم يوردا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ ووفد نجران[٤]. كما لم يشر ابن سعد في (الطبقات) إلى هذا الحوار، مع أنه ذكر أن رسول الله ﷺ أكرم وفد نجران ووزع عليهم الجوائز، فأعطى كل واحد منهم عشر أواق، ما عدا قيس بن الحصين، إذ أعطاه اثنتي عشرة أوقية، وجعله أميراً عليهم[٥]. أما ابن الأثير الذي يعتمد في نقله على الطبري، فقد -تجنب- أيضاً ذكر هذا الحوار مع أنه أشار إلى حديث الرسول ﷺ مع هذا الوفد[٦].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٧، ١٢٨؛ ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٠، ٢٤١.

(٢) ونجد القرآن يذكر آيات كثيرة يوضح فيها لين الرسول ﷺ مع المسلمين، أثناء قيامه بالدعوة قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٠، ٢٤١؛ أبوالفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبوملحم وآخرون، (بيروت: ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، مج ٣، جـ ٥، ٨٨، ٨٩.

(٤) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (بيروت: دار بيروت، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م)، جـ ٢، ٧٩؛ عبدالرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، وسهيل زكار، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م)، جـ ٢، ٤٧٣.

(٥) ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ ١، ٣٣٩، ٣٤٠.

(٦) علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: نخبة من العلماء، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، جـ٢، ١٩٩، ٢٠٠.

وإذا كان الطبري، وابن هشـام، وابن كثير هم الذين تحدثوا عن هذا اللقاء والحوار الـذي دار بين الرسـول ﷺ ووفد نجران[١] فقد واصـل ثلاثتهم بقية الحـوار، بعد أن رد عليهـم الرسـول ﷺ ردا فيه عنفٍ وحدَّة، فقال يزيد بن عبدالمدان: " أما والله يا رسـول الله، ما حمدناك ولا حمدنا خالداً، فقال رسول الله ﷺ فمن حمدتم؟ فقالوا: حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله، قال: صدقتم " [٢].

وقد عرف بنو الحارث في الجاهلية بالشـجاعة والإقدام، وشـدة البأس، والصـبر في الحروب، فما حاربهم أحد إلا انتصـروا عليه، وكذلك اشـتهروا بالكرم، والعدالة، وطيب الأخلاق والتعاون فيما بينهم، وكان الرسـول ﷺ يعرف ما تواتر عنهم من تلك الصـفات فأراد أن يقف على ذلك بنفسـه ويعرف سـر انتصـاراتهم في الحروب، فواصـل الحديث معهـم بقوله: "بم كنتم تغلبون مـن قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا: لم نكـن نغلب أحداً. فقال رسـول الله ﷺ بل قد كنتم تغلبون من قاتلكم، قالوا: يا رسـول الله، كنا نغلب من قاتلنا، أنا كنا بني عبيد، وكنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: صدقتم" [٣].

وفي نهايـة المقابلـة مع الرسـول ﷺ عاد وفـد الحارث بن كعـب إلى بلادهم نجران في أواخر شـهر ذي القعدة من السـنة العاشـرة للهجرة[٤]. كما رأى رسـول الله ﷺ أن أهل نجران في حاجة إلى من يبصـرهم بتعاليم الإسلام ويفقههم في أمور الدين، ويفسر لهم ما جاء في الكتاب والسـنة من التعاليم وكيفية أخذ الصـدقات، وكان الأوفق أن يبعث إليهم من يقوم بهذه المهمة فاختار عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الخزرجي الأنصاري، ويرافقه شـخص من بني النجار، وكان عمرو حين بعثه رسـول الله ﷺ في السابعة عشرة مـن عمره[٥]، متمتعاً بالذكاء وسـعة العلم بأمور الدين والتفقه فيه، وقد زوده رسـول الله ﷺ بكتـاب إلى أهـل نجـران وهو عقد بـين رسـول الله ﷺ وبينه، يتعهد فيـه عمرو أن يعمل بما جاء في هذا الكتاب. ويتضـمن هذا الكتاب مجموعة من التشريعات والتنظيمات تتصـل بالحياة الدينية والاجتماعية والسياسـية والاقتصادية وواضح أن الهدف من هذه التنظيمات، أن تكفل حياة كريمة آمنة لمجتمع قبائل نجران[٦].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٨؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج٣، جـ ٥، ٨٩.

(٢) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٠؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ ١، ٦٧.

(٣) ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ ٥، ٨٩، ٩٠؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٨، ١٢٩.

(٤) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٠؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٨؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ ٥، ٨٩، ٩٠.

(٥) البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف، مرجع سابق، ٥٣٨، ٥٣٩؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ ١، ٦٩.

(٦) انظـر نص هذا الكتاب عند: ابن هشـام، عبدالملك. السـيرة النبوية، مرجع سـابق، جـ ٤، ٢٤١، ٢٤٢؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، جـ ٣، ١٢٨، ١٢٩، ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٧٣، ٤٧٤؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٢٠٧، ٢٠٨.

ويبدو أن عمرو بن حزم كان وثيق الصلة برسول الله ﷺ فكان يطلعه حتى على أموره الخاصة، فقد بعث إليه ذات مرة رسالة يخبر فيها رسول الله ﷺ أنه رزق بمولود ذكر سَمّاه "محمداً" تيمناً برسول الله، وكنّاه بأبي سليمان، فرد عليه رسول الله ﷺ بقوله: بل كنه بأبي عبدالملك، وظل عمرو بن حزم عاملاً على نجران إلى أن توفي رسول الله ﷺ وهو عليها[1].

ولم يقتصر الرسول ﷺ في دعوة أهل نجران ومن حولهم من قبائل اليمن على تلك السرية التي أرسلها تحت قيادة خالد بن الوليد[2] وإنما حث خالد بن الوليد على أن يتوغل في أرض اليمن الواقعة إلى الجنوب من بلاد نجران، وقد فعل ذلك، واستمر يدعوهم إلى الإسلام مدة ستة أشهر، لكنهم لم يتجاوبوا معه، وبقوا على وثنيتهم[3]، فأرسل الرسول ﷺ سرية أخرى بقيادة علي بن أبي طالب إلى اليمن، وأمره بأن يعود خالد بن الوليد ومن معه إلى المدينة، وإن أراد أحد من رجال خالد بن الوليد البقاء مع سريته. يقصد علي بن أبي طالب. فليتركه[4]. وعندما سمعت قبائل اليمن بمسيرة علي بن أبي طالب نحوها استعدت لقتاله، وعند وصوله حدود بلاد اليمن، جمع رجاله فصلى بهم، ثم حثهم على قتال المشركين، ومن يحارب الله ورسوله من أهل اليمن، ثم واجه بعض القبائل اليمنية، فأنذرهم، وقرأ عليهم كتاب النبي ﷺ فأسلمت همدان كلها في ذلك اليوم[5]، فكتب علي ابن أبي طالب إلى النبي ﷺ يخبره بإسلام همدان، فحمد النبي ﷺ الله وأثنى عليه، وخرّ ساجداً شكراً لله، ثم جلس وقال: " السلام على همدان " ثلاث مرات[6].

ويتضح لنا من ذلك أن الرسول ﷺ كان حريصاً على أن يتوغل الإسلام في أرض اليمن وغيرها وصولاً لتحقيق عالمية الإسلام، فلم يقتصر على دخول أهل نجران في الإسلام، وإنما كان ذلك بمثابة مرحلة أولى في طريق دخول الإسلام إلى كل أصقاع

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٣٠؛ البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف، مرجع سابق، جـ ١، ٥٣٨، ٥٣٩؛ علي، جواد، المفصل، مرجع سابق، جـ ٤، ١٩١؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٢١١؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ١، ٧١.

(٢) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٦، ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ ١، ٣٣٩؛ ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٣٩.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٢٩، ١٣٠، ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٧٥؛ علي، جواد. المفصل، مرجع سابق، جـ ٤، ١٨٩ وما بعدها.

(٤) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ٣، ١٣٢؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. الكامل في التاريخ،مرجع سابق، جـ٢، ٢٠٥، قال الرسول ﷺ لعلي بن أبى طالب: (مر أصحاب خالد من شاء منهم يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل...) ابن كثير، إسماعيل. البداية والنهاية، مرجع سابق، مج ٣، جـ٥، ٩٣.

(٥) للمزيد عن قبيلة همدان، انظر: هشام بن محمد بن السائب الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م)، جـ ٢، ٥٠٩؛ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، راجعه: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م)، ٣٩٢ ـ ٣٩٥، ٤٧٥؛ الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، (الرياض: منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م)، ٩٦ ـ ١٠٥.

(٦) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ ٣، ١٣٢؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق،جـ٢، ٤٧٥.ابن كثير، إسماعيل. البداية والنهاية، مرجع سابق،مج٣، جـ٥،٩٤.

اليمن حيث نراه يعقب على سرية خالد بسرية جديدة على رأسها علي بن أبي طالب، بعد أن تعسر على خالد إقناع اليمنيين في جنوب نجران بالدخول في الإسلام، فنجحت هذه السرية في إدخال همدان سلماً في الإسلام.

كما أرسل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب في مهمة أخرى في السنة العاشرة أيضاً، وكانت المهمة تلك المرة إلى أهل نجران[١] ليجمع الصدقات من المسلمين، ويأخذ الجزية من أهل الذمة.

أما نصارى نجران الذين ظلّوا على مسيحيتهم[٢]، ولم يدخلوا في الإسلام مع من دخل من أهل نجران، فقد بعث إليهم الرسول ﷺ كتاباً موجهاً إلى أساقفتهم، قال فيه: "بسم الله، من محمد رسول الله إلى أساقفة نجران: بسم الله، فإني أحمد إليكم إله إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، أما بعد ذلكم فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أنتم أبيتم فالجزية، وإن أبيتم آذنتكم بالحرب والسلام"[٣]. ويتضح من هذا الكتاب أن الرسول ﷺ بيّن لهم ما يجب عمله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، فإن لم يرضوا بهذا المطلب النبيل فإن عليهم دفع الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن امتنعوا عن هذا أيضاً فليس بينهم وبين المسلمين إلا الحرب حتى يذعنوا لواحد من هذين الشرطين.

وبعد وصول كتاب رسول الله ﷺ إلى نصارى نجران علموا وتأكدوا من جدِّية الرسول ﷺ في مطلبه، فاجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم، ووصلوا في نهاية اجتماعهم إلى إرسال

---

(١) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية، مرجع سابق، جـ ٤، ٢٤٧؛ ابن خياط، خليفة. تاريخ ابن خياط، مرجع سابق، ٩٧؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ ٢، ٢٠٥؛ كان الرسول ﷺ حريصاً على تزويد عماله بالتعليمات الشرعية الأساسية التي يسيرون عليها، فنجده يزود معاذ ابن جبل ببعض تلك النصائح والتعليمات عندما اختاره عاملاً على اليمن، فيقول له: (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)؛ ابن كثير، إسماعيل. البداية والنهاية، مرجع سابق، مج٣، جـ ٥، ٩٠؛ وللمزيد عن رحلة معاذ بن جبل من حاضرة الدولة الإسلامية (المدينة المنورة) إلى الطائف ثم بلاد السراة إلى نجران حتى دخل صنعاء، انظر: عمر بن علي الجعدي بن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق: فؤاد سيد، (بيروت: دار القلم، د. ت)، ١٧، ١٨؛ الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب. صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ١٤٤؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ ١، ٧٢.

(٢) يذكر أن المسيحية لم تنتشر في أهل نجران خاصة، وأهل اليمن عامة إلا في قلة من الناس، والدليل على ذلك أن الكتاب المقدس لم يترجم إلى العربية في عصر ما قبل الإسلام، بينما ترجم إلى لغات البلاد التي انتشرت فيها المسيحية انتشاراً واسعاً، وهذا يؤكد على أن كنيسة نجران وغيرها من الكنائس في اليمن استخدمت اللغة العربية، وربما استخدمت السريانية أو العبرية. عصام الدين عبدالرؤوف الفقي، اليمن في ظل الإسلام منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني رسول، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م)، ٢٥٣.

(٣) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ ٢، ٨١؛ الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف. اليمن في ظل الإسلام، مرجع سابق، ٢٥٤.

وفد من أعيانهم إلى الرسول ﷺ ليناقشوه ويعرفوا حقيقة الأمور منه بشكل مباشر[١].

وقد اختلفت المصادر في ذكر عدد أفراد وفد نصارى نجران، فمنهم من قال: إن عددهم أربعة عشر رجلاً من رؤسائهم وأشرافهم[٢] ومنهم من قال: إن عددهم ستون[٣]، وآخرون قالوا أربعون[٤]، فيما يشير ابن خلدون إلى أن عددهم سبعون نصرانياً[٥].

والاختلاف الذي وقع فيه المؤرخون حول عدد أفراد هذا الوفد، غير ذي أهمية، والمهم أنهم جميعاً أجمعوا على خروج وفد نجران النصراني إلى المدينة لأجل مقابلة الرسول ﷺ، بل إنهم قد ذكروا بعض أسماء الوفد، مثل أميرهم العاقب، واسمه عبدالمسيح وهو من قبيلة كندة، وأسقفهم وزعيمهم الروحي أبوالحارث بن علقمة[٦]، وأخوه كرز بن علقمة من قبيلة بني الحارث[٧]، وصاحب إدارة شؤونهم المالية، السيد ابن الحارث[٨] وأخوه أوس، وعدد آخر ورد ذكرهم في بعض المصادر التي أشارت إلى هذا الوفد[٩].

ويبدو أن بعض أفراد هذا الوفد كان عالماً بصحة نبوة الرسول ﷺ فهذا هو زعيمهم الروحي أبوالحارث بن علقمة يعترف لأخيه كرز بن علقمة بشكل واضح وصريح بذلك، حيث ترجم له ابن سعد في طبقاته فيقول عنه: " كان أسقفهم وإمامهم، وصاحب مدارسهم، وله فيهم قدر، فعثرت به بغلته[١٠]، فقال أخوه: تعس الأبعد، يريد رسول الله ﷺ فقال أبوالحارث بل تعست أنت، أتشتم رجلاً من المرسلين؟ إنه الذي بشر به عيسى، وإنه لفي التوراة، قال: فما يمنعك من دينه؟ قال: شرّفنا هؤلاء القوم، وأكرمونا، وموّلونا وقد أبوا إلا خلافه[١١]، فحلف أخوه (كرز) ألا يثني له صعراً حتى يقدم المدينة فيؤمن

---

(١) ابن سعد، محمد، الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٧؛ علي بن الحسين بن علي المسعودي، التنبيه والإشراف، إشراف وتحقيق: لجنة تحقيق التراث، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨١م)، ٢٥٥؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٧٧.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٧.

(٣) المسري، حسين علي. "نجران ودورها"، مجلة المؤرخ المصري، مرجع سابق،ع٩، ٦١؛ ابن جريس، غيثان. نجران،مرجع سابق، جـ١، ٧٥.

(٤) حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق السياسية، مرجع سابق، ١٨٣؛ انظر أيضاً: أبوالفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن الكريم، (بيروت:دار المعرفة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، جـ١، ٣٧٦.

(٥) ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٧٧.

(٦) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٧، ويذكر ابن خلدون، أن اسمه أبوحارثة بن بكر بن وائل، انظر: ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٤٧.

(٧) ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ١، ٧٦.

(٨) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٧؛ ويذكر ابن خلدون، أن اسمه أيضاً الأيهم، والسيد معاً، انظر: ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٤٧.

(٩) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات. مرجع سابق، ٣٥٧؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٧٧؛ ابن كثير، أبوالفداء اسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ١، ٣٧٦.

(١٠) وهم في طريقهم مع بقية الوفد متجهين إلى الحجاز لمقابلة الرسول ﷺ، انظر: ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ١٦٥.

(١١) يقصد الروم، انظر: ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ١، ٣٧٦.

به[(١)] ومضى يضرب راحلته ويقول:

إلَــيْــكَ يَــغْــدو قَــلــقــاً وضــيــنُــهــا مُــعْــتَرضــاً فِي بَــطْــنِــهَــا جَــنــيــنُــهــا
مُخَــالِــفــاً ديــنَ الــنّــصَــارى دَيــنُــهــا "[(٢)]

ويتضح لنا من النص السابق أن أهل العلم من نصارى نجران يعلمون صحة ما ورد في كتبهم حول صدق نبوة الرسول محمد ﷺ، ورغم ذلك لا يستطيعون الدخول في دين الإسلام، وذلك لما لهم من صلات سياسية، وعقدية واقتصادية مع امبراطورية الروم التي نشرت المسيحية في بلاد اليمن عامة، وفي بلاد نجران خاصة، وبالتالي فإنهم جعلوا نصارى نجران مسؤولين عن الدفاع عن النصرانية في بلادهم وما حولها، ومقابل ذلك فإنهم كانوا يغدقون عليهم العطايا والمنح المتنوعة من أجل الحصول على ولائهم، والبقاء تابعين لهم سياسياً وعقدياً، وذلك يتضح في عبارة أبي الحارث، عندما قال عن الروم: " شرفنا هؤلاء القوم، وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافه"[(٣)].

وهذا كرز بن علقمة، نراه يطلع على ضلال أخيه، أبي الحارث، ومخالفته الفطرة السليمة، فيتركه ويسبقه ووفده إلى الرسول ﷺ فيدخل الإسلام، وربما اكتشف بعض أعضاء الوفد وغيرهم من نصارى نجران تلك الحقيقة التي كان يعرفها أبوالحارث بن علقمة، ما جعلهم يتركون دين النصرانية ويدخلون في دين الإسلام، وأكبر دليل على ذلك ما فعله العاقب والسيد اللذان دخلا الإسلام بعد مقابلتهما الرسول ﷺ في المدينة المنورة.

وصل وفد نصارى نجران إلى المدينة بعد صلاة العصر والرسول ﷺ في المسجد، وكان عليهم ثياب الحبرة [(٤)]، وأردية مكفوفة بالحرير، وفي أعناقهم وأيديهم الصليب، ثم أقاموا في المسجد يصلون نحو المشرق، فعزم بعض أصحاب رسول الله ﷺ على منعهم، فقال الرسول ﷺ : دعوهم[(٥)]. ويذكر ابن سعد أنهم جاؤوا إلى الرسول ﷺ بهيئتهم الآنفة الذكر فأعرض عنهم ولم يكلمهم، فقال لهم عثمان بن عفان: " ذلك من أجل زيكم هذا " فانصرفوا ذلك اليوم، وجاؤوا اليوم الثاني وعليهم زي الرهبان[(٦)].

وكانوا قد اتصلوا ببيت المدارس لليهود، والتقوا ببعض زعمائهم، مثل: الكاهن

---

(١) انظر: ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ١٦٤، ١٦٥؛ ابن جريس، غيثان. نجران، مرجع سابق، جـ ١، ٧٦.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ١٦٥.

(٣) المرجع السابق. وللمزيد عن علاقة نصارى نجران بالروم، انظر:عبدالمجيد عابدين، بين الحبشة والعرب، (القاهرة: دار الفكر، د. ت)، ٤٩، علي، جواد. المفصل، مرجع سابق، جـ ٣، ٤٤٩ وما بعدها.

(٤) الحبرة: يقال:إنها ضرب من بُرد اليمن منمر الشكل، وهي نوع من الألبسة الجيدة والغالية الثمن، ابن منظور، جمال الدين أبوالفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ ٣، ١٦، ١٧.

(٥) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ ٢، ٨٢؛ ابن سعد، محمد بن سعد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٥٧.

(٦) المرجع السابق، ٣٥٧، ٣٥٨.

اليهـودي، المسـمى ابن صـوريا، وكعب بن الأشـرف وقالوا لهـم: هذا الرجل. يقصـدون الرسـول ﷺ. عندكـم منذ كذا وكذا قد غلبكم، احضـروا امتحاناً له غـداً. معتقدين أن ائتلافهم مع اليهود قد يجعلهم أصحاب الريادة والتفوق عندما يغلبون الرسول ﷺ.

وعنـد مقابلتهـم الرسـول ﷺ دارت بينهم مناقشـات عديدة حول السـيد المسـيح عيسـى بن مريم عليه السلام، وحول الإسـلام، ثم دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام، فقال السيد والعاقـب: " إنـا قد أسـلمنا قبلـك، فقال: كذبتمـا، يمنعكما من الإسـلام ثـلاث، أكلكما الخنزير، وعبادتكما الصـليب، وقولكما لله ولد، قالا فمن أبوعيسى، وكان الرسول ﷺ لا يعجل حتى يأمره ربه"[١]، ثم قال: هو عبدالله ورسوله، فقال أسقفهم أبوالحارث: " تعالى الله عمـا قلت، وهل رأيـت ولداً من غير ذكر[٢] ". ويورد ابن كثير بعض التفصـيلات عن هذا اللقاء، ويشـير إلى أن الرسول ﷺ صمت ولم يجبهم عندما سألوه من هو أبوعيسى، ويسـتطرد ابن كثير قائلاً: " فأنزل الله في قولهم ذلك واختلاف أمرهم صـدر سـورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها... "[٣] حيث ردّ الله عز وجل سؤالهم للرسول ﷺ بقوله تعالـــى: (ذَلِـكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ. إِنَّ مَثَلَ عِيسَـى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)[٤]. إلى قوله تعالى: (فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَـاءنَا وَنِسَـاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِـلْ فَنَجْعَـل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)[٥]، ويذكر ابن كثير في تفسـير هذه الآيات، أنه لما أتى رسـول الله ﷺ الخبر من الله والفصـل بينه وبينهم، وأمر بما أمر به من المباهلة[٦]، وملاعنتهم، قالوا للرسول ﷺ: " يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه، ثم انصرفوا عنه "[٧].

وتذكر بعض المصـادر التاريخية أن اليهود في المدينة كانوا يراقبون تلك المناقشـات التي دارت مع الرسـول ﷺ، ويشـاهدونها عندما طلب نصـارى نجران من الرسول ﷺ

---

(١) أحمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: رضـوان محمد رضـوان، (بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ٧٥، وللمزيد، انظر: ابن سـعد، محمد بن سـعد البصـري. الطبقات، مرجع سـابق، جـ١، ٣٥٧. كما أن هناك بعض الاختلافات البسـيطة في ذكر الرواية، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سـابق، جـ٢، ٨٢؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل، تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ١، ٣٧٦، ٣٧٧.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سـابق، جـ٢، ٨٢؛ محمود بن عمر بن محمد الزمخشـري، تفسير الكشاف، تحقيق: محمد مرسي عامر، (القاهرة: دار المصحف، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧م)، جـ١، ١٧٧، ١٧٨.

(٣) ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ١، ٣٧٦.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ٥٨، ٥٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٦١. انظر: الزمخشري، محمود بن عمر. تفسير الكشاف، مرجع سابق، جـ١، ١٧٨.

(٦) المباهلـة، جـاءت من فعل (بهل) والبهل هو اللعـن، يقال بهله الله بهلاً أي لعنه، وعليه بهلـة الله أي لعنته، ويذكر في حديث أبي بكر الصـديق رضي الله عنه أنه قال: من ولي من أمور الناس شـيئاً فلم يعطهم كتاب الله، فعليه بهلة الله؛ أي لعنتـه. والمباهلة هـي الملاعنة، ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شـيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا. انظر: ابن منظور، جمال الدين أبوالفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ١، ٥٢٢.

(٧) ابن كثير، أبوالفداء إسـماعيل. تفسـير القرآن ا لكريم، مرجع سابق، جـ١، ٣٧٧– ٣٧٨؛ ابن منظور، جمال الدين أبوالفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ١، ١٧٨.

بعض الوقت ليفكروا في قبول المباهلة أو تركها، بل كانوا فرحين بما وصل إليه الأمر، ويودون هلاك الطائفتين، وفي ذلك يقولون: " والله ما نبالي أيهما أهلك الله: الحنيفية أو النصرانية ". ومن هذا يتضح خبث اليهود ومكرهم لذاتهم، فلا يرغبون الحياة والعزة إلا لهم دون سواهم[١].

وبعد ذهاب نصاري نجران من عند رسول الله ﷺ اجتمعوا بالعاقب، وكان صاحب رأي قاطع بينهم فقالوا: "يا عبدالمسيح، ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى، لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم. يقصد عيسى عليه السلام. ولقد علمتم أنه ما لاعن نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم أبيتم إلاّ ألف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فواعدوا الرجل، وانصرفوا إلى بلادكم"[٢].

ويورد اليعقوبي أن وفد نجران قبلوا المباهلة مع الرسول ﷺ، ولما جاء اليوم الثاني، جاء رسول الله ﷺ آخذاً بيد سبطيه الحسن والحسين، تتبعه فاطمة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وجاء العاقب والسيد بابنين لهما عليهما الدّر والحلي، وقد التفوا بأبي الحارث، فقال أبوالحارث: " من هؤلاء معه؟ قالوا: هذا ابن عمه، وهذه ابنته، وهذان ابناه، فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه، ثم ركع، فقال أبوالحارث: جثا والله كما يجثو النبيون للمباهلة، فقال له السيد: ادن يا أبا حارثة للمباهلة، فقال إني أرى رجلاً حرياً على المباهلة وإني أخاف أن يكون صادقاً، فإن كان صادقاً لم يحل الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الطعام "[٣].

ولهذا تراجعوا عن مباهلة الرسول ﷺ وقال أسقفهم أبوالحارث للرسول ﷺ: "لا نباهلك فأنت على دينك ونحن على ديننا"، فقال رسول الله ﷺ إذاً أبيتم المباهلة، فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم، فرفضوا، فقال الرسول ﷺ إذاً أحاربكم، فقالوا: " نصالحك على ألا تغزونا، ولا تخيفنا، ولا تردنا عن ديننا، على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة[٤]، ألف في صفر وألف في رجب ". فقبل رسول الله ﷺ منهم، وصالحهم على ذلك وكتب لهم كتاباً أوضح فيه شروط هذا الصلح، وقد أشارت

---

(١) والنصارى أقرب في مودتهم للمسلمين من اليهود والمشركين، قال الله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾. سورة المائدة، آية:٨٢.

(٢) ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. تفسير القرآن الكريم، مرجع سابق، جـ ١، ٣٧٦- ٣٧٧.

(٣) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٨٢- ٨٣. ويورد الزمخشري أن أباالحارث، عندما رأى الرسول ﷺ يوم خرج للمباهلة قال: (يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة)، انظر: الزمخشري، محمود بن عمر. تفسير الكشاف، مرجع سابق،جـ١، ١٧٨. ويذكر البلاذري أنه: قال: (أحدهما لصاحبه. يقصد نصارى نجران. اصعد الجبل ولا تباهله، فإنك إن باهلته بؤت باللعنة، قال: فما ترى؟ قال:أرى أن نعطيه الخراج ولا نباهله؛ البلاذري، فتوح، البلدان، مرجع سابق، ٧٥- ٧٦؛ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٢٠٠.

(٤) الحلة تساوي الأوقية، ووزن الأوقية أربعون درهماً من الفضة. البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٦.

مصادر التاريخ إلى هذا الصلح، فبعضهم نقله نصاً بما يعتقد أنه ورد عن رسول الله ﷺ، ومن هؤلاء اليعقوبي، والبلاذري، وابن سعد[١]، فيما نقله آخرون من المصادر دون التزام منهم بنقل نص هذا الصلح. وإنما اكتفى بنقل ما ورد في هذا الصلح من الشروط، ومن هؤلاء ابن الأثير، وابن خلدون[٢].

ففي هذا الصلح أقر رسول الله ﷺ ما اتفق عليه نصارى نجران بدءاً من دفعهم الحلل في شهري رجب وصفر من كل عام، وهي ألفا حلة، قيمة كل حلة (٤٠) درهماً من الفضة، وأن يساعدوا المسلمين إذا ما وقعت حرب باليمن، بأن يمدوهم بالأسلحة فقط دون الاشتراك معهم في الحرب،وأن ينصحوا المسلمين، ولا يؤخذ أحد بخيانة غيره. وحرم عليهم التعامل بالربا، فمن عمل به بعد هذا الاتفاق، فقد نقض الصلح، فتكون ذمة محمد ﷺ منه بريئة[٣].

لقد ارتد البعض من أهل نجران عن الإسلام في عهدِ رسولِ الله ﷺ واتبعوا الأسود العنسي، الذي ثار في اليمن وادعى النبوة، فقد كان مشعوذاً بارعاً في الكلام[٤]، فانخدعت به بعض قبائل اليمن ونجران، وكانت بداية ظهوره وادعائه النبوة في السنة الحادية عشرة من الهجرة، بعد حجة الوداع لما علم بمرض رسول الله ﷺ، وهو في طريقه إلى المدينة[٥]، وقد تعاطف أهل نجران معه وأيدوه، فلما علم بنو الحارث بن كعب وقبائل مذحج دعوه إلى بلادهم، فقدم إليهم على رأس قوة عسكرية بلغ عددها خمسة آلافٍ مقاتل جميعهم من قبائل حمير[٦]، وتمكن من دخول نجران، وكان عمرو بن حزم عاملاً عليها من قِبل رسول الله ﷺ فخرج منها متوجهاً إلى المدينة[٧].

وقد مكث الأسود العنسي أياماً بنجران ثم تحول عنها إلى صنعاء، لأنها أكثر حصانة من نجران، ورحل معه ستمائة فارس من بني الحارث بن كعب مؤيدين إياه ومناصرين،

---

(١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٨٣؛ البلاذري،أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٦، ابن سعد، محمد بن سعد. الطبقات، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٨. للمزيد من التفصيلات، انظر: حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٧٥ ـ ١٧٩.

(٢) ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ٢، ٢٠٠؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٧٧.

(٣) انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٦؛ ابن سعد، محمد. الطبقات، مرجع سابق، جـ ١، ٣٥٨؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب . تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ٨٣.

(٤) انظر: الطبري، محمد بن جرير.. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ١٨٥، ٢٢٣؛ مطهر بن طاهر المقدسي، كتاب البدء والتاريخ، تحقيق: س. هورت (باريس: ١٩١٦م)، و(صور مكتبة المثنى، بغداد، د. ت)، جـ٥، ١٥٤؛ ابن الأثير، علي. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٢١٥.

(٥) البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ١١٣؛ نزار عبداللطيف الحديثي، أهل اليمن في صدر الإسلام، (بيروت:المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت)، ١١٥.

(٦) الطبري، محمد بن جرير تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٢٣٠ ـ ٢٣٥، محمد عبدالمنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٥م)، ٥٧٤.

(٧) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ١٨٥ ـ ١٨٧؛ ابن الأثير، علي. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٢١٥؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية والنهاية، مرجع سابق، مج ٣، جـ٦، ٣١٢.

وقد واجه مقاومة عنيفة من الأبناء وهم المسلمون من الفرس[١]، ومن قبائل اليمن التي تمسكت بإسلامها فكذبوا مزاعمه، وقد قاد هذه المقاومة شهر بن باذان، ابن والي اليمن السابق، ولكن الأسود العنسي كان أقوى منه فقضى عليه، واستولى على صنعاء[٢].

كما استفحل أمر الأسود باليمن واتسع نفوذه فشمل نجران والطائف وصنعاء وحضرموت، وعدن وامتد نحو الشرق حتى شمل البحرين وأجزاء أخرى من الخليج العربي، وقد اضطربت أوضاع المسلمين باليمن وأصابهم الخوف الشديد من بطش الأسود العنسي، فكانوا يتعاملون معه من منطلق مبدأ التقية ليأمنوا على أرواحهم[٣]، فكانت حركة الأسود العنسي خطراً جسيماً على الإسلام والمسلمين باليمن، لأنها حدثت في فترة حرجة من تاريخ الدولة الإسلامية، فرسول الله ﷺ قائد الأمة ورئيس الدولة كان على فراش المرض، فضلاً عن الأوضاع المضطربة داخل اليمن، فهناك من لم يدخل الإسلام أو دخله ثم ارتد، وهناك من ظل على إسلامه، وهؤلاء يشكلون العدد القليل إلى جانب أهل الذمة. في ظل هذه الظروف السيئة التي تمر بها الأمة الإسلامية قامت حركة الأسود العنسي، إلا أن هذه الحركة لم يكتب لها النجاح، والحديث عنها سوف يبعدنا عن دائرة البحث، ولكن أشرنا إليها بقدر ما كان لها من صلة بمدينة نجران[٤].

وقد تصدى رسول الله ﷺ بحزم وقوة لهذه الحركة، ثم وجه نداء إلى المسلمين المحاصرين بنجران وإلى قادة المسلمين في اليمن يحثهم على الصبر وتوحيد الصفوف ليتمكنوا من قهر عدوهم، والطبري ينقل لنا نص هذه الرسالة: " إلى أهل نجران، إلى عربهم وساكن الأرض من غير العرب، فاثبتوا وانضموا إلى مكان واحد"[٥]. ويعني بساكن الأرض من غير العرب المسلمين من غير العرب، وهم الفرس وقد عرفوا بالأبناء[٦].

وكان لهذه الرسالة التي وصلت إليهم من رسول الله ﷺ التأثير البالغ على نفوسهم، إذ أعادت إليهم الثقة والطمأنينة، كما أزالت الخوف والرعب من قلوبهم فتحركوا موحدي الهدف ضد الأسود العنسي، فتمكنوا من دحره والقضاء على حركته.

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ١٨٥؛ سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي، تاريخ الردة، جزء مقتبس من كتاب: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي الخلفاء، اقتبسه وحققه: خورشيد فاروق أحمد (الهند: معهد الدراسات الإسلامية، د. ت)، ١٥١، ١٥٢.

(٢) البلاذري،أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، ١١٣؛ المقدسي، مطهر بن طاهر. كتاب البدء والتاريخ، مرجع سابق، جـ٥، ٢٢٩؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل، البداية، مرجع سابق، مج٣، جـ٦، ٣١١، ٣١٢.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٢٣٠؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ ٦، ٣١٢.

(٤) للمزيد انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٢٣٠، ٢٣١؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٨٢.

(٥) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٢٣٢.

(٦) الأبناء: من أبناء فارس دخلوا اليمن مع سيف بن ذي يزن الحميري، وأطلق عليهم هذا الاسم -فيما بعد- لأنهم استقروا باليمن وتزوجوا، ثم صار أبناء أبنائهم يطلق عليهم الأبناء، لأنهم من أبناء أولئك الفرس، ولأن أمهاتهم من أجناس غير فارسية، وعندما جاء الإسلام أسلموا وحسن إسلامهم، انظر: ابن منظور، جمال الدين أبوالفضل. لسان العرب، مرجع سابق، جـ١، ٥٠٨، فعل (بني).

ثالثاً - نجران في العهد الراشدي:

لم يُقضَ على الردة في نجران بموت الأسود العنسي، وإنما استمرت بعد وفاة الرسول ﷺ، وخلال عهد الخليفة الراشد، أبي بكر الصديق رضي الله عنه ١١-١٣هـ (٦٣٢-٦٣٤م) وذلك أن بعض بني الحارث بن كعب في نجران انضموا إلى الأسود العنسي، وبعد مقتله، ومجيء عهد أبي بكر الصديق ظلوا على ردتهم، وهم مترددون في البقاء على الردة، أو العودة إلى الإسلام. وبينما هم على هذه الحال جاءهم مسروق العكي(١)، مع بعض من بقي على إسلامه من أهل اليمن، وكان عازماً على مقاتلتهم في حال رفضهم العودة للإسلام وبدأ أولاً بدعوتهم سلماً لترك الارتداد والعودة للإسلام، فاستجابوا وأسلموا دون قتال، فأقام فيهم يعمل على استتباب الأمور في بلادهم، حتى وصل إليه جيش الخليفة أبي بكر الصديق تحت قيادة المهاجر بن أبي أمية دعماً له في قتال المرتدين(٢).

وكان الرسول ﷺ قد أرسل قبل وفاته عدداً من مبعوثيه إلى بلاد السراة، وغيرها من نواحي بلاد اليمن، خصوصاً عندما سمع بظهور الأسود العنسي، ولكن عجلت الأنباء التي وصلتهم بانتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بعودة بعضهم إلى الحجاز، وكان جرير بن عبدالله البجلي من بعض الذين عادوا إلى المدينة المنورة، فرده الخليفة أبوبكر الصديق وأمره أن يدعو من قومه، من بني بجيلة، ومن ثبت على دين الله ولم يرتد، ثم يذهب بهم إلى أجزاء عديدة من بلاد السروات، جنوب الطائف، فيقاتل من ارتد عن الإسلام، ثم يواصل سيره حتى يصل نجران فيقيم بها حتى يأتيه أمره. ويؤكد الطبري ذلك بقوله: "فخرج جرير فنفذ ما أمره به أبوبكر، فلم يقرِ له أحد إلا رجال عدة قليلة، فقتلهم وتتبعهم، ثم كان وجهه إلى نجران، فأقام بها انتظاراً لأمر أبي بكر رحمه الله" (٣).

ومن هنا يتضح لنا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أراد من جرير البجلي أن يعود إلى بلاد السروات فيحثَّ من بقي على إسلامه على التمسك بشرع الله، ويقاتل معه من خرج عن ملة الإسلام، ويظهر من نص الطبري أنه لم يقابل أعداداً كثيرة من المرتدين في البلاد الواقعة بين الطائف ونجران، وبالتالي فقد واصل طريقه مسرعاً حتى وصل نجران فوجد من بها من المرتدين قد رجعوا إلى الإسلام على يد مسروق العكي(٤).

---

(١) الكلاعي، سليمان. تاريخ الردة، مرجع سابق، ١٥٣ وما بعدها، وقد ذكره باسم (الأصفر العكي)، بينما أسمته كتب الطبقات مسروق العكي، ولم تذكر (الأصفر)، ولعل الاسمين لشخصية واحدة، وللمزيد عن جهود مسروق العكي ضد المرتدين في عدة مواطن من بلاد اليمن راجع: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٨-٣٢٦.

(٢) وللمزيد عن تصدي الخليفة أبي بكر الصديق للردة وعن الجيوش التي أرسلها إلى كل مكان لمحاربة المرتدين، انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٣ وما بعدها؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٩٢، ٤٩٣؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ٦، ٣١٥-٣٣٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٢؛ ابن الأثير، علي. الكامل في التاريخ، مرجع سابق، جـ٢، ٢٢٩ وما بعدها؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ٢، ٤٩٣؛ شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري، نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق: علي محمد البجاوي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، جـ١٩، ١٤٤.

(٤) الكلاعي، سليمان. تاريخ الردة، مرجع سابق، ١٥٦، الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٢؛ ابن خلدون، عبد الرحمن. تاريخ ابن خلدون. مرجع سابق، جـ٢، ص٤٩٣؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، جـ١٩، ١٤٤.

أما المرتدون في بلاد اليمن، وبخاصة في صنعاء وما حولها وكذلك الأجزاء التهامية من بلاد اليمن، فقد ظلوا يعيثون في الأرض فساداً، بينما استقرت أمور الإسلام في بلاد السراة الممتدة من الطائف حتى نجران لقلة عدد المرتدين وتمسك معظم مسلمي نجران بعقيدتهم، وإصرارهم على محاربة المرتدين، نستدل على ذلك بما ورد في بعض المصادر من إشارات إلى كتاب أرسله أحد زعماء نجران يدعى عبدالله بن عبدالمدان إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه يطالبه فيه بأن يأذن له فيسير في أهل نجران إلى صنعاء ومن حولها لمحاربة المرتدين هناك[١]. بل نجد كتابا آخر يرسله أبوبكر الصديق إلى المرتدين من أهل صنعاء، فيذكرهم بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم دخولهم في الإسلام وبقائهم عليه إلى أن جاءهم خبر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فارتدوا عن دين الله، ثم قال في نهاية كتابه: " وقد منعني أن أسلط عليكم ابن عبدالمدان فيمن قبله انتظار ما الله محدث مما لست بآيس منه، فإن ترجعوا الإسلام ترجعوا دينا طالما نفعكم الله تعالى به، وإن تأبوا فإن لله تعالى حزبا منصورا، وجندا غالباً يقطع دابر القوم الذين ظلموا " [٢]. ويفهم من هذا الكتاب حزم الخليفة الراشد الأول تجاه المرتدين ومخاطبتهم بصيغة الإنذار وإعطاء فرصة أخيرة للمرتدين من أهل صنعاء للدخول ثانية في الإسلام ويعاود إنذارهم في حالة عدم استجابتهم فإنه سوف يحاربهم بعباد الله الصالحين مثل المسلمين من أهل نجران وما حولهم بزعامة ابن عبدالمدان.

وقد وضح بجلاء هذا العزم من قبل الصديق في التصدي لحركة الردة في جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية، فجهز عددا من الجيوش التي اتجهت إلى نواح عديدة من البلاد، وكان أحدها بقيادة المهاجر بن أبي أمية، وقد أرسله لمحاربة المرتدين في الطائف وبلاد السراة ونجران وصنعاء[٣]. ويشير ابن خلدون إلى حملة المهاجر إلى صنعاء فيذكر أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أمره "بأن يسير إلى اليمن ليصلح من أمره، ثم ينفذ إلى عمله، وأمره بقتال ما بين نجران وأقصى اليمن ففعل ذلك، وسار المهاجر حتى نزل صنعاء وتتبع شذاذ القبائل فقتل من قدر عليه، وقبل توبة من رجع إليه، وكتب إلى أبي بكر بدخول صنعاء، فجاءه الجواب بأن يسير إلى كندة..."[٤].

---

(١) انظر: حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٣٤١، ٣٤٢، وكان لعبدالله بن المدان موقف مشرف في قومه عندما ارتدوا مع الأسود العنسي، إذ وقف فيهم ينهاهم عن الردة ويحذرهم عاقبة أمرهم؛ شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن محمد بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت) (مصور من النسخة الأصلية المطبوعة عام ١٨٥٣م في بلدة كلكتا بالهند)، مج ٢، جـ ٤، ٩٨.

(٢) حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ٣٤٢، وللمزيد عن حركة الردة في صنعاء وما حولها والجهود العسكرية التي بذلها المسلمون في حرب المرتدين وإعادة البلاد إلى حظيرة الإسلام، انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، مرجع سابق، ١١٣، ١١٤؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٥ وما بعدها؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ٦، ٣٣٥، ٣٣٦؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون. مرجع سابق،جـ٢، ٤٩٢ وما بعدها.

(٣) للمزيد عن إرسال الخليفة أبي بكر الصديق الكتب والجيوش المنظمة إلى القبائل والنواحي المرتدة عن الإسلام،انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ ٣، ٢٤٩، وما بعدها؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل، البداية، مرجع سابق، مج ٣، جـ ٦، ٣١٩، ٣٢٠ وما بعدها؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٩٤ وما بعدها.

(٤) المرجع السابق، جـ ٢، ٤٩٤.

يفهم من هذا القول: إن المهاجر خرج من الطائف حتى وصل نجران، ولم يقابل أي عناء في هذه المنطقة الواسعة التي يصل طولها -تقريبا- إلى ثمانمئة كيل، ثم يؤكد عليه فيحارب المرتدين الذين كانوا بين نجران وصنعاء، وفي اعتقادنا أنهم ليسوا كثيرين؛ لأن من بقي من المسلمين هناك مع بعض قادة المسلمين في تلك النواحي أمثال: جرير بن عبدالله، ومسروق العكي وغيرهما، استطاعوا تذليل الصعاب والقضاء على المرتدين(١)، ويعد مجيء المهاجر بن أبي أمية ومن معه من المسلمين بمثابة توطيد لأوضاع الدولة الإسلامية في هذه البقاع وتأمينها، وبخاصة في بلاد صنعاء وما حولها، ولو أن الوضع لا يزال خطراً هناك، لما كان الخليفة الصديق أمر المهاجر بالتوجه إلى بلاد كندة حيث لا يزال المرتدون بها يشكلون خطرا وتهديدا على الإسلام والمسلمين هناك(٢).

ومع نهاية عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبداية عهد الخليفة عمر بن الخطاب ١٣ ـ ٢٣هـ (٦٣٤ ـ ٦٤٣م) استقر الإسلام دينا ودولة في بلاد نجران وجميع البلاد الممتدة من الطائف ومكة المكرمة شمالا حتى بلاد نجران وصعدة وصنعاء جنوبا، بالإضافة إلى الأجزاء التهامية المنخفضة غرباً عن تلك المواطن السروية الجبلية(٣)، وتقاطر سكان تلك البلاد على المدينة المنورة رغبة في الجهاد في سبيل الله، وإعلاء كلمة التوحيد، وذلك عندما نادى فيهم الخليفة أبوبكر الصديق، ثم تلاه الخليفة عمر بن الخطاب، فانخرطوا في جيوش المسلمين التي خرجت في الفتوحات الإسلامية إلى بلاد فارس والعراق، وإلى بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس(٤)، وقد تناثرت الأخبار في المصادر الإسلامية المبكرة على اختلافها مشيرة إلى الدور الفاعل الذي لعبه سكان البلاد الواقعة إلى جنوب حواضر الحجاز (مكة والطائف) والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى بما فيها نجران وأعمالها في الحياتين العامة والخاصة في المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، ولم يقتصر دورهم

---

(١) انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢٨ ـ ٣٣٠؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل، البداية، مرجع سابق، مج٣، جـ٦، ٣٣٥، ٣٣٦. ويذكر ابن سمرة الجعدي، والكلاعي أن المهاجر خرج حتى وصل نجران، فوجد كلاً من جرير بن عبدالله ومسروق العكي فضمهما ومن معهما من المسلمين إلى جيشه، ثم قسم جيشه في نجران إلى قسمين؛ فرقة تتولى القضاء على فلول الأسود العنسي المتناثرة بين نجران وصنعاء، وكان المهاجر نفسه على هذه الفرقة، أما الفرقة الأخرى فكان على رأسها أخوه عبدالله بن أبي أمية، وكانت مهمتها تطهير منطقة نجران وتهامة اليمن من المرتدين، وقد نجحوا في ذلك، انظر: الجعدي، عمر بن علي، طبقات فقهاء اليمن، مرجع سابق، ٣٥ ؛ الكلاعي، سليمان. تاريخ الردة، مرجع سابق، ١٥٦، ١٥٧.

(٢) للمزيد عن الردة في بلاد كندة، انظر: الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٣٠، ٣٤٢؛ ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل. البداية، مرجع سابق، مج٣، جـ٦، ٣٣٤ ـ ٣٣٦؛ ابن خلدون، عبدالرحمن. تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، جـ ٢، ٥٠٦، ٥٠٧.

(٣) عن التحديد الجغرافي لهذه المناطق وما ذكر عنها انظر: عبدالله بن عبدالعزيز البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، (بيروت:عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مج١، جـ٨، ١- ٩؛ الحموي، ياقوت. معجم البلدان، مرجع سابق، جـ٢، ٦٣، ٦٤،٢٠٢- ٢١٨ ؛ الحديثي، نزار. أهل اليمن في صدر الإسلام، مرجع سابق،٩٩-١٤١.

(٤) ابن حزم علي. جمهرة أنساب العرب، ٢٩٤، ٤٤٦، ٤٤٧؛ الحديثي، نزار. أهل اليمن في صدر الإسلام، مرجع سابق، ١٤٥ ـ ٢٠٦؛ غيثان بن علي بن جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١ ـ ق١٠هـ/ ق٧ ـ ق١٦م)، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، جـ١، ص ٥٧ ـ ٩١.

على الجهاد العسكري فحسب، بل تعدى هذا المجال، فنجد أن كثيراً منهم شارك في البناء السياسي والإداري والعمراني للدولة الإسلامية علاوة على إسهاماتهم المؤثرة في بقية الجوانب الحضارية الأخرى، كالنواحي العلمية والفكرية والحياة الاقتصادية على اختلافها وشتى المظاهر الاجتماعية الأخرى، ومن يتتبع آثارهم وإسهاماتهم في هذه الجوانب فإنه سيجد مادة علمية ثرية لا يكفيها عدد من الأسفار لجمع هذا الجانب الحضاري الخاص بهم(١).

أما الأوضاع المحلية في بلاد نجران وما حولها، فللأسف الشديد، لم تفصح المصادر أو تمدنا بتفصيلات مهمة عن تلك الأوضاع وبخاصة بعد خلافة أبي بكر الصديق، ولكن يمكننا أن نستنتج من سير الأحداث أن الأوضاع الداخلية لبلاد نجران قد استقرت سواء كان ذلك مدنياً أو دينياً خصوصاً بعد وصول المهاجر بن أبي أمية، والتقائه بأهل نجران ومن كان فيها من الصحابة، وجهوده في توطيد الأمن هناك، تلك الجهود التي على إثرها ترك جرير بن عبدالله البجلي والياً على نجران، وذهب في طريقه إلى كندة لإكمال مهمته في القضاء على المرتدين تنفيذاً لأوامر الخليفة الصديق. ثم جاء عهد الخليفة عمر بن الخطاب، فكان أكثر استقرارا بفضل ما عرف عن هذا الخليفة الراشد من حزم في إدارة البلاد الإسلامية، فقد أرسل عماله في أنحاء الدولة الإسلامية، ومن عماله في نجران، يعلى بن أمية الذي كان والياً على أجزاء من اليمن منذ عهد الرسول ﷺ ثم عهدي أبي بكر وعمر، فكان مسؤولا عن بلاد نجران وما جاورها من بلاد همدان ومأرب والجند، وقد استدعاه عمر بن الخطاب أكثر من مرة لكي يقدم تقاريره الإدارية عن سير أحوال البلاد التي يتولاها واستجوبه في بعض الأمور لأخبار بلغته عنه(٢)، ثم أعاده عاملاً على نجران وغيرها من النواحي فظل هناك حتى عهد الخليفة علي بن أبي طالب(٣).

أما عن الدور الذي لعبته نجران في بقية الأحداث السياسية التي ألمت بالدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، وبخاصة خلال الفتنة الكبرى في عهد الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه ٢٣ ـ ٣٥هـ (٦٤٣ ـ ٦٥٥م) والصراع بين الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٣٥ ـ ٤٠هـ (٦٥٥ ـ ٦٦٠م) وبين معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه فإننا نجد أن سكان نجران، أسوة بغيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية، قد انخرطوا- على وجه التأكيد - في هذه الفتن، ومنهم من انضم إلى الخليفتين الراشدين عثمان وعلي، ومنهم من كان

---

(١) الحديثي، نزار. أهل اليمن، مرجع سابق، ١٥٠ ـ ٢٠٢؛ عبدالله بن عبدالكريم الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن. ط٢، (بيروت: منشورات العصر الحديث، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ٨٨، ٨٩؛ أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين، (القاهرة: ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ١٧١ ـ ١٧٧.

(٢) من الشكاوى التي قُدمت في يعلى بن أمية أنه حمى لنفسه في نجران، فعزله من منصبه ثم أعاده بعد مسألته، انظر: ابن حجر، شهاب الدين. الإصابة، مرجع سابق، مج ٣، جـ٦، ٣٥٣.

(٣) المرجع السابق؛ وللمزيد انظر: الهادي يحيى الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور، (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، جـ١، ٩٣، ٩٤؛ شرف الدين،أحمد حسين. تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، مرجع سابق، ٢١، ٢٢.

ضدهما، ونال سكان بلاد السراة الممتدة من الطائف حتى صنعاء، ما نال غيرهم من هذه الفتنة، وبخاصة الذين توزعوا منهم في الأمصار الإسلامية من مصر إلى الشام إلى بلاد العراق وفارس، والمصادر التاريخية تعج بالكثير من الأخبار التي تؤكد انخراط سكان هذه المناطق في خضم الأحداث السياسية التي عاشتها الأمة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم[(١)].

أما عن تفاصيل هذا الدور الذي لعبته نجران وما يجاورها فلا ريب أنها قد تأثرت كغيرها من بلاد شبه الجزيرة العربية بالفتن التي وقعت زمن الخليفة عثمان بن عفان، وأدت إلى استشهاده رضي الله عنه، ثم الصراعات التي وقعت بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية ابن أبي سفيان حيث تشير المصادر التاريخية المبكرة التي عالجت أحداث هذه الفترة إلى انتشار هذه الفتن حتى وصل خبرها بل تأثيرها، إلى كل صقع من أصقاع المسلمين آنذاك، ولكنها رغم ذلك لا تخصص الحديث عن دور أهل نجران فيها أو توضح بشكل مفصل مدى تأثيرها على تلك الأنحاء، بل نلاحظ أنها لا تكاد تذكر في بطون هذه المصادر لانشغال مصنفيها بما يجري في الحواضر العربية الكبرى محل هذه الصراعات (المدينة المنورة - دمشق - الكوفة) ولا يتواتر ذكر نجران ثانيةً ودورها السياسي في أحداث الدولة الإسلامية إلا سنة أربعين من الهجرة حينما وجه معاوية بن أبي سفيان بسر ابن أبي أرطاة العامري في ثلاثة آلاف رجل لاجتياح الحجاز في طريقه إلى نجران وبلاد الجند وصنعاء وما حولها. وقد أوضحت المصادر حينئذ سبب بعث بسر إلى تلك النواحي، وهو أن معاوية أثناء وجوده بالشام في خلافة علي بن أبيّ طالب تلقى خطاباً من بعض أهل صنعاء ونجران والجند وقد أظهروا له الموافقة على مطالبته بقتلة عثمان بن عفان، لأنهم استنكروا قتل أمير المؤمنين[(٢)].

وكان غالبية أهل نجران وما حولها من بلاد اليمن قد أعلنوا ولاءهم للخليفة علي ابن أبي طالب الذي أرسل إليهم في عام ٣٥هـ (٦٥٥م) عبيد الله بن عباس ليكون والياً عاماً على بلاد اليمن بما فيها بلاد نجران وأعمالها[(٣)]، بينما خالفته فئة قليلة وأرسلت إلى معاوية وأعلنت له الولاء والبراء من علي بن أبي طالب، وعندما عرف والي اليمن

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث انظر: القاضي أبوبكر محمد بن عبدالله بن محمد بن العربي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محب الدين الخطيب، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٦هـ)، ٦١ ـ ١١٠؛ نصر المنقري بن مزاحم، وقعة صفين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، مكتبة الخانجي،١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م)، ١١٧، ١٧١، ١٩٠، ٢٢٧، ٢٦٢، ٤٤٣، ٥١٢؛ أحمد الكوفي بن أعثم، كتاب الفتوح، (بيروت: دار الندوة الجديدة، د. ت)، (مصور من طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد بالدكن- الهند، د. ت)، ٥٣ ـ ٦٩، ١٤٠.

(٢) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ١٩٧ ـ ٢٠٠؛ ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ٤، ٦١، ٦٥؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ٣، ١٩٢ وما بعدها؛ الحسين، الهادي يحيى. غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، مرجع سابق، جـ١، ٩٦؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، جـ٢، ٢٥٩ ـ ٢٦١.

(٣) ابن سعد، محمد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ٦، ٨٤؛ الحسين، الهادي يحيى. غاية الأماني، مرجع سابق، جـ١، ٩٣، ٩٤.

عبيد الله بن عباس، بخبرهم استدعاهم وتحاور معهم فبيّنوا له أنهم ما زالوا يرون مجاهدة من سعى على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه. فلجأ عبيد الله إلى سجن بعض رجالهم، فثار لهم أعوانهم خارج السجن وهددوا عبيد الله، إما أن يطلقهم، وإما لا طاعة له ولا لعلي بن أبي طالب، فرفض عبيد الله، فما كان منهم إلا أن استعصوا وامتنعوا عن دفع زكاة أموالهم لعبيد الله بن عباس[١].

وقد حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على استشارة زعماء اليمن الذين يرافقونه في هذه الأحداث التي تحصل في اليمن، وكان من أولئك الرجال يزيد بن أنس الأرحبي[٢] الذي نصحه بأن يكتب لهم كتاباً، فإن استجابوا كان بها، وإلا أرسل إليهم جيشاً، فكتب الكتاب وأرسله مع رجل من همدان[٣]. فلم يؤثر فيهم بل زادهم تمسكاً بموقفهم، وكتبوا على إثر ذلك لمعاوية بأن يرسل إليهم أميراً من قبله فأرسل بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف رجل، وقيل أربعة آلاف مقاتل، وأوصاه بأن يذهب إلى الحجاز، ثم بلاد السراة حتى يصل إلى بلاد اليمن، ويكون حازماً شديداً على من يتصدى له[٤]، فخرج بسر وجيشه فجاس خلال الديار يقتل ويحرق ويشرد كل شخص أو فئة كانت متشيعة للخليفة علي بن أبي طالب، وعندما علم عبيد الله بن عباس بقدومه خرج هارباً إلى الكوفة، والتقى بالخليفة علي بن أبي طالب هناك، وقبل خروجه من بلاد اليمن خلف عليها عبدالله بن عبدالمدان الحارثي أحد أحفاد يزيد بن عبدالمدان الحارثي، الذي كان ضمن وفد أهل نجران الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة[٥].

وعند وصول بسر بن أبي أرطاة إلى نجران وجد بها عبدالله بن عبدالمدان فقتله، وقتل ابناً له يسمى مالكاً[٦]، ثم بقي بها يتهدد أهل نجران بالقتل، ثم جمعهم ونادى فيهم قائلاً: " يا إخوان النصارى، أما والذي لا إله غيره، لئن بلغني عنكم أمر أكرهه لأكثرن

---

(١) ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٥٤.

(٢) يذكر أن يزيد كان مرافقاً لعلي بن أبي طالب في الكوفة، وما زال له قوم وعشيرة قوية في بلاد اليمن، لهذا استشاره الخليفة، انظر تفصيلات ذلك في: المرجع السابق.

(٣) قبائل همدان كانت أكثر القبائل سمعاً وطاعة للخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، منذ أن ذهب إليهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى وفاته، وبقوا على الولاء لأبنائه وأحفاده،عاتق بن غيث البلادي، بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهدات، (مكة المكرمة: دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ١٢١، ١٢٢؛ عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع، اليمن في صدر الإسلام (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧م)، ٣٣٢، ٣٣٣.

(٤) انظر: اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ١٩٧ وما بعدها؛ ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٥٤؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ ٣، ١٩٢- ١٩٤؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، جـ٢، ٢٥٩.

(٥) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ ٢، ١٩٧؛ ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ ٣، ١٩٢- ١٩٤؛ ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٥٤ وما بعدها.

(٦) وقد أنشد بعض بني عبدالمدان:

فلولا أن أخاف صيال بسر   بكيت على بني عبدالمدان

ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ ٤، ٦٣؛ ابن حجر، شهاب الدين. الإصابة، مرجع سابق، مج٢، جـ٤، ٩٨.

قتلاكم "[١]. ثم واصل مسيره إلى بلاد صنعاء يلاحق الموالين للخليفة علي بن أبي طالب ويقتلهم ويشردهم. ولما بلغ خبر بسر بن أبي أرطاة الخليفة علي بن أبي طالب بعث جارية ابن قدامة السعدي في ألفين من الرجال، ووهب بن مسعود الخثعمي بالعدد نفسه، فتوجه جارية حتى أتى نجران فقتل جماعة ممن ناصروا بسر، وهرب ابن أبي أرطاة وأتباعه فطاردهم جارية السعدي ورجاله حتى دخلوا مكة المكرمة وهناك وافت الأخبار جارية بمقتل الخليفة علي بن أبي طالب على يد عبدالرحمن بن ملجم[٢].

أما النصارى في نجران الذين كانوا قد تصالحوا مع رسول الله ﷺ وفق شروط محددة، فإنهم لما علموا بوفاة رسول الله ﷺ أرادوا أن يجددوا العهد مع خليفة رسول الله فبعثوا وفدا إلى أبي بكر الصديق كي يوضحوا له التزامهم بالعهود التي صالحهم الرسول ﷺ عليها وعند مقابلتهم الخليفة أبا بكر سمع منهم وأقرّهم على تلك العهود، وكتب لهم كتابا قال فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبدالله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لأهل نجران أجارهم من جنده ونفسه، وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ إلا ما رجع عنه محمد ﷺ بأمر الله عز وجل في أرضهم وأرض العرب، ألا يسكن بها دينان، أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم، وعاريتهم، وغائبهم وشاهدهم وأسقفهم ورهبانهم وبيعهم حيثما وقعت، وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير، عليهم ما عليهم فإذا أدوه فلا يحشرون ولا يعشرون ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته ووفى لهم بكل ما كتب لهم رسول الله ﷺ وعلى ما في هذا الكتاب من ذمة محمد رسول الله ﷺ وجوار المسلمين وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق" [٣].

ويتضح من هذا الكتاب أن الخليفة أبابكر أقرّهم على وضعهم ما داموا ملتزمين بشروط الصلح الذي عقدوه مع رسول الله ﷺ، كما أوضح لهم موقف الرسول ﷺ من الديانات السماوية، اليهودية والنصرانية، وبقائها في جزيرة العرب، عندما روى لهم الحديث القائل: "أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب" [٤]، ولكنهم الآن محميون

---

(١) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ١٩٩؛ وورد النص بصيغة أخرى مختلفة عند ابن أعثم الذي يذكر أن بسر خاطب أهل نجران بقوله: (يا إخوان اليهود والنصارى، أما والله لئن بلغني عنكم أمر أكرهه من ولايتكم علي بن أبي طالب، لأرجعن عليكم بالخيل والرجال، ثم لأكثرن فيكم القتل، فانظروا لأنفسكم فقد أعذر من أنذر)، انظر: ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ٤، ٦٣.

(٢) اليعقوبي، أحمد. تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، جـ٢، ١٩٨، ١٩٩؛ ابن أعثم، أحمد. كتاب الفتوح، مرجع سابق، جـ٤، ٥٦، ٥٧، ابن الأثير، علي. الكامل، مرجع سابق، جـ٣، ١٩٢ وما بعدها؛ ابن حجر، شهاب الدين. الإصابة، مرجع سابق، مج٢، جـ٤، ٩٨؛ النويري، شهاب الدين. نهاية الأرب، مرجع سابق، جـ٢، ٢٥٤، ٢٥٥؛ الحسين، الهادي يحيى. غاية الأماني، مرجع سابق، جـ١، ٩٦.

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣٢١، ٣٢٢؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٩١، ١٩٢.

(٤) في حديث رواه أبوعبيدة عن الرسول ﷺ أنه كان آخر ما تكلم به الرسول ﷺ قبل موته أن قال: (أخرجوا اليهود من الحجاز، وأخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب)، أبوعبدالقاسم بن سلام، كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ١٤٤، ١٤٥، وفي رواية أخرى: (لا يبقين دينان في أرض العرب)، البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧.

تحت مظلة الاتفاقية التي عقدوها مع رسول الله ﷺ فلا خوف عليهم، ولهم الأمان[١].

وكانت أعداد النصارى بنجران في تزايد مستمر، وقد شعر الخليفة عمر بن الخطاب بخطرهم على نجران وما حولها من البلاد، ولكنه لا يستطيع فعل شيء، لالتزامه بنصوص الاتفاقية المبرمة معهم منذ عهد الرسول ﷺ التي جددها الخليفة أبوبكر، وفي عام (٢٠هـ ٦٤٠م) علم الخليفة أنهم يتعاملون بالربا، وهذا يعني أنهم قد خرقوا نصاً من نصوص الاتفاقية التي أبرمت بينهم وبين رسول الله ﷺ [٢]، فأجلاهم من نجران انطلاقاً من المبدأ القائل "من نقض عهداً فلا ذمة له" [٣]،بعد أن اشترى منهم عقارهم وأملاكهم فتفرقوا فمنهم من ذهب إلى العراق، وآخرون اتجهوا إلى الشام، فأما الذين سكنوا العراق فقد استقروا في الكوفة وسمي المكان الذي نزلوه باسم (النجرانية)، وأصبح اسمه نجران ويقال له نجران الكوفة للتمييز بينه وبين نجران الأصلية [٤].

ويبدو أن عمر بن الخطاب قد تعاطف معهم يوم تركوا نجران واتجهوا إلى الشام والعراق، فكتب إلى من قبلهم من أمراء وعامة المسلمين، وذلك وفاء لهم بما كتب لهم رسول الله ﷺ وخليفته أبوبكر فقال: " أما بعد، فمن مرّوا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسعهم من حرث الأرض، فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة، وعقبة لهم مكان أرضهم لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مغرم. أما بعد، فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم، فإنهم أقوام لهم الذمة وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً، من بعد أن يقدموا، ولا يكلفوا إلا من ضيعتهم التي اعتملوا غير مظلومين، ولا معتدى عليهم" [٥]. وبهذا المكتوب أعطاهم الخليفة عمر فرصة عامين لترتيب أوضاعهم والاستقرار، دون أن يلزمهم بدفع الجزية المفروضة عليهم منذ عهد الرسول ﷺ وبعد انقضاء هذه المدة تعود الجزية كما كانت تفرض عليهم من قبل، أسوة بسائر أهل الذمة من النصارى واليهود[٦].

---

(١) المرجع السابق، ٧٧؛ الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٣، ٣١٢؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٩١، ١٩٢.

(٢) ويذكر أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب لهم كتاباً مطولاً قال فيه: (... من عمرٍ أمير المؤمنين إلى أهل رعاش كلهم... أما بعد، فإنكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم بعد...)، انظر نص الكتاب كاملاً: ابن سلام، أبوعبيد القاسم. كتاب الأموال، مرجع سابق، ١٤٥؛ الهمداني، الحسن بن أحمد. صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ٣١٨، حاشية (١).

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم، مرجع سابق، جـ٤، ١١٠؛ البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، ٧٧، ٧٨؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق، مرجع سابق، ١٩٢، ١٩٣، ويذكر أحد المصادر أن يهود نجران خرجوا معهم يوم ذهبوا إلى الشام والعراق، وكانوا كالأتباع لهم. البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧.

(٤) يعقوب إبراهيم أبويوسف، كتاب الخراج، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٨٢هـ)، ٧٤؛ ابن سلام، أبو عبيد القاسم. كتاب الأموال، مرجع سابق، ٢٧٤، البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧؛ المسري، حسين علي. "نجران ودورها السياسي والاقتصادي"، مجلة المؤرخ المصري، مرجع سابق،٧٣، ٧٤.

(٥) ابن سعد، محمد البصري. الطبقات الكبرى، مرجع سابق، جـ١، ٣٥٨؛ البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٧، ابن سلام، أبوعبيد القاسم . كتاب الأموال، مرجع سابق، ٢٧٤؛ حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق السياسية، مرجع سابق، ١٩٣- ١٩٤.

(٦) المرجع السابق.

وهناك رأي آخر في سبب إجلائهم من نجران يرويه لنا البلاذري، إذ يذكر أن نصارى نجران قد تزايدت أعدادهم، وضاقت عليهم المدينة حيث بلغ تعدادهم قريباً من أربعين ألفاً وشاع بينهم التباغض والتحاسد، فرفعوا أمرهم إلى عمر وطلبوا منه أن يجليهم من بلادهم، فاغتنم عمر هذه الفرصة، ولا سيما أنه كان متخوفاً منهم على المسلمين بنجران وما حولها من البلدان فلبى طلبهم وأخرجهم إلى الشام والعراق، وبعد ذلك ندموا على ما فعلوا، فعادوا إلى عمر يسألونه أن يلغي قرار الإجلاء ولكنه رفض وأصر على إجلائهم(١).

وفي اعتقادنا أن الرأي الأول هو الأصح في سبب إجلائهم، ولأنهم قد أعطوا العهود على أنفسهم، والتزموا بعدم نقضها، ولكن عندما نقضوها وجدها الخليفة عمر فرصة لإخراجهم، تقيداً بوصية الرسول ﷺ "لا يبقين دينان في ارض العرب"(٢). ومن يدقق النظر في هذا الحديث يجد أن عمر بن الخطاب لم يخرج في عهده من الجزيرة العربية إلا نصارى نجران، ويهود خيبر، في حين أنه كان في بلاد اليمن، وهجر، واليمامة، وأرض البحرين، بعض النصارى، واليهود، وأيضاً المجوس، حيث كانوا يعيشون في هدوء وسكينة تحت حماية دولة الإسلام، كذلك لم يتعرض أبوبكر من قبله لتلك العناصر غير المسلمة، وإنما جدد العهد لنصارى نجران حيث لم يجد كل منهما الفرصة لتنفيذ حديث رسول الله ﷺ فيخرجون أصحاب جميع الديانات الأخرى غير المسلمة من جزيرة العرب.

"وكان لنصارى نجران في مسألة إجلائهم من بلادهم على يد الخليفة عمر الخطاب أقوال وآراء يغلب عليها الطابع الغيبي، فيذكر ابن سعد أنهم زعموا، كما ورد في كتبهم، أن الذي يخرجهم من أرضهم في نجران رجل بفخذه شامة سوداء، وقد شاهدوا تلك الشامة بفخذ عمر بن الخطاب عندما ركب فرسا فانكشف ثوبه عن فخذه، فقالوا "هذا الذي نجد في كتبنا أنه يخرجنا من أرضنا""(٣).

وفي اعتقادي أن بعض أولئك النصارى الذين أجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب من بلاد نجران إلى الشام والعراق، قد عاد بعضهم إلى أرض نجران، ربما في زمن الدولتين: الأموية والعباسية، وبخاصة أثناء انغماس العالم الإسلامي في كثير من الحروب والصراعات الداخلية والخارجية خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة (الثامن والتاسع للميلاد)، ومما يؤكد هذا القول، ما ورد في المصادر عند الحديث عن قدوم الإمام الهادي إلى الحق يحيى ابن الحسين إلى اليمن في أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، واستقراره في صعدة وإشارتها إلى أنه بدأ يوسع دائرة نفوذه شمالا فاصطدم بسكان نجران ودخل معهم في حروب طاحنة، وكما تشير المصادر فإن أغلب سكان نجران آنذاك كانوا مسلمين فيما عدا فريق منهم كان لا يزال يدين بالنصرانية، وقد عقد معهم عهداً يضمن لهم البقاء في نجران وأن لهم ما تحت أيديهم من العقار والأملاك على أن يدفعوا على ذلك ضريبة(٤).

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان، مرجع سابق، ٧٨.

(٢) المرجع السابق، ٧٧.

(٣) ابن سعد، محمد البصري. الطبقات، مرجع سابق، جـ٣، ٣٦٢.

(٤) وللمزيد من التفصيلات عن علاقة الهادي إلى الحق بنصارى نجران، انظر: علي بن محمد بن عبيد الله العباسي، سيرة الهادي إلى الحق، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت:١٩٨١م)، ١٠١؛ البلادي، عاتق. بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهدات، مرجع سابق، ٢٤١-٢٤٧.

رابعاً. نجران في العصرين الأموي والعباسي وما بعدهما:

١. الوضع السياسي بعد العهد الراشدي حتى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي:

ساد الاضطراب شبه الجزيرة العربية بعامة، وبلاد نجران بخاصة بعد انتهاء عصر الخلفاء الراشدين، وأهمل ذكرها في طيات المصادر، واستمر ذلك الإهمال والنسيان خلال العصر الإسلامي الوسيط، ولعل ذلك يرجع إلى عدد من الأسباب يأتي في مقدمتها انتقال حاضرة الخلافة الإسلامية، ومركز الثقل السياسي والزعامة من الحجاز إلى خارجه، أي من المدينة المنورة إلى خارج شبه الجزيرة العربية، حيث انتقلت العاصمة أولاً إلى دمشق ببلاد الشام ثم إلى بلاد العراق، **وقد أدى انتقال السلطة المركزية، والزعامة السياسية، لخارج الجزيرة العربية، إلى ظهور عدد من المشكلات والعقبات السياسية التي كان لها انعكاسها على النواحي الحضارية، نذكر منها:**

تقلص الدور السياسي لشبه الجزيرة العربية التي تحولت أجزاؤها جميعها إلى مجرد ولاية عادية ضمن ولايات الدولة الإسلامية، بعد أن كانت مقراً للسلطة المركزية في عصري الرسالة والخلافة الراشدة، ولم تعد تشكل أهمية عند خلفاء بني أمية وبني العباس، فيما عدا حواضر الحجاز الكبرى، التي ظلت لها مكانتها الدينية والسياسية في هذين العصرين لكونهما (مكة المكرمة والمدينة المنورة) مقرين للحرمين الشريفين بما لهما من مكانة مقدسة في نفوس المسلمين، كما أن السيطرة عليهما، والقيام على خدمتهما وإسباغ الحماية عليهما، تحوز الرضا والتأييد السياسي والروحي من عامة المسلمين وخاصتهم، فترتفع بذلك مكانتهم، وبالتالي تتحقق المكاسب السياسية لأولئك الساسة لكونهم رعاة المقدسات.

أما أجزاء شبه الجزيرة العربية الأخرى خلاف مدن الحجاز المقدسة، فقد أصبحت منذ عصري بني أمية وبني العباس، وعلى مر القرون الإسلامية الوسيطة، هامشية تحت مظلة تلك الحكومات، فلم تعد لها الأهمية نفسها والقدر الذي كانت عليه في عصري الرسالة والخلفاء الراشدين، وذلك يعود -في رأينا- إلى البعد الجغرافي لمعظم أجزاء الجزيرة العربية عن الحاضرة السياسية للدولة الإسلامية ويرجع -أحياناً- إلى صعوبة التضاريس، ما أثر على سهولة الاتصالات فيما بين تلك البقاع والعاصمة، وهذان السببان نلاحظهما في بلاد اليمن ونجد والسروات التي تعد نجران جزءاً منها.

وإذا ما سعينا لتقديم دراسة تاريخية حضارية لبلاد نجران خلال هذه الفترة، فإننا نجد أن الأمر يزداد غموضاً، لأن العقبات المذكورة أعلاه تكاد تشمل أغلب نواحي شبه الجزيرة العربية، باستثناء بلاد الحجاز إلى حدٍّ ما، فإذا تطرقنا لمحاولة تقديم دراسة عن تاريخ منطقة صغيرة من شبه الجزيرة العربية مثل نجران وما شابهها، فإننا نقابل بصمت المصادر -تقريباً- عن إفادتنا بأي شيء حيال هذا الأمر، فالعلماء وأرباب القلم لا يذهبون -دائماً وأبداً- إلا إلى المواطن التي يجدون فيها الدعم والرعاية، حيث تصنع الأحداث السياسية، ويقيم الحكام، ويزداد الثراء الحضاري، وهذا لا يتوافر إلا

في الحواضر الكبرى، فتوافدوا على بلاط خلفاء بني أمية وبني العباس، ليكونوا قريبين من الأحداث وصنع القرار، فتركز اهتمامهم على التأريخ للدول وشخصيات الحكام دون الاهتمام بالتأريخ لموضوعات متخصصة إلا في القليل النادر، وإن دونوا شيئاً في مصنفاتهم عن تاريخ وأدب وحضارة بلاد بعيدة عن مَواطنهم ومواقع استقرارهم مثل بلاد نجران، فذلك لا يكون إلا اعتماداً على الرواية الشفهية، أو بالاطلاع على بعض المصادر المحلية لتلك الأوطان وغالباً ما تكون هذه المصادر نادرة أو معدومة، وتزداد الأمور صعوبة على الباحث إذا ما تطرق إلى الدراسات الحضارية حيث يصادف ندرة في المعلومات التي تتصل بعدد من جوانب الموضوع، لتركيز المؤرخين في كتاباتهم على التاريخ السياسي، الأمر الذي جعل الجوانب الحضارية والاهتمام بها يضيع في زحام الصراعات السياسية، فقد يقرأ الباحث دراسات عديدة دون أن يتوصل إلى نص واحد يتناول مظهراً من مظاهر التاريخ الحضاري لمنطقة ما.

فعلى سبيل المثال إذا طالعنا المصادر الإسلامية على اختلافها من تاريخية وجغرافية وأدبية لنرى ما دونته عن نجران في العصرين الأموي والعباسي، فإننا نكاد لا نظفر بطائل، حيث اعتراها الإهمال، ومَرّ المصنفون عليها وعلى ما جرى فيها من وقائع وأحداث، دون أن يتناولوها سواء بإيجاز أو بتفصيل، فإذا حاولنا معرفة طبيعة النظام الإداري هناك، فإن المصادر لا تمدّنا بمعلومات واضحة أو صريحة عن ذلك، فكل ما أشارت إليه في هذا الصدد ذكر أسماء الولاة المعينين من قبل خلفاء بني أمية، وكذلك بني العباس على الحجاز أو اليمن أو البحرين دون أن تفصلَ لنا ماهية الأوضاع الإدارية في تلك الأجزاء الصغيرة[١].

أما بالنسبة ما يخص نجران ـ موضوع هذا البحث ـ فقد تعدى عدم الاهتمام بذكرها، وإهمال وقائعها في بطون المصادر للتاريخ الحضاري، ليشمل تاريخها السياسي أيضاً، فبدءاً من العصر الأموي لا نكاد نجد في طيات المصادر على اختلافها وتنوعها ما يشفي غليل الباحث من المعلومات المتصلة بهذا الإقليم ودوره السياسي والحضاري، وكل ما نعثر عليه لا يزيد على شذرات متناثرة وأغلبها يعالج موضوع الثورات وحركات العصيان السياسي التي شهدتها أرجاء شبه الجزيرة العربية على وجه العموم، والمناطق الغربية والجنوبية الغربية منها بخاصة ونعني بها الحجاز واليمن، التي تأتي نجران وما يجاورها ضمنها، وبالتالي يمكننا أن نرجح أنه قد ساد هذه المنطقة ما ساد غيرها من مدن الحجاز الكبرى وحواضرها من فتن سياسية، وتأثرت بها [٢].

---

(١) تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: لجنة من العلماء، (بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، جـ٢، ١٦٦، ١٦٧؛ صالح أحمد العلي، (إدارة الحجاز في العصور الإسلامية الأولى)، مجلة أبحاث، س ٢١، جـ ١، ٢، (١٩٦٨م)، ٣ ـ ٥٧.

Hugh. Kennedy , ((Centeral government and Provincial elites in the early Abbasid Caliphate)) Bulletin of the School of Oriental and African Studies , 44 (1981) , 26 – 38, S.B. Samadi “Some Aspects of the theory of State and Administration Under the Abbasids “ Islamic culture , 29 (1955) ,120 – 150 , Elie Salem, “ Muslim Administration “ Islamic Culture 33 , (1959),19 – 30.

(٢) للمزيد انظر أيضاً ابن جريس، نجران، جـ ١، ص ١٠١ وما بعدها.

ونجد بعض الولاة العباسيين وعناصر أخرى غير علوية أثارت بعض الاضطرابات السياسية في بلاد الحجاز واليمن، فقد عزل الخليفة المأمون حمدويه بن عيسى بن ماهان عن بلاد اليمن، واستناب عنه في حكمه عيسى بن يزيد الجلودي[١]، ولما علم ابن ماهان بمقدم الجلودي إلى اليمن رغب في صده عنها والاستقلال بها، فأعد العدة لمنع الجلودي من دخولها، ولكن الجلودي هزم جيش ابن ماهان واستولى على نجران وصعدة، ودخل صنعاء وقبض على ابن ماهان وسجنه وسيطر على البلاد، وعهد إلى عمال من قبله بحكم مخاليف اليمن، ومن بينها نجران، ثم عاد إلى العراق مرورا بالحجاز، وترك على ولاية اليمن إبراهيم الإفريقي الشيباني[٢]، ولكن الاضطرابات عادت من جديد في نجران وتهامة اليمن، وبشكل هدد استقرار الأمور هناك، الأمر الذي دفع الخليفة المأمون العباسي للتفكير في فصل نجران وتهامة اليمن عن نجدها، ووضع وال مستقل عليها، يضبط أمورها، وينشر الأمن والاستقرار في ربوعها، فوجد ضالته في أحّد قواده ويدعى محمد بن عبد الله بن زياد فعهد إليه بولاية نجران وتهامة وما يتبعها [٣] لتبدأ منذ تلك الفترة النزعة الانفصالية التي تسري في أنحاء شبه الجزيرة العربية، فبعد أن ظلت المنطقة المذكورة طوال عهد الرسالة والخلافة الأموية حتى أوائل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، تابعة بالكلية للخلافة الإسلامية التي عمدت إلى تقسيمها إلى عدد من الولايات ليسهل الإمساك بزمامها مثل: الحجاز، واليمن، واليمامة، والبحرين، نجدها منذ السنوات الأولى من القرن الثالث حتى العاشر الهجريين (التاسع حتى السادس عشر الميلاديين)، تتأثر بالنزعة الاستقلالية التي سرت في غالبية أصقاع العالم الإسلامي المترامية الأطراف الذي صعب على الخلافة العباسية أن تسيطر سيطرة مركزية عليها، فبدأت تسمح بظهور دويلات مستقلة عنها سياسيا، وتابعة لها اسميا وروحيا، وإن كانت بعض الزعامات المحلية قد انتهزت فرصة الضعف الذي أصاب نظام الخلافة العباسي في عصره الثاني، وما صاحبه من تردي شخصيات الخلافة، فاستقلوا سياسيا وإداريا وبشكل كامل عن العباسيين. وعلى أي حال فقد تأثرت نجران، بل عموم أجزاء الجزيرة العربية بكل تلك التيارات السياسية، فنشأت بها دولة بني زياد - كما أسلفنا - في نجران وتهامة اليمن وما تبعها بدءا من عام ٢٠٣هـ (٨١٨م) وهي أول دولة مستقلة تنشأ هناك بعد انفصال بعض بلاد اليمن عن الحكم العباسي[٤]، وتلتها الدولة اليعفرية في صنعاء

---

(١) اليعقوبي، أحمد. تاريخ، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٤٨، ٤٤٩؛ الخزرجي، علي. الكفاية، مرجع سابق، ٩٩.

(٢) اليعقوبي، أحمد. تاريخ، مرجع سابق، جـ ٢، ٤٤٩.

(٣) الجرافي، عبدالله عبدالكريم. المقتطف من تاريخ اليمن، مرجع سابق، ١٠٥، ١٠٦؛ شرف الدين،أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ١٨٨ وما بعدها.

(٤) تذكر المصادر أنه في عام ٢٠٣هـ (٨١٨م) شق أهل نجران وتهامة اليمن عصا الطاعة على الخليفة المأمون ١٩٨-٢١٨هـ (٨١٣-٨٣٣م)، فبعث إليهم الأمير محمد بن عبدالله بن زياد وقلده أعمال تلك البلاد لكي يؤدب العصاة، فذهب ابن زياد واستطاع القضاء على المتمردين هناك ثم طمع في الاستقلال بتلك النواحي، واختط مدينة زبيد وأسس دويلة سميت (الدولة الزيادية) استمرت في عقبه مدة قرنين، وتم القضاء، عليها عام ٤٠٢هـ (١٠١١م) على يد بني نجاح. وللمزيد انظر: الجرافي، عبدالله بن عبدالكريم. المقتطف، مرجع سابق، ١٠٥، ١٠٦؛ الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف. اليمن في ظل الإسلام، مرجع سابق، ٨١-٨٩؛ شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ١٨٨، ١٨٩.

عام ٢٢٥هـ (٨٣٩م)[١]، ثم الدولة الزيدية في صعدة عام ٢٨٤هـ (٨٩٧م)[٢]، ثم الدعوة الإسماعيلية الأولى وكان علي بن الفضل القرمطي الحميري، ومنصور بن حسن الكوفي هما اللذان قدما إلى اليمن بهدف نشر المذهب الإسماعيلي هناك[٣].

٢- أحوال نجران السياسية منذ القرن الرابع الهجري/ إلى العاشر الهجري:

ورغم سريان النزعة الانفصالية في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، إلا أن الأمور لم تهدأ، ولم تستقر أحوال تلك الدول الوليدة، بل تتابعت حركات التمرد والعصيان، وشاعت الحروب، فبعد ظهور الإمام الهادي يحيى بن الحسين في صعدة عام ٢٨٤هـ (٨٩٧م) وتأسيس دولته الزيدية نجده ومن جاء بعده من الأئمة الزيدية، يسعون إلى مد نفوذهم إلى صنعاء جنوباً، ونجران شمالاً، وقد وجدوا في بعض النجرانيين من يعضدهم، ويقف إلى جانبهم ويسهل لهم مهمة السيطرة على بلاد نجران، ومنذ ذلك الوقت وعلى مر العصور الإسلامية الوسيطة تزايد اهتمام دولة الأئمة الزيدية بمنطقة نجران، وسعى حكامها للسيطرة عليها ووضع الولاة من قبلهم ليتولوا أمرها، ولكنهم ما إن تخرج جيوشهم منها في طريقها إلى صعدة، حتى تقوم ثورات أهل نجران ضد ولاة الدولة الزيدية، وينجحون في إخراجهم وأنصارهم منها[٤].

---

(١) دولة بني يعفر تعد ثاني دولة نشأت في اليمن واتخذت بلدة شبام، ثم صنعاء مقراً لها، ومؤسسها إبراهيم بن يعفر الحوالي الحميري، وقد استمرت هذه الدويلة تحكم صنعاء وما جاورها من البلدان إلى عام ٣٩٣ هـ (١٠٠٢م)، وللمزيد انظر: الخزرجي، علي. الكفاية، مرجع سابق، ١٠٤ وما بعدها، ١٦٦ ـ ١٦٨؛ الجرافي، عبدالله عبدالكريم. المقتطف، مرجع سابق، ١٠٧، ١٠٨، الفقي، عصام الدين، اليمن في ظل الإسلام، مرجع سابق، ٩٠ ـ ٩٧.

(٢) هذه الدولة نسبة إلى زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنشأها الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم عام ٢٨٤هـ (٨٩٧م) الذي كان يعيش بالمدينة المنورة، ثم ترك محل إقامته وذهب إلى صعدة فبويع إماماً بها على المذهب الزيدي الذي لا يزال المذهب الغالب على أهل اليمن، وقد استطاع الإمام الهادي مد نفوذه إلى صنعاء وإلى عدة مواطن من بلاد اليمن، وخلفه عدد من الأئمة استمروا في حكم البلاد إلى القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، عندما تحولت الدولة إلى جمهورية، وللمزيد انظر: شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ٢٤٥ ـ ٢٦٢؛ الفقي، عصام الدين . اليمن في ظل الإسلام، مرجع سابق، ص ٣٧٨ وما بعدها.

(٣) الإسماعيلية هي الباطنية نسبة إلى إسماعيل الإمام، ويعتقدون اختفاءه وأنه المهدي المنتظر الذي لا بد أن يظهر يوماً ما وحلول الذات الإلهية فيه، وأن القرآن يمكن تفسيره عن طريق المجاز، وأن الحقيقة الدينية تفسر بالمعنى الذي هو مقصود في المعنى الظاهر. وبداية هذه الدولة أن علي بن الفضل، ومنصور بن حسن قد أرسلا في عام ٢٩١ هـ (٩٠٣م) من قبل عبدالله المهدي لنشر المذهب الإسماعيلي في اليمن، وقد خرجا حتى وصلا إلى اليمن، ثم افترقا، وبدأ كل واحد منهما يبذل جهده لنشر هذا المذهب، لكن علي بن الفضل ضل عن الخطوط العامة لمذهب الإسماعيلية واتبع مذهب القرامطة الذي هو أشد من مذهب الإسماعيلية، وقد جمع من حوله أعداداً كبيرة ثم عاث في الأرض فساداً بعد أن هاجم عدداً من مدن اليمن، ولكن أمراء الدولة اليعفرية تصدوا له حتى تم القضاء عليه عام ٣٠٣هـ (٩١٥م) وبالتالي تمت ملاحقة من كان يعتقد بمذهب القرامطة والإسماعيلية حتى جاء علي بن محمد الصليحي عام ٤٣٧ هـ (١٠٤٥م) فأعاد مذهب الدعوة الإسماعيلية تحت مظلة الدولة الصليحية. انظر: الجرافي، عبدالله بن عبد الكريم، المقتطف، مرجع سابق، ١١١ ـ ١١٤؛ عبدالواسع بن يحيى الواسعي بن يحيى، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، (صنعاء: الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/ ١٩٨٤م)، ١٦٩ ـ ١٧١، شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ص ١٩٧، ١٩٨.

(٤) للمزيد من التفصيلات انظر، اسحاق بن يحيى الصنعاني . تاريخ صنعاء، تحقيق: عبد الله الحبشي، (صنعاء: مكتبة السنحاني، د. ت) ٦٦، ٧٤، ٨٣، ١٠٤ وما بعدها، سليمان بن يحيى الثقفي . سيرة الإمام أحمد بن سليمان (٥٣٢ – ٥٦٦)، تحقيق عبد الغني عبد العاطي (القاهرة: عين للدراسات والبحوث، ٢٠٠٢م)، ٢٥، ٤٠ – ٤٤، ٦٠ وما

وهكذا ظلت الأمور في نجران طوال القرون الإسلامية الوسيطة: قلق واضطرابات وحروب داخلية بين الزيدية، وأهل نجران، ورغم طول المدة وتعدد الحروب والثورات والصراعات بين الأئمة الزيدية وأتباعهم ضد أهل نجران، وإحراز الزيديين عدداً من الانتصارات ضدهم، الاّ أنهم لم يستطيعوا ترسيخ مبادئهم ومذهبهم الزيدي فيها، حيث بقي معظم سكان نجران على المذهب السني الشافعي الذي كانوا عليه من قبل، واستمروا كذلك خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة [١].

إن ما أشرنا إليه من فتن سياسية وثورات في هذه الدراسة[٢]، كان محلها بلاد اليمن أو الحجاز ضد خلفاء بني أمية أو بني العباس، ثم ظهور الدويلات المستقلة، وما تبع ذلك من اضطرابات، ليست إلا نماذج مختصرة، لنطلع القارئ الكريم على وضع شبه الجزيرة العربية بعد خروج حاضرة الخلافة الإسلامية منها، وبعد أن صارت أجزاؤها ضمن ولايات الدولة الإسلامية التي كانت عاصمتها دمشق في بلاد الشام، ثم بغداد في أرض العراق ثم القاهرة في عصر دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) وبالتالي فإن عامل البعد للحكومة المركزية جعل السيطرة على أجزاء شبه الجزيرة العربية مثل: الحجاز، وبلاد السراة، ونجران، واليمن وغيرها ضعيفا، ولم يعد الخلفاء قادرين على السيطرة وقمع أي ثورة تقوم في أي جزء من أجزاء الجزيرة العربية بسهولة ويسر وفي فترة زمنية وجيزة مقارنة بعصري الرسالة والخلافة الراشدة، ولكن عصر بني أمية والقرن الأول من عصر بني العباس كانا أفضل حالا من القرون التالية، فكان الخليفة يتمتع بالشخصية القوية الحازمة والقادرة على إرسال ولاة من قبله إلى كل من الحجاز واليمن وغيرهما، بل كانت عنده القدرة على تأديب من يخرج عما رُسم له من قبل الخليفة وعزله، ولكن منذ القرن الرابع الهجري(العاشر الميلادي) نجد معظم بلاد الجَزيرة العربية تخرج عن سلطة الخلافة العباسية في العراق أو سلطة المماليك في مصر، وظهر ممن لديهم أطماع استقلالية لتكوين سلطات لهم في جزيرة العرب كما حدث مع دولة آل يعفر وغيرها في بلاد اليمن.

وإذا حاولنا معرفة أوضاع الأجزاء الصغيرة في الجزيرة العربية مثل: نجران وما شابهها في فترة الضعف هذه، فإن الأوضاع تزداد غموضا عند مدوني التراث، فهم لا يذكرون تفصيلات عن تاريخها والأحداث التي مَرّت عليها، ولا نجد إلا شذرات يسيرة في بعض المدونات المحلية في بلاد اليمن والحجاز[٣]،وحتى هذه فإن الغموض يكتنفها، ولعل هذا الإهمال والغموض يعود إلى انعدام السيطرة والسلطة المركزية في تلك الأصقاع

بعدها، أبوفراس بن دعثم . السيرة الشريفة المنصورة (سيرة الإمام عبد الله بن حمزة ٥٩٣ – ٦١٤ هـ)، تحقيق: عبد الغني عبد العاطي (بيروت: دار الفكر، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) . جـ١، ٣٣ وما بعدها . جـ٢، ٥٠٤ وما بعدها .

(١) للمزيد عن تاريخ الأئمة الزيدية في صعدة وما حولها، انظر: العلوي، علي بن محمد العباسي. سيرة الهادي إلى الحق، مرجع سابق، ٧٢ وما بعدها؛ الواسعي، عبد الواسع بن يحيى. تاريخ اليمن، مرجع سابق، ١٧٩-١٨١، الجرافي، عبدالله بن عبدالكريم. المقتطف، مرجع سابق، ١٦٥، شرف الدين، أحمد حسين. اليمن عبر التاريخ، مرجع سابق، ٢٤٥وما بعدها.

(٢) للمزيد انظر صفحات سابقة في هذه الدراسة.

(٣) الثقفي، سليمان بن يحيى . سيرة الإمام أحمد بن سليمان، مرجع سابق، ٣٢، ٤٠ وما بعدها، ابن دعثم، أبوفراس . الإمام عبد الله بن حمزة، مرجع سابق، جـ١، ٦٤، ٢٠٥، ٤٠١جـ٢، ٥٢٨، ٧٩٨ – ٨٠٠، ٩٠٦، ٩٤٢ .

وتمادي نفوذ القبائل وزعمائها، حتى صاروا هم العناصر المسيطرة والمسيرة لمعظم الأحداث في الجزيرة العربية، ويؤكد ذلك الرحالة ابن المجاور، من أهل القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) في حديثه عن أهل نجران وغيرهم من أهل البلاد الممتدة من صنعاء جنوباً إلى مكة المكرمة شمالاً، فيقول: " يحكم على كل قرية [عندهم] شيخ من مشايخها كبير القدر والسن، ذو عقل وفطنة، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولم يخالفه أحد فيما يشير به عليهم ويحكم فيهم... "[١].

وهكذا كانت القبيلة تمثل قمة الهرم الإداري والسياسي المحلي عند نجران وغيرها من بلدان شبه الجزيرة العربية خلال العصر الإسلامي الوسيط، وقد استمرت الحياة الإدارية بهذه الصورة عند القبائل والعشائر البعيدة عن السلطة الإدارية التابعة للخلافة والموجودة في بعض مدن وحواضر شبه الجزيرة العربية.

وإن ظهرت دويلات هنا وهناك، فإنها لم تكن تجد الولاء المطلق من القبائل المتناثرة في بلاد نجران وغيرها، وإن انضمت بعض القبائل لبعض تلك الدويلات التي ظهرت فإن هذا الإنضمام يكون بشكل مؤقت ولمصلحة ذاتية تعود على القبيلة والعشيرة وزعمائها، وأحياناً تدخل بعض القبائل والعشائر تحت سلطة حكومة أو دويلة معينة بأسلوب القوة والجبر أو لهدف تقوية جانبها ضد أعداء آخرين يهددون كيانها واستقلالها.وبالتالي فالمؤرخون ومدونو التراث لا يهتمون بتلك الأحداث المحلية اليسيرة، فهم قد ركزوا جل اهتمامهم على ما يجري في بلاط القوى السياسية الكبرى في العراق وفارس ومصر والشام، وغيرها من الحواضر الإسلامية بزخمها الحضاري والسياسي، تاركين الاهتمام بهذه المناطق الصغيرة ليعتورها الإهمال والنسيان .

خامساً : نجران في العصر الحديث والمعاصر:

١. نجران منذ القرن العاشر إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجري :

إن المتأمل في أحوال بلاد نجران خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) يجد قبائل يام ونهد وغيرها هي صاحبة النفوذ في هذه الأوطان[٢]، وقبل الحديث عن أحوال نجران السياسية والحضارية في بدايات العصر الحديث، لابد من الإشارة إلى أحوال العالم الإسلامي بشكل عام، والجزيرة العربية بصفة خاصة، **حيث كانت على النحو التالي :**

أ- كانت بلاد الجزيرة العربية في وضع مضطرب، فالقبائل العربية هي الحاكمة الرئيسة في أوطانها، حتى وإن كان هناك دويلات متناحرة في بلاد اليمن[٣]، أو بعض

---

(١) ابن المجاور، جمال الدين، صفة بلاد اليمن ومكة، مرجع سابق، جـ ١، ٢٦.

(٢) للمزيد عن قبائل نجران وتاريخها، انظر الهمداني، صفة، ١٥١، ١٦٦، ٢٥١، البلادي، بين مكة وحضرموت، ص ١٢٥ وما بعدها، غيثان بن جريس، نجران، ج١، الطبعة الثانية، (١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م)، ص ٣٩.٤٨ .

(٣) هناك دويلات عديدة ظهرت في اليمن، وتختلف في عقائدها من سنية إلى إسماعيلية وزيدية وغيرها، كما كانت تختلف في ولائها وما تحارب من أجله، انظر:عمارة اليمني، تاريخ اليمن، ص٦٦ وما بعدها، وللمزيد انظر كتب تاريخية عديدة صدرت في عهد الدولة الرسولية والدولة الزيدية وغيرها .

الأشراف المتصارعين على إمارة الحجاز[١]، ناهيك عن المناطق الداخلية التي كانت تعيش في استقلالية تامة تحت نفوذ شيوخها وأعيانها[٢] .

ب - تعتبر دولة المماليك في مصر هي المسؤول الأول عن العالم الإسلامي آنذاك، وقد امتد نفوذها إلى اليمن والحجاز وغيرها من بلدان الجزيرة العربية، وفي القرن العاشر الهجري بدأت هذه الدولة غير قادرة على حماية الأوطان الخاضعة لنفوذها وبخاصة الأماكن المقدسة في الحجاز، كما ظهر أعداء خارجين يتطلعون إلى ضرب المسلمين في عقر دارهم، مثل : الدولة الصفوية في إيران التي كانت تسعى إلى السيطرة على المدن المقدسة في الحجاز، والبرتغاليون الذين غزو البحار ووصلوا إلى الشرق ودخلوا البحر الأحمر حتى صاروا يهددون مكة والمدينة [٣] .

ج - في ظل هذه الظروف السياسية الصعبة، كانت الدولة العثمانية في أوج مجدها، وتسير في توسيع ممتلكاتها نحو الغرب، ولكن عندما نظرت إلى الشرق وإذا ببلاد المسلمين ومقدساتهم في خطر قررت الرجوع نحو الشرق الأدنى وحماية مقدسات المسلمين، ونتج عن هذا التحول السياسي أن اصطدم العثمانيون بدولة المماليك وقضوا على حكمهم في معركتي مرج دابق عام (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)، ثم الريدانية عام (٩٢٣هـ/١٥١٧م)[٤]. كما أحبطوا تطلعات الصفويين، وتصدوا للبرتغاليين وأخرجوهم من البحر الأحمر، ولم يكن على القوى السياسية المحلية في اليمن أو الحجاز إلا الاعتراف بالعثمانيين والخضوع لهم، مع أنه ظهر بعض المناوئين لهم مثل الأئمة الزيدية في صعدة وصنعاء الذين كانوا غير راغبين في هيمنة الدولة العثمانية على بلادهم، ولكن بعد حروب عديدة استطاع العثمانيون السيطرة على معظم بلاد اليمن وبخاصة سواحلها وحواضرها الكبرى[٥] .

أما المناطق الداخلية الصغيرة البعيدة عن سواحل البحر الأحمر، فلم تعطها الدولة

---

(١) انظر تواريخ مكة المحلية مثل كتب الأزرقي، والفاكهي، والفاسي، وآل فهد، وانظر تاريخ مكة للسباعي، وللمزيد انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (جازان ،وعسير، ونجران) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، الجزء السادس، ص ٢٥ وما بعدها .

(٢) للمزيد انظر ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ج١، ص٢٦، كما أن وثائق القرون (١٢- ١٤هـ / ١٨-٢٠م) تؤكد أن قبائل نجران كانت صاحبة الحل والعقد في بلادهم . ودراسة تاريخ قبيلة يام أو غيرها من قبائل نجران من الموضوعات التي تستحق أن يصدر عنها عشرات البحوث والكتب .

(٣) قطب الدين النهرواني .البرق اليماني في الفتح العثماني (الرياض: دار اليمامة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ص١٧ وما بعدها، محمد بن أحمد بن إياس. بدائع الزهور في وقائع الدهور (القاهرة، ٦٠-١٣٦٣هـ)، ج٤، ص ١٨٢، غيثان بن جريس. " جدة في مواجهة الخطر البرتغالي خلال الثلث الأول من القرن (١٠هـ/١٦م)" بحث منشور في كتاب: الصراع بين العرب والاستعمار في عصر التوسع الأوربي الأول . منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ص٢٢٧ - ٢٧١ .

(٤) موسوعة المملكة العربية السعودية (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٨هـ)، مج(١٥)، ص١٤٣ وما بعدها . للمزيد انظر، جلال يحيى. المجمل في تاريخ مصر الحديث (القاهرة) ١٩٨٢م)، ص ٥١، ٥٧، فاروق عثمان أباظه . الحكم العثماني في اليمن (١٨٧٢-١٩١٨م) (بيروت، ١٣٩٥هـ) ص ١٦ وما بعدها .

(٥) فاروق أباظة، الحكم العثماني، ١٨ وما بعدها، السيد مصطفى سالم، الفتح العثماني الأول (١٥٣٨-١٦٣٥م) (القاهرة، ١٩٧٤م)، ص ٤٦ وما بعدها، محمد يحيى الحداد . تاريخ اليمن السياسي منذ عهد الإمام الهادي إلى سقوط دولة الإمامة (بيروت، ١٤٠٧هـ) ص١٩٤-١٩٦، موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

العثمانية اهتماماً كبيراً ، ومن تلك النواحي نجران التي اعترفت فقط اسمياً بالعثمانيين، في حين أن النفوذ الحقيقي في الأراضي النجرانية كان للقبائل المحلية، والناظر في حكم العثمانيين الأول لبلاد اليمن (٩٤٥-١٠٤٥هـ/١٥٣٨-١٦٣٥م) يجد أن نجران كانت بعيدة عن حكم الدولة العثمانية المباشر ، مع أن العثمانيين حاولوا مد نفوذهم شمال اليمن إلى صعدة ونجران، لكن الأئمة الزيدية كانوا في حروب مستمرة مع القوات العثمانية، ثم إن صعوبة الأرض جعلت العثمانيين يكتفون بالسيطرة على موانئ اليمن وبعض حواضرها الرئيسة، ثم تطور بهم الأمر إلى أن خرجوا من جنوبي شبه الجزيرة العربية عام (١٤٠٥هـ/١٦٣٥م) [١] .

وفي عام (١١٤٢هـ/١٧٣٠م) نجد قبيلة يام النجرانية تتصل ببعض الزعماء الدينيين المكارمة في اليمن، والذين كانوا على خلاف مع الإمام المنصور الحسين بن القاسم بن محمد (١١٣٩-١١٦١هـ/١٧٢٧-١٧٤٨م) ويقومون بغزو بعض المناطق التابعة للإمام مثل: بيت الفقيه بن عجيل الذي قامت بنهبه، وعندما علم الإمام باتجاه يام نحو صنعاء أخذ في الاستعداد لذلك، وطلب من قبائل بكيل العون والمساندة، وبالفعل توجه الشيخ علي بن عبد الله المؤيد بقبائل بكيل إلى المحمرة وتصدى لقبيلة يام ودحرها حتى عادت إلى نجران[٢] .

وعند خروج العثمانيين من بلاد اليمن بقيت نجران تتمتع باستقلالها عن القوى السياسية المحيطة بها، مع أن الأئمة الزيدية كانوا يسعون إلى بسط نفوذهم على البلاد النجرانية، ولكن استقرار محمد إسماعيل المكرمي في نجران خلال القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) جعل الوضع أشد صعوبة [٣] ، وأصبح النجرانيون تحت نفوذ المكرمي لا يقبلون بحكم الزيدية، ويذكر أن بعض الأئمة استطاعوا مد نفوذهم إلى نجران، فهذا الإمام المهدي عباس بن الحسين في سنة (١٠٨٦هـ/١٦٧٦م) أرسل حملة إلى نجران بهدف إخضاعها لكنه لم يحقق نجاحات كبيرة واكتفى بأخذ الزكاة من بعض عشائرها [٤] .

---

(١) كان هناك محاولات عديدة من العثمانيين في مد نفوذهم إلى صعدة ونجران، ولكن الأئمة الزيدية في صعدة وأهل نجران بذلوا ما في وسعهم لدحر العثمانيين وطردهم من هذه البلاد، وإذا كان بعض الولاة العثمانيين نجحوا في السيطرة على تلك الأوطان لبعض الوقت إلا أنهم لم يقدروا على الاستمرار، وهذا مما جعل السلطان العثماني يسحب قواته من شبه الجزيرة العربية عام (١٠٤٥هـ/١٦٣٥م) . للمزيد انظر، فاروق أباظه، الحكم العثماني في اليمن، ص٢٥، صفي الدين أحمد بن عبد الله بن حنش، النور المشرق في فتح المشرق وما به الحق (بيروت : دار التنوير للطباعة، ١٩٨٦م)، ص٢٢ وما بعدها، السيد مصطفى سالم، الفتح العثماني، ص ٤٩ وما بعدها .

(٢) للمزيد انظر، محمد بن عبد الله آل زلفة . عسير في عهد الملك عبد العزيز، ودورها السياسي والاقتصادي والعسكري في بناء الدولة (دراسة وثائقية) (الرياض: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ص ٤٥٨ وما بعدها .

(٣) كان بداية وصول المكارمة إلى نجران في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) عندما استقر إبراهيم المكرمي فيها في عام (١٠٤٢هـ/١٦٣٣م) . انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٤٩، ١٥١ .

(٤) الصراعات السياسية بين الأئمة الزيدية ونجران منذ القرون الإسلامية المبكرة، واستمرت عبر أطوار التاريخ الإسلامي الوسيط والحديث . للمزيد من التفصيلات انظر يحيى بن الحسين بن القاسم . غاية الأماني في أخبار القطر اليماني (القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) جزءان في مجلد واحد، ص ١٧٦ وما بعدها.

والدارس لتاريخ نجران خلال القرنين (١١-١٢هـ/١٧-١٨م) يجد أن قبيلة يام وغيرها من قبائل نجران استطاعت أن تحافظ على استقلال البلاد النجرانية، حتى وإن حصل بعض الصراعات والحروب القوية بين الزيديين والنجرانيين، وأحياناً كان أهل نجران يمدون نفوذهم إلى بعض البلدان التابعة للمخلاف السليماني، أو للأئمة الزيدية [١] .

٢- نجران خلال القرنين (١٣–١٤هـ/١٩–٢٠م) :

كانت شبه الجزيرة العربية خلال القرن (١٢هـ/١٨م) تعيش حياة الفرقة والتشرذم، والناس مشغولون بكسب أرزاقهم من مهنهم الاجتماعية والاقتصادية المختلفة[٢]، وزعماء القبائل صانعوا قرارات بلادهم، وإذا نظرنا في أحوال السكان الدينية وجدناها سطحية، بل إن البدع والخرافات متفشية بينهم، وفي ظل هذه الظروف الحالكة ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوته الإصلاحية، وانضم إليه وسانده الإمام محمد بن سعود في الدرعية، واتفق الإمامان على تطبيق الدين الإسلامي الصحيح، ومحاربة كل ما يخالفه [٣] .

وعند انتشار خبر الدعوة الإصلاحية في أنحاء شبه الجزيرة العربية ظهر لها معارضون كثيرون، وكانت قبيلة يام في نجران من أول المعارضين وبخاصة عندما حصل بعض الصدامات مع أبناء عمومتهم (العجمان) [٤]، وجيوش عبد العزيز بن محمد ابن سعود[٥]، وكانت نتيجة تلك الحروب أن التقى الطرفان في الحائر جنوب الرياض عام (١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م)، وانهزم جيش الإمام عبد العزيز وقتل من جيشه حوالي (٤٠٠) رجل ثم عقد الصلح بين النجرانيين وابن سعود وعادوا إلى بلادهم نجران تحت قيادة زعيمهم حسن بن هبة الله المكرمي[٦] .

---

(١) للمزيد عن حروب وبسالة النجرانيين في حروبهم مع الزيدية وأهل المخلاف السليماني، وكذلك صلاتهم السلمية مع صعدة وصنعاء وجازان وأجزاء من بلاد نجران وتهامة والسراة انظر: عبد الرحمن البهكلي . خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد (دمشق، ٢٠٠٠م) ص ١٢٨ وما بعدها، غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٦، ص ٢٦ وما بعدها، للمؤلف نفسه، دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١-ق١٠هـ/ق٧-١٦م) (الرياض: مكتبة العبيكان (١٤٣٢-٣١هـ/١٠-٢٠١١م)، الجزء الثاني، ص ٢٩٩-٣٥٦، ٤٧١-٥٩٦.

(٢) دراسة أحوال الجزيرة العربية الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية خلال القرون (١٠-١٣هـ/١٦-١٩م) موضوع يستحق أن يصدر عنه عشرات البحوث والكتب، ونأمل من أقسام التاريخ في الجزيرة أن توجه طلابها لدراسة هذه الحقبة حضارياً فهي جديرة بالاهتمام .

(٣) للمزيد نظر: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم .الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥-١٨١٨م/١١٥٨-١٢٣٣م) (القاهرة، د . ت) ج١، ص ٦٠ وما بعدها، للمزيد عن تاريخ الدعوة الإصلاحية انظر، أحمد عطية الزهراني . دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، رسالة دكتوراه جامعة أم القرى (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) .

(٤) العجمان فرع من فروع قبيلة يام في نجران خرجوا من ديارهم عام (١١٣٠هـ/١٧١٨م) متجهين نحو الشمال حتى استقروا في وسط وشرق الجزيرة العربية . انظر: عبد الرحمن البهكلي، خلاصة العسجد، ص١٢٨، موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٥٠-١٥١ .

(٥) انظر عبد الرحيم عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، ص ٦٣ وما بعدها .

(٦) وعند رجوع المكرمي مع جيشه النجراني نجد أن الدولة السعودية نجت من أهم الأخطار الخارجية التي قابلتها في بداية نشأتها . انظر عثمان بن عبد الله بن بشر . عنوان المجد في تاريخ نجد (الرياض، ١٤٠٢هـ) ج١، ص٩٣ وما بعدها .

واستمرت المناوشات بين العجمان وقوة الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ففي عام (١١٧٩هـ/١٧٦٥م) تحالف العجمان مع الدواسر ونزلوا بأعالي نجد من أجل محاربة الإمام عبد العزيز بهدف إظهار ضعف دولته وعدم قدرتها على التصدي لأي قوة عسكرية، وأمام هذا التصدي أرسل الإمام عبد العزيز ابنه سعود لمحاربة ذلك التحالف، ولكنه لم يستطع هزيمته، وعاد إلى الدرعية[١].

واستمرت الدولة السعودية الأولى في مد نفوذها على أجزاء عديدة من بلاد نجد، وعند اصطدام أئمة الدعوة بأمير الدلم زيد بن زامل جنوب نجد طلب الأخير العون من حسن بن هبة الله المكرمي في نجران، فلم يتأخر الزعيم النجراني من مؤازرة ابن زامل مقابل مبلغ من المال، وقد اصطحب معه أعواناً آخرين من بلاد الدواسر واتجه إلى الحائر ودارت معارك بين عبد العزيز بن محمد وزيد بن زامل ومعه المكرمي عام (١١٨٩هـ/١٧٨٤م)، إلا أنها لم تكن حاسمة، وربما كانت في صالح الإمام عبد العزيز وأعوانه، ومن ثم قرر حسن بن هبة الله صرف النظر عن التقدم إلى الدرعية وعاد أدراجه إلى بلاده. ويبدو أن الأسباب التي جعلت زعيم نجران يتراجع تتمثل في تنامي قوة الدولة السعودية الأولى التي استطاعت أن تقضي على كثير من أعدائها في نجد، ثم مرض حسن بن هبة الله، وعدم استمرار الاتفاق مع زيد بن زامل الذي تقاعس عن الوفاء بوعوده في دفع المبالغ المالية التي وعد بها النجرانيين[٢].

وبعد عودة حسن بن هبة الله المكرمي إلى بلاده، تزايدت الثقة والانتصارات عند جيوش الدعوة الإصلاحية حتى استطاعوا السيطرة على بلاد نجد، أما أهل نجران فانخرطوا في بعض الحروب والمناوشات العسكرية مع جيرانهم في عسير، ففي عام (١١٩٩هـ/١٧٨٥م) قاموا بالهجوم على بعض البلدان العسيرية، وبقوا على اتصال بأهل المخلاف السليماني ومناصرة فريق على آخر[٣].

نجحت الدولة السعودية الأولى في توحيد نجد ثم واصل أئمتها في نشر الدعوة الإصلاحية في البلدان الشرقية والشمالية، من الجزيرة العربية، ولم ينسوا إرسال بعض قواتهم إلى النواحي الغربية والجنوبية، وكان الشيخ هادي بن قرملة القحطاني وابنه مبارك ممن تولى مد نفوذ الدولة إلى بلاد قحطان الجنوب ونجران[٤]، وفي بدايات القرن

---

(١) المصدر نفسه، للمزيد انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) للمزيد انظر: عبد الرحيم عبد الرحمن، الدولة السعودية الأولى، ص ٧٣ وما بعدها، عبد الله العثيمين. تاريخ المملكة العربية السعودية (١٤١٤هـ)، ج١، ص ١٠٦-١٠٧، موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٥٤.

(٣) انظر موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٥٤، تاريخ جازان ونجران خلال القرنين (١١-١٢هـ/١٧-١٨م)، وبخاصة في الجوانب العسكرية والحضارية جدير بالبحث. نأمل من أقسام التاريخ في جامعات نجران، وجازان، والملك خالد أن تلتفت إلى هذه الحقبة وتدرسها دراسة علمية أكاديمية.

(٤) للمزيد انظر، حسين بن غنام. تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام وتعدد غزوات ذوي الإسلام (الرياض، ١٤٠٣هـ)، ج١، ص١٢٩ وما بعدها، سلطان بن حثلين، وزكريا كورش. تاريخ قبيلة العجمان (دراسة وثائقية) (الكويت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص٣٠ - ٣١.

(١٣هـ/١٩م) دخلت بلاد عسـير تحت نفوذ آل سـعود الأوائل، وتولى الأميرين محمد أبو نقطة وأخيه عبد الوهاب بن عامر توطيد حكم الدولة السعودية في عسير ونجران وجازان (المخلاف السليماني)، وكان هناك بعض المناوئين لامتداد الحكم السعودي في جازان وما جاورها، وكان الشريف حمود أبو مسمار القائد الرئيس لتلك المعارضة، لكن أمراء عسير وبخاصـة عبد الوهاب بن عامر استطاعوا التصدي لكل المعارضين وهزيمتهم، والسيطرة على جنوب غرب الجزيرة وحكمها تحت مظلة أئمة آل سعود الأوائل[١] .

وقد لعبت نجران دوراً مهماً في جنوب غرب الجزيرة العربية، مع أن موقعها الجغرافي منزويـاً إلى الداخـل، إلا أن النجرانيـين كانـوا يسـعون إلى مد نفوذهـم إلى بعض بلدان اليمـن، ونواح من ديار المخلاف السـليماني، وأحياناً يتصـدون لغزوات الدولة السـعودية في عسـير ممثّلـة في أمرائهـا آل أبو نقطة، لكـن القوة والغلبة كانت في يد السـعوديين[٢]، ومـن ثـم قرر أهالي نجران إرسـال وفد برئاسـة مقبل بن عبد الله إلى الإمام سـعود بن عبد العزيز في الدرعية، وأبدوا ولاءهم وطاعتهم وأداء الزكاة، فاسـتقبلهم الإمام أحسن اسـتقبال، وأرسـل معهم كتابـاً إلى أعيان نجران وأشـرافها، قال فيه " .. من سـعود إلى جناب الأشـرف حسين بن ناصر، وحسـن بن دهشان، وحمزة ومحمد أبناء حسن وحسين بن أحمد، ومقبل بن محمد، وصالح بن عبد الله، وأحمد بن معوض، وأحمد علي بن شما، وصـالح حسين مسلي سـلمهم الله من الآفات، واسـتعملهم بالباقيات الصالحات، وبعد، ألفى علينا مقبل بن عبد الله، وأشرف على ما نحن عليه، وما ندعو إليه، وما نأمر به، وما ننهى عنه، ويصف لكم من الرأس أكثر من القرطاس، إن شاء الله، ونخبركم أننا متبعون لا مبتدعون، نعبد الله وحده لا شـريك له، ونتبع رسـول الله (ﷺ) فيما يأمر به وينهى عنـه، ونقيـم الفرائض، ونجبر من تحت يدنـا على العمل بها، وننهي عن الشـرك بالله، وننهـى عن البدع والمحرمات، ونقيـم الحدود، ونأمر بالمعروف، وننهـى عن المنكر، ونأمر بالعدل والوفاء بالعهود، والمكاييل والموازين، وبر الوالدين، ووصـل الأرحام، هذه صـفة ما نحن عليه وما ندعو الناس إليه، فمن أجاب وعمل بما ذكرنا، فهو أخونا المسلم حرام الدم والمال، ومن أبى قاتلناه حتى يدين بما ذكرنا ... وأنتم أخص الناس باتباع محمد (ﷺ)، والحق عليكم أكبر منه على غيركم، والإسـلام عزكم وشـرفكم .. فالمأمول فيكم الدعوة إلى الله، لأن الدعوة سبيل من اتبعه (ﷺ) .. ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الداعين إليه المجاهدين في سبيله لتكون كلمته العليا ودينه الظاهر.. "[٣] .

---

(١) للمزيد من التفصيلات عن تاريخ جازان وعسير ونجران خلال عصر الدولة السعودية الأولى، انظر: عبد الرحمن أحمد البهكلي . نفح العود في سـيرة دولة الشـريف حمود (جازان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص ٦٥، ٧٥، ١١٥، ٢١٠- ٢١١، ١٤٤، ١٥٣، ٢٦٧، ٣٣٩، ٣٤٤، أحمد آل فائع . دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السـعودية الأولى في عسـير ومـا جاورها (١٢١٥-١٢٣٣هـ) (الرياض: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص ١٨ وما بعدها، ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٦، ص ٥٢ وما بعدها .

(٢) المصادر والمراجع نفسها، وللمزيد انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٥٦-١٥٧ .

(٣) انظر : مجلة الدارة، س(١) مج (٢) (الرياض، جمادى الأولى، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص ٨-٩ .

ونجد أن هذه الرسالة قد أثرت إيجاباً حيث انضم بعض النجرانيين إلى دعوة الإمام، مع أن هناك من رفضها وتعاون مع مناوئين آخرين لأئمة الدعوة الإصلاحية[١] . واستمرت نجران ذات قوة ونفوذ في المنطقة، وبقيت قبيلة يام هي صاحبة النفوذ والسلطان في معظم الأراضي النجرانية[٢] .

وفي نهاية العقد الثالث من القرن (١٣هـ/١٩م) أصبحت الدولة السعودية الأولى صاحبة الحل والعقد في معظم بلدان الجزيرة العربية، مما أثار غضب الدولة العثمانية التي اتصلت بممثلها في مصر محمد علي باشا، فدعمته وشجعته على الذهاب إلى الجزيرة العربية والقضاء على دولة آل سعود الأوائل، ولم يكن على محمد علي باشا إلا الامتثال لأمر السلطان العثماني، وفي حروب عديدة استطاع أن يقضي على الدولة السعودية، ويرسل عدد من الحملات إلى جازان وعسير وما جاورها من أجل تأديب أمرائها الذين كانوا مناصرين لآل سعود[٣] ، **وفي العقود الوسطى من القرن (١٣هـ/١٩م) مرت جنوب غرب شبه الجزيرة العربية بالعديد من الأحداث التي نجملها في النقاط التالية :**

١. بعد قضاء محمد علي باشا على الدولة السعودية الأولى مد نفوذه إلى جازان وعسير، لكن سيطرته لم تستمر طويلا، وانتهت في نهاية الأمر بخروجه وجيوشه من الجزيرة العربية[٤] .
٢. كانت الدولة العثمانية المسؤول الأول عن بلاد المسلمين، ومن ثم سعت بعد خروج محمد علي من الجزيرة العربية إلى الاتصال ببعض الأمراء المحليين في جازان وأحياناً في عسير واعترفت بهم حكاماً على بلادهم، مقابل الاعتراف بالسلطان العثماني في أوطانهم وعلى منابرهم [٥] .
٣. ظهرت قوى معادية للعثمانيين، وأبرزها إمارة آل عائض في عسير، وبخاصة في عهدي الأميرين عائض بن مرعي وابنه محمد (١٢٤٩- ١٢٨٩هـ/١٨٣٣ - ١٨٧٢م) ،وقد استطاعت الدولة العثمانية القضاء على هذه الإمارة والسيطرة على عسير وجازان وأجزاء كثيرة من بلاد اليمن [٦] .
٤. بلاد نجران لم تدخل بشكل فعلي تحت نفوذ محمد علي باشا، أو حتى نفوذ الدولة

---

(١) للمزيد انظر موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٥٧-١٥٨ .

(٢) قبيلة يام جديرة بالبحث والدراسة، وهي تستحق إلى أن يفرد لها عدد من البحوث والكتب والرسائل العلمية توضح أهمية هذه القبيلة العربية على مر التاريخ القديم والإسلامي المبكر والوسيط والحديث .

(٣) للمزيد انظر فاورق أباظة، الحكم العثماني في اليمن، ص ٣١ وما بعدها، محمد أحمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني (١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ج١، ص ٥٠٦ وما بعدها عائض الروقي، حروب محمد علي باشا في شبه الجزيرة العربية، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى (١٤١٤هـ)، ص ٢٩ وما بعدها، ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٦، ص ٥٨ وما بعدها .

(٤) فاروق أباظه، الحكم العثماني، ص ٤٢ وما بعدها موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٦٠ وما بعدها .

(٥) انظر، الحسن بن عاكش الضمدي . الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني . (الرياض: ١٤٢٤هـ)، ص ١٦٥ وما بعدها، العقيلي، تاريخ المخلاف، ج٢، ص٣٦٢ وما بعدها.

(٦) للمزيد عن إمارة آل عائض، انظر، علي أحمد عسيري . عسير (١٢٤٩هـ/١٨٣٣م-١٢٨٩هـ/١٨٧٢م) (أبها، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م)، ص ١٥٨ وما بعدها .

العثمانيـة، أو أي إمـارة محليـة، وإنمـا كان شـيوخ القبائـل النجرانيـة هـم الحكام لبلادهـم، وتقودهم قبيلة يـام، لكنهم لم يكونوا في عزلة عن الأحداث السياسـية في جنوب شـبه الجزيرة، فكانوا على صلات حميمة مع بعض أمراء جازان المحليين، وفي أغلب الأحيان على خلاف مع إمام اليمن، أو الأمراء المحليين في عسير[١] .

٥. الناظر في وثائق ومصادر القرن (١٣هـ/١٩م) ، يجد أن قبائل العجمان اليامية، كانت ذات إسـهامات سياسية وعسكرية في وسط وشرق الجزيرة العربية، وبخاصة في عهد أئمة آل سـعود خلال الدولة السعودية الثانية(١٢٣٩-١٣٠٩هـ/١٨٢٣-١٨٩١م) فكانوا لا يتورعون عن مناصـرة بعضـهم على بعض أثناء الصـراعات الأهلية[٢]، أما قبائل نجران فلا تذكر المصـادر انخراطهم مع العجمان، وإنما كانوا نشطين في الاتصالات السلبية أو الإيجابية مع القوى السياسية المحيطة بهم[٣] .

٦. في عصـر النفوذ العثماني الأخير في عسـير وماجاورهـا (١٢٨٩- ١٣٣٧هـ/١٨٧٢ - ١٩١٨م) استمرت بلاد نجران على وضعها السياسي الاستقلالي تحت نفوذ زعمائها وشيوخها المحليين، وإن حدث بعض المناوشات مع القوى العثمانية في اليمن أو جازان أو عسـير، لكنها محدودة، كما أن العثمانيين لم يسـعوا في السيطرة على بلاد نجران ربما لموقعها الداخلي، ثم إن ذلك سـوف يكلفهم نفقات كبيرة، مع أن العائد من وراء ذلك قليل أو شبه معدوم[٤] .

وفي العقد الرابع من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، كانت الدولة السعودية الثالثة بقيادة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل قد مدت نفوذها في وسط الجزيرة العربية، وفي عام (١٣٣٨هـ/١٩٢٠م) أرسـلت بعض السرايا السـعودية إلى كل من نجران وعسير[٥] ، وفي

---

(١) فـاروق أباظـة، الحكـم العثمـاني، ص ٨٢ ومـا بعدهـا، ابـن جريـس، القـول المكتـوب، ج٦، ص٦١ ومـا بعدهـا . ويوجـد في مكتبتنـا العديـد مـن الوثائق التي توضـح بسـالة وقوة قبيلـة يـام، وحروبها مع أئمـة اليمن وبعض الإمـارات المحليـة في جـازان خـلال القرنـين (١٢- ١٣هـ/ ١٨- ١٩م) . وهـذه القبيلـة (يـام) تستحق أن يصدر عنها عدد من الكتب والرسائل العلمية .

(٢) للمزيـد مـن التفصيـلات عـن الدولـة السـعودية الثانيـة وعلاقتهـا بالعجمـان، وحروبهـا الأهليـة، انظـر، عبـد الفتـاح أبوعليـة . تاريـخ الدولـة السـعودية الثانيـة (الرياض: ١٤٠٥هـ) ص ٣١، ١٠٧، ١٠٩، وما بعدها، فاورق أباظة، ص٣٩، سلطان بن حثلين، تاريخ قبيلة العجمان، ص٥٥، ٥٦ .

(٣) المراجع نفسها، للمزيد انظر، موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥) ، ص ١٦٥-١٦٧ .

(٤) كان العثمانيون يعانون من عقبات عديدة لاتساع رقعة البلاد التي يسيطرون عليها، ثم للفساد الإداري الذي كانت تعيشـه مؤسسـاتهم الإدارية، وأيضاً عدم تقبل قبائل شـبه الجزيرة لهم، فهم ينظرون لهم أنهم غزاة خارجيون، وقبائـل نجـران من أكـثر القبائل التي كانت تشـعر بذلك منذ عصـر العثمانيين الأوائل في اليمـن خلال القرنين (١٠-١١هـ/ ١٦- ١٧م) . صـلات نجران مع العثمانيين خلال العصـر الحديث من الموضوعات التي لم تطرق ولم تدرس، حبذا أن نرى باحثاً جاداً أو طالباً من طلاب برامج الدراسـات العليا في أقسـام التاريخ في المملكة العربية السعودية فيتخذ هذا الموضوع عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه.

(٥) للمزيـد مـن التفصيـلات عـن تلـك السـرايا وبدايـات دخـول عسـير ومـا جاورهـا تحـت الحكـم السـعودي الحديث انظر:صلاح الدين مختار.تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها (بيروت، د. ت) ، ج١، ص٣٩٩، محمد آل زلفة، عسـير في عهد الملك عبد العزيز (الرياض، ١٤١٥هـ) ص١٧٦، موسـوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥) ، ص ١٦٧-١٦٨ .

سنة (١٣٤٠هـ/١٩٢٢م) أصبحت بلاد عسير تحت حكم الإمام عبد العزيز آل سعود[(١)]، **أما جازان ونجران فقد مرت ببعض المراحل حتى صارت جزءاً من الدولة السعودية الحديثة، وهذه المراحل على النحو التالي:**

١. كانت جازان خاضعة لإمارة الأدارسة في صبيا، في الوقت الذي دخلت عسير تحت حكم الإمام عبد العزيز[(٢)]، ومن ثم كانت الإمارة السعودية في أبها على اتصالات مستمرة مع الأدارسة في جازان، وفي الغالب كانت صلات سياسية عسكرية، مع أن الأدارسة أنفسهم كانوا في مد وجزر، فأحيانا تكون صلاتهم مع إمام اليمن يحيى حميد الدين ودية فهم يطلبون منه العون والمساعدة ضد الجيش السعودي، وأحيانا أخرى يبدون رغبتهم في الانضمام إلى حكومة ابن سعود[(٣)]، وبعد مشاورات ومفاوضات عديدة استغرقت سنوات عديدة سلم الأدارسة بلاد جازان للإمام عبد العزيز ودخلوا تحت نفوذه[(٤)].

٢. كان الإمام يحيى حميد الدين في عداء مع قوة ابن سعود الجديدة فهو يرغب في السيطرة على بعض أجزاء جنوب غربي شبه الجزيرة مثل نجران وبعض النواحي من بلاد جازان[(٥)]، وهناك الكثير من الوثائق والمراسلات بين الإمامين عبد العزيز آل سعود ويحيى حميد الدين بخصوص هذا الموضوع، وكان الإمام عبد العزيز حريص على أن تحل مشاكل الحدود وبلاد نجران والأدارسة بالطريقة السلمية، لكن الإمام يحيى حميد الدين كان مراوغاً في ذلك، فلم يكن متعاوناً وجاداً في هذا الجانب[(٦)]، لهذا لجأ ابن سعود في بداية الخمسينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى إرسال جيشين بقيادة ابنيه الأميرين سعود وفيصل، أحدهما ذهب عبر بلاد السروات بقيادة الأمير سعود حتى دخل نجران وسيطر عليها، والآخر سار عبر بلاد تهامة بقيادة الأمير فيصل حتى دخل الحديدة[(٧)]. عندئذٍ وافق الإمام يحيى حميد الدين على عقد اتفاقية بين

---

(١) المراجع نفسها، للمزيد انظر: غيثان بن جريس. عسير في عصر الملك عبد العزيز، (جدة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص ١٩ وما بعدها، للمؤلف نفسه، صفحات من تاريخ عسير (الرياض: طبعة ١٤٣٤-١٤٣٥هـ/ ٢٠١٣-٢٠١٤م) الجزءان الأول والثاني، ص ١٢١ وما بعدها.

(٢) للمزيد عن تاريخ الأدارسة في منطقة جازان وعلاقتهم بالإمام عبد العزيز آل سعود والإمام يحيى حميد الدين، انظر: العقيلي، تاريخ المخلاف، ج٢، ص ٩٢٣ وما بعدها، أميرة علي المداح، المخلاف السليماني تحت حكم الأدارسة، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة أم القرى (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م)، ص ٢٢ وما بعدها.

(٣) العقيلي، تاريخ المخلاف، ج٢، ص ٩٢٣ وما بعدها، يوسف حسن العارف، أضواء على مذكرات سليمان شفيق باشا (متصرف عسير) (١٣٢٦-١٣٣٠هـ/١٩٠٨-١٩١٢م) (أبها، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ص ٧١ وما بعدها.

(٤) المراجع نفسها، موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٦٨، ابن جريس، القول المكتوب، ج٦، ص ٦٤ وما بعدها.

(٥) آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص ١٧٨ وما بعدها.

(٦) هناك عشرات الوثائق المنشورة وغير المنشورة التي تبين المراسلات بين الإمامين عبد العزيز آل سعود، ويحيى حميد الدين وبخاصة فيما يتعلق بالحدود اليمنية السعودية في نجران وجازان، للمزيد انظر العقيلي، تاريخ المخلاف، ج٢، ص ٩٣٣ وما بعدها، انظر أيضاً جريدة أم القرى س(١٠) ع (٤٧٥) (٣/ رمضان /١٣٥٢هـ/١٩٣٤م) ص ١.

(٧) انظر عبد الله العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج٢، ٢٨٠ وما بعدها، موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ١٧٢وما بعدها، محمد سعيد منشط الشعفي "العلاقات السعودية اليمنية في سنة (١٣٥١-١٣٥٣هـ/١٩٣٣-١٩٣٤م". جريدة المقطم المصرية (الرياض، ١٤١٤هـ)، ص ٢٣٤-٢٣٦.

البلدين (المملكة العربية السعودية واليمن) عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، ومن ثم توصل الطرفان إلى حل بعض المشاكل العالقة بينهما وبخاصة الحدود ومشكلة نجران[١].

٣. كانت الاتفاقية التي عقدت بين البلدين تسمى اتفاقية الطائف، ويمثل الوفد السعودي فيها الأمير خالد بن عبد العزيز آل سعود، ومن الجانب اليمني عبد الله بن الوزير، واحتوت الاتفاقية على (٢٣) بنداً رسمت الحدود بين الطرفين، ونظمت العلاقات بين الدولتين [٢]، ومن أهم بنودها البند الرابع الذي جعل منطقة نجران ضمن أجزاء الدولة السعودية الحديثة، وقد ورد فيها ما يلي: "... ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة، وكلما هو تحت عقبة نهوق إلى أطراف نجران ويام من جهة الشرق، هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة، وكلما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه، مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً، أو تحت ثوب المملكة العربية السعودية قبل سنة (١٣٥٢هـ/ ١٩٢٣م)، كل ذلك في جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية، وما ذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة فهو بناء على ما كان من تحكيم جلالة الإمام يحيى لجلالة الملك عبد العزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية "[٣].

هكذا أصبحت نجران جزءاً رئيساً من المملكة العربية السعودية، وتعاقب عليها أمراء عديدون منذ عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود[٤]. والدارس لتاريخ وحضارة منطقة نجران منذ بداية النصف الثاني في القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى اليوم يجدها تنعم بالازدهار والتقدم والتنمية الحضارية الجيدة [٥].

---

(١) المراجع نفسها، للمزيد انظر خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز (بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ج١، ص ٦٠٤-٦٠٥.

(٢) انظر نصوص الاتفاقية عند آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٠٩ وما بعدها. لازالت نصوص الاتفاقية تحتاج إلى دراسات تاريخية تحليلة توضح أبعادها الحضارية على الدولتين، نأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيدرس هذا الموضوع دراسة علمية تحليلية أكاديمية.

(٣) انظر، آل زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص ٢٠٩ وما بعدها، موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ٢١٠.

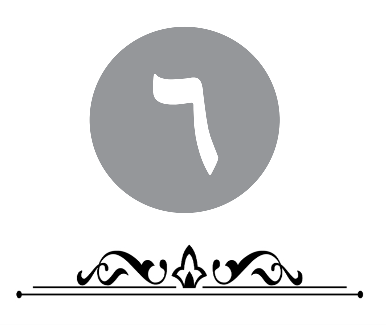
(٤) أي في عهد سبعة ملوك من آل سعود هم (عبد العزيز وأولاده، سعود، وفيصل، وخالد، وفهد، وعبد الله وأخيراً سلمان الذي تولى العرش يوم الجمعة (٣/٤/١٤٣٦هـ)، وفي عصر هؤلاء الملوك السبعة تولى نجران حوالي (١٢) أميراً، وتعد نجران اليوم من مناطق المملكة العربية السعودية.

(٥) دراسة هذه الفترة الزمنية (١٣٥٠- ١٤٤٠هـ/١٩٣١-٢٠١٩م) ضرورية ومهمة، وجامعة نجران عليها مسؤولية كبير لإنشاء مركز بحوث تاريخي اجتماعي اقتصادي ثقافي حضاري يهتم بدراسة أرض ومجتمع نجران، ونأمل أن نرى هذه الجامعة الفنية تقوم بمسؤولياتها على الوجه المطلوب، وبلاد نجران تستحق الكثير من الاهتمام في مجالات البحث والتحليل.

سادساً : آراء ووجهات نظر:

بلاد نجران ذات تاريخ عريق، فالباحث في المصادر الأثرية والقديمة يتضح أن الديار النجرانية عرفت العديد من العقائد السماوية والوضعية، وارتادها كثير من الأمم الوثنية والنصرانية والإسلامية، ولذا فهي جديرة بالبحث والدراسة، ونأمل من المؤرخين والآثاريين وعلماء الأجناس والاجتماع والاقتصاد أن يدرسوها من شتى الجوانب وعبر أطوار التاريخ، **ونشير في النقاط التالية إلى عدد من الموضوعات المهمة التي تستحق البحث والتحليل، وهي:**

١. تاريخ وحضارة نجران خلال العصر الحجري.
٢. تاريخ نجران في العصر الإغريقي.
٣. تاريخ نجران في عصور دول اليمن القديمة.
٤. تاريخ نجران المحلي قبل الإسلام.
٥. نجران خلال أي قرن من قرون الإسلام، من القرن الهجري الأول إلى القرن (١٥هـ/٢١م).
٦. الحياة الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو الفكرية والثقافية والدينية في القرنين السابقين لظهور الإسلام، أو في أي قرن من العصر الإسلامي (ق١ - ق١٥هـ/ ق٧ - ٢١م).
٧. دراسة آثار نجران قبل الإسلام، أو في القرون الثلاثة الأولى من عصر الإسلام.
٨. أحوال نجران السياسية والحضارية في القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م).
٩. تاريخ التنمية في نجران من عام (١٣٥٠- ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م).
١٠. أعلام نجران في أي قرن من قرون العصر الإسلامي (ق١ - ق١٥هـ/ ق ٧ - ق٢١م).



الدراســــة السادســــة

نجران عند بعض الجغرافيين، والرحالين، والمؤرخين المتقدمين والمتأخرين

بقلم : أ . د . غيثان بن علي بن جريس



الدراسة السادسة : نجران عند بعض الجغرافيين، والرحالين والمؤرخين المتقدمين والمتأخرين:

أولاً : تمهيد :

نوثق في هذا القسم شيئاً من أقوال، أو مشاهدات، أو مدونات حوالي (٤٢) جغرافياً ومؤرخاً سجلوا صوراً من تاريخ وحضارة منطقة نجران خلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة . ولم نحط بكل من كتب أو شاهد بلاد نجران خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة، لكننا أشرنا إلى عدد منهم، ومازال هناك روايات وأقوال كثيرة لم نستطع إدراجها في هذه الدراسة . ونأمل أن نرى في المستقبل من يدرس عموم منطقة نجران في عيون المؤرخين والرحالين عبر عصور التاريخ الإسلامي، فذلك موضوع كبير، ومادته غزيرة تكفي للرصد والتوثيق في مئات الصفحات [١] .

ثانياً : التعريف بالجغرافيين والرحالين والمؤرخين ومدوناتهم :

١.ابن خرداذبة، وأبو الفرج قدامة بن جعفر، وأبو إسحاق الحربي (ق٢.٤هـ/ق٨.١٠م) :

ابن خرداذبة : هو أبو القاسم عبدالله أو عبيد الله، ولد في مدينة خراسان عام (٢٠٥هـ/ ٨٢٠م) ، تولى بعض الأعمال الإدارية في عصر الدولة العباسية، وعمل في إدارة البريد في بعض مدن العراق وفارس. من أوائل الجغرافيين المسلمين، له مؤلفات عديدة، وصلنا منها كتابه : المسالك والممالك، دراسة وتحقيق المستشرق دي خويه، ونُشر عام (١٨٨٩م) [٢] . أما أبو الفرج قدامة بن جعفر فجاء من أسرة نصرانية، ونشأ في العراق، واعتنق الإسلام، وعين في نهاية القرن (٣هـ/ ١٠م) على ديوان الخراج، وهذا ما جعله يتجول في أرجاء الدولة العباسية، وصار عالماً بالطرق والبلدان، وهذا ما جعله يدون عدداً من الكتب التي ضاع أغلبها، ولم يصل منها إلا نبذ من كتاب (صنعة الكتابة) وعرف أيضاً باسم كتاب (الخراج) [٣] . وأبو إسحاق الحربي من مواليد مدينة مرو في خراسان عام (١٩٨هـ/ ٨١٣م) ، كان عالماً في علوم شرعية ولغوية وجغرافية عديدة . ومن أهم كتبه في علم الرحلات والجغرافيا : **كتاب: المناسك وأماكن الحج ومعالم الجزيرة**، قام الأستاذ

---

(١) نشر مثل هذا الموضوع قد يفتح الباب للمؤرخين والباحثين الجادين فيدرس في عدد من الكتب، والبحوث، والرسائل العلمية.

(٢) للمزيد عن ابن خرداذبة انظر: كتابه : المسالك والممالك، وما يشتمل عليه من معلومات قل أن نجدها في أي مصدر آخر، وانظر أحمد رمضان أحمد . الرحلة والرحالة المسلمون (جدة : دار البيان العربي، د. ت) ، ص ٥٥ وما بعدها، غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٩، ص ١٣٨- ١٣٩ . ج١٣، ١٨-١٩ .

(٣) لا نعلم تاريخ ميلاد أبو الفرج قدامة، أما وفاته فكانت خلال العقدين الأولين من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) . وكتابه (الخراج) يشبه في منهجه وأسلوبه كتاب (المسالك والممالك) لابن خرداذبة . وهو منشور مع كتاب ابن خرداذبة في مجلد واحد، قام بدراسته وتحقيقه دي خويه عام (١٨٨٩م) . للمزيد انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)، ج١٣،ص ١٩-٢٠، أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص٦٣ وما بعدها.

حمد الجاسر بدراسته وتحقيقه، وكتب له مقدمة طويلة تقع في عشرات الصفحات، وتم نشره عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) [١].

دون ابن خرداذبة عنواناً جانبياً أسماه (مخاليف مكة بنجد). وذكر منها الطائف ونجران، ومواطن أخرى عديدة بينهما مثل: تربة، وبيشة، وتبالة، وجرش، والسراة [٢]. وعدد محطات الطرق بين اليمن والحجاز، لكنه لم يذكر نجران، وأشار إلى أمكنة قريبة منها كصعدة وجرش، وطلحة الملك [٣]. ويشير هذا الجغرافي لأمطار بلاد السروات ونجران التي تسقط في فصل الصيف، وعلى إثرها تزدهر الأرض وتخصب [٤]. ولا يذهب أبو الفرج بن قدامة بعيداً عما ذكره ابن خرداذبة بشأن محطات الطريق الجبلي الذي يربط اليمن بالحجاز [٥]. وأشار إلى محطات الطريق من اليمامة إلى اليمن، ونجران إحدى المحطات الرئيسية على تلك الطريق [٦]. وأكد أن نجران من أعمال مكة النجدية، كما ذكر بعض الأمكنة الواقعة في محيط منطقة نجران، وأشار إلى أنها من مخاليف اليمن [٧]. ويشير أبو إسحاق الحربي إلى الطرق بين اليمن ومكة فيقول: "هما طريقان، طريق على البحر، وطريق على نجران وتهامة" [٨]، وبهذا الوصف وقع في خطأ عندما قال: طريق البحر ويقصد بها، الطريق التي تخرج من صنعاء إلى الطائف ومكة، فهي طريق الجبل، أو السراة، أو الجادة، وقد أشارت إليها مصادر قديمة كثيرة [٩]. وذكر بعض المحطات القريبة من نجران، والواقعة على تلك الطريق الجبلية [١٠].

---

(١) يقع الكتاب في أكثر من (٨٠٠) صفحة، ومادة الكتاب الأساسية حوالي (٣٨٠) صفحة، والباقي مقدمات، وتعليقات، وحواشي للمحقق. للمزيد انظر غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء الثالث عشر، ص١٩-٢٠م).

(٢) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٤-١٣٦، طلحة الملك: تسمى اليوم الطلحة في بلاد وادعة بمنطقة عسير، وتبعد عن بلاد نجران نحو الشمال حوالي (٦٠ – ١٠٠كم). مشاهدات الباحث في عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).

(٤) نعم تسقط الأمطار على هذه البلاد في فصل الصيف، وربما سقطت في فصول أخرى، وهذه الأوطان الممتدة من الطائف إلى نجران وبلاد اليمن الجبلية تمتاز بالخصوبة، وتنوع تضاريسها وجمال أرضها. مشاهدات الباحث خلال العقود الخمسة الماضية.

(٥) أبو الفرج قدامة، نبذ من كتاب الخراج، ص ١٨٧-١٩٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٩٣.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٤٨، ٢٤٩. هذا الرحالة يتحدث عن بلاد نجران وأجزاء من اليمن والسروات في القرن (٣هـ/٩م)، وجميعها تتبع إدارياً الخلافة العباسية في بغداد.

(٨) انظر أبو إسحاق الحربي، كتاب المناسك، ٦٤٣.

(٩) هناك عشرات المصادر والمراجع والمقالات التي فصلت الحديث عن طرق الحج والتجارة التي تربط مدن الحجاز الرئيسية مع مدن وحواضر أخرى عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها.

(١٠) من المواقع التي أشار إليها هذا الجغرافي: غيل المنضج، وحلاحل: والصحيح جلاجل، والطلحة، وجميع هذه الأمكنة تقع في بلاد وادعة المجاورة لبلاد نجران من جهة الشمال والشمال الغربي. المصدر: رحلة الباحث ومشاهداته في محافظة ظهران الجنوب (بلاد وادعة) في عام (١٤٣٧هـ/١٤١٦م). للمزيد انظر: غيثان بن علي بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من عسير) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، ج١١، ص٤٨ وما بعدها.

٢ـ اليعقوبي، وابن رستة، وابن حوقل (ق٣ـ٤هـ/ق٩ـ١٠م) :

أحمد بن يعقوب بن واضح، المعروف باليعقوبي، من أهل القرن (٣هـ/٩م)، جده جعفر بن وهب بن واضح من موالي الخليفةِ العباسي أبو جعفر المنصورِ (١٣٦- ١٥٨هـ/٧٥٣ - ٧٧٤م). كان أحمد اليعقوبي جغرافيا ومؤرخا ورحالة، ألف كتبا عديدة، ومن أقدمها وأهمها (كتاب البلدان)، طبع في المكتبة الجغرافية في ليدن بهولندا[١]. وفي هذا الكتابِ تفصيلات قيمة دونها اليعقوبي واعتنى بها بأسلوب سهل ومميز، وكان هذا الرحالة حريصا على فحص وتمحيص كل ما يكتب، وهذا مما أشار إليه في مقدمة كتابه (البلدان)، فقال: " إني عنيت في عنفوان شبابي، وعند احتيال سني وحدة ذهني، بعلم أخبار البلدان والمسافة بين كل بلد وبلد، لأني سافرت حديث السن، واتصلت أسفاري ودام تغربي"[٢].

وابن رسته أحمد بن عمر، من مشاهير الرحالة والجغرافيين في القرن (٣هـ/٩م)، ألف كتابه الموسوم بـ: **الأعلاق النفيسة**، في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). ويحتوي هذا السفر على تفصيلات كثيرة عن مدن وحواضر في العالم الإسلامي، ونالت مدينة أصفهان نصيبا جيداً، لأن ابن رسته أقام فيها سنوات عديدة، كما أورد تفصيلات اقتصادية واجتماعية جيدة عن مدينة صنعاء[٣]. أما ابن حوقل: فهو أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل النصيبيِ، من أهلِ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، ساح في بلدان العالم الإسلامي شرقا وغربا، وألف كتابه : **(المسالك والممالك أو صورة الأرض)**[٤]. وذكر في مقدمة هذا الكتاب سبب تأليفه، فقالٍ: " وكان مما حضني على تأليفه، وجذبني إلى رسمه، أني لم أزل في حالة الصبوة، شغفا بقراءة كتب المسالك، متطلعا إلى كيفية السالك في السير والحقائق، وتباينهم في المذاهب والطرق، وترعرعت فقرأت الكتب الجليلة المعروفة، والتواليف الشريفة الموصوفة، فلم أقرأ في الممالك كتابا مقنعا، وما رأيت فيها رسما متبعا، فدعاني ذلك إلى تأليف هذا الكتاب، واستنطاقي فيه وجوها من القول والخطاب، وأعانني عليه تواصل السفر، وانزعاجي عن وطني مع ما سبق به القدر، لاستيفاء الرزق والأثر والشهرة لبلوغ الوطر بحبور السلطان، وكلب الزمان، وتواصل الشدائد على أهل المشرق والعدوان"[٥].

ويذكر اليعقوبي أسماء مواضع في نجران وبلاد السراة وبعض ساكنيها فقال: " تبالة وأهلها خثعم، ونجران لبني الحارث بن كعب، كانت منازلهم في الجاهلية، والسراة

---

(١) طبع هذا الكتاب في مطبعة بريل في ليدن عام (١٨٩١م)، دراسة وتحقيق دي خويه، وهو ملحق بكتاب (الأعلاق النفيسة) لأحمد بن عمر بن رسته .

(٢) انظر، كتاب البلدان لليعقوبي، (طبعة ليدن، وتحقيق دي خويه عام (١٨٩١م)، ص ٢٣٢ .

(٣) انظر كتاب ابن رسته. المجلد السابع من كتاب الأعلاق النفيسة (ليدن : بريل، ١٨٩١م)، وهذا الكتاب في مجلد واحد مع كتاب (البلدان) لليعقوبي .

(٤) هذا الكتاب طبع في مطابع بريل في ليدن في الفترة من (١٨٧٠ـ ١٨٧٣م)، واعتنى بدارسته وتحقيقه المستشرق دي خويه، ثم أعيدت طباعة هذا الكتاب عام (١٩٣٨م)، وهي النسخة التي اعتمدنا عليها.

(٥) ابن حوقل، كتاب صورة الارض، (بيروت : دار صادر)، وهي صورة من طبعة بريل في ليدن عام (١٩٣٨هـ)، ص٣.

وأهلها الأزد "[١]، وأشار إلى مواقع أخرى عديدة في الأجزاء الشمالية من اليمن مثل صعدة والسروات الممتدة من نجران إلى الطائف ومكة[٢]. ويدون ابن رستة معلومات قليلة عن الطرق البرية التي تصل إلى الحجاز من داخل الجزيرة العربية وخارجها، ويعدد مخاليف مكة مما يلي نجد والسراة، فذكر جرش، ونجران والطائف، وتربة، وبيشة، وتبالة، وغيرها[٣]. ولا يورد معلومات ذات أهمية عن نجران، إلا أنه أشار إلى بعض المدن والحواضر القريبة منها، مثل: صنعاء، وصعدة، وشبام، وذكر شيئاً من تاريخها الحضاري[٤]. ونجد ابن حوقل كاليعقوبي وغيره من الجغرافيين المسلمين الأوائل يشير إلى مدن عديدة في البلاد الممتدة من صنعاء وصعدة إلى الحجاز ومنها بلاد نجران[٥]، ويذكر مصطلح (بلاد نجران وتهامة)، والصحيح بلاد السراة، فيقول عنها: " جبال مشتبكة، أولها مشرف على بحر القلزم مما يلي غربيها، وشرقيها بناحية صعدة، وجرش، ونجران وشماليها حدود مكة"[٦]. ويؤكد على أن بلاد السراة واليمن تشتمل على قرى ومياه ومزارع معمورة بأهلها، وفيها أصناف عديدة من القبائل والعشائر[٧]، ثم يقول: " ونجران وجرش مدينتان متقاربتان في الكبر، وبها نخيل، وتشتملان على أحياء كثيرة وصعدة أكبر وأعمر منهما، وبها يتخذ ما كان يتخذ بصنعاء من الأدم، ويتخذ بنجران وجرش والطائف أدم كثير غزير، وأكثره من صعدة"[٨]. ويشير هذا الجغرافي إلى الطرق التي تخرج من اليمن إلى الحجاز، لكنه لا يذكر نجران ضمن محطات تلك الطرق[٩].

٣ـ الحسن الهمداني، والإمام القاسم العياني (ق٤.٣هـ / ق٩.١٠م)[١٠].

الحسن بن أحمد الهمداني من مواليد القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) اشتهر ببعض الأسماء أو الألقاب، فيكنى بابن يعقوب، أو ابن الحائك، ويطلق على نفسه (لسان اليمن)[١١]، وبلاد همدان مسقط رأسه، وهو متعصب لبلاده (همدان)، وقد تحدث عنها بشكل مفصل في الجزء العاشر من كتابه

---

(١) انظر اليعقوبي، البلدان، ص ٣١٦، ٣١٨ـ٣٢٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) جميع هذه البلدان تستحق أن تدرس في كتب أو بحوث مطولة منذ عصور ما قبل الإسلام حتى عصرنا الحديث.

(٤) انظر: ابن رستة، الأعلاق النفيسة، ص ١٠٩ـ ١١٥، ١٨٤.

(٥) انظر ابن حوقل، كتاب صورة الأرض (طبعة ١٩٣٨م). ص ٢٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٧) ما ذكره ابن حوقل هو الحقيقة فالبلاد السروية من اليمن إلى الحجاز مأهولة بالسكان، وغنية بالأراضي الزراعية، والتضاريس المتنوعة.

(٨) ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، ص٣٦.

(٩) المصدر نفسه، ص ١٩٣.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(١١) للمزيد من التفصيلات عن هذا الجغرافي والرحالة انظر: غيثان بن جريس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني. مجلة الدارة، العدد (٣)، السنة (١٩) (ربيع الآخر والجمادان ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص٧٦ـ١١١.

(الإكليل) [(١)]. عمل في مهنة الجمالة ونقل الحجاج والتجارات ما بين اليمن والحجاز، وزار عدداً من حواضر العالم الإسلامي، وقابل العديد من العلماء والأدباء، والشعراء، وبرع في فنون وعلوم عديدة، وأثنى على علمه الكثير من علماء أهل عصره [(٢)]. ومن مؤلفاته غير الإكليل :كتاب: **صفة جزيرة العرب**، وكتاب **الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء، وكتاب الدامغة**. وجميع هذه الكتب تشتمل على معلومات وتحليلات جيدة لا نجدها في أي مصدر آخر [(٣)].

أما الإمام القاسم العياني، فهو من سلالة الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وأحد أئمة الزيدية المشاهير [(٤)]. ولد في بلدة تبالة من أرض خثعم في سروات منطقة عسير عام (٣١٠هـ/٩٢٢م)، وعاش معظم حياته في مسقط رأسه، قام برحلات عديدةٍ إلى الحجاز واليمن، وفي آخر حياته ترك بلاد تبالة وذهب إلى بلاد اليمن، وصار إماماً وحاكماً للدولة الزيدية لمدة خمس سنوات (٣٨٨ـ ٣٩٣هـ/ ٩٩٨ـ ١٠٠٢م)، مارس فيها السياسية، وقابل الكثير من الاضطرابات، وكانت بلاد نجران وصنعاء من أكثر البلدان التي ظهر فيها أعداء مناوئون لحكمه، وقد جرد ضدهم حملات عسكرية عديدة [(٥)].

ويذكر الهمداني شيئاً من تركيبة نجران وما حولها، الجغرافية والبشرية، فيقول : " طولها من المشرق مائة وسبع عشرة درجة، وخمسة أسداس درجة، يطلع عليها الشمس قبل مطلعها على صعدة " [(٦)]. ويذكر أن فروع ووادي نجران من ثلاثة مواضع : من بلاد بني حيف من وادعة، ومن بلاد بني جماعة من خولان، ومن بلاد شاكر [(٧)]. ويشير إلى أودية أخرى في أرض نجران مثل وادي حبونن، وأودية أخرى تتصل ببلاد وادعة ويام وغيرها من القبائل في اليمن وبلاد قحطان [(٨)]. ويقول : " اليام وطن بنجران نصف ما مع همدان منها، ثم بلدهم يطرد عليها ناحية الحجاز إلى حدود زبيد ونهد " [(٩)]، ونعلم أن قبائل يام

(١) كتاب الإكليل، من أهم كتب الهمداني، يقع في عشرة أجزاء، ولم يصلنا إلا أربعة هي (الأجزاء الأول، والثاني، والثامن، والعاشر).

(٢) انظر: مقدمة حمد الجاسر في كتاب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوع (الرياض: منشورات دار اليمامة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص ١٨ .

(٣) كل كتاب من هذه الكتب يستحق أن يدرس في عدد من الكتب والبحوث والرسائل . للمزيد انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران) (الرياض: مطابع الحميضي ،١٤٣٢ـ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٠ـ٢٠١١م)، ج٣، ص ٣٢٦ـ ٣٢٧.

(٤) انظر: الحسين بن أحمد بن يعقوب . سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني . تحقيق عبدالله محمد الحبشي(صنعاء: دار الحكمة ،اليمانية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ص ٢٥ وما بعدها، انظر: أيضاً، مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم العياني، (٣١٠ـ٣٩٣هـ). تحقيق عبدالكريم أحمد جدبان (صعدة : مكتبة التراث الإسلامي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م). (٤٤٥صفحة).

(٥) المصادر نفسها .

(٦) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٥٣ .

(٧) المصدر نفسه، ص ١٦٣، وللمزيد عن تاريخ وجغرافية وحضارة بلاد نجران، انظر غيثان بن جريس . نجران دراسة تاريخية (ق١ـ ٤هـ/ق٧ـ١٠م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الطبعة الثانية) (الجزء الأول)، ص٢٣ وما بعدها .

(٨) الهمداني، صفة، ص ١٦٦، ٢٥٠ .

(٩) المصدر نفسه، ص ٢٥١ .

هي صاحبة النفوذ الأوسع والأكبر في بلاد نجران ويجاورها ويخالطها قبائل أخرى في منطقة نجران وما جاورها من البلاد الممتدة من نجران إلى منطقة عسير في الشمال. ويذكر الهمداني موارد بني الحارث بن كعب في منطقة نجران فيقول: " أعداد مياه بلحارث ممايلي الهجيرة، حمى ماء بأطراف جبال غاذ بين مريع والغائط ومريع وتباله وقد ينقطع، وقلت يقال له يدمات... وخطمة بئر بالرمل دون العارض احتفرها عبدالله بن الربيع المداني في عصر أبي العباس السفاح، والبراق ماء بأعلى وادي ثار، والزيادية بحبونن، والحصينية أسفل منها على شط الوادي ... والربيعية بأسفل نجران"[١]. ومعظم هذه الأمكنة مازالت معروفة بأسمائها في منطقة نجران حتى اليوم . والزيادية، والربيعية وغيرها من مواقع تنسب لأصحابها من أسرة آل عبدالمدان ذات التاريخ والصيت الذائع في بلاد نجران منذ عصور ما قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة[٢]. ونجد هذا الرحالة اليمني يذكر مواطن صغيرة وكبيرة في وادي نجران وقريبة منه، لكنه لا يفصل الحديث عن سكانها وحياتهم العامة والخاصة [٣].

ولا نجد تفصيلات واضحة عن الحياة الاجتماعية في نجران، وإن كان أشار إلى بعض القرى، والعشائر، وبعض الأعراف والعادات والأطعمة والأشربة والألبسة في نواحي من بلاد اليمن والسراة[٤]. وذكر بعض الحبوب والزراعات في نجران، فقال: " وباليمن من غرائب الحبوب، ثم من البر العربي الذي ليس بحنطة ... والميساني والسول والهلباء [٥]. لا يكون إلا بنجران "[٦]. وأشاد هذا الرحالة اليمني بالعديد من ثمار وزروع نجران، مثل تمر القسب، والذرة، والأترج[٧]، ويمدح بعض أنواع التمور نقلاً عن والده فيقول: " قال لي أبي (رحمه الله تعالى) قد دخلت الكوفة وبغداد والبصرة وعمان ومصر ومكة، وأكثر بلاد النخيل وطعمت التمران ما رأيت مثل مدبس نجران جودة وعظم تمره، خاصة تملأ الكف التمرة "[٨]. ويذكر الطرق التي تربط بين نجران واليمامة[٩]، وطريق الحج بين حضرموت والحجاز عبر نجران وغيرها من المحطات[١٠]، لكنه لا يفصل الحديث عن أهمية نجران كونها إحدى محطات الحج والتجارة، مع أن أرض نجران ذات ثراء

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٤ .

(٢) للمزيد من التفصيلات عن تاريخ نجران السياسي والحضاري منذ عصور ما قبل الإسلام ، وخلال القرون الإسلامية الأولى، انظر غيثان بن جريس، نجران (ق١ـ ق٤هـ/ق٧ـ ق١٠م)، ج١، (٥٦٠صفحة) .

(٣) الهمداني، صفة، ص ٩٩، ١٦٢، ١٦٦، ١٦٧، ٣١٨ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٥١ وما بعدها .

(٥) هذه المصطلحات من أسماء حبوب الحنطة في بلاد نجران ونجران وتهامة والسراة . وتاريخ الزراعة في هذه البلاد عبر أطوار التاريخ الإسلامي من الموضوعات الجديرة بالدراسة .

(٦) الهمداني، صفة ، ص ٣٥٨ .

(٧) الهمداني، صفة، ص ٣٦٠ .

(٨) المصدر نفسه، ص ٣٦١ .

(٩) المصدر نفسه، ص ٣١٢ـ٣١٣ .

(١٠) المصدر نفسه، ص ٣٤٢ .

اقتصـادي وحضـاري، لما يوجد في أرضـها مـن ثروات طبيعيـة، وكذلك لأهميـة موقعها الجغرافي[١]. وذكر بعض المعادن في الجزيرة العربية، ومنها معدني الرضراض، وسابقة، وهمـا من المعادن القديمة[٢]، ويقعان في محيط منطقـة نجران أو قريباً منها، وكانت من أغـزر المعـادن انتاجاً زمن الهمـداني ،واليوم اندثرت، ولم يبـق إلا آثارها [٣]. ويذكر هذا الرحالـة الجانب اللغـوي واللهجي عند النجرانيين، وعموم بلاد السـروات حتى الطائف، ويقارنهـا بالحيـاة العلمية واللغوية عند سـكان اليمن ونجران وتهامـة، وأكد على أن أهل البلاد الممتدة من نجران إلى الطائف أكثر وأجود بلاغة وفصـاحة، فقال : " الفصـاحة من العرض في وادعة فجنب فيام فزبيد فبني الحارث فيما اتصل ببلاد شاكر من نجران إلى أرض يام فأرض سنحان فأرض نهد وبني أسامة فعنز وخثعم فهلال بن ربيعة فسراة الحجر فدوس فغامد فشـكر ففهم فثقيف فبجيلة فبنو علي غير أن أسـافل سـروات هذه القبائل ما بين سراة خولان والطائف دون أعاليها في الفصاحة" [٤].

أما الإمام القاسـم العياني، فإن كان ولد وعاش معظم حياته في بلاد السـروات، وله الكثير من الأقوال والمدونات[٥]، إلا أنه لم يذكر نجران ويدون شيئاً من تاريخها إلا بعد أن أصبح إماماً في اليمن من عام (٣٨٨ – ٣٩٣هـ/٩٩٨ – ١٠٠٢م) [٦]. والواضـح أن الإمام العياني كان في حرب دائمة مع أهل نجران بهدف السيطرة على بلادهم، وقد نجح لبعض الوقت، لكنه لم يسـتطع الاسـتمرار في حكمها، لتعدد الثورات ضده، والاشتباكات المتتالية مع رجاله وجيشه . وهنـاك الكثير من الأشعار والنصوص النثرية التي دونت عن تلك الفتن والاضطرابات بين النجرانيين وأهل صعدة وما حولها في عصر الإمام القاسم العياني[٧]. كما يوجد العديد من الرسـائل المطولة التي أرسلها الإمام إلى أهل نجران وهي تجمع بين الترغيب والترهيب، وكلها تدور حول رغبة الإمام العياني ورجاله في السيطرة التامة على

---

(١) انظر : غيثان بن جريس، نجران، ج١، ص ٢٢ وما بعدها، المؤلف نفسـه، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٣، ص ١٨١ـ٣٩٢ .

(٢) الهمداني، صفة، ص ١٥١، ١٥٢، ٢٤٠، ٤٣١، للمؤلف نفسه، كتاب الجوهرتين، مراجعة حمد الجاسر، ص ٣٦١ـ٣٦٢ .

(٣) انظر مزيداً من التفصيلات عن هذين المعدنين في دراسة حمد الجاسر " المعادن القديمة في جزيرة العرب" والمنشورة في نهاية كتاب الهمداني (الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء) (الرياض: المطبعة الأهلية للأوفست، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ، ص ٣٥٨ـ ٣٦١ .

(٤) الهمداني، صفة، ص٢٧٩ . هذه البلاد التي ذكرها الهمداني، هي أرض السروات الممتدة من صعدة ونجران إلى الطائف. وهي بلاد مأهولة بالسكان، وأرض استيطان منذ قديم الزمان، كما أنها أكثر بلدان جزيرة العرب وضوحاً في لغتها وأنسابها، وربما صعوبة تضاريسها وعزلتها الجغرافية أزمنة عديدة جعلتها تحوز هذه الصفات .

(٥) للمزيد انظر الحسين بن أحمد، سيرة الإمام المنصور بالله، ص ٢٣ وما بعدها، مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم العياني، ص ٢٦ وما بعدها.

(٦) المصـادر نفسـها . للمزيد انظر غيثان بن جريس " رسـائل الإمام القاسـم بن علي العياني إلى أهل عثر ونجران في أواخر القرن (١٤هـ/٢٠م) (٣٨٨ـ٣٩٣هـ/٩٩٨ـ١٠٠٢م) (دراسـة تاريخية " بحث منشـور في مداولات اللقاء العلمي السـنوي السـابع لجمعيـة التاريخ والآثـار بدول مجلس التعـاون لدول الخليـج العربي، البحريـن، المنامة (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ، ص١٥٧ـ٢٥٠ .

(٧) حبذا أن نرى باحثاً جاداً يقوم بدراسـة الأشـعار والرسائل التي كتبت حول الصراع بين الدولة الإمامية الزيدية في صعدة وبين النجرانيين خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة .

أرض نجران، لكن ذلك لم يحدث لعدم التوافق في الفكر العقدي، وأيضاً رغبة النجرانيين في الاستقلال بأنفسهم، وعدم رضوخهم لأي قوة أو سلطة خارجية[١].

٤. أبو علي الهجري، كتاب أنباء الزمن، والمقدسي (ق٣. ٤هـ/ق٩. ١٠م):

هارون بن زكريا، يعرف بأبي علي الهجري، وهو من بلاد هجر في أرض البحرين، عاش خلال القرنين (٣. ٤هـ/٩. ١٠م)، وكان عالماً بالأنساب، والأدب والفقه والشعر، له الكثير من المؤلفات، ضاع معظمها، وبعضها مازال مدوناً في بعض كتب التراث الإسلامي المبكرة. ومن أهم كتبه: التعليقات والنوادر، كان متناثراً في عدد من المصادر المطبوعة والمخطوطة، وقام حمد الجاسر بجمعها وتحقيقها ونشرها في أربعة مجلدات[٢]. وكتاب أنباء الزمن في أخبار اليمن من سنة (٢٨٠إلى سنة ٣٢٢هـ) لمؤلفه يحيى بن الحسين بن القاسم[٣]. صححه ووضع حواشيه وقدم له، محمد عبدالله ماضي. والكتاب صغير الحجم يقع في (٨٠) صفحة، ومنشور في مكتبة الثقافة الدينية في اليمن، وجل مادته العلمية تدرس تاريخ الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين[٤]. ومن جاء بعده وحكم مرتفعات اليمن، صنعاء وصعدة وما حولها، حتى عام (٣٢٢هـ/٩٣٣م)[٥].

والمقدسي يعرف بالبشاري، وهو أبو عبدالله بن أبي بكر، ولد في القدس، ولهذا عرف بالمقدسي، رحالة زار بلدان عديدة في العالم الإسلامي، ثم جمع رحلاته في كتاب سماه: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، وقد دون هذا الكتاب في الثلث الأخير من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، وكان عمره آنذاك حوالي أربعين عاماً[٦].

دون ابو علي الهجري صفحة ونصف لها علاقة ببلاد نجران ومعظم ما سجله أشعار يذكر فيها نجران، ، ومما حفظه شعر للمجنون صاحب ليلي، قال فيه:

---

(١) المصادر والمراجع نفسها، للمزيد انظر غيثان بن جريس. دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١. ق١٠هـ/ق٧. ١٦م). (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣١. ١٤٣٢هـ/٢٠١٠. ٢٠١١م)، ج٢، ص ٤٧١. ٥٣٤.

(٢) انظر: كتاب التعليقات والنوادر عن أبي علي هارون بن زكريا الهجري، دراسات ومختارات، ترتيب وإعداد حمد الجاسر (الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م). للمزيد انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٩، ص ١٤١. ١٤٤. ج١٣، ص ٢٥.

(٣) مؤلف كتاب: أنباء الزمن في أخبار اليمن، هو يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي، ولد عام (١٠٣٥هـ/١٦٢٥م)، وتوفي سنة (١١٨٠هـ/١٦٦٩م)، وقيل عام (١١٠٠هـ/١٦٨٩م)، له مؤلفات كثيرة، وأهمها كتاب (أنباء الزمن في أخبار اليمن)، ولم نطلع على هذا الكتاب حتى الآن، ومازال مخطوطاً، وهو موسوعة تاريخية ضخمة تفصل الحديث عن تاريخ اليمن خلال العصور الإسلامية الوسيطة، وهذا الكتيب المذكور أعلاه مستل من مخطوطة الكتاب الرئيسي (أنباء الزمان في أخبار اليمن) وتفصيلاته شملت فقط اثنين وأربعين عاماً (٢٨٠-٣٢٢هـ / ٨٩٣ - ٩٣٣م)

(٤) للمزيد عن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، انظر القاضي عبدالله الجرافي اليمني. المقتطف من تاريخ اليمن (بيروت: منشورات العصر الحديث، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

(٥) يوجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الباحث.

(٦) قام دي خويه بدراسة هذا الكتاب وتحقيقه ونشره في مطبعة بريل في ليدن عام (١٨٧٦م). للمزيد انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٩، ص ١٤٩. ١٥٠. ج١٣، ص ٢٩.

ولـــو أن لـيـلـى في ذُرى متمنع بنجـران لالتفت علـيّ قصـورها[١].

ولمزاحم العقيلي من قصيدة طويلة :

تُـرِيـك ذِرَاعـــي بـكـرة حارثـيـة بنجران، صينت أخلصتها المعاكفُ[٢]

ويقول تميم بن أبي مقبل يهجو النجاشي في نجران:

أقـــرت بـه نجـــرانُ ثـم حَـبَـوْنَـن فتثليث فـالأرصـانُ[٣] فـالـقَـرظَـانِ [٤]

وأنشد شاعر لم يذكر اسمه :

فـقـولا لَـهـا مـا شِـئـتُـما وامـزَحَـا بـهـا كـأني مَـيْـتٌ أو بِـنَـجْـران غَـائـبُ[٥]

وقال زهير بن أحمد الحمالي العقيلي :

يمـان عـلـى نجـــران أول صـوبه وأيـسـره يسقـى بـجـود سـمـرقـنـدا
إذا مـا علت أسـبـالـه وضـح الحمى إلى ثـهـمـد أرســى بـهـا وتـزيّـدا[٦]

ولبعض لصوص قشير:

خـلـيـلـي ســيـرا ســيـرة وتـعـلـمـا تـنـاهـي نجـران وأعـلامـهـا الـغُـبْرَا[٧]

ومن قصيدة للعائذي بن عقيل :

فـقـالـوا إلى خــولان ثـم محـلـنـا يمـانـون مـن نجـران مجـرى الجنايب
لـعـمـري مـا نجـران مـن أهـل حـايـل ولا سـاكـن الـعـمـقـين بـالمـتـقـارب[٨]

وجميع مادة كتاب (أنباء الزمن في أخبار اليمن) تدور حول التاريخ السياسي لليمن الأعلى لمدة (٤٢) عاماً (٢٨٠-٣٢٢هـ/٨٩٣-٩٣٣م)، ولا تخلو من شذرات تتعلق بتاريخ نجران وصلاتها مع أئمة اليمن[٩] . فيذكر أنه في عام (٢٨٤هـ/٨٩٧م) سار الهادي إلى الحق إلى نجران ومعه مجموعة كبيرة من خولان وغيرهم فلقيه أهل وادعة، وشاكر، ويام، وكانوا مستبشرين بقدومه، وذلك لما جرى بينهم وبين بني الحارث على أرض

---

(١) أبو علي الهجري، التعليقات والنوادر، القسم الثالث، ص ١٦١٢ .
(٢) المصدر نفسه، ص ١٦١٢ .
(٣) الأرصان : مجتمع ملتقى الواديين .
(٤) أبو علي الهجري، التعليقات والنوادر، القسم الثالث، ص ١٦١٣.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٦١٣ .
(٦) المصدر نفسه، ص ١٦١٣ .
(٧) المصدر نفسه، ص ١٦١٣ .
(٨) المصدر نفسه، ص ١٦١٣ .
(٩) انظر كتاب : أنباء الزمان في أخبار اليمن، ص ٧-٧١.

نجران من حروب وصراعات [(١)]، وعند لقائه ببني الحارث أصلح بينهم وبين أعدائهم، وأخذ عليهم المواثيق بالاتفاق وترك الحروب والصراع، وتبايع القوم على ذلك[(٢)]، وبقي في نجران بعض الوقت، ووضع عهداً لأهل الذمة من نصارى نجران وغيرهم فيما شروه من المسلمين التسع[(٣)]، وما شروه من الجاهلية فلا عليهم فيه شيء، وقررهم على الجزية في نجران [(٤)]. وفي عام (٢٨٦هـ/٨٩٩م) ثار أهل نجران ضد الهادي ورجاله الموجودين على أرض نجران، فأرسل إليهم من يحاربهم، ثم سار على رأس جيش كبير إلى نجران فقاتلهم وهزمهم ونكل بهم [(٥)]. وفي عام (٢٩٥هـ/٩٠٧م) هم بنو الحارث في نجران[(٦)]، بقتل عبيد الله عامل الهادي على بلادهم[(٧)]، فخرج إليهم الإمام الهادي فقاتلهم ونهب أموالهم، ودمر منازلهم [(٨)]، وفي عام (٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) ثار بنو الحارث على أتباع الإمام الهادي، وقصدوا دار عامل الإمام فدخلوها وقتلوا جميع من فيها[(٩)].

ويشير المقدسي إلى جزيرة العرب وطبيعتها الجغرافية، ويسمى البلاد الممتدة من صنعاء إلى صعدة ونجران وجرش (نجد اليمن)، ويؤكد أن هذه البلاد، وأيضاً السروات الممتدة إلى الطائف عامرة بالمياه والزروع والأعناب [(١٠)]، ويشير إلى التجارات وأنواعها في اليمن والحجاز والسروات، ويذكر بعض السلع، والعملات المستخدمة، والتعاملات التجارية الأخرى[(١١)]. وأشار إلى بعض طرق الحج والتجارة التي تتصل بمكة وغيرها من البلدان، ومنها طريق الحجاز اليمن الجبلي، لكنه لم يشر إلى بلاد نجران على تلك الطريق[(١٢)]. ويقسم بلاد اليمن إلى قسمين. ما هو تهامي ساحلي نحو البحر ويعدد الكثير من مدن وحواضر تلك البلاد. وما كان ناحية الجبال، فهي باردة، وتسمى نجداً، قصبتها صنعاء،

---

(١) الدارس للمصادر اليمانية يجد معلومات كثيرة تفصل الحديث عن الحروب بين القبائل في صعدة وصنعاء ونجران. كما أن قبائل السروات من نجران إلى الطائف كانت هي الأخرى في صراعات وحروب دائمة.

(٢) أنباء الزمان في أخبار اليمن، ص ١٠-١١.

(٣) للمزيد عن تاريخ أهل الذمة ونصارى نجران خلال القرون الإسلامية الأولى، انظر تفصيلات أكثر عن غيثان بن جريس. نجران (ق١-ق٤هـ)، ج١، ص ٨١، ٢٢٨، ٤٧٩-٤٨٨، ٤٩٥-٥٠٠.

(٤) أنباء الزمان في أخبار اليمن، ص ١١.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٩. وتاريخ الأئمة الزيدية الأوائل مع أهل نجران، وما جرى بينهم من صراعات موضوع جديد لم يدرس ويستحق أن يدرس في كتاب أو رسالة علمية.

(٦) قبيلة بني الحارث بن كعب من القبائل العربية القوية التي حكمت نجران قرون عديدة منذ قبل الإسلام وخلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط. وظهر في هذه القبيلة أعلام كثيرون برعوا في السياسة والحرب، وفي الأدب والشعر واللغة. وتستحق أن يفرد لها دراسات عديدة.

(٧) الصلات السياسية والحضارية بين الدولة الزيدية في صعدة منذ عهد الهادي إلى الحق حتى القرن الرابع الهجري من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس وتستحق البحث والدراسة في بحوث علمية عديدة.

(٨) انظر: أنباء الزمان في أخبار اليمن، ص ٥٠.

(٩) المصدر نفسه، ص٥٠.

(١٠) المقدسي، أحسن التقاسيم (تحقيق دي خويه، ١٨٧٦م)، ص٩٤.

(١١) المصدر نفسه، ص ٩٧-٩٩.

(١٢) المصدر نفسه، ص ١٠٦.

ومن مدنها صعدة، ونجران، وجُرش[(١)] . وهذا الرحالة غير دقيق في هذه المعلومات فهذه المدن ليست من نجد، وربما الأجزاء الشرقية من نجران تدخل ضمن الأوطان النجدية، أما جرش فهي من بلاد السراة الممتدة من شمال نجران حتى الطائف[(٢)] . وفي مواطن أخرى يذكر المقدسي مخاليف اليمن ويشير إلى بلاد يام، ووادعة، وشاكر، ونجران، وجرش، والسراة . ويؤكد على وجود أنواع الحبوب، والثمار، والنخيل في أرضها[(٣)] .

٥ـ الأميران الشريفان القاسم ومحمد، وأبو عبدالله البكري، والإمام أحمد بن سليمان، والإمام عبدالله بن حمزة (ق٥ـ٧هـ/ق١١ـ١٣م) .

هذان الأميران أبناء جعفر بن الإمام القاسم العياني، حكما اليمن الأعلى بعد موت عمهما الحسين ثم أبيهما عام (٤٠٥هـ/١٠١٤م)، وبذلا جهوداً طيبة في إدارة بلادهما[(٤)]، وفي عام (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) ظهر علي الصليحي[(٥)]، وسيطر على معظم مرتفعات اليمن، وأجبر هذين الشريفين على الخروج من بلادهما، فذهبا إلى مسقط رأس جدهما الإمام القاسم العياني في وادي ترج أعالي أرض بيشة، وبقيا هناك حوالي عقد من الزمان (٤٥١ – ٤٥٩هـ/١٠٩٥ – ١٠٦٦م)، ثم عادا بعد ذلك لمواصلة حربهما ضد الصليحيين[(٦)]. وقد كلف الأمير جعفر بن محمد بن جعفر بن القاسم العياني أحد الرجال المقربين من أبيه جعفر وعمه الحسين، ويدعى مفرح بن أحمد الربعي، بكتابة سيرة عمه ووالده[(٧)]، فقام بهذا العمل، وصدر في كتاب تحت عنوان : **سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين : القاسم ومحمد ابني جعفر ابن الإمام القاسم بن علي العياني**[(٨)] . ومادة الكتاب تؤرخ لحياة الأميرين الشريفين في اليمن، وهناك بضع صفحاتٍ تذكر رحلتهما من اليمن عبر بلاد نجران وعسير حتى وصلوا وادي ترج[(٩)] . ولا نجد ذكراً كثيراً لبلاد نجران

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٩ .

(٢) نعم السروات تشمل بلاد وادعة، وقحطان، وأجزاء من شهران وقبائل عسير الرئيسية، وبلاد رجال الحجر، ثم القبائل العربية الواقعة إلى الشمال من مدينة النماص إلى الطائف. وهذه البلاد جديرة بالبحث والدراسة العميقة، وآمل أن أقوم برحلة في ربوعها، وأسجل شيئاً من تاريخها وحضارتها القديمة والحديثة .

(٣) انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٦، ٨٧، ٨٨ .

(٤) للمزيد عن هذين الأميرين انظر مفرح بن أحمد الربعي . سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين (نص تاريخي يمني من القرن الخامس الهجري). تحقيق ودراسة رضوان السيد، وعبد الغني محمود عبد العاطي (بيروت : دار المنتخب العربي) ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) (٤٠٠ صفحة) .

(٥) للمزيد عن تاريخ علي بن محمد الصليحي، انظر الجرافي اليمني، المقتطف في تاريخ اليمن، ص ١١٧ـ ١٢٢ .

(٦) انظر: غيثان بن جريس " بلاد السراة في كتاب: سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام القاسم العياني (٤٥١ـ٤٥٩هـ/١٠٥٩ـ١٠٦٦م) (دراسة تاريخية تحليلية) " بحث منشور في الكتاب السادس من دراسات تاريخ الجزيرة العربية .(١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص ١٢٩ـ١٥٦. للمؤلف نفسه، دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١ـق١٠هـ)، ج٢، ص ٤٧١ـ ٥٣٤ .

(٧) غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٣، ص ٣٣٢ـ٣٣٣.

(٨) من منشورات دار المنتخب العربي في بيروت عام (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) .

(٩) المصدر نفسه، ص ٧٣ وما بعدها، انظر ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٣، ص ٣٣٢ـ ٣٣٤، المؤلف نفسه، دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ج٢، ص ٤٧١ وما بعدهما .

في هذه السيرة، اللهم إلا نبذة مختصرة تشير إلى أجزاء من أرض نجران أثناء سفرهما من اليمن إلى بلاد بيشة، ويقول كاتب السيرة بعد خروجهم من اليمن إلى منطقة بدر في نجران "فلما صرنا إلى بدر لقونا ورحبوا بنا واقتسمونا[١] ... فلما كان على جزء من الليل نهضنا سائرين حتى صرنا إلى قرية تسمي أنافيه[٢]، فسألهم الشريف[٣] الصحابة إلى الخطاب بن يعيش الجماعي[٤]، ففعلوا حتى أوصلونا إلى جانب بلاده ولقيونا إلى جانب منها فرحب وقرب، وعرض على الشريف الإقامة في بلده، فكره ذلك الشريف وعزم على المصير إلى ترج من بلاد خثعم "[٥]. ومن هذه النصوص يتضح أن هناك طرقاً مسلوكة بين نجران وبلاد اليمن الشمالية، ثم إن بعض هذه الدروب تتجه شمالاً إلى بلاد قحطان وشهران وما جاورها . ولا نجد في هذه السيرة ذكر حياة الناس في منطقة بدر وما حولها من أرض نجران، إلا أنها مستوطنة ببعض السكان المحليين، الذين لا يتأخرون في الترحيب بالضيف والقيام بواجبه، كما فعلوا مع الشريفين ورفاقهما .

والبكري، أبو عبدالله بن عبدالعزيز، أندلسي عاش في القرن (٥هـ/١١م)، وهو من أسرة ذات مستوى اجتماعي وإداري رفيع، اهتم بالقراءة والعلم منذ سن مبكرة، وتفوق في علوم ومعارف عديدة، ومن أهم كتبه في علم الجغرافيا : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع[٦]. ذكر قرى وأمكنة عديدة تقع في محيط نجران أو قريباً منه[٧]. ويعرف نجران، فيذكر أنها مدينة بالحجاز من شق اليمن، ثم يقول "أطيب البلاد : نجران من الحجاز" [٨]. وهذا التعريف غير دقيق لأن نجران تبعد عن قلب الحجاز نحو الجنوب مئات الكيلومترات . ويذكر عن الأصمعي قوله " نجران الحقول"[٩]. ويضيف "إذا بلغت نجران وجرش بلغت الزرع"[١٠]، ثم يختم حديثه بأن نجران وجرش أول حدود اليمن"[١١]. وما من شك أن جرش ونجران، أرض الحقول والمزارع المتنوعة، وتقع إلى الشمال من حاضرتي صنعاء وصعدة اليمنيتين[١٢]. ويذكر دير نجران، والمعروف باسم "

---

(١) اقتسمونا : أي وزعونا على البيوت وقت النوم والراحة .

(٢) أنافية : لا نعلم أين يقع هذا المكان، لكن ما من شك أنه في بلاد نجران أو قريب منها .

(٣) يقصد بالشريف : أي الأمير الشريف القاسم بن جعفر بن الإمام العياني .

(٤) الجماعي : نسبة إلى بني جماعة من قبائل خولان بن عامر .

(٥) مفرح بن أحمد الربعي، سيرة الأميرين، ١٢٠-١٢١ .

(٦) يقع هذا الكتاب في أربعة أجزاء في مجلدين، قام بدراسته وتحقيقه مصطفى السقا، وطبع في بيروت عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .

(٧) المصدر نفسه، مج١، ج٨، ص ١٢١، ٣٠٥، ٣٠٨، ج٢، ص ٤٢١ . مج٢، ج٣، ص ٧٣٢، ٧٤٠، ج٤، ١١٤٠، ١١٥٢ .

(٨) انظر البكري، مج٢، ج٤، ص ١٢٩٨-١٢٩٩ .

(٩) المصدر نفسه، مج٢، ج٤، ص ١١٢٩.

(١٠) المصدر نفسه .

(١١) المصدر نفسه .

(١٢) البكري، معجم ما استعجم، مج١، ج٢، ص ٦٠٣ .

كعبة نجران"، وسدنتها آل عبد المدانِ بن العريان، سادة بني الحارث بن كعبٍ[١]. ويصف بناء هذه الكعبة، فيذكر أنه كان مربعاً مستوي الأضلاع والأقطار، مرتفعاً عن الأرض، يصعد إليه بدرجة، ويحج إليه طوائف من العرب[٢]. كما أشار إلى موضع رعاش، وهو من مواطن نصارى نجران[٣]، وقد كتب لهم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: " من عمر أمير المؤمنين، إلى أهل رعاش كلهم. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإنكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم، وإنه من يتب منكم ويصلح لا يضره ارتداده، ومن أبى إلا النصرانية، فإن ذمتي منه برية، ممن وجدنا عشراً تبقى من شهر الصوم بنجران"[٤].

والإمام أحمد بن سليمان بن محمد، من سلالة الهادي إلى الحق بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب. من أهل القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، ولد في صعدة عام (٥٠٠هـ/١١٠٦م)، وحكم اليمن أكثر من ثلاثة عقود (٥٣٢-٥٦٦هـ/١١٣٧-١١٧٠م)، وامتد نفوذه إلى صنعاء ونجران وزبيد في تهامة. كان شاعراً وأديباً، وله مؤلفات عديدة في علوم اللغة والشريعة. كتبت سيرة هذا الإمام تحت عنوان: **سيرة الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان**، لكاتبها سليمان بن يحيى الثقفي، ودرست وحققت ونشرت عام (١٤٢١هـ/٢٠٠٢م)[٥]. ويوجد في هذه السيرة تفصيلات تاريخية عن اليمن خلال حكم هذا الإمام، كما يوجد فيها معلومات كثيرة ومتفرقة عن صلات اليمن ببلاد نجران. ونجمل أهمية هذه المعلومات في النقاط التالية:

١- كان مقر هذا الإمام (أحمد بن سليمان) في صعدة، لكنه على اتصال دائم بأهل نجران ومن حولهم من بلاد وادعة وسروات قحطان[٦]، وكان يسعى، مثل الأئمة الزيدية الذين سبقوه إلى مد نفوذه على الأوطان النجرانية وما حولها من بلاد السروات[٧]،

---

(١) يذكر البكري تفصيلات كثيرة عن هذه الكعبة وتعديلها من قبل بني الحارث بن كعب. معجم ما استعجم، مج١، ج٢، ص ٦٠٣.

(٢) المصدر نفسه، مج١، ج٢، ص ٦٦٠.

(٣) المصدر نفسه، مج١، ج٢، ص ٦٦٠.

(٤) للمزيد انظر: الجرافي اليمني، المقتطف، ص ١٧٨-١٧٩، غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٣، ص ٣٣٥. انظر أيضاً عبدالواسع الواسعي. تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والأحزان في حوادث وتاريخ اليمن. (صنعاء: الدار اليمنية للنشر، ١٤١٤هـ/١٩٨٤م)، ص ١٧٨ وما بعدها.

(٥) كانت هذه السيرة مخطوطة في جامع صنعاء الكبير، وقام بدراستها وتحقيقها الدكتور/ عبد الغني محمود عبد العاطي، ونشرتها دار عين للدراسات والبحوث في القاهرة عام (٢٠٠٢م)، تقع في (٣٤٧) صفحة من القطع المتوسط.

(٦) للأسف عندما نبحث عن تاريخ وحضارة بلاد وادعة وقحطان خلال القرون الإسلامية المبكرة، والوسيطة، والحديثة، فإننا لا نجد عنها شيئاً محفوظاً أو مدوناً، مع أنها بلاد مأهولة بالسكان منذ آلاف السنين قبل الإسلام، وعبر أطوار التاريخ الإسلامي، والسائح في هذه البلاد. يتبين له عراقة هذه الأوطان من خلال حصونها وقلاعها، وآبارها ومزارعها، وأعرافها وعاداتها ولهجات أهلها وغير ذلك من الشواهد التي مازالت ملموسة وواضحة

(٧) للمزيد عن تاريخ الإمام أحمد بن سليمان وصلاته مع النجرانيين ومن حولهم، انظر سيرته، ص ٣٢، ٣٩-٤٤، ٥٧-٦٦، ٨١-٨٨، ٩٠، ٩٥، ٩٦، ١٠٣، ١٠٧، ١٢٦، ١٣٠-١٣٢، ١٨٥، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢٦٣، ٢٧٧، ٣٠٤.

واستطاع أحياناً الإقامة والسيطرة على بعض الأمكنة، لكن أهل البلاد كانوا في حرب مستمرة معه، وهم دائماً في كر وفر. ولا تخلو ديار نجران من مؤيدين ومتعاونين مع الإمام، فهم يطلبون منه القدوم إلى أوطانهم، إلا أن قبيلة بني الحارث بن كعب كانت واقفة بالمرصاد لدحر الدولة الزيدية التي كان معظم أئمتها يبذلون قصارى جهودهم في السيطرة على نجران [١].

٢ـ الدارس لتاريخ نجران خلال القرون الإسلامية الوسيطة (ق٣ـ١١هـ/ق٩ـ١٧م) لا يجد تاريخاً واضحاً لنجران وأهلها، وما تحتوي عليه سيرة أحمد بن سليمان من معلومات تعد فائدة عظيمة أن نعرف شذرات من التاريخ السياسي والحضاري للبلاد النجرانية، التي عرفت العديد من الأديان، والأمم، والأحداث التاريخية. وإذا كانت جل المادة المحفوظة في هذه السيرة تركز على الحروب والحراك السياسي والعسكري، إلا أنها لا تخلو من إشارة قيمة وقليلة عن أسماء بعض الأعلام في نجران خلال القرن السادس الهجري، وصور من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وبعض المعوقات مثل انتشار الجوع والفقر. وحلول الجدب والقحط أحياناً، وبعض الآثار السلبية التي تخلفها الحروب والصراعات بين النجرانيين ورجالات الأئمة الزيدية الذين يأتون من صعدة وما حولها بهدف السيطرة على نجران والإقامة فيها. كما لا تخلو السيرة من لمحات علمية وأدبية وقصائد شعرية يذكر فيها بعض أعلام أو معالم نجران[٢].

والإمام عبد لله بن حمزة، المعروف بالإمام المنصور بالله، وينتسب إلى الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، عاش في بلاد الجوف باليمن وعاصر السلطان طغتكين الأيوبي (٥٧٩ـ ٥٩٣هـ/ ١١٨٣ـ١١٩٦م)، وقد عانى الإمام أثناء نفوذ وسطوة السلطان الأيوبي في اليمن، وبعد موته استطاع توسيع نفوذه في أرض اليمن وإلحاق الهزائم بالأيوبيين[٣]. والإمام المنصور بالله، عبد الله بن حمزة صاحب علم وبيان وثقافة، وله العديد من المؤلفات[٤]، أما سيرته فقد كتبها أحد أتباعه، وهو: فاضل بن عباس بن علي بن محمد بن أبي القاسم، المعروف بأبي فراس بن دعثم، وجمع مادتها ودرسها وحفظها الدكتور/ عبدالغني محمود عبد العاطي، ونشرها في مجلدين، بعنوان: **السيرة الشريفة المنصورية سيرة الإمام عبدالله بن حمزة (٥٩٣ـ٦١٤هـ /١١٦ـ١٢١٧م)**، وطبعت في دار الفكر ببيروت عام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، وتقع في حوال (١٠٤٠) صفحة من القطع المتوسط، مشمولة بالحواشي، والفهارس، والمقدمة [٥]. وسيرة الإمام المنصور لا تختلف

---

(١) للمزيد انظر: الصفحات الآنف ذكرها في الحاشية السابقة. ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ نجران خلال حكم الإمام أحمد بن سليمان.

(٢) للمزيد انظر: الصفحات الآنف ذكرها في الحواشي السابقة.

(٣) لمزيد من التفصيلات عن نفوذ الأيوبيين في اليمن، انظر الجرافي اليمني، المقتطف، ص١٢٧ وما بعدها، محمد علي مسفر عسيري. الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي (٥٦٩ـ٦٢٦هـ)، (جدة: دار المدني، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص ٣٧ وما بعدها.

(٤) من مؤلفاته: كتاب الشافي، ويقع في أربعة مجلدات. انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٢، ص٣٣٨.

(٥) للمزيد من الشروحات عن تاريخ الإمام وإنجازاته انظر: كتاب السيرة الآنف ذكره أعلاه.

كثيراً عن سيرة الإمام أحمد بن سليمان بخصوص بلاد نجران وما جاورها من أوطان وادعة وقحطان، ففي أكثر من عشرين صفحة متفرقة في كتاب سيرة الإمام المنصور بالله يوجد ذكر وإشارات عديدة عن علاقة دولة هذا الإمام بالنجرانيين(١) . فلم يتوقف الإمام عبد الله بن حمزة من السعي إلى مد نفوذه إلى نجران، وإرسال رجال وعتاد إلى الديار النجرانية من أجل السيطرة عليها ،أو على أجزاء منها، وعند انتصاره وهيمنته على بلاد نجرانية يعين عليها من يدير شؤونها، لكن النجرانيين، وبخاصة قبائل بنو الحارث بن كعب يقاومون هذا الغزو الزيدي، ويطردونهم . وكانت الحرب سجالاً بينهم وهم معظم الأوقات في صراعات دائمة . وهذه الحروب أثرت سلباً على استقرار الناس في نجران، ونالهم الكثير من الخراب والدمار في عقاراتهم ومزارعهم وممتلكاتهم (٢) .

٦ـ الإدريسي، وياقوت الحموي، والقزويني، وابن المجاور (ق٥ـ٧هـ/ ق١١ـق١٣م).

محمد الإدريسي ولد في بلاد المغرب في مدينة سبتة عام (٤٩٣هـ/ ١١٠٠م) ، قضى معظم حياته في الترحال، وزار بلدانا عديدة في قارات آسيا، وإفريقيا، وأوروبا، وجمع رحلاته في كتاب أسماه : **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، وبقي هذا الكتاب ينسب لفترة طويلة إلى ملك صقلية روجر الثاني، فيقال" (كتاب رجار) ، أو (الكتاب الرجاري) ، لأن هذا الملك استضاف الإدريسي، وشجعه، ودعمه على تأليف هذه الرحلة، وطبع الكتاب عدة مرات، وترجم إلى لغات عديدة (٣) . أما ياقوت الحموي فولد في بلاد الروم سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) ، كان رقيقا بيع في أسواق بغداد، اشتراه تاجر بغدادي أصله من حماة اسمه عسكر بن إبراهيم فنسب ياقوت إليه وغلب عليه اسم (الحموي) اعتق من الرق عام (٥٩٦هـ/ ١١٩٩م) ، وبقي يعمل مع سيده حتى مات الأخير، ثم ذهب ياقوت في رحلات عديدة إلى الشام، ومصر، وآسيا الصغرى، وجزيرة العرب، وإيران، وبلاد ما وراء النهر، واستقر في خوارزم، وبدأ في تأليف كتابه **(معجم البلدان)**، ويذكر أنه انتهى منه في عام (٦٢١هـ/ ١٢٢٤م) ، ومات في حلب سنة (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) ، وله مؤلفات أخرى عديدة، لكن الذي يهمنا مؤلفه **(معجم البلدان)**، الذي حقق وطبع أكثر من مرة، أما الطبعة التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة فهي طبعة داري صادر وبيروت في لبنان عام (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) (٤) .

---

(١) للمزيد انظر كتاب (السيرة الشريفة المنصورية ...) ، ج١، ص ٦٤، ١٧٧، ١٨٤، ٢٠٥، ٢٤٧، ٢٥٤، ٤٠١، ٤٢٤. ج٢، ص ٥٠٧، ٥٢٨، ٦٨٧، ٦٩٣، ٧٩٨، ٨٠٠ـ ٨٦٦، ٩٠٦، ٩٤٢ .

(٢) إن الدارس للصلات بين بلاد نجران وصعدة منذ القرن (٣-١٢هـ/٩ - ١٨م) ، يجد أن الصراعات والحروب كانت مستمرة بينهم، ودوافع تلك الحروب عقدية واقتصادية، فالدولة الزيدية في صعدة وصنعاء كانت ترغب مد نفوذها الزيدي على نجران، وأهل نجران لم يرضوا بذلك، حيث كانوا في بادئ الأمر شوافع، ثم جاءت الدعوة الإسماعيلية ومدت نفوذها على أجزاء من بلاد نجران وبخاصة بين قبائل يام . كما أن الأئمة الزيديين كانوا يتطلعون للسيطرة على نجران لما تتميز به من ثروات زراعية وحيوانية وغيرها . اما الخراب الذي كان يصيب أرض نجران بسبب تلك الحروب، فهو يتفاوت من حكم إمام لآخر، إلا ان الدمار والتلف كان مستمراً في مزارع وعقارات النجرانيين، لأن الزيديين عندما يصلون إلى ديار نجران يجدون مقاومات عنيفة من أهل البلاد، فلا يتورعون من إحراق مزارعهم، وهدم منازلهم وأسواقهم نكاية بهم وتأديباً لهم .

(٣) النسخة التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة، طبعة عالم الكتب، بيروت عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) .

(٤) انظر الطبعة نفسها، للمزيد انظر: رمضان أحمد رمضان . الرحلة والرحالة المسلمون، ص ١٧٧ـ١٨٨ ، غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٩، ص ١٥٧ـ١٥٨. ج١٣، ص ٣٢ـ٣٣ .

والقزويني، هو أبو عبدالله زكريا، ويعرف بالأنصاري، ولد في مدينة قزوين سنة (٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)، سافر إلى بلدان عديدة في فارس، والشام، والعراق، وتولى القضاء في مدينة واسط أيام الخليفة المستعصم العباسي، آخر خلفاء بني العباس (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م)، له مؤلفات، ومنها الذي يهمنا في هذا البحث: آثار البلاد وأخبار العباد، قام بنشره وتحقيقه المستشرق وستنفلد، واعتمدنا على طبعة بيروت التي صدرت عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) [١]. وابن المجاور يوسف بن يعقوب من أهل القرن السابع الهجري، ولد عام (٦٠١هـ/١٢٠٧م)، وهناك من ينسبه إلى بلاد الشام، وآخرون يرجعون نسبه إلى فارس. وله كتاب: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، ويعرف أيضا باسم (تاريخ المستبصر)، درسه وعلق عليه المستشرق أوسكار لوفغرين، وطبع في مطابع بريل في ليدن عام (١٩٥١م). والكتاب يقع في جزئين في مجلد واحد[٢].

يذكر الإدريسي بلاد نجران وتهامة وإطلالتها على البحر الأحمر من الشرق، ويأتي شرقها جبال السروات، ويشير إلى أنه يقع ضمن هذه الجبال مدن عديدة مثل: صعدة، وجرش، ونجران[٣]. ويعدد هذا الرحالة مخاليف مكة، ، ويطلق عليها اسم (الحصون) ويقول منها: "بنجد الطائف، ونجران، وقرن المنازل، وعكاظ، وتربة، وبيشة، وكتنة، وجرش، والسراة"[٤]. وجميع هذه البلدان تقع ضمن بلاد السروات، ما عدا نجران فأجزاءها الشمالية والشرقية تدخل في أوطان نجد وما جاورها. ويصف نجران وحواضر أخرى قريبة منها، فيقول: "مدينة جرش، ومدينة خيوان، ومدينة نجران كلها بلاد تتقارب في المقدار والعمارة، وبها تدبغ الجلود اليمانية التي لا يبلغها شيء في الجودة، ولها مزارع، وضياع، ومكاسب، وتجارات يتقلبون فيها ويتعيشون منها، وبين جرش وخيوان ونجران ست مراحل، وكذلك من جرش إلى نجران مثل ذلك"[٥]. ويذكر نجران وجرش في مكان آخر فيقول: "جرش ونجران متقاربتان في الكبر وبهما نخل كثير، وبهما مدابغ للجلود، وهي بضائعهم، وبها تجاراتهم وأهلها مشهورون بذلك"[٦].

ودون ياقوت الحموي بعض الآراء حول تسمية نجران بهذا الاسم، ثم أورد شروحاً عن وضع بلاد نجران قبل الإسلام، وعن الديانات التي كانت موجودة فيها، وسبب قتل

---

(١) للمزيد عن القزويني انظر الصفحات الأولى في كتاب (آثار البلاد وأخبار العباد)، ص ٣ وما بعدها، أحمد رمضان أحمد الرحلة والرحالة المسلمون، ص ٩٧، وما بعدها، غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج١٣، ص ٣٥-٣٦.

(٢) انظر الكتاب نفسه، وللمزيد انظر بشير إبراهيم بشير. "ابن المجاور: دراسة تقويمية لكتابه (تاريخ المستبصر). بحث مقدم إلى الندوة العالمية الأولى لدراسة تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض (الملك سعود) (١٠-٥ جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) دراسات تاريخ الجزيرة العربية (الكتاب الثاني)، ص ٤١-٦٠.

(٣) هناك رحالون آخرون مثل: الإدريسي لم يزوروا هذه المدن، ولم يشاهدوا أرضها ويلتقوا بسكانها، لكنهم نقلوا معلوماتهم من مصادر أو رواة آخرين. والبلاد الممتدة من نجران إلى الطائف مأهولة بالسكان ويوجد فيها عشرات القرى والمدن والبلدان القديمة في تاريخها وحضارتها، لكنها مازالت بحاجة إلى دراسات تاريخية وأثرية تكشف شيئاً من حضارتها خلال العصور القديمة والإسلامية المبكرة والوسيطة.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ١٤٥.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص ١٥١.

(٦) نعم مناطق جرش (عسير) ونجران غنية بمواردها الطبيعية، وثرواتها الزراعية والحيوانية، وأهلها أهل شجاعة وبأس، وأصحاب كرم ونخوة، ومروءة، وهم جديرون إلى أن يصدر عنهم عشرات البحوث العلمية.

نصارى نجران وإحراقهم في الأخدود [١]. وكان الأعشى يتردد على نجران قبل الإسلام، ويمدح أعيانها ورموزها، وأغلبهم من النصارى، فيقول :

وكعبة نجران حتم عليـ ... ـك حتى تناخي بأبوابها
نزور يزيداً وعبد المسيح ... وقيساً هم خير أربابها
وشاهدنا الورد والياسمـ ... ـين والمسمعات بقصابها [٢]

وكعبة نجران بناها بنو عبد المدان بن الديان من بني كعب بلحارث على هيئة بناء الكعبة في مكة، وسموها كعبة نجران، وكان فيها أساقفة، وهم الذين قابلوا الرسول ﷺ في المدينة، ودعاهم إلى المباهلة [٣].

وفصل ياقوت بناء هذه الكعبة، وأشار إلى نصارى نجران في صدر الإسلام، ومقابلتهم للرسول ﷺ، ومكاتبتهم على دفع الجزية، وكيف أخرجهم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من نجران إلى الكوفة بأرض العراق [٤]. وذكر بعضاً من الأشعار التي قيلت في نجران، ومنها قول أعرابي :

لا تكونوا قد غبتم وحضرنا ... ونزلنا أرضاً بها الأسواق
واضعاً في سراة نجران رحلي ... ناعماً غير أني مشتاق

وقال عطارد بن قرن، أحد اللصوص، وكان قد أخذ وحبس بنجران: [٥]

يطول علي الليل حتى أمله ... فأجلس والنهدي عندي جالس
كلانا به كبلان يرسف فيهما ... ومستحكم الأقفال أسمر يابس
تذكرت هل لي من حميم يهمه ... بنجران كبلاي اللذان أمارس
فأما بنو عبد المدان فإنهم ... عبيد العصا لو صبحتكم فوارس

وينقل القزويني معلوماته عن نجران من مصادر سبقته، مثل ياقوت الحموي وغيره، ويذكر أن نجران من مخاليف اليمن من ناحية مكة، بناها نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب، ويورد تفصيلات عن شهداء نجران قبل الإسلام، وكيف تم قتلهم وإحراقهم [٦]، ويسجل ما كتبه ابن الكلبي عن كعبة نجران، فقال: " أنها كانت قبة من أدم من ثلاثمائة جلد، إذا جاءها الخائف أمن، أو طالب حاجة قضيت حاجته، أو مسترفد أرفد .. " [٧].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٦٦ـ ٢٦٨ . انظر القرآن الكريم (سورة البروج) الآيات (١ – ٨).
(٢) المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٦٨ .
(٣) انظر: سورة آل عمران، الآيات (٦١ـ ٦٦) .
(٤) ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٦٩ـ ٢٧١ . للمزيد انظر غيثان بن جريس، نجران (ق١ـ ق٤هـ)، ج١ ، ص٥١ وما بعدها .
(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٧٠ـ ٢٧١ .
(٦) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ١٢٦ .
(٧) المصدر نفسه، ص ١٢٦ .

وكتاب ابن المجاور (تاريخ المستبصر) يشتمل على معلومات جيدة عن تركيبة الأرض والسكان في المنطقة الممتدة من نجران إلى الطائف، فذكر تعدد القرى والعشائر في هذه البلاد، وذكر أنهم كانوا مستقلين في جميع أمورهم، ويدير شؤونهم شيوخهم وأعيانهم، ونوه إلى رخاء أرضهم فهم المصدر الرئيسي في تصدير الحبوب والمواشي إلى أسواق الحجاز، ولم يغفل الإشارة إلى منازلهم وقراهم المبنية بالحجر والجص، وفي قراهم المنازل الصغيرة والمتوسطة والقصور والحصون كل حسب إمكاناته المادية، ويفهم من ذلك أنهم أصحاب تمدن وحضارة، حتى وإن عاشوا في عزلة بسبب صعوبة تضاريس بلادهم[(١)]. ويشير إلى الطريق التي تخرج من نجران إلى نجد، كما يسرد المحطات والمسافات على الطريق التي تخرج من أرض يام في نجران إلى بلاد وادعة، ورفيدة، وطريب وأجزاء أخرى في سروات عسير[(٢)]. وفي عنوان جانبي سماه: من صعدة إلى نجران، أشار إلى بعض الأمكنة في منطقة نجران، ودون طبيعة الجانب العقدي في نجران خلال القرن (٧هـ/١٣م)، فقال: " مدينة الأصل نجران، وعليها المعول في البيع والشراء، وينقسم أهلها إلى ثلاث ملل: ثلث يهود، وثلث نصارى، وثلث مسلمين. فالمسلمون الذين بها ينقسمون على ثلاث مذاهب: ثلث شافعية، وثلث زيدية، وثلث مالكية "[(٣)].

وهذا الوصف نادراً ما نجده عند غيره، وقد أسدى لنا هذا الرحالة فضلاً كبيراً أن أطلعنا على صورة ناقصة عن التركيبة السكانية في بلاد نجران خلال القرون الإسلامية والوسيطة، فلم يكن جميع السكان مسلمين، وإنما شاركهم أصحاب عقائد سماوية أخرى كاليهود والنصارى، مع أن أغلبهم من أصل عربي، وربما بعض النصارى واحتمال اليهود قد جاءوا إلى نجران من بلدان غير عربية وإسلامية[(٤)].

٧ـ أبو الفداء، ابن فضل الله، تاج الدين عبد الباقي، كتاب نور المعارف (ق٧ـ ق١٠هـ/ق١٣ـ ق١٦م)[(٥)]

أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن أيوب من مواليد مدينة دمشق عام (٦٧٢هـ/١٢٧٣م)، وأبو الفداء من أسرة رفيعة المستوى في بلاد الشام، فكان جده

---

(١) للمزيد انظر: ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج١، ص ٢٦، ٢٧، ٣٧ـ٣٨، غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٣، ص ٣٣٩ـ ٣٤١.

(٢) ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج٢، ص ٢٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(٤) ما أشبه الليلة بالبارحة فالسائح اليوم في عموم بلاد نجران، او الجنوب السعودي، أو المملكة العربية السعودية يجد معظم سكان البلاد عرباً مسلمين، إلا أنه يخالطهم أيضاً أجناس غير عربية وغير مسلمة، فهناك بعض النصارى، والبوذيين، والمجوس، ولا يستبعد أن يكون هناك من يدين بالديانة اليهودية، إلا أنهم مستترين تحت أسماء وجنسيات أخرى.

(٥) ذكرنا من القرن (٧ـ١٠هـ/ق١٣ـ١٦م)، وهذه الفترة في عموم شبه الجزيرة العربية مجهولة إلى درجة كبيرة، وإن ذكرت بعض المدن والحواضر في اليمن، أو الحجاز، أو البحرين فلا يتجاوز ذكرها شذرات قليلة جداً لا تعطينا صورة واضحة عن تاريخ البلاد والناس. وهناك بعض المصادر الحجازية واليمنية أشارت بشكل محدود إلى أمكنة وأحداث في بلاد نجران وتهامة والسراة ونجران، وأبو الفداء، وابن فضل الله، وتاج الدين عبد الباقي من أولئك الذين أشاروا بشكل خجول إلى تضاريس وثروات وتاريخ السروات، ومصادر أخرى قليلة فعلت مثل ما فعلوا. ونأمل أن نرى أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا، بقسم التاريخ، جامعة الملك خالد فيجمع هذه النتف والشذرات المتناثرة في مصادر العصور الإسلامية الوسيطة.

أميراً على حلب، وتقلد أبو الفداء بعض الأعمال الإدارية في عصر المماليك، ومن آخر أعماله أن أصبح حاكماً لمدينة حماة، ولقب بالملك المؤيد سنة (٧٢٠هـ/١٣٢٠م) (١). وألف أبو الفداء بعض الكتب، ومنها كتاب (تقويم البلدان)، ويحتوي على معلومات قيمة في علوم التاريخ، والرياضيات، والجغرافيا، ويعد أبو الفداء من أعظم مؤرخي وجغرافي القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، تُرجمت نبذ من كتابه (تقويم البلدان) إلى بعض اللغات الأوروبية، كما نشر كاملاً لأول مرة في باريس عام (١٨٤٨م) (٢). ويشير أبو الفداء إلى نجران، فيقول : " نجران بليدة بها نخيل، وتشتمل على أحياء من اليمن، ويتخذ بها الأدم، وهي عن صنعاء عشر مراحل، ونجران بين عدن وحضرموت، في جبال ولها أشجار، ويسير من مكة إلى نجران في نحو عشرين يوميا، في طريق معتدل، ونجران من بلاد همدان بين قرى ومدائن وعمائر ومياه "(٣). ويظهر على نصوص أبو الفداء عدم الدقة في المعلومات، فهو ينقل ويسمع من الآخرين، ولم يزر نجران، فأعظم القبائل التي تقطن نجران من يام وليس همدان، وقوله إن الطريق بين مكة ونجران معتدلة، فهذا قول غير صحيح، وإنما هي طريق صعبة ووعرة في حزونها ومسالكها، ونجران ليست أحياء من اليمن، وإنما كانت بلاد مستقلة في شؤونها السياسية والإدارية، مع أن الأئمة الزيديين كانوا يسعون للسيطرة عليها، لكنهم لم يستطيعوا، وإن دخلها بعضهم لفترة محدودة، فالنجرانيون يحاربونهم حتى يخرجوهم من بلادهم (٤).

وابن فضل الله العمري من مواليد بلاد الشام عام (٧٠٠هـ/١٣٠١م)، عاش في دمشق، وتولى بعض الأعمال في عصر دولة المماليك، وألف كتب عديدة، من أهمها موسوعته الموسومة : **<u>مسالك الإبصار في ممالك الأمصار</u>**، تقع في عدة مجلدات، والجزء الذي يخصنا، يدرس ممالك مصر والشام والحجاز واليمن، حققه أيمن فؤاد سيد، وطبعه ونشره المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة(٥) . ولا نجد هذا المؤرخ والرحالة يذكر شيئاً مستقلاً عن بلاد نجران، لكنه يتحدث عن بلاد اليمن وحكامها من بني رسول في تعز والأجزاء الساحلية والتهامية، ودولة الأئمة الزيدية في صعدة وصنعاء، ويشير إلى بلاد السروات الممتدة من صعدة إلى الطائف(٦). ومما ذكره عن هذه البلاد الواسعة نكاد ندرك شيئاً من تاريخ أرض وسكان نجران، فذكر مناخ نجود اليمن ونجران، فهي باردة

---

(١) انظر : أحمد رمضان أحمد . الرحلة والرحالة المسلمون، ص ١٩٧-٢٠٨، ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج١٣، ص ٣٨.

(٢) الذي اعتنى بمراجعة هذه الطبعة وتصحيحها رينود والبارون ماك كوكين دي سلان، وطبع بدار الطباعة السلطانية في باريس، ثم صورته دار صادر في بيروت وأعادت نشره .

(٣) انظر : أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٩٢-٩٣ .

(٤) الصراع بين النجرانيين والأئمة الزيدية في صعدة وصنعاء كان مستمراً خلال القرون الإسلامية الوسيطة وأوائل العصر الحديث، والزيديون طامعون في السيطرة على أرض نجران، لكنهم لم يحققوا ذلك، وكانت الحروب سجالاً بين الطرفين .

(٥) الكتاب يقع في أكثر من (٢٠٠) صفحة من القطع الكبير، وتاريخ النشر غير معروف .

(٦) انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص ١٤٩-١٧٠.

الهواء طيبة المسكن[١]، وأشار إلى شمال اليمن وتكثر فيها الحصون والقلاع الحصينة[٢]، والقلاع والحصون موجودة في معظم بلاد السراة من صنعاء إلى الطائف. ومن حيوانات مرتفعات اليمن ونجران والسراة الجمال، والحمير، والخيول، وأنواع الدواب من البقر والغنم والطير[٣]، ويؤكد على كثرة الأمطار في جبال اليمن والسروات ونجران[٤]. ويذكر نقلاً عن بعض الرواة، صوراً من حياة الأسواق والبيع والشراء في مدن وحواضر اليمن ونجران وربما السروات، فلم يكن هناك أسواق دائمة، وإنما يعقد يوم في الأسبوع وربما الشهر تجلب فيه الأجلاب، ويخرج أرباب الصناعات والبضائع بضائعهم على اختلافها، وتقام الأسواق الأسبوعية أو الشهرية، ويُباع فيها ويُشترى، ويذكر أن المعمولات من المآكل في الأسواق قليلة، ومن أراد شيئاً عمله بنفسه[٥]. وهذه الأسواق التي يرصدها ابن فضل الله العمري كانت هي السائدة في عموم شبه الجزيرة العربية إلى النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، واليوم أصبحت الأسواق حديثة وعصرية وتعمل طوال النهار وساعات من الليل، وتنوعت في أماكنها ومساحاتها، وإداراتها، وبضائعها[٦]، ويشير إلى طبقات المجتمع في السكن وضروريات الحياة، ويؤكد على أن أعيان القوم من الشيوخ والأمراء والأغنياء يعيشون حياة رغيدة وطيبة مقارنة بالفقراء والمعوزين[٧]. ويصف السكان والأرض الممتدة من صعدة ونجران إلى الطائف، فيقول عنهم "جبال شامخة، ذات عيون دافقة ومياه جارية، على قرى متصلة، الواحدة إلى جانب الأخرى، وليست الواحدة تعلق بالأخرى، لكل واحدة أهل يرجع أمرهم إلى كبيرهم، لا يضمهم ملك ولا يجمعهم حكم سلطان، ولا تخلو قرية منها من أشجار وعروش ذوات فواكه أكثرها العنب واللوز، ولها زرع أكثرها الشعير، ولأهلها ماشية أعوزتها الزرائب وضاقت بها الحظائر[٨]"، وقال عنهم أيضاً: "أنهم أهل نجدة وبأس، وشجاعة ورأي، غير أن عددهم قليل، وسلاحهم ليس بكثير، لضيق أيديهم، وقلة دخل بلادهم"[٩].

وتاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني المخزومي، ولد في مكة سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م)، وقيل في عدن، كان شغوفاً بالرحلة، سافر من عدن إلى الحجاز،

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٥٦.

(٦) حبذا أن نرى باحثين جادين يدرسون الأسواق القديمة والحديثة في هيئة بحوث مقارنة، وهذا الموضوع جديد وجدير ويستحق أن يدرس في عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية.

(٧) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص ١٥٩.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٦٧.

(٩) المصدر نفسه، ص ١٦٨. هذه الشروحات التي يذكرها ابن فضل الله عن أهل نجران والسروات خلال القرن (٨هـ/١٤م)، عاصرتها وشاهدت أهل هذه البلاد يعيشون ويمارسون ما ذكر في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م).

وسار إلى مصر والشام، ثم عاد إلى اليمن وتولى منصب الإنشاء في عصر الملك المؤيد الرسولي في العقدين الثاني والثالث من القرن (٨هـ/ ١٤م)، ولم تطل إقامته في اليمن بسبب الصراعات على السلطة بين أبناء الدولة الرسولية، وتوفي في بلاد الشام عام (٧٤٣هـ/١٣٤٢م) . له مؤلفات كثيرة منها : **(١) الاكتفاء بحل ألفاظ الشفاء (٢) مختصر الصحاح . (٣) مطرب السمع في حديث أم زرع. (٤) إشارة التعيين في طبقات النحاة واللغويين . (٥) مقامة بعنوان : خلاصة الحكم في المفاضلة بين السيف والقلم**[١]، وكتابه: **(بهجة الزمن في تاريخ اليمن)**، ألفه الملك الظاهر أسد الدين بن أيوب، وقام عبدالله محمد الحبشي، ومحمد أحمد السنباني بدراسة مخطوطة هذا الكتاب ونشرها في دار الحكمة اليمانية عام (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)[٢]، والكتاب يقع في (٣٣٥) صفحة من القطع المتوسط ،تحدث فيه المؤلف عن تاريخ اليمن منذ فجر الإسلام حتى العقد الثالث من القرن (٨هـ/ق١٤م)[٣]. وسجل بعض الأحداث السياسية التي ورد لنجران ذِكر فيها . ففي عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦١- ٦٧٩م) سير جيشاً إلى اليمن ونجران والسراة تحت قيادة بسر بن أرطأة الفهري من أجل السيطرة عليها، وعند وصوله إلى الطائف والسراة ونجران تصدى له بعض رجالها فقاتلهم بسر وخرب الكثير من دورهم وعقاراتهم[٤]. ويشير هذا المؤرخ إلى الدولة الزيادية في زبيد (٢٠٣-٤١٢هـ/٨١٨-١٠٢١م)، ويؤكد أن حكامها مدوا نفوذهم إلى نجران والسروات[٥]. وربما كان نفوذ هذه الدويلة في نجران والجبال شكلياً وليس فعلياً، لأن القبائل وشيوخها هم أصحاب السيطرة الفعلية على بلادهم . وهذا ما ذكرته مصادر القرون الإسلامية الوسيطة، وما سجلته وأكدت عليه الوثائق في العصر الحديث من القرن(١٠-١٤هـ/ ق١٦-٢٠م)[٦]، وفي نهاية القرن (٤هـ/١٠م) يذكر ابن عبدالمجيد الإمام المنصور القاسم العياني، الذي ترك مسقط رأسه في وادي ترج وذهب إلى صعدة، وصار إماماً للدولة الزيدية لِبضع سِنوات، ومحاربته لأهل نجران عندما خالفوه وثاروا ضده، قال: " فجمع لهم جمعاً عظيماً، وسير إليه ابن أبي الفتوح ابن عمه الموفق بن يوسف، وسارت إليه حاشد وبكيل أبناء همدان، والزيدي في أهل صنعاء، وسار نحو نجران في جموعه فهدم

---

(١) للمزيد انظر: تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد . بهجة الزمن في تاريخ اليمن (صنعاء : دار الحكمة اليمانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ١٠٧ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه، والكتاب يقع في (٣٣٥) صفحة .

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٨ .

(٦) هناك مصادر قديمة مثل: مؤلفات ناصر خسرو، وابن جبير، وابن المجاور، وابن فضل الله العمري، والنويري، وغيرها أكدت على استقلالية بلاد السروات ونجران خلال القرون الإسلامية الوسيطة. أما الوثائق الحديثة فذكرت الكثير من الأمثلة التي تدور حول الحروب والصراعات القبلية في شبه الجزيرة العربية، وكيف كانت القبائل تتحالف وتتكتل ضد بعضها البعض، وكل عشيرة أو قبيلة تحافظ وتدافع عن استقلالها في أرضها .

بها عدة حصون ،وأسر منهم جماعة كثيرة، ثم رجع إلى عيان"[(١)] . ويذكر بعض حكام صنعاء ومأرب وصعدة في عصر الدولة الصليحية (٤٢٩-٥٦٩هـ/١٠٣٧-١١٧٣م) وبعد سقوطها، ومناوشاتهم السياسية والحربية مع أهل نجران[(٢)] .

وكتاب: (**نور المعارف**) لمؤلف مجهول يدرس التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد اليمن بشكل خاص، وللعالم الإسلامي بشكل عام [(٣)]، ومادة هذا الكتاب تشتمل على وثائق قانونية ومالية تم تجميعها في آخر عهد السلطان المظفر الرسولي (٦٩٤-٦٩٥هـ/١٢٩٤-١٢٩٥م)، وهي تصور الطرق والأدوات التي استخدمتها إدارة الدولة الرسولية من أجل إرساء سلطاتها الضريبية على سائر القطاعات الاقتصادية، وقد سجلت جوانب متعددة من الحياة الحضارية في اليمن في القرن (٧هـ/١٣م) [(٤)]، مثل: تنظيم الإنتاج، والتبادلات التجارية، وآليات ضبطها من قبل الإدارة المالية، وتقديم قوائم بالمواقع الحرفية، وتقنيات الصنع، وطبيعة المواد الأولية ومصادرها، وكل المنتجات الحرفية : كالملابس، والأسلحة، والمجوهرات ،والمصنوعات الجلدية، والأحذية، والسجاد، والخزف، والأدوات المنزلية المصنوعة من الزجاج والخزف والخشب والحجر، ويحتوي الكتاب على أدوات وأنظمة وقوانين سياسية، وإدارية، ومالية تصب في خدمة بناء الدولة وتطورها . وجميع مادة الكتاب تدور في فلك الدولة الرسولية، إلا أن كثيراً من الأدوات، والسلع، والتجارات المذكورة تصل إلى مدن وحواضر وأسواق عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها . وكون نجران تقع في محيط جنوب جزيرة العرب وقرية من حواضر اليمن فإن لها صلات سياسية وتجارية مع غيرها، وفيها تجارات وسلع تصدر منها إلى أصقاع المعمورة . وأنواع القسب النجراني[(٥)]، أحد البضائع المشهورة التي اشار إليها كتاب (نور المعارف) فذكر : " من ذلك الأبيض، منه يسمى بياض، وهو يميل إلى التقصف، وهو من أنواعه الجيدة، وهو الذي يحمل إلى اليمن، والأسود فيه يسمى سواد، وهو نوعان، فنوع منه صغير الحب صغار النوى كثير اللب جيد الطعم لذيذ، وهو أجود النوعين، ونوع كبير الحب كبار النوى، قليل اللب، وطعمه غير لذيذ، ونوع يسمى القفيفات وهو نادر قليل ،وصفته أسود يشبه حبه حب البندق ونواه صغار، وطعمه ألذ طعم، وإذا فرك تقصف، وإذا أكل تعلك في الفم[(٦)]، ونوع يسمى الفيح من أحسنه وأطيبه، فإذا يبس كان رأس الحبة

---

(١) تاج الدين عبدالباقي، بهجة الزمن، ص ٦٠-٦١. حروب العياني وأبنائه وأحفاده مع أهل نجران خلال القرون الإسلامية الوسيطة موضوع جديد لم يدرس ويستحق أن يدرس في بحث أو رسالة علمية .

(٢) نجران كانت مطمعاً لبعض القوى السياسية اليمنية، وبخاصة التي ظهرت في صعدة وصنعاء وماحولها، لكن أهل نجران ممثلة في قبائل بنو الحارث بن كعب ثم يام كانوا بالمرصاد لتلك الأطماع، ومن ثم فالحرب كانت مستمرة بين تلك الأطراف. .

(٣) كتاب : نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف، لمؤلف مجهول . تحقيق محمد عبدالرحيم جازم، مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء (صنعاء، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م) .

(٤) المصدر نفسه . انظر الجزئين في حوالي ألف صفحة .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) أي صار مثل اللبان (العلك) أثناء المضغ .

أبيض وأسفلها أخضر[١]، وهو كثير الشحم يتعلك في الفم عند الأكل، فهذه جملة أنواع القسب[٢]، وهو يرطب، فمن أحب أن يجعله قسباً يبسه، ومن أحب أن يرجز[٣]، ويأخذ منه دبساً فعل[٤]، وحفظه يكون في آخر شهر آب وأول أيلول، والحشف منه لا قيمة له[٥]، بل يخلط في الجيد لا الزغل"[٦]. ويشير إلى أنواع الزبيب، فيذكر: "النجراني، وهو الأسود الكبار من بلاد وادعة[٧]، يقطف ويحمل إلى الجرن (البيادر). والأخضر يقطف من حظيرته ويعلق فيها، بحيث يشرب الماء الذي فيه، فإذا يبس نشر على الأنطاع، أو على الغراير[٨]. والأبقع: أخضر وأحمر مخلوط يترك في حظيرته"[٩]. ونستخلص من هذه النصوص التي دونها صاحب هذا المصدر، عدة أمور نذكرها في النقاط الآتية:

أ- وفرة المزروعات في نجران وتميز بعض المنتوجات الزراعية مثل العنب والتمر ذات الطعم والشكل الفريد. وما من شك أن هناك محاصيل وثمار زراعية في عموم منطقة نجران وما جاورها، ومازلنا نشاهد الكثير منها معروضاً في أسواق عديدة بالمملكة العربية السعودية، وربما بعض الفواكه والحبوب والخضروات النجرانية تصدر إلى خارج البلاد[١٠]،

ب- معظم المادة المنشورة في كتاب (نور المعارف) تناقش موضوعات مالية، وقوانين إدارية واقتصادية في عصر الدولة الرسولية التي امتد نفوذها على بلاد تعز ومناطق نجران وتهامة، وأرض نجران بعيدة من قاعدة بني رسول (تعز)، ولم يكن لبني رسول نفوذ عليها، لكن محاصيلها وثمارها الزراعية تصدر إلى بلاد الرسوليين، وربما كان هناك بعض الصلات السياسية والإدارية بين النجرانيين ودولة بني رسول[١١].

---

(١) لم نعد نرى هذا النوع من التمر في نجران، بل إن بعض المصادر تذكر وجود شجر النخيل في نجران، واليوم أصبحت نادرة الوجود.

(٢) تجولت في عموم بلاد نجران وتهامة والسراة، ووجدت أشجار النخيل قليلة في أنحاء البلاد، ما عدا بيشة المشهورة بالتمر (الصفري). وتمور بيشة كانت كثيرة إلى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ثم زاد القحط وكثرت الأمراض التي تصيب أشجار النخيل، ومن ثم أصاب الكثير منها الجفاف الذي أتلف الكثير من مزارع النخيل.

(٣) الرجز: هو جني التمر، ينشر في البيادر لعدة أيام، وينظف مما علق به من الأحجار والأشجار، ثم يخزن في أوعية من الخصف، وأحياناً يرش بالماء.

(٤) الدبس: هو عسل التمر. انظر كتاب: (أنوار المعارف)، ج١، ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٥) الحشف الرديء من التمر، وغالباً لا طعم له، وأحياناً اليابس الفاسد، انظر، الزبيدي، تاج العروس (مادة حشف)، ج٦، ص ٧٠.

(٦) الزغل: الرديء أو التالف.

(٧) ربما يقصد زور وادعة، وزور وادعة من قرى الموفجة في نجران. انظر: الحجري، بلدان اليمن، مج٢، ص ٧٣٤. للمزيد انظر: كتاب (نور المعارف)، ج١، ص ٢٤٩.

(٨) الأنطاع والغراير: بُسط أو فرش مصنوعة من الجلد، أو القماش الغليظ.

(٩) كتاب (نور المعارف)، ج١، ص ٢٤٩.

(١٠) تاريخ الزراعة في نجران منذ فجر الإسلام وعبر أطوار التاريخ الإسلامي من الموضوعات الجديدة والجديرة بالدراسة في بحوث عديدة.

(١١) من يستقرئ التاريخ الحربي والسياسي والإداري للنجرانيين منذ القرن (١٤٠٤هـ/ق١٠-٢٠م) يجدهم كانوا على

٨ـ يحيى بن الحسين بن القاسم، عبدالله بن علي الوزير، لطف الله بن أحمد حجاف (ق١١ـ١٣هـ / ق١٧ـ١٩م):

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي، زيدي المذهب من علماء اليمن في القرن (١١هـ/١٧م). ولد عام (١٠٣٥هـ/١٦٢٥م)، وتوفي سنة (١١٠٠هـ/١٦٨٩م)، يذكر أنه كان مؤرخاً مجتهداً، ومحققاً دقيقاً، وهو من سكان صنعاء، ويشير الشوكاني في كتابه (البدر الطالع) إلى أنه قرأ على عدد من العلماء والمشائخ في اليمن، وحصل على عدة إجازات من بعضهم. وله العديد من المؤلفات في التاريخ، والسيرة، وبعض العلوم الشرعية، ومن أهم كتبه (أنباء الزمن في تاريخ اليمن)، ومازال مخطوطاً، وقد استل منه بعض الصفحات ونشرت في بحوث أو كتيبات صغيرة [١]، وقام بعض الباحثين باختصاره. ومن هذه المختصرات عمل إسماعيل بن أحمد بن علي بن المتوكل، لكن مختصره جاء غير سليم ودقيق، لأنه لم يوفق فيما ينبغي إبقاؤه وما يجوز حذفه. ولهذا قام مؤلف الكتاب يحيى بن الحسين بن القاسم بوضع مختصر لكتابه أسماه عقيلة الدمن المختصر من أنباء الزمن في أخبار اليمن، ثم رأى أن يختار لهذا الكتاب إسماً جديداً، فسماه: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، وهو الكتاب الذي استخدمناه في هذه الدراسة. وقام الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور بتحقيق هذا السفر، وراجعه الدكتور محمد مصطفى زيادة [٢]، وهذا الكتاب اشتمل على تاريخ اليمن منذ فجر الإسلام حتى عام (١٤٠٥هـ/١٦٣٥م). ويحتوي على معلومات سياسية وحضارية عن القوى السياسية التي حكمت اليمن، وعن صلات اليمن ببعض العوالم الخارجية داخل الجزيرة العربية وخارجها. والدولة الزيدية نالت نصيباً كبيراً من مادة الكتاب[٣].

وورد في الكتاب معلومات لابأس بها عن بلاد نجران ففي عامي (٢٨٤، ٢٨٦هـ/٨٩٧، ٨٩٩م) جرت حروب دامية بين الإمام الهادي إلى الحق وأهل نجران، وكان النصر حليف الإمام على النجرانيين، لكن هذه الانتصارات لم تدم طويلاً لأن معظم سكان نجران تحت زعامة قبيلة بني كعب بن الحارث غير راضين بحكم الدولة الزيدية على بلادهم، ولهذا فهم في حرب مستمرة معها[٤]. وفي عام (٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) ثار بنو الحارث في نجران على

صلات سلبية وإيجابية ببعض القوى والحكومات في نجران وتهامة اليمن. أما علاقاتهم مع الدويلات الموجودة في مرتفعات اليمن فكانت مستمرة، وغالباً صراعات وحروب. حبذا أن نرى بعض طلابنا في برامج الدراسات العليا بأقسام التاريخ في جامعات نجران، والملك خالد، وبيشة فيدرسوا صلات نجران بما حولها من بلدان خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة.

(١) من ذلك الكتاب الذي ذكرناه في صفحات سابقة من هذا المحور، والموسوم بـ: أنباء الزمن في أخبار اليمن من سنة (٢٨٠ إلى ٣٢٢هـ). تصحيح وتقديم ودراسة محمد عبدالله ماضي، وهناك إشارات واختصارات أخرى لهذا الكتاب بعضها منشور، وأخرى مازالت مخطوطة.

(٢) الكتاب يقع في جزئين و (٩٦١) صفحة من القطع المتوسط، وطبع في دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

(٣) المصدر نفسه. وللمزيد انظر مقدمة الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور للكتاب.

(٤) انظر: يحيى بن الحسين بن القاسم. غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ج١، ص ١٦٧، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٥ـ١٧٦.

بعض رجال وأعوان الإمام الهادي، فخرج عليهم الهادي من صعده، فحاصرهم واستباح أموالهم، ودمر مزارعهم وقطع نخيلهم، فطلبوا الأمان منه، فأمنهم وعاد إلى صعده[(١)]. وفي عهد الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الهادي (٣٠١-٣٢٢هـ/٩١٣-٩٣٣م) الذي تولى الإمامة عام (٣٠١هـ/٩١٣م) سار إليه وجوه نجران وبنو الحارث إلى صعده، وبايعوه، واستعمل عليهم رجلاً يدعى عبدالرحمن الأقرعي[(٢)]. ومن خلال قراءة بعض المصادر التي تحدثت عن تاريخ صعدة ونجران خلال القرون الإسلامية الوسيطة، نجد أن العداء كان مستمراً بين النجرانيين والزيديين، وكان الآخرون يغزون بلاد نجران من وقت لآخر بهدف السيطرة عليها ،وضمها تحت لوائهم، لكن النجرانيين كانوا غير راضين بذلك، فهم في حرب ودفاع عن بلادهم، إلا أنه يوجد فيهم بعض الشيوخ والأعيان والوجهاء الذين تشترى ذممهم بالمال فهم على اتصال دائم مع الأئمة الزيدية ورجالهم، ولا يتورعون في كشف عورات بلادهم، ومساعدة أعدائهم في السيطرة على أوطانهم[(٣)].

وفي عام (٣٠٣هـ/٩١٥م) خرج الإمام الناصر إلى نجران، وأقام فيها لبعض الوقت، وتفقد أمورها وأحسن إلى أهلها[(٤)]. وفي عام (٣٢٢هـ/٩٣٣م) مات الإمام الناصر، وجرت صراعات وحروب أهلية عديدة بين أولاده وبخاصة ابنيه الحسن، وأبو القاسم الملقب بالمختار، وكان الأخير على صلات جيدة مع أهل نجران، وقد استعان ببعضهم على أخيه الحسن[(٥)]. وفي عامي (٣٨٩-٣٩٠هـ/٩٩٨، ٩٩٩م) كان إمام اليمن هو القاسم العياني (٣٨٨-٣٩٣هـ/٩٩٨-١٠٠٢م) الذي ترك مسقط رأسه في بلاد السراة، وجاء إلى صعدة، وتولى إمامة اليمن لمدة خمس سنوات[(٦)]. وفي عصره نكث أهل نجران العهود التي عقدوها مع من سبقه، وقتلوا بعض عمال الدولة الزيدية في بلادهم، فسار إليهم الإمام العياني عام (٣٩٠هـ-٩٩٩م) في ألف فارس وثلاثة آلاف راجل فحاربهم، ودمر بعض حصونهم وقطع أعنابهم، وأخذ منهم ستين رجلاً إلى صعدة، وطلب من تجار نجران وغيرهم إعانة ودعماً مادياً لجنوده[(٧)].

ويشير صاحب (غاية الأماني) في عام (٥٢٤هـ/١١٢٩م) إلى الطريق التجارية التي تربط صنعاء وصعدة ونجران باليمامة، والأحساء والعراق، فيذكر أنها انقطعت بسبب

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ١٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٥. لم نجد ترجمة لعبد الرحمن الأقرعي. وفي اعتقادي أن الذين ذهبوا إلى الإمام لا يمثلون معظم أهل نجران الذين يدافعون عن بلادهم، ولا يرضون بأحد أن يستولي عليها .

(٣) من يدرس الخيانات السياسية والعسكرية في محيط بلاد العرب والمسلمين منذ ظهور الإسلام حتى وقتنا الحاضر، فإنه سوف يقف على مادة علمية كبيرة تصب في ميدان الخيانة التي تدور حول أطماع سياسية، ومالية، وإدارية، وقضايا شخصية كثيرة وغيرها . وهذا الموضوع يستحق أن يدرس في مئات البحوث والكتب والرسائل العلمية .

(٤) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ج١، ص ٣٠٦ .

(٥) المصدر نفسه، ج١، ٢١٥-٢١٨ .

(٦) انظر ما ذكرناه عن الإمام العياني في صفحات سابقة من هذا المحور، وللمزيد عن سيرة هذا الإمام انظر: أحمد بن يعقوب، سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني، ص ٢٠ وما بعدها .

(٧) انظر : يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج١، ص ٢٢٧-٢٣١ .

ضعف الدولة العباسية، وسعي القرامطة إلى نشر الرعب والفساد في أرض البحرين ونجد، ولم يعد يسلك تلك الطريق إلا أهل نجد مع أخذ الحذر والحيطة أثناء عبورها[١] . وما من شك أن هذه الطريق حيوية ومهمة لأنها تربط بين جنوب شبه الجزيرة العربية ووسطها وشرقها، وهي تمر في حزون وأودية وصحاري صعبة وشاقة، ويعيش قريبا منها عشائر وبطون عربية عديدة، وعندما ينفلت زمام الأمن وترتفع وتيرة الصراعات والحروب، فإن الحياة الاقتصادية والاجتماعية يصيبها الخمول وأحيانا الشلل والتوقف[٢] .

وفي عام (٥٣٢هـ/١١٣٧م) تولى إمامة اليمن الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان[٣]، ومد نفوذه إلى صعدة، ونجران، والجوف، ويقول عنه يحيى بن الحسين بن القاسم " سار إلى نجران، فاستبشر بقدومه الشيخ عون بن رعبة "[٤]. وبايعه أهل نجران "[٥]. وعُرف الإمام بحسن السيرة في جميع الأقطار اليمنية[٦]، ويذكر عنه أنه " خرج إلى الخانق أطراف محل في يام، فلقاه أهل تلك الجهات، فلما رأوه أرسلوا ما في أيديهم من النبل والحجارة، ثم رجع إلى نجران فاستقر فيها أياماً "[٧] .

وكان إمام اليمن عام (٥٩٣هـ/١١٩٦م) عبدالله بن حمزة الملقب بـ (المنصور بالله)[٨]، وجرى في عصره صدامات مع أهل نجران، ويذكر مؤلف كتاب(غاية الأماني) أحداثا وقعت في سنة (٥٩٥هـ/١١٩٨م)، فقال : " فيها وقع اختلال في جهة نجران، وفتن وحروب بين بني الحارث، ويام، وشاكر، قتل فيها من الأعيان علي بن المحسن[٩]، ورجلين من آل عباد[١٠]، فخرج عليهم عامل صعدة في ثمانين فارسا وسبعمائة راجل، فانهزموا في أول ذلك اليوم، وتفرق

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٩٢ .

(٢) الاستقرار السياسي من أهم الركائز لحياة آمنة مطمئنة، وما نلاحظه اليوم من عبث حربي وسياسي في اليمن، والشام، والعراق، وليبيا وغيرها من دول العالم العربي والإسلامي لهو أكبر دليل على نشر الفوضى والاضطراب في حياة الناس العامة والخاصة .

(٣) حكم هذا الإمام مرتفعات اليمن أكثر من ثلاثة عقود، للمزيد انظر سيرته وتفصيلات عنه في صفحات سابقة من هذه الدراسة .

(٤) لم نجد ترجمة لهذا الشيخ ،وأعتقد أنه شيخ عشيرة أو فخذ ،لأنه من يدرس تاريخ بلاد نجران والسراة خلال القرون الإسلامية الوسيطة يجد أن المسيطرين عليها شيوخ القبائل والأعيان والوجهاء، وهم الذين يعقدون اتفاقات وتحالفات مع القوى الداخلية والخارجية . وهذه الظاهرة كانت موجودة وواضحة في أوطان نجران، فهناك أعلام وشيوخ ووجهاء يبحثون عن مصالحهم الذاتية، ومن ثم فهم لا يتورعون في الاتصال والاتفاق مع أي قوة في الداخل أو الخارج تساعدهم على تحقيق مآربهم وأهدافهم . وكانت الصلات بين أئمة صعدة ورموزها مستمرة مع شيوخ وأعيان ووجهاء في نجران، والدافع وراء ذلك أطماع سياسية وتحقيق مآرب شخصية .

(٥) انظر : يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج٢١، ص ٢٩٦ .

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٩٦ .

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

(٨) انظر تفصيلات عنه في سيرته : السيرة الشريفة المنصورية سيرة الإمام عبدالله بن حمزة (٥٩٣ـ٦١٤هـ/١١٩٦ـ١٢١٧م) (بيروت : دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) (جزءان)، كما أشرنا في أول هذا البحث إلى شيء من سيرته .

(٩) لم نجد ترجمة لهذا الرجل، إلا أنه يُفهم من نصوص يحيى بن الحسين أنه من أعيان أهل نجران .

(١٠) آل عباد : بطن من بني لخم من قحطان، وكان منهم ملوك أشبيلية بالأندلس . انظر ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص ٢٥٦ .

أصحاب الأمير للانتهاب وقبض الأسلاب، فعطف عليهم أهل البلاد فقتل أميرهم في سبعين رجلاً من أصحابه . ولما بلغ خبرهم الإمام، اغتم لذلك، وهم النهوض إليهم بنفسه، فعاقه عوائق، فكتب إلى الجوف وصعدة، وإلى خولان يأمرهم بحرب تلك البلاد، فاجتمع ممن كتب إليهم أربعة آلاف نفر، ونهضوا إلى بلاد يام، فتعلق أهلها بالجبال، فاخرب المجاهدون دروبا كثيرة ثم ساروا إلى نجران، فأذعن أهلها بالطاعة، وسلموا معونة الإمام "[١] . ونستخلص من هذه النصوص بعض النتائج، وهي على النحو الآتي:

أ- أوضاع نجران السياسية والإدارية غير مستقرة فهي في حروب دائمة مع بعضهم البعض أو مع جيرانهم من العشائر أو القوى السياسية في صعدة وما حولها . وهم في حقيقة الأمر لا يدينون للأئمة الزيدية بالولاء، حتى وإن استقبلوا بعضهم، وضيفوهم، ورحبوا بهم كما فعلوا مع الإمام أحمد بن سليمان وغيره.

ب - الأئمة الزيدية في صعدة يرون أنفسهم المسؤولين عن أمن نجران وضبط أحوالها السياسية والإدارية، ومن ثم فهم لا يتأخرون عن السير إلى نجران إذا ظهر فيها بعض الثوار والمتمردين، ويعملون كل ما في وسعهم لمحاربة الثائرين وإخضاع البلاد لسلطتهم والموالين لهم من النجرانيين .

ج - لم تكن يام أو بنو كعب بن الحارث هم جميع سكان بلاد نجران، وإنما كان معهم عشائر وقبائل أخرى يستوطنون البلاد، كما أنه يحيط بأرض نجران من الغرب، والشمال، والشرق قبائل عربية أخرى، ومن المذكور أن لهم صلات سلبية وإيجابية مع سكان نجران الأصليين، لكننا لا نجد المصادر تفصل لنا الحديث في هذا الجانب [٢] .

وفي عصر الإمام عبدالله بن حمزة ضربت عملة تحمل اسمه، واستخدمت في صعدة ونجران وما حولها، وكان ضربها عام (٦٠١هـ/١٢٠٤م)، ويذكر يحيى بن الحسين أنه في هذه السنة " أمر الإمام بضرب الدراهم المنصورية، وزن كل درهم نصف قفلة، وبعضها ثمن قفلة[٣]، وكان التعامل قبل ذلك بالضربة العباسية فامتنع الناس عن التعامل بضربة الإمام، فأدبهم بالجيوش وغيرها، وكانت الضربة العباسية أرجح وزنا من ضربة الإمام"[٤] .

ويذكر صاحب (غاية الأماني) معلومات حضارية متفرقة في حواضر اليمن وغيرها من بلدان الجزيرة العربية . ففي عام (٦٥٥هـ/١٢٥٧م) انتشر الجوع والقحط في البلاد، وارتفعت الأسعار، ومات كثير من الناس جوعاً، وأكلوا الكلاب، ونضبت المياه [٥]. وكانت

---

(١) للمزيد انظر يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج١، ص ٣٤٧ .

(٢) تاريخ نجران السياسي والاجتماعي خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس، ونأمل أن نرى باحثين جادين يدرسون هذا الميدان المهم .

(٣) ذكر الخزرجي أن الأوقية تساوي عشر قفال بالختم المصري، انظر : العقود اللؤلؤية، ج٢، ص ٣٠٦ .

(٤) انظر كتاب (غاية الأماني)، ج١، ص ٣٨٨-٣٨٩ . وأقول إن التاريخ الاقتصادي في نجران خلال القرون الإسلامية الوسيطة من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس هذا الباب في كتاب أو رسالة علمية .

(٥) يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج١، ص ٤٤٣ . وأقول إن القحط، والمرض، والجوع كانت من الآفات الفتاكة لعموم

أحياناً تنزل الأمطار على البلاد فيغاث الناس، وتتحسن أحوالهم الاقتصادية، وكتب التراث ذكرت بعض السنوات التي عم الخير والرخاء بعض بلدان اليمن ونجران والسراة . ومؤرخنا يحيى بن الحسين ذكر شيئاً من ذلك [١]، إلا أنه عاد ودون معلومات عن ارتفاع الأسعار، وانتشار الجوع والأمراض، كالطاعون، والجدري، والحمى وغيرها، خلال العصر الإسلامي الوسيط[٢] .

والمؤرخ عبدالله بن علي الوزير من أهل القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (١٠٧٤-١١٤٧هـ/١٦٦٣-١٧٥٣م)، ولد في صنعاء وعاش فيها، وهو من كبار علماء زمانه، درس على عدد من العلماء، وله مؤلفات عديدة في علوم الشريعة، واللغة، والتاريخ، ومنها : **(١) النغبة لخدمة شرح النخبة**، في مصطلح الحديث . **(٢) جامع المتون في أخبار اليمن الميمون**، لخصه من كتاب (أنباء الزمان) ليحيى بن الحسين . **(٣) جوارش الأفراح وقوت الأرواح**، ديوان شعر جمعه إسماعيل بن الحسن الحرة . **(٤) طبق الحلوى وصحايف المن والسلوى**. وهذا الكتاب الأخير الذي يهمنا في هذه الدراسة، وهو تاريخ حولي لبلاد اليمن لفترة زمنية مداها أربعة وأربعين عاما (١٠٤٦-١٠٩٠هـ/١٦٣٦-١٦٨٠م)[٣]. وهي التي أعقبت استقلال اليمن من السيطرة العثمانية الأولى، وهذه الفترة التي عالجها المؤلف لم تخدم عند مؤرخي اليمن، فالأتراك العثمانيون خرجوا من اليمن عام (١٠٤٥هـ/١٦٣٥م)، ويأتي مؤرخا (عبدالله الوزير) فيدرس الأحداث في اليمن المستقل من عام (١٠٤٦ حتى عام ١٠٩٠هـ/ ١٦٣٦ - ١٦٨٠م)، مسجلا خلال هذه السنين الكثير من الأحداث السياسية والحضارية التي كان مسرحها اليمن وبلاد عربية وإسلامية مجاورة [٤] .

لم تكن بلاد نجران حاضرة بشكل كبير في هذا المصدر لكنه أشار إلى نفوذ أشراف مكة على الطائف وبلاد السراة حتى بيشة وما جاورها، ولم يشر إلى تبعية نجران للأشراف في مكة[٥]، وذكر في أكثر من مكان الطرق الجبلية التي تخرج من صنعاء وصعدة وحضرموت

سكان شبه الجزيرة العربية . ونجد في بعض وثائق العصر الحديث، ونسمع بعض الرواة الذين عاصروا العقود الأولى والوسط من القرن (١٤هـ/٢٠م) فيذكرون أخباراً مروعة عن الجوع والأمراض التي كانت تقتل الناس، وفي بعض السنين كانت هذه الآفات تقضي على أسر وقرى كاملة، وقد أخبرني بعض أجدادي الذين عاشوا في سروات بني شهر وبني عمرو منذ بداية القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبعضهم ولد في نهاية القرن (١٣هـ/١٩م) قصصاً مفزعة عن الجوع والأمراض التي قضت على بعض آبائهم وأجدادهم وأهل قراهم .

(١) غاية الأماني، ج١، ص ٤٧٧ .

(٢) ذكرت بعض الروايات والأخبار التي وقعت في مدن اليمن، ونجران، والسراة في سنوات عديدة مثل : (٨٢٤هـ، ٨٤٠هـ، ٩٦٢هـ/١٤٢١م، ١٤٣٦م /١٤٥٧م) . وما تم الإشارة إليه يعد نماذج قليلة، فأوضاع أهل اليمن والسروات المعيشية خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة حتى نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) كانت قاسية وصعبة، ومازال كثير من الناس يعانون حتى اليوم وبخاصة البلاد التي يواجه سكانها بعض الكوارث مثل الحروب والمجاعات وغيرها من الأمراض والآفات .

(٣) وعنوان الكتاب هو : تاريخ اليمن خلال القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي (١٠٤٥-١٠٩٠هـ/ ١٦٣٥-١٦٨٠م) . المسمى (تاريخ طبق الحلوى وصحائف المن والسلوى) . تحقيق محمد عبدالرحيم جازم (بيروت : دار المسيرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ويقع الكتاب في (٤٢١) صفحة مع مقدمات وفهارس، ونصوص الكتاب الرئيسية .

(٤) المصدر نفسه، انظر مقدمات الكتاب، ص ٩ وما بعدها .

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٢١١ .

إلى الحجاز واللصوص وقطاعي الطرق الذين يتعرضون للمسافرين والحجاج بالنهب والاعتداءات والقتل في نجران وأمكنة عديدة من بلاد السروات[١]. ويذكر في عامي (١٠٧٨، ١٠٧٩هـ/ ١٦٦٧، ١٦٦٨م) انتشار الجوع والقحط والأمراض وارتفاع الأسعار في بلدان اليمن الأعلى، ونجران، وتهامة وما جاورها، وفي تلك السنوات مات خلق كثير من تلك الآفات[٢]. وفي الكتاب أيضاً إشارات محدودة عن جهود أئمة اليمن ورغبتهم في مد نفوذهم إلى نجران، والنجرانيون يخلقون لهم المشاكل والتمرد والعصيان، ويرفضون أن يدفعوا لهم خراج البلاد، والأئمة يرسلون لهم من يحاربهم ويرغمهم على دفع زكاة الأموال[٣].

ولطف الله بن أحمد جحاف اليمني الصنعاني من مواليد صنعاء عام (١١٨٩هـ/١٧٧٥م)، عاش فيها وتعلم لدى كثير من شيوخها، ومنهم شيخ الإسلام العلامة محمد بن علي الشوكاني الذي قال عنه: "قرأ عليّ في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والحديث، وبرع في هذه المعارف كلها، وصار من أعيان علماء العصر وهو في سن الشباب، ودرس في فنون، وصنف رسائل أفرد فيها مسائل، ونظم الشعر الحسن وغاليه في أعلى طبقات البلاغة، وباحث كثيراً من علماء العصر بمباحث مفيدة يكتب فيها ما ظهر له ثم يعرضها على مشايخه أو بعضهم، ويعترض ما فيه اعتراض من الأجوبة"[٤]. وقد أسهب الشوكاني في الثناء عليه، وأشاد بمقدرته على الحوار العلمي، وإمكانياته الشخصية، لكنه أيضاً ذمه وذكر شيئاً من مثالبه عندما صار محظيا ومقربا في بلاط إمام الدولة الزيدية في صنعاء ووزرائه[٥]. قضى لطف الله حياته في صنعاء قريبا من العلماء ورجال الدولة، وله مؤلفات كثيرة في التاريخ، والحديث، والفقه، والتفسير، والأدب، كما نظم الشعر الجيد بشهادة أستاذه وشيخه الشوكاني وكانت وفاته في عام (١٢٤٣هـ/١٨٢٧م)[٦].

أما كتاباته التاريخية فقد جمعها في كتابين كبيرين، الأول: التاريخ الجامع، وهو مستل من كتاب (أنباء الزمن في تاريخ اليمن) ليحيى بن الحسين بن قاسم، وقد أوصل لطف الله جحاف في هذا الكتاب تاريخ اليمن إلى عهد الإمام المهدي بن العباس. والكتاب الثاني بعنوان: دُرر الحور العين بسيرة الإمام المنصور وأعلام دولته الميامين"[٧]، وهو

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٢٥. ج٢، ص ٣١٥. كان الأمن مفقوداً في عموم شبه الجزيرة العربية خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة، وكان الحجاج والمسافرون يتعرضون للاعتداءات في معظم الطرق البرية. ولم تستقر الأمور وينتشر الأمن في ربوع جزيرة العرب وبخاصة في الحجاز وما جاورها إلا بعد توحيد المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٦، ٢٤١. ٢٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣١٩. ٣٢٠، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥٧.

(٤) انظر شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. تحقيق حسين بن عبدالله العمري (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص ٥٨٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٧٩. ٥٨٩.

(٦) المصدر نفسه، ص ٥٧٩. ٥٨٩.

(٧) هذا الكتاب شمل الفترة الزمنية الممتدة من (١١٨٩. ١٢٢٤هـ/ ١٧٧٥. ١٨٠٩م)، تحقيق إبراهيم بن أحمد المقحفي (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

الكتاب الذي يعنينا في هذا البحث، ويقع في مجلد تجاوزت صفحاته الثمانمائة وخمسين صفحة [١]، وهو سجل تاريخي لليمن لمدة خمسة وثلاثين عاماً (١١٨٩-١٢٢٤هـ/١٧٧٥-١٨٠٩م)، وهي الفترة التي حكم خلالها الإمام المنصور علي بن المهدي العباسي [٢].

والمؤرخ لطف الله جحاف لم يشر إلى طبيعة نجران وأهله داخلياً، وإنما ذكر خروج قبائل يام واصطدامها عسكرياً بالقوى السياسية المجاورة. ففي عام (١٢٠٩هـ/١٧٩٤م) يسجل عنواناً جانبياً أسماه (ملحمة يام)، وذكر خروج يام من نجران إلى تهامة، فأرسل لهم إمام صنعاء جيشاً استطاع التصدي لهم، وهزيمتهم، وإجبارهم على الرجوع إلى أرضهم في نجران[٣]. ولم يدون تفصيلات تلك اللقاءات العسكرية، وما هي العدة والعتاد والتكتيكات الحربية التي قام بها كل فريق؟، وما هي الأسباب التي حملت اليامين على الخروج من بلادهم نحو تهامة؟ [٤]. وفي عام (١٢١٣هـ/١٧٩٨م) خرجت يام إلى بيت الفقيه في تهامة فحرقوا أعشاشهم، وحصل بين الفريقين مقتلة كبيرة صار ضحيتها عشرات القتلى [٥]. وفي العام نفسه وصل اليامون إلى الدريهمي وزبيد وجرت حروب بينهم، وحل بالبلاد الكثير من الخراب والدمار[٦]. وفي عام (١٢١٤هـ/١٧٩٩م) ذهبت قبيلة يام إلى حيس وانتهبوها وأقاموا فيها نحو ثلاثة أشهر ثم عادوا إلى بلادهم [٧]. وفي سنة (١٢١٥هـ/١٨٠٠م)، كما سجل المؤلف خروج اليامين من بلادهم إلى بلدان عديدة في تهامة اليمن حتى وصلوا مدينة زبيد، ويذكر ما قاموا به من أعمال سلبية تجاه أهل البلاد[٨]، ولا ندري مدى صحة هذا الرصد التاريخي الذي يعكس صور الخراب والهلاك والدمار لكل شيء مروا عليه في طريقهم حتى استقروا في ناحية زبيد وما حولها. ويذكر لطف الله أمثلة أخرى عديدة عن صراعات قبيلة يام مع الدولة الزيدية في نجران وتهامة والسراة، وما حدث في تلك الحروب من خسائر مادية وبشرية[٩].

---

(١) المصدر نفسه، وهذه الصفحات تشمل مقدمات وتعليقات المحقق وكذلك فهارس الكتاب.

(٢) انظر لطف الله جحاف، درر الحور العين، ص ٥ وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٨١.

(٤) من يستقرئ حروب قبائل يام مع سكان تهامة اليمن وجازان خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة فإنه سوف يجد تفصيلات كثيرة تدور حول هذا الجانب. ونأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد، برنامج الدراسات العليا، فيتخذ من هذا الموضوع عنواناً لأطروحة الماجستير أو الدكتوراه.

(٥) لطف الله جحاف، درر نحور الحور العين، ص ٤٠٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٠٨.

(٧) المصدر نفسه، ص ٤٦٠.

(٨) المصدر نفسه، ص ٤٨٣. قبيلة يام من القبائل العربية الكثيرة والقوية ولها تاريخ حربي طويل منذ عصور ما قبل الإسلام وعلى مر عصور التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث. وتستحق أن يفرد لها كتاب أو رسالة طويلة يفصل فيها تاريخ هذه القبيلة السياسي والحربي عبر أطوار التاريخ.

(٩) لطف الله جحاف، ص ٤٩٢، ٦١٨، ٧٠٣، ٧٠٦، ٧٣٠، ٧٥١.

٩. القاضي حسين العرشي، والقاضي محمد بن أحمد الحجري، والقاضي عبدالله الجرافي (ق١٣.١٤هـ / ق١٩. ٢٠م) .

القاضي حسين بن أحمد العرشي من أهل القرنين (١٣.١٤هـ/١٩.٢٠م) له كتاب بعنوان : **بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى مُلك اليمن من ملك وإمام،** قام بمراجعة هذا الكتاب الأب أنستاس ماري الكرملي، عضو مجمع اللغة العربية[١] . والكتاب يقع في حوالي (٤٤٢) صفحة، الإثنان والثمانون صفحة الأولى من تأليف القاضي العرشي، وباقي صفحات الكتاب جمعها الكرملي من مصادر ومراجع عديدة[٢]، ورتبها في أربعة ملاحق بالإضافة إلى فهارس الكتاب العامة. ويقول الأستاذ الكرملي في بداية الملحق الأول بالكتاب[٣]، " لما كان هذا الكتاب يقف إلى سنة (١٣١٨هـ) [٤]، كان لابد لمطالعه أن يعرف ما وقع في تلك البلاد الميمونة من الأحداث بعد ذلك العام، ووجدنا فيما كتبه الواسعي في تاريخه (فرجة الهموم) ما يتمم هذا الموضوع فاعتمدنا عليه[٥]، ملخصين ما ورد فيه، وما جاء في صحف العراق، ومصر، وديار الفرنج، ومما شاهدنا بنفسنا في أثناء سفرنا إلى عدن في سنة (١٨٩٤م)، وعام (١٩٢١م)"[٦] .

ويذكر العرشي أن نجران كانت مطمعاً لمن يحكم اليمن، وأشار إلى إن الدولة الزيادية (٢٠٥.٤٠٢هـ/٨٢١.١٠١٢م) في زبيد مدت نفوذها إلى مناطق عديدة في تهامة والسراة بما في ذلك بلاد نجران[٧] . وفي اعتقادي أن الدولة الزيادية كانت دولة قوية سيطرت على بلدان عديدةٍ في تهامة اليمن، لكن نفوذها في منطقة نجران والسروات الممتدة من نجران وظهران جنوباً إلى الطائف كانت شكلية، لأن هذه البلاد وعرة المسالك وفي عزلةٍ عن غيرها، وقبائلها وشيوخها هم أصحاب النفوذ الفعلي في بلادهم[٨] . ويشير العرشي أيضاً إلى ما ذكرت مصادر سابقة بشأن بعض أئمة اليمن الذين كانوا يرسلون الجيوش إلى نجران بين الفينة والأخرى من أجل إخضاعها لنفوذهم، والاستفادة من ثروات بلادهم، إلا أن النجرانيين لم يقبلوا ذلك، وكانوا في صراع دائم مع الزيديين[٩] .

---

(١) طبع الكتاب في القاهرة بمكتبة الثقافة الدينية (تاريخ النشر بدون) .

(٢) المصدر نفسه، (٤٤٢ صفحة) .

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٣ .

(٤) يذكر العرشي في مقدمة كتابه أنه سوف يكتب باختصار تاريخ من ملك اليمن من أوائل الدولة الأموية حتى عام (١٣١٨هـ). انظر العرشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام، ص ٤ .

(٥) عبدالواسع بن يحيى الواسعي اليماني من مؤرخي اليمن في العصر الحديث، وهو مؤرخ موسوعي، وله مؤلفات من أهمها : (١) تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن، طبع في المطبعة السلفية في القاهرة، سنة (١٣٤٦هـ) .(٢) البدر المزيل للحزن في فضائل اليمن، ومحاسن صنعاء ذات المنن، طبع في مطبعة التضامن الأخوي بالقاهرة عام (١٣٤٥هـ) .

(٦) انظر : العرشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام، ص ٨٣ .

(٧) المصدر نفسه، ص ١٣ .

(٨) هذا ما أكدته بعض المصادر خلال القرون الإسلامية الوسيطة، وأشارت إليه وثائق العصر الحديث من القرن (١٠.١٤هـ/ق١٦.٢٠م) .

(٩) للمزيد انظر القاضي حسين العرشي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام، ص ٣٤، ٣٥، ٥٩ .

ويدون الأب أنستاس الكرملي في الملحق الثاني من كتاب العرشي نقلاً عن الواسعي معلومات حضارية عن صعده ونجران، وما يوجد فيها من الثمار، والزروع، والنخيل[١]، وسميت نجران بهذا الاسم نسبة إلى زيد بن يشجب بن يعرب[٢] . ويذكر في الملحق الرابع بعض الاتفاقيات والمعاهدات التي جرت بين الدولة الزيدية وبعض الدول العربية والأجنبية[٣]، ومنها معاهدة الطائف بين المملكة اليمانية والمملكة العربية السعودية عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، التي على إثرها أصبحت منطقة نجران جزء من دولة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل[٤] .

والقاضي محمد بن أحمد بن علي الحجري، ولد في شهر ذي الحجة سنة (١٣٠٧هـ/١٨٩٠م) في قرية ذي شرع بجوار هجرة الذاري من ناحية خبان وأعمال يريم، تلقى تعليمه على يد مجموعة من شيوخ عصره، وتنقل بين مدن يمنية عديدة، كان عالما واسع المعرفة، وعمل في أعمال عديدة في عهدي الإمامين يحيى بن حميد الدين وابنه أحمد (١٣٢٢-١٣٨٢هـ/ ١٩٠٤-١٩٦٢م) وكانت وفاته في عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) . ومن مؤلفاته: **(١)** فهرست مكتبة الأوقاف بجامع صنعاء . **(٢)** فهرسة خزانة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، وماتزال مخطوطة . **(٣)** مساجد صنعاء . **(٤)** خلاصة من تاريخ اليمن قديماً وحديثا، ألفه سنة (١٣٦٣هـ/١٩٤٣م)، وطبع في مطبعة وورشة تجليد الأنوار في مصر . **(٥)** كتاب: **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، وهذا الكتاب يقع في أربعة أجزاء، في مجلدين، تحقيق ومراجعة إسماعيل بن علي الأكوع، طبعته الأولى . في صنعاء بمكتبة الإرشاد عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، وهذا الكتاب الذي يعنينا في هذه الدراسة[٥] .

ويسجل الحجري في أكثر من عشر صفحات تفصيلات عن قبيلة يام، وقبيلة بنو الحارث بن كعب، ونجران[٦] . فيقول: "نجران بلد مشهور في الشمال الشرقي من صنعاء على مسافة ثمان مراحل، وأكثر قبائل نجران من يام، وبني الحارث بن كعب"[٧]. ومن قبائل نجران مواجد، وجشم، ومذكر، وعدد بعض الأمكنة والقرى التي تقطنها هذه القبائل[٨]، ونقل نصوصاً كثيرة مدونة في كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني، وفي

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٦-١٤٧ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٧ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠١ - ٢٣٩ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٨ وما بعدها . هناك حروب جرت على أرض نجران قبل عقد هذه المعاهدة، ومازال هناك وثائق عديدة غير منشورة تصب في خدمة هذا الجانب، فأمل أن نرى باحثا جاداً يدرس هذا الموضوع دراسة علمية موثقة .

(٥) رجعنا للطبعة الثالثة عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) وصفحات الأجزاء الأربعة تجاوزت الثمانمائة صفحة .

(٦) محمد بن أحمد الحجري، مجموعة بلدان اليمن وقبائلها (صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، مج١، ج١، ص ٢٠٨-٢١٣ .

(٧) المصدر نفسه، مج٢، ج٤، ص ٧٣٤ .

(٨) المصدر نفسه، مج٢، ج٤، ص ٧٣٤-٧٣٨ .

كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي[١] . كما دون بعض الروايات المدونة في مصادر تاريخية مبكرة عن فتح نجران، وما جرى مع أهلها من الوثنيين والنصارى في عهد الرسول (ﷺ) [٢] . وأشار أيضاً إلى بعض الشعر الذي قيل في نجران وأهلها خلال القرون الإسلامية الأولى [٣] .

ويام من قبائل همدان ثم من حاشد، استوطنوا نجران منذ قديم الزمان وكانوا من قبل في جبل يام ما بين بلاد نهم والجوف، وهو جبل عظيم، ويذكر أنها بلادهم القديمة[٤]. ومن فضلاء يام طلحة بن مصّرف اليامي الهمداني، من أفاضل التابعين، ترجم له أبو نعيم في كتاب (حلية الأولياء)، ومنهم زبيد بن الحارث اليامي، ترجم له ابن الجوزي في كتاب (صفة الصفوة)، أدرك من الصحابة (رضوان الله عليهم) عبد الله بن عمر وأنس بن مالك وروى عنهما، ومات سنة (١٢٢هـ/٧٣٩م)[٥] .

ويذكر الحجري قبيلة بني الحارث بن كعب في عدة صفحات، وهم بنو الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك، وهو مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان[٦]. وهذه القبيلة المذحجية منتشرة في مواطن كثيرة في اليمن وفي نجران، وبنو عبد المدان من أشرافهم، ولهم تاريخ طويل قبل الإسلام وبعده، وكتب السير تذكر شيئاً من تاريخهم في عهد الرسول ﷺ [٧]، كما أن كتب الأدب واللغة والتراث فصلت الحديث عن حروبهم، وأشعارهم، وكرمهم، وبطولاتهم [٨].

والقاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي ينتمي إلى بيت علم وفكر، ولد عام (١٣١٩هـ/ ١٩٠١م)، ودرس على عدد من مشائخ عصره، يقول عنه إسماعيل الأكوع "إنه عالم مؤرخ محقق في النحو وله معرفة عامة بالحديث والتفسير[٩]، اشتغل في مجال القراءة والتدريس والتأليف، وأشرف على طباعة ومراجعة كتب عديدة في عهد الإمام

---

(١) المصدر نفسه، مج ٢، ج٤، ص ٧٣٥ وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه، مج ٢، ج٤، ص ٧٣٧. وللمزيد عن تاريخ نجران في صدر الإسلام، انظر: غيثان بن جريس، نجران (ق١-ق٤هـ/ق٧-١٠م)، ج١، ص ٥١-١٢٤ .

(٣) محمد الحجري، مج٢، ج ٤، ص ٧٣٦ وما بعدها . وهناك شعراء كثيرون من نجران وغيرها قرضوا أشعاراً كثيرة تتعلق ببلاد نجران قبل الإسلام وخلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة .

(٤) محمد الحجري، بلدان اليمن وقبائلها مج٢، ج٤، ص ٧٧٤ .

(٥) المصدر نفسه، مج٢، ج٤، ص ٧٧٥. وهناك أعلام كثيرون من قبيلة يام كان لهم أدوار تاريخية وحضارية عبر أطوار التاريخ الإسلامي، حبذا أن نرى باحثاً جاداً يجمع تراجمهم ويدرسها .

(٦) محمد الحجري، مج١، ج١، ص ٢٠٨ .

(٧) المصدر نفسه، مج١، ج١، ص ٢٠٨ وما بعدها .

(٨) للمزيد عن قبيلة بني الحارث بن كعب، انظر : غيثان بن جريس، نجران (ق١ق٤هـ/ق٧ق١٠م)، ج١، ص ٣٤ وما بعدها . ونأمل أن نرى أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيتخذ من هذه القبيلة عنوان لرسالة الماجستير أو الدكتوراه .

(٩) انظر عبد الله الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن (بيروت : منشورات العصر الحديث، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص ٢٦ .

أحمد بن يحيى حميد الدين (١٣٦٧-١٣٨٢هـ/١٩٤٨-١٩٦٢م) [١]. ألف عدداً من الكتب منها كتاب (المقتطف)، وهو خلاصة مختصرة لكل ما كتبه في علم التاريخ، ويقول في مقدمته " اقتطفت من كل الأقسام فوائد قيمة في تاريخ اليمن، ورتبتها في مؤلف صغير سميته (المقتطف في تاريخ اليمن) [٢]. والكتاب ملخص لتاريخ اليمن السياسي وشيء من الحضارة منذ عصور ما قبل الإسلام إلى الثمانينيات من القرن الهجري الماضي، وقد أحسن المؤلف في ترتيب وتبويب محتويات الكتاب[٣]. وإذا كانت معظم مادة هذا السفر عن أرض اليمن وسكانها وحكامها، إلا أنه أشار في مواضع عديدة إلى نسب قبيلة يام ومواطنها[٤]. وذكر جدهم الأعلى مذحج والقبائل التي تفرعت منه[٥].

ولم يختلف المؤرخ الجرافي عن المؤرخين اليمنيين الذين قبله، فقد سجل بعض الأحداث التاريخية بين الزيديين والنجرانيين، وكيف كانت الحروب مستمرة بينهم. فالأئمة الزيدية يطمعون في السيطرة على نجران، والنجرانيون متمردون مدافعون عن بلادهم، وإن كان في أرض نجران من يرغب في حكم الزيديين، إلا أنهم قلة قليلة، ومعظم السكان يودون الاستقلال وعدم الارتباط بغيرهم [٦]. وذكر أيضاً حرب نجران التي وقعت بين الإمام يحيى حميد الدين والملك عبدالعزيز وانتهت بعقد اتفاقية بين الطرفين[٧].

١٠- هاري سانت جون فلبي (ق١٤هـ/٢٠م): [٨]

هاري فلبي إنجليزي الجنسية، ولد في سيلان في بداية القرن الرابع عشر الهجري، واصل دراسته الجامعية في بلدة (بريطانيا)، والتحق بالخدمة المدنية في العقد الثالث من القرن (١٤هـ/٢٠م)، كما سافر إلى الهند والعراق. وفي عام (١٣٣٦هـ/١٩١٧م) ذهب إلى الرياض والتقى بالإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، وتنقل في أجزاء عديدة من الجزيرة العربية، ثم سافر إلى القاهرة والقدس وأخيراً عاد إلى جزيرة العرب، وأصبح قريباً من الملك عبدالعزيز آل سعود، واستمر في العيش بالمملكة العربية السعودية حتى مات الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) ثم غادر إلى لبنان ومات فيها عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م).

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧.

(٢) يقع الكتاب في (٤١٥) صفحة من القطع المتوسط.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨ وما بعدها.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٤، ٥٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٩.

(٦) انظر الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن، ص ١٠٩، ١٦٧، ١٧١-١٧٨، ٢١٣، ٢١٥، ٣١٢. تاريخ الصراع بين الزيديين والنجرانيين منذ القرن (١٢-٣هـ/٩-١٨م) موضوع لم يدرس ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية موثقة.

(٧) الجرافي، المقتطف، ص ٣١٤ وما بعدها. وموضوع تلك الحرب جدير أن يدرس في كتاب أو بحث علمي.

(٨) انظر روبن بدول. الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية (النسخة المعربة)، ص ٩٠-١٠٢. انظر أيضاً: محمد بن أحمد معبَّر. الرحلات والرحالة في الجنوب السعودي في مؤلفات غيثان بن جريس (ق٢-١٥هـ/ق٨-٢١م). (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م) (الجزء الأول)، ص ٦٧، ١٢٢، ١٧٩، ٣٠٨، ٢٨٧، ٤٢٤، ٤٤٦، ٤٧١-٥٠٧، ٥٢١ وما بعدها.

مـن يدرسـ حياة فلبي العلمية يجده ألف عشـرات الكتب والمقـالات العلمية، ومعظم دراسـاته عن الجزيرة العربية، وهذا المستشـرق أفضـل من كتب عن شبه جزيرة العرب خلال القـرن (١٤هـ/٢٠م) ومعظم بحوثـه ومؤلفاته قامت على الرحلات والمشـاهدات، ولهـذا نجد فيها تفصـيلات وأخبار يصـعب أن نعثر عليها في مصـدر أو مرجع آخر[١] . وبعض مؤلفاته أشارت إلى بلاد نجران وتفاوتت فيما احتوت عليه من تفصيلات، فبعضها ذكرت شيئاً يسيراً من تاريخ أجزاء من منطقة نجران، وأخرى أسهبت الحديث في عشرات أو مئات الصفحات . ومن تلك الكتب :

(١) بنـات سبأ (رحلـة في جنـوب الجزيـرة العربيـة)[٢]. وهـذا الكتاب يقع في (٦٦٦) صفحة من القطع المتوسطة، وهو جزء من رحلة فلبي التي قضاها في بلاد نجران وتهامة والسـراة عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) واسـتغرق فيها حوالي تسعة شهور منها حوالي ثلاثة شهور ذهب إلى شبوة ومأرب في اليمن وأصدر هذا السفر الآنف ذكره، والمدة الباقية قضـاها في أجـزاء عديدة مـن جنوب المملكة العربية السـعودية، ابتداءً مـن الطائف إلى عسير ونجران ثم جازان وبلاد الساحل حتى مكة المكرمة[٣] . ويذكر في كتاب : بنات سبأ بعض المعلومات الجغرافية والاجتماعية والاقتصـادية أثناء خروجه من نجران إلى شبوة وحضرموت وعند عودته إلى نجران بعد انتهاء رحلته في أجزاء من بلاد اليمن[٤] .

(٢) كتـاب: الربع الخالي (وصـف للصحراء الجنوبية الكبرى للجزيرة العربية المعروفة بالربع الخالي)[٥]، وهذا السـفر يقع في (٦٦٨) صـفحة من القطع المتوسط، وفيه تفصـيلات عن تركيبة الربع الخالي الجغرافية، وكون صحراء الربع الخالي تتماس مع أجزاء من منطقة نجران فقد ذكر بعض الأمكنة والبلدان المتجاورة أو المتداخلة مع الأوطان النجرانية، ولا يخلو الكتاب من بعض الإشارات السياسية والتاريخية الحديثة عن بلاد نجران[٦].

(٣) العربيـة السـعودية (مـن سـنوات القحط إلى بـوادر الرخـاء)[٧]. يتكون هذا الكتاب من (٦٨٠) صـفحة، ودون فيه فلبي أحداث سياسـية وحضـارية عن دول آل سـعود، منذ الدولة السـعودية الأولى إلى عصر الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل . ولا يخلـو هذا المؤلف من معلومات عن نجران وعلاقاتها العسـكرية والسياسـية بالدول

---

(١) يوجد العديد من الكتب والبحوث المطبوعة والمنشورة التي درست حياة وإنجازات هاري سانت جون فلبي، وبعضها أصبح منشوراً على الشبكة العنكبوتية .

(٢) انظر الكتاب المعرب، ترجمة يوسف مختار الأمين (الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) .

(٣) هذه المدة التي قضاها في أجزاء من نجران وتهامة والسراة أصدر عنها كتاب في مجلدين، هما: مرتفعات الجزيرة العربية، ترجمة حسن مصطفى حسن، وتقديم ومراجعة وتعليق أ. د . غيثان بن علي بن جريس (الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) (جزءان (في ألف واربعمائة وتسع وأربعون صفحة) .

(٤) للمزيد انظر : كتابه (بنات سبأ)، ص ٣٩، ٤٠، ٤٤، ٤٩٩، ٥٠٦ .

(٥) انظر : الكتاب المترجم، ترجمة حسن عبد العزيز أحمد (الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) .

(٦) للمزيد انظر الكتاب نفسه، ج ٤٢٤، ٤٢٥ .

(٧) انظر النسخة المعربة، ترجمة عاطف فالح يوسف (الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) . .

السعودية الثلاث، في الأعوام التالية : (١١٨٩هـ/١٧٧٥م) [١] . (١٢١١هـ/١٧٦٩م) و (١٢٢٠ـ ١٢٢١هـ/١٨٠٥ـ١٨٠٦م)، و (١٣٥٠ـ ١٣٥١هـ/ ٣١ـ ١٩٣٢م) [٢] .

(٤) كتاب : الذكرى العربية للمملكة العربية السعودية (بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيس المملكة) [٣]. ويقع الكتاب في (٤٥٤) صفحة . وموضوعات هذا الكتاب متنوعة عن بعض الصور التاريخية والسياسية والحضارية عن تاريخ المملكة العربية السعودية خلال العقود الخمسة الأولى من نشأتها[٤]. وهناك بعض المعلومات عن الحروب التي جرت بين السعوديين والدولة الزيدية على أرض نجران وما جاورها عام (١٣٥٠ـ١٣٥١هـ/ ١٩٣١ـ ١٩٣٢م)، وقد انتهت باتفاقية الطائف عام (١٣٥٤ـ ١٣٥٥هـ/٣٥ـ ١٩٣٦م) [٥] .

(٥) كتاب : فلبي الجزيرة العربية (سجل الرحلات والاستكشافات)[٦]. ويقع الكتاب في مجلدين، في حوالي ألف صفحة من القطع المتوسط . وفي محور في الجزء الثاني سماه (الإقليم الجنوبي)، في ست عشرة صفحة يشير إلى جوانب حضارية في البلاد الممتدة من وادي الدواسر إلى نجران، ويذكر شيئاً من التركيبة الجغرافية والسكانية في بلاد نجران وبخاصة وادي نجران وحبونا وما بينهما[٧]. ويقول عن نجران: " أنها تحتل موقعا تجاريا مميزا من جزيرة العرب، وتعد ميناء الصحراء، ويقصدها تجار جنوب نجد ليبتاعوا بن اليمن والبضائع الثمينة باستبدالها بالأقمشة الهندية والضرورات الأخرى الموجودة في المدن الداخلية " [٨] .

(٦) كتاب : مرتفعات الجزيرة العربية [٩]. ويقع في مجلدين، هو أهم كتاب من كتب فلبي يهمنا في هذا القسم، لأن جميع مادته عن تاريخ وحضارة أجزاء كثيرة من بلاد تهامة والسراة، وبلاد نجران حظيت بحوالي أربعمائة صفحة من الجزئين تم نشرهما في البابين الثالث والرابع من الكتاب . وفي الصفحات التالية نوجز الحديث عن الفصول المدونة في هذا المؤلف، وهي على النحو الآتي:

أـ الفصل الحادي عشر[١٠] : عتبة نجران : وفي عشر صفحات وصف معالم جغرافية

---

(١) انظر الكتاب نفسه (العربية السعودية ...)، ص ١١٨ـ ١٢٠، ١٣٢ـ ١٣٣ .

(٢) انظر الكتاب نفسه، ص ١٦٧، ٢٠٠ـ ٢٠١، ٣٨٥ـ ٣٨٦، ٥٦٣ـ ٥٦٨.

(٣) انظر الكتاب المترجم، ترجمة عباس سيد أحمد (الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) .

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥ وما بعدها .

(٥) للمزيد انظر : فلبي، الذكرى العربية للمملكة العربية السعودية، ص ٢٨٤ـ ٢٨٩.

(٦) انظر: الكتاب المعرب، ترجمة الدكتور / صلاح علي محجوب (الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) .

(٧) المصدر نفسه، ص (٣٠١ـ٣١٦) .

(٨) المصدر نفسه، ص ٣١٣ .وللمزيد عن تاريخ نجران . انظر غيثان بن جريس، نجران (ق١ـ ق٤هـ/ق٧ق١٠م)، ج١ ص ٢١ وما بعدها، وانظر أيضاً موضوعات في أجزاء عديدة من سلسلة كتاب : (القول المكتوب في تاريخ الجنوب).

(٩) للمزيد عن هذا الكتاب ومعلومات نشره انظر حاشية سابقة في هذا القسم .

(١٠) يقصد بـ (الفصل الحادي عشر) هنا، أي كما ورد في فهرست الكتاب العام المنشور من مكتبة العبيكان عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج١، ص ٦١٣. وهذا الفصل نشر مع خمسة فصول أخرى في باب مستقل تحت عنوان: الباب الثالث (بلاد يام)، وهذا الباب نتيجة لرحلة فلبي في أجزاء من نجران في (٢٥ يونيو إلى ٢٤/يوليو، و ١٢/أكتوبر إلى ٣/نوفمبر /عام ١٩٣٦م)، انظر فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص ٣٩٧ـ ٦١٢ .

عديدة من هضـاب، وحزون، ومنعطفات في بعض الأودية وجداول مياه، والجيد في وصف هذا الرحالة الدقة والوضوح فيما سجله وذكره، ولا تخلو هذه الصفحات من بعض الصور الاجتماعية والاقتصـادية للناس الذين شـاهدهم في البلاد التي مر عليها وهو في طريقه إلى بلدة نجران(١) .

ب ـ الفصل الثاني عشر(٢) . كعبة نجران (٣) : ذكر في تسع صفحات لمحات يسيرة عن وادي حبونا، وركز شـرحه على جبل تصـلال، الذي يعرف أيضـا باسـم (جبل كعبة نجـران) ، ويدعي فلبي أنه اكتشـف موقع كعبة نجران، وأورد شـروحات عن هذا الموقع، والآثار التي يقول أنها مازالت ماثلة للعيان، وأشـار أيضـا إلى وجود بعض المقابر المتناثرة في جبل تصلال (٤) .

ج ـ الفصـل رقـم (١٣) : أولى الخطى في نجـران(٥) : ناقش هذا الرحالة العديد من النقاط، فذكر بعض الأسر والفخود القبلية التي رآها في طريقه وهو سائر إلى وسط مدينة نجران(٦) . ووقف أيضا على بعض المقابر المتناثرة في أطراف البلدة (٧) ، ولفت نظره تعدد القصـور والمنازل بين المزارع وفي بعض نواحي المدينة، وكانت طوابق تلك القصـور تتراوح من طابقين إلى أربعة وخمسـة طوابق، والقصـور والبيوت في القرية الواحدة متلاصـقة، والأزقة بينها صغيرة وضيقة(٨) . ويشير إلى هيئة البناء الحكومي، قصر الإمارة في نجران، والمعروف بـ (قصر أبا السعود) (٩) . ولا تخلو شروحات فلبي من ذكر أسماء بعض الطيور والنباتات والمحاصـيل الزراعية في بلدة نجران، كما أشـار إلى بعض المؤسسـات الإدارية الموجودة أثناء زيارته، وذكر بعض أسـماء المسـؤولين في تلك الإدارات، وكان على رأسـهم أمير نجران، إبراهيم النشـمي، الذي دون شـيئا من سـيرته الذاتية (١٠) . ولم يغفل ذكر بعض الأفراد والبيوتات اليهودية في نجران، وقد التقى ببعضـهم وتحدث معهم في قضايا

---

(١) للمزيد انظر : فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص ٣٩٩ـ٤٠٩ .

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٤١١ .

(٣) كعبة نجران : بناء ديني مسـيحي شـيده عبد المدان بن الديان الحارثي الذي ينتسـب إلى بني الحارث بن كعب من قبائل مذحج، وقد تم الاعتناء بهذه الكعبة حتى صارت مشهورة في عموم الجزيرة العربية وخارجها، انظر : غيثان بن جريس، نجران، ج١، ص ٥٢ وما بعدها . وللمزيد عن كعبة نجران، انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٦٨. وآثار بلاد نجران جديرة بالبحث والدراسة، ونأمل من المؤرخين والباحثين أن يدرسوا هذا الميدان المهم .

(٤) انظر فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص ٤١٢ وما بعده .

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢١ . وهذا الفصل يقع في عشرين صفحة من صفحات الكتاب، ج١، ص ٤٢١ـ٤٤١ .

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢١ـ ٤٢٢ .

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢٢ ـ ٤٢٤ .

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢٥ ـ ٤٢٧ .

(٩) قصر أبو السعود : بناء يتكون من طابقين ونصف بالإضافة إلى مرافق وغرف عديدة ملحقة به، ويقع وسط مدينة نجران، ويعد اليوم من المعالم السياحية الأثرية في منطقة نجران . المصدر : مشاهدات الباحث وزيارته لهذا القصر عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) . للمزيد انظر : فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج٧، ص ٤٢٨.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣٠ .

عديدة [١]. وذكر عدداً من الآبار التي وقف عليها، ووصف بعضها[٢].

د- الفصل الرابع عشر: الأخدود [٣]: سار فلبي إلى منطقة الأخدود، وأشار إلى صور من تركيبتها الجغرافية، وذكر بعض المزارع القريبة منها [٤]. ووقف على أرض السوق القريبة من قصر أبي السعود، وقد ذكر في صفحات سابقة سوق الإثنين الأسبوعي[٥]. وأورد بعض التفصيلات عن شيوخ قبائل يام الرئيسين وهم: ابن منيف، وابن نصيب، وأبو ساق، وذكر شيئاً عن أصولهم وأنسابهم وقد جالسهم، وسمع منهم، وتناقش معهم في أمور اجتماعية وتاريخية عديدة [٦]. وذكر فلبي بعض الصور التاريخية والاجتماعية والاقتصادية التي شاهدها في محيط الأخدود وأجزاء من وادي نجران. وفي حوالي عشرين صفحة أخرى يتحدث عن تاريخ نجران السياسي والديني وبخاصة في عصور ما قبل الإسلام، ويبدو على شرحه السطحية وعدم توثيق أقواله بمصادر علمية موثوقة[٧]. ويشير إلى بعض النقوش والآثار والمخربشات التي شاهدها في أرض الأخدود، وأشار إلى بعض المستشرقين الذين وصلوا نجران وذكروا شيئاً من تاريخها وآثارها[٨].

هـ- الفصل الخامس عشر: عنوانه: **الحياة في نجران**، وعدد صفحاته (٣٩)، ذكر فيها تفصيلات لبعض قرى نجران القريبة من الأخدود، وأشار إلى بعض التضاريس حول هذه الناحية من جبال، وأودية، ومعالم جغرافية أخرى، كما ذكر بعض الأعيان والأسر التي قابلها، وتناول بعض الوجبات في منازلها، ويذكر الجاليات اليهودية الموجودة في

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٣٤، وكانت بعض الأسر اليهودية تسكن في نجران وما حولها من البلاد خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم هاجر بعضهم إلى اليمن أو فلسطين وبلاد الشام، وعدد من أولئك الأفراد وتلك الأسر اعتنقت الإسلام وعاشوا مع مجتمعات نجران وأهل السروات.

(٢) شاهدت العديد من الآبار القديمة في حاضرة نجران، ويعود تاريخ بعضها إلى مئات السنين، ومنها الذي اندثر، وأخرى مازالت تستخدم في الزراعة وسقيا المواشي. المصدر: مشاهدات الباحث وتجواله في بلاد نجران عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

(٣) للمزيد انظر، فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص ٤٥٩. وهذا الفصل يتكون من (٦٨) صفحة من صفحات الكتاب، ج١، ص ٤٥٩-٥٢٧.

(٤) فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص ٤٥٩-٤٦٠.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٣٦، ٤٦٠. كان يوجد في نجران أثناء زيارة فلبي لها العديد من الأسواق الأسبوعية، مثل: سوق الأحد في دحضة بحماية الشيخ ابن منيف. (٢) سوق الإثنين في بني سليمان تحت إشراف ابن منيف. (٣) سوق الثلاثاء في بدر، والجمعة في صاغر تحت حماية الشيخ أبو ساق. (٤) سوق الأربعاء في قرية العان، وسوق الخميس في القابل تحت حماية ابن منيف. شاهد الباحث أمكنة بعض هذه الأسواق الأسبوعية في عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

(٦) انظر فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص ٤٦٢-٤٧٦. هؤلاء الشيوخ الآنف ذكرهم في المتن ذات جذور تاريخية قديمة وكل أسرة من أسر هؤلاء الأعلام تستحق أن تدرس في كتاب أو بحوث علمية موثوقة.

(٧) انظر فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص ٤٩٠-٥١٠.

(٨) كانت إشارات فلبي موجزة وأحياناً وصفية دون إجراء بعض التحليلات والدراسات لبعض النقوش والآثار التي شاهدها، ونأمل أن يأتي في قادم الأيام من يدرس آثار نجران دراسة علمية، وقد جاء إلى الأخدود في عصرنا الحديث والمعاصر العديد من الفرق الآثارية، وأجرت بعض التنقيبات، ومازالت تلك الآثار تحتاج إلى دعم وجهود كبيرة. انظر: فلبي، مرتفعات، ج١، ص ٥١١-٥٢٧.

نجران، وأصولها الأولى في اليمن والعراق، وقد زار بعضها، وذكر شيئاً من أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية، ومعظم مهنهم صناعة الحديد والحلي، ومنهم من يعمل في مهن أخرى كالزراعة وغيرها، وكان عددهم الإجمالي في نجران حوالي (٨٠) شخصاً صغاراً وكباراً[١] .

ويواصل فلبي حديثه عن بعض الأعراف والعادات التي شاهدها عند النجرانيين، مثل: عادات الطعام والشراب، والتعاون في ممارسة الأعمال، وتبادل الزيارات، وتفاوت مستوى المعيشة بين طبقات المجتمع، فالأعيان والوجهاء والأغنياء يعيشون حياة أفضل من عامة الناس وبخاصة الفقراء والمزارعين والرعاة وغيرهم . ويدون شيئاً من عمارة بلاد نجران مثل: القصور، والحصون، والمنازل، والقرى، والآبار، والمقابر. ويذكر بعض النقاط الحدودية بين نجران واليمن[٢] . ويشير إلى معلومات عن حياة الناس الاقتصادية كالزراعة والمحاصيل والثمار الموجودة في بلاد نجران . ويصف طبيعة بعض الأسواق الأسبوعية مثل سوق الخميس الأسبوعي وسط مدينة نجران، فيذكر السلع التي ترد إلى هذا السوق وبعضها يصدر من داخل الجزيرة العربية، وأخرى من بلاد الشرق الأقصى، أو أوربا وغيرها من البلاد العربية [٣] ، ويشير إلى سعر بعض السلع المعروضة في تلك السوق. وأهمية الأسواق الأسبوعية في نجران، فهي مجمع تجاري وثقافي واجتماعي يلتقي فيها الناس ويتبادلون الأخبار والتجارات، كما أنها مكان لإعلان الأخبار والتوجيهات من قبل الدولة . ويذكر أنه قابل العديد من أعيان ووجهاء منطقة نجران في أسواقها الأسبوعية، وأحياناً في بعض الاجتماعات الرسمية عند أمير نجران، أو بعض رجال الدولة السعودية هناك[٤] .

ويذهب فلبي إلى مأرب في اليمن لفترة تزيد عن الشهرين ويكتب كتابه : **بنات سبأ**، ثم يعود إلى نجران، ويستكمل الفصل رقم (١٦) في كتاب : (مرتفعات الجزيرة العربية) ، وعنوان هذا الفصل هو: **الزيارة الثانية لنجران**، وتقع أيضاً في (٣٩) صفحة، يواصل فيها حديثه عن بعض الجوانب الاجتماعية والإدارية السعودية في البلاد، ويزور بعض الأسواق الأسبوعية ويذكر شيئاً من البضائع التي تصدر إليها، وطريقة حماية الأسواق من قبل أمير نجران ورجال الحسبة، ويضيف تفصيلات عن النقاط الحدودية بين اليمن

---

(١) للمزيد انظر: فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص٥٣٠ وما بعدها. ودراسة الحياة الاجتماعية في بلاد نجران خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) من الموضوعات الجديدة وتستحق أن تدرس في عدد من الكتب والرسائل العلمية .

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٥٣١ وما بعدها .

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٥٣٢ وما بعدها. تاريخ الحياة الاقتصادية، أو التجارة في منطقة نجران خلال العصر الحديث (ق١٢-١٤هـ/ق١٨-٢٠م) من الموضوعات التي لم تدرس في بحوث علمية وتستحق أن تكون عناوين لعدد من الكتب والرسائل العلمية .

(٤) هناك الكثيرون من الأعيان وشيوخ القبائل والمسؤولين الذين قابلهم فلبي في نجران وذكر أسماءهم . حبذا أن نرى باحثاً جاداً يدرس السير الذاتية لأولئك الأعلام، ومن يفعل ذلك فسوف يسدي لنا معاشر الباحثين معروفاً جميلاً . وأكرر القول: بأن فلبي سجل لنا معلومات قيمة عن حياة النجرانيين الاجتماعية في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وآمل أن يأتي أحد طلابنا في برامج الدراسات العليا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيدرس مدونات هذا الرحالة عن نجران ويصدرها في رسالة علمية .

والسعودية التي زارها ووقف عليها، ويشير إلى بعض الرحالة الغربيين الذين زاروا نجران قبله وينتقد بعض أقوالهم ومدوناتهم [١].

و ـ الفصول من (١٧ـ٢٣) : يضيف فلبي في الجزء الثاني من كتابه : **مرتفعات الجزيرة العربية**، باباً كاملاً يدرج فيه سبعة فصول من (١٧ـ٢٣) ، الستة الأولى منها ترصد العديد من الأوضاع الجغرافية والحضارية لمنطقة نجران، والأجزاء القريبة منها[٢] . وفي الفصول رقم (١٧، ١٨، ١٩) يدون معلومات جيدة عن وادي حبونا، وعن بلدة بدر الموطن الرئيسي للدعوة الإسماعيلية [٣]. ومعظم تفصيلاته قامت على الرحلة والمشاهدة، كما أنها لا تخلو من صور تاريخية قديمة عن هذه النواحي . ووادي حبونا من الأودية الكبيرة المذكورة في عدد من كتب التراث الإسلامي المبكرة، وبخاصة كتب الجغرافيا والرحالين الأوائل، وبعض كتب الأنساب، والأدب واللغة، وغيرها من المصادر المتقدمة[٤] .

١١ـ فؤاد حمزة، وتويتشل (ق١٤هـ/٢٠م) :

ولد فؤاد حمزة في لبنان (١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م) وفي شبابه خرج من الشام إلى جزيرة العرب، ثم صار مترجماً للملك عبد العزيز، وشغل مناصب عديدة في دولته، وقام برحلات ومهمات دبلوماسية في قارتي أوربا وأمريكا للتعريف بسياسة المملكة العربية السعودية، وكانت وفاته في أوائل السبعينيات الهجرية[٥]. له مؤلفات عديدة، منها : (١) **قلب الجزيرة العربية** . (٢) **البلاد العربية السعودية** . (٣) **في بلاد عسير**.

والكتاب الذي يهمنا هو (في بلاد عسير) [٦]، حيث قام فؤاد حمزة برحلة ميدانية من الطائف حتى نجران، وسجل بعض المعلومات عن حياة هذه الأوطان . وفي الجزء الأخير من الكتاب أورد ابن حمزة معلومات مختصرة عن بلاد نجران في حوالي (٢٤) صفحة، أشار فيها إلى شيء من جغرافية المنطقة، وذكرها في بعض المصادر المتقدمة، ثم وجود

---

(١) انظر: فلبي مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص ٥٦٩ـ٦٠٨ . ذكرت في أكثر من دراسة وكتاب أن فلبي قدم لنا معارف كثيرة عن الجزيرة العربية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، ويصعب أن نجد ما ذكره في أي مصدر أو مرجع آخر . وآمل أن تدرس مؤلفاته وبحوثه عن جنوب البلاد السعودية، في بحوث وكتب ورسائل علمية عديدة .

(٢) انظر : فلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، ج٢، ص ٦١٩ـ٨١٦. وفي هذه الصفحات الكثير من المحاور المهمة التي تستحق أن تدرس في عدد من الكتب والبحوث العلمية الموثقة .

(٣) حبذا أن نرى باحثاً أو باحثين عديدين يدرسون تاريخ وحضارة وادي حبونا، وبلدة بدر وعلاقتها بظهور الدعوة الإسماعيلية في نجران خلال العصر الحديث .

(٤) هناك مصادر كثيرة أشارت إلى وادي حبونا، تركيبته الجغرافية والسكانية، وما جرى على أرضه من أحداث سياسية وحربية وحضارية، ويستحق هذا الوادي أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية موثقة .

(٥) للمزيد عن فؤاد حمزة . انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطائف وأجزاء من الجنوب) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) (الجزء الثالث عشر)، ص ٧٢ .

(٦) يقع الكتاب في (١٩٢) صفحة من القطع المتوسط، وصدر في طبعتين من مكتبة النصر الحديثة بالرياض، الأولى عام (١٣٧٠هـ/١٩٥١م)، والثانية عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، واعتمدنا في بحثنا على الطبعة الثانية . وللمزيد عن سيرة وأعمال فؤاد حمزة انظر التقديم ومقدمة الناشر لكتاب (في بلاد عسير)، ص ٣ـ٥ .

اليهودية والنصرانية فيها قبل الإسلام وبعده ووصول المذهب الإسماعيلي إليها في العصر الحديث تحت زعامة المكارمة، وذكر إشارات قليلة عن قرى وسكان منطقة نجران، وبعض أسواقها الأسبوعية، وطرقها البرية، وآثارها، ومحاصيلها الزراعية [١] .

وكارل تويتشل مهندس معادن أمريكي الجنسية، جاء إلى جدة في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، وأنشأ نقابة التعدين العربية السعودية التي قامت بالتنقيب عن بعض المعادن النفيسة في المملكة العربية السعودية . وحظي برعاية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، وتجول في معظم أنحاء البلاد السعودية . ودون العديد من الكتب والبحوث العلمية [٢]، ومنها الكتاب الذي يهمنا في هذه الدراسة، وعنوانه: **المملكة العربية السعودية وتطور مصادرها الطبيعية**، نشر باللغة الإنجليزية عام (١٩٤٦م)، ثم طبع مرة ثانية عام (١٩٥١م)، وترجمه الأستاذ شكيب الأموي إلى اللغة العربية، وقدم له الأستاذ حافظ وهبة، ونشرت هذه النسخة المترجمة بالقاهرة عام (١٩٥٥م)، وهي النسخة التي اعتمدنا عليها . ويناقش الكتاب العديد من المحاور الرئيسية مثل: (١) الملامح المميزة في البلاد العربية السعودية . (٢) التطور الاجتماعي والسياسي. (٣) مركز البلاد العربية السعودية في الاقتصاد العالمي . (٤) عدد جيد من الصور الفوتوغرافية والخرائط التي أعدها صاحب الكتاب (تويتشل) . (٥) أضاف المترجم حوالي (٦٠) صفحة في نهاية الكتاب وهذه الإضافات عن شيء من التطور الإداري والحضاري الذي مرت به المملكة العربية السعودية أثناء ترجمة ونشر هذه النسخة العربية . وهذا الكتاب من المصادر التاريخية الجيدة للمملكة العربية السعودية خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) [٣] .

وفي المحور الأول من الكتاب : الملامح المميزة في البلاد العربية السعودية، يشير تويتشل إلى شيء من التركيبة الجغرافية للمملكة العربية السعودية، وبعض مواردها الطبيعية [٤]، ويشير إلى سقوط الأمطار في الجنوب الشرقي من جبال الحجاز (السروات)، فيذكر أنها تسقط بمعدل (٥.٣) بوصات. وتدخل منطقة نجران ضمن هذا التحديد الذي أشار إليه هذا الرحالة، ثم يذكر تفصيلات عن منطقة نجران، فيقول: " يستدل من الآثار التي عثر عليها على أن هذه المنطقة (نجران) كانت موطناً لحمير... وعند رأس وادي نجران يوجد السد القديم الذي يدعى (موفجة)، وبالرغم من تهدم صحن الوادي

---

(١) لا تخلو مدونات فؤاد حمزة عن نجران من الفوائد، فهو يدون بعض المعلومات الحضارية عن نجران والنجرانيين في بداية الخمسينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، إلا أنه لم يسهب في حديثه وبخاصة في بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية أثناء زيارته لهذه البلاد . كما أن رواياته لا تخلو من الأخطاء العلمية مثل حديثه عن القرى، والسكان، والمسافات والطرق وغيرها.

(٢) للمزيد عن جهود تويتشل انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطائف وأجزاء من الجنوب) ((الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)، (الجزء الثالث عشر)، ص ٧٣. انظر أيضاً ذكره في أجزاء أخرى من هذا الكتاب الآنف ذكره، وفي كتب أخرى لابن جريس، وهي موجودة في موقعه الإليكتروني (Prof- ghithan.com).

(٣) تقع النسخة المترجمة في حوالي (٣٤٢) صفحة من القطع المتوسط، ويوجد فيها تفصيلات تاريخية جيدة قامت على القراءة والرحلة والمشاهدة من صاحب الكتاب .

(٤) انظر النسخة المترجمة، ص ٩٢.١٣ .

الذي فوق السد يرى شديد الانحدار، ونظراً لضيق مساحته قد لا يكون من السهل إعادته إلى سالف مجده ونفعه. ويوجد على بعد أربعة أميال أسفل الوادي موقع يصلح ليكون خزاناً بديعاً، يدع جبل رؤوم[١]، ويستلزم ذلك إجراء الاحصاءات الدقيقة للفيضانات وتدفق المياه،[٢] لتحسب بموجبها التقديرات اللازمة لبناء خزان لحفظ المياه فيه، ويشمل التقديرات فحص الصخور المفروشة والصخور المتقابلة، فإذا تبين إمكانية بناء خزان بشكل اقتصادي فعندها يمكن الاستفادة من عدد كبير من الأفدنة..."[٣].

وفي عنصر جانبي من المحور الأول في الكتاب يذكر (المراكز الحيوية للحياة القومية) ويسجل بعض التفصيلات عن مدن المملكة العربية السعودية كما شاهدها[٤]، ومن مدوناته عن نجران، قوله: " يقع وادي نجران في النهاية الجنوبية والشرقية من عسير، وتقع حدود اليمن بمحاذاة الجبل إلى الشمال من الوادي بالضبط. ومعدل ارتفاع الوادي (٤٠٠٠) قدم، وطوله (٧٣) ميلاً من رأسه عند السد القديم المدعو موفجة، حتى التلال ومنها إلى السهول الواسعة الممتدة شرقاً إلى الربع الخالي. ويبلغ معدل عرض الوادي حوالي ثلاثة أميال، وهناك عدة قرى في هذا الوادي لكن النشاط والحياة الجدية العملية في نجران تتركز حول مركز رياسة الحاكم الشبيهة بالقلعة، على بعد أربعة أميال من ذلك الرأس. وأما الدوائر والمقر الرسمي والثكنات العسكرية وبيت الضيافة والمجلس والمستودعات فتقع داخل الأسوار، وكذلك المحطة اللاسلكية، ويقع خارجها إلى الشرق مستشفى الحكومة. وبنايات الحاكم مؤلفة من طابقين من الطوب المجفف بالشمس وليس من الآجر، وهو نموذج من البناء يشبه بحسب معرفتي ما هو عليه في عسير، وأما بيوت المزرعة في ذلك الوادي فمحاطة بحقول البرسيم المسورة، وبشجر النخيل، وتتألف من أربعة طوابق أو خمسة، وكان بناؤها بالأصل للدفاع وصد هجمات الغزو، وكذلك لاستعمالها كأحياء مريحة للنوم والماشية، وتشغل الطابق الأرضي الذي يستعمل كمخزن للمحصولات الزراعية، وتخزن الحبوب المحصودة في الطابق الثاني"[٥].

ونجد هذا الخبير والرحالة الغربي يذكر معلومات حضارية جيدة عن وادي نجران، وعن التركيبة البشرية لوسط مدينة نجران وبخاصة مقر المؤسسات الإدارية، وبعض الأنماط العمرانية في تلك الناحية، لكنه لم يذكر لنا شيئاً عن حياة الناس العامة في مدينة

---

(١) صحة هذا الاسم هو: جبل رعوم.

(٢) يتضح من حديث هذا الخبير الأمريكي أنه يدرس أوضاع المملكة العربية السعودية وبخاصة مصادرها الطبيعية مثل: المياه، والمعادن، والبترول وغيرها. وقد جلب الملك عبد العزيز العديد من الخبراء الغربيين الذين عملوا في هذا المجال، وهذا الموضوع يستحق مزيداً من البحث والتوثيق.

(٣) انظر تويتشل. المملكة العربية السعودية، وتطور مصادرها الطبيعية، ص ٤٥-٤٦. وأقول إن بلاد نجران مازالت بحاجة كبيرة في ميدان البحوث والدراسات العلمية القديمة والحديثة. وآمل من جامعة نجران أن تنشئ بعض الأقسام العلمية التي تهتم بدراسة الأرض والسكان في عموم منطقة نجران.

(٤) تويتشل، ص ٦٩-٩١.

(٥) انظر: تويتشل، ص ٧٩.

نجران وغيرها من المناطق، وبخاصة أوضاعهم الاجتماعية، والاقتصادية، والتعليمية، والثقافية، وكذلك المالية والإدارية، مع أنه يتحدث عن بلاد نجران خلال الستينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومازلنا نتطلع إلى مزيد من البحوث والدراسات التفصيلية عن منطقة نجران في تلك الحقبة المهمة من تاريخ المملكة العربية السعودية [١].

كما يوجد في كتاب تويتشل شذرات حضارية متفرقة عن نجران وما تمتلكه من مؤهلات تنموية واقتصادية [٢]. وفي أحد عناصر الكتاب الذي اسماه (بقايا الفن المعماري وعلم الآثار القديمة) [٣]، وفي هذه الجزئية أشار إلى الأخدود وآثاره في وادي نجران، كما ذكر بعض المواد الأثرية والتراثية التي شاهدها أثناء زيارة منطقة نجران، لكنه لم يفصل الحديث عن تلك الآثار والنقوش التي أشار إليها[٤].

١٢. تركي الماضي، وفيليب ليبنز (ق١٤هـ/٢٠م).

تركي الماضي من مواليد روضة سدير عام (١٣٢٢هـ/١٩٠٤م)، نال شيئاً من التعليم على يد علماء الروضة، وعندما صار في العشرين من عمره ذهب كاتباً مع أمير عسير عبدالله بن إبراهيم العسكر عام (١٣٤٢هـ/١٩٢٤م). وكلف بأعمال عديدة من الأمير ابن عسكر، ومن الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل وبخاصة في العلاقات بين الحكومتين السعودية واليمنية، فقد حمل العديد من الرسائل، واشترك مع بعض الوفود السعودية التي كانت تسعى إلى حل بعض القضايا السياسية والعسكرية بين البلدين، ومن أهم تلك القضايا الحدود بين اليمن والسعودية، وبعض الصراعات العسكرية التي وقعت بين السعوديين واليمنيين في منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) [٥]. وقد استمر في هذا النوع من الأعمال حوالي إحدى عشرة سنة (١٣٤٢-١٣٥٣هـ/١٨٢٣-١٩٣٤م) وفي (١٣٥٣/٣/١٥هـ/١٩٣٤م) عين أميراً لمنطقة غامد وزهران، واستمر في عمله هناك ثلاث سنوات. وفي (١٣٥٧/٢/٢٧هـ الموافق أبريل ١٩٣٨م) عُين أميراً لمنطقة نجران وبقي حاكماً فيها حوالي أربع عشرة سنة. وفي تاريخ (١٣٧١/٩/٩هـ الموافق يونيو ١٩٥٢م) نقل أميراً لمقاطعة أبها، وبقي في عمله حتى توفي في (١٣٨٥/١١/٦هـ الموافق ١٩٦٦م) [٦].

---

(١) هناك عشرات الوثائق غير المنشورة التي تحتوي على معلومات علمية جيدة عن تاريخ نجران السياسي والعسكري والحضاري وبخاصة من الأربعينيات إلى السبعينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م)، نأمل أن تكون عنوانا لكتاب أو رسالة علمية في أحد الأقسام التاريخية والحضارية بجامعات المملكة العربية السعودية.

(٢) تمتلك نجران الكثير من المؤهلات والمعالم التاريخية والحضارية، وتستحق دراسة تفصيلية تحليلية في هذا الجانب، كما أن التنمية التي تمر بها بلاد نجران منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى الآن تحتاج إلى حفظ وتوثيق.

(٣) تويتشل، ص ٩٢-٩٩.

(٤) صدر بعض البحوث والدراسات القليلة عن آثار وموروث نجران، لكن مازلنا بحاجة إلى بحوث علمية موسعة وموثقة، تقوم على أعمال كبيرة في الحفر والتنقيبات عن آثار هذه البلاد العريقة في تراثها وحضارتها.

(٥) للمزيد انظر كتاب: من مذكرات تركي بن محمد بن تركي الماضي عن العلاقات السعودية اليمنية (١٣٤٢-١٣٧١هـ / ١٩٢٤-١٩٥٤م) (الرياض: دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) (٤٧٠صفحة).

(٦) المصدر نفسه، ص١٥ وما بعدها. وحسب علمي أن أحد طلاب الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد، وهو: عبدالله آل مقوبع أنجز رسالته لدرجة الماجستير في التاريخ عن تركي بن محمد الماضي عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٣م) في حوالي (١٧١صفحة). للمزيد انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطائف وأجزاء من الجنوب) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)، ج١٣، ص٤٤٤.

وكتاب: **من مذكرات تركي بن محمد بن تركي الماضي**، المصدر الذي اعتمدنا عليه في هذه الدراسة [١]، وهي مذكرات قيمة اشتملت على معلومات جيدة في مصادرها ووثائقها الرئيسية، ومعاصرة صاحب المذكرات لجميع التفصيلات الواردة في هذا الكتاب. وهناك إشارات حسنة عن البلاد النجرانية في الوثائق المنشورة في هذا السفر، والأفضل من ذلك ما عاصره وشاهده ودونه صاحب المذكرات عندما كان حاكماً عليها (١٣٥٧ - ١٣٧١هـ/١٩٣٨ - ١٩٥٢م) [٢].

وهذه المذكرات تحتوي على نوعين من المعلومات التاريخية. والحضارية عن بلاد نجران وسكانها. **الأول**: إشارات جغرافية، وسياسية، وعسكرية، وإدارية، وعقدية سجلها تركي الماضي في كتابه، وبعضها منقولاً من مصادر ومراجع مطبوعة ومنشورة، وأخرى وردت في بعض الوثائق والمراسلات بين حكام اليمن والبلاد السعودية، وكان صاحب المذكرات قد اطلع عليها في حينها، وأحياناً كان الرسول في نقلها وتبادلها بين المتراسلين[٣]. **والنوع الثاني**: ما سجله صاحب المذكرات من خلال الرحلة والمشاهدة لبلاد نجران وأهلها، وهذا الذي يهمنا، وسوف نذكر صوراً منه في الفقرات الآتية:

١. ذكر تحت عنوان جانبي أسماه: اسم نجران وصفته، قال فيه: "وبه سميت البلد، ويقع وادي نجران بين سلسلتين من الجبال الشامخة، وهي امتداد من الغرب إلى الشرق، ويشرف وادي نجران من بين هذين الجبلين حتى ينتهي إلى الرملة، وعلى ضفتي الوادي المذكور تقع القرى والنخيل والمزارع، وتبلغ مساحة الأرض المأهولة بالسكان والمزارع والنخيل نحو (٢٦) كيلاً، تبدأ غرباً من الموفجة في أعلى الوادي وتنتهي بقرية رجلاء وآل منجم ..." [٤] ويواصل وصفه لوادي نجران، وما يوجد فيه من القرى والعشائر النجرانية، ويشير إلى بعض الموارد الطبيعية والاقتصادية في هذا الوادي مثل: المياه، والآبار، والأشجار، وبعض المزروعات، وصوراً من التركيبات الاجتماعية لوسط بلدة نجران، ويدون معلومات قيمة عن الحياة الاقتصادية النجرانية. وبخاصة التجارة، فيقول: "وبعد قدومنا إلى نجران بنحو سنتين [٥]، وجدنا بأن السوق خالٍ من البنايات التي تصلح للسكن، وكذلك ليس به

---

(١) انظر: اسم كتاب (مذكرات تركي الماضي) ومعلومات نشرت في حاشية سابقة من هذه الدراسة.

(٢) أشار تركي الماضي إلى وثائق ومراسلات عديدة بين الدولتين السعودية واليمنية خلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكان نفسه معاصراً ومشاركاً في تلك الأحداث، وكانت بلاد نجران من المناطق الحدودية المتنازع عليها بين الحكومتين. ومازال هناك وثائق كثيرة غير منشورة عن تلك الحقبة والأحداث وتستحق أن تدرس في هيئة كتب أو بحوث علمية.

(٣) هناك رسائل ووثائق عديدة سجلها تركي الماضي في مذكراته، ووثائق أخرى لم نطلع عليها، وقد يكون بعضها منشوراً في كتب ورسائل علمية أخرى، ونوع آخر ربما مازالت حبيسة الأدراج، ولم تدرس وتنشر حتى الآن. للمزيد انظر: من مذكرات تركي الماضي، ص ٥٣ وما بعدها، وانظر أيضاً، ص ٤٢٠- ٤٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤١١- ٤١٢. هذه المنطقة المشار إليها أعلاه مأهولة بالسكان والقرى في وقتنا الحاضر. وقرى وحاضرة نجران تستحق أن تدرس أصولها السكانية، ومواردها الطبيعية.

(٥) يقصد من تاريخ تعيينه أميراً على نجران عام (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م).

من الدكاكين إلا مقدار نحو ثلاثة أو أربعة دكاكين[١]. والسوق عبارة عن أرض صحراوية يرتادها الأهالي والبوادي، والوافد من أهالي اليمن وغيرهم في يوم الإثنين والخميس من كل أسبوع . فبادرنا بتخطيط الأراضي وقمنا بتوزيعها على المستحقين الراغبين، وشرعوا في البناء، وكثرت المساكن والدكاكين إلى ستمائة دكان وثلاثة مساجد وأربعمائة دار، وقد زادت الحركة وتكون من ذلك مدينة لا بأس بها، ثم زادت الحركة التجارية بعد أن استمر ورود السيارات من مكة والرياض محملة بالبضائع والأطعمة، وكانت السيارات قبل ذلك لا ترد إلى نجران[٢]. وقد قمنا بتأسيس قصر الإمارة الجديد عام (١٣٦١هـ)، وانتهى في نهاية عام (١٣٦٢هـ)، حيث أن القصر الأول قد خرب ولم يعد صالحاً للسكن[٣] . ويوجد في مدينة نجران عدد من الجالية اليمنية التي تمارس البيع والشراء، وسائر المهن التي لا يستطيع الأهالي القيام بها، كما أنه يوجد جماعة من النجديين والحجازيين استوطنوا نجران وفتحوا محلات تجارية وأفادوا واستفادوا"[٤] .

٢ـ **<u>يذكر شذرات من تاريخ نجران القديم</u>**، فيورد شيئاً مما دونه الهمداني، وبعض كتب السير والأنساب عن أصول بعض سكان نجران وبخاصة قبيلة يام، وقصة أهل الأخدود وما جرى لهم على يد ذي نواس، ويشير إلى أهمية آثار نجران، كما أشار إلى نسب المكارمة، ودخولهم نجران، وأورد عدد (١٧) من زعمائهم[٥]. ثم دون لمحات من صادرات نجران أيام إمارته على البلاد (١٣٥٧ـ ١٣٧١هـ / ١٩٣٨ـ١٩٥٢م)، فقال: " كانت نجران تصدر القمح والذرة والتمور والمواشي، وبعد أن كثر السكان شرعوا يستوردون الحبوب إلى نجران لأن حاصلات بلادهم لا تقوم بكفايتهم ويستوردون البقر والبن والسمن والزبيب والجلود من اليمن، ويصدرون التمور إلى صعدة . وتبعد مدينة صعدة اليمن عن نجران بمرحلتين على الجمال، وهناك من الحدود اليمنية ما هو أقرب إلى نجران من صعدة،

---

(١) تاريخ التجارة والعمارة في بلاد نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) من الموضوعات المهمة والجديدة في أبوابها وتستحق أن تكون عناوين لكتب أو رسائل علمية .

(٢) أشار صاحب المذكرات إلى بداية العمران الحديث في بلدة نجران، وإلى دخول السيارات إلى نجران، وهذان الموضوعان يستحقان البحث والتوثيق في هيئة كتاب أو رسالة علمية . كما أن بلاد نجران منذ نهاية القرن (١٣هـ/١٩م) حتى وقتنا الحاضر تستحق العديد من الدراسات التاريخية والحضارية الرصينة .

(٣) تاريخ الإدارة الحديثة في نجران من عام (١٣٥٠ـ ١٤٤٠هـ/١٩٣١ـ ٢٠١٩م) موضوع جديد في بابه ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة علمية أو كتاب توثيقي . انظر: غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران) (الرياض : مطابع الحميضي، ٣٢ـ ١٤٣٣هـ/٢٠١١ـ٢٠١٢م) (الجزء الثالث)، ص ٢٤١ـ٢٨٦ .

(٤) لقد أحسن الأستاذ تركي الماضي في الإشارة إلى بعض العناصر البشرية التي تسكن وتعمل في بعض الأعمال والحرف في نجران في أوائل النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومن يذهب إلى نجران اليوم يجد أنه يوجد فيها عناصر عديدة من أنحاء المملكة العربية السعودية، نعم قبيلة يام وغيرها من قبائل العرب تستوطن نجران منذ مئات السنين، لكن التركيبة البشرية في منطقة نجران اليوم مكونة من أهل البلاد أنفسهم ومن أجناس عربية وغير عربية، وهذه التركيبة تستحق أن تدرس في عدد من البحوث العلمية، ونأمل من جامعة نجران أن تنشئ مراكز بحوث علمية تهتم بدراسة ما يتعلق بالأرض والسكان في منطقة نجران .

(٥) انظر : من مذكرات تركي الماضي، ص ٤١٣ـ ٤٢١ . من يدرس تاريخ نجران السياسي والعقدي فإنه سوف يجد نصوص متفرقة في مصادر التراث الإسلامي، وفي بعض الكتب الكلاسيكية القديمة اللاتينية وغيرها . ومازال تاريخ نجران قبل الإسلام يستحق الكثير من الباحثين والمتخصصين الجادين .

ومن ذلك وادي الفرع بقبيلة وائلة، ويمتاز هذا الوادي بكثرة الأعناب وجميعها تستهلك في وادي نجران، لأن المسافة من وادي الفرع إلى وادي نجران لا تزيد على ثلاث ساعات للإبل والدواب "[١] .

٣ـ وفي نهاية حديثه عن نجران يذكر معلومات لا بأس بها عن قرى وادي نجران، ويشير إلى مدينة الأخدود ويذكر بعض آثارها، ويوصي بالاهتمام بها تاريخياً وعلمياً، ثم يشير إلى وادي حبونا الذي يقع في شمال نجران، ويذكر بعض قراه وقبائله[٢] .

أما فيليب ليبنز فهو ضابط بلجيكي له رحلات ومغامرات في بعض البلاد العربية، كان واحداً من الفريق العلمي الذي سار مع فلبي في رحلة وسط وجنوب غرب الجزيرة العربية عام (١٣٧١هـ/ ١٩٥١م)[٣] . عبر ليبنز ورفاقه بلاد السروات إلى نجران ثم إلى بلاد نجد، وألف في ذلك كتاباً: عنوانه : **رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية**، ونشره باللغة الفرنسية في منتصف القرن الميلادي الماضي، وترجم في دارة الملك عبدالعزيز إلى العربية، ونشر عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) [٤] .

ويرحل هذا الفريق العلمي من مدينتي أبها وخميس مشيط نحو طريب، وبلاد تثليث، والأمواه حتى أجزاء بلاد نجران الشمالية مثل ناحيتي يدمة ووادي حبونا، ثم يواصلون السير حتى مدينة نجران[٥] . وفي هذه الرحلة الطويلة، يدون فيليب معلومات جيدة عن جغرافية البلاد التي مروا عليها، وبعض القرى والأماكن الاستيطانية من أبها حتى مدينة نجران، ويشير إلى رسومات صخرية ونقوش عديدة شاهدوها ونقلوا بعضها في الأجزاء الشرقية من منطقة عسير، وأيضاً صوراً أخرى اجتماعية، واقتصادية، وتاريخية، وحضارية [٦] .

وفي حوالي (٢٣) صفحة، عنوانها (الإقامة في نجران) [٧] . ويشير في هذه الصفحات إلى شيء من جغرافية وادي نجران، وإلى منطقة الأخدود، وما يوجد في هذا الوادي من

---

(١) من مذكرات تركي الماضي، ص ٤٢٢ .

(٢) ما دون تركي الماضي عن نجران لا يعطي القارئ صورة واضحة عن تاريخ وحضارة نجران وبخاصة في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) إلا أن صاحب هذه المذكرات أشار إلى نقاط ومعلومات جديدة في بابها، وتستحق أن تدرس وتوثق في كتب وبحوث علمية أوسع وأطول .

(٣) كان الفريق العلمي مكوناً من هاري سانت جون فلبي، والأستاذ كونزاك رايكمانز، أستاذ اللغات السامية في جامعة لوفان، والسيد فيليب ليبنز الخبير في تخطيط الرسوم وتصوير الآثار القديمة والنقوش . للمزيد انظر غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطائف وأجزاء من الجنوب) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م)، ج١٣، ص٨٢ .

(٤) انظر الكتاب في نسخته العربية (٢٧٥) صفحة .

(٥) فيليب ليبنز. رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية . ترجمه من اللغة الفرنسية إلى العربية محمد محمد الحناش. (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص ٧٣ وما بعدها . للمزيد عن هذه الرحلة وما دونه فيليب ليبنز فيها من أبها إلى نجران انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (٣٢ـ١٤٣٣هـ/٢٠١١ـ٢٠١٢م) (الجزء الثالث)، ص ٣٥٧ـ٣٦٠ .

(٦) انظر: فيليب ليبنز، رحلة استكشافية، ص ٧٤ وما بعدها .

(٧) انظر المصدر نفسه، ص ١٢٩ـ١٥٢ .

القـرى، والمعالم الجغرافية الأخرى، مثل: بعض الجبال، والهضـاب، والموارد المائية، وأبنية أهلية، أو رسـمية، كما أشار إلى بعض الأعلام في نجران مثل: أمير نجران تركي بن محمد الماضي، وشيوخ وأعيان وأفراد وأسر شاهدهم وتحدث معهم [١]. كما أورد معلومات مختصرة عن نجران قبل الإسـلام، وأشـار إلى مواطن قديمة كان سـكانها من الوثنيين أو المسيحيين وبعض اليهود [٢]. وفي باب التاريخ الاجتماعي والاقتصـادي يدون لنا ليبنز معلومات قيمة، فيذكـر بعض الألبسـة والزينة عنـد بعض فئات المجتمع النجراني، فيقول: "كانت النسـاء والفتيات يلبسن بذلاتٍ جميلةٍ ذات خطوط عمودية صفراء وسوداء. وهناك فتاة ذات قامة ممتلئة وتلبس خماراً برتقالياً معقوداً خلف شعرها، معلقةٍ في عنقها لوحة كبيرة من الفضة المنقوشة تتدلى على صدرها ولابسة حزاماً ذهبياً ومزيناً بأحجار ملونة..." [٣].

ويتحدث هذا الرحالة عن صور من العمارة في مدينة نجران، فيذكر حفر وبناء بعض الآبار، وتشـييد بعض المصـبات المائية، أو المنازل، والأسـوار، والمدرجات الزراعية ويشير إلى هيئة بعض القرى أو المجمعات السكنية في وادي نجران. كما زار أمير منطقة نجران، وبعضـ شـيوخ وأعيان البلاد، وأوردِ تفصـيِلات جيـدة عن البيوت أو القصـور التي كانوا يسـكنونها، حيث كان بعضـها كبيراً وواسعاً، وتتكون من سـتة أو سبعة طوابق، ويحيط بها مرافـق عديدة، ومعظم مواد بنائها محلية، وهذا النـوع من المنازل لا يملكها إلا الأغنياء، وبعض الوجهاء والشيوخ، أما عامة الناس فيسكنون في بيوت متواضعة مبنية من الطين، أو الحجارة والطين، ومعظم بدو نجران يسكنون الخيام [٤].

ويذكر فيليب ليبنز بعض الأطعمة والأشـربة التي تناولها أو شـاهدها في بعض منازل النجرانيين مثل: الخبز المصنوع من حبوب الحنطة، أو الذرة والشعير. ولحوم الأبقار، أو الإبل والأغنام، وبعض المشتقات الحيوانية كاللبن، والسمن، والزبد. ويصف وجبة تناولها ورفاقه في منزل الأمير تركي الماضي، وكانت تتكون من "قطع الحامض، والبصل، والخل، وقشدة الحليب المعطر، وقطع اللحم" [٥].

ويفصـل الحديـث عن سـوق نجـران الأسـبوعي، ومايرد أو يُصـدر إليه من السـلع الداخلية والخارجية، فيقول: "يوم الإثنين هو يوم السـوق في نجران ... وهو مكان تتكاثر فيـه الجمال والحمير المحملة بالأكياس، والعلف، والقرب، وحزم الحطب، وعندما تصـل هـذه الحيوانات إلى السـوق كانت تكمم وتكبح بطرق مختلفة، بعضـها تثنى سـاقه خلف

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٩-١٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٢-١٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٦-١٤٧. تاريخ اللباس والزينة عند النجرانيين خلال القرون الثلاثة الماضية من الموضوعات الجديدة في بابها، ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية، ونأمل أن نرى من يدرسه في عمل علمي موثق.

(٤) فيليب ليبنز، ص ١٥٠.

(٥) المصدر نفسـه، ص ١٤٩. والأطعمة والأشـربة في منطقة نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضـوع مهم وجيد وجديـد ويسـتحق أن يدرس في كتـاب أو رسـالة علمية. ومعظم مـادة هذا العنـوان مازالت ميسـورة عند بعض المعاصرين الذين مازالوا على قيد الحياة، أو في بعض الوثائق والمصادر المتنوعة.

ركبته، وبعضها توثق ساقاه الأماميتان بحبل بعد أن يشدا إلى بعضهما ... وكان في السوق حوالي أربعمائة شخص رجالاً ونساءً قدموا من مختلف الجهات لتبادل أو بيع منتجاتهم. كل واحد منهم يضع بضاعته على الأرض، أو قفات مفتوحة، أو سلال من القصب، أو في قطع من القماش التي تستخدم كذلك في عرض البضائع، والنساء نصف المحتجبات يسرن بين الناس ببضائعهن المرفوعة فوق رؤوسهن. والرجال يرتدون الثياب البيضاء المغطاة أحياناً بالعباءات، وبعضهم يرتدي معطفاً ثقيلاً من جلد الغنم المقوى، وكان هناك عدد من الزبائن من فصيلة الزنوج، أما النقود فتحمل في كيس صغير من القماش، ذلك لأن النقود لم تدخل بعض النظام النقدي السعودي[1] ..." حقاً إن هذا الرحالة أشار إلى معلومات اقتصادية حضارية عن حياة الناس [2] في سوق نجران الأسبوعي في سبعينيات القرن (١٤هـ / ٢٠م)، واليوم تطورت نجران في شتى المجالات الإدارية والحضارية [3].

ويواصل هذا الرحالة الأوروبي الحديث عن مجتمع سوق نجران الأسبوعي، فيقول: "... داخل هذا الزخم من البشر والحيوانات تبودلت المنتوجات بالأيدي، حزم من الخشب، ثم الحبوب وخاصة الأرز والخضروات، وبخاصة الطماطم والباذنجان، والتوابل، والفحم الخشبي، وأعواد الكبريت، أو الأقمشة القطنية. وعلى الرغم من أن العملة الرسمية هي قطعة من الفضة، أي الريال ... ولاتزال هناك بعض الحوانيت الصغيرة الواقعة في العمارات التي تحيط بالمكان، تصل مساحتها إلى بضع أمتار مربعة أولها باب بدون نوافذ. أما النخبة من التجار المحليين فتبيع بالإضافة إلى البضائع المعروفة، القماش، والأحذية الصيفية، والدخان، والخوخ الكاليفورني المعلب، بالإضافة إلى الأسلحة المنقوشة بعناية، التي يعد غمدها المقوس والمزخرف أحياناً أثراً عالمياً"[4].

١٣. مجلة العرب (حمد الجاسر)، ومحمد حميد الله الحيدري، والقاضي محمد بن علي الأكوع (ق١٤-١٥هـ/ق٢٠-٢١م):

هؤلاء العلماء الثلاثة (الجاسر، وحميد الله، والأكوع) ممن خدموا التاريخ والتراث والحضارة الإسلامية، وقد حظيت شبه الجزيرة العربية بجهود جيدة من هؤلاء الأعلام[5]. وحمد بن محمد الجاسر من مواليد قرية البرود في نجد عام (١٣٢٨هـ/١٩١٠م)، نال تعليمه في سن مبكرة، وبذل جهوداً كبيرة في تطوير نفسه في ميادين العلم، والقراءة،

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

(٣) هذا النمو والتطور الذي جرى على بلاد نجران وأهلها منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى يومنا الحاضر (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)، من الموضوعات التاريخية الحديثة والمعاصرة، ويستحق الدراسة والتوثيق العلمي.

(٤) أشرت في أكثر من مكان من بحوثي ومؤلفات إلى أهمية ما حفظ لنا الرحالة المتقدمون والمتأخرون من مواد علمية قل أن نجدها في أي مصدر آخر. ونرى فيليب ليبنز في هذه المدونات يذكر صوراً جيدة وجديدة عن حياة النجرانيين الاقتصادية خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٥) كل واحد من هؤلاء العلماء الثلاثة يستحق أن يصدر عنه وجهوده المباركة في خدمة العلم والمعرفة العديد من الكتب والبحوث العلمية الموثقة.

والبحث، وحقق عشرات الكتب والبحوث العلمية وبخاصة ما يتعلق بشبه الجزيرة العربية[١] . سعى إلى تأسيس مجلة علمية تهتم بتراث وحضارة وفكر وموروث الجزيرة العربية، وأطلق عليها اسم (العرب)، وهي مجلة شهرية، صدر الجزء الأول منها في شهر رجب عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ومازالت تصدر حتى الآن[٢] .

وقد استقرأت هذه المجلة، وما نشر فيها عن بلاد نجران، فوجدت الأستاذ الجاسر وغيره من الباحثين دونوا معلومات متفرقة عن الإنسان والأراضي النجرانية . ويشيرون إلى أن اسم نجران اطلقت على مواضع عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها، لكن أشهرها بلاد نجرانٍ المعروفة في وقتنا الحاضر، والتي نحن بصددها في هذه الدراسة[٣] . ويورد الجاسر نقلاً عن الرحالة والجغرافي الإدريسي معلومات عن مدن نجران وجرش وخيوان، ويقول : "كلها متقاربة في المقدار والعمارة، وفيها تدبغ الجلود اليمنية التي لا يبلغها شيء في الجودة، ولها مزارع وضياع ومكاسب وتجارات، يتقلبون فيها ويتعيشون منها، وبين خيوان ونجران ست مراحل"[٤] . وهناك بعض الإشارات إلى حروب قبيلة بنو الحارث بن كعب مع غيرها من القبائل القحطانية أو العدنانية قبل الإسلام وبعده[٥] . ويوجد بعض الإشارات عن بعض المواضع في منطقة نجران مثل: بدر الجنوب، ووادي حبونا، ومعدن الرضراض في محيط بلاد نجران[٦] . وفي جولة للجاسر في المغرب العربي، يذكر أنه شاهد الكثير من القرى التي تعرف بأسماء أشخاص أو أسر، وكذلك أسواق أسبوعية وتسمى بعض النواحي أو القرى بأسمائها، فيقال: قرية، أو بلدة سوق الثلاثاء، أو الأربعاء، أو الخميس، وهكذا، ثم قال: "وذلك كالحال في الحجاز والسراة وجنوب الطائف إلى نجران، وفي نجران وتهامة وأودية السراة الجنوبية الشرقية كتثليث، وطريب، ووادي بيشة، ووادي رنية، ووادي العقيق وما حولها"[٧] . وهذا التشابه ربما جاء من الأصول العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى مصر وبلاد المغرب خلال القرون

---

(١) للمزيد انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الطائف وأجزاء من الجنوب) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م) (الجزء الثالث عشر)، ص ٨٤ .

(٢) كان الأستاذ الجاسر صاحب هذه المجلة ورئيس تحريرها، وهي من الأوعية العلمية الجيدة، وفيها عشرات البحوث الرصينة، ويتولى الإشراف عليها وتحريرها بعد وفاة الشيخ الجاسر نخبة من العلماء وأساتذة الجامعات الجيدين . وهذه المجلة تستحق أن تدرس في عدد من الرسائل أو الكتب العلمية، وهذه مسؤولية الأقسام الأكاديمية في الجامعات العربية الإسلامية .

(٣) هناك مواضع عرفت باسم نجران في بلاد البحرين، والشام، والعراق، كما يوجد بعض الحصون أو القلاع في منطقة جازان وعرفت باسم نجران، وقد شيدت خلال القرن (١٣هـ/١٩م). للمزيد انظر: مجلة العرب، ج١٠، سنة (٣) (ربيع الثاني/ ١٣٨٩هـ الموافق يوليو/١٩٦٩م)، ص١٠٢١.ج٧، سنة (٧) محرم/ ١٣٩٣هـ.فبراير/١٩٧٣م)، ص ٥٩٤. ج٩. ١٠، سنة (٨) (الربيعان /١٣٩٤هـ الموافق إبريل، مايو/١٩٧٤م)، ص ٧١٩، ٧٢٢ .

(٤) مجلة العرب، ج٢، سنة (٥) (شعبان /١٣٩٠هـ. أكتوبر/١٩٧٠م)، ص١١٩ .

(٥) مجلة العرب، ج١، سنة (٨) (رجب /١٣٩٣هـ. أغسطس /١٩٧٣م)، ص ٢٩-٣٠ .

(٦) مجلة العرب، ج٦، سنة (٦) (ذو الحجة /١٣٩١هـ الموافق فبراير/١٩٧٢م)، ص ٥٣١ . ج١، سنة (٨) (رجب/ ١٣٩٣هـ. ١٩٧٣م) ص٥ .

(٧) مجلة العرب، ج١٠، سنة (٧)، ربيع الثاني (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص ٨٠٢ .

الإسلامية المبكرة والوسيطة"[(١)]. ويزور الجاسر نجران عام(١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، بسبب دعوة وصلته من وزير الزراعة آنذاك يدعوه إلى حضور افتتاح سد وادي نجران. وأشار إلى معلومات محدودة عن أهمية السد، والتنمية التي تمر بها بلاد نجران في مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وكنت آمل من الشيخ أن يكون رصد لنا التركيبة الحضارية لمنطقة نجران أثناء زيارته لها، وهو خير من يسجل ذلك فهو صاحب قلم ومعرفة وتجربة جيدة تؤهله أن يفعل ذلك، لكنه تجاوز ذلك وتحدث عن الأخدود، وأشار إلى بعض الروايات التي وردت عنه عند بعض المفسرين، والمؤرخين، والجغرافيين الأوائل[(٢)].

أما الأستاذ محمد حميد الله الحيدري من مواليد مدينة حيدر أباد بالدكن في الهند عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)، بدأ تعليمه في مسقط رأسه بالهند، ثم ذهب إلى أوربا وتعلم وعمل في عدد من الجامعات الأوربية، وهو مؤرخ، ومحدث، وفقيه، ويجيد اللغة العربية وعدد من اللغات الغربية والآسيوية، ويعد من أعلام الثقافة العربية والإسلامية الكبار، كتب ونشر عشرات الكتب والبحوث باللغة العربية ولغات أخرى عديدة، وافته المنية في عشرينيات هذا القرن (١٥هـ/٢١م)[(٣)]. واقتصرنا حديثنا في هذه الدراسة على كتابه: **مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة**[(٤)]. والكتاب في مجمله يشتمل على الكثير من الوثائق والمراسلات التي جرت في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، جمعها المؤلف من مصادر التراث الإسلامي الأولية وفيها الكثير من الروايات والحقائق التي مازالت تحتاج إلى مزيد من الدراسة والتحليل[(٥)]. وقد جمع المؤلف في حوالي (٣٨) صفحة المراسلات بين الرسول ﷺ وأعيان وشيوخ بعض القرى، أو الأسر، أو العشائر الوثنية النجرانية، الذين اعتنقوا الإسلام، فالرسول ﷺ عن طريق رسله إلى نجران كتب لهم الحقوق والواجبات التي عليهم[(٦)]. وهناك مراسلات متبادلة بين الرسول ﷺ ونصارى نجران الذين صالحهم النبي ﷺ على دفع الجزية، وصار الخليفة أبوبكر الصديق رضي الله عنه على نفس الصلح الذي عقده الرسول ﷺ، لكن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرر إخراجهم من نجران إلى الكوفة في العراق، وعوضهم

---

(١) هناك الكثير من الهجرات العربية التي خرجت من جنوب الجزيرة العربية إلى بلدان عديدة في العالم الإسلامي، وقد حظيت بلاد المغرب والأندلس بالكثير من تلك الهجرات. وموضوع الصلات بين سكان اليمن ونجران والسراة مع بلاد مصر والمغرب والأندلس في القرون الإسلامية الأولى من الموضوعات الجديدة والجديرة بالبحث والتوثيق.

(٢) مجلة العرب، ج٥،٦، سنة (١٧)، ذو القعدة والحجة (١٤٠٢هـ/ الموافق سبتمبر، وأكتوبر/١٩٨٢م)، ص ٣٢١-٣٢٥. آمل أن أقوم برحلة إلى جميع أجزاء منطقة نجران وأكتب شيئاً عن التنمية والتطور الحضاري الذي تمر به هذه البلاد منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر.

(٣) كانت وفاة محمد حميد الله في (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، وقد خلف لنا ثروة علمية كبيرة في علوم ومعارف وتخصصات عديدة.

(٤) الطبعة التي اعتمدنا عليها (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ)، ويظهر في مقدمة الكتاب أن حميد الله كتبها وهو في الجامعة العثمانية في مدينة حيدر أباد بالهند خلال الأربعينيات من القرن الميلادي الماضي.

(٥) انظر مادة الكتاب التي تقع في (٤٢٤ صفحة).

(٦) للمزيد انظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٨٣ وما بعدها. وهذه المراسلات المتبادلة بين الرسول ﷺ والوثنيين ثم المسلمين في نجران درست في كتب وبحوث عديدة، لكنها مازالت تحتاج إلى مزيد من النقد والتحليل.

بأملاك وعقارات هناك[١]. ويوجد في هذه المراسلات مادة علمية جديدة، وهي متناثرة في كثير من كتب التراث الإسلامي، وقام محمد حميد الله بجمعها في هذا السفر، وما يتعلق بالنجرانيين (نصارى ومسلمين) يستحق أن يدرس في هيئة بحث علمي مطول، مع توظيف منهج النقد والتحليل لهذه الوثائق وآثارها الاجتماعية، والاقتصادية والثقافية والعلمية[٢].

والقاضي محمد علي الأكوع من مواليد مدينة ذمار عام (١٣٢١هـ/١٩٠٣م)، تلقى تعليمه في بداية حياته على يد والده في مسقط رأسه، ثم عمل في التدريس بمدينة إب، أسس مع بعض زملائه جمعية الإصلاح في إب عام (١٣٦٣هـ/١٩٤٣م)، قابل العديد من المتاعب السياسية، واعتقل أكثر من مرة، ومكث في السجن سنوات عديدة. وفي عام (١٣٧٤هـ/١٩٥٤م) عين قاضيا ثم نائبا لوزير العدل، ثم صار وزيرا للأوقاف عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، وأخيرا أصبح رئيسا للجنة التأليف والنشر. يعد القاضي محمد الأكوع من أشهر علماء ومؤرخي اليمن في العصر الحديث، ألف وحقق بعض الكتب والبحوث العلمية عن تاريخ وحضارة وأنساب وتراث الجزيرة العربية وبخاصة جنوبها، ويوجد في مؤلفاته والكتب التي حققها الكثر من المعلومات عن تاريخ وتراث وحضارة نجران[٣].

ومن مؤلفات القاضي محمد الأكوع كتاب: **الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة (٣٣٢هـ)**. وقد استقى فكرة هذا الكتاب من مؤلف محمد حميد الله الحيدري السابق ذكره، وأشار الأكوع إلى ذلك صراحة، إلا أنه توسع في المدة الزمنية فاشتملت الوثائق المجموعة في هذا السفر على عصر ما قبل الإسلام، وخلال القرون الإسلامية الأولى حتى عام (٣٣٢هـ/٩٣٣م)، عصر استقلال اليمن داخليا، أيام الدولة الحوالية الحميرية[٤]. وعندما فحصنا كتاب الأكوع نجده لا يخرج كثيرا عما ذكره محمد حميد الله في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، فأشار إلى الرسائل بين الرسول ﷺ وبين النجرانيين (نصارى ومسلمين)[٥]، كما نوه عن مراسلات الخلفاء الراشدين من وإلى نجران أو الكوفة فيما يتعلق بنصارى نجران وهم في بلاد نجران، أو بعد نقلهم إلى العراق[٦]. وإذا كان الأكوع ذكر بعض الوثائق السياسية اليمنية حتى أوائل القرن (٤هـ/١٠م)، فمازالت شذرات محدودة تخص حواضر اليمن الرئيسية وبخاصة مدينة

(١) انظر : محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ص ٩٢- ١٢١ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٨٣، ١٢١ . للمزيد انظر غيثان بن جريس . نجران : دراسة تاريخية حضارية (ق١- ق٤هـ/ق٧- ق١٠م) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الجزء الأول) .

(٣) من يبحث في فهارس المكتبات المركزية العربية والعالمية، وكذلك على الشبكة العنكبوتية فإنه سوف يطلع على أسماء الكتب والبحوث التي أنجزها القاضي محمد الأكوع . ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس ما حقق أو كتب عن نجران والنجرانيين .

(٤) انظر: محمد علي الأكوع الحوالي . الوثائق السياسية اليمنية من قبل الإسلام إلى سنة (٣٣٢هـ) (بغداد : دار الحرية للطباعة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) (٣١٧صفحة) .

(٥) المرجع نفسه، ص ٨٩- ٩٦ .

(٦) المرجع نفسه، ص ١٦١- ١٦٢، ١٧٣، ١٨٨، ١٩٠ .

صنعاء وما حولها من البلدان، أما نجران فلا نجد لها ذكراً في هذه الوثائق المنشورة في هذا الكتاب . مع أنه يوجد بعض الوثائق السياسية والحضارية عن نجران وما جاورها من المدن اليمنية خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة، وجلها توجد في بعض المصادر اليمنية وبخاصة الزيدية[١] .

١٤ـ عاتق البلادي، وعبد الرحمن صادق الشريف (ق١٤ـ١٥هـ/ق٢٠م):

البلادي هو عاتق بن غيث بن زائر بن حمود، ونسبته إلى عشيرته البلادية، وهي فرع من قبيلة حرب. ولد عاتق عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٤م) شمال مكة، عند جبل يطلق عليه اسم (أبيض). بدأ دراسته في وادي خليص، وبعد وفاة والده عام (١٣٦٤هـ/١٩٤٤م) انتقل إلى مكة، وحصل على المرحلة الابتدائية في المدرسة السعودية، ثم التحق بالجيش السعودي، وتقلد العديد من الرتب العسكرية حتى تقاعد عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م). اجتهد في تطوير نفسه في ميادين القراءة والكتاب، وبدأ يكتب بعض المقالات في الجرائد والمجلات من ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وله العديد من الدراسات والكتب المطبوعة والمنشورة، ومعظم مؤلفاته تدور في محيط تاريخ وتراث وجغرافية منطقة الحجاز [٢] .

كتاب : **بين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات)**، للرحالة عاتق البلادي، يقع في (٤٠٧) صفحة من القطع المتوسط [٣]. وجميع مادة هذا السفر ترصد رحلة البلادي من مكة إلى نجران عبر جبال السروات في مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) [٤]. ونجد نصف مادة الكتاب عن تاريخ وحضارة نجران عبر عصور التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث . فعند خروجه من ظهران الجنوبٍ نحو نجران يذكر بعض محطات الطريق من بلاد وادعة إلى مدينة نجران، ونزل ضيفاً على صهره قاضي مستعجلة نجران الشيخ محمد بن إبراهيم الحازمي[٥]، والتقى هذا الرحالة بوكيل إمارة نجران، الأستاذ سلطان بن خالد السديري، ومكث حوالي خمسة أيام في منطقة نجران زار بعض أعلامها في وادي نجران، ووادي حبونا، وناحيتي شروري والوديعة، وذكر شيئاً من معالم هذه البلاد الجغرافية، وزار سد وادي نجران، وأشار موقعه الجغرافي، وأهميته الاقتصادية

---

(١) آمل أن نرى باحثاً جاداً يقوم بجمع الوثائق والمراسلات بين أهل نجران والدولة الزيدية من القرن (١٣.٣هـ/ق١٩.٩م)، وهي موجودة ومتناثرة في الكثير من المصادر والمخطوطات وبعض الأراشيف المحلية والإقليمية والعالمية. ومن يتولى هذا الأمر فإنه سوف يقف على الكثير من الوثائق السياسية والعسكرية والحضارية التي تشتمل على مواد علمية متنوعة ومفيدة في أبوابها.

(٢) للمزيد انظر العديد من مؤلفات عاتق البلادي، وانظر: غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج١٣، ص ٨٦ ـ ٨٧ .

(٣) من مطبوعات دار مكة للنشر والتوزيع (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ومن يطالع فهارس المكتبات الجامعية وغيرها فإنه سوف يجد عشرات البحوث والكتب المطبوعة والمنشورة لهذا الرحالة الحجازي في العصر الحديث . ويستحق أن يفرد له ولجهوده العلمية عدد من الكتب أو البحوث العلمية .

(٤) كانت بداية الرحلة في (٢/شعبان /١٤٠٠هـ الموافق ١٨/يونية/١٩٨٠م) .

(٥) الشيخ محمد بن إبراهيم الحازمي من حوازم حرب، ولد بوادي الصفراء في الحجاز، وحصل على الشهادة الجامعية من الجامعة الإسلامية، وقضى حياته العملية في سلك القضاء .

والحضـارية[١] . ونـوه إلى بعضـ طبقات المجتمـع النجران فذكر العشـائر الرئيسـية في المنطقـة، مثـل: قبيلة يام، وقبائل نهد، والصـيعر، وبالعبيد، كما ذكر بعض الأشـراف في ناحيتـي عويـرة وصـنعاء في مدينة نجران [٢] ، وأشـار إلى بعض السـكان اليمنيين الذين يسـتوطنون أجزاء من نجران . ودون بعض المعلومات عن المكارمة أئمة الإسـماعيليين في نجران واليمن [٣] .

والبلادي قابل عدداً من أعيان المجتمع النجراني، ودخل بيوت علية القوم، وزار بعض المطاعـم وتناول بعض الأطعمة فيها، إلا أنه لم يفصـل لنا شـيئاً عن الأطعمة والأشـربة، وكذلك الألبسة والزينة، كما انه لم يدون أي شيء عن أعراف وعادات وتقاليد النجرانيين . وأشار إلى وجود بعض المؤسسات الإدارية في مدينة نجران، وحبونا، وشرورى، والوديعة، وذكر أن بلدتي الوديعة وشـرورى كانتا صحاري قاحلة، وفي السبعينيات والثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) أنشـئت فيها مراكز إدارية، كونهـا مناطق حدودية مع اليمن، وكنت آمل من الأستاذ البلادي أنه فصل لنا الحديث عن تركيبة هذه البلاد السكانية، وتاريخها الحضاري عند زيارته لها في مطلع هذا القرن الهجري (١٥هـ/٢٠م) [٤] .

وفي حوالي (١١٧) صـفحة من الكتاب ينقل البلادي من المصـادر والمراجع شيئاً من التاريخ السياسـي والعسـكري الذي عرفته بلاد نجران منذ عصـور ما قبل الإسـلام إلى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م)، وجل المادة التي ذكرها منقولة من بعض المصادر الزيدية التي فصلـت الصـراعات العسـكرية بين النجرانيين والأئمة الزيدية [٥] . وأقول إن تاريخ نجران منذ القرن (٣-١٢هـ/٩-١٨م) مازال غامضاً، ولا نجد مصادر موثوقة تؤرخ لهذه الفـترة، ونأمل أن نرى مـن مؤرخي الجزيرة العربية أو غيرهم مـن يدرس لنا تاريخ هذه الحقبة الزمنية الهامة [٦] .

ويـدون في نهاية الكتاب سـت عشـرة صـفحة يذكر فيهـا موجزاً قصـيراً عن بعض المؤسسـات الإداريـة في مدينة نجـران أثناء زيارته لها مـن (٥-٩/٨/١٤٠٠هـ)، لكنه لا يعطينا صـورة واضـحة عن تاريخ ونشـاطات تلك الإدارات، كما يذكر نماذج من الأدوات الأثرية التي شاهدها في الأخدود أثناء زيارته وتجواله في أرجائه، وأشار إلى بعض الأقوال عن

(١) البلادي، بين مكة وحضرموت، ص ٩٣ وما بعدها .

(٢) المرجع نفسه، ص ٩٣ـ ١٠٤ .

(٣) تاريـخ الحيـاة الاجتماعية في نجران خلال القـرون الثلاثة الماضـية (١٢ـ ١٤هـ/١٨ـ٢٠م)، وأيضـاً تاريخ الدعاة المكارمة خلال الفترة نفسها من الموضوعات الجديدة ويجب أن تدرس في عدد من الكتب أو الرسائل العلمية .

(٤) اعلم اليوم أن بلاد شرورى والوديعة أصبحت متطورة في جميع الميادين التنموية، ويستوطنها آلاف البشر من أهل البلاد، ومن مناطق عديدة في المملكة العربية السـعودية، بالإضـافة إلى بعض العناصـر البشـرية الوافدة إليها للعمل في العديـد مـن القطاعات الحضـارية . وآمـل أن أقوم بجولة على عمـوم منطقة نجران أدون فيها شـيئاً من التنمية والتطور الذي تمر به بلاد نجران منذ بداية هذا القرن الهجري حتى وقتنا الحاضر .

(٥) البلادي بين مكة وحضرموت، ص ٢٢٢ـ ٣٣٩ .

(٦) لقد أصـدرت الجـزء الأول من تاريخ نجـران من القرن (١ـ٤هـ/٧ـ١٠م) في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، وصـدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، وآمل أن اسـتكمل دارسـة تاريخ نجران في القرون الإسـلامية الوسيطة والحديثة والمعاصرة، وهي جديرة أن تدرس في عدد من البحوث العلمية الرصينة .

كعبة نجران، وذكر مكانها حسب اعتقاده . وهذان المحوران اللذان ذكرهما، (تاريخ الإدارات الحديثة، وكعبة نجران)، مازالتا تستحقان المزيد من البحث والدراسة والتأصيل[١] .

أما عبد الرحمن صادق الشريف فهو أستاذ جامعي، عمل في عدد من الجامعات العربية، وبخاصة جامعة الملك سعود، فقد عمل في قسم الجغرافيا كلية الآداب سنوات عديدة، وله الكثير من البحوث والكتب المطبوعة والمنشورة . ونجد في كتابه : **جغرافية المملكة العربية السعودية**[٢]، الذي يقع في جزئين، أنه قام بالعديد من الرحلات والجولات الميدانية في جنوب غرب المملكة العربية السعودية . والمعروفة باسم (بلاد تهامة والسراة) والممتدة من الطائف وجنوبي مكة المكرمة إلى جازان ونجران، وقد خصص الجزء الثاني من كتابه الآنف الذكر لهذه البلاد العربية السعودية الجنوبية[٣] .

ويشتمل الجزء الثاني من كتاب الشريف علي أحد عشر فصلاً، غير المقدمة والخاتمة وفهارس الكتاب، وقسم الكتاب إلى بابين، الأول يحتوي على ثلاثة فصول تدرس طبيعة الإقليم أو الأقاليم في المملكة العربية السعودية، وجل مادة هذه الفصول تناقش التركيبة الجغرافية الطبيعية والبشرية لجنوب غرب المملكة العربية السعودية . أما الفصول الثمانية الأخرى في الباب الثاني فهي تدرس جغرافية مناطق جنوب المملكة العربية السعودية، الممتدة من مكة المكرمة والطائف إلى منطقتي نجران وجازان[٤] .

ويخصص الشريف الفصل الثامن من كتابه للحديث عن منطقة نجران، ويبدو من وصفه ومما نقل من مراجع سابقة أن بلاد نجران بدأت في طور الازدهار والنمو منذ تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)[٥]، ولو اطلعنا على وثائق القرن الرابع عشر الهجري، وعلى بعض المصادر والمراجع التي أرخت لمنطقة نجران منذ أربعينيات القرن الهجري الماضي، فإننا سوف نجد تواضع الحياة الحضارية في هذه البلاد[٦]، ومنذ عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) وبخاصة بعد دخولها تحت الحكم السعودي بدأت عجلة التنمية تظهر في مدينة نجران، فأنشأت بعض المؤسسات الإدارية الأمنية والخدمية، وشقت بعض الطرق الرئيسية التي تربط بلاد نجران بغيرها من أجزاء المملكة العربية السعودية، واستمر التطور الحضاري للبلاد حتى بدايات هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)[٧]. ونجد الأستاذ الشريف يدون في عشرين

---

(١) انظر: البلادي، بين مكة وحضرموت، ص ٣٤٠. ٣٥٦ . ونأمل من جامعة نجران أن تشجع طلاب الدراسات العليا وأساتذة الجامعة على دراسة تراث وحضارة وتاريخ منطقة نجران عبر أطوار التاريخ .

(٢) يقع الكتاب في جزئين، الجزء الأول عن جغرافية المملكة العربية السعودية بشكل عام، والجزء الثاني، وهو الذي يهمنا في هذه الدراسة، عن مناطق جنوب غرب المملكة العربية السعودية، البلاد الواقعة جنوب الطائف ومكة المكرمة، ومناطق الباحة، وعسير، وجازان، ونجران .

(٣) انظر عبد الرحمن صادق الشريف . جغرافية المملكة العربية السعودية، الجزء الثاني، إقليم جنوب غرب المملكة (الرياض : دار المريخ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) (٤٨٣صفحة) .

(٤) انظر عبد الرحمن الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، ج٢، ص٥ وما بعدها .

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٩١وما بعدها .

(٦) هناك عشرات الوثائق غير المنشورة وبعض الدراسات والكتب المطبوعة فصلت الحديث عن تاريخ وحضارة نجران خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهذه الحقبة تستحق أن تدرس في عدد من البحوث العلمية .

(٧) للمزيد انظر غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٣.٣٢هـ/٢٠١٠.٢٠١١م) .(الجزء الثالث) ص ١٨٥. ٢٤٣ .

صفحة من كتابه التركيبة السكانية وشيئاً من التطور الحضاري في عموم وادي نجران من أعلاه إلى أسفله، وسلك الطريق نفسها على واديي حبونا، ويدمة[١] . وسجل هذا الجغرافي كتابه والرحالة معلومات قيمة عن التركيبة البشرية في هذه الأودية، وأشار إلى بعض مهنهم الرئيسية، وإلى شيء من حياتهم الاجتماعية والاقتصادية[٢] . ومن مشاهداته يقول : " قد تعرض الوضع الاقتصادي والاجتماعي لمنطقة نجران إلى تحولات جذرية خلال العشرين سنة الماضية [٣] ولا يزال يتعرض لها . ويأتي في طليعة العوامل الدافعة لهذا التغيير ربطها بطرق المواصلات الحديثة . فقد أنشئ في الستينيات في وادي نجران مطار حديث يقع في المتسع القريب من العريسة في شرق البلدة القديمة[٤] ... وفي أوائل التسعينيات (١٩٧٢م) تم توصيل نجران بخميس مشيط عبر ظهران الجنوب (٢٥٥كم) ، فاتصلت بذلك بطريق الجنوب (الطائف ـ أبها) الذي اتصل فيما بعد بجازان على ساحل البحر الأحر... "[٥] ،

ويتحدث هذا الجغرافي عن أسواق نجران، فيقول: " كانت الأسواق الأسبوعية في الماضي هي الوسيلة الوحيدة التي ساهمت منذ القدم في توثيق الصلة بين سكان منطقة نجران فيما بينهم ـ والأسواق وإن كانت دوافعها تجارية بحتة، إلا أن ذلك لا يخفى مالها من نتائج اقتصادية واجتماعية وحضارية أخرى. ومن أهم تلك الأسواق القديمة في نجران : سوق دحضة، وسوق الإثنين في قرية بني سليمان، وسوق الثلاثاء في بلدة بدر، وسوق الأربعاء قرب قرية العان، وسوق الخميس في قرية مقابل، وسوق الجمعة في صاغر . وتقع جميعها في وادي نجران، فيما عدا بدر التي تقع في عالية وادي حبونا، ومن المنطقي أن تتغير أهمية هذه الأسواق مع الزمن، كما قد تتغير أماكنها، غير أن منافسة الأسواق الحديثة في مدينة نجران، وهي أسواق دائمة ستطمس معظم هذه الأسواق "[٦] . وهكذا ذكر هذا الرحالة صورا كثيرة من مشاهداته على أرض وسكان منطقة نجران . ومن يزور هذه البلاد في وقتنا الحاضر (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م) ، فإنه سيلاحظ التطور والنمو والازدهار الكبير الذي عم جميع أنحاء المنطقة، فهناك شبكة طرق برية جيدة تصل كل ناحية أوقرية في البلاد، ويرى النمو العمراني الخاص والعام، التجاري، والرسمي، والأهلي في كل مكان، كما يشاهد النشاطات الاقتصادية وبخاصة التجارية والحرفية والصناعات وأيضا الزراعية، ناهيك عن التطور الإداري والثقافي والتربوي والتعليمي فهو منتشر في كل قرية، ومدينة، وحاضرة من منطقة نجران[٧] .

---

(١) عبد الرحمن الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، ج٢، ص ٣٩١ـ ٤١١ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٩٥ وما بعدها .

(٣) ويقصد بذلك منذ ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى بداية هذا القرن الهجري (ق١٥هـ/٢٠م) .

(٤) عبد الرحمن الشريف، ج٢، ص ٣٩٧ .

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٩٧ـ ٣٩٨ . ويذكر أن الطرق التي تصل نجران ـ بشرورى، ونجران بوادي الدواسر يجري العمل في تنفيذها أثناء زيارته لنجران في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ومطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) .

(٦) عبد الرحمن الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية، ج٢، ص ٣٩٨ .

(٧) ما تمر به منطقة نجران اليوم من تطور وازدهار يحتاج إلى التوثيق في عدد من الكتب والبحوث العلمية . ونأمل من جامعة نجران أن تنشئ مراكز بحوث علمية تقوم بخدمة أرض وسكان الأوطان النجرانية في شتى الميادين الحضارية، وهذا العمل من أهم واجباتها لخدمة البلاد والعباد .

ثالثاً: قراءة ومقارنة للرحالة والمؤرخين ومدوناتهم:

١. تنوع بيئاتهم وثقافتهم:

الناظر إلى هؤلاء الجغرافيين، والرحالين، والمؤرخين المذكورة أسمائهم في هذه المبحث، يجد أنهم ولدوا وعاشـوا في بيئات مختلفة في قارتي آسيا، وأوربا، وأمريكا، ومعظمهم عرب ومسلمون، وقليل منهم نصارى [١]، كما أن أكثر من نصفهم ولدوا وعاشوا في شبه الجزيرة العربية وبخاصة في اليمـن، والحجاز، ونجـد[٢]. ومنهم رحالون وعلمـاء كبار ولدوا في أصـقاع عديدة من العالم العربـي والإسـلامي. مثـل: ابـن خرداذبة، وأبـو الفـرج قدامه، والإدريسـي، وياقـوت الحموي، والقزويني، وابن المجاور، وأبو الفداء، وابن فضل الله العُمري، ومحمد حميد الله الحيدري [٣].

وإذا تأملنا سـيرة هؤلاء العلماء العلمية والثقافيـة، وجدنا بعض الرحالين والمؤرخين الأوائـل كانوا موسـوعات علمية، ولهم إسـهامات ثقافيـة، وتاريخيـة، وجغرافية، وعلمية متعـددة. فمنهـم العالم في معـارف عامة ومتنوعـة أدبيـة ولغوية، وشـرعية، وتاريخية، وجغرافيـة ومجالات أخرى عديدة [٤]. وهناك جغرافيون ورحالون متقدمون اشـتهروا في مجـال الرحلات، ومن ثـم دونوا لنا معارف جغرافية وحضـارية قيمة عـن مدن ومناطق عديدة في العالم الإسـلامي، ومن أشهرهم: ابن خرداذبة، وأبو الفرج قدامة، واليعقوبي، وابن رسته، وابن حوقل، والمقدسي، والقزويني [٥].

وهنـاك مؤرخون، وجغرافيون، ورحالون، عديدون، قصـروا معظـم أعمالهم العلمية على شبه الجزيرة العربية وبخاصة بلاد اليمن والحجاز وما حولهما، ومن أولئك الحسن الهمداني، والإمام القاسم العياني، وأبو علي الهجري، وتاج الدين عبد الباقي، ويحيى بن الحسين، وعبد الله بن علي الوزير، ولطف الله بن أحمد حجاف، والقضاة حسين العرشي، ومحمد بـن أحمد الحجري، وعبدالله الجرافي، وتويتشـل، وفلبي، وفيليـب ليبنز، وتركي الماضـي، وحمد الجاسر، ومحمد الأكوع، وعاتق البلادي، وعبد الرحمن صادق الشريف. وهؤلاء جميعاً حفظوا لنا تفصيلات تاريخية وجغرافية قل أن نجدها في مصادر أخرى[٦].

---

(١) عدد النصارى من هؤلاء الرحالين ثلاثة هم: فلبي، وتويتشل، وفيليب ليبنز، ويقال أن فلبي اعتنق الإسلام مؤخراً وعاش في الجزيرة العربية حوالي أربعة عقود.

(٢) السـواد الأعظـم من هؤلاء الرحالـين والمؤرخين والجغرافيين عاشـوا معظم حياتهم في اليمـن، وكان منهم بعض الأئمة أو الأمراء الزيديين، وأيضاً علماء وقضاة يمنيين.

(٣) انظر سيرهم الذاتية المختصرة في صفحات سابقة من هذا البحث. وهؤلاء الرجال جابوا أصقاع عديدة في العالم العربي والإسلامي، ودونوا لنا أسفاراً قيمة في معلوماتها عن بلدن عديدة في شرق العالم الإسلامي وغربه.

(٤) للمزيد عن هذا الصـنف من العلماء، انظر أبو إسـحاق الحربي، وأبو علي الهجري، وياقوت الحموي، وأبو الفداء، وابن فضل الله العمري. وجميع هؤلاء خلفوا لنا ثروة علمية في معارف عديدة، وبعضها جغرافية وتاريخية لبلدان عديدة في إرجاء العالم العربي والإسلامي.

(٥) الناظر في مؤلفات هؤلاء الرحالين المنشـورة يجدها كتباً موسـوعية، فلا تختص بناحية أو حاضـرة معينة، وإنما هي سـجل لرحلاتهم وهم يجوبون أنحاء العالم الإسـلامي خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة. وكتبهم في ميدان الرحلات والجغرافيا مصـادر رئيسـية لا يسـتغني عنها أي باحث في تاريخ وتراث الحضارة الإسلامية في العصور الإسلامية الوسيطة.

(٦) للمزيد انظر تراجمهم وأسماء بعض كتبهم في صفحات سابقة من هذه الدراسة، وهم يتفاوتون فيما دونوا لنا من تفصيلات حضارية عن جنوب شبه الجزيرة العربية خلال القرون الإسلامية الوسيطة والحديثة.

وجميع المؤرخين والرحالين الآنف ذكرهم أصحاب علم وثقافة عالية، لكن الأوائل منهم كانوا أعمق وأشمل في معارفهم وتخصصاتهم، كما أن بعض المتأخرين منهم كانوا يجيدون لغات عديدة كالعربية، ولغات أوربية وآسيوية أخرى، ومن أمثال أولئك فلبي، وتويتشل، وفيليب ليبنز، ومحمد حميد الله الحيدري . كما كان بعضهم أعلام بارزين في العلوم الشرعية واللغوية كالهمداني، والإمام العياني، وغيره من الأئمة والقضاة اليمنيين الذين ورد ذكرهم في صفحات سابقة من هذا البحث [١] .

٢ـ المصادر والمنهج المستخدم في جمع المادة :

معظم المؤرخين والرحالين المذكورين اعتمدوا في جمع مادتهم عن جنوب شبه الجزيرة العربية على السفر والترحال والمشاهدة، ومن أشهر أولئك أبو علي الهجري، والهمداني، وياقوت الحموي، وابن المجاور، وفلبي، وتويتشل، وفؤاد حمزة، والبلادي . وهؤلاء العلماء ساحوا في أجزاء عديدة من شبه الجزيرة العربية [٢]، ومنها نجران التي دونوا عنها بعض التفصيلات من خلال الرحلة والمشاهدة . وهناك علماء كبار مثل: ابن خرداذبة، وأبو الفرج قدامة، واليعقوبي، وابن رسته، وابن حوقل، والمقدسي، والإدريسي، وياقوت الحموي، والقزويني، وأبو الفداء، وابن فضل الله العمري نقلوا معلوماتهم عن نجران وغيرها من بلدان جنوب شبه الجزيرة العربية من بعض المصادر السابقة لعصورهم، أو مما سمعوه من الرواة الذين قابلوهم في الحجاز أو بعض حواضر العالم الإسلامي الأخرى[٣] .

وهناك مؤرخون وجغرافيون ومؤلفون دونوا تواريخ ومعارف عن النجرانيين وأرضهم من خلال الاتصال المباشر، أو القراءة في بعض المصادر اليمنية، أو السماع من أهل عصرهم، ومن أولئك الأئمة والأمراء الزيديين كالعياني، وأحمد بن سليمان، وعبد الله بن حمزة، والأميران الشريفان القاسم ومحمد أحفاد الإمام العياني . فهؤلاء كانوا يعملون في سدة الحكم الزيدي وكانوا على صلات سياسية وعسكرية مع النجرانيين، وما تم تدوينه والاطلاع عليه هو تسجيل الأحداث السياسية التي كانت جارية بين الطرفين، ولا تخلو هذه المدونات من صور تاريخية حضارية لبلاد نجران خلال القرون الإسلامية الوسيطة .

كما يوجد مؤلفون يمنيون آخرون خلال العصر الحديث مثل: يحيى بن الحسين، وعبدالله الوزير، ولطف الله جحاف، والقضاة العرشي، ومحمد الحجري، والجرافي، والأستاذ محمد الأكوع فقد دونوا مؤلفاتهم التي اعتمدوا فيها على مصادر ومراجع أخرى، وكذلك معاصرتهم ومشاهدتهم وسماعهم للكثير من الأحداث في عصورهم .

---

(١) جميع الرحالين والمؤرخين المذكورين في هذه الدراسة من العلماء الأفذاذ في الحضارة الإسلامية، لكنهم بدون شك يتفاوتون في مقدار تحصيلهم وأنواع معارفهم وثقافتهم .

(٢) للمزيد انظر سيرهم في صفحات سابقة من هذه الدراسة .

(٣) هؤلاء العلماء والرحالون لم يزوروا جنوب شبه الجزيرة العربية، ولم يشاهدوا منطقة نجران، فقد ولدوا وعاشوا خارج شبه الجزيرة العربية، وجاءوا إلى مدن الحجاز المقدسة لأداء مناسك الحج والعمرة، وجمعوا معلوماتهم عن بلاد نجران وتهامة والسراة وحواضر اليمن من مصادر أخرى، أو من المقابلات والسماع من بعض الرواة الذين عاشوا وعرفوا شيئاً من تراث وحضارة الجزيرة العربية .

وكان لبلاد نجران ذكراً في تلك الأعمال العلمية[١] .

٣. دراسة المادة العلمية ومقارنتها :

تنوعت المادة العلمية التي ورد ذكرها في هذه الدراسة، وللخروج بصورة واضحة ومركزة، ندرج خلاصة ما توصلنا إليه في النقاط الآتية :

أ - امتاز الجغرافيون والرحالون الأوائل، من القرن الثالث إلى الثامن الهجري (٩ - ١٤م) بالاختصار الشديد فيما ذكروه عن بلاد نجران، ومعظمهم لا يخرج في مدوناته عن ذكر نجران كإحدى المحطات التجارية على الطريق اليمنية الحجازية، ومنهم، ابن خرداذبة، وأبو الفرج قدامة، وابن حوقل، والمقدسي، والإدريسي، وأبو الفداء، وابن فضل الله العُمري . وبعضا من هؤلاء يشيرون إلى أهمية نجران في الزراعة ودباغة الجلود . ويذكر ابن فضل الله العُمري شيئاً من التركيبة الجغرافية والسكانية لبلاد السراة الممتدة من الطائف إلى نجران وصعدة[٢] .

ب - هناك رحالة ومؤرخون مثل: الهمداني، وأبو عبدالله البكري، وياقوت، وابن المجاور، وأبو الفداء، وصاحب كتاب (نور المعارف) فصلوا الحديث عن مواضع في نجران فذكروا جغرافيتها، وتركيبتها السكانية، كما أشار بعضهم إلى سبب تسمية نجران، وأنسابها، وهناك من سجل شيئًا عن معتقدات أهلها حيث كان يعيش فيها خلال القرون الإسلامية الوسيطة من هم على مذهب الشافعية، وآخرون زيدية، أو نصارى . وأشار الهمداني، والحموي، وابن المجاور، وأبو الفداء إلى وفرة مزارعها وبخاصة التمور وبعض الخضروات والفواكه[٣] .

ج - أخذت الأخبار السياسية والعسكرية حيزاً كبيراً عند المؤرخين اليمنيين مثل مؤلفات بعض الأئمة والأمراء الزيديين[٤]، ومؤرخين آخرين لم يذهبوا بعيداً عن كتب الأئمة، كيحيى بن الحسين، وعبد الله بن علي الوزير، ولطف الله جحاف، والقضاة العرشي، والحجري، والجرافي[٥] فقد أسهبوا في الحديث عن الحروب بين الأئمة الزيدية

---

(١) نعم لقد ورد ذكر لمنطقة نجران في جميع المصادر والمراجع القديمة والحديثة المذكورة في هذا البحث، لكن عندما نسعى إلى الخروج بصورة واضحة عن تاريخ وحضارة نجران من خلال المصادر اليمنية أو المحلية، فإننا نعجز عن تحقيق ذلك، لعدم وفرة المادة التاريخية الكاملة المدونة، ثم غلبة الجانب السياسي والعسكري بين الزيديين والنجرانيين فيما تم تأليفه وحفظه. وأقول أن بلاد نجران تستحق أن تدرس في شتى المجالات التاريخية والحضارية والأثرية منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر .

(٢) انظر ابن فضل الله العُمري، ص ١٤٩، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٩. وللمزيد عما ذكره الجغرافيون الأوائل عن نجران انظر صفحات سابقة في هذ الدراسة .

(٣) للمزيد انظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٥٣، ١٦٢، ١٦٦، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٧٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٨، ٣٥١، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٢ . البكري، معجم ما استعجم، مج١، ج٢، ص ١١٢٩. مج٢، ج٤، ص ١٢٩٨-١٢٩٩. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥،، ص ٢٦٦-٢٧١ . ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ج٢١، ص ٢٦، ٢٧، ٣٧، ٣٨، ٢٠٨-٢٠٩، ابن فضل الله العُمري، ص ١٤٩، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٩، صاحب كتاب (نور المعارف) ، ج١، ص ٢٤٨-٢٤٩ .

(٤) للمزيد انظر مجموعة رسائل الإمام العياني، ص٢٦ وما بعدها، صاحب كتاب (أنباء الزمان) ، ص ١٠، ١١، ١٩، ٥٠، سيرة الإمام أحمد بن سليمان، ص ٣٩-٤٤، ٥٧، ٦٦، ٨١، ٨٨، ١٣٠-١٣٢، سيرة الإمام عبد الله بن حمزة، ص ٤٠١، ٥٢٨، ٧٩٨-٨٠٠، ٩٠٦، ٩٤٢، سيرة الأميرين الجليلين، ص ١١٢-١٢١ .

(٥) انظر: يحيى بن الحسين، ج١، ص ٢٢٧، ٢٣١، ٢٩٢، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٤٧، ٤٧٧. عبدالله الوزير، ج١، ٢١١، ٢٢٥، ٢٢٩،

في صنعاء وصعده وبين النجرانيين، وكيف كان الزيديون يسعون إلى بسط نفوذهم على منطقة نجران، لكن النجرانيين كانوا غير راضين في موالاة الزيدية والدخول تحت سلطتهم . وكان بعض الأئمة يخضع أجزاء من نجران لسلطته، لكن ذلك لا يدوم طويلاً لتصدي النجرانيين لهم وطردهم . ونجد أن الحرب كانت سجالا بين الطرفين خلال القرون الإسلامية الوسيطة وبدايات العصر الحديث . ونتج عن تلك الحروب خراب ودمار لبلاد نجران وبخاصة في المزارع والمنازل وعقارات أخرى . ولا تخلو مصادر هؤلاء المؤرخين من إشارات لبعض الجوانب الحضارية الاجتماعية، والاقتصادية [1] .

د ـ إن الأستاذين محمد حميد الله الحيدري ومحمد الأكوع يشيران إلى بعض المراسلات والوثائق التي جرت بين الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين وبين النجرانيين . وهذه الوثائق منشورة في مصادر تاريخية وحضارية مبكرة، وهذان المؤرخان قاما فقط بجمعها ونشرها في بعض مؤلفاتهما . دون أن يجريا عليها دراسة نقدية وتحليلية [2] .

هـ ـ الرحالون، والمؤرخون الحديثون المسلمون وغير المسلمين (ق١٤ـ١٥هـ/ق٢٠ـ٢١م) ، تفاوتوا فيما سجلوه عن نجران، وأفضلهم على الإطلاق فلبي فقد دون تفصيلات كثيرة عن النجرانيين، وعن معظم منطقة نجران من وادي يدمة، وحبونا شمالا إلى بلدتي شروري والوديعة جنوبا. ولم تكن المادة المسجلة عند هذا الرحالة مقصورة على جانب تاريخي محدود، فقد فصل الحديث عن جغرافية منطقة نجران، وتركيبة أهلها السكانية، وذكر شيئاً من تاريخها القديم، وأشار إلى بعض النقوش والرسومات الصخرية في جبالها ووهادها . كما دون معلومات قيمة جدا عن حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية في وادي نجران وحبونا ، وفي بلدة نجران، وفي ناحيتي الوديعة وشروري. ولم يغفل ذكر بعض المعلومات عن تاريخ الإسماعيلية والمكارمة، كما أورد شذرات قليلة عن بعض أعلام منطقة نجران مثل الأعيان والشيوخ، وبعض موظفي الدولة السعودية هناك[3] .

ويأتي بعد فلبي تركي الماضي، ففي مذكراته وثائق تاريخية جيدة تفصل الكثير من الصلات بين الدولتين السعودية واليمنية خلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) . وكان الأستاذ الماضي معاصرا ومشتركا في أحداث تلك الحقبة . كما أصبح أميرا لنجران منذ خمسينيات القرن الهجري الماضي، وقد دون لنا معلومات قيمة عن أرض نجران وحياة النجرانيين أثناء ولايته على المنطقة النجرانية[4] .

---

٢٤١. ج٢، ص ٣١٩، ٣٢٠، ٣٤٣، ٣٥٧. لطف الله جحاف، ص ٤٠٨، ٤٩٢، ٦١٨، ٧٠٦، ٧٣٠، ٧٥١. العرشي، ص٣٤، ٣٥، ٥٩، ١٤٦، ١٤٧. الحجري، ج٢، ص ٧٣٤ـ ٧٣٨ .

(١) انظر : المصادر الآنف ذكرها في الحواشي السابقة .

(٢) محمد حميد الله، الوثائق السياسية، ص ٨٣ـ ١٢١. محمد الأكوع، ص ٨٩ـ ٩٦، ١٦١ـ ١٦٢، ١٨٨، ١٩٠. جل ما ذكره الأكوع منقولاً من كتاب الأستاذ محمد حميد الله . وكنت آمل من الأستاذ الأكوع أن يذكر في كتابه المراسلات السياسية بين النجرانيين والزيديين وبخاصة في القرنين (٣ـ٤هـ/٩ـ١٠م).

(٣) الأستاذ فلبي سجل عن نجران حوالي (٤٠٠) صفحة تدور في فلك تاريخ وحضارة نجران في العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) . انظر كتابه : مرتفعات الجزيرة العربية، ج١، ص ٣٩٧ـ ٦١٢. ج٢، ص ٦١٩ـ ٨١٦ .

(٤) للمزيد انظر: من مذكرات تركي الماضي، ص ٤١١، ٤١٢، ٤١٣ـ ٤٢٢ .

كما دون كل من فؤاد حمزة، وتويتشل، وفيليب ليبنز، وعاتق البلادي، وعبد الرحمن صادق الشريف، تفصيلات متفاوتة في الطول والقصر[١]، لكنهم جميعاً أسدوا لنا معروفاً كبيراً فيما كتبوه وحفظوه لنا من معارف تاريخية وحضارية عن منطقة نجران منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)[٢].

أما الأستاذ حمد الجاسر فلم يحفظ لنا شيئاً ذا قيمة كبيرة، وإنما فقط أشار إلى بعض المعلومات المدونة في مصادر إسلامية مبكرة، مع أنه زار منطقة نجران في مطلع هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ولم يقتنص تلك الزيارة ويسجل لنا شيئاً من حضارة نجران أثناء زيارته لها. وهو خير من يفعل ذلك لقدرته العلمية العالية، وخبرته الطويلة في ميدان البحث العلمي في تاريخ وتراث وحضارة الجزيرة العربية[٣].

رابعاً: آراء واقتراحات:

قصدت بهذه الدراسة الإسهام في جمع أقوال وروايات بعض المؤرخين والرحالة المسلمين وغير المسلمين عبر عصور التاريخ الإسلامي المبكر، والوسيط، والحديث. ولم أشمل كل العلماء الذين شاركوا في هذا الميدان، وإنما دونت نماذج منهم ومن مدوناتهم، على أمل أن يأتي من بناتنا وأبنائنا الباحثين والمؤرخين الجادين من يدرس هذا الموضوع دراسة مستفيضة وموثقة.

وإذا تنوعت خلفيات وأصول ومدونات كل مؤرخ أو جغرافي ورحالة، فذلك يدل على أهمية بلاد نجران عبر أطوار التاريخ، وهي فعلاً تستحق الاهتمام عند معاشر الباحثين، وفي مراكز البحوث العلمية الرصينة. ونأمل من جامعة نجران أن تبادر في تأسيس قسم أو كلية للتاريخ والآثار تقوم على خدمة وطن نجران منذ عصور ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر. والمؤسف حقاً أنه لا يوجد في هذه الجامعة حتى الآن أي مركز أو مؤسسة علمية بحثية تسعى إلى حفظ تراث وموروث وتاريخ وحضارة منطقة نجران، وهي جديرة أن تحظى بهذه الخدمة العلمية والثقافية والأكاديمية.

من خلال اهتماماتي العلمية بتاريخ وحضارة وتراث بلاد نجران وتهامة والسراة خلال الأربعين عاماً الماضية تبين أن منطقة نجران من أقل الأجزاء الجنوبية السعودية التي حظيت باهتمام الباحثين والمؤرخين المحدثين. وهي في الحقيقة تعد من أعرق وأقدم النواحي التي لها ذكر، وآثار، وتاريخ وحضارة وبخاصة في عصور ما قبل الإسلام، وفي عصري الرسول ﷺ والخلافة الراشدة. وأقول يا معاشر المؤرخين والآثاريين الجادين والمنصفين يمموا نحو بلاد نجران الجديرة بالخدمة والاهتمام العلميين.

---

(١) انظر تويتشل، ص ٣، ٤٥-٤٦، ٧٩، ٩٢. فيليب ليبنز ص، ٢٩-١٤٨. البلادي، ص٩٣-١٠٤، ٢٢٢-٢٣٩، ٣٤٠-٣٥٦. عبد الرحمن الشريف، ج٢، ص ٣٩١-٣٩٨.

(٢) المصادر والمراجع نفسها.

(٣) كنت آمل من الشيخ الجاسر أن يكون تجول في منطقة نجران وشاهد آثارها وشيئاً من تاريخها القديم والحديث ثم دون لنا ما يستطيع، ولو فعل في نجران مثلما فعل في منطقة الباحة (غامد وزهران) لكان خلد لنا عملاً علمياً رائداً عن ديار نجران ذات التاريخ والحضارة العريقة.



الدراسة السابعة

خلاصة تاريخية لمؤسسات نجران الإدارية بأقلام مديريها من عام (١٣٥٢- ١٤٢٤هـ/ ١٩٣٣ - ٢٠٠٣م)

بقلم : أ . د . غيثان بن علي بن جريس



الدراسة السابعة: خلاصة تاريخية لمؤسسات نجران الإدارية بأقلام مديريها من عام (١٣٥٢- ١٤٢٤هـ/ ١٩٣٣ _ ٢٠٠٣م). بقلم: أ.د. غيثان بن علي بن جريس

أولاً : تمهيد :

نجران بلاد عريقة بتاريخها، والمتأمل في حضارتها عبر العصور يظهر له أهمية هذه البلاد، لموقعها الجغرافي، ولما تعاقب عليها من الأمم والأقوام[١]. ودراسة تاريخها الإداري يعد من الموضوعات الجديرة بالدراسة[٢]. والدارس لكل ما ذكر عنها في المدونات العربية وغير العربية، وما تحتفظ به أرضها من آثار لازالت مدفونة بداخلها، فإنه بدون شك سوف يعثر على كنوز معرفية قل أن تجدها في أي ناحية من نواحي الجزيرة

(١) نجران ذات موقع استراتيجي، فهي تقع على الطريق التجاري بين اليمن والحجاز، بل تربط بين بلدان اليمامة والحجاز واليمن . كما اتصل بها كثير من الأمم، مثل الرومان، والأحباش، والفرس، والعرب وغيرهم، بالإضافة إلى وصول ديانات اليهودية، والمسيحية، والإسلام إليها.

(٢) تاريخ نجران الإداري والحضاري منذ عصور قديمة وإسلامية . (مبكرة ووسيطة) لم يدرس، ويستحق البحث والدراسة .

العربية[١]. ونحن في هذا القسم لم نرجع في دراسة تاريخ البلاد النجرانية إلى الوراء كثيراً، وإنما حاولنا تدوين نبذ تاريخية عن مؤسساتها الإدارية الحديثة، وحتى نكون منصفين، فنحن لم نبحث في أراشيف هذه المؤسسات، ولم نسع إلى الاطلاع على الوثائق التاريخية التي تفصل الحديث عن بداية كل مؤسسة وتطورها [٢]. وإنما قمنا بمخاطبة وكيل إمارة المنطقة وطلبنا منه مساعدتنا في تدوين خلاصات تاريخية لهذه المؤسسات، وقد تجاوب معنا مشكورا بمخاطبة مدير أو رئيس كل مؤسسة [٣]، ووصل إلينا أكثر من أربعين إجابةٍ تؤرخ بشكل موجز لأغلب هذه الإدارات[٤]. وإذا كانت الإمارة مشكورة قد أرسلت تعميما إلى جميع إدارات المنطقة فالبعض من هذه الإدارات لم يصلنا منها شيء، ونأمل أن يأتي بعدنا من يدرس هذه المؤسسات الإدارية دراسة تاريخية مطولة، ويستوفي ما لم نستطع أن نحصل عليه أو ندونه [٥].

ثانياً: نبذة تاريخية عن مؤسسات نجران الإدارية:

١ـ الإمارة:

كانت منطقة نجران تتبع إدارياً للنائب العام في الحجاز، الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود، عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، ثم صارت تابعة لوزارة الداخلية بعد إعادة تشكيلها عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) [٦]. وتتكون إمارة نجران في عام (١٣٦١هـ/١٩٤١م) من إمارات: بدر الجنوب، وحبونا، والحصينية، والخضراء، والموفجة، وتم استحداث عدد من المراكز من بينها إمارة شرورة عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م). وأصبح للإمارة ميزانية مستقلة عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م). وفي عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) بلغ عدد الإمارات والمراكز الفرعية (٢٩) تسعة وعشرين فرعاً[٧]. وفي عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) أخذت الإمارة بالتشكيل الموحد الصادر آنذاك[٨].

---

(١) معظم تاريخ نجران القديم يمكن العثور عليه عن طريق التنقيب والدراسات الأثرية، وهذا ما نفتقر إليه حتى الآن.

(٢) من يعد إلى دور الأرشيف لكل مؤسسة إدارية في نجران، أو الوزارة التي تتبع لها كل إدارة، فإنه سوف يجد كماً هائلاً من الوثائق الرئيسة التي تؤرخ لنشأتها وتطورها. وفترات ملوك آل سعود في القرن (١٤هـ/٢٠م) (الملك عبد العزيز، والملك سعود، والملك فيصل، والملك خالد) جديرة بالبحث والدراسة. وأقسام التاريخ في جامعات الجنوب (الملك خالد، وجازان، ونجران، والباحة) عليها مسؤولية كبيرة تجاه كثير من القضايا البحثية في هذه النواحي، والتاريخ الإداري من الموضوعات الهامة والجديرة بالبحث.

(٣) انظر تعميم وكيل إمارة نجران إلى كل المؤسسات الإدارية ضمن قسم الملاحق من كتاب (القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، ج٣، ملحق رقم (٤٤).

(٤) ما تم إيراده في هذا القسم خلاصة ما وصلنا من مديري هذه المؤسسات.

(٥) كما ذكرنا سابقاً أن التاريخ الإداري والمالي لبلاد نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) جدير بالبحث، حبذا أن نرى من طلابنا أو طالباتنا في برامج الدراسات العليا بجامعة الملك خالد من يولي هذا الموضوع كبير اهتمام في أطروحاتهم العلمية.

(٦) مذكرة وصلتنا من وكيل إمارة نجران، محمد بن فهد السويلم، بتاريخ (١٦/١٢/١٤٢٤هـ). مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢١.٢٠م)، ج٤، ص١٤٠٩. انظر أيضاً ملحق رقم (٤٤) في نهاية هذا الكتاب. سوف يرمز لهذا المصدر في الصفحات التالية من هذا القسم بـ (م. ابن جريس)، ج، ص.

(٧) المصدر نفسه. كما يوجد في مكتبة الباحث مئات الوثائق التي تؤرخ للتاريخ الإداري والمالي في منطقة نجران، وقد يأتي اليوم الذي نخرجها للباحثين والقراء.

(٨) المصادر نفسها.

وإذا نظرنا إلى نظام المناطق الصادر عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) نجد أن إمارة نجران صارت تشتمل على سبع محافظات، منها محافظة واحدة في الفئة (أ)، وهي محافظة شرورة، وست محافظات ضمن الفئة (ب) . وهي حبونا، وبدرِ الجنوب، والخرخير، ويدمة، وثار، وخباش[١]. أما عدد المراكز فكانت (٦٤) مركزاً منها (٢٦) مركزاً في الفئة(أ)[٢]. و(٣٧) مركزاً في الفئة (ب) [٣].

أما أمراء نجران منذ بداية النصف الثاني للقرن الهجري الماضي حتى وقتنا الحاضر فهم أحد عشر أميراً على النحو التالي (١) عساف بن حسين المنصور (١٣٥٢- ١٣٥٤هـ/١٩٣٣-١٩٣٥م) . (٢) إبراهيم النشمي (١٣٥٤-١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٥- ١٩٣٧م) . (٣) عبد العزيز الشقيحي (١٣٥٦-١٣٥٧هـ/ ١٩٣٧-١٩٣٨م). (٤) تركي بن محمد الماضي (١٣٥٧-١٣٧٣هـ/١٩٣٨ -١٩٣٥م). (٥) حمد بن محمد الماضي(١٣٧٣-١٣٧٥هـ/١٩٥٣-١٩٥٥م). (٦) علي المبارك(عدة شهور من ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م). (٧) إبراهيم النشمي للمرة الثانية (١٣٧٥-١٣٨٤هـ/١٩٥٥-١٩٦٤م). (٨) خالد بن أحمد السديري (١٣٨٤- ١٣٩٩ هـ/ ١٩٦٤-١٩٧٨م). (٩) فهد بن خالد السديري (١٤٠٠-١٤١٧هـ/ ١٩٨٠-١٩٩٦م). (١٠) مشعل بن سعود بن عبد العزيز آل سعود (١٤١٧- ١٤٢٩هـ/ ١٩٩٦-٢٠٠٨م).(١١) مشعل بن عبد الله بن عبد العزيز آل سعود (١٤٣٠/٢٠٠٩م) [٤].

٢- القضاء وكتابة العدل:

للأسف لم يصلنا من المحاكم الشرعية في نجران أي رد على خطابنا الذي أرسله وكيل الإمارة إلى جميع المؤسسات الإدارية في المنطقة[٥]. أما كاتب عدل نجران المكلف،

---

(١) مذكرة وكيل إمارة نجران، (م . ابن جريس) ج٤، ص٩-١٠ .

(٢) من هذه المراكز : بئر عسكر، الخضراء، العريسة، المشعلية، أبا السعود، الحضن، رجلاء، أبو ثامر، الموفجة . ومركزي سلطانة، والسبيل في محافظة يدمة، ومراكز الرحاب، والخانق، وهدادة في محافظة بدر الجنوب . ومراكز المجمع، والحصينية، والحرشف، والجفة في محافظة حبونا . ومراكز الوديعة، ومنفذ الوديعة، والكناور، وتماني في محافظة شرورة . ومركزي قطن، والصفاح في محافظة ثار . ومراكز النقيحاء، والخضراء، وهويمل، في محافظة خباش . المصدر نفسه، ج٤، ص١٣-١٤ .

(٣) من هذه المراكز : في مدينة نجران : مراطة، شعب بران، عاكفة، أبا الرشاش، ريمان، الجلدة. وفي محافظة يدمة : أبرق شرقة، مركز الخالدية، الوجيد، منادي، المندفن، . وفي محافظتي بدر، وحبونا : يدمة، وسلوة . وفي محافظة شرورة : حمراء نثيل، أم غوير، ومجة، وقلمة خجيم، والمنجلي، وقلمة سلطان، وأم غارب، والحلاة، وبهجة، والمعاطيف، ومسلية، والأخاشيم . وفي محافظتي ثار وخباش : ثجر، وحمي، وأبو شداد، وأم الوهط، والمحياش، والخرعاء . وفي محافظة الخرخير: الحرجة، البديع، ضحية، خور بن حمودة، أم الملح، سرداب. المصدر نفسه، ج٤، ص١٣- ١٤ .

(٤) المصدر : م . ابن جريس، ج٤، ص١١ . ج٥، ص٢٥ .

(٥) وللمزيد من التفصيلات عن محاكم نجران خلال العهد السعودي الحالي، انظر: عبد الله بن محمد الزهراني . تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي (مكة المكرمة : مطابع بهادر، ١٤١٨هـ) ، ج٦، ص ١-٤٧ . وهناك عشرات الوثائق في مكتبة الباحث تذكر تفصيلات عن الجوانب الإدارية والمالية في نجران، وللقضاء في هذه الوثائق تفصيلات كثيرة .

محمد بن علي عبد الله آل جار الله، فقد أرسل لنا نبذة مختصرة بتاريخ (٩/٣/ ١٤٢٥هـ)[١]. ذكر فيها: نشأة كتابة عدل نجران في (١٣٦١هـ/١٩٤١م) ضمن مبني المحكمة الشرعية بالبلد القديم (أبا السعود)، وتولى أمرها قضاة نجران آنذاك وهم: الشيوخ: سليمان بن صالح الخزيم، وناصر بن عبد الرحمن جعران، ومحمد بن عبد العزيز الجنوبي، وعبد الله بن عجيان[٢]. وأول من عمل كاتب عدل منتدب في نجران الشيخ عبد الله بن أحمد أبو عامرية (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) ثم تلاه الشيخ عبد العزيز بن غنيم منتدبا أيضا إلى (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م). ثم عين الشيخ شريف هاشم(١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) كأول كاتب عدل رسمي[٣].

انتقلت إلى مباني رئاسة محاكم نجران الحالية بحي الفيصلية، وحتى عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) تتكون فقط من كاتب العدل وموظف وفراش. ومنذ عام (١٣٩٤-١٤٠٠هـ/١٩٧٤-١٩٨٠م) تولى إدارتها الشيخ علي بن مانع القحطاني، وكان معه خمسة موظفين ومراسل وفراش[٤]. وفي عام(١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) أطلق عليها رئاسة كتابة عدل نجران، وأصبح رئيسها الشيخ عبد الله بن هادي الشهراني، ويعمل معه ثلاثة كتاب عدل، واثنا عشر موظفا، وانتقلت أيضا إلى مبنى مستقل بها، وبقي الشهراني في إدارتها حتى عام(١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ثم خلفه الشيخ محمد بن علي بن عبد الله آل جار الله، ويعمل معه (١٥) موظفا وأربعة كتاب عدل[٥].

٣- الشرطة:

في خطاب بتاريخ (١٣/٧/١٤٢٤هـ) دون رئيس شرطة نجران العميد / سليمان الخليوي بعض التفصيلات عن إدارته[٦]، فذكر أنها تأسست كمفوضية عام(١٣٧٠هـ/١٩٥٠م)، وفي عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) تحولت إلى فئة (ج)، وفي عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) أصبحت فئة (ب)[٧]. كانت عند نشأتها لا تمتلك إلا سيارة واحدة، وفي عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) صار في حوزتها ما يزيد عن (٥٠٠) آلية مختلفة. وعند البداية كانت تمارس عملها في بناية واحدة صغيرة وسط بلدة نجران، والآن تضم أكثر من (٣٥) مركز شرطة ومخفر غير المديرية الرئيسة وأقسامها[٨]. وفي السنوات الأولى من تأسيسها اقتصر عملها على أعمال التحقيق والدوريات. أما اليوم فتضم جميع الأجهزة المتطورة كالأدلة الجنائية،

---

(١) م. ابن جريس، ج٤، ص١٧-١٨.

(٢) للأسف لم نجد ذكراً لهؤلاء الشيوخ في كتاب الزهراني، وتاريخ القضاء في بلاد نجران جدير بالبحث والدراسة الجادة، وآمل أن نرى أحد الباحثين أو أحد طلابنا في جامعتي الملك خالد أو نجران من يتخذ هذا الموضوع عنواناً لأطروحته في درجتي الماجستير أو الدكتوراة.

(٣) م. ابن جريس، ج٤، ص١٨.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) هذه التفصيلات حتى تاريخ خطاب الشيخ آل جار الله (٩/٣/١٤٢٥هـ). م. ابن جريس، ج٤، ص١٧-١٨.

(٦) هذا الخطاب ضمن أوراق مكتبة الباحث، ج٤، ص١٩-٢١. وصورة منه أرسلت إلى وكيل إمارة نجران للإحاطة.

(٧) المصدر نفسه. ج٤، ص٢٠.

(٨) المصدر نفسه.

والأسلحة، وإبطال المتفجرات، والمختبرات الجنائية، وإدارة الحقوق المدنية، وإدارة التموين، وإدارة الأمن الوقائي، والعديد من الشعب والأقسام الداخلية[١].

أما مديرو شرطة نجران فهم على النحو التالي[٢] : (١) المفوض سالم شوقي أول من تولى إدارتها عام (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م) . (٢) كلف محمد أحمد قدسي، مدير شرطة منطقة عسير، فصيل وضابط لاستلام مفوضية نجران، وكان الملازم حامد سليمان على رأس ذلك التشكيل، ومعه (٢٠) جندياً، ونائب، وعريف، وبقي على رأس هذه الإدارة حتى آخر عام (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م). (٣) جاء الملازمان محمد أحمد عبده عسيري (١٣٧٠-١٣٧٧هـ/١٩٥٠-١٩٥٧م)، وأحمد خيرو (١٣٧٧- ١٣٨٠هـ/ ١٩٥٧هـ- ١٩٦٠م) . (٤) صدر قرار من مدير الأمن العام بإعادة الرائد محمد أحمد عبده عسيري إلى إدارة هذه المؤسسة في عام (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) واستمر فيها حتى (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)[٣].

ثم جاء العميد سعد مستور الشهراني (١٣٩٣-١٣٩٨هـ/١٩٧٣-١٩٧٨م)، واللواء عبد الله بن علي العسيري (١٣٩٨-١٤٠١هـ/١٩٧٨-١٩٨١م)، والعميد عبد المحسن عائض الحارثي (١٤٠٢-١٤٠٤هـ/١٩٨٢-١٩٨٤م)، واللواء عبد الرحمن بن عبد الله الشبانة (١٤٠٤-١٤١٣هـ/١٩٨٤-١٩٩٣م)، والعميد سعد ابن عبد العزيز اليوسف (١٤١٣-١٤١٤هـ/ ١٩٩٣-١٩٩٤م)، واللواء خالد بن عبد الرحمن السويلم (١٤١٥-١٤١٨هـ/١٩٩٥-١٩٩٨م)، واللواء دخيل الله بن عبد الله الأزوري (١٤١٨-١٤٢١هـ/١٩٩٨-٢٠٠٠م)، والعميد مشعل بن سالم الحازمي(١٤٢١-١٤٢٣هـ/ ٢٠٠١-٢٠٠٣م)[٤]، والعميد سليمان بن علي الخليوي (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م- حتى الآن)[٥].

٤- الدفاع المدني :

تم الاطلاع على خطابين من مدير الدفاع المدني بنجران العميد حسن بن غرم الزهراني، أحدهما مرسل إلينا بتاريخ (١٤٢٤/٧/٢٣هـ) والآخر إلى وكيل إمارة نجران بتاريخ (١٤٢٤/٨/٥هـ)، ومرفقاتهما تدور حول نبذة تاريخية عن إدارة الدفاع المدني في منطقة نجران[٦]. أورد فيها بداية هذه الإدارة في (١٣٨٣/٣/١١هـ)، وكانت تحت مسمى (فرق مطافي نجران)، ولم يكن بحوزتها إلا ثلاث سيارات (سيارة فورد موديل ٦٥، ووايت، وجيب) .بدأت في مبنى مشيد بالطين في البلد القديم (أبا السعود)، ثم انتقلت إلى مبنى

---

(١) المصدر نفسه . ج٤، ص٢٠ .

(٢) المصدر نفسه . ج٤، ص٢٠-٢١ .

(٣) المصدر نفسه . ج٤، ص ٢١ .

(٤) المصدر نفسه . ج٤، ص٢١ .

(٥) أي تاريخ تدوين خطابه المرسل إلينا في (١٤٢٤/٧/١٣هـ) . لم نتتبع تواريخ المؤسسات الإدارية في نجران بعد عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، مع أنه جرى عليها الكثير من التطور والتعديلات، ونأمل أن نرى من يستكمل هذا العمل ويدون ما لم نستطيع الحصول عليه أو تدوينه. المصدر نفسه . ج٤، ص ١٩-٢١.

(٦) م . ابن جريس، ج٤، ص٢٣-٣٠ .

حكومي في حي الفيصلية بتاريخ (١٣٨٨/١/١هـ)، وتبدل المسمى إلى وحدة الدفاع المدني. وفي (١٣٩٥/٧/١هـ) تغير المسمى أيضاً إلى إدارة الدفاع المدني. وفي (١٤٠١/٧/١هـ) نقلت هذه الإدارة إلى مركز الفيصلية في مباني مستأجرة، ثم انتقلت إلى مبان أخرى في (١٤٠٨/١١/١هـ)، وبقيت على هذا الحال حتى أنشئ لها مبان خاصة، ثم تحول مسمى الإدارة في (١٤١٤/٧/٢٧هـ) إلى مديرية الدفاع المدني بمنطقة نجران[١].

وفي (١٤١٤/٧/٢٧هـ) تشكلت الإدارة العامة للدفاع المدني في نجران، وأصبح يتبع لها العديد من المراكز. داخل مدينة نجران وخارجها. والفروع التي داخل المدينة هي[٢]: فرق الفيصلية[٣]، وحي الفهد[٤]، وحي العريسة[٥]، وحي الضباط[٦]، وأبا السعود[٧]، والحضن[٨]، وأبو ثامر[٩]. أما المراكز التي خارج المدينة فهي: مراكز محافظة شرورة[١٠]، وحبونا[١١]، وبدر الجنوب[١٢]، ومنفذ الخضراء[١٣]، ويدمة[١٤]، وثار[١٥].. كما انضمت فرقة محافظة الخرخير إلى مديرية الدفاع المدني في (١٤٢١/٨/٢هـ)، وتحول إلى مركز في (١٤٢٢/٢/٦هـ)[١٦]

٥ـ الجوازات:

وصلنا خطاب من مدير جوازات منطقة نجران المقدم عمر بن عبد الله الحيلان بتاريخ (١٤٢٤/١١/٥هـ)، وذكر أنه أرسل تقريراً عن مراحل تطور هذه الإدارة، ولكن للأسف لم نجد هذا التقرير، وحاولنا الحصول عليه، لكن لا فائدة. والمفيد في خطابه المذكور أعلاه أنه ذكر إن إدارة جوازات نجران تأسست عام (١٣٧٥هـ)[١٧].

---

(١) المصدر نفسه. ج٤، ص٢٤، ٢٨.

(٢) المصدر نفسه. ج٤، ص٢٨.

(٣) من فئات (أ)، وباشرت مهامها بتاريخ (١٣٨٨/٣/١١هـ).

(٤) فئة (أ)، وبدايتها في (١٤٢٤/٥/١هـ).

(٥) فئة (أ)، بدأت في (١٤٠٤/١٠/١هـ).

(٦) من فئات (أ) وبدأت في (١٤١١/٥/١هـ).

(٧) كان فئة (ب)، وفي عام (١٤٢٨هـ) تبدل مستواه إلى (أ) وبدايته كانت في (١٣٩٤هـ).

(٨) كان عبارة عن فرقة داخلية، ومنذ (١٤١١/٢/١٨هـ) أصبح فئة (أ) وبداياته الأولى في (١٤٠١هـ).

(٩) فئة (أ) وبدأ العمل به في (١٤١٢/١١/١هـ). ومركز وحدة إسكان قوى الأمن الداخلي عام (١٤٢٤هـ).

(١٠) باشر مهامه في عام (١٣٩٣هـ) وفئتة (أ) ويرتبط بمديرية المنطقة مباشرة.

(١١) باشر مهامه في (١٤٠١هـ).

(١٢) كانت بدايته عام (١٤٠٢هـ).

(١٣) بدأ عمله (١٤٠٥هـ)

(١٤) باشر مهامه في عام (١٤٠٩هـ).

(١٥) بداية عمله في عام (١٤٢٣هـ).

(١٦) م. ابن جريس. ج٤، ص٣٠، ٢٠٥-٢٠٧.

(١٧) المصدر: م. ابن جريس، ج٤، ص١٥-١٦، وآمل أن يصلنا مستقبلاً نبذة تاريخية عن هذه الإدارة لعلنا ندرجها في الطبعة الثانية من هذا الكتاب.

٦- إدارة المرور :

استلمنا خطاب مؤرخ في (١٤٢٤/٩/٢٩هـ) من العقيد عبد الهادي بن مخلد العتيبي يفيد باستلام تعميم وكيل إمارة نجران في (١٤٢٤/٧/٩هـ) . بخصوص اعتزامنا إخراج دراسة عن نجران، وذكر أنه خاطب مدير الإدارة العامة للمرور فزوده فقط بخطاب في (١٤٢٤/٩/١٤هـ) وبرفقه هيكل تنظيمي عن بداية مرور نجران من عام (١٤٠٠هـ)، ولم يصلنا أي تفصيلات أخرى عن هذه المؤسسة الإدارية [١] .

٧- إدارة السجون :

أرسل إلينا مدير إدارة سجون نجران العميد ناصر بن محمد الشهري مذكرة بتاريخ (١٤٢٤/١٠/١٩هـ) ومكونة من ثلاث صفحات وجميعها تحتوي على سرد تاريخي لإدارة السجون بشكل عام في المملكة العربية السعودية منذ كانت تسمى (إدارة الحبس)، ثم (مصلحة السجون)، وأخيراً الإدارة العامة للسجون، ثم فصل بعض المعلومات على ما يجده السجين اليوم في سجون المملكة من رعاية طبية، وتعليمية، واجتماعية، ونفسية، وغيرها . أما النقاط الدقيقة التي ذكرناها في خطابنا الذي أرسلناه لوكيل الإمارة [٢]، فلم يتعرض لها صاحب هذه المذكرة [٣].

٨- القوات الخاصة لأمن الطرق :

أرسل إلينا قائد القوات الخاصة بنجران المقدم محمد بن عبد الرحمن مداوي مذكرة برقم (٤٤٥١ وتاريخ ١٤٢٤/٧/١٦هـ) يذكر فيها أن القوات الخاصة لأمن الطرق هي: مؤسسة إدارية مسؤولة عن تحقيق الأمن الشامل على كافة الطرق التي تربط بين مناطق وهجر المملكة العربية السعودية [٤]. وقد تم إنشاؤها على مستوى البلاد في عام (١٤١٠هـ) وبدأ العمل الفعلي لهذه الإدارة في نجران في (١٤١٢/٢/١هـ) [٥]. وكانت بإحدى المباني المستأجرة في حي المخيم بالقرب من مستشفى القوات المسلحة، وعدد العاملين بها آنذاك (٥) ضباط و(١٨٠) فرداً . وكان التشغيل الفعلي لدوريات أمن الطرق على طريق نجران شرورة في (١٤١٢/٩/١هـ) بمعدل قيادتي طرق وخمسة مراكز انطلاق دوريات [٦]. كما بدأ العمل في دوريات أمن الطرق على طريق نجران الرياض، ونجران عسير عام (١٤١٩هـ) [٧].

---

(١) م . ابن جريس، ج٤، ص٣٣ .

(٢) انظر للمزيد، م. ابن جريس، ج٤، ص٣

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٦-٣٨ .

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٩ .

(٥) المصدر نفسه . ومن أعمال هذه الإدارة منع الجريمة والحد من وقوعها، وضبط ما يقع من جرائم، والمحافظة على الأرواح والممتلكات على طول الطرق التي تعمل عليها . كما يجب عليها تنفيذ الأنظمة والتعليمات المرورية وكل ما يختص بمكافحة المخدرات، وما يدخل ضمن اختصاصات وواجبات الأمن العام . المصدر نفسه، ج٤، ص٣٩ .

(٦) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٩-٤٠ .

(٧) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٠ .

وتعاقب على إدارة هذه المؤسسة عدد من العسكريين هم (١) الرائد حمد بن رشيد الشرطان (١٤١١-١٤١٤هـ/١٩٩١-١٩٩٤م). (٢) المقدم هزاع بن سالم الزهراني (١٤١٤-١٤١٩هـ/١٩٩٤-١٩٩٩م). (٣) المقدم سعد بن حسن الجباري (١٤١٩-١٤٢١هـ/١٩٩٩-٢٠٠١م). (٤) المقدم محمد بن عبد الرحمن مداوي (١٤٢١-١٦/٧/١٤٢٤هـ/٢٠٠١-٢٠٠٤م)[١].

٩- إدارة المجاهدين:

اطلعنا على مذكرة مرسلة من مدير فرع إدارة المجاهدين بمنطقة نجران المكلف، سلطان بن خالد الهيضل، في (١٢/٧/١٤٢٤هـ)، أورد فيها نبذة مختصرة لهذه الإدارة، فذكر أنه تم تأسيس ثلاث فرق في المنطقة في عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، وكانت تسمى (فرقة مراقبة الحدود). وفي (٢٥/٨/١٤٠٣هـ/١٩٨٢م) أنشئ لهذه الإدارة مكتب للمجاهدين في إمارة المنطقة. ومنذ بداية عام (١٤١١هـ/١٩٩١م) انفصلت هذه المؤسسة بمبنى مستقل. وفي أوائل العقد الثالث من هذا القرن الهجري أضيف إلى الفرق الثلاث السابقة فرقة رابعة، وجميع هذه الفرق تساهم في الحفاظ على الأمن والاستقرار في المنطقة[٢].

١٠- إدارة مكافحة المخدرات:

أرسل إلينا مدير هذه الإدارة المقدم عمر بن سعد جلبان آل جلبان خطاباً بتاريخ (١٢/٧/١٤٢٤هـ) أورد فيه بعض المعلومات عن هذه المؤسسة، فذكر أنه تم إنشاء خلية مكافحة مخدرات بالمنطقة قبل عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) وكانت في أول الأمر تابعة للشعبة الثامنة في المباحث العامة. وفي عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) تم فصل هذه الإدارة من مؤسسة المباحث العامة وضمها إلى الأمن العام، وأصبح اسمها: فرع مكافحة المخدرات في نجران، ثم عدل اسمها إلى (إدارة مكافحة المخدرات) بالمنطقة وربطت بالإدارة العامة لمكافحة المخدرات بالرياض[٣].

أنشئت عدة فروع لهذه الإدارة، وسميت (وحدات) مثل: وحدتي شرورة والوديعة، ووحدات الخضراء، وحبونا، والخرخير، والمطار، ومكتب النقل الجماعي بمدينة نجران[٤]. وتعاقب عليها ستة مدراء حتى عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) هم: النقيب شاهر علي عسيري، والنقيب محمد علي الشهري، والمقدم علي معدي الشهري، والعقيد سليمان سالم شكر، والعقيد محمد أحمد الغامدي، والمقدم عمر سعد جلبان آل جلبان[٥].

---

(١) وهو التاريخ الذي كتب فيه هذا التقرير. م. ابن جريس، ج٤، ص٣٩-٤٠. وكان عدد منسوبي هذه المؤسسة في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) (١٧) ضابطاً، وموظف واحد، و(٤٠٨) فرد. المصدر نفسه.

(٢) م. ابن جريس، ج٤، ص٣١-٣٢. لم تكن هذه المذكرة تشتمل على الأعمال الرئيسة لهذه المؤسسة، ولم تشر إلى المدراء الذين تولوا إدارتها منذ نشأتها إلى كتابة هذا التقرير (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) المصدر نفسه.

(٣) م. ابن جريس، ج٤، ص١١٦.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه. لم يذكر تاريخ كل مدير في هذه الإدارة.

١١. إدارة إسكان قوى الأمن الداخلي بنجران وشرورة :

تم استلام مذكرة من مدير الإدارة الرائد مهندس زهران بن علي السلوك في (١٣/٧/١٤٢٤هـ)، وأشار إلى أن مشروع هذا الإسكان وفر سكنا لحوالي (٤٢٣٠) نسمة في (٧٠٥) فلة سكنية [١]. ويقع هذا المشروع على مدخل مدينة نجران على طريق أبها نجران، وتبلغ مساحة الأرض المخصصة له مليوني متر مربع تقريبا، وقد تم البناء على جزء كبير منها. ويتكون هذا المشروع من حيين متجاورين، ويحتوي كل حي على الفلل السكنية ومسجد ومدرسة وروضة أطفال . وفي وسط المشروع يوجد المسجد الجامع، ونادي الضباط، ونادي للأفراد، وصالة احتفالات، ومركز صحي، ومركز تجاري، وسوق مركزي . كما زود هذا المشروع بجميع الخدمات الأخرى الضرورية مثل: الكهرباء، والهاتف، وشبكات الصرف الصحي، إلى جانب الطرقات، ومواقف السيارات، والحدائق اللازمة[٢].

١٢. مركز صحي قوى الأمن بنجران :

وصل إلينا تفصيلات من مدير المركز الرائد عبد الله بن طاهر الصميلي في (١٢/٨/١٤٢٤هـ)، وذكر أن هذا المركز تأسس في نجران عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، وكان عيادة طبية صغيرة في إدارة شرطة المنطقة، ويعمل بها آنذاك طبيب وممرض ومراقب صحي وصيدلية محدودة[٣]. وفي عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) تم استئجار مبنى مستقل، وفي عام (١٤١٤هـ/١٩٩٤م) انتقل المركز إلى مبنى أكبر وأوسع، وصار إجمالي العاملين به آنذاك (٣٦) شخصا، منهم (١١) طبيبا، و(١٤) فنيا، و(١١) إداريا . وفي عام (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) أصبح المركز في عمارة مستأجرة أكبر من المبنى السابق، وصار عدد العاملين به (٥٣) موظفا . منهم (١٥) طبيبا، و(٢٥) فنيا، و(١٣) إداريا[٤].

ومن مهام المركز تقديم الخدمات العلاجية والوقائية لمنسوبي قطاعات وزارة الداخلية وأسرهم، وكذلك نزلاء السجون، ويقوم بالتصديق على التقارير الطبية الصادرة بحق منسوبي الوزارة، والكشف على طالبي التعيين بقطاع الوزارة من مدنيين وعسكريين، والتصديق على الإجازات المرضية حسب الصلاحيات المخولة للجنة الفرعية، وإعداد تقرير إحصائي نهاية كل شهر يشمل إجمالي عدد المراجعين والخدمات المقدمة لهم، وقد بلغ إجمالي عدد الزائرين للمركز عام (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م) (١٣٣٤٠١) زائرا [٥]. وهناك مركزان صحيان بإسكان قوى الأمن وشرورة تم افتتاحهما عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ويوجد أيضا عيادة طبية بمقر سجن نجران العام تم افتتاحها قبل ثلاث وعشرين سنة، وافتتح أيضا عيادة إمارة منطقة نجران في (١/٤/١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م) [٦].

---

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٩ . لم يذكر متى كانت بداية البناء في هذا المشروع .

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٤٩-٥٠ . لم يورد تفصيلات أكثر عن كيفية إدارة هذا الإسكان، وهل السكن فيه يشمل رجالات قوى الأمن في نجران وشرورة معا، أم مدينة نجران فقط ؟

(٣) م . ابن جريس، ج٤، ص٤٦ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) م . ابن جريس، ج٤، ص٤٦ .

(٦) المصدر نفسه .

١٣.فرع هيئة التحقيق والادعاء العام :

استلمنا خطابا من رئيس الفرع مبارك بن خلف الدوسري بتاريخ (١٤٢٤/٧/٢٦هـ) يشرح فيه بعض المعلومات عن هذه المؤسسة ذاكرا أنه تم تأسيسها في(١٤٢٠/٦/١هـ)، وكان عدد موظفيها عند الافتتاح عشرين موظفا، وتم استئجار المقر لهذا الفرع على طريق الملك عبد العزيز . ومن مهام هذه الإدارة ممارسة الإدعاء العام والرقابة والتفتيش على السجون، والإشراف على تنفيذ الأحكام الجزئية[١]. وأضيف إليها اختصاصات أخرى مثل : قضايا الاعتداء على العرض والأخلاق، والمخدرات والمؤثرات العقلية، وكذلك الاعتداء على النفس [٢].

١٤.فرع هيئة الرقابة والتحقيق :

جاءنا خطاب من مدير هذه الدائرة محمد بن مسعود الشهراني بتاريخ (١٤٢٤/٧/١٣هـ)، وأشار أن تاريخ التأسيس كان في عام (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، تحت مسمى (مكتب ...) ويعمل به آنذاك موظفان فقط ضمن مبنى إمارة منطقة نجران، وكان يشرف عليه يومئذ هديش بن محمد الطليلي ومرجعيته الإدارية فرع الهيئة بعسير [٣]. وفي فترة لاحقة استقلت هذه الإدارة في بناية مستقلة تحت اسم : فرع هيئة الرقابة والتحقيق بمنطقة نجران، وأصدر معالي رئيس الهيئة قرارا في (١٤٢١/١٠/٢٧هـ) يؤكد على انفصال هذه الدائرة عن فرع الهيئة في عسير وارتباطها مباشرة بالإدارة الرئيسة في الرياض . وفي عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) يعمل في هذه المؤسسة (١٥) موظفا [٤]. وقد أنشئ فرع نجران عام (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م).

١٥.فرع جمعية الهلال الأحمر :

استقبلنا مذكرة من مدير الفرع سعد بن عبد الزكري في (١٤٢٤/٧/١٧هـ) على تعميم وكيل الإمارة، ويذكر لنا تفصيلات عن إدارته، فذكر نبذة تاريخية عن جمعية الهلال منذ إنشائها في العصر السعودي عام (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)، والتي كان يطلق عليها (جمعية الإسعاف الخيري)، ثم تحول اسمها عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) إلى الاسم الذي تحمله حاليا (جمعية الهلال الأحمر السعودي) [٥]. ومن مهام هذا الفرع تقديم الخدمات الإسعافية لجميع شرائح المجتمع، فهو يغطي جميع الطرق البرية في نجران . كما بدأ في مبنى حكومي بحي الفيصلية، وكان يشتمل على غرفة العمليات الرئيسة، ومركز التدريب، وأقسام الإدارة المختلفة، والصيانة، والمستودع[٦].

---

(١) م . ابن جريس، ج٤، ص٤٢ .

(٢) المصدر نفسه . لم يذكر من تولى هذه الإدارة غير كاتب هذا الخطاب المرسل إلينا، ولم يفصل الحديث عن علاقة هذه المؤسسة بالمؤسسات الإدارية الأخرى .

(٣) م . ابن جريس، ج٤، ص٢٢ .

(٤) المصدر نفسه . لم يذكر الشهراني المدراء الذين تولوا إدارة هذه الإدارة، في حين أنه تولى إدارتها من (١٤٢١/٦/٥هـ) . كما لم يذكر المهام التي أوجدت من أجلها هذه المؤسسة .

(٥) م . ابن جريس، ج٤، ص٥٥ .

(٦) م . ابن جريس، ج٤، ص٥٦ .

وفرع نجران يتبعه عدد من المراكز مثل: إسعاف الخضراء[١]، والحصينية[٢]، وبئر عسكر[٣]، وحبونا [٤] . وكذلك مركز التدريب منذ عام (١٤١٤هـ/١٩٩٤م) . ودور هذا المركز نشر الوعي بين الناس وبخاصة في المدارس والإدارات الحكومية، وكذلك تدريب العاملين في هذه الإدارة واطلاعهم على كل جديد في علم الإسعاف[٥].

ويشير صاحب هذه المذكرة إلى الحالة الإدارية في فرعه فيذكر أسماء من تولاها قبله دون أن يذكر تواريخ إدارتهم مثل : عبد العزيز الربدي، وعبد العزيز الدوسري، وسليمان أبو حمته (أردني فلسطيني الجنسية)، وغرسان القحطاني، وعبد الله نفيسه، وعلي سلبع، وحسن صالح آل حرث، وعبد اللّه سراج، وفائز محمد آل سعد، وعلي سالم حبان، وسلطان عبد العزيز المسلم، وأخيراً صاحب المذكرة (سعد الزكري)[٦]. وفي عام (١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م) بلغ مجموع الحالات المنقولة بالإسعاف شهرياً حوالي (١٥٠) حالة، وكان عدد الكادر الفني آنذاك (٢٩) مسعفاً وطبيبين، و(١٢) سائقاً، و(١٤) سيارة إسعاف مجهزة طبياً وموزعة على المراكز بالإضافة إلى الفرع الرئيسي[٧].

١٦ـ فرع وزارة الشؤون الإسلامية في نجران :

أرسل إلينا مدير الفرع صالح بن إبراهيم الدسيماني خطاباً بتاريخ (١٤٢٤/٧/١٢هـ) لا يذكر فيه أي معلومة عن تاريخ هذا الفرع، اللهم إلا إحصائية مختصرة عن نشاطات هذه المؤسسة من عام (١٤١٤ـ١٤٢٣هـ/١٩٩٤ـ٢٠٠٣م) ذكر فيها : عدد الجوامع(٤٠٠) جامع[٨]، والمحاضرات التي قدمت تقريبا (١٣٠٠٠) محاضرة، وعدد المصاحف الموزعة حوالي (٦٥٠٠٠) مصحفاً، والزيارات الميدانية لبعض المؤسسات الإدارية (١٥٠٠) زيارة، وعدد الكتب الموزعة (١٧٠٠٠) كتاباً، وكذلك الأشرطة (٤٤٠٠٠) شريطاً [٩].

أما نشاطات الجاليات الإسلامية فهي : توزيع حوالي (١٦٠٠٠) مصحفاً مترجماً، و(٣٠٠) محاضرة ودرس مترجم، و(١٥٠٠٠) مطوية مترجمة بالعديد من اللغات،

---

(١) بدايته في عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) . المصدر نفسه .

(٢) افتتاحه في عام (١٤١٨هـ/١٩٩٨م) . المصدر نفسه .

(٣) تأسس في عام (١٤٢٢/١١/٢٠هـ ـ ٢٠٠٢م) . المصدر نفسه .

(٤) النشأة في (١٤٢٤/٥/١٣ـ ٢٠٠٤م) . المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه. كما أنشئت لجنة أصدقاء الهلال الأحمر السعودي بنجران في (١٤١٨/٨/١٦هـ ـ ١٩٩٨م) المصدر نفسه .

(٦) م . ابن جريس، ج٤، ص ٥٩ .

(٧) المصدر نفسه . كنا نتطلع إلى تفصيلات أكثر عن صلات هذه الإدارة مع المؤسسات الإدارية الأخرى وبخاصة القطاعات الصحية . ومن المؤسف أن إدارة الشؤون الصحية في نجران لم تتجاوب مع تعميم وكيل الإمارة، ولم يصلنا من قبلهم أي معلومة عن نشاطات إدارتهم وفروعها في نجران . اللهم إلا مدير المركز الصحي بالخرخير أرسل لنا موجزاً مختصراً عن المركز هناك بتاريخ (١٤٢٤/٩/١٦هـ) وذكر أن افتتاحه في عام (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ولم يورد معلومات أكثر عن طاقته البشرية، أو الخدمات المقدمة في هذا المركز . المصدر نفسه، ج٤، ص٢٠٤ـ٢١٥ .

(٨) المصدر نفسه، ج٤، ص٥٣ـ٥٤ . وفي عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) ثم الانتهاء من (٢٠) مسجداً، وعشرة مساجد أخرى لازالت تحت الإنشاء . المصدر نفسه .

(٩) المصدر نفسه .

وكذلك الشريط المترجم حوالي (٤٠٠٠٠) شريطاً، ودخل الإسلام خلال عشر سنوات (١٤٢٤-١٤٣٣هـ) حوالي (٨٠٠) فرد من جنسيات مختلفة [١]. وعدد موظفي الفرع (٧٠) موظفاً، جميعهم سعوديون [٢].

١٧- فرع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وصلنا من مدير الفرع تركي بن نادر الدوسري لتعميم وكيل الإمارة مذكرة بتاريخ (١٤٢٤/٧/١٧هـ) أشار فيها إلى بعض التفصيلات عن هذه المؤسسة فذكر أنها تأسست في عام (١٣٧٥هـ/١٩٩٥م) [٣]. وأول مقر لها في البلد القديم في شارع الأخدود، ويتبع لها آنذاك مركزان يخدمان منطقة أحياء أبا السعود وسط البلدة، ثم افتتح مركزان آخران في محافظتي شرورة ويدمة [٤]. وكانت هذه الإدارة في بادئ الأمر مرتبطة مالياً وإداريا بهيئة المنطقة الغربية، ثم أصبح ارتباطها بعسير منذ عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م). كما إنتقل مقرها إلى حي الفيصلية، وافتتح مركزان آخران في أبي السعود والعريسة. وأخيراً أصبحت هيئة نجران إدارة مستقلة تراجع الرئاسة العامة في الرياض [٥].

وفي عام (١٤١٦هـ/١٩٩٧م) افتتح ثلاثة مراكز أخرى في حبونا، وثار، وحي الفهد بمدينة نجران، وتوالى فتح مراكز أخرى حتى أصبح عددها في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) عشرة مراكز مع الإدارة الرئيسة في المنطقة [٦].

وتوالى على إدارة الهيئة في نجران أحد عشر مديراً، هم [٧]: (١) زيد بن عبد الله الراجح (١٣٧٥/٧/٢٩-١٣٨٠هـ/١٩٥٥-١٩٦٠م). (٢) محمد بن عبد الله الهنيدي (١٣٨٠-١٣٨٣هـ/١٩٦٠-١٩٦٣م). (٣) أحمد بن عبد الله العزالي (١٣٨٣-١٣٨٥هـ/١٩٦٣-١٩٦٥م). (٤) زيد بن أحمد بن زيد (١٣٨٥-١٣٨٨هـ/١٩٦٥-١٩٦٨م). (٥) عبد العزيز بن عبد الرحمن الفدا (١٣٨٨-١٣٩٣هـ/١٩٦٨-١٩٧٣م). (٦) عيضة بن محمد عيضة الزهراني (١٣٩٣-١٤١٠هـ/ ١٩٧٣-١٩٩٠م). (٧) يحيى بن حسين الفدا (١٤١٠-١٤١٢هـ/ ١٩٩٠-١٩٩٢م). (٨) عبد العزيز بن عبد الرحمن اليحيى (١٤١٢-١٤١٥هـ/ ١٩٩٢-١٩٩٥م). (٩) سالم بن منصور الحميميد (١٤١٥-١٤١٦هـ/ ١٩٩٥-١٩٩٦م). (١٠) أحمد بن عبد الله الأحمري (١٤١٦-١٤٢٣هـ/ ١٩٩٦-٢٠٠٣م). (١١) تركي بن نادر الدوسري (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) حتى تدوين هذه المذكرة [٨].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه. كنا نأمل المزيد عن تاريخ هذا المركز وإسهاماته في شتى المجالات الدعوية والثقافية. المصدر نفسه.

(٣) م. ابن جريس، ج٤، ص ٧٩-٨١.

(٤) المصدر نفسه. ج٤، ص٧٩.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه، ج٤، ص٨٠.

(٨) تدوينها في (١٤٢٤/٧/١٧هـ/٢٠٠٤م). جميع مادة هذا القسم توقفت عند عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ونأمل من طلابنا والباحثين أن يصححوا ما وقعنا فيه ويستكملوا ما لم نورده في هذه الدراسة. م. ابن جريس، ج٤، ص ٧٩-٨١.

١٨ـ إدارة التربية والتعليم (بنين) :

وصلنا تقرير من المدير العام للتربية والتعليم حسن بن أحمد القربي في (١٤٢٤/٧/١٦هـ) يورد فيه نبذة مختصرة عن قطاع التعليم للبنين في نجران فيذكر أنها تأسست أول مدرسة، تعرف بالمدرسة الأميرية، في عام (١٣٦٢هـ/١٩٤٢م) . وقد ضمت مدارس نجران إلى معتمدية المعارف وكانت تتبع إدارة التعليم في أبها، ثم ألحقت بتعليم بيشة في عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) ،وأخيراً أنشئ مكتب للإشراف في نجران (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، تم تحول هذا المكتب إلى إدارة تعليم في (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، وأصبحت إدارة عامة للتربية والتعليم (بنين) في (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) [١].

تولى هذه الإدارة عدد من المديرين هم : عبد العزيز بن أحمد العياضي (١٣٨٦ـ١٤١٧هـ/١٩٦٦ـ١٩٩٧م)، والأستاذ أحمد بن عبد الرحمن الهلال (١٤١٧ـ١٤١٨هـ/١٩٩٧ـ١٩٩٨م)، والأستاذ حسن بن أحمد القربي (١٤١٩ـ ١٩٩٩م) حتى تدوين هذا التقرير [٢]. وفي عام (١٤٢٤ـ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ـ ٢٠٠٥م) صار عدد جميع مدارس البنين في كل المراحل (٢٩٦) مدرسة، وعدد التربويين (٩٧) تربوياً و(٨٩٥) موظفاً، أما الميزانية في العام نفسه فتقدر بـ (١٨٨,٦٣١,٠٧) ثمانية عشر مليون وثمان مئة وثلاثة وستون ألف ومئة وسبعة ريالات [٣].

ولم يصلنا أي تفصيلات أخرى عن تاريخ وتطور تعليم البنين في نجران [٤].اللهم إلا بعض المعلومات المختصرة عن التعليم في محافظة الخرخير [٥]، والتي تشير إلى أن أول مدرسة ابتدائية في الخرخير بدأت عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، وكانت عبارة عن ثلاث خيام يدرس بها (١٩) طالباً في فصل واحد يقوم على تعليمهم مدرسين غير سعوديين [٦]. ومنذ عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) إلى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) تزايد عدد الطلاب إلى (١٢١) طالباً، في خمسة فصول دراسية يقوم على تعليمهم سبعة معلمين [٧]. وفي عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) افتتح فصل دراسي للمرحلة المتوسطة به (٢١) طالباً، ونلاحظ تزايد عدد الطلاب بين عامي (١٤١٥ـ١٤١٧هـ/ ١٩٩٥ـ ١٩٩٧م)، ففي عام (١٤١٥هـ/١٩٩٩م) نجد عدد طلاب

---

(١) م. ابن جريس، ج٤، ٦٠ـ ٦٤ . وقد ضمت إدارتا التعليم بنين وبنات في إدارة واحدة في عام (١٤٣٢هـ /٢٠١١م) . معاصرة الباحث لهذا التطور الإداري .

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٦١ . وكان تاريخ التقرير في (١٤٢٤/٧/١٦هـ) .

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٦٢ . تاريخ التعليم الحديث في تجران من الموضوعات الهامة والجيدة ليكون عنواناً لرسالة ماجستير في إحدى الأقسام الأكاديمية بجامعاتنا المحلية .

(٤) كما أشرنا سابقاً موضوع تاريخ التعليم النظامي في نجران جدير بالبحث والدراسة، ونأمل أن نرى أحد طلابنا أو طالباتنا في برامج الدراسات العليا في الجامعات المحلية من يتخذ هذا العنوان موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتوراة .

(٥) مذكرة وصلتنا من مدير مدرسة الخرخير الابتدائية، الأستاذ إدريس بن علي بكاري بتاريخ (١٤٢٤/٩/١٦هـ)، وعنوان هذه المذكرة (مدارس الخرخير الابتدائية والمتوسطة والثانوية) . المصدر: م . ابن جريس، ج٤، ص٢١٠ـ٢١٤ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) المصدر نفسه .

الابتدائي (٢١٥) طالباً والمتوسط (٢١) طالباً، وفي عام (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) وصل عدد طلاب الابتدائي (٢٤١) طالبا، والمتوسط (٣٦) طالبا. أما المعلمون فكان عددهم (١٦) معلما في عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ثم تناقصوا إلى (١٤) معلما في عام (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) [١].

ولم يأت عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) إلا وأصبح في محافظة الخرخير مدارس للابتدائية، وللمتوسطة، والثانوية، بل جميع المدارس أصبحت مباني مسلحة بعضها حكومي وآخر مستأجر، وأصبح عدد طلاب الابتدائي (١٩١) طالبا، والمتوسط (٢٤) طالبا، والثانوية ستة طلاب [٢]. وفي عام (١٤٢٤-١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤-٢٠٠٥م) نجد عدد طلاب المرحلة الابتدائية (٣٩٦) طالبا، يدرسون في (١٣) فصلا، ويقوم على تدريسهم (٢٢) معلما، خمسة عشر منهم سعوديون، وسبعة متعاقدين [٣].

أما المرحلتان المتوسطة والثانوية، فكان عدد الطلاب في الأولى (٦٤) طالباً، وفي المرحلة الثانوية (٢٣) طالبا، وكل من طلاب المرحلتين يدرسون في ثلاثة فصول ويشرف على تدريسهم (١٩) معلما، تسعة وطنيين، وعشرة متعاقدين [٤].

١٩- إدارة التربية والتعليم (بنات):

وفي خطاب بتاريخ (١٤٢٤/٩/١٥هـ) من مدير عام التربية والتعليم للبنات في نجران، الأستاذ رشيد البيضاني، إلى وكيل إمارة المنطقة يذكر له نبذة تاريخية عن تطور تعليم البنات بنجران [٥]. وأشار إلى أن هذا التعليم بدأ في مدينة نجران بمدرسة واحدة عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، وعدد طالباتها آنذاك (٣٥) طالبة، ويشرف عليها مندوبية تراجع إدارة تعليم البنات في عسير [٦]. وفي عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) أنشئت إدارة تعليم البنات بنجران، وكانت تشرف على خمس مندوبيات هي: مندوبيات مركز الجربة، ومحافظة حبونا، ومحافظة شرورة، وهذه المندوبيات الثلاث تم افتتاحها في عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ومندوبية بدر الجنوب عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ومندوبية يدمة عام (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) [٧]. ومن ثم أصبحت الإدارة تشرف على (٣٣٦) مدرسة في مختلف المراحل الدراسية، وتشتمل على (٢١٦٩) فصلا، يدرس بها حوالي (٤٨٠٠٠) طالبة، ويشرف على تعليمهن حوالي (٣٤٥٠) معلمة [٨].

---

(١) المصدر نفسه. لا ندري ما سبب تناقص المعلمين، ولكن من المحتمل أن بعض الفصول الدراسية تقلصت أو جمعت مع بعضها، أو أن المدارس كانت تعاني من نقص أثناء تدوين هذه المذكرة.

(٢) م. ابن جريس، ج٤، ص٢١١-٢١٣.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه. كما أشرت سابقاً نأمل أن نرى من يدرس تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة نجران، وهذا الموضوع حري بالبحث والدراسة والتقصي.

(٥) هذا الخطب ومرفقاته مرسل إلى وكيل إمارة نجران، وقد أرسله إلينا مشكوراً مع خطابات ومدونات أخرى، ويوجد ضمن مكتبتنا، ج٤ (ق١٥هـ/٢٠-٢١م)، ص٦٥-٦٨.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.

ويشير الخطاب إلى تطوير الكلية المتوسطة في مدينة نجران حتى أصبحت كلية تربية تمنح درجة البكالوريوس، وافتتحت كلية أخرى بمحافظة شرورة [١].

والظاهر على هذا الخطاب الاختصار في معلوماته، وما تم جمعه من إحصائيات وتفصيلات في مجال تاريخ تعليم البنات، فلم يذكر نوعية المدارس هل مبانيها حكومية أو مستأجرة، كما أنه لم يشر إلى المصروفات المالية والموازنات التي تصرف على هذا القطاع الهام، بل إنه لم يتعرض لتاريخ النشاطات الصفية واللاصفية، ولا للهيئة الإدارية والتعليمية وبخاصة أعدادهم التفصيلية، أو مستوياتهم الدراسية، كما أنه لم يذكر أي شيء عن التعليم الأهلي (الخاص)، وكذلك وسائل النقل المستخدمة في نقل الطالبات وغيرها من المحاور الهامة في سير العملية التربوية التعليمية[٢].

٢٠ـ المعاهد العلمية :

استلمنا خطاب من مدير المعهد العلمي في نجران، الأستاذ / فاضل بن عبد الرحمن ياسين هزازي، والذي رقمه (٢/٨٣) والمؤرخ في (١٤٢٤/٩/١٨هـ)، ويوجز فيه نبذة مختصرة عن المعاهد العلمية هناك[٣]، فيذكر أن المعهد تأسس في عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، وكان موقعه في بناية مستأجرة بالبلد القديم، ثم أسس مبنى حكومي جديد في المنطقة عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، وتم افتتاحه في عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ويتكون هذا البناء الجديد من (٨) غرف إدارية، وغرفة للمدرسين، و(١٦) فصلا دراسيا، ومكتبة كبيرة يبلغ عدد الكتب فيها (٨٠٥٦) عنوانا، وقاعة ضخمة تتسع لثلاث مئة مقعد، وسكنا للطلاب يتكون من ثلاثة طوابق، ومسجدا يتوسط المبنى المدرسي، وللمعهد ثلاث بوابات رئيسة، ويحيط به سور عال يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار، ومجموع غرف المباني الدراسية وملحقاتها (٣٨) غرفة، وغرف السكن الطلابي وملحقاته (٤٣) غرفة، والمساحة الإجمالية للمعهد (١٠٩٨١م^{2})، وعدد المعلمين في عام (١٤٢٤ـ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤ـ٢٠٠٥م) (٢٤) مدرسا، وستة موظفين، وسبعة مستخدمين، أما طلاب المعهد فعددهم (٤٠٣) طالباً [٤].

وفي عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) افتتح معهدان آخران في كل من شرورة ويدمة، وكلاهما مستأجرة، وقد زودت المعاهد الثلاثة بالحواسب ومراكز لتقنية التعليم، بالإضافة إلى مركز الإرشاد الطلابي ورعاية الموهوبين في معهد نجران الرئيس . ولم تكن

(١) معلومات هذا الخطاب قديمة تعود إلى السنوات الأولى من العقد الثاني في القرن (١٥هـ/٢٠/٢١م) والزائر لنجران اليوم يجدها مليئة بالكليات العلمية والإنسانية التي تشرف عليها جامعة نجران، ناهيك عن المدارس العامة فهي الأخرى تعد بالمئات . ومنذ بداية عام (١٤٣٢هـ/٢٠١٠ـ٢٠١١م) أصبحت إدارة التعليم في نجران موحدة وتشرف على مدارس البنين والبنات معاً . وكون موضوع تاريخ التعليم في نجران مهم، فإننا نحث طلابنا وطالباتنا للدراسات العليا في جامعات الملك خالد، ونجران، والباحة، وجازان أن يولوا هذا الجانب العلمي كبير اهتمام في بحوثهم ودراساتهم .

(٢) أشار التقرير إلى معلومات عامة عن وسائل النقل دون أن يحدد تاريخه، فذكر أنه بلغ عدد نقل وسائل الطالبات المستأجرة (٢١٦) وسيلة . بمبلغ إجمالي قدره (٤٧٦٥٨٣٣) ريالا، أما وسائل النقل الحكومية فكان عددها (٥٧) حافلة . وإذا كان لم يذكر تاريخ هذه المعلومات، فمن المحتمل أنها في سنة تاريخ الخطاب، أي عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) .

(٣) هذا الخطاب كان موجهاً إلى سعادة وكيل الإمارة، الأستاذ السويلم، والوكيل مشكوراً أرسله لنا مع غيره من التقارير والخطابات الخاصة بتاريخ المؤسسات الإدارية في نجران . المصدر: م. ابن جريس، ج٤، ص ١١٥ .

(٤) المصدر نفسه .

أعمال هذه المعاهد مقصورة على التدريس فقط وإنما لها نشاطات لا صفية أخرى مثل: إقامة الدورات الشرعية، والمراكز الصفية، والرحلات الثقافية والاجتماعية، وكذلك النشاطات الرياضية المختلفة[١] .

٢١. المعهد الثانوي التجاري :

وصلنا خطاب من مدير المعهد، وليد حمزة المزين، برقم (٣٨٨ وتاريخ ١٤٢٤/٨/١٦هـ) يذكر فيه أن المعهد تأسس عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) [٢] وكان مديره آنذاك الأستاذ محمد بن منصور المسكتي، وعدد العاملين (١١) موظفا ومعلما، وكان المعهد يراجع مباشرة المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني بالرياض . وفي عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) أصبح عدد الموظفين بالمعهد (٣٥) موظفا [٣]، ويدرس به حوالي (٣٠٠) طالب في أربعة تخصصات هي : أعمال مكتبية، محاسبة مسك الدفاتر، حركة مواد، تسويق . ومنذ عام (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) طبق المعهد برنامج التدريب التعاوني مع الشركات والمؤسسات الخاصة والقطاع الحكومي، وبه يدرب الطالب ميدانيا لمدة فصل دراسي في السنة الثالثة والأخيرة من المعهد[٤] .

٢٢. مركز التدريب المهني :

اطلعنا على تقرير من مدير المركز، سعيد بن أحمد آل جبار، برقم (١٨/٥٧٧ وتاريخ ١٤٢٤/٧/١٩هـ) يذكر أن المركز تأسس عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)[٥]، ومديره الأول حسن بن علي اليامي، الذي كان يعمل معه (١٦) موظفا، سعوديان وأربعة عشر متعاقدا، ومنذ عام (١٤٠٧-١٤١٣هـ/ ١٩٨٧-١٩٩٣م) تولى إدارة المركز مشبب بن ثابت عبد الله القحطاني، وعدد العاملين معه آنذاك (٦٩) موظفا، (٢١) سعوديا و(٤٨) متعاقد . ومنذ عام (١٤١٣-١٤٢٣هـ/١٩٩٣-٢٠٠٣م) رأس المركز ناجي بن عبد الله النهاري، وعمل معه (٢٥) سعوديا فنيا و(٥٧) فنيا متعاقدا، وفي عام (١٤٢٣-١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) تولى إدارة المركز سعيد آل جبار، ويعمل معه آنذاك ستة متعاقدين، و(٥٢) سعوديا فنيا، و(٢٠) موظفا إداريا[٦] .

يستمد المركز قراراته مباشرة من المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني بالرياض. أما الميزانيات الخاصة بالمركز، فكانت (١٧٠) ألف ريال عند التأسيس، ثم تتابع الصرف على الأجهزة والمعدات والخامات والصيانة حتى تجاوزت المليون ريال . أما ميزانية عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) فكانت عبارة عن ميزانية خاصة بتأمين خامات التدريب

---

(١) المصدر نفسه . المعاهد العلمية في المملكة قامت ولازالت تقوم بأدوار تربوية وتوعوية وثقافية هامة في المجتمع السعودي . وهذه المؤسسات جدير بدراستها وكشف ما قدمت من جهود تذكر فتشكر في مجالات علمية واجتماعية وثقافية مختلفة .

(٢) م . ابن جريس، ج٤، ص٧٢ .

(٣) لم يوضح الخطاب عدد المعلمين من العدد الكلي لموظفي المعهد . م . ابن جريس، ج٤، ص٧٢.

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه . ج٤، ص١٧٥ .

(٦) المصدر نفسه. لقد جرى تعديل وتطور على مراكز التدريب المهني بعد عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ومن ثم فإن دراسة تاريخ وتطور التعليم الفني في المملكة العربية السعودية جدير بالبحث والدراسة والتقصي .

تقدر بـ (١٠٠,٠٠٠) ريال يتم التعويض بدلاً عنها عند صرفها وتسديد فواتيرها، و(٣٠,٠٠٠) ريال مستلزمات تعليمية للعام الدراسي، و(١٥٠٠٠) ريال محروقات للعام كاملاً . أما المعدات، والأجهزة والعدد اليدوية فيتم تأمينها حسب الاحتياج مركزياً من قبل الإدارة العامة للمشتريات[١] .

٢٣ ـ الكلية التقنية :

أرسل إلينا عميد الكلية الدكتور محمد بن علي بن عوضة الشهري تقريراً عن تاريخ هذه المؤسسة برقم (٣/٤٩٢٥ وتاريخ ١٤٢٤/٩/١هـ) يذكر فيه أنه تم افتتاح هذه الكلية في بداية العام الدراسي (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، وتولى الإشراف عليها الأستاذ فرج بن سالم آل منصور، وكان معه عند التأسيس حوالي عشرة موظفين[٢] . وفي عام (١٤٢٣/١٢/٢١هـ) تولى عمادتها الدكتور الشهري صاحب هذا التقرير . وتستمد قراراتها وميزانياتها من المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني بالرياض. ومنذ شهر رجب (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) تم إنشاء ما يعرف باسم (مجلس التعليم الفني والتدريب المهني) في كل منطقة من مناطق المملكة، ومنها نجران، وهذا المجلس يتولى الإشراف على جميع وحدات المؤسسة العامة في عموم كل منطقة، ويتولى عميد الكلية رئاسة هذا المجلس، ومديري المراكز والمعاهد والمؤسسات الأخرى في المنطقة أعضاء في هذا المجلس، وقد أعطي هذا المجلس الكثير من الصلاحيات التي تدير دفة العمل في هذه المؤسسات الفنية . وفي العام الدراسي (١٤٢٤ـ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ـ٢٠٠٥م) سوف تبدأ الدراسة في المبنى الحكومي الخاص بالكلية، والذي قدرت تكلفته بقيمة تسعة وسبعون مليون ريال[٣] .

وتشتمل الكلية على أربعة أقسام رئيسة، وستة تخصصات هي: (١) قسم التقنية الإدارية ويحتوي على تخصصات المحاسبة، والإدارة المكتبية، والتسويق. (٢) قسم تقنية الحاسب الآلي ويضم تخصص الدعم الفني، والبرمجيات . (٣) وقسم التقنية الكهربائية، تخصص قوى كهربائية . (٤) وقسم الدراسات العامة، وهو قسم مساند يقدم المواد العامة لجميع الأقسام . ويتواجد في الكلية في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) سبعة عشر موظفاً إدارياً، و(٧٥) عضو هيئة تدريبية منهم خمسة وأربعون سعودياً[٤] .

٢٤ـ مكتب رعاية الشباب :

استلمنا خطاب من مدير المكتب الرئيس لرعاية الشباب في نجران[٥]، برقم (١٩٠٨وتاريخ ١٤٢٤/٧/١٧هـ) يذكر فيه افتتاح هذا المكتب في عام (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، وكان مبنى مستأجراً بحي الفيصلية، وعوض بن عبد الله الشهراني أول من تولى إدارته،

---

(١) م . ابن جريس، ج٤، ص١٧٥ .

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٧٠ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص٧٠ـ٧١ . التعليم العام والعالي الفني في نجران جدير بالبحث والدراسة، بل برامج ومناهج التعليم الفني في المملكة بحاجة إلى دراسات علمية أكاديمية رصينة.

(٥) وهو الأستاذ حسن بن شائع المالكي . المصدر : م. ابن جريس، ج٤، ص١٩٧ .

ومعه فقط ثلاثة موظفين. وفي عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) تولى الأستاذ حسن بن شائع المالكي إدارة المكتب، ولازال يقوم على إدارته حتى تدوين هذا الخطاب وإرساله إلينا في عام(١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، ويعمل معه حوالي (١٥) موظفاً[١].

المكتب يتلقى قراراته وميزانياته من الرئاسة العامة لرعاية الشباب في الرياض، ويتولى المكتب الإشراف على جميع المناشط الرياضية في المنطقة وبخاصة النوادي الرياضية آنذاك، وهي ثلاثة: الأخدود[٢]، وشرورة[٣]، ونجران[٤]. وللأسف لا نجد تفصيلات وافية في هذا الخطاب الذي وصلنا من مدير مكتب نجران، وكان حرياً به أن يفصل الحديث عن مواقع النوادي والمكتب، وعن الأنشطة التي قدمتها نوادي نجران الرياضية، وعن العقبات والمعوقات التي واجهت الرياضة هناك إلى غير ذلك من المعلومات التاريخية الرياضية القيمة والتي يرغب جيل اليوم قراءتها والاطلاع عليها[٥].

٢٥ـ مكتب الضمان الاجتماعي:

جاءنا تقرير من مدير مكتب الضمان الاجتماعي في نجران، سعيد بن مبارك الشهراني، برقم (٢١٥٥ وتاريخ ١٤٢٤/١٢/٣هـ) يشير إلى بعض المعلومات عن هذا المكتب الذي افتتح في حي الفيصلية عام (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، ويعمل في المكتب في أوائل العقد الثاني من هذا القرن الهجري حوالي (١٩) موظفاً[٦]. يرتبط بالمكتب الرئيسي في مدينة نجران عدد من المكاتب في المنطقة مثل: مكاتب شرورة، ويدمة، وحبونا[٧]. ويمارس المكتب عمله في عدد من المجالات التي تدور في صلب تخصصه مثل: صرف معاشات الضمان، وتشمل العاجزين عن العمل عجزاً جزئياً وبخاصة من فئات الرجال، وكذلك النساء الأرامل والمطلقات. كما يقدم مساعدات لأسر السجناء، وأصحاب الكوارث الطبيعية، أو من عجز عن كسب قوت يومه[٨].

وإذا عدنا إلى مكتب الضمان الرئيسي في نجران نجده يخدم حوالي (٣٠) حياً في مدينة نجران، كما أن خدماته تمتد إلى محافظات ومراكز أخرى مثل: بدر الجنوب، وخباش، والخانق، وهدادة، وعاكفة، وبئر عسكر، والخضراء (الخرعاء)[٩].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) نادي الأخدود تأسس في عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م).

(٣) نادي شرورة تأسس في عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م).

(٤) نادي نجران تأسس في عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

(٥) م. ابن جريس، ج٤، ص ١٩٧ـ١٩٨.

(٦) م. ابن جريس، ج٤، ١٣٠ـ١٣٢.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) هذا التقرير يعود إلى عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، مع أنه جرى الكثير من التطور والتحسينات على مكاتب الضمان الاجتماعي في المملكة وبخاصة بعد أن تولى رعاية ذلك خادم الحرمين الشريفين، الملك عبد الله بن عبد العزيز. وما قدم هذا الملك الصالح للمستفيدين من الضمان جدير بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية المنصفة.

(٩) كما أشرت سابقاً دراسة الجوانب الاجتماعية، كالضمان الاجتماعي وغيره من المؤسسات أو النشاطات المتعلقة بخدمة المجتمع جديرة بالبحث والدراسة. وللأسف جامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية مقصرة في هذا الجانب، والواجب فتح مراكز بحثية اجتماعية في أغلب الجامعات لدراسة مشاكل المجتمع وإيجاد الحلول المناسبة لخدمة المجتمع والارتقاء بأحواله في شتى المجالات.

٢٦ـ مكتب التأمينات الاجتماعية :

طالعنا تقرير وصلنا من مدير مكتب التأمينات الاجتماعية يحيى بن حسن بن عكران بتاريخ (١٤٢٤/٨/٨هـ) يذكر فيه افتتاح هذا المكتب بنجران في (١٤٠٥/٥/١هـ) [١]، وقد باشر هذا المكتب عمله ليشمل جميع محافظات ومراكز نجران . وتم إنشاء مبنى حكومي لهذه المؤسسة في حي الفهد، يتكون من ثلاثة أدوار بملاحقها، وعلى مساحة إجمالية تقدر بـ (٣١٦٥م)، وتكلفة مالية بلغت (١١,٠٥٠,٠٠٠) ريالا. وقد تم افتتاحه في (١٤٢٢/٧/٦هـ) [٢]. وفي الجدول التالي بيانات إحصائية عن نشاطات المكتب منذ نشأته إلى عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) .

جدول رقم (١) اسم النشاط والمبالغ المصروفة من مكتب تأمينات نجران منذ النشأة حتى عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) [٣]

أولاً :	**أعداد المنشآت المشتركة بالنظام حتى تاريخ (١٤٢٤/٦/٣٠هـ)**	
١-	القطاع الخاص	١٤٥٧
٢-	الجهات الحكومية	٣٥
٣-	المؤسسات العامة	٥
	المجمـــــــوع	١٤٩٧
ثانيا :	**المشتركون بالنظام حتى تاريخ (١٤٢٤/٦/٣٠هـ)**	
١-	المشتركون بالنظام على رأس العمل	٢٢٢٦٥
ثالثا :	**منافع فرع المعاشات حتى تاريخ (١٤٢٣/٦/٣٠هـ)**	
	نوع المعاش	المبالغ المصروفة
١-	معاش الشيخوخة	١٣٠٧٣٩٥٨١
٢-	معاش الورثة	٤٤٢١٠٠٩٠
٣-	معاشات العجز غير المهني	٧٢٠٢١٣٤
٤-	دفعة واحدة	١٥٠٤٢٥٠٩
	المجمـــــــوع	١٩٧١٩٤٣١٤
رابعاً :	**منافع فرع الإخطار المهنية حتى تاريخ ١٤٢٣/٦/٣٠هـ**	
١-	البدلات اليومية	٩٣٤٢٦٧
٢-	التعويضات المقطوعة	١٤٦٤٥٥
٣-	عائدات العجز المهني	٦١٥٣١٥
٤-	تكاليف العناية الطبية	٢٢٧٤٣٧٣
٥-	عائدات الورثة	٥٥١٦٤٧٩
	المجمـــــــوع	٩٤٨٦٨٨٩

(١) م . ابن جريس، ج٤، ص ١٣٥ .

(٢) المصدر نفسه . ج٤، ص١٣٦-١٣٧ .

(٣) المصدر نفسه .

٢٧ مكتب العمل :

أرسل إلينا مدير مكتب العمل في نجران، سعود بن محمد البريك، تقريراً برقم (٢٢٩٩) وتاريخ (١٤٢٤/٨/١٠هـ) يذكر فيها افتتاح هذا المكتب في عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) [١]. والمديرون الذين تولوا إدارته هم : (١) محمد الصالح، وبقي في الإدارة فقط شهرين عند الافتتاح وكان معه سبعة موظفين فقط .(٢) محمد سعيد القحطاني (١٣٩٣-١٤١٤هـ/١٩٧٣-١٩٩٤م). (٣) حسين محمد آل صفحان(١٤١٤-١٤١٥هـ/ ١٩٩٤-١٩٩٥م). (٤) سعود بن محمد البريك (١٤١٥هـ حتى إعداد هذا التقرير ١٤٢٤هـ/١٩٩٥-٢٠٠٤م) [٢].

والمكتب يمارس عمله من خلال عدة أقسام رئيسة هي: التوظيف، والاستقدام، والتفتيش، وإصدار الرخص، ونقل الكفالات، وتعديل المهن، والقضايا والتحقيقات، ونظام الحاسب الآلي الذي بدأ العمل به منذ (١٤٢١/٨/١٧هـ)، بالإضافة إلى عدد من اللجان في المكتب تقوم بمتابعة الأجور المحلية في المنطقة، ومنع الأجانب من مزاولة التجارة، وتعقب صغار السن ومنعهم من العمل في بعض الأنشطة التي لا تناسبهم [٣]. وفي (١٤٢٢/١/١هـ) تم افتتاح فرع لمكتب العمل الرئيسي في شرورة كي يوفر المشقة على تلك النواحي، ويقضي حوائجهم في مواطنهم . وحتى تدوين هذا التقرير (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) يتلقى مكتب عمل نجران قراراته من مدير المكتب الرئيسي في أبها بمنطقة عسير [٤].

٢٨- مركز التأهيل الشامل والمؤسسات والجمعيات :

أ- مركز التأهيل الشامل :

وصلنا خطاب وكيل إمارة نجران، والذي برفقه تقريراً من مدير مركز التأهيل الشامل في المنطقة، أحمد بن حمود الغريبي، رقم (١٤٢٢) وتاريخ (١٤٢٤/١١/٨هـ) يشرح فيه بعض التفصيلات عن هذا المركز الذي تم افتتاحه عام (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ويتولى إدارته الأستاذ الغريبي منذ نشأته حتى تدوين هذا التقرير(١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) [٥]. يقع هذا المركز على الطريق الرئيس الذي يخرج من مدينة نجران تجاه منطقة عسير، مقابل الإستاد الرياضي بنادي الأخدود، ويتواجد على مساحة تقدر بـ (٢٤٠٠٠م)، ويتكون من طابقين، الطابق الأول يقيم فيه المعاقون الذين تجاوزت أعمارهم (١٢) سنة من الذكور، ويتسع

---

(١) م . ابن جريس، ج٤، ص١٣٩ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه . ج٤، ص١٤٠-١٤١ .

(٤) المصدر نفسه . مدينة أبها تعد حاضرة رئيسة ليس لبلاد عسير، ولكن لأجزاء عديدة في جنوبي البلاد السعودية، وفي الآونة الأخيرة أصبحت كل منطقة في الجنوب مستقلة بمؤسساتها الإدارية، وتراجع مراجعها الرئيسة في الوزارات بالرياض . للمزيد عن تاريخ مدينة أبها وعلاقاتها بما حولها . انظر: ابن جريس، أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) ص١٤، وما بعدها .

(٥) م. ابن جريس، ج٤، ص١٤٣-١٤٤ .

لحوالي (١٧٠) فرداً، ويقوم على خدمتهم فريق متخصص . أما الطابق الثاني فهو خاص بالمعاقين من الأطفال والنساء، ويتواجد به حوالي (٢٣٩) حالة، يتولى الإشراف عليهم ومتابعتهم فريق عمل من المتخصصات .

ويجاور المبنى الرئيس للمركز العديد من المرافق العمرانية التابعة له، مثل: الملاعب الرياضية والأماكن الترفيهية، بالإضافة إلى وحدات سكنية صغيرة تقدم الرعاية الاجتماعية للمحتاجين. ومنذ نشأة هذا المركز لم يضف إليه ملاحق عمرانية جديدة، وإنما أجريت له العديد من الترميمات والتجديدات لبعض أجزائه، كما استحدث به قسم الرعاية النهارية، وقسم للتأهيل المهني، وتقوم إدارة المركز بالإشراف على الجمعيات والمؤسسات الأهلية التابعة في إداراتها للمركز[١] .

والمركز يراجع وزارة الشؤون الاجتماعية بالرياض، وكان عدد الموظفين به عند الافتتاح عشرة فقط، وفي عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) أصبح عددهم (٣٦) موظفاً وموظفة جميعهم على ملاك الوزارة، بالإضافة إلى (٣٨٠) عاملا تابعين للمؤسسة القائمة بأعمال الصيانة والنظافة للمركز[٢] .

لا يوجد للمركز ميزانية خاصة وإنما يتم الصرف عليه بأوامر من الوزارة . والفئات المعاقين الذين لا يرغب ذووهم إيداعهم بالمركز، وإنما يفضلون صرف إعانات لهم، فتقدر ميزانية الإعانة الأسرية عند بداية العمل بالمركز بحوالي مليوني ريال، وارتفعت هذه الإعانات والمصاريف[٣] . حتى وصلت (٩,٨٢٤,٥٠٠) ريال في عام (١٤٢٣ـ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣ـ٢٠٠٤م)[٤] .

وفي عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) تمت الموافقة على توسعة المركز لاستيعاب أكبر عدد ممكن من الفئات المحتاجة للرعاية، ومن المتوقع أن تصل الطاقة الاستيعابية بعد التوسعة إلى (٧٠٠) حالة[٥] .

ويشتمل التقرير على تفصيلات أخرى عديدة توضح سير العمل الاجتماعي، والتعليمي، والطبي، والرياضي، والمهني في المركز، كما احتوى على جداول عديدة تشير إلى صرف الإعانات السنوية، وإلى أنواع الحالات المقيمة في المركز، وإلى الحالات المرضية التي تراجع الرعاية الصحية، وكذلك الزيارات الأسرية خلال فترة التقرير (١٤٠٨ـ١٤٢٤هـ/١٩٨٨ـ٢٠٠٤م)[٦] .

---

(١) المصدر نفسه . للمزيد عن هذه الجمعيات والمؤسسات الأهلية انظر: صفحات قادمة في نهاية هذا المحور.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٥ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) المصدر نفسه . ح٤، ص١٤٦ـ١٦٤ .

ب. المؤسسات والجمعيات الأهلية :

من ضمن الأعمال المناطة بمركز التأهيل إشرافه على الجمعيات والمؤسسات الأهلية في المنطقة[١]. وهناك ست جمعيات بنجران ويتولى متابعة أعمالها مركز التأهيل الشامل، وهي موزعة في بلاد نجران على النحو التالي: (١) الجمعية التعاونية متعددة الأغراض بحي الفيصلية في مدينة نجران. (٢) الجمعية التعاونية بوادي ثار في محافظة ثار. (٣) الجمعية التعاونية بوادي قطن في مركز قطن بمحافظة ثار. (٤) الجمعية التعاونية في يدمة بمحافظة يدمة. (٥) الجمعية التعاونية في بدر الجنوب. (٦) الجمعية التعاونية الزراعية في مدينة نجران.[٢].

وهذه الجمعيات تقدم لأعضائها والمقيمين في محيطها الجغرافي العديد من الخدمات مثل: توفير المواد الغذائية والتموينية والاستهلاكية بالجملة والمفرق، وتوفير الغاز ومواد البناء، وتوفير أعلاف المواشي من شعير وبرسيم وخلافه، وتأمين الملابس والأحذية والكماليات الأخرى، وتأمين الأدوات المنزلية والأجهزة الكهربائية والإليكترونية[٣].

ويبلغ عدد الأعضاء المساهمين في هذه الجمعيات حوالي (٢٢٦٢) عضواً، ويتولى إدارة كل جمعية مجلس منتخب من قبل الجمعية العمومية لكل جمعية. ويبلغ رأس مال أسهم هذه الجمعيات حوالي (٠٥٠, ٧,٥٥٥) ريالا، وموجوداتها تقدر بحوالي (١٣٧, ٢٨,٨٨٤) ريالا، وجميعها تسير وفقا لأنظمة التعاون ولوائحها الأساسية، ويتابع المركز الشامل جميع نشاطاتها الإدارية والاجتماعية والمالية، ويرفع تقارير دورية عنها إلى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية[٤].

كما يوجد في نجران جمعية خيرية واحدة، وهي مسجلة بالوزارة تحت رقم (٥١) وتاريخ (١٤٠٢/١٢/٢٥هـ)، وتقدم العديد من الخدمات، مثل: توزيع المساعدات النقدية والعينية للمحتاجين، ولديها أيضا روضة أطفال بالمنطقة تقدم خدمات كبيرة لكثير من الأطفال وأسرهم[٥].

وقد وصلنا تقرير من مدير الجمعية الخيرية للخدمات الاجتماعية في نجران، محمد مسعود عدرج، رقم (٥٦٥) وتاريخ (١٤٢٤/٨/٢٥هـ)[٦]. ذكر فيه أن هذه الجمعية تأسست عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م). وهي تقوم على رعاية الفقراء والأيتام والمرضى والمطلقات والأرامل، كما أن خدماتها امتدت إلى رعاية المساجين وأسرهم، وأشار إلى أن هذه الجمعية تعتمد كلياً على التبرعات والدعم الذي يصلها من أهل الخير، والتجار والمؤسسات[٧].

---

(١) أصبح إشراف المركز على الوحدة التعاونية في نجران في (١٤١٣/٥/١هـ). م. ابن جريس، ج٤، ص١٦٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) هذا التقرير الخاص بالمؤسسات والجمعيات الأهلية في نجران وصلنا أيضاً من مدير مركز التأهيل الشامل في نجران الأستاذ أحمد بن حمود الغريبي في (١٤٢٤/١١/٨هـ). المصدر: م.ابن جريس، ج٤، ص١٦٥-١٦٧.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه. ج٤، ص١٧١-١٧٢.

(٧) المصدر نفسه، وأشار صاحب التقرير إلى تزايد الطلبات من المحتاجين، والقصور أحياناً في تلبية جميع هذه الطلبات لعدم وجود الدعم المالي الكافي الذي يغطي كل ما يصلهم من الفقراء والمحتاجين ومن هو في حكمهم. المصدر نفسه.

٢٩. دار الملاحظة الاجتماعية :

تأسست في (١٤١٨/٨/١هـ) ، وفتحت أبوابها بشكل عملي في (١٤١٩/٦/٨هـ) ، تراجع إداريا وماليا للشؤون الاجتماعية في عسير، وفي عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) انفصل ارتباطها بعسير وأصبحت تراجع وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بالرياض[١]. تولى إدارتها عند الافتتاح محمد بن رجب الزهراني (١٤١٨/٨/١-١٤٢١/٣/١٤) ثم خلفه حسين بن إبراهيم القحطاني (١٤٢١/٣/١٥هـ) حتى تاريخ تدوين هذا التقرير ١٤٢٤هـ) [٢].

وهذه الدار مؤسسة اجتماعية ترعى الأولاد الذكور الذين لا تقل أعمارهم عن سبع سنوات ولا تتجاوز أعمارهم ثماني عشرة سنة، ويحالون إليها عن طريق سلطة أمنية أو هيئة قضائية بموجب خطاب رسمي ينص على أسباب إحالتهم إلى هذه المؤسسة، وكذلك مقدار العقوبة التي يجب قضاؤها في الدار [٣]. ويتولى الإشراف على هذه الدار العديد من الموظفين الإداريين والفنيين [٤].

وهناك خدمات عديدة في الدار تقدم للمودعين بها بهدف تعديل سلوكهم واتجاهاتهم وتحقيق التكيف السليم لهم . ومن تلك الخدمات : الرعاية الاجتماعية والنفسية، وتوفير التعليم المناسب لأعمارهم، وتوفير النشاطات الثقافية والدينية والرياضية والترويحية التي تساعدهم على الاستقرار، بالإضافة إلى تقديم خدمات الإعاشة والرعاية الطبية المناسبة[٥].

٣٠. إدارة البلدية :

للأسف لم يصلنا أي معلومة من بلدية نجران [٦]، مع أننا وجدنا حوالي عشر ورقات ضمن الأوراق المرسلة إلينا من وكيل الإمارة، وجميع هذه الصفحات تحت عنوان : بيان بالخدمات والمرافق التنموية ببلدية منطقة نجران، وعندما تفحصنا هذه الأوراق وجدناها شبه فارغة [٧]، والمؤسف حقاً أنها وصلتنا مبهمة، فلم يكن عليها خطاب موجه إلى أي جهة، وإنما تم تصويرها وأرسلت إلينا بشكل غير مرتب [٨].

---

(١) التقرير وصلنا من مدير هذه المؤسسة في نجران ،، حسين بن إبراهيم القحطاني تحت رقم (٨٣٨) وتاريخ (١٤٢٤/٧/١٩هـ) . المصدر . م . ابن جريس، ج٤، ص١٦٨-١٧٠ .

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص١٦٩ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الإداريون مثل: المدير، والسكرتارية، والمراقبون، والمهن المساعدة . أما الفنيون فهم : الأخصائيون الاجتماعيون والنفسيون، وباحثو القضايا، والأطباء، والمدربون الرياضيون والفنييون، وعددهم في دار نجران عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) تسعة عشر فنياً . م . ابن جريس، ج٤، ص١٦٩.

(٥) دور التربية الاجتماعية المختلفة في نجران، بل التاريخ الاجتماعي بجميع جوانبه جدير بالبحث والدراسة . حبذا أن تتولى جامعة نجران فتح مراكز تاريخية وبحثية تقوم على دراسة هذه الجوانب وغيرها من القضايا والمجالات العلمية والفكرية والثقافية في بلاد نجران، وهي فعلاً أرض خصبة لمثل هذه البحوث والدراسات.

(٦) يوم زرنا نجران عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، مازالت هذه المؤسسة الإدارية يطلق عليها اسم (بلدية نجران) ، وفي سنوات متأخرة عن تلك الزيارة أصبح في نجران (أمانة) تشرف على جميع البلديات في المنطقة .

(٧) م . ابن جريس، ج٤، ص١١٨-١٢٨ .

(٨) المصدر نفسه .

وفي الصفحة الأخيرة من هذه الورقات العشر، وجدنا خطاباً من رئيس المجمع القروي بمحافظة بدر الجنوب بالنيابة، م. حاتم دواس آل عرفان، وقد أرسله إلى رئيس بلدية منطقة نجران [١]، ويوجد به معلومات مختصرة تشير إلى أنه تم تأسيس عمل (٢٢٥) عمود إنارة في مختلف أنحاء محافظة بدر، وهم يعملون أيضاً في ذلك العام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) على تنفيذ (٣٥٠) عمود إنارة في أنحاء المحافظة. وذكر الخطاب أيضاً أنه تم سفلتة مشاريع عديدة بمساحة (١١٥,٥٠٠م٢)، وبنهاية عام (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م) سوف ينفذون مشاريع سفلتة أخرى بمساحة (١٩٣,٠٠٠م٢)، ومعظمها شوارع وطرق في أنحاء عديدة من المحافظة [٢].

٣١. صندوق التنمية العقاري:

بدأ الصندوق بنجران في عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) [٣]، وفي (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) تم تخصيص مكتب لموظف قائم بأعمال الصندوق بفرع مالية نجران، وكانت مهمته استقبال طلبات المقترضين، ومتابعة معاملاتهم. وفي العام نفسه تم افتتاح فرع للصندوق مستقل، يشرف على جميع الأعمال الخاصة بالصندوق ولم يأت عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) إلا وإدارة الصندوق أصبحت مكتملة بالموظفين اللازمين لسير العمل في هذه المؤسسة [٤].

ومنذ افتتاح الصندوق إلى عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) تم تقديم ستة آلاف وثمان مئة وعشرون قرضاً لتشييد ثمانية آلاف ومائة وثلاثة وتسعين وحدة سكنية بمبلغ قدرة مليار وسبع مئة واثنا عشر مليون وثمان مئة وسبعون ألف ريال (١,٧١٢,٨٧٠,٠٠٠) ريال [٥].

٣٢. بنك التسليف:

حتى نهاية القرن الهجري الماضي (ق١٤هـ/٢٠م)، كان أهالي نجران يذهبون لفرع بنك التسليف في خميس مشيط بهدف الاقتراض، وقيمة قرض الزواج آنذاك (٥٠٠٠) ريال، وقرض الترميم (٧٥٠٠) ريال [٦].

---

(١) هذا الخطاب بتاريخ (١٤٢٤/٩/٣هـ) ورقم (٧٦٧/م/ب).

(٢) دراسة التنمية التي مرت وتمر بها منطقة نجران جديرة بالبحث والدراسة، وهذه مسؤولية جامعة نجران، وكذلك الدارسين والباحثين في أقسام التاريخ والجغرافيا والاجتماع والاقتصاد والتخطيط والهندسة والإدارة وغيرها.

(٣) هذا التقرير وصلنا مع خطاب وكيل إمارة نجران، والذي قام بإعداده مدير فرع الصندوق بنجران المهندس عبد الله بن سالم عبلان. المصدر: م. ابن جريس، ج٤، ص ١٧٣-١٧٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) لقد زرت نجران عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ثم زرته مرة ثانية عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، وأخيراً زرته في عام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) فوجدت الفرق الشاسع في العمارة والبناء، ففي أواخر القرن الهجري الماضي كان التشييد والبناء متواضعاً جداً، واليوم تلحظ مشاريع عمرانية مختلفة ومتطورة في فخامتها وأنواعها، والأغراض التي استخدمت له. وننادي المؤرخين والمعماريين والآثاريين إلى أن يدرسوا تاريخ البناء والعمارة في نجران فهو من الموضوعات الهامة والجديرة بالبحث والدراسة.

(٦) هذه التفصيلات وردت في تقرير وصلنا من مدير فرع بنك التسليف بنجران، مانع بن قميش بن أحمد برقم (١/١٨/١٦٠١) وتاريخ(١٤٢٤/٧/١٢هـ). المصدر: م. ابن جريس، ج٤، ص١٧٦-١٧٧.

وفي (١٤٠٢/٧/١هـ) تم افتتاح فرع للبنك في نجران، وأصبح قرض الزواج (١٥,٠٠٠) ريال[١]، والترميم (٢٠,٠٠٠) ريالاً . وكان أول مدير لهذا البنك عبد الله علي أبو شنان (١٤٠٢-١٤١٠هـ/١٩٨٢-١٩٩٠م)[٢]، ثم سعيد عبد الله القحطاني (١٤١٠-١٤١١هـ/ ١٩٩٠-١٩٩١م)، ثم صالح عبد الله صوان (١٤١٢-١٤٢٤/٥/٢٦هـ/١٩٩٢-٢٠٠٤م)، ثم مانع بن قميش (١٤٢٤/٥/٢٦هـ- حتى تدوين هذا التقرير في ١٤٢٤/٧/١٢هـ)[٣]، وجرى العديد من التطورات على هذا البنك حتى صار هناك أربعة قروض رئيسة هي: **(١)** قرض الزواج (٢٠,٠٠٠) ريال . **(٢)** قرض الترميم (٢٠,٠٠٠) ريال . **(٣)** قرض الأسرة (٢٠,٠٠٠) ريال . **(٤)** قرض المهنة (٢٠,٠٠٠) ريال[٤]. وفي عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) أصبح إجمالي القروض المصروفة (٩٣٣٩) قرضاً وهي موزعة على النحو التالي : **(١)** قروض الزواج (٦١٧٦) قرضاً . **(٢)** قروض الترميم (٢٩٢٢) قرضاً . **(٣)** قرض الأسرة (٢٠) قرضاً . **(٤)** الحرفية (٢٢١) قرضاً، وإجمالي المصروف لهذه القروض (١٦٥,٢٩٢,٩٥٠) ريالاً . بالإضافة إلى القروض المهنية وعدده خمسة بمبلغ وقدره (٣٠٨٠٠٠) ريال[٥].

٣٣- إدارة الزراعة، البنك الزراعي، سد وادي نجران :

أ- إدارة الزراعة :

لم يصل إلينا تفصيلات وافية عن تاريخ وتطور هذه المؤسسة[٦]، وإنما الذي جاءنا فقط أسماء ستة سدود نفذتها وزارة الزراعة في منطقة نجران هي : **(١)** سد وادي نجران. **(٢)** سد الخضارة بمحافظة بدر الجنوب . **(٣)** سد المحجر بمحافظة بدر. **(٤)** سد هدادة. **(٥)** سد الأثابية . **(٦)** سد ثار[٧] .

---

(١) م . ابن جريس، ج٤، ص١٧٦-١٧٧ .

(٢) كان عدد موظفي البنك يوم الافتتاح خمسة فقط . المصدر نفسه .

(٣) وهذه السنة التي زرنا فيها نجران وقد حصلت تطورات على بنك التسليف وكذلك على عموم المؤسسات الإدارية الأخرى، ونأمل أن يظهر من طلابنا في الدراسات العليا بجامعة الملك خالد ، أو أحد الباحثين الآخرين فيستكمل ما لم نستطع تدوينه في هذا الكتاب، أو تصحيح ما وقعنا فيه من نقص أو قصور .

(٤) م . ابن جريس، ج٤، ص ١٧٧ . وهناك قرض خامس يطلق عليه أيضاً (قرض حرفي، أو قرض الحرفة) وربما يكون قرض المهنة . المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه . أما عدد موظفي فرع البنك في نجران عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) فكانوا حوالي عشرين موظفاً المصدر نفسه .

(٦) وصلنا مع الأوراق التي أرسلها إلينا وكيل الإمارة خطاب من صفحة واحدة برقم (٤٥٢٣) . وتاريخ (١٤٢٤/٨/١٥هـ) يذكر معلومات مختصرة جداً عن هذه الإدارة في نجران. م. ابن جريس، ج٤، ص١٣٤.

(٧) كما اشتمل الخطاب على معلومة (إقامة "٤٥" مشروعاً لمياه الشرب التي تغطي معظم قرى وهجر وبوادي منطقة نجران) . م . ابن جريس، ج٤، ص١٣٤ . ومن المعلوم أن بلاد نجران أرض زراعية غنية بتربتها ومحاصيلها المتنوعة . ومن ثم فتاريخ الزراعة في هذه المنطقة جدير بالبحث والدراسة قديماً وحديثاً، ونأمل أن نرى من أصحاب الاختصاص في علوم التاريخ، والآثار، والزراعة، والطب، أن يولوا هذا المجال كبير اهتمام فهو فعلاً جدير بالبحث والدراسة.

ب. البنك الزراعي:

لا يوجد بنك زراعي في نجران قبل عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، والذي يتولى مهام البنك قبل هذا التاريخ مندوب من فرع البنك الزراعي بأبها، هو الأستاذ بسام بن أحمد الجيوسي، فلسطيني الجنسية(١)، حيث كان يقوم بإرشاد الناس إلى ما ينفعهم في مزارعهم، وما يقدمه البنك الزراعي من خدمات جيدة لممارسة الأعمال الزراعية(٢). وعند ما علم المواطنون النجرانيون بفوائد هذا البنك، ساروا يتسارعون في طلب القروض والمساعدات، وهذا مما دفع البنك الزراعي الرئيس في الرياض إلى فتح فرع لهذا البنك في نجران عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)(٣)، ويراجع فرع البنك الزراعي بأبها. وفي عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، انتقل مقر البنك إلى عمارة مسلحة من دورين بحي الفيصلية، وكان به حينئذ ثلاثة أقسام رئيسة (قسم الائتمان، وقسم المحاسبة، وقسم التحصيل)، ويعمل به (٢٥) موظفاً أغلبهم سعوديون ما عدا ثمانية متعاقدين فقط(٤).

وفي عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) أصبح فرع البنك يراجع المركز الرئيسي بالرياض، وصار له كامل الصلاحيات في ممارسة عمله. وفي عام (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م) نقل مقر الفرع إلى حي الأمير مشعل حيث توجد الإدارات الحكومية. ويوجد بالفرع (٤٠) موظفاً يعملون في الأقسام الثلاثة السابقة، بالإضافة إلى قسم الشؤون الإدارية (الموظفون، والاتصالات، والأرشيف)(٥).

وقد ساهم هذا البنك في اتساع رقعة الزراعة وزيادة الإنتاج الزراعي والحيواني في المنطقة، وذلك بما يقدمه من قروض متوسطة الأجل، مثل: مشاريع الدواجن، وقروض أخرى مثل: الآلات الزراعية الحديثة بعد حسم ما يقارب (٤٥-٥٠٪) من قيمتها إعانة من الدولة للمزارعين، والباقي على أقساط سنوية لمدة عشر سنوات من تحرير العقد بين المزارع وفرع البنك(٦).

وتعاقب على إدارة البنك أربعة مديرين حتى عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) هم: **(١)** عمر بن محمد وتيدة (فلسطيني الجنسية) عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ثم ندب له عدة موظفين من فرع أبها لإدارته حتى (١٥/٦/١٣٩٩هـ) (١٩٧٩)(٧). **(٢)** حمد بن محمد

---

(١) وصلنا تقرير من مدير فرع البنك الزراعي في نجران، صالح بن علي الوادعي، تحت رقم (٣٩٦) وتاريخ (١٧/٧/١٤٢٤هـ). المصدر: م. ابن جريس، ج٤، ص١٧٨-١٨٠.

(٢) مثل تقديم القروض الميسرة وبدون فوائد لشراء مكائن ومضخات وآلات زراعية أخرى. م. ابن جريس، ج٤، ص١٧٨.

(٣) وكان بداية تأسيسه في بيت شعبي مستأجر في حي أبا السعود بمدينة نجران، وعدد موظفي هذا الفرع عند البداية فقط ستة موظفين. المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه. ج٤، ص١٧٩.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) هناك قروض قصيرة الأجل مثل الأسمدة والبذور وغيرها تسدد بعد سنة. م. ابن جريس، ج٤، ص١٧٩.

(٧) المصدر نفسه، ج٤، ص ١٨٠.

دوحان اليامي (١٣٩٩/٦/١٦هـ- ١٤٠٧/٩/٢٠هـ) [(١)] . **(٣)** صالح بن محمد حرفش (١٤٠٧/٩/٢١هـ/١٤٢٣/٣/٣٠هـ) [(٢)] .**(٤)** صالح بن علي الوادعي (١٤٢٣/٤/١هـ حتى تاريخ تدوين هذا التقرير ١٤٢٤/٧/١٧هـ) [(٣)] .

ج- سد وادي نجران :

ظهرت فكرة إنشاء السد على وادي نجران أثناء زيارة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود للمنطقة عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، وتم تكليف وزارة الزراعة باتخاذ الخطوات العملية لبناء هذا السد [(٤)] . قامت بعض الشركات الأجنبية بدراسة المنطقة، وانتهت من التوصية بإنشاء سد على وادي نجران في موقع المضيق القريب من قرية الموفجة، وفي أعلى الوادي، بطاقة تخزين تصل إلى (٨٦) مليون متر مكعب من المياه [(٥)] .

قامت شركة (سوسيتيه دي غران ترافو ماري) الفرنسية بإنشاء السد كمقاول رئيس يساعد في ذلك مقاولون من الباطن من كل من البرتغال (شركة سورفم) ومن المملكة العربية السعودية (شركة النحلة)، وبدأ العمل في أواخر عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، وتم الانتهاء منه في عامٍ (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) . وافتتحه صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز ممثلاً للملك خالد بن عبد العزيز في ١٤٠٢/٧/٢٠هـ (١٩٨٢م) [(٦)] .

وكان إنشاء هذا السد إيجابياً على بلاد نجران، فزادت المساحة المزروعة إلى الضعف، حيث وصلت إلى أكثر من (٢٠,٠٠٠) هكتار، وتوفرت المياه في الخزانات الجوفية بدلاً من ضياعها في رمال الربع الخالي، وكان له أثراً أيضاً على الحياة الاجتماعية وبخاصة على القرى القريبة من السد، بالإضافة إلى أن هذا المشروع أصبح واجهة حضارية مشرفة لكل من يذهب إلى نجران سائحاً أو زائراً [(٧)] .

٣٤- محطة الأرصاد وحماية البيئة :

بدأت الأرصاد الجوية في نجران بمكتب صغير مؤقت مع بداية المطار القديم لمدينة نجران في منتصف الثمانينيات من القرن الهجري الماضي، ثم انتقل المكتب بالتزامن مع بداية تشغيل مدرج الهبوط لمطار نجران الحالي، وبدأ عمله في شهر

---

(١) الموافق (١٩٧٩-١٩٨٧م) .

(٢) الموافق (١٩٨٧-٢٠٠٣م) .

(٣) الموافق (٢٠٠٣-٢٠٠٤م) . وهذا العام الذي زرنا فيه نجران وجمعنا مادة هذا القسم .

(٤) تقرير وصلنا من مدير إدارة تشغيل وصيانة السد، صالح بن مصطفى هشلان، رقم (١٩٥/٣/٤/٤) وتاريخ (١٤٢٤/٧/١٧هـ) . المصدر . م . ابن جريس، ج٤، ص١٨١-١٨٢.

(٥) المصدر نفسه .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) المصدر نفسه . ما قال صاحب التقرير حقيقة، فالذاهب إلى نجران يلحظ أن هذا السد من المعالم الحضارية الهامة والتي تستحق الزيارة . هذا ما لمسه الباحث عندما زار نجران وذهب إلى موقع السد في عامي (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) .

رجب (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)[١] . نشأت محطة رصد جوية متواضعة في أجهزتها، وكان القائمون عليها، وهم قلة، يعانون معاناة شديدة من إيصال المعلومات الجوية (النشرات الجوية) إلى مركز الأرصاد بجدة، وإلى عمليات الطيران نظراً لرداءة وسائل الاتصال المتواجد آنذاك[٢] .

وكان مكتب نجران يلجأ إلى إيصال المعلومات الجوية عن طريقين . **(١)** عن تليفون إمارة منطقة نجران، وهم بدورهم يقومون بتمريرها إلى إمارة جدة، ومن ثم إلى مركز الأرصاد أو إلى عمليات الخطوط السعودية . **(٢)** بواسطة راديو الخطوط السعودية، ومن ثم تنقل المعلومات المطلوبة إلى مركز العمليات[٣] .

وفي عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) نقل المكتب إلى مبنى ضمن مرافق المطار، وتم تركيب أجهزة للرصد، وتأمين جهاز اتصالات لاسلكي من نوع (راكال) للقيام بتمرير النشرات الجوية[٤] . وفي عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) بدأ التطوير في طريقة الاتصال ونقل المعلومات، واستبدلت أجهزة اللاسلكي القديمة بحواسب آلية متطورة[٥] . اعتمدت الرئاسة العامة للأرصاد وحماية البيئة نظام الرصد السطحي الآلي(ASoS) ، وتم تركيب محطة رصد أوتوماتيكية من هذا النوع في نجران . وهذه المحطة عبارة عن أجهزة ومجسات لقياس عناصر الطقس المختلفة، ومرتبطة بحاسب آلي تقوم ببث معلوماتها آلياً إلى مكتب الرصد، وهذا النظام من الطرق الحديثة في مجال الرصد الجوي[٦] .

وهناك العديد من الخدمات التي تقدمها أرصاد نجران، ومن أهمها ما يلي :

أ - رصد جميع الظواهر الجوية، وإعداد النشرات التي تخدم الملاحة الجوية، وإصدار النشرات التحذيرية عند الضرورة .

ب - مراقبة الأجهزة الآلية، ونقل المعلومات الجوية عن طريق أجهزة الحاسب المرتبطة بالجهات المعنية بصورة دقيقة، وتزويد المراقبة بالنشرات الجوية للطيران[٧] .

ج - إعداد السجلات المناخية، التي تشكل لدى الرئاسة موارد وطنية ذات قيمة كبيرة، وبخاصة عندما تستخدم مثل هذه للإجابة على كثير من الاستفسارات الهامة والمتعلقة بالأنشطة المتأثرة بالعوامل المناخية مثل: بناء السدود، وتشييد الطرق، واتخاذ

---

(١) تقرير وصلنا من رئيس أرصاد نجران، جابر بن سعيد آل ذيبان، في (١٤٢٤/٩/٢٢هـ) . المصدر : م . ابن جريس، ج٤، ص ٥١-٥٤ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٥٢ .

(٤) في عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) تم اعتماد الهيكل التنظيمي لمصلحة الأرصاد وحماية البيئة، وأصبح هناك مؤسسة إدارية مركزية للبيئة في المملكة العربية السعودية . م . ابن جريس، ج٤، ص ٥١-٥٢ .

(٥) المصدر نفسه، ج٤، ص ٥٢ .

(٦) المصدر نفسه، ج٤، ص ٥٢ .

(٧) المصدر نفسه، ج٤، ص٥٣ .

القرارات الخاصة بالإعمال التجارية [١] .

د - حرصت الرئاسة العامة للأرصاد على إقامة الدورات التدريبية الداخلية والخارجية لعدد كبير من الشباب، كما تم الابتعاث للبعض للحصول على درجات علمية مختلفة، وهذا ما أدى إلى تطورٍ كبير وملحوظ في هذا المجال، ومن ثم ظهرت نتائجه في إحلال الشباب السعودي بديلاً للمتعاقدين الذين استعانت بهم الأرصاد في فترات سابقة [٢] .

٣٥. فرع وزارة الخدمة المدنية :

في عامٍ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) تأسس مكتب ديوان الخدمة المدنية في نجران، وكان يتبع إدارياً مركز فرع ديوان الخدمة المدنية في أبها [٣] . وتولى إدارته عند التأسيس، سفر الشهراني، وكان ضمن قصر إمارة نجران بوسط المدينة، وفي عام (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) استقل هذا المكتب في عمارة مستأجرة بحي الفيصلية[٤] . وفي عام (١٤١٤هـ/١٩٩٤م) تولى إدارة الفرع ماجد إسماعيل المعنى، وفي عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) استقل الفرع بصلاحياته عن فرع عسير، وأصبح يستمد صلاحياته من وزارة الخدمة المدنية بالرياض، وكان يعمل به ثلاثة موظفين فقط . وفي عام (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) تزايد عددهم إلى ثمانية موظفين، ونقل من مقره في الفيصلية إلى مخطط الأمير مشعل[٥] .

٣٦. بريد منطقة نجران :

وصلنا لفيف من الأوراق والتقارير والخطابات التي أرسلها لنا مدير عام بريد منطقة نجران، شغاث بن هادي الصقور عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) [٦]، ومن أهم ما ورد في هذه الخطابات الإشارة إلى مواعيد نقل البريد الداخلي بين أبها ونجران في عام (١٣٥٣هـ/١٩٣٣م)، حيث كان ينقل بواسطة متعهد في الشهر مرتين بتاريخ (١، ٦) من نجران، وتاريخ (٩، ٢٥) من أبها، والمسافة بين المحطتين (أبها ونجران) ستة أيام [٧]،

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) وصلنا تقرير من مدير هذا المكتب في نجران، ماجد بن إسماعيل المعنى، برقم (٨٨٦) وتاريخ (١٤٢٤/٧/٢٥هـ) . المصدر: م . ابن جريس، ج٤، ص١١٧ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه . هذا التقرير يعود إلى عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) وقد جرى عليه بعد هذا التاريخ العديد من التعديلات والتطور . وصار يتكون من العديد من الأقسام مثل: التوظيف والتصنيف، وشؤون غير السعوديين، والترشيح، والتوظيف النسوي، والشؤون الإدارية والمالية، والاتصالات الإدارية، وخدمات المراجعين .

(٦) هذه الخطابات والتقارير عبارة عن العديد من المراسلات بين مدير بريد نجران، والمديرين العامين في كل من التخطيط والميزانية بوزارة البرق والبريد والهاتف، وإدارتي البريد في كل من مكة المكرمة وعسير التي كانت تتبع لهما نجران إدارياً خلال عقود عديدة من القرنين (١٤ـ١٥هـ/٢٠ـ٢١م) . والهدف من هذه الأوراق مجتمعة أن مدير بريد نجران ـ مشكوراً ـ كان يسعى إلى جمع أكبر قدر ممكن من المادة العلمية عن تاريخ البريد في نجران . ومع أن معظم هذه الخطابات لا تحتوي على تفصيلات كثيرة، وسوف نعمل على تلخيص أهمها، وبخاصة فيما يخدم كتابنا هذا . المصدر : م . ابن جريس، ج٤، ص٨٤ ـ ٩٧، ١٠١ـ١٠٤ .

(٧) هذه المعلومات منقولة من كتاب إبراهيم بن عبد العزيز المبارك . البريد والاتصالات بالمملكة العربية السعودية

والمتعهد الذي ينقل البريد بين الطرفين يأخذ الموجود في كل محطةٍ أثناء ذهابه وإيابه بين عسير ونجران[١]. ومن الثابت أن بريد نجران كان مرتبطاً إدارياً ومالياً بمكة المكرمة، ثم بالمنطقة الجنوبية للبريد (بريد منطقة عسير حالياً)[٢]. ومنذ عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) أصبح بريد نجران مستقل عن بريد عسير، وفي عام (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م) تم إنشاء منطقة بريدية في نجران، وأطلق عليها اسم (منطقة نجران للبريد) وترتبط مباشرة بمدير عام البريد بالرياض[٣].

أما المديرون الذين تولوا بريد نجران، وبخاصة من العقد الأخير في القرن (١٤هـ/٢٠م) فهم على النحو التالي: (١) محسن بن عبد الله آل منجم (١٣٩٥-١٣٩٩هـ/ ١٩٧٥-١٩٧٩م). (٢) صالح بن عبد الله السنيدي (١٣٩٩-١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩-١٩٨٠م). (٣) أحمد بن صالح آل حابس (١٤٠٠-١٤٠٩هـ/ ١٩٨٠-١٩٨٩م). (٤) شغثات بن هادي الصقور (١٤٠٩هـ حتى تاريخ هذا التقرير ١٤٢٤هـ/١٩٨٩-٢٠٠٤م)[٤].

ويورد مدير عام بريد المنطقة بعض التفصيلات والنشاطات التي وصلت إليها مؤسسة البريد في نجران، فيذكر أن المكاتب البريدية بلغ عددها في عموم المنطقة (١٦) مكتباً، وهي على النحو التالي: (١) نجران المركزي. (٢) الموفجة. (٣) الحضن. (٤) رجلاء. (٥) العريسة. (٦) الخضراء. (٧) ثار. (٨) يدمة. (٩) حبونا. (١٠) الخانق. (١١) المجمع. (١٢) بدر الجنوب. (١٣) شرورة. (١٤) الوديعة. (١٥) منفذ الوديعة. (١٦) الخرخير[٥].

وهناك مكاتب بريدية أخرى تسمى (قائم بعمل بريد) وعددها (١٥) مكتباً موزعة على النحو التالي: (١) الجربة، (٢) الشرفة. (٣) القابل. (٤) خباش. (٥) الحصينية. (٦) حمي. (٧) ثجر والمحمدية. (٨) سلطانة. (٩) قطن. (١٠) الصفاح. (١١) الجفة. (١٢) الحرشف. (١٣) هدادة. (١٤) بئر عسكر. (١٥) الضيقة[٦].

وقد ربطت جميع المكاتب البريدية في نجران عن ثمانية مسارات تخدم البريد السطحي، وهي على النحو التالي: (١) نجران / المطار. بمعدل ثلاث رحلات

(مكة المكرمة) (١٤١٣هـ)، ج١، ص٤٦. والمبارك نفسه نقل هذه الأقوال من كتاب: فؤاد حمزة. البلاد العربية السعودية (الرياض، ١٩٦٨م)، ص ٢٣٥ وما بعدها.

(١) إن الباحث الذي ينظر في وثائق العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) يجدها تشير بشكل لا بأس به إلى نشاطات البريد بين نجران ومناطق أخرى في الجزيرة العربية وبخاصة نجد، والحجاز، وجازان، وعسير. وموضوع التاريخ الإداري في بلاد نجران جدير بالبحث والدراسة وبخاصة في عهد ملوك آل سعود (عبد العزيز، وسعود، وفيصل) من القرن الهجري الماضي.

(٢) خطاب من مدير عام بريد منطقة نجران رقم (١٨٦٣) وتاريخ (١٤٢٤/١٠/٩هـ) م. ابن جريس، ج٤، ص٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص٨٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص٨٨-٨٩. ومنذ عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) حتى عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) بلغ عدد موظفي بريد منطقة نجران (١٨٥) موظفاً. المصدر نفسه.

(٥) خطاب من مدير عام بريد منطقة نجران رقم (١٨٦٣) وتاريخ (١٤٢٤/٨/١١هـ). م.ابن جريس، ج٤، ص٨٤-٨٥.

(٦) المصدر نفسه.

يومياً [١]. (٢) نجـران / حبونـا ويخـدم كل من بئر عسـكر، وهـدادة، والخانـق، وبدر الجنوب، والمجمع، وحبونا بمعدل رحلة يومياً ما عدا يومي الخميس والجمعة. (٣) نجران / يدمة ويخدم الحصينية، والضيقة، وثار، وقطن، والصفاح، ويدمة بمعدل رحلة يومياً ما عدا عطلة الأسـبوع [٢]. (٤) نجران / الخضـراء ويمر على الموفجة، والحضن، والجربة، والقابل، ورجلاء، والشـرفة، وخباش، والخضراء، والعريسة رحلة يومياً خلال أيام العمل من كل أسبوع. (٥) نجران /وادي الدواسر ويخدم حمي، ثجر والمحمدية، سلطانة، وادي الدواسر رحلة يومياً ما عدا الخميس والجمعة. (٦) نجران / المطار/شرورة بمعدل رحلة يوميـا ما عدا الجمعة[٣]. (٧) شـرورة / مطار شـرورة/ الوديعة / منفـذ الوديعة بمعدل رحلتين يومياً [٤]. (٨) مطار الخرخير/ الخرخير بمعدل ثلاث رحلات أسبوعياً[٥].

كما تم ربط جميع القرى والهجر الواقعة بالمنطقة عن طريق خدمات البريد الطواف المتمثلـة في الآتـي:[٦]. (١) نجـران /عاكفة ويخدم عدد (٨) قـرى وهجر بمعدل رحلتين أسـبوعياً. (٢) نجـران / الصـناعية ويخـدم عـدد (١٥) قرية وهجرة بمعـدل رحلتين أسـبوعيا. (٣) نجران/ الحمر ويخدم عدد (١٤) قرية وهجرة بمعدل رحلتين أسـبوعيا . (٤) نجـران /الخريطة ويخـدم عدد (٥) قرى وهجرة بمعدل رحلتين أسـبوعيا . (٥) نجران / أبرق دبساء ويخدم عدد (٥) قرى وهجرة بمعدل رحلتين أسبوعيا . (٦) شرورة / المندفن ويخدم عدد(٧) قرى وهجرة بمعدل رحلتين أسـبوعيا . (٧) شـرورة / أم الملح ويخـدم عدد(٧) قـرى وهجر بمعـدل رحلتين أسـبوعيا . (٨) شـرورة / الحلاة ويخدم عـدد (٥) قـرى وهجرة بمعدل رحلتين أسـبوعيا . (٩) شـرورة مجة ويخـدم عدد (٣) قرى وهجرة بمعدل رحلتين أسـبوعيا. (١٠) ثـار/ الرحبة ويخدم عدد (١٠) قرى وهجر بمعدل رحلتين أسـبوعيا .(١١) بدر الجنوب/فرع الجبل ويخدم عدد (١٢) قرية وهجرة بمعـدل رحلتـين أسـبوعيا . (١٢) حبونا / تريمة ويخدم عـدد (١٤) قرية وهجرة بمعدل رحلتين أسبوعيا . (١٣) يدمة / أبرق شرقة ويخدم عدد (٧) قرى وهجرة بمعدل رحلتين أسبوعيا. (١٤) يدمة / نعوان ويخدم عدد (١١) قرية وهجرة بمعدل رحلتين أسبوعياً[٧].

وهناك خدمات بريدية أخرى مثل: البريد الرسـمي، والمسـجل، والعادي، والطرود . وجميـع هذه الخدمـات متواجدة في جميع مكاتب البريد والشـعب في المنطقة[٨]. والبريد الممتاز في بريد نجران المركزي، وفي شـعبة بريد أبا السـعود، وبريد محافظة شـرورة[٩].

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) المصدر نفسه . ج٤، ص ٨٥ .

(٧) المصدر نفسه .

(٨) المصدر نفسه . ج٤، ص٨٥،٨٦ .

(٩) المصدر نفسه .

وهنـاك (٣٠) صـندوق إيـداع موزعة بجـوار المحلات التجاريـة، وفي الأحيـاء المزدحمة بالسـكان في كل مـن نجـران وشـرورة [١]. ويتواجـد بالمنطقـة أيضـاً (٧١٠٠) صـندوق للمشتركين موزعة في كل من نجران، وشرورة، وثار، ويدمة، وبدر الجنوب، وحبونا [٢].

٣٧. إدارة الاتصالات : [٣].

كانت اتصالات نجران عند بدايتها في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) عبارة عـن مركز يتبع لاسـلكي أبهـا [٤]. وعدد موظفي هـذه الإدارة عند البدايـة (٤) مأموري لاسلكي أبها، واثنان لتشغيل مولدات الكهرباء، وموزعان للبرقيات [٥].

في البداية تم إنشـاء سنترال بالبلد القديم سعته (٥٠) خطاً، وآخر في حي الفيصلية سعته (٥٠) خطاً، وثالث بالعريسة بنفس العدد الذي في الفيصلية. وتم ربط هذه الخطوط بخطين من النحاس، مع أن تشـغيل تلك السـنترالات كان بواسطة البطاريات اليدوية [٦]. ثم أنشـئ مركز الهاتف السـعودي بخلاف لاسلكي نجران، وصار يطلق عليه (الاتصالات السـعودية) التابعـة لإدارة المنطقـة الجنوبية في أبهـا [٧]. وفي عـام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) تطورت إدارة الاتصالات في نجران حتى أصبح اسمها (اتصالات منطقة نجران) وبقيت تتبـع إداريـا الإدارة العامة للاتصـالات بالمنطقة الجنوبية في أبها، وفي شـهر ربيع الثاني (١٤١٦هـ/١٩٩٦م) أصـبحت اتصـالات نجران إدارة عامة، وصارت تراجع وزارة البرق والبريـد والهاتـف بالرياض [٨]. وتطـورت الخدمات حتى بلغ إجماليهـا (٦٠,٠٠٠ خط)، وتم إيصال الخدمات إلى جميع المناطق والمراكز [٩]. وفي أوائل العقد الثالث من هذا القرن (ق١٥هـ/٢١م) تم تركيب أكـثر من (٣٤٠٠٠) خط للهاتف الثابـت، وأكثر من (٦٠٠٠) خط نداء آلي، وما يزيد عن (٢٣٠٠٠) هاتف جوال [١٠]. أما في مجالات المباني فأصـبحت معظم مرافق الاتصالات ملكاً خاصاً للإدارة [١١].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) وصلنا خلاصة مختصرة عن اتصالات نجران من مسفر بن عوض القحطاني، مدير عام الاتصالات في نجران، برقم (٢٣١) وتاريخ (١٤٢٤/٩/١٨هـ). المصدر: م. ابن جريس، ج٤، ص ١٠٥-١٠٨.

(٤) تاريخ إدارة اللاسلكي في أبها واتصالها بالإدارة الرئيسة في مكة المكرمة يعود إلى أوائل النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م). للمزيد انظر: ابن جريس. أبها حاضرة عسير، ص٤٢٩-٤٤٠.

(٥) م. ابن جريس، ج٤، ص١٠٦. لم يذكر التقرير الذي وصـلنا تاريخ دقيق لبدء الاتصـالات اللاسـلكية في نجران، ولكن من المؤكد أنه خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٦) م. ابن جريس، ج٤، ص١٠٦.

(٧) للمزيد عن تاريخ الاتصـالات في المنطقة الجنوبية والتي كان مقرها أبها، انظر: ابن جريس، أبها حاضـرة عسير، ص٤٢٩-٤٤٠.

(٨) المصدر نفسه، للمزيد انظر: م. ابن جريس، ج٤، ص١٠٦-١٠٧.

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) المصدر نفسه.

(١١) المصـدر نفسه. إدارة الاتصالات في نجران جرى عليها الكثير من التطوير، وهي جديرة بالبحث والدراسة، مثلها مثل غيرها من المؤسسات الإدارية الأخرى.

٣٨. إدارة الطرق والنقل :

وصلنا تقرير من الإدارة العامة للطرق بمنطقة نجران، ولم يكن عليه أي تاريخ، ولا يعرف كاتب هذا التقرير، مع أنه مكتوب على أوراق رسمية للإدارة[١]. وذكر في المقدمة ديباجة مطولة حول ما تبذل الدولة في توفير الطرق المختلفة خدمة للمواطن[٢]، ولم يشر هذا التقرير إلى بدايات الطرق في المنطقة، وإنما ركز على بعض الإنجازات لهذه المؤسسة من عام (١٤١٧ـ ١٤٢٤هـ/١٩٩٧ـ ٢٠٠٤م)[٣]، وأورد الكثير من التفصيلات في هيئة جداول على النحو التالي :

أ. جدول رقم (١) الطرق التي تم تنفيذها عام (١٤١٨-١٤١٩هـ/١٩٨٨- ١٩٩٩م)[٤].

البيان		الطول (كم)
الطرق حسب التصنيف الهندسي	الطرق الرئيسة	٤٦١,٥٠
	الطرق الثانوية	٥٣٦,١٠٠
	الطرق الفرعية	٤٧٥,٥٠٠
الطرق حسب التصنيف الهندسي	مفرد	١٤١٨,٣٠٠
	مزدوج بدون خدمة	٦٣,٣١٩
الطرق الزراعية والترابية		٣٠٠٤

ب. جدول رقم (٢) وصلات الطرق الزراعية المنفذة من عام (١٤١٧هـ.١٤٢٣هـ/١٩٩٧.٢٠٠٣م)[٥]

اسم المشروع	الطول (كم)	التكاليف الكلية	ملاحظات
الخرعاء	١٢,٩كم	٦٢٠٧٩٦٠	
الأثيبة	٥,٣٥		
وصلة (١٥) هوليدي إن	٢,٨٧		
الغويلاء	٩,٨٤		
مشروع تنفيذ منفذ الوديعة	١٤,٦٠٠	٤٩٤٣٣٤٤	نفذ عام ١٤٢٣هـ

---

(١) م. ابن جريس، ج٤، ص١٠٩-١١٢ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) م . ابن جريس، ج٤، ص١١٠ .
(٥) م . ابن جريس، ج٤، ص١١٢ .

جدول رقم (٣) وصلات طرق زراعية تحت التنفيذ للعام المالي (١٤٢٣هـ/١٤٢٤هـ)[١].

م	اسم المشروع	الطول (كم)	التكاليف الكلية	ملاحظات
١	حبونا / تريمة/الرحاب	٥٢,٩٥٠	٣٣٨٢٧٩٤٨	
	بئر عسكر/ النقعاء	١٩,٠٥٠		
	وصلة خباش	٤,٢٠٠		
٢	ازدواج المطار/ الدارة	٩	١٨,٠٠٠٠٠	
	بئر عسكر/النقعاء	٥		
	بئر عسكر / المراطة	١٤		نفذ منه (٥) كم والباقي بدون ميزانية
٣	طريق وادي صخي وعرقان مع وصلة الضيقة	٤٦		فتحت المظاريف ورست على مقاول وطني إلا أنه لم يتم التوقيع على الترسية حتى الآن من مقام الوزارة
	طريق مركز الجفة/ الحرشف	٣٣		
	طريق قرية الحبابة / تريمة	١٥		

د- جدول رقم (٤) المشاريع الجديدة المعتمدة بميزانية الوزارة للعام المالي (١٤٢٣/١٤٢٤هـ/٢٠٠٣-٢٠٠٤م)[٢].

م	اسم المشروع	الطول (كم)	التكاليف الكلية	ملاحظات
١	دراسة وتصميم ازدواج طريق خميس مشيط/ نجران (الجزء الواقع بمنطقة نجران)	٥٨	١,٩٥٥,٠٦٦	
٢	دراسة وتصميم ازدواج طريق شرورة مركز الخضراء	٣٠	١٠٠٠,٠٠٠	
٣	دراسة وتصميم الطرق التالية: أ- طريق بدر الجنوب / المليحة الرحاب ب- طريق ثار / تلاع / الحزمة / الجوشن	٣٩ ٢٠	٥٠٠,٠٠٠	

(١) المصدر نفسه. ج٤، ص١١١.
(٢) المصدر نفسه.

٣٩. إدارة المطار :

مطار نجران يقع في شمال شرق المدينة، ويبعد عن وسط المدينة حوالي (٢٠) كم، ومساحته الكلية تقريبا (٢٧) كم٢. وقد بدأ العمل رسمياً بالمطار الحالي في عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) [١]. ويوجد ضمن مرفق المطار العديد من فروع المؤسسات الإدارية الأخرى مثل : وحدة الإطفاء والإنقاذ، ووحدة الممرات الجوية، والمراقبة الجوية أيضا، والشركة القائمة بعمل الصيانة والتشغيل. كما يوجد إدارات مصغرة من المباحث، والاستخبارات، والشرطة الجوية، والخطوط الجوية السعودية، والأرصاد الجوية [٢] .

٤٠. النقل الجوي : (الخطوط السعودية)[٣] .

بدأت الخطوط الجوية العربية السعودية بتسيير رحلاتها من وإلى نجران منذ أكثر من خمسين عاما، أي في عام (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م) بطائرات من طراز الداكوتا (DC – 3) ، والتي لم تكن تتسع لأكثر من (٢٤) مقعداً، وبواقع رحلتين أسبوعيا الأولى بخط سير (الرياض ـ السليل ـ نجران ـ أبها ـ بيشة ـ جدة) ، والأخرى خط سيرها (جدة ـ الطائف ـ أبها ـ نجران ـ السليل ـ الرياض) ، ثم تطور الوضع عام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ، بتسيير طائرات الكونفير التي تتسع لـ (٤٤) مقعداً [٤] .

كانت الإمكانيات متواضعة جداً، فالمطار ترابي والأجهزة الملاحية غير متوفرة ووسائل الاتصال شبه معدومة، وكان المسافرون يجلسون تحت شجرة بانتظار وصول الطائرة . وخدمات السعودية في البداية تقدم بواسطة وكيلها في المنطقة آنذاك الأستاذ أحمد عبد العزيز العياضي، الذي استمر في وكالته حتى (٢١نوفمبر١٩٧٢م) . ومكتب الوكالة آنذاك عبارة عن مبنى متواضع من الطين، ويقوم عليه موظفان، وأربعة عمال للعفش والشحن الجوي، وكان عملهم لا يقتصر على إصدار التذاكر فقط، وإنما كانوا معنيين بمباشرة الصيانة والحركة وتعبئة بطاريات طائرات الداكوتا وتفقد الهواء والكهرباء واستقبال الطائرات وإنهاء إجراءات سفر الركاب، وجميع الموظفين يمارسون أعمالهم بملابسهم اليومية المعتادة .

ومن الطرائف أن ميزان العفش بالمطار يعلق على شجرة لوزن أمتعة الركاب، وعدد الركاب محدود جداً، وكانت الطائرة تمر فوق المدينة إعلاماً بوصولها، وعندما يسمع الموظفون صوتها يتوجهون إلى المطار. ثم بدأ التحسن والتطور في خدمات النقل الجوي،

---

(١) وصلنا تقرير مختصر عن مطار نجران من مديره المهندس عبد الله بن مشبب بن رمان . ورقم هذا التقرير (٢٦٧/٨/٢٠/٦) وتاريخه ١٤٢٤/٧/٢٤هـ . المصدر: م . ابن جريس، ج٤، ص٤٣ـ٤٤.

(٢) الخدمات الجوية وصلت نجران ونواحي أخرى من جنوبي البلاد السعودية مثل (أبها) منذ النصف الثاني للقرن (١٤هـ/٢٠م) ولكن بدايتها كانت بسيطة تم تطورت مع مرور الزمن . للمزيد انظر: ابن جريس، أبها حاضرة عسير، ص٤٢١ـ٤٢٧ . للأسف لم يوافينا كاتب هذا التقرير بتفصيلات أكثر عن مرافق المطار العمرانية، وأعداد الموظفين العاملين في المطار والتابعين لإدارة المطار الرئيسة.

(٣) تقرير وصلنا من مدير الخطوط السعودية بنجران وشرورة الأستاذ محمد بن علي الشمراني بتاريخ (١٤٢٤/٩/٩هـ) . المصدر: ابن جريس، ج٤، ص١٩٠ـ١٩٦ .

(٤) المصدر نفسه . ص١١٩ .

وتم تركيب محطة اتصالات لاسلكية للخطوط السعودية مع تحديث لمدرج المطار، وتركيب تليفون بين المطار والمدينة للاتصال بمكتب السعودية والإدارات الحكومية، وتطورت أنواع الطائرات وتضاعفت الرحلات [١] .

وفي عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) باشرت السعودية بنجران القيام على خدمات المسافرين مباشرة عن طريق افتتاح مكتب السعودية في المدينة القديمة (أبا السعود) والقيام بأداء خدمات إنهاء إجراءات المسافرين من المطار، والتي كانت تؤدى في السابق عن طريق الوكيل. وفي عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) حصلت قفزة بارزة للسعودية في المنطقة عندما تم افتتاح مطار نجران الجديد (الحالي)، وفي هذه الأثناء بدأت تسيير رحلاتها بطائرات البوينج (٧٣٧) النفاثة . وبتوفيق من الله تعالى وبجهود مخلصة حظيت المنطقة بتطور كبير في جميع مرافق الخدمات ومنها الطيران[٢] .

وفي الوقت الحاضر تعيش الخطوط السعودية أوسع انتشار لها، وتقدم أعلى مستويات الخدمة بكفاءة واقتدار من حيث مستوى الحجز والمبيعات، وخدمات المطارات، وتنمية وتنشيط المبيعات، وبعد أن كانت الحجوزات والتذاكر تصدر يدويا أصبحت الآن تتم بشكل آلي عن طريق الحاسوب (الكومبيوتر)، وتم نشر أنظمة الحجز وإصدار التذاكر الآلية (العربي) في مكاتب وكالات السعودية بالمنطقة والبالغ عددها تسع وكالات سفر سياحية وشحن جوي[٣] .

كانت الخدمات في السابق تقدم من قسم واحد، وأصبح هناك أقسام متعددة تؤدي خدمات مختلفة ومتخصصة تلبية لحاجة العملاء، وصار يتفرع من التسويق عدة أقسام هي: (١) الحجز. (٢) مبيعات التذاكر. (٣) التذاكر المبرقة. (٤) تنمية وتنشيط المبيعات. (٥) ذوي الاحتياجات الخاصة[٤] .

ويتفرع من قسم خدمات المطار بالتسويق ما يلي (أ) إنهاء إجراءات المسافرين. (ب) مبيعات المطار .(ج) علاقات العملاء. (د)خدمات العفش. (هـ) مراقبة الحمولة. (و) خدمات الشحن الجوي وخدمات البريد. (ز) الساحة والمعدات الأرضية[٥] . و أقسام مساندة أخرى لا تتم خدمات العملاء والمسافرين بدونها وتتمثل فيما يلي : الصيانة للطائرات والمعدات الأرضية، الاتصالات اللاسلكية، وهي تمثل مصدر المعلومات والقنوات الحية لتبادل المعلومات بين محطات السعودية المحلية والدولية وأقسامها المختلفة، والمالية، التي لا ينحصر عملها على استلام المبالغ وإيداعها بل زادت إلى حفظ المستندات المالية، مثل: (البوالص والتذاكر)، وتسليمها إلى مكتب المبيعات والوكالات والشحن الجوي، إضافة إلى تدقيق المبيعات واستلامها من مكاتب المبيعات ووكالات السفر، وأخيراً إدارة

---

(١) المصدر نفسه . ج٤، ص١٩٢ . وللمزيد عن تاريخ النقل الجوي في جنوبي البلاد السعودية وبخاصة في عسير، انظر: ابن جريس، أبها حاضرة عسير، ص٢٤١ وما بعدها .

(٢) م . ابن جريس، ج٤، ص ١٩٢ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) م . ابن جريس، ج٤، ص ١٩٣ .

(٥) المصدر نفسه .

الفرع بالمنطقة، التي تعني بتطوير خدمات هذه الإدارة وتقدير احتياجاتها من الرحلات المجدولة والإضافية مع تطوير وتدريب الموظفين لمواكبة تطوير خدمات السفر والمسافر[١].

ومن إنجازات الخطوط السعودية في نجران[٢]. تسيير الرحلات من وإلى مطار نجران بطائرات (MD- 90) والتي تستوعب (١٢١) راكبا، وإيجاد جدول رحلات مناسب جدا يصل إلى (٤٦) رحلة أسبوعيا وجميعها بالطائرات الآنفة الذكر، ومكننة جميع وكالات السفر بالمنطقة نظام (العربي) جاليلو، وتشغيل نظام الحاسب الآلي للحجز وإرسال واستقبال المعلومات بالمطار نظام (البهاماز) للبحث الآلي عن العفش المفقود عالميا ومحليا، ونظام إسكان للشحن الجوي وتنظيم نقل الشاحنات والحجز المسبق بها، والحصول على بطاقة صعود الطائرة آليا من مكتب الحجز والمبيعات والأقسام الأخرى المختلفة، وتركيب أجهزة الحاسب الآلي الجديدة بمكتب الحجز والمبيعات والأقسام الأخرى ذات العلاقة، وقد زاد عدد المسافرين من حوالي (٥٠٠٠) خمسة آلاف راكب سنوي في السابق إلى أكثر من (١٤٧,٥٠٠ راكب) حاليا[٣]. كما أن زيادة أعداد الموظفين من ثلاثة موظفين في السابق إلى (٧٠) موظفا بالإضافة إلى استقطاب الوفود السياحية من خارج المملكة لزيارة منطقة نجران، والمشاركة في فعاليات التنشيط السياحي، كما امتدت خدمات الخطوط السعودية إلى كل المحافظات التي لا توجد بها مطارات مثل: محافظات (حبونا، ويدمة، وبدر الجنوب) وغيرها[٤].

أما محافظة شرورة فقد وصلتها طائرات بوينج (٧٣٧) في عام (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م[٥]، وكانت الخدمات في سنواتها الأولى متواضعة جدا، ثم بدأت تتحسن حتى أصبحت في وضع لا بأس به، وفي الجدول التالي نلحظ مستوى التطور الذي جرى على النقل الجوي المدني في هذه المحافظة الرئيسة[٦].

م	اسم الخدمة	مستوى الخدمة في السنوات الأولى	في الوقت الحاضر (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)
١	الرحلات	(١-٢) رحلة أسبوعا	(١٢) رحلة أسبوعيا
٢	المسافرون	قليل جداً	أكثر من (٢٨,٠٠٠) مسافر سنوياً
٣	مكاتب السعودية	مكتب بسيط متواضع	مكتب رئيسي حديث
٤	وكالات السفر	لا شيء	وكالتان للسفر والسياحة والشحن الجوي
٥	أوزان الشحن	قليلة جداً	(٥٩,٠٠٠) كجم سنويا
٦	موظفو السعودية	اثنان	(١٦)

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه . ج٤، ص ١٩٤ .

(٣) المقصود ب (حالياً) أي عام تدوين هذا التقرير (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، مع أن وضع الخطوط السعودية اليوم (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) جرى عليه الكثير من التطوير . ودراسة تاريخ المؤسسات الإدارية في نجران خلال الثمانين سنة الماضية جدير بالبحث والتقصي، ونأمل أن نرى من الباحثين أو طلاب الدراسات العليا في جامعات الملك خالد، أو جازان، أو ونجران، من يتولى أمر هذا الموضوع .

(٤) م . ابن جريس، ج٤، ص١٩٤ .

(٥) محافظة شرورة من أهم المحافظات في منطقة نجران، مع أن معظم ساكني المدينة من القطاع العسكري

(٦) م . ابن جريس، ج٤، ص ١٩٦ .

٤١. شركة الكهرباء:

بدأت خدمات الكهرباء في نجران عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) بتركيب مولدين للطاقة بقدرة إجمالية (٣٠٠) كيلوات تخدم حي أبا السعود بشبكة توزيع طولها (١٠) كم تقريباً تغذي حوالي (٣٠) مشتركاً، وتوالت عمليات تدعيم النظام الكهربائي في المنطقة على النحو التالي[١]: في عام (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) تم تركيب عدد ثلاثة مولدات بقدرة (٨٠٠) كيلوات لكل منها، حيث أصبح إجمالي قدرات التوليد (٢٧٠٠٠) كيلووات. وفي عام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) أضيف إليه أربعة مولدات بقدرة (١٥) ميجاوات ليصبح إجمالي قدرة التوليد (١٧,٧) ميجاوات. وفي عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) تم إضافة أربعة أخرى قدرة كل منها (٠,٨) ميجاوات وبهذا أصبح إجمالي القدرة المركبة (٢٠,٩) ميجاوات. وفي العام نفسه تم تركيب ثلاثة مولدات في شرورة بقدرة (٦) ميجاوات، وبهذا أصبح إجمالي القدرة المركبة في المنطقة (٢٦,٩) ميجاوات[٢]. وفي عام (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) أضيف أربع وحدات توليد غازية بقدرة إجمالية (٥٠) ميجاوات وفي العام نفسه تم تركيب مولد قدرة (٢,٥) ميجاوات في شرورة، ومولد آخر قدرة (٧٣٠) كيلووات، لتصبح قدرات التوليد (٨٠,١٣) ميجاوات. وفي (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) أضافت الشركة مولداً بشرورة بقدرة (٣,٥) ميجاوات. وفي العام نفسه تم تركيب ثلاث وحدات توليد في يدمة بقدرة (١,٥) ميجاوات، وبهذا أصبح إجمالي قدرات التوليد في نجران (٨٦,٩٣) ميجاوات. وفي عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) بدأ تشغيل مشروع كهرباء نجران المركزي بقدرة (١٢٨) ميجاوات، وقد غطى وادي نجران بكامله، إلى جانب دخول الخدمة إلى وادي حبونا، وبدر الجنوب، وهدادة، والقرن، وثار، وقطن، والحرشف، والجفة، والمجمع، والحصينية[٣]. وفي العام نفسه تم إيقاف محطة توليد الديزل بنجران بقدرة (٢٠,٩) ميجاوات وتدعيم توليد شرورة بوحدتين بقدرة إجمالية (٥) ميجاوات لتصبح قدرة التوليد (١٩٩,٠٣) ميجاوات. وفي (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) تم تأسيس ثلاث مولدات في الصفاح بقدرة (٨٥٠) كيلوات وأصبح إجمالي قدرات التوليد بالمنطقة (١٤٩,٨٨) ميجاوات[٤].

وفي عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) دعمت محطة يدمة بأربع وحدات بقدرة إجمالية (٣,٢) ميجاوات وأصبح إجمالي قدرات التوليد (١٥٣,٠٨) ميجاوات. وفي (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، تم إنشاء محطة كهرباء شرورة رقم (٢) بقدرة (٣٠,٩) ميجاوات، ومحطة الصفاح بقدرة (٨٠٠) كيلووات لتصبح قدرات التوليد في عموم المنطقة (١٨٤,٠٥) ميجاوات. في عام (١٤١٤هـ/١٩٩٤م) تم دعم توليد شرورة بوحدة قدرة (٢,٥) ميجاوات لتصبح

---

(١) مذكرة وصلتنا من مدير كهرباء منطقة نجران جبران حامد العبيدي برقم (٢/٨٢ن/٢٢٢٧) في (١٤٢٤/٨/٤هـ). المصدر: م. ابن جريس، ج٤، ص١٨٣-١٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص١٨٤.

(٣) وكون كهرباء نجران ضمن كهرباء الجنوب التي مركزها أبها، فللمزيد والاطلاع عن الكهرباء الجنوبية انظر: ابن جريس، أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية)، ص ٤٠٥-٤١٤.

(٤) م. ابن جريس، ج٤، ص ١٨٤.

القـدرة الإجماليـة للتوليـد (١٨٥,٦٥) [١] . وفي (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) تم تدعيـم المحطـة المركزية بوحدة إضـافية قدرة (٥١,٥) ميجاوات لتصـبح قـدرات التوليد (٢٤٤,٦٥) . وفي (١٤٢٠هـ/٢٠٠م) انضـمت إلى النظام الكهربائي بالمنطقـة وحدة محافظة الخرخير بقدرة (٥,٦١) ميجاوات[٢] ، وتم تدعيم توليد شرورة بثلاث وحدات بقدرة إجمالية (٣٠) ميجاوات، ووحـدة يدمة بمولدين بقدرة (١,٢) ميجاوات، حتى أصـبح قدرة التوليد العام (٢٨١,٤٦) ميجـاوات . وفي عام (١٤٢٣هــ/٢٠٠٣) دعمت محطة نجران المركزية بوحدتين إضـافيتين بقدرة (١٠٣) ميجاوات ليصبح إجمالي القدرات الاسمية للتوليد بالمنطقة (٣٨٤,٤٦)[٣]

وكان عدد المشتركين عام (١٤١٨هـ/١٩٩٨م) (٤٠٥٧٤) فرداً، وفي (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م وصل عددهم إلى (٥٤٧٩٤) مشترك[٤] . أما أطول الشبكة فكانت في (١٤١٨هـ/١٩٩٨م) تقـدر بـ (٣٨٢٦) كـم، وفي عام (٢٢ـ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ـ٢٠٠٣م) أصـبح (٦٠٨١) كم . وفي عـام (٢٣ـ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ـ٢٠٠٤م) وصـل الإنفاق المالي على مشـاريع الكهرباء في عموم المنطقة مليار وثمان مئة ألف ريال [٥] .

٤٢- إدارات أخرى :

ضـمن الأوراق المرسـلة إلينا من مدونيها أو من وكيل الإمارة عثرنا على خطابات تنص على إرسال تقارير عن إداراتهم، وقد بذلنا جهوداً كبيرة للعثور على هذه المدونات ولم نعثر عليها [٦] .

ومـن تلك الإدارات : فرع وزارة المالية[٧]، فرع وزارة التجارة والصـناعة [٨]، جمرك الخضراء [٩].

(١) المصدر نفسه ، ج٤، ص ١٨٥ .

(٢) المصدر نفسه . ج٤، ص ١٨٥ .

(٣) وصلنا تقرير مختصر من مهندس كهرباء الخرخير، عبد الحي علي موسى، بتاريخ (١٤٢٤/١٠/٢٦هـ)، ويذكر أن محطة توليد الخرخير تم إنشاؤها عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) على مسـاحة إجمالية وتقدر (٥٠٠,٠٠٠) متر مربع، وكانـت تحوي ثلاث ماكينات بطاقة إجمالية (٥,٦١) ميجاوات . وبدأت المحطة في عام (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) تزود المواطنين بالكهرباء على خط ضـغط عالي (١٣,٨) ك . ف، ومسافة (٦,١) كما أنشئت محطة أخرى بديلة، إلى الشمال من بلدة الخرخير في (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) بقدرة إجمالية (٢,٧) ميجاوات، وعلى مساحة (١١٥٠٠) م^2 . المصدر: م . ابن جريس، ج٤، ص ٢٠٩ .

(٤) المصدر نفسه . ج٤، ص ١٨٧ .

(٥) المصـدر نفسه . ج٤، ص ١٨٨ـ١٨٩ . وإذا كانت هذه التقارير التي وصـلتنا مختصـرة، فإن إدارة الكهرباء في نجران وغيرها من المؤسسـات الإدارية في المنطقة جديرة بالبحث والدراسـة، ونعول على مراكز البحوث في جامعة نجران أن تولي مثل هذه الموضوعات كبير اهتمام .

(٦) لا ندري أين فقدت هذه التقارير مع العلم أنها لم تصل إلينا على الإطلاق .

(٧) صورة خطاب فقط من مدير الفرع محمد بن علي الشهري برقم (٤٠٢٣/١١٠٠) وتاريخ (١٤٢٤/١٠/٨هـ) ينص على أنه أرسل كتاب وزارة المالية التاريخي الذي يشير إلى مالية نجران، ولم يصلنا هذا الكتاب إطلاقاً، المصدر: م . ابن جريس، ج٤، ص ٢٠٢ .

(٨) صـورة من خطاب مدير الفرع في نجران، صـالح بن مصـلح آل عباس، برقم(١٨٥٤) وتاريخ (١٤٢٤/٧/٢٧هـ) ويذكر أنه أرسل المطلوب برفقة خطابه هذا، وهو الآخر لم يصلنا . م . ابن جريس، ج٤، ص ١١٣ .

(٩) صـورة من خطاب مدير الجمرك، غنام بن صـالح الغنام، رقم (٣٧٠/١/١ج) وتاريخ (١٤٢٤/٧/١٢هـ)، ويشير

ثالثاً: آراء ووجهات نظر:

ومن خلال هذه الخلاصات خرجنا بالعديد من النتائج والتوصيات، وأهمها ما يلي:

١. المتأمل في تاريخ بلاد نجران الحديث والمعاصر يجدها مثل غيرها من أجزاء البلاد السعودية كانت تعيش في فوضى واضطراب سياسي، وعندما امتد حكم ابن سعود إليها صارت تنعم بنظام إداري وسياسي يحفظ حقوق الناس ويسعى إلى توفير الأمن والاستقرار لكل شرائح المجتمع.

٢. المؤسسات الإدارية الحديثة هي من ركائز الدولة الرئيسة، والهدف من تأسيسها وتطويرها هو نقل حياة الناس من الفرقة والشتات إلى الوحدة والاتحاد، وكذلك توفير التنمية والخدمات المختلفة التي تصب جميعها في توفير الراحة والارتقاء بالفرد والجماعة على حد سواء، وكل هذا من أجل إيجاد حياة عصرية راقية تحافظ على تنمية الفرد وتطويره وصقله تحت لواء دولة عصرية متقدمة.

٣. والزائر لبلاد نجران قبل أربعة عقود واليوم يجد البون الشاسع في تطوير المنطقة في شتى المجالات، وهذا لم يحدث إلا بتوفيق من - الله عز وجل - ثم تضافر الجهود بين حكام هذه البلاد، وفقهم الله إلى كل خير، وبين المواطنين النجرانيين الذي يحرصون على ولائهم وتعاونهم وحبهم لخدمة دينهم، وحكامهم، وبلادهم [(١)].

٤. ما تم إيراده من مختصرات تاريخية عن هذه المؤسسات الإدارية، ليس إلا إسهاماً منا لحفظ بعض الشيء عن تاريخ وحضارة نجران المعاصرة، ثم السعي إلى فتح أبواب للدارسين والباحثين النجرانيين وغيرهم، لعلهم أو بعضهم يركزون على الجوانب التاريخية التنموية التي تمر بها بلاد نجران منذ النصف الثاني من القرن الهجري الماضي، والفترة الممتدة منذ الخمسينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر جديرة بالبحث والدراسة، لما جرى فيها من تحولات تاريخية سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وتعليمية وفكرية [(٢)].

٥. نرجو من كل المؤسسات الإدارية المذكورة في هذا القسم، أو التي لم يصلنا منها أي معلومة أن تحرص على حفظ دور الأرشيف بها، وحبذا أن تعين كل إدارة موظفاً من موظفيها الجادين فيتولى ترتيب وتبويب وأرشفة ما عندها من أوراق ووثائق حتى

إلى إرسال التقرير الخاص بالإدارة التي يشرف عليها، ولم يصلنا فقط إلا صورة من خطابه. المصدر: م. ابن جريس، ج٤، ص١١٤. وهناك إدارات أخرى عديدة لم يصلنا عنها أي شيء، مع أننا أرسلنا خطابنا إلى وكيل الإمارة، وهو مشكوراً أرسل خطاب من قبله إلى جميع المؤسسات الإدارية في المنطقة. انظر صورة خطابنا، وخطاب سعادة كيل الإمارة في ملاحق كتابنا: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (ج٣)، رقم (٤٣، ٤٤).

(١) هذا ما لمسه الباحث عندما زار نجران في العقد الأخير من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكذلك عندما زارها في عامي (١٤٢٤، ١٤٣٢هـ/٢٠١١،٢٠٠٤م).

(٢) وكل هذه المحاور جديرة بالبحث والدراسة، والأمل معقود، بإذن الله تعالى، في أقسام وكليات نجران الأكاديمية، وما يوجد بها من متخصصين في مجالات عدة.

يسهل الرجوع إليها عند الحاجة، وحتى يستفيد منها الباحثون الذين قد يوجهون بحوثهم في دراسة تنمية وتطور المنطقة في مجال معين، أو في مجالات عدة [1].

٦. نحن معاشر المؤرخين ندرك أهمية الوثيقة، وما تقدمه للباحث، وبخاصة إذا كانت نادرة أو جديدة في بابها . وتاريخ التنمية الحضارية التي تمر بها البلاد السعودية منذ ثمانية عقود جدير بالاهتمام من الجامعات ومراكز البحث العلمي . وإذا كان خرج عشرات الكتب والدراسات خلال هذه الفترة، فلازال هناك الشيء الكثير الذي لم يبحث ولم يدرس وينشر، خصوصاً إذا كانت الوثائق هي الأساس في كل بحث . وهذا يؤكد ما أشرنا إليه في النقطة السابقة وهو الحرص على حفظ الوثائق في كل مؤسسة، وهذا لا ينجح إلا بصدور قرار رسمي يؤكد على هذا المطلب، وترسم له الآلية كي يتم تفعيله على أرض الواقع.

٧. كل مؤسسة أو إدارة أشرنا إليها في هذا الفصل، أو لم نشر إليها في بلاد نجران جديرة بأن يفرد لها دراسة علمية أكاديمية تبين تاريخها وما جرى عليها من تطورات منذ التأسيس حتى اليوم . بل ربما وجدت دراسات توضح تاريخ الصلات بين المؤسسات الإدارية وما تقدم من خدمات متنوعة في بناء الفرد والمجتمع .

٨. ربما يقول قائل ما الفائدة من ذكر هذه النبذ التاريخية عن هذه المؤسسات، والجواب قد لا يكون ذا فائدة كبيرة الآن، ولكن مع تقادم الزمن، وتبدل الأحوال في كل مؤسسة أو على المجتمع بشكل عام، عندئذ سوف تكون معلومات ذات قيمة كبيرة . وللأسف، ومن خلال تجارب الحياة الدراسيّة والإدارية اتضح لنا صحة ما ذكرنا، وهذا أمر لا يدركه إلا من عمل في مجال البحث والدراسة .

٩. لم يكن تاريخ المؤسسات الإدارية هو المجال الوحيد الذي يعتريه النقص، وإنما ذلك امتد إلى مجالات أخرى كالجوانب الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والتعليمية وغيرها من الجوانب المعرفية الفقيرة في كل ما كتب عنها، ومن ثم فهي جديرة بالاهتمام عند الباحثين والاختصاصيين في العلوم الإنسانية المختلفة، والله من وراء القصد .

---

(١) من خلال عملنا في البحث والدراسة أكثر من أربعين عاماً، وزيارتنا العديد من المؤسسات الإدارية في عسير، وجازان، ونجران، والباحة، ومكة، والطائف، والرياض . وغيرها وجدنا معظم المؤسسات الإدارية لا تحرص على حفظ وثائقها وترتيبها بشكل جيد، . مشاهدات الباحث خلال الثلاثة عقود الماضية.(١٤٠٠-١٤٤٠هـ/ ١٩٨٠-٢٠١٩م) .



الدراســـة الثامنــة

صفحات من تاريخ نجران الحضاري في العصر الحديث

بقلم : أ . د . غيثان بن علي بن جريس



الدراسة الثامنة : صفحات من تاريخ نجران الحضاري في العصر الحديث:

أولاً : مدخل:

قمنا في هذا القسم بدراسة ثلاثة موضوعات رئيسة هي:

(١) صور من تاريخ العمران، والطعام، واللباس في نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٢) ورقات من تاريخ نجران التجاري خلال العصر الحديث. (٣) خلاصة تاريخية مختصرة عن الحياة الصحية في نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م). وأطلقنا على هذه العناوين الثلاثة اسم عام للقسم هو: صفحات من تاريخ نجران الحضاري في العصر الحديث. ولا ندعي الكمال فيما تم تدوينه، ولقد يسر الله لي الاهتداء إلى هذه الموضوعات

طلابي النجرانيون الذين توليت الإشراف على بحوث تخرجهم في العقدين الماضيين، وهم كثير [(١)] ، وأخص منهم (١٤) طالباً قاموا بإنجاز ثلاثة أبحاث هي :

١. **نجران دراسة تاريخية مختصرة للبناء والطعام واللباس خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)**[(٢)] .
٢. **التجارة في نجران : دراسة تاريخية مختصرة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)** [(٣)] .
٣. **دراسة تاريخية مختصرة للحياة الصحية في منطقة نجران خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)** [(٤)].

هؤلاء الطلاب الأربعة عشر الآنف ذكرهم، هم الذين عملوا على مدار عام كامل، فجمعوا المادة العلمية لهذه الدراسات، وزودوها بالصور الفوتوغرافية، والوثائق غير المنشورة، والرحلات الميدانية، والمقابلات الشخصية، وأخيراً أنجزوا أبحاثهم وتخرجوا، والجميل أنني أحفظ نسخة من كل بحث تخرج أو رسالة علمية أشرفت عليها على مدار ثلاثة عقود[(٥)] ، وهذه البحوث الثلاثة السابق ذكرها من الدراسات المحفوظة في مكتبتنا، وعندما تصفحت تلك البحوث الطلابية وجدتها تحتوي على مادة علمية جديدة وصحيحة، مع أنه يظهر عليها بعض السلبيات مثل: عدم الترابط، والركاكة أحياناً وخلو بعض صفحاتها من التوثيق العلمي وغير ذلك من الهنات، وكل هذه الجوانب يسيرة

---

(١) إن الطلاب النجرانيين الذين درسوا وتخرجوا في قسم التاريخ بفرع جامعة الملك سعود بأبها، ثم جامعة الملك خالد خلال العقدين الثاني والثالث من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) تصل أعدادهم إلى المئات وقد درست وأشرفت على أغلبهم، ومعظمهم كلفوا بأبحاث متنوعة تخص منطقة نجران عبر عصور التاريخ وبخاصة العصر الحديث والمعاصر، ولقد كانوا أكفاء في جمع مادة أبحاثهم ثم دراستها وتصنيفها وأخيراً طباعتها وإخراجها في بحوث علمية غير منشورة.

(٢) الطلاب الذين أعدوا هذه الدراسة هم: (١) محمد هادي محمد السلوم .(٢) عبد الله علي عبد الله آل منجم. (٣)عبد الله صالح آلقريش . (٤) وديع صالح جابر اليامي. وهذا العمل بحث تخرج رئيس للحصول على درجة البكالوريوس في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد عام (١٤٢١-١٤٢٠هـ/١٩٩٩-٢٠٠٠م) ، ويقع في (١٢٤ صفحة) مطبوعة، ورقمه في مكتبة د . غيثان بن جريس العلمية هو (٢٧٤) .

(٣) أصحاب هذا البحث هم (١) حمد ناصر حسين الصقور. (٢) علي عبد الله صالح محمد زبارة. (٣) خالد محمد هادي عبشان. (٤) فؤاد يحيى عويضه آل منصور. (٥) مانع علي سالم آل زليق . وهذه الدراسة أيضاً بحث تخرج لهؤلاء الطلاب عام (٢٠٠١-٢١م) ، ورقمه في مكتبة ابن جريس هو (٢٩٢) . وعدد صفحاته (١٢٧صفحة) مطبوعة.

(٤) المعدون لهذا البحث هم : (١) صالح بن سالم بن علي آل زمانان. (٢) مرزوق بن علي بن هادي آل قمري. (٣) ناصر بن حسين الزبيدي. (٤) حمد بن سالم قرعان آل سوار. (٥) علي بن سالم قرعان آل سوار. وهذا العمل بحث تخرج لهؤلاء الطلاب عام (١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ، ورقمه في مكتبة ابن جريس هو(١٧٧) . وعدد صفحاته (١٤٣صفحة) مطبوعة.

(٥) وبالتالي أصبح لدينا في المكتبة من هذه البحوث والرسائل أكثر من (٤٠٠) عمل علمي غير منشور، وهي تحت أرقام متسلسلة، وقد مكنت الأخ الأستاذ الأديب محمد بن أحمد بن معبِّر من الاطلاع عليها، فقرر دراستها وتصنيفها وإعداد دليل وكشافات لها، صدرت في كتاب بعنوان : دليل البحوث الجامعية في مكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية (١٤٠١-١٤٣٥هـ/١٩٨١-٢٠١٤م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)(٥٥٠ صفحة) .

مقارنة بمادتها العلمية الجديدة، ولهذا اعتمدت بنسبة كبيرة على مادتها، مع حفظ حقوق أصحابها، وإعادة صياغة البعض منها، والاستفادة منها في هذا القسم. كما عدنا أيضاً إلى بعض المصادر والمراجع التي تخدم هدفنا، وأخيراً خرجنا بهذه الدراسة، التي نرى فيها مادة علمية جديرة بالدراسة والنشر، مع أن هذه الموضوعات الثلاثة المطروحة في هذا الباب لازالت تستحق البحث والدراسة والتحليل(١).

ثانياً: صور من تاريخ العمران، والطعام، واللباس في نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م).

١- العمران:

العمارة من الموضوعات العلمية الكبيرة، والمتجول في منطقة نجران، والناظر في بعض البحوث التاريخية للعمارة النجرانية يجد تفصيلات كثيرة عن أنواعها، وأماكنها، وطرق بنائها، وكيفية استخدامها(٢). وفي جولات عديدة في بلاد نجران شاهدنا العديد من القرى المهجورة في جبالها ووهادها، وهذه القرى مع كثرتها وتنوعها تحتاج إلى اهتمام من قبل جامعة وإمارة نجران، ومن الهيئة العليا للسياحة، أو أصحاب هذه القرى إذا كان عندهم القدرة المادية على صيانتها وترميمها(٣).

وفي الصفحات التالية نذكر بعض التفصيلات عن بعض أنواع البناء والعمارة في نجران خلال القرن الهجري الماضي وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وهي على النحو التالي:

أ- المنازل والقصور وغيرها:

١- المنازل الحجرية:

لا تخلو منطقة نجران من بيوت حجرية قليلة، وبخاصة في الأجزاء القريبة من منطقة عسير في الناحية الغربية(٤). والذاهب في أرجاء بلاد السراة من ظهران الجنوب إلى

---

(١) الطلاب السابق ذكرهم بذلوا جهوداً كبيرة في جمع الكثير من هذه الدراسة، ثم قمنا بإعادة النظر في بحوثهم فأجرينا عليها الكثير من المراجعات والتعديلات، كما استفدنا من مصادر ومراجع أخرى حتى أصبحت الدراسة في وضعها الحالي. وكل هذه العناوين المطروحة يستحق أن يكون كل واحد منها موضوعاً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية. ونأمل من الباحثين والمؤرخين الجادين أن يستكملوا ما لم نستطع دراسته، أو يحللوا ويصححوا ما يخدم هذه الموضوعات حتى تخرج بصورة أكمل وأشمل وأقوى.

(٢) للمزيد انظر، موسوعة المملكة العربية السعودية (منطقة نجران) (الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). مج (١٥)، ص٢٤٤ومابعدها. محمد هادي محمد السلوم وآخرون، نجران دراسة تاريخية مختصرة للبناء والطعام واللباس، ص٩ وما بعدها.

(٣) القطاع العمراني القديم في نجران. بحاجة إلى رعاية وحماية وصيانة من قبل الجهات المعنية في نجران كالإمارة والجامعة، والهيئة العليا للسياحة، ورجال الأعمال النجرانيين.

(٤) تجولنا في منطقة نجران مرات عديدة فشاهدنا أغلب مبانيها من الطين، إلا أن الحجارة أيضاً استخدمت في بعض النواحي من المنطقة وبخاصة في أساسات بعض المنازل والحصون والقصور المتفرقة.

بلاد غامد وزهران يلاحظ أن المنازل الحجرية هي الغالبة في بناء البيوت ومرافقها[١].

٢ـ البيوت الطينية :

معظم بيوت نجران من الطين، ويتميز البيت الطيني بالقوة والمتانة. وينقسم البيت النجراني القديم إلى نوعين . الأول : شكله مستطيل، وارتفاعه أحياناً يصل إلى ثمانية وتسعة طوابق، ويضيق من جوانبه كلما ارتفع إلى أ على، ومن ثم فقاعدته أوسع من قمته، ومن خلال زيارتنا لنواح عديدة في بلاد نجران شاهدنا العديد من هذه المنازل مازالت ماثلة للعيان، وأصاب الكثير منها الخراب والاندثار[٢]. ويوجد في هذا النوع من البيوت درج يصعد فيه من وسطه، وغالباً ما يصنع من القوائم الخشبية الصلبة المغطاة بطبقة من القش والطين . وهذه المنازل أو القصور قديمة في تاريخها، كما أنها تعكس جزءاً من تاريخ أصحابها، حيث كان أغلبهم من الأسر المعروفة والمشهورة في البلاد. كما أن البعض من هذه البيوت لها أسماء، وغالباً تسمى باسم الأسرة أو رب الأسرة المالك لها[٣] .

ونجد تفصيلات أكثر عن المنازل والقصور الشعبية في نجران عند أحد الرحالة الأوربيين الذين زاروا نجران في منتصف القرن الهجري الماضي[٤]، وصف منزل الشيخ جابر بن نصيب[٥]، فقال: " هو مجمع واسع مؤلف من برجين عاليين متقابلين، دخلنا من باب محاط بسور .. وبعد عبورنا ممراً من الطين واللبن والحجر وصلنا إلى المدخل ... قادنا هذا المدخل إلى برجين مركزيين، وبصحبة أخو الشيخ (ابن نصيب) [٦]، ارتقينا (٩٨) درجة، والأدوار السبعة في أحد الأبراج الذي يصل علوه إلى (٢٠م)، ولكل طابق استخدامه المحدد، المخزن لتجميع المحصول، الشقق للنساء والأطفال، وفي القمة يوجد الديوان المفروش بالسجاد المؤدي إلى السطح المحاط بسور قصير، وهو مفصول في وسطه بحائط يفصل بين البرجين، أما جدران هذا البناء فإنها تصبح دقيقة كلما زاد ارتفاعها،

---

(١) ونلاحظ أن بعض مناطق نجران القريبة من محافظات عسير الجنوبية والشرقية مثل ظهران الجنوب، وسراة عبيدة، قد تأثرت في هندسة وعمارة منازلها الحجرية والطينية . مشاهدات الباحث خلال عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

(٢) شاهد الباحث كثيراً من هذه المنازل في مدينة نجران وفي محافظات يدمة وحبونا، وذُكر لنا أن بعضها شيدت من قبل (٣٠٠-٤٠٠) سنة، وتراها لازالت صامدة، وكثير منها اندثر وأصبح غير صالح للسكن . مشاهدات الباحث في مرات عديدة أثناء زياراته لمنطقة نجران أعوام (١٤٢٤هـ، ١٤٣١هـ، ١٤٣٤هـ) .

(٣) هناك العديد من القصور والحصون المنتشرة في أنحاء منطقة نجران، وتتفاوت في أحجامها، وأزمانها، وهي جديرة بالبحث والدراسة. حبذا أن نرى أحد طلابنا في برامج الدراسات العليا في أقسام التاريخ. بجامعة الملك خالد، أو الملك سعود، أو أم القرى، أو الملك عبد العزيز فيتخذ هذا الموضوع عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه . وهو موضوع جديد وجدير بالبحث.

(٤) انظر : فيليب ليبنز . رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية . ترجمة محمد محمد الحناش (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص ١٥٠ .

(٥) الشيخ ابن نصيب أحد شيوخ قبائل يام الرئيسيين، والمشيخة قديمة في هذا البيت، والشيخ جابر بن نصيب أحد أعلام منطقة نجران وشيوخها البارزين خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٦) إضافة من الباحث .

إنها بسيطة، ولكنها جميلة، والجدران عريضة، ومدورة الزوايا، وعليها عدة ثقوب على شكل نوافذ، بعضها مغلق بالخشب، وحدها القمة التي كانت تبدو عليها بعض علامات العمل الإبداعي من حيث أنها تتضمن بعض الفتحات والنوافذ المصبوغة، بالإضافة إلى تراجع طفيف في بناء أحد أدوار العمارة، حيث ترك مكان للسطح الذي يضطرون لاستخدامه سواءً لتجفيف القمح بحرارة الشمس، أو للسهر فيه عندما يكون الجو حاراً[١].

والنوع الثاني من البيوت الطينية له شكل قريب من الشكل الأول، وغالباً يتكون من دور أو دورين يستقيم أحدهما على الآخر، وإذا كان هناك طابق ثالث فإنه يقوم على جزء من الدور الثاني، وتترك أمام ذلك الجزء منطقة مفتوحة، وهذا النوع من المنازل لا تتعدد طوابقه كثيراً، وأحياناً يضاف له بعض الديكورات الداخلية والخارجية[٢].

وأحجام البيوت في نجران من حيث عدد الغرف تنقسم إلى ثلاثة أنواع، منازل مكونة من خمس غرف، وأخرى من ثلاث غرف، ونوع ثالث وهو أصغرها من غرفتين، ويبني كل واحد منزله حسب إمكاناته المادية، وربما كان هناك فقراء معوزون فلا يستطيعون بناء غرفة واحدة. وأشكال المنازل تكون مستطيلة وأحياناً مربعة، وربما كان بعضها على هيئة حرف (T) أو (L). وعندما يكون المنزل مكوناً من عدة طوابق، فالدور الأول لسكن الحيوانات وتخزين الأعلاف، والدور الثاني للسكن البشري، وربما كانت بعض أجزاء الطابقين الأول أو الثاني مستودعاً لحفظ الحبوب والأطعمة لأفراد الأسرة[٣].

---

(١) فيليب ليبنز، رحلة استكشافية، ص ١٥٠. والملاحظ أن الرحالة الغربيين دقيقين في دراساتهم ووصفهم أثناء تجوالهم ومشاهداتهم في بلاد العرب. والناظر في كتاب: مرتفعات الجزيرة العربية، لفلبي الذي قامت مكتبة العبيكان بترجمته وطباعته عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) يجد تفصيلات كثيرة تدور في فلك أنواع العمارة في منطقة نجران، انظر المجلد الأول، ص٤٢١ وما بعدها. وتاريخ العمارة في نجرانٍ خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جديد وجدير بالدراسة، حبذا أن نرى أحد الباحثين الجادين فيتخذه عنواناً لكتاب أو رسالة علمية.

(٢) مشاهدات الباحث في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). للمزيد انظر محمد هادي السلوم، نجران دراسة تاريخية مختصرة للبناء والطعام واللباس، ص ٤٣ وما بعدها، مبارك مرزوق مبارك السعيد. الحياة الاجتماعية في منطقة نجران خلال القرن(١٤هـ/٢٠م). بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس، جامعة الملك سعود - فرع أبها (قسم التاريخ) (١٤١٥-١٤١٦هـ) ص٦٧ وما بعدها. (نسخة من هذا البحث توجد ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية).

(٣) موسوعة المملكة العربية السعودية (منطقة نجران) المجلد (١٥)، ص ٢٤٦، محمد هادي السلوم، نجران دراسة تاريخية ص ٤٧ وما بعدها. وللمزيد من الاطلاع على عمارة المنازل ومرافقها في بعض محافظات نجران، انظر عائض محمد علي آل عمر اليامي وآخرون. محافظة بدر الجنوب دراسة تاريخية مختصرة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م). بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس، جامعة الملك خالد (٢٢-١٤٢٣هـ/٢٠٠١-٢٠٠٢م) ص ٦٢-٧٠، أحمد ظافر حمد آل فطيح العجمي. محافظة يدمة بمنطقة نجران (دراسة تاريخية حضارية مختصرة خلال القرن الرابع عشر الهجري). بحث تاريخي غير منشور، جامعة الملك خالد (٢١-١٤٢٢هـ/٢٠٠٠-٢٠٠١م) ص ٢٤-٢٥، صالح سعيد صالح وآخرون. بلاد لسلوم. بمنطقة نجران، دراسة تاريخية حضارية تاريخية مختصرة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م). بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس، جامعة الملك خالد (٢٢-١٤٢٣هـ/٢٠٠١-٢٠٠٢م)، ص ٢٢-٢٧.

٣ـ القصور والحصون :

(أ) ـ القصور داخل القرى :

يوجد في نجران العديد من القصور، ويطلق على بعضها اسم درب، وهي مسماة بأسماء أصحابها وأماكن تواجدها ومنها: ـ قصر الإمارة القديم في أبا السعود، وهو من الأنواع الأثرية للمباني الطينية [١] بناه الأمير تركي بن ماضي عام (١٣٦١هـ/١٩٤٢م)، ويحتوي على ستين غرفة تضم أغلب الإدارات الحكومية . بالإضافة لمسكن الأمير وعائلته، وهو محاط بسور مرتفع تحرسه أربعة أبراج دائرية الشكل، في كل زاوية برج أضاف نوعاً من اللمسة الجمالية، ويوجد بفناء القصر من الداخل بئر لتزويد القصر بالماء . وقد تم إخلاء هذا القصر عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) بعد انتقال الإمارة للمبنى الجديد بالفيصلية، وبقي مهجوراً حوالي ستة عشر عاماً دون استخدام، مما أدى لتضرره وسقوط أجزاء منه، ثم آلت ملكيته لوزارة المعارف لإدارة تعليم نجران[٢] . عندئذ قررت تحويله لمتحف للتراث الشعبي، فقامت بأعمال الترميم اللازمة، وتكلف ذلك الإصلاح أكثر من مليون ريال، وتم تزويده بالإضاءة، ودورات المياه وشبكات الصرف الصحي والمياه ليكون لائقاً كمتحف. وهناك قصر آخر مشهور يسمى قصر السعدان نسبة للقرية التي يقوم فيها واسمه القديم قصر سعدان، وهو من أقدم وأشهر البيوت الطينية في المنطقة، ويقف شامخاً على قمة إحدى الجبال، وقد تم ترميمه ليعطي رمزاً للتاريخ والحضارة، وهذا النوع من البيوت المبنية بالطين أثبتت قدرتها على المقاومة والتحمل. ومن هذه القصور أيضا، قصور بئر الأثلة وهو لآل سلطان بن آل منيف، وصعيبان وهو في الشبهان لآل نصيب، وكحلان لآل أبي ساق في صاغر، وشحمان وهو لآل جابر في صاغر، ودرب سعيدة في الحضن وهو لابن حيدر[٣] . ودرب رويكة لآل كزمان في القابل، وحريكان لآل عطوة في القابل، والواسط في بئر الأثلة لآل أحسن من آل منيف، وفي الجربة لآل دويس، والصميدع لآل دوحان في صاغر، ودرب ابن خزيم في المشكاة بالعولكة .

---

(١) حللت ضيفاً على إمارة نجران عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، عندما كنت أعمل على تأليف كتابنا: نجران دراسة تاريخية حضارية (ق١ـ ق٤ هـ/ق٧ـ ق١٠م)، (الجزء الأول)، وذهبت مع وفد من الإمارة إلى هذا القصر وتجولنا في أرجائه، ودونت بعض التفصيلات عن عمارته وجزئياته، والتقطت له بعض الصور . وهو فعلاً يُعد من المعالم التاريخية الحضارية لبلاد نجران خلال العصر الحديث . ونأمل من المسؤولين النجرانيين أن يحافظوا على رعايته وصيانته، كما يوجد في مكتبة الباحث العديد من الوثائق التي تشير إلى بعض التفصيلات عن بداية بناء هذا القصر في الخمسينيات من القرن الهجري الماضي، مع الإشارة إلى المواد المستخدمة في بنائه، والعمال الذين قاموا على تشييده، والمبالغ التي تم صرفها على عمارته . وقد نخرج هذه الوثائق في دراسة مستقلة في المستقبل (بإذن الله) . وعرف هذا القصر باسم (قصر ابن ماضي) نسبة إلى تركي الماضي الذي تولى إمارة نجران، عام (١٣٥٧ـ١٣٧٣هـ/١٩٣٨ـ١٩٥٣م)، ويتكون هذا القصر من (٦٠) غرفة . وهناك غرف في الطابق الأول خصصت مقر الإمارة، ومجلس خاص للأمير، وغرف لاستقبال الضيوف . أما سكن الأمير فيتكون من (١٧) غرفة، و (٦) مستودعات، و (١٢) غرفة أخرى لسكنى حاشية الأمير (الأخوياء) . وفي وسط القصر بئر . أما الطابق الثاني فيوجد به أربعة أبراج دائرية في الأركان للمراقبة والحراسة. المصدر: مشاهدات الباحث لهذا القصر في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) .

(٢) فلاح شيبان . نجران الآثار والتاريخ . (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ص ٢٠ .

(٣) مشاهدات الباحث لعدد من هذه القصور عامي (١٤٢٤هـ و ١٤٣٤هـ) .

(ب) الحصون داخل القرى :

وهي تبدأ في بنائها من قاعدة عريضة، ثم تتناقص كلما ارتفع البناء في شكلٍ هندسي يحافظ علىٍ توازن الزوايا والأبعاد، وقد يبلغ ارتفاعه حوالي عشرين مترا تقريبا، وعادة يكون مبنيا على منطقة مرتفعة صخرية صلبة، وموقعه في المنطقة الحصينة بين البيوت في القرية أو الأسرة[١]. وهذه الحصون ملكيتها مشتركة للقرية أو الأسرة، ومن ثم فلكل رب أسرة موضع في الحصن، وهي غرفة تسمى البضع موضع يخزن فيه الفرد محاصيله الزراعية في مكان مأمون، وتستخدم الأدوار العليا في كل الجهات كمرصد للمراقبة في زمن الحروب، حيث يتحصن المراقبون والرماة[٢].

ويمتاز بناءِ الحصن من الخارج بأنه على شكل واحد ليس فيه مجال لتسلقه من الخارج، وخاليا من النوافذ عدا أدواره العليا، وتكون النوافذ صغيرة الحجم على شكل مثلث صغير وتتميز بأنها محاطة بإطار، ولكل حصن مفتاح واحد، وغالبا يكون عند كبير الأسرة أو نائب القرية .

وفي الحصن غرفة كبيرة وعادة تكون في الدور الأول، تخزن فيها الأسلحة والمصابيح وبعضٍ المواد التموينية اللازمة في حالة الحرب، وملكية الحصن مشتركة للأسرة أو القرية جيلا بعد جيل، وعادة يكون في القرية أكثر من حصن، وتكون في مواقع متناظرة وذات موقع استراتيجي، وصيانة الحصن والمحافظة عليه مسؤولية مشتركة، وشكل الحصن يكون مربعا أو أسطوانيا، وفي منطقة نجران يغلب عليه الشكل الأسطواني[٣].

وبناء البيوت والقصور يمر بمراحل عديدة من تجهيز موقع البناء، ثم جلب مواد البناء كالحجارة المتنوعة، والطين، والأخشاب الصغيرة والكبيرة، والتبن . كما يجب حضور البناء (المعلم) الذي يقوم بتشييد العمارة، ومعه بعض أصحاب الحرف المساعدة . ومعظم الأيدي العاملة كانت محلية، فأهل القرية أو الناحية يتعاونون فيما بينهم من أجل بناء مساكنهم ومرافقها[٤] .

---

(١) مشاهدات الباحث خلال عامي (١٤٢٤هـ/١٤٣٤هـ) . كما التقى ببعض النجرانيين الذين أكدوا صحة هذه المعلومات.

(٢) المراجع نفسها .

(٣) مشاهدات الباحث وانطباعاته في نجران خلال عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) . للمزيد انظر، محمد هادي السلوم . نجران دراسة تاريخية مختصرة (البناء، والطعام، واللباس) ، ص ٥٤ . والذاهب في أرجاء بلاد السراة، الممتدة من نجران حتى الطائف، وكذلك بعض قرى نجران وتهامة يجد هذه الحصون المشتركة منتشرة في أنحاء البلاد . وكثير منها أصابه الخراب والدمار، ولازال بعضها صامداً . ومثل هذا التراث المعماري جدير بالحفاظ والاهتمام، كما أن جامعات الجنوب (الملك خالد، والباحة، وجازان، ونجران، وبيشة) عليها مسؤوليات كبيرة لدراسة مثل هذا الفن المعماري، وإنشاء مراكز بحثية تقوم بمثل هذا العمل .

(٤) تمتاز العمارة النجرانية بالزخارف والجماليات العمرانية المتنوعة في أشكالها وأحجامها، وللمزيد من التفصيلات انظر، سيد الماحي. نجران : الأرض والناس والتاريخ (معلومات النشر بدون) ، ص ٨٦.٧٧، أحمد عبد الله محمد سويد آل منصور وآخرون . نجران دراسة تاريخية حضارية مختصرة في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م) . بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس، جامعة الملك خالد (١٤٢٣.٢٢هـ/٢٠٠١.٢٠٠٢م)، ص ٩٤ .٩٩ . كما قمنا خلال العقود الثلاثة الماضية بإجراء العديد من البحوث عن العمارة والبناء في نواح عديدة من

٤. بيوت ومنازل أخرى :

عرف النجرانيون بيوت الشعر، وغالبية أهل البوادي في نجران سكنوا في الخيام ومنازل الشعر، وجميع مواد هذا النوع من أصواف الحيوانات، وبقية المواد الأخرى من خيوط وحبال وأدوات للغزل كانت جميعها محلية، ومن صنع أهل البلاد . كما عرف بعضهم بيوت القش والأخشاب التي كانت تجلب من أودية وهضاب وجبال نجران. وفي نهاية القرن الماضي وصل إلى أسواق نجران صفائح (الزنك) الحديدية، فاستخدمت أيضاً في بناء غرف للسكن ومستودعات لحفظ بعض الأغراض المختلفة[١] .

وهناك كثير من الأواني التي استخدمها النجرانيون في منازلهم خلال القرن الهجري الماضي مثل: **(١) المدخنة :** وتعرف اليوم بـ (المبخر) ، وهي مصنوعة من الطين وأحياناً من الحجر، يوضع فيها الجمر لحرق العود أو البخور حتى تنتشر رائحته في مكان استقبال الضيوف، وأحياناً في المساجد، والمجالس العامة. **(٢) البرمة :** وهي إناء مصنوع من الفخار، ويستخدم هذا الإناء في طهي اللحم وما شابهه . **(٣) القدح والمدهن :** والأول يصنع من الخشب، والثاني من الحجر، والوعاءان يستخدمان لتقديم بعض الأطعمة أو الأشربة فيهما . **(٤) المطرح والمزبلة :** وكلاهما يصنعان من سعف النخل وتحمل أو تحفظ فيهما بعض الأطعمة مثل الخبز واللحم وغيرها [٢] . **(٥) أوعية جلدية أخرى مثل :** النطع وهو شبيه بسفرة الطعام التي نعرفها اليوم، والقطف ويحفظ فيه اللبن والهيل، والمزادة أو (المزودة) لحفظ بعض الأواني فيها أثناء السفر، والمسب والعصم لحفظ الحبوب والطحين، والخرج الذي يوضع على الحمار أو الحصان وتحمل فيه الكثير من الأغراض، وكذلك الزمالة، وتسمى العدِلة في بعض مناطق عسير، وهو وعاء كبير ذو كفتين يوضع على الجمل وتنقل فيه الكثير من الأغراض الثقيلة والمفيدة، والمشرب : وهو ما يعرف بالقربة في عسير والباحة، والميزب : وهو وعاء يحمل فيه الأطفال الرضع أثناء التنقل أو العمل . **(٦) أوعية وأدوات منزلية أخرى مصنوعة من الحديد**، أو من سعف النخل، أو من بعض الأخشاب والأشجار الأخرى، كما عرف في نهاية القرن الماضي أدوات مصنوعة من البلاستيك والمطاط وغيرها[٣] .

جنوبي البلاد السعودية، ولاحظنا التشابه الكبير في طريقة البناء والعمران قديماً، مع وجود اختلاف في أسماء المواد والمصطلحات المستخدمة في هذا الميدان الحضاري : ونقول إن دراسة العمران ومقارنته في مناطق جنوب المملكة العربية السعودية موضوع يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية . للمزيد انظر: غيثان بن جريس. عسير ١١٠٠- ١٤٠٠هـ / ١٦٨٨ - ١٩٨٠م (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ، ص ٣٧-٥٨ .

(١) هذا ما سمعه الباحث من بعض المسنين في مدينة نجران ومحافظتي حبونا ويدمة عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) . كما أن هذه الأنواع من البيوت عرفت في مناطق أخرى من جنوب المملكة مثل: عسير، والباحة وبلاد الطائف وما حولها. انظر : ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ٤٠ وما بعدها، محمد هادي السلوم وآخرون، ص ٤٦ وما بعدها، موسوعة المملكة العربية السعودية، محمد (١٥)، ص ٢٤٨ وما بعدها .

(٢) لم نذكر كل الأواني أو الأثاث المنزلي، وهذا الموضوع يستحق بأن يُفرد له بحث أو دراسة مستقلة . ومن يزور بعض متاحف نجران، أو يلتقي برواة حاذقين عارفين بأسماء واستخدام الأدوات المنزلية القديمة فإنه سوف يحصل على تفصيلات جيدة ودقيقة في هذا الباب .

(٣) من يزور بعض المتاحف الأثرية في منطقة نجران، أو يتجول في القرى ويزور بعض المنازل القديمة أو الأسر التي

ب. الآبار والسدود :

منطقة نجران غنية بمياهها الجوفية، ولذا كانت الآبار من مصادر المياه الرئيسة، ولا تخلو قرية أو ناحية من البلاد النجرانية من آبار تتراوح في أطوالها وفوهاتها . وقد وقفت على عدد من الآبار في مدينة نجران ووادي حبونا فوجدت أغلبها مطوية بالحجارة، وأعماقها تتراوح من (١٥- ٣٠ وربما أربعين متراً) ، وكانت جميع هذه الآبار هي الأساس في السقيا والزراعة[١] . وتنوع تضاريس نجران جعلها مناسبة لإنشاء بحيرات أو سدود تحجز المياه من الضياع[٢] .

ج. أبنية ومرافق معمارية أخرى :

الذاهب الآيب في نجران، ثم القارئ في بعض كتب الرحالة المسلمين وغير المسلمين، أو بعض الكتب والبحوث المنشورة ، وكذلك المطلع على بعض وثائق القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ، وبخاصة الحضارية منها يجد أنواعاً من العمارة لم يتم الإشارة إليها في الصفحات السابقة، وهي على النحو التالي :

١. **القرى القديمة المتناثرة في عموم منطقة نجران**، التي غلب على معظمها الخراب والاندثار، إلا أن معالم الكثير منها لازالت ماثلة للعيان، مثل: هياكلها الرئيسة، وأزقتها، وبعض الآبار الموجودة فيها، أو القريبة منها، وكذلك ملحقاتها من الأحواش أو بعض المرافق الأخرى[٣] .

٢. **المدرجات الزراعية في مرتفعات نجران أو أجزائها الغربية :** وهذه المدرجات قليلة الارتفاع ومواد بنائها متواضعة، مقارنة بالبلاد السروية الممتدة من أبها حتى

مازالت تحتفظ ببعض الأدوات القديمة فإنه سوف يلحظ أعداداً كثيرة من تلك الأدوات التي اندثرت وأصبحت فقط تحتفظ كصورة من التراث الحضاري . وهناك فجوة كبيرة بين الأجيال السابقة وأجيال اليوم التي لا تعرف من تراث الأوائل أي شيء .

(١) في العقود المتأخرة انتشرت الآبار الارتوازية في أنحاء نجران، وهذه الآبار أثرت كثيراً في غور المياه، وأحياناً جفافها، ففي السابق كانت تحفر البئر لأمتار معدودة ويتم العثور على الماء، أما اليوم فالارتواز ينزل في الأرض عشرات وأحياناً مئات الأمتار ولا يتم الحصول على شيء، وهذه السلبية تكاد تكون في جميع نواحي المملكة العربية السعودية، وهذا ما رأيته في عسير، وجازان، ونجد، والقصيم وغيرها. للمزيد انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥) ص ٦٢ وما بعدها ومن يطلع على بعض المصادر التاريخية القديمة أو المبكرة، أو يتأمل في بعض الدراسات الأثرية التي صدرت حتى الآن عن نواح عديدة في نجران يجد أسماء آبار قديمة جداً، ولازال بعضها معروفاً بأسمائها حتى اليوم.

(٢) تنوع تضاريس نجران من مرتفعات ومنخفضات جعلت أهلها يحرصون على بناء حواجز ترابية وحجرية لحفظ المياه واستخدامها للري والسقيا . ونلاحظ اليوم وجود عدد من السدود في عموم منطقة نجران، ومن أهمها سد وادي نجران الذي ساعد على حفظ مياه كثيرة عادت بالنفع والخير على البلاد. وهذا السد يعد من السدود الكبيرة في المملكة العربية السعودية، وقد خرج عنه بعض البحوث والدراسات التي فصلت الحديث عن كيفية بنائه، وعن آثاره الإيجابية على حاضرة نجران . زار الباحث هذا السد عدة مرات واطلع على دراسات عديدة منشورة عن هذا المورد المائي المهم .

(٣) مشاهدات الباحث، بالإضافة إلى كثير من التفصيلات عن بعض قرى نجران في بعض كتب الرحالة مثل: فؤاد حمزة، وفيلبي،وفيليب ليبنز وغيرهم . وللمزيد عن كثير من الرحالة الذين زاروا نجران، انظر، غيثان بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران) (الرياض : مطابع الحميضي، ٣٢-١٤٣٣هـ/١٠-٢٠١١م) ، ج٣، ص ٣٢١-٣٩٤ .

الطائف، التي يظهر عليها الارتفاعات العالية والمتانة. ومن فوائد المدرجات الزراعية الحفاظ على تربة المزارع من الانجراف، وكذلك تحديد كل مزرعة بحدود معروفة [(١)].

٣ـ الأحمية، ومفردها (حمى)، وهي الأسوار التي تحدد بها بعض النواحي في الجبال والأودية بهدف استخدامها للرعي أو جمع الحطب. ولا تخلو بعض نواحي نجران من هذه الأحمية التي تعود ملكيتها إلى قرى أو عشائر أو أسر محددة، وهم الذين يتولون حمايتها واستخدامها. والأحمية معروفة عند العرب قبل الإسلام وبعده، ونجد العديد من المصادر التاريخية المبكرة والوثائق الحديثة والمعاصرة تشير إلى أسماء أحمية أو (محاجر) في جميع أنحاء جنوب الجزيرة العربية، وقد شاهدنا في العقود الثلاثة الماضية بعضاً من هذه الأحمية في نجران، وعسير، وجازان، والباحة والطائف وغيرها [(٢)].

٤ـ الطرق، والدارس لتاريخ وطبوغرافية نجران، يجد أنها عرفت طرقاً تجارية قديمة كانت تربط هذه الناحية مع أقاليم عديدة في الجزيرة العربية. وهناك طرق أخرى داخلية تربط القرى بعضها مع بعض، بل تربط القرى بالبوادي والسهول بالمرتفعات، ونجد في العديد من وثائق القرن (١٤هـ/٢٠م) أسماء قرى ومزارع وأسواق والطِرق التي تربط بينها، بل نجد اتفاقيات بين بعض العشائر أو القرى أو الأسر تحدد طرقاً وممرات تربط بين بعض النواحي. وجميع هذه الطرق كانت ترصف وتصان من قبل المستفيدين منها.

٥ـ الأسواق : وهي من الميادين الاقتصادية التي اهتم بها النجرانيون، فأوجدوا لها المواقع الطبيعية، وحددوها بمعالم معينة وأسسوا لها القواعد والاتفاقيات التي تساعد على حمايتها واستمراريتها [(٣)].

٦ـ المقابر، المتجول في منطقة نجران يطلع على آثار كثيرة تعكس كثيراً من المقابر المتعددة، والدارس لتاريخ نجران السياسي والحضاري يجد أنها بلاد ذات حضارة عريقة، فقد وصل إليها الكثير من الأجناس البشرية، ووقع فيها الكثير من الحروب والصراعات الإنسانية. والناظر في منطقة الأخدود يرى الكثير من الأبنية الخاصة بالمقابر في هذه الناحية، ناهيك عن القبور والمقابر الأخرى في أنحاء حاضرة نجران ومحافظاتها مثل: شرورة، وبدر، وحبونا، ويدمة وغيرها [(٤)].

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن تاريخ المدرجات الزراعية في اليمن وبلاد السراة، انظر جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بغداد : جامعة بغداد ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ج٧، ص ٢٤ وما بعدها، ابن جريس، عسير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ)، ص٥٥.

(٢) جولات الباحث ومشاهداته في هذه النواحي منذ عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) حتى الآن. وموضوع الأحمية في جنوبي البلاد السعودية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ميدان جدير بالبحث والدراسة.

(٣) هناك عشرات الوثائق التي ذكرت أسواقاً في نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهناك رحالة عديدون أشاروا إلى بعض الأسواق التي زاروها في النصف الثاني من القرن الهجري الماضي، وذكروا أنها كانت عامرة ببضائعها، وروادها، وأبنيتها. وتاريخ أسواق نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جديد يستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية.

(٤) مشاهدات الباحث وجولاته في نواح عديدة من بلاد نجران، خلال عامي (١٤٢٤هـ، ١٤٣٤هـ/ ٢٠٠٣، ٢٠١٣م).

٧ـ العمارة الحديثة : أما عمارة نجران الحديثة، فمن الصعب الحديث عنها في سطور، لأن النهضة العمرانية شملت جميع القطاعات في البلاد النجرانية، وبخاصة منذ نهاية القرن الهجري الماضي حتى وقتنا الحاضر. والسائح في أرض نجران يشاهد عمارات كبيرة، ومتعددة الأدوار والمرافق، ناهيك عن تزويقها وجمالياتها وأثاثها فهو موضوع واسع ويحتاج إلى عدة مجلدات . ونجد في منطقة نجران جميع أنواع العمارات مثل البيوت والقصور الخاصة، والأبنية الحكومية، والشركات والمؤسسات التجارية، والفنادق والشقق المفروشة، والمطار، والقواعد العسكرية، والسدود، والطرقات المعبدة، والأسواق التجارية المتنوعة في أشكالها، وأهدافها، وأحجامها، وغيرها من الأبنية الصغيرة والكبيرة، والغالية والرخيصة، والواسعة والضيقة[١] .

٢ـ الطعام والشراب :

الأطعمة والأشربة في نجران محلية، وربما جلبت بعض المواد الغذائية من اليمن أو عسير أو الحجاز، وفي الصفحات التالية ندون بعض الأطعمة والأشربة الرئيسة حسب موادها الأساسية، وهي على النحو التالي :

أ ـ الأطعمة :

١ـ الأطعمة من الحبوب والبقوليات :

(*) **الدخن :** من المحاصيل الزراعية النجرانية الرئيسة وكان أهل البلاد يفضلون زراعته لسرعة زرعه وحصده واستعماله بدلاً من زراعة القمح والذرة فهما يحتاجان إلى مدة أطول في زراعتهما، وأصبح الدخن اليوم من الأعلاف الرئيسة للأغنام [٢] .

(*) **القلية**[٣] **:** حب الذرة أو القمح وأحياناً الشعير يحمص على النار ثم يؤكل وطعمه لذيذ، وغالباً تؤكل في أوقات السمر أو السفر أو رعي الأغنام . وقد تطبخ هذه الحبوب وتؤكل بدلاً من قليها على النار[٤] .

(*) **القرص :** عجين من القمح يوضع على الجمر ثم يدفن بالرماد حتى يستوي ويصبح جاهزاً للأكل، ويعرف النوع الصغير منه بـ (الحرير) ، وفي بعض مناطق عسير يسمى (المسيلة) . وهناك أقراص تجهز على الصاج، أو في الفرن الكهربائي، أو الميفا، وأقراص الميفا تعرف أيضاً باسم (الفطير) [٥] .

دراسة مقابر نجران وآثارها موضوع يستحق إلى أن يصدر عنه عشرات الدراسات التاريخية والأثرية، ونأمل من جامعة نجران أن تتولى هذا الأمر بالتمويل والإشراف والرعاية .

(١) تاريخ العمران في نجران خلال الأربعة العقود الماضية (١٣٩٥هـ ـ ١٤٣٥هـ/ ١٩٧٥ ـ ٢٠١٤م) موضوع جديد في بابه ويحتاج إلى العديد من الدراسات العلمية الأكاديمية، ونأمل أن تقوم جامعة نجران بذلك.

(٢) مشاهدات الباحث في عامي (١٤٢٠هـ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٠، ٢٠٠٣م).

(٣) مقابلة مع هادي بن مساح في محافظة حبونا في شهر ذي الحجة عام (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م). وهذا الغذاء معروف عند أهل عسير والباحة وجازان وغيرها من مناطق جنوب المملكة العربية السعودية .

(٤) الباحث عرف هذا النوع من الطعام في بلاد بني شهر من منطقة عسير في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٥) مقابلات للباحث مع عدد من الأشخاص في نجران وعسير خلال العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) .

(*) **العصيدة** : تصنع من حبوب الذرة، وتخلط بالماء أو اللبن، ثم تطبخ على نار هادئة مع التحريك بعود خشبي يسمى (المسوط، أو المسواط) ، وبعد نضجها تقدم في أوانٍ من الخشب أو الفخار، ويصب عليها السمن والعسل، أو اللبن، أو المرق [١].

(*) **الخشيفة (الخضير)** : تصنع من حب الشعير، وبخاصة عندما يكون أخضر فيطبخ ثم يؤكل ويشرب مرقه.

(*) **المرضوفة** : يعمل هذا الطعام من حبوب البر، ويستخدم معها السمن والطحين بعد حرقهما بالنار، وغالباً يكون لها رائحة طيبة، وتعرف في بعض مناطق عسير باسم (الحماشة) ، وربما استخدم طحين الذرة في عمل هذه الوجبة[٢].

(*) **القعنون** : يصنع من عجين القمح، يوضع على صخرة أو صاج ثم يشوى من فوقه بالحطب أو سعف النخل، وبعد أن ينضج يؤكل مع السمن أو الحليب أو الإدام [٣].

٢. الأطعمة من اللحوم ومشتقات الحليب :

(*) **الحميسة** : وتؤخذ من لحوم الأضاحي، فيقطع الشحم واللحم قطعاً صغيرة، ثم يطبخ مع الشحوم حتى ينضج، ثم يبرد ويخزن لفترة طويلة، ويؤخذ منه عند كل وجبة قدر الحاجة، ويقدم منه للضيوف، وربما طال خزنه واستخدامه لمدة عام، ولا يصيبه خراب أو عفن [٤].

(*) **النشوفة أو الزومة** : طحين من الذرة أو الشعير يغلى مع الحليب أو اللبن، وهذا الطعام مثل الشربة التي نعرفها اليوم، وتقدم غالباً للمرضى لسهولة هضمها [٥].

(*) **جلود البقر أو الجمال** : نتيجة للفقر الذي عاشه الناس في القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، كان البعض منهم يلجأ إلى تجفيف جلود البقر أو الجمال ثم شويها وأكلها[٦].

---

(١) وربما أطلق على هذا الطعام اسم (العيش) ، وهذه المسميات في نطاق الأسرة، وغالباً يقدم في وجبتي الغداء أو العشاء. وهناك نوع من العصيدة يطلق عليه في بعض نواحي عسير اسم (المشغوثة) ، ويعمل بكميات كبيرة ويقدم في المناسبات العامة مثل: الأعياد، والزواج، والختان .

(٢) الباحث شاهد هذا النوع من الطعام، وأكل منه في منطقة عسير في العقد التاسع من القرن (١٤هـ/٢٠م) .

(٣) وهذا النوع من الخبز شبيه بخبز الفطير الذي يعمل في التنور (الميفا) ، وهو من الأطعمة الجيدة واللذيذة .

(٤) هذا النوع من الطعام كان معروفاً عند معظم سكان الجزيرة العربية، وهم يحرصون على إعداده وخزنه لندرة اللحوم، ويعرف في بعض مناطق الباحة وعسير باسم (القورمة) . وكان هناك طعام آخر يعرف باسم (القديد) وهو تجفيف اللحم، ثم استخدامه وقت الحاجة . مشاهدات الباحث لهذه الأنواع من الأطعمة في مناطق عسير وجازان والباحة ونجران في نهاية القرن الهجري الماضي وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) .

(٥) عرف هذا النوع من الطعام في الباحة وعسير باسم (الفرقة او الفروقة) أو (الحسوة) ، والأولى سائلة جداً، والثانية ثقيلة بعض الشيء وسيولتها أقل من الأولى . مشاهدات الباحث في أبها والنماص في بداية هذا القرن الهجري (١٥هـ/٢٠م) .

(٦) الدارس لحياة الفقر في نجران وغيرها خلال القرن الهجري الماضي، يجد أن الناس كانوا لا يتورعون من أكل لحم الميتة أو الأشجار والأعشاب والأوراق وأحياناً الزواحف وغيرها.

(*) **المحض:** كمية من حليب الأبقار، أو الأغنـام، أو الإبل. وتقوم المرأة النجرانية بوضع كمية من الحليب في القدر وتضعه فوق النار ثم تضيف عليه بعض الطحين والبهارات لفترة قصيرة، ويقدم للضيوف، أو لأفراد الأسرة مع الخبز، وربما يقدم بدون شيء[١].

(*) **الأقـط:** تقوم المرأة النجرانيـة بمخض حليب الأغنام أو الأبقار لمدة طويلة في (المخاضـة) [٢] حتـى تتكون زبـدة الحليب، ثم تجمع وتكور وتترك حتـى تجف ثم تؤكل أو يؤتدم بها.

٣. الأطعمة من مواد أخرى:

(*) **هنـاك أطعمـة عديدة تجلب عن طريق التقاط بعض الأوراق أو الثمار، أو بالصـيد مثل:** الحمام، والطيور، والغـزلان، والوبران. أما الجراد فكان يتواجد بكثرة في نجران وعسير وغيرها، وكون هذه الحشرة تضر بالمزروعات، إلا أن الناس كانوا يفرحون بقدومه، لأنهم كانوا يصيدون منه الشيء الكثير، ثم يجفف ويؤكل وقت الحاجة [٣].

(*) **الربيكة:** يصنع من التمر الذي يغلي لفترة طويلة ثم ينتزع منه النوى، ويحفظ لاستخدامه طعاماً وأحياناً علاجاً لمن يشتكي من آلام في بطنه[٤].

(*) **تمر السـدر:** ويسـمى بالدوم، يلتقطه المزارعون من تحت أشجار السدر، ويأكله أفراد الأسرة وقت الحاجة[٥].

(*) **الملـح:** لجأ أهل نجران إلى تجميع الملح من أطراف بعض العيون، وذلك لندرته قديماً، ثم يترك في الشمس لمدة قصيرة، بعدها ينقى ويصبح صالحاً للاستعمال.

(*) **الرُّبّ:** يصـنع من التمر بعد إزالة النوى، ويوضـع في ماء ويغلى على النار حتى يـذوب تمامـاً ويتحول إلى سـائل، ثم يخـزن في أوعية من الجلد تسـمى (العكة، وجمعها عكاك) ويؤخذ منه وقت الحاجة[٦].

---

(١) هذا النوع من الطعام شبيه بطعام الفرقة أو الحسوة أو الزومة. والناس قديماً يلجأون إلى هذا الطعام لقلة ذات اليد والفقر الشديد الذي كان يعيشه كثير من البشر.

(٢) تعرف في عسـير بـ (الشـكوة)، وهي إناء مصنوع من الجلد يوضع فيه الحليب ثم يهز لبعض الوقت بهدف فصل اللبن عن الزبد.

(٣) في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) شـاهد الباحث جحافل كبيرة من الجراد، وكان الناس يسـعون إلى اصـطياد أكبر كمية منه من أجل تخزينه والاقتيات به.

(٤) وهذا النوع من الطعام عرف في بعض نواحي جنوب المملكة العربية السعودية باسم (المرسة).

(٥) لم يكن ثمر السدر هو الوحيد الذي يلتقط، وإنما هناك ثمار كثيرة مثل: التين الشوكي، والتمر، والعنب وغيرها من الفواكه والخضروات والثمار المتوفرة في منطقة نجران.

(٦) هذا الطعام قريب من طعام الربيكة، وربما عرف أيضاً باسم (الدبس)، وهو عصير التمر.

ب. الأشربة :[(١)].

يعد الماء الأساس في الحياة، والحليب والألبان من الأشربة الرئيسة التي عرفها النجرانيون، وهناك أشربة أخرى نذكر بعضها في السطور التالية:

(*) **القهوة (البن) :** القهوة من السلع الرئيسة التي كانت تصدر إلى مناطق نجران وجازان وعسير والباحة[(٢)]، ومن ثم فهي من المشروبات الرئيسة عند أهل البلاد.

(*) **العجم (نوى التمر) :** عدم توفر القهوة جعل بعض النجرانيين يجمعون نوى التمر، ويحمص حتى يصير لونه أسود، ثم يطحن ويستخدم بدلاً من القهوة[(٣)].

(*) **القرض:** يؤخذ أجزاء من شجر القرض، فيطحن ويصفى، ثم يطبخ مع الماء، ويبرد ويشرب منه في الصباح، وأكثر من يشربه المرضى بقرحة المعدة[(٤)].

(*) **مشروبات أخرى :** هناك العديد من المشروبات التي عرفها أهل نجران مثل: شرب المرق، أو طبخ بعض النباتات أو الأشجار وشرب مياهها مثل: الزيتون (العتم)، والملوخية، وخضروات أخرى عديدة[(٥)].

وهناك عشرات الأواني والأدوات التي استخدمت للطعام والشراب، ومعظمها يصنع من الأخشاب، أو الفخار والأحجار، أو الجلد، أو الحديد، وأحياناً البلاستيك . وأغلب تلك الأواني مصنوعة محلياً، وبعضها يستورد من أسواق عسير أو الحجاز أو بعض حواضر اليمن الكبرى[(٦)].

وإذا نظرنا في أطعمة النجرانيين اليوم، وجدناها تنوعت وفاضت في المنازل والأسواق والمطاعم وفي كل مكان، وأصبحنا غير قادرين على رصدها وتفصيل الحديث عن طرق جلبها وطهيها لكثرتها وتنوعها . والمقارنة بين الأطعمة القديمة ومحدودية أنواعها، غير

---

(١) تاريخ الأشربة والأطعمة في نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جدير بالدراسة، حبذا أن نرى إحدى طالباتنا أو طلابنا في برنامج الدراسات العليا في قسم التاريخ . بجامعة الملك خالد فيتخذه موضوعاً لرسالة الماجستير أو الدكتوراه .

(٢) يوجد في مكتبتنا مئات الوثائق التي تذكر استيراد القهوة وغيرها من السلع من اليمن إلى نواح عديدة في بلاد نجران وتهامة والسراة. نأمل أن نجد الوقت حتى نخرج هذه الوثائق في دراسة علمية موثقة .

(٣) مقابلة الباحث لبعض النجرانيين في مدينة نجران في عامي (١٤٢٠هـ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٠م، ٢٠٠٣م) .

(٤) تسخير الطبيعة في خدمة الطب، واستعمال الكثير من النباتات والأشجار في العلاج موضوع مهم وكبير ويستحق أن يفرد له دراسة علمية مستقلة . ونأمل من جامعة نجران أن تدعم وتشجع المتخصصين فيها حتى ينجزوا دراسات علمية تخدم أهل البلاد.

(٥) من خلال الاطلاع على بعض المراجع والوثائق التي تحدثت عن التاريخ الاقتصادي والمالي والسياسي في نجران خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وجدنا ذكر العديد من الأطعمة والأشربة التي كانت تعرف في الأسواق التجارية أو كانت تقدم على موائد بعض الأعيان والأمراء والوجهاء في نجران.

(٦) من يزور بعض الأسر النجرانية ويسأل عن أدوات الطعام والشراب القديمة، أو من يزور بعض المتاحف النجرانية سوف يشاهد الكثير من تلك الأواني القديمة، التي أصبحت اليوم من التراث، وحل محلها أدوات جديدة ومستوردة من داخل وخارج المملكة العربية السعودية .

أطعمة وأشربة اليوم التي صُدرت إلى البلاد من كل مكان . وكذلك تعدد أنواعها، ومكوناتها، والقائمين عليها وبخاصة في المطاعم التجارية فجميعهم وافدون من خارج البلاد(١).

٣. اللباس والزينة :

نجـران بلـد تجاري قديم، جلبـت إلى أسـواقه الكثير من السـلع مثل: المنسـوجات، والأقمشـة، وأدوات الزينة وغيرها . وألبسة النجرانيين وزينتهم في القرن (١٤هـ/٢٠م)، كانت على النحو التالي :

أ. اختلاف الألبسة بين البوادي والحواضر، فأهل الحاضرة كانوا يلبسون بعض الألبسـة والزينة المتعددة والمتنوعة في أحجامها وأشكالها. أمـا البدو فكانوا أقل في مستوى اللباس وتنوعه، وذلك لقلة ذات اليد، وظروف ترحالهم وتنقلهم فتجدهم يرضون بالقليل من الألبسة التي تستر عوراتهم(٢).

ب. يختلف اللباس بين النساء والرجال، فكان كالتالي :

(*) **اللباس الخارجي للرجال والنساء :** يلبس الرجل الثوب الأبيض أو الملون، وله فتحة على الصـدر، تفتح وتقفل بواسـطة أزرار، أو خيط داخلي ضيق، ويلبس على الرأس (غترة) يلفها كالعمامة، ومعظم الرجال لا يلبس العقال إلا في المناسـبات الخاصة . كما كان بعض الرجال يلبس ثوباً ضـيقاً يسـمى (الزند) وهو من القماش الأبيض، وأكمامه قصـيرة . ويلبس البـدوي النجراني (المنديـل) وهو ثوب من قماشـ أبيض خفيف، وذو أكمام مفتوحة وطويلة وواسعة من الأسفل، وأحياناً تشمر وتربط خلف الرقبة، وهذا النوع من الثياب من الموروث النجراني القديم(٣).

أمـا لباسـ المرأة النجرانية فهو المندب أو المكمم، وهو ثوب أسـود من قماش يسـمى الطاقة، ذو اتسـاع شـديد في الأسفل، ويضـيق كلما ارتفع إلى الوسط، وله أكمام عريضة جداً، يصـنع من طاقـة نيلية، وحولها قماش أبيض، ويوضـع له أكمـام طويلة تختلف عن أكمـام الثوب العادي، وتسـمى قديماب (المورجات) (٤). وقد تلبس المـرأة فوقه ثوباً آخراً يسـمى(المزند)، وهو ثوب يصنع من الأقمشـة الملونة، وأكمامه عادية، وأضيق من أكمام المكمم، والوسط ضيق ويتسع كلما نزل إلى الأسفل، وله فتحة في الصدر، ويزين بالزخارف،

---

(١) إيجاد دراسـة مقارنة للأطعمة والأشربة في نجران خلال القرن (١٣-١٤هـ/١٩/٢٠م) موضوع جديد ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية.

(٢) الناظـر في كتب الرحالة الذين قدموا إلى نجـران في القرن (١٤هـ/٢٠م) مثل: فؤاد حمـزة، وفيلبي، ويحيى بن إبراهيم الألمعي، والبلادي يجدهم أشاروا إلى بعض ألبسة أهل الحضر والبدو، ويؤكدون على بساطتها، وبخاصة عند الفقراء وعامة الناس بعكس الأعيان والأمراء والشيوخ والوجهاء .

(٣) هذا النوع من الثياب شاهدته عند آباء وأجداد بعض طلابي النجرانيين خلال زيارات عديدة إلى نجران في أعوام (١٤٢٠هـ، ١٤٢٤هـ، ١٤٣٤هـ / ٢٠٠٠م، ٢٠٠٣ م، ٢٠١٣م) . كما شاهدته في بعض متاحف نجران الشعبية .

(٤) ويحيط بصـدر هذا اللباس زخارف من خيوط صـفراء وحمـراء، وهو لباس محبب إلى المـرأة النجرانية قديماً، وبعضهن تمتلك أكثر من واحد ، وما زالت النساء النجرانيات الكبيرات يحرصن على اقتنائه وادخاره .

وبعضها يكون له فتحة من أعلى الرقبة على الظهر. وغالباً تلبسه المرأة في البيت في أوقات الراحة، وعند الخروج خارج المنزل تلبسه فوق المكمم .

وتلبس المرأة الخرقة على رأسها، وهي قطعة بسيطة من القماش الأسود أو البني القاتم، وبعضها وبخاصة القديمة تزين أطرافها بالفضة، وهذا اللباس يغطي الرأس والرقبة معاً . وهناك لباس آخر يسمى (القطابة) وهو قطعة من القماش الأسود مستطيلة الشكل، توضع على الرأس فوق الخرقة، وأحياناً تكون أطرافها متدلية على الظهر. والخيط: وهو مصنوع من شعر الأغنام والإبل، يوضع فيه حلقة من الفضة والودع الأحمر، وذلك للزينة ووضعه على الرأس، وقد يؤدي نفس وظيفة القطابة فيلف على الرأس فوق الخرقة، ولكن لا يستخدمه إلا كبار السن من النساء[1] .

ويلبسون في الأقدام نعالاً تسمى (الحذايا) تصنع من الجلد وأحياناً من البلاستيك، وربما كان هناك حذايا من سعف النخل. وحذايا الجلود أكثر استخداما، مع أن أسواق نجران لا تخلو من حذايا تستورد من الحجاز خلال النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وكانت تستخدم من قبل الأغنياء والأعيان والأمراء والوجهاء، أما عامة الناس وبخاصة الفقراء منهم فلا يستطيعون اقتناءها لارتفاع أسعارها[2] .

أما الأطفال فألبستهم بسيطة لا تتجاوز لفات بسيطة عند ولادة المولود . وإذا ترعرع وكبر يلبس ثوبا بسيطا في نوع قماشه . ومن يقارن النصف الثاني للقرن (١٤هـ/٢٠م) مع نصفه الأول يجد أن الألبسة عند الرجال والنساء والأطفال كانت أفضل في النصف الثاني، وذلك بسبب استقرار البلاد، ودخولها في حوزة حكومة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل، وفي نهاية القرن نفسه تزايدت السلع في الأسواق، وكانت الألبسة من أكثر البضائع المتوفرة في تلك الأسواق [3] .

(*) **اللباس الداخلي للرجال والنساء :** اكتفى النجرانيون في أوائل القرن (١٤هـ/٢٠م) بالألبسة الخارجية، ونادرا من يلبس ملابس داخلية لندرتها أوعدم وجودها، ومع تحسن الأوضاع الاقتصادية وبخاصة في النصف الثاني من القرن نفسه صار هناك من يلبس السراويل، والأزر الداخلية، بل أصبحت بعض الألبسة الداخلية متوفرة في الأسواق، وصار هناك خياطون محليون يقومون بصنعها وتصديرها إلى الأسواق[4] .

---

(١) أثناء زيارتنا نجران عام (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) شاهدنا هذا النوع من الألبسة في بعض المتاحف الخاصة في منطقة نجران . ونقول إن دراسة تاريخ اللباس والزينة في منطقة نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جديد ويستحق أن يكون عنوانا لرسالة ماجستير أو دكتوراه .

(٢) من خلال اطلاعنا على كثير من الوثائق التجارية والاقتصادية التي يعود تاريخها إلى الخمسينيات والستينيات من القرن الهجري الماضي وجدنا أن أسواق نجران كانت مليئة بالألبسة المختلفة مثل: العباءات، والأردية، والجباب، والعمائم، والفراء وغيرها. ونقول إن تاريخ الصادرات والواردات من وإلى أسواق نجران خلال القرن الهجري الماضي موضوع جديد وجدير بالدراسة .

(٣) هذا ما عرفناه من خلال الوثائق الاقتصادية التي تحدثت عن تاريخ نجران في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وسمعناه من بعض الرواة الذين عاصروا الأحداث التاريخية في النصف الثاني من القرن نفسه .

(٤) الدارس لأوضاع نجران الاقتصادية منذ سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) يجد أن الألبسة المتعددة والمتنوعة أصبحت متوفرة في الأسواق الأسبوعية النجرانية، كما أن الحصول على الألبسة المختلفة أصبح أسهل وأيسر عما كان الوضع عليه قبل ذلك التاريخ.

(*) **الزينة عند الرجال والنساء:** يتزين الرجل النجراني ببعض الألبسة الجديدة وبخاصة في الأعياد والمناسبات، والجنبية أو الخنجر زينة أساسية عند رجال نجران. ويلبس الحزام عادة وعليه الجنبية، ويسمى أيضاً المسبت، ويكون له فتحات يحفظ فيها رصاص البندق. والطيار وهو شبيه بلباس الحزام، إلا أن الأول يلبس في الوسط، والآخر يوضع على الكتف، والحزام والطيار من أدوات الزينة التي تلبس في الاحتفالات العامة والأعياد، وأوقات الحروب[١]. أما البندقية فتعد من أهم مقتنيات الرجل النجراني، وعرف منها العديد مثل: العربيات وتسمى أبو فتيل، أو المقمع ويستخدم معها البارود فقط، وأم تاج ومنها القصير والطويل، والشرفاء ولها خمس رصاصات في وقت واحد، والكنده والبلجيكي لهما أيضا خمس رصاصات، والهطفاء والشرفاء برصاصة واحدة [٢].

أما النساء فهن أكثر تزيناً من الرجال، وغالبية زينتهن بعض الحلي والمجوهرات التي تلبس على الرأس أو في الرقبة أو على الصدر وفي الوسط. ومن تلك الألبسة الخروص أو الأقراط المصنوعة من الفضة أو النحاس وأحياناً من الذهب، وتلبس في الأذنين، والمعروي: وهو عقد يلبس على الصدر. والشميليات: وهي قطع فضية تلبس في المعصم، والخواتم في أصابع اليد، والمحرز: وهو أنبوبة أسطوانية مزخرفة يتدلى منها عدد من السلاسل الفضية، ويعلق في الرقبة متدليا على الصدر وربما سميت المرتعشة وتصنع من الذهب أو الفضة، وهناك أحزمة نسائية أخرى، ومنها المصنوع من جلد الأغنام، ويوضع به ربطة من الجلد الملون، وتكون مهدبة وتسمى (العثاكل) وتعرف باسم حزام أبي راس، ومن هذه الأحزمة ما هو مجدول الخصلات بشكل فني جميل، و منها ما هو يصنع من الفضة أو الذهب، وهذا النوع الأخير غالي الثمن، ولا يستطيع امتلاكه إلاّ قلة من الناس، وبخاصة الأغنياء والمقتدرين مادياً [٣].

وهناك حلي وألبسة عديدة تلبسها المرأة النجرانية عند زواجها، وغالبية تلك الألبسة أقمشة وحلي من الذهب أو الفضة[٤]. كما لبست المرأة الشابة البرقع على وجهها، أما النساء الكبيرات فكن يلبسن (الملثم) وهو قريب في شكله من البرقع [٥]. وتتطيب النساء بالبخور الجاوي، وبعض العطور، ويستخدمن الكحل في العين، ويدهن رؤوسهن بالسمن أو زبدة الأغنام أو الأبقار، ويضعن على الرأس الريحان وبعض النباتات العطرية، ويغتسلن بالماء المخلوط بالسدر أو أوراق بعض النباتات التي تساعد على النظافة، ويتجملن في شعورهن وأيديهن وأرجلهن باستخدام الحناء[٦].

---

(١) مقابلات مع عدد من رجال نجران عام (١٤٢٤هـ، و١٤٣٤هـ / ٢٠٠٣م، ٢٠١٣م).

(٢) هذا ما شاهده الباحث في بعض بيوت نجران أو بعض المتاحف الشعبية هناك.

(٣) مقابلات الباحث مع عدد من طلابه في نجران وكان بعضهم قدم دراسات في حياة أهل نجران الاجتماعية عندما كانوا طلاباً في جامعة الملك سعود - فرع أبها، أو جامعة الملك خالد خلال العقدين الثاني والثالث من القرن (١٥هـ/٢٠م).

(٤) ومثل هذا النوع من اللباس يطلق عليه في نجران اسم (الفن).

(٥) هذا ما شاهده الباحث في بعض بيوت نجران أو بعض المتاحف الشعبية هناك.

(٦) دراسة التاريخ الاجتماعي في نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جديد ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية.

أما الرجل فيغتسل بالماء وأوراق السدر، ويستخدم الكحل في العينين، وغالباً ما يكون هـذا الكحل هـو الإثمد، وللمحافظة على رائحة الفم وتنظيف الأسـنان يسـتعمل سـواك الأراك، أو البشام.

ومنـذ ثمانينيات القـرن (١٤هـ/٢٠م)، تطورت أنواع الألبسـة والزينـة، وتزايدت الأسـواق، وكثر الخياطون والنساجون والصـباغون، ولم يأت العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) إلا وفاض الخير في الديار النجرانية، وصار الرجال والنساء يقتنون أنواعاً عديـدة مـن الألبسـة وأدوات الزينة، وأصبحت الألبسـة القديمة من الموروث الشعبي، وحل محلها ألبسـة وأدوات زينة حديثة، وصـارت أسـواق نجران مليئة بالأقمشة والألبسة المسـتوردة من داخل وخـارج البلاد، ناهيك عن ألبسـة القدم، أو الألبسـة الداخلية فهي الأخرى كثيرة ومتنوعة في أحجامها وأشكالها وأنواع صنعها [١].

ثالثاً: ورقات من تاريخ نجران التجاري خلال العصر الحديث[٢].

م	العنوان	الصفحات
١ -	الطرق التجارية	٤٣٦
٢ -	الأسواق	٤٣٩
٣ -	الصادرات والواردات	٤٤٣
٤ -	الأسعار	٤٤٤
٥ -	بعض التعاملات التجارية	٤٤٩
٦ -	أهم المعوقات التجارية	٤٥٦

تمتـاز نجران بعـدة عوامل سـاعدتها لتكون منطقة تجارية نشـطة، ومـن أهم تلك العوامل، ما يلي :

أ- موقعها التجاري، فهي تربط بين بلاد اليمن والسروات واليمامة، وبالتالي كانت محطـة تجارية مهمة لكل من يفـد من تلك النواحي، والباحـث في كتب التراث الإسـلامية المبكـرة، أو بعض المواقـع الأثرية النجرانية، فإنه يجد شـبكة طرق رئيسة كانت تصل بين نجران وأجزاء عديدة في الجزيرة العربية [٣].

(١) إيجاد دراسة مقارنة بين الألبسة والزينة قديماً وحديثاً موضوع يستحق أن يفرد له العديد من البحوث والدراسات العلمية الموثقة، وهو موضوع جدير بالبحث والاهتمام.

(٢) عندمـا نقول العصـر الحديث فالمقصـود بذلك القـرن (١٤هـ/٢٠م)، وربمـا امتد بنا الحديـث إلى ذكر وقفات تاريخية تجارية نجرانية خلال الثلاثة عقود الماضية من هذا القرن (١٥هـ/٢٠/٢١م)، مع أن الحديث عن تجارة هذا القرن تحتاج إلى عشرات الدراسات والبحوث العلمية .

(٣) للمزيد عن هذه الطرق انظر كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين الأوائل، وانظر أيضاً بعض الدراسات الأثرية التي خرجت عن بلاد نجران خلال المئة سنة الماضية، أو ما كتبه المستشرقون والرحالة الأجانب في مدوناتهم المنشورة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) .

ب. جودة مناخ نجران، وخصوبة أراضيه الزراعية، ووفرة ثرواتها الحيوانية كانت من الأسباب الرئيسة لنشاط الحياة الاقتصادية وبخاصة في المجال التجاري والزراعي[١].

ج. وفرة المياه في نجران، وعمقها التاريخي والحضاري جعل الكثير من تجار الجزيرة العربية، والحجاج الذاهبين العائدين بين اليمن والحجاز يتخذون من هذه البلاد محطات للاستراحة مع ممارسة بعض النشاطات التجارية في أسواقها الأسبوعية الرئيسة[٢].

١. الطرق التجارية:

أشار بعض الجغرافيين والمؤرخين القدامى إلى طرق الحج والتجارة التي تربط نجران مع بلاد اليمن، واليمامة، والبحرين، والحجاز، والسروات منذ عصور ما قبل الإسلام، وعبر حقب التاريخ الإسلامية المبكرة والوسيطة[٣]. وإذا حصرنا دراستنا على طرق نجران التجارية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبداية هذا القرن(١٥هـ/٢٠م)، فهي على النحو التالي:

أ. الطرق الخارجية: تصل الطرق التجارية إلى نجران من ثلاث جهات (الشمال، والغرب، والجنوب)، أما جهة الشرق فإن الرمال لم تترك مجالاً لطرق معلومة مطروقة، ومن الطرق التجارية الخارجية الرئيسة ما يلي:

١. طريق خميس مشيط نجران، وكان طريقاً وعراً لصعوبة التضاريس التي يمر بها فهو يخرج من خميس مشيط على وادي طريب، ثم الصبيخة(بلدة ابن شفلوت القحطاني)، ثم الأمواه من بلاد تثليث، ثم الحصينية في أسفل وادي حبونا، ثم الروضة في أسفل وادي نجران[٤].

---

(١) بلاد نجران بحاجة ماسة إلى دراسة أوضاعها الزراعية عبر عصور التاريخ منذ ما قبل الإسلام حتى وقتنا الحاضر، نأمل أن تقوم جامعة نجران بإنشاء مراكز بحثية علمية تهتم بأحوال المنطقة النجرانية الزراعية، وغيرها من الجوانب الحضارية الأخرى.

(٢) يجد الدارس للتاريخ السياسي والحضاري النجراني من قبل الإسلام،وعبر عصور الإسلام بأن هذه البلاد مأهولة بالسكان، وثرية بأحداثها التاريخية السلبية والإيجابية، ومن ثم كانت ميداناً للحراك الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي. للمزيد انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية، مج (١٥)، ص ٨٩ وما بعدها، انظر: عدداً من مؤلفات غيثان بن جريس التي صدرت عن بلاد نجران خلال السنوات العشر الماضية. وبلاد نجران مازالت جديرة بالبحث العلمي الموثق، ونأمل من الباحثين في علوم الآثار والتاريخ والحضارة أن يخصصوا بعض بحوثهم لهذه البلاد الغنية بتاريخها وحضارتها.

(٣) من أولئك الجغرافيين والمؤرخين الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب)، وكتب المسالك لابن خرداذبة، والاصطخري، والبكري، وابن حوقل، والحربي، وابن المجاور في تاريخ المستبصر، والإدريسي في كتاب (نزهة المشتاق) وعدد آخر من كتب اليمن والحجاز المحلية. للمزيد انظر غيثان بن جريس. نجران (دراسة تاريخية حضارية) (ق١. ق٤هـ/ ق٧. ق١٠م)، (الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ج١، ص٣٢٠ وما بعدها، انظر: فيلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، المجلد الأول، ٤٢١ وما بعدها. وموضوع التجارة وطرقها في القرون الإسلامية والوسيطة لازالت بحاجة إلى دراسات وبحوث علمية موثقة، ونأمل من الباحثين وطلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بجامعات المملكة العربية السعودية أن يولوا هذا المجال أهمية في بحوثهم ودراساتهم الأكاديمية.

(٤) انظر حمد ناصر حسين الصقور وآخرون. التجارة في نجران: دراسة تاريخية مختصرة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م). بحث تاريخي لنيل درجة البكالوريوس، جامعة الملك خالد (١٤٢١-١٤٢٢هـ). (نسخة من هذا البحث توجد ضمن

٢. طريق من القابل على ضفاف وادي نجران حتى ميناء عدن في اليمن، يخرج من الجهة الجنوبية شمال منطقة الأخدود ويتجه جنوباً مع السرو إلى سقام، ويدخل الحدود اليمنية مروراً ببلاد وائلة إلى سوق العنان، وهو ضمن بلاد حاشد وبكيل الهمدانية، ثم يواصل الطريق سيره إلى وادي أملح حتى يصل منطقة الجوف، ثم سُفيان إلى ريدة، ويمر بجبل يطلق عليه (ذيفان) ، ثم يقطع صحراء كبيرة تسمى (شرقة) ، وكان يهلك في هذه الصحراء الكثير من القوافل لعدم وجود الماء فيها، ولم يكن فيها أي ساكن، ومن هناك يتصل الطريق ببلاد صنعاء، ثم يواصل إلى ذمار وسحول بن ناجي مروراً بصعفان ويخترق وادي ظهر إلى أن يصل إلى حراز ثم غرب تعز إلى المخا ثم عدن[(١)] .

٣. طريق الموفجة غرب نجران إلى صعدة، وكانت القوافل تستغرق يومين في هذا الطريق، وهو يخرج من الموفجة حتى يجتاز عقبة رفادة، ثم مضيق مروان، ومنها إلى رهوان بالقرب من النقعة التي هي أول قرى سحار، ثم يصل إلى أول بلاد الصعيد المحيط بصعدة، ومنها كان تجار نجران يستقبلون معظم بضائعهم اليمنية[(٢)] .

٤. طريق يخرج من نجران إلى الحصينية، ويتفرع منها إلى فرعين، أحدهما : يتجه إلى بلاد الدواسر، ثم الأفلاج حتى يصل إلى اليمامة (نجد) ، ثم بلاد الخليج العربي . والآخر: يسير نحو الطائف ومدن الحجاز الأخرى، ثم الشام ومصر[(٣)] .

٥. طريق يخرج من نجران إلى بلاد جرش (عسير) ويقطعها المسافر في يومين وربما ثلاثة أيام مروراً ببلاد وادعة وسراة عبيدة وأحد رفيدة حتى خميس مشيط ثم أبها . وكثير من السلع اليمنية كانت تصدر إلى عسير وبلاد السروات من هذه الطريق . ومن ينظر في وثائق القرن(١٤هـ/٢٠م) السياسية والاقتصادية والإدارية يجد أن

مكتبة د.غيثان ابن جريس العلمية، رقم ٢٩٢) ص٢٣ وما بعدها، مقابلة شخصية مع حسين بن حسن آل زليق في مدينة نجران (١٤٢١/١٢/٢٧هـ) . وهذه الطرق المذكورة أعلاه تخرج من خميس مشيط إلى عموم بلاد عسير والقنفذة والباحة والطائف ومكة. كما أن الباحث سلك هذه الطريق النجرانية في عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) فوجدها معبدة، لكنها لازالت وعرة في حزونها ومسالكها وبخاصة في بلاد الأمواه وما بعدها حتى وادي حبونا .

(١) مقابلة مع حسين بن حسن آل زليق في نجران (١٤٢١/١٢/٢٧هـ) . هذه الطريق كانت مسلوكة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، والعقدين الأولين من هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) ، ثم فتحت بعض الطرق المعبدة التي تخرج من نجران إلى أجزاء عديدة من اليمن.

(٢) مقابلة مع حسين بن حسن آل زليق في نجران(١٤٢١/١٢/٢٧هـ) ، للمزيد انظرحمد ناصر الصقور وآخرون، التجارة في نجران، ص٢٥ وما بعدها . والدارس للتاريخ السياسي والإداري لبلاد صعدة ونجران خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة يجد أن الصلات الحربية والحضارية كانت مستمرة بين الناحيتين . وكم نحن في حاجة ماسة إلى إخراج بحوث علمية عن الصلات السياسية والحضارية بين نجران وصعدة عبر العصور الإسلامية المختلفة . وهذا الباب لم يخدم ولازال يحتاج إلى من يقوم بدراسته دراسة موثقة .

(٣) هذا الطريق يعود إلى ما قبل الإسلام وعبر عصور الإسلام المختلفة، وقد أشار إليه بعض المؤرخين والجغرافيين الرحالة المسلمين الأوائل . ونقول إن الطرق الخارجية والداخلية التي تربط نجران مع غيرها جديرةٍ بالبحث، حبذا أن نرى أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا في جامعة الملك خالد فيتخذ هذا الموضوع عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه، وهو موضوع جديد ويستحق البحث والدراسة.

ظهـران الجنوب في بلاد وادعة كانت من أهم المحطات التي تستقبل السلع اليمنية وتصدرها إلى بلاد عسير والباحة والقنفذة ومدن الحجاز الرئيسة[1] .

ب. الطرق الداخلية : لم تكن الطرق الداخلية أقل أهمية من الطرق الخارجية، لأنها تربط أجزاء نجران وأسواقها الأسبوعية، بل إنها من الأشياء الملحة للفرد النجراني، كي يمارس حياته المعيشية، حتى يستطيع كسب رزقه، ومن تلك الطرق ما يلي :

١. الطريق المتصلة بالطريق الخارجي الذاهب إلى بلاد جرش (عسير)، ويبدأ من هدادة مرورا بالحصينية إلى نجران عند الروضة أسفل الوادي، ثم إلى ظلما مرورا بالدارة ثم تصلال فالغويلة ثم العريسة إلى ناحية صاغر، التي يوجد بها سوق الثلاثاء، ثم يتجه هذا الطريق شمالا حتى يلتقي بالطريق الخارجية المتجهة إلى ظهران الجنوب في بلاد وادعة [2] .

٢. طريق يخرج من قرية الموفجة إلى زور وادعة، ويمر بالمخلاف الأعلى إلى سلوى، ومن سلوى يتفرع هذا الطريق إلى عدة فروع . أحدها : يذهب من سلوى إلى قرية آل عقيل ثم الحضن فالجربة حتى يتوقف في سوق الخميس بالقابل. والثاني : يخرج من سلوى إلى العان حيث يوجد سوق الأربعاء الذي يقع في بلاد الشيخ ابن نصيب. والثالث : من سلوى إلى المنصورة وبلاد بني سلمان شرقا، ثم يتجه شمالا حتى سوق الأحد في دحضة، بعد مروره بسوق الإثنين في ديار بني سلمان. ويتضح لنا أهمية ناحية سلوى وما يتفرع منها من طرق تجارية تربط بعض أسواق منطقة نجران [3] .

٣. يمر هذا الطريق من الحصينية نحو الطريق الخارجي الذاهب إلى اليمامة (نجد)، ويسير إلى ناحية خباش، والشرفة، ثم يتجه غربا حتى يلتقي بالطريق المؤدي إلى رجلاء ثم القابل، ثم يسير غربا إلى الجربة، ثم يتجه شمالا حتى سوق الأحد في دحضة . ويعد هذا الطريق من أهم الطرق النجرانية الداخلية[4] .

٤. هذا الطريق يأتي من بلاد اليمن (صنعاء) مرورا ببلاد وائلة حتى منفذ الخضراء الحدودي، ثم يتجه غربا حتى يصل الشرفة متجها إلى القابل . وهناك طريق آخر

---

(١) يوجد في مكتبة الباحث مئات الوثائق التي توضح دور بلاد ظهران الجنوب في نقل البضائع بين اليمن ونجران وعسير. ونقول إن تاريخ التجارة بين نجران وعسير واليمن موضوع يستحق إلى أن يفرد له العديد من الدراسات العلمية . كما أن ظهران الجنوب جديرة أيضا إلى أن يخصص لها كتاب أو رسالة علمية وبخاصة في باب العلاقات التجارية والإدارية بين عسير ونجران واليمن.

(٢) مقابلة شخصية مع حسين محمد فردان في بلاد قحطان الجنوب في (١٤٢١/١٢/١٣هـ) كما أن الباحث سلك أجزاء من هذا الطريق في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) وشاهد آثار الطريق القديم المستخدم بالرجل والدواب مازالت ماثلة للعيان، ومثل هذه الطرق القديمة تحتاج إلى دراسات علمية تاريخية آثارية .

(٣) للمزيد انظر: حمد ناصر الصقور وآخرون . التجارة في نجران، ص ٢٧ - ٢٩ .

(٤) مقابلة مع حسين بن فردان في (١٤٢١/١٢/١٣هـ) انظر أيضا حمد ناصر الصقور، التجارة في نجران، ص٢٩ وجميع هذه الطرق كانت ترابية ومسلوكة بالرجل والدواب، وبعضها تم توسيعها في العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) وأصبحت السيارات تسلكها بدلا من الدواب .

يأتي من غرب منطقة نجران عبر عقبة نهوق مع الحضن وبلاد آل حسن ثم الجربة حتى سوق الخميس في القابل [(١)] .

٥. يأتي هذا الطريق من بلاد وادعة مرروا بالثوايلة حتى يصل إلى الغثمة والشرى ثم بئر عسكر حتى يصل سوق آل فاطمة في صاغر [(٢)]، ثم يسير إلى المخلاف، وهي الناحية التي تسمى اليوم بالخالدية في مدينة نجران، ثم يسير غربا مع عكام محاذيا لوادي نجران حتى يصل دحضة ويمر بقرية البطحاء متجها جنوبا، ثم يعود غربا مع شعب آل سوار إلى أن يصل إلى ديار بني سلمان[(٣)] .

٦. يسير هذا الطريق من بدر الجنوب إلى نجران، ويتصل خارجياً ببلاد شريف وسنحان في بلاد قحطان من منطقة عسير . ويمر على الخانق، وينزل إلى نعمان ويترك وادي حبونا ناحية اليسار، ويواصل السير حتى يصل سوق الثلاثاء في صاغر من بلاد الشيخ أبو ساق [(٤)] .

٢ـ الأسواق :

كانت الأسواق الأسبوعية قديماً هي السائدة، ويسمى السوق في الغالب باسم اليوم الذي يقام فيه، فيقال: سوق الجمعة، أو سوق السبت، أو سوق الأحد، وهكذا، كما أن القبيلة أو العشيرة التي يقام السوق على أرضها هي المسؤولة على حماية السوق والمتسوقين. ولم تكن الأسواق قديما مقصورة على البيع والشراء فحسب، إذ يتم فيه النظر في جميع حاجات المسؤولين عنه والمرتادين له، فهم يزاولون البيع والشراء، ويتبادلون فيه الآراء، ويتناقلون الأخبار، ويتم فيه الوعظ والإرشاد . وبعض الأسواق يكون فيها مكان مرتفعا يسمى (الراية) يستخدم للوعظ، وكان أهل نجران يستخدمون مثل هذا المكان في رفع راية أو علم أبيض لمن فعل أمراً حميداً ليشكره الناس، وأحياناً يرفعون علماً أسوداً لمن غدر ولم يف بالتزاماته نحو عشيرته أو غيرها[(٥)] .

وقد عرفت نجران الأسواق المتخصصة، داخل السوق الرئيسي فالسوق الواحد يقسم إلى عدة أسواق، وكل منها قائم بذاته على بيع وشراء سلعة معينة، فهناك سوق الحطب،

---

(١) المراجع نفسها .

(٢) المراجع نفسها .

(٣) المراجع نفسها .

(٤) أشرنا إلى أهم الطرق، ويلحظ المتجول اليوم في مدن وقرى منطقة نجران آثار عشرات الطرق الداخلية التي تربط أجزاء القرية الواحدة بعضها مع بعض، وطرق أخرى تربط القرى المتجاورة، وهناك طرق تربط بين الأجزاء المرتفعة والسهلية، وطرق أخرى تربط المزارع مع القرى، والأرياف والبوادي مع الحواضر . ودراسة الطرق التجارية الداخلية والخارجية في منطقة نجران موضوع مهم وجدير بالاهتمام بحثياً .

(٥) جواد علي، المفصل، ج٧، ص ٣٦٥ وما بعدها، غيثان بن جريس (تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى) " مجلة العصور (دار المريخ، مج (٩)، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ج١، ص٦٥ وما بعدها . للمؤلف نفسه (١) "دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام " مجلة الدارة (الرياض، رجب، وشعبان، ورمضان، ١٤٢٥هـ) ص (٢٠) عدد(٤)، ص٤٠ وما بعدها .

وسوق الحيوانات، وسوق الحبوب، وسوق الأقمشة، وسوق التمور وغيرها . ويقوم أصحاب الحرف بمزوالة مهنهم في السوق كالحدادين، والجزارين، والخياطين، والحمالين، والنجارين، والدباغين[١] . وهناك أسواق وحوانيت دائمة وبخاصة في النصف الثاني من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ونجد فيلبي يتحدث عن سوق يوم الخميس في وسط بلدة نجران فيذكر تنوع السلع المعروضة فيه، وكان النساء يشاركن الرجال في التسوق والبيع والشراء، وهناك التجار من اليمن وبلاد السروات يرتادون هذا السوق ويمارسون التجارة والمقايضة لسلع وتجارات عديدة[٢] .

ومن الأسواق الأسبوعية التي عرفها النجرانيون خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، ومن أهمها ما يلي:

أ. سوق الأحد في دحضة : سمي هذا السوق باسم اليوم الذي ينعقد فيه (الأحد) ويعقد في قرية دحضة التابعة لعشيرة الصقور، ويحده من الشمال الجبل، ومن الجنوب الوادي، ومن الغرب جبل يسمى جبل الخلقة، ومن الشرق الرهوة . وعشيرة الصقور تتكون من عدة فخوذ[٣] . وتتناوب هذه الفخوذ أسبوعيا في حماية ورعاية هذا السوق . ويشغل السوق مساحة تتراوح ما بين (٣ـ ٤ كم٢) . وفي وثيقة يعود تاريخها إلى عام (١٣٩٣هـ) نجد عشيرة الصقور تدون قاعدة للسوق وتنظم فيها حركة البيع والشراء، وحفظ الأمن، وعدم نشر الخوف والفوضى بين المتسوقين، كما وضعت عقوبات رادعة وصارمة على من يخل بأمن السوق وقوانينه[٤] .

ب. سوق الاثنين : يقام السوق يوم الإثنين في أرض عشيرة بني سلمان، وفي موقع يسمى (المراطة)، أو العويضة والغبشان حاليا . ويحده من الشمال عشيرة آل هتيلة، ومن الجنوب آل ساعد، ومن الغرب آل سدران، ومن الشرق آل سوار وآل مشرف[٥] . ويتولى الإشراف والحماية على هذه السوق قبائل بني سلمان، المكونة من عدة فخوذ[٦] ، ويرجعون في مشيختهم إلى الشيخ ابن منيف . وهناك قوانين وشروط دونتها واتفقت عليها عشائر بني سلمان، ومنها:

---

(١) للمزيد انظر غيثان بن جريس، نجران (ق١ـ ق٤هـ / ق٧ـ ق١٠م)، ج١، ص ٣٧١ ومابعدها، للمؤلف نفسه، (القول المكتوب في تاريخ الجنوب(عسير ونجران) ، ج٣، ص ٣٢٦ وما بعدها .

(٢) تحدث فيلبي عن أسواق نجران في عدة صفحات لأنه زار بعضها وتجول فيها، وتحدث مع بعض التجار، وذكر أصنافاً عديدة من البضائع المعروضة ومصادر صنعها وأسعارها. انظر مرتفعات الجزيرة العربية (الترجمة العربية في مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥)، ج١، ص٥٢٩ وما بعدها . للمزيد: انظر، فؤاد حمزة . في بلاد عسير (الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٨٨هـ) ، ص١٨٦ـ١٨٧، غيثان بن جريس. عسير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ)، ص١٦٧ ومابعدها .

(٣) من أهم فخوذ عشيرة الصقور : آل غدير، آل الزحاف، آل عبد الله، آل حمد . المصدر: زيارة الباحث الميدانية لبلاد الصقور عام (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) .

(٤) انظر هذه الوثيقة في الصفحات الأخيرة من بحث حمد ناصر الصقور وآخرون، التجارة في نجران، ص ١١٣ . وصورة من الوثيقة توجد ضمن مكتبة الباحث (قسم الوثائق العامة) .

(٥) مقابلة شخصية مع محمد حسن آل سوار في مدينة نجران يوم الخميس (١٤٢١/١٢/٢٧هـ) .

(٦) من هذه الفخوذ : آل هتيلة، وآل سوار، وآل سدران، وبني علي، وآل ساعد، وآل مشرف . مشاهدات الباحث وجولاته في بلاد نجران عامي (١٤٢٤هـ، ١٤٣٤هـ / ٢٠٠٣م، ٢٠١٣م) .

١. من دخل السوق من غير القبائل المجاورة والحامية له فهو آمن، وفي حماية (وجه) قبيلة بني سلمان وشيخهم ابن منيف، ومن تعدى عليه فكأنما تعدى على عشائر بني سلمان كلها، ويجب عليهم أن يأخذوا له حقه ممن تعدى عليه، ويعاقبون المعتدي بالقتل أو الطرد أو تخريب البيوت والمزارع [١].

٢. من سرق أو كسر شيئاً في السوق، أو أخل بسمعة السوق فيعاقب من قبل بني سلمان وعلى رأسهم شيخهم ابن منيف.

٣. من دخل السوق وهو خائف، أو عليه دم (أي قاتل)، أو عليه ثأر مع أحد العشائر الحامية للسوق، فإنه لا يدخل السوق إلا ومع (يسر)، أي شخص من قبيلة بني سلمان يحميه ويجيره حتى يخرج من السوق [٢].

ج. سوق الأربعاء (الربوع) : يقع هذا السوق في الجزء الغربي من حاضرة نجران، ويتوسط أرض عشائر مواجد يام، ويحده من الشرق المراطة، ومن الغرب سلوى، ومن الشمال شعب بران، ومن الجنوب وادي نجران، ومساحته حوالي (٣-٤كم ٢). وسمي سوق الأربعاء لأنه يقام يوم الأربعاء، ويتعاقب على حمايته والإشراف عليه أسبوعياً خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) بعض العشائر، مثل: آل حارث، وآل مر، وولد عبد الله، وغيرهم [٣].

وهذا السوق وغيره من الأسواق السابقة تعرض فيها جميع السلع المحلية، ويصدر إليه الكثير من البضائع القادمة من اليمن أو من بلاد السروات، أو بعض موانئ البحر الأحمر الشرقية مثل: عدن، وجازان، والقنفذة، وجدة، وكذلك بعض السلع الأخرى التي تصدر من أسواق الحجاز الرئيسة إلى عسير وجازان ونجران [٤].

د. سوق الخميس : هذا السوق من أهم وربما أكبر أسواق نجران الأسبوعية، لأن

---

(١) مثل هذه القوانين تكاد تكون سائدة ومتشابهة عند عموم قبائل جنوب الجزيرة العربية. وهذا ما وجدته في كثير من الوثائق التاريخية التي أشارت إلى تاريخ بعض الأسواق في صنعاء، ونجران، وجازان، وعسير، والباحة، والطائف، والقنفذة.

(٢) يذكر أن هذا السوق كان من أنشط أسواق نجران خلال العقود الستة الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، ثم تلاشى حتى أصبحنا لا نجد له ذكراً في المراجع والوثائق التاريخية. وهناك عشرات الأسواق التي مازال أهل نجران يذكرون أسمائها وأماكنها، لكنها اندثرت واختفت معالمها. وتاريخ الأسواق في منطقة نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) جديرة بأن تفرد بكتاب أو بحث علمي مستقل، وهذا الموضوع جديد في بابه، كما أن جمع مادته أسهل من القرون السابقة للقرن الهجري الماضي، وذلك لوجود بعض الرواة الذين يذكرون تفصيلات عن بعض الأسواق، أو وجود مراجع أخرى أو آثار بقايا لبعض الأسواق المندثرة.

(٣) جولات للباحث في بلاد مواجد يام في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). مقابلة مع صالح بن علي الصنبوح في (١٤٢١/١١/٢٨هـ). للمزيد انظر، حمد ناصر الصقور وآخرون، التجارة في نجران، ص ٤٥-٤٦.

(٤) العلاقات التجارية بين نجران وما جاورها من البلدان خلال القرنين (١٣هـ-١٤هـ/ ١٩-٢٠م) موضوع جديد في بابه ويستحق أن يكون عنوناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية، حبذا أن نرى أحد الباحثين من جامعات الملك خالد، أو نجران أو بيشة فيتولاه بالدراسة والتحليل.

الذي يتولى رعايته وحمايته من أكبر قبائل نجران، وهم آل هندي [١]. وسمي يوم الخميس لانعقاده كل خميس من كل أسبوع. ويقع هذا السوق في بيحان، ومساحته تقريباً (٤.٥كم٢)، وحدوده من الشرق بئر الفريج لعشيرة آل مطيف، ومن الغرب مغيضة التابعة لعشيرة آل مطيف، ومن الشمال الجدايد، وأم الزوايا التابعة لآل قراد، ومن الجنوب محضة ومدورة لآل سنان، وجميع هذه العشائر المحيطة بالسوق من قبيلة آل هندي [٢].

هـ. سوق الجمعة: سمي هذا السوق بالجمعة لانعقاده يوم الجمعة من كل أسبوع، ويقام على أراضي قبائل آل فاطمة، وتحت حماية شيخ هذه القبائل الشيخ أبو ساق [٣]. ويقع هذا السوق في مكان يسمى صاغر في الجهة الشمالية من حاضرة نجران، ويحد السوق من الشمال شليا، ومن الجنوب أبا الرشراش، ومن الشرق الأثابية، ومن الغرب شعب همام، ويمتاز هذا السوق بموقع استراتيجي، فهو يتوسط عدد من العشائر النجرانية [٤]. وكان هناك بعض الشروط التي يفرضها حماة هذا السوق على من يرتاد سوقهم، ومنها:

١. الحفاظ على أمن السوق، حتى يمارس مرتادوه تجاراتهم ومهنهم بسهولة وأمان، ومن يخل بهذا الشرط فإنه عرضة لأشد العقوبات من قبل عشائر آل فاطمة اليامية.
٢. هناك العديد من الاتفاقات والعقوبات المعروفة والمحدودة التي تطبق على من ينشر الفوضى في أرض السوق، أو يقوم بممارسة أي عمل يربك السوق والمتسوقين [٥].

---

(١) ويتولى المشيخة العامة على قبيلة آل هندي اليامية الشيخ ابن منيف، ومشيخة هذا البيت تعد من المشيخات الرئيسة في منطقة نجران.

(٢) وهناك حدود أوسع تحيط بسوق الخميس هي: من الغرب حيد حليس، وهذا الحيد في ناحية الجربة، ومن الشمال وادي نجران، ومن الجنوب حدود بلاد وائلة مع آل هندي. جولات الباحث في ديار عشائر آل هندي عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). للمزيد مقابلة مع حسين حسن آل زليق في نجران في (١٤/١٢/١٤٢١هـ).

(٣) هناك مشيخات رئيسة في بيوت معروفة ومشهورة مثل: آل أبو ساق، وآل نصيب، وآل منيف وغيرهم. وهذه الأسر تولت مشيخات قبائلها منذ عشرات السنين، ومن ثم فلها سجل تاريخي كبير، وهناك الكثير من الوثائق والمدونات عن هذه البيوت، وهي جديرة إلى أن يفرد لها دراسات تاريخية موثقة، نأمل من أبناء هذه الأسر أن يحرصوا على جمع تاريخهم وتدوينه، كما نأمل من الباحثين والمؤرخين المنصفين أن يكتبوا عن تاريخ هذه الأسر وما قدمت من إسهامات في بناء تاريخ وحضارة منطقة نجران.

(٤) جولات للباحث في أرض السوق عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). والملاحظ على أسواق نجران الأسبوعية أنها اندثرت، ولم يصبح لها أهمية ورواجاً كما كانت في القرن (١٤هـ/٢٠م). وإذا درسنا وضع هذه الأسواق وأهميتها في القرن (١٤هـ/٢٠م) وجدنا أنها كانت الجامعة الرئيسة التي يجتمع فيها الناس فيتبادلون فيها التجارات، والأخبار، والثقافات وبخاصة في العقود الثمانية الأولى من ذلك القرن ومنذ ثمانينيات القرن(١٤هـ/٢٠م) حتى القرن الحالي بدأت تتراجع أهميتها حتى أصبحنا لا نرى ولا نجد لها ذكراً ملموساً كما كانت في قرون هجرية ماضية.

(٥) هناك روايات عديدة عن حروب وعقوبات طبقت على من انتهك حرمة هذا السوق وغيره من أسواق نجران الأسبوعية. ومن تلك الروايات حرب قديمة وقعت بين آل فاطمة ممثلة في بيت المشيخة أبوساق، وآل هندي ممثلة في بيت ابن منيف، والسبب وقوع صراع بين رجلين من القبيلة في سوق الجمعة التابع لآل فاطمة، وعلى إثر ذلك قامت الحرب بين القبيلتين استمرت عدة سنوات، ثم اصطلحوا بعد أن سقط عشرات القتلى وتدمير الكثير من العقار والممتلكات. تاريخ أسواق نجران الأسبوعية ودورها في الحياة السياسية والإدارية خلال القرن (١٣هـ أو ١٤هـ/ ١٩، ٢٠م) موضوع جديد ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية، نأمل من أحد طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ بالمملكة العربية السعودية أن يتخذه موضوعاً لأطروحته العلمية في رسالة الماجستير أو الدكتوراه.

٣. يشترط على من يرتاد السوق، وبخاصة التجار، أن يدفعوا مبالغ مالية لأصحاب السوق (آل فاطمة)، وذلك مقابل حمايتهم وبضائعهم وما يمتلكون من السلع، أو النقود[١] .

هكذا كان وضع الأسواق الأسبوعية النجرانية قديماً، ولازال هناك أسواق أخرى عديدة في عموم منطقة نجران وهي جديرة بالبحث والدراسة والتنقيب[٢] . والمتجول في أنحاء منطقة نجران اليوم، يجد تلك الأسواق قد اندثرت وحل محلها الأسواق التجارية الحديثة المنتشرة في كل صقع من أصقاع البلاد. وليس هناك وجه مقارنة لأسواق اليوم مع أسواق الماضي، ولكن أسواق الماضي تعكس صورا من تاريخ وحضارة الأوائل، ويجب على جامعة وإمارة نجران، وكذلك الهيئة العليا للسياحة أن تصون وترمم وتحافظ على مواقع الأسواق القديمة التي تعكس جزءا مشرقاً من حياة الآباء والأجداد [٣] .

٣. الصادرات والواردات:

هناك صادرات وواردات عديدة بين أهل نجران أنفسهم، فأهل البادية يصدرون إلى أسواق الحواضر النجرانية السمن، واللبن، والحطب، والمواشي، والصوف، وغالبا يقايضونها مع سلع أخرى مثل: التمر، والقمح، والذرة، والشعير ، والتمور، والزبيب، والسمن، وأحياناً بعض المواشي[٤] . مثل: الأغنام، والماعز، وبعض الصناعات الحديدية، أو الخشبية، أو الجلدية[٥] . والكثير من هذه السلع يصدر إلى بعض مناطق اليمن مثل صعدة وما جاورها، وإلى أسواق جازان، وبلاد عسير. وفي حوزتنا بعض الوثائق التي تشير إلى تصدير كثير من هذه السلع إلى أسواق ظهران الجنوب، وسراة عبيدة، وخميس

---

(١) هذا النوع من المدفوعات ضرائب تفرضها القبيلة التي تتولى الإشراف على السوق . مقابلة شخصية مع صالح بن ريحان آل مسعد في نجران في (٢٣. ٢٤/١١/١٤٢١هـ). ونقول إن دراسة حركة الأسواق الأسبوعية في نجران، وأنواع لبضائع فيها، والقائمين عليها، وحركة الصادرات والواردات منها وإليها، والأسعار والأجور فيها، ودور هذه الأسواق ثقافياً وإعلامياً . وحضارياً محاور مهمة وجديرة بالبحث والدراسة . حبذا أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد فيدرس هذا الموضوع خلال القرنين (١٣هـ أو ١٤هـ/١٩م.٢٠م). وهو عنوان مهم وجديد ويوجد عنه الكثير من الوثائق والروايات والأقوال الجديدة التي لم يسبق دراستها أو نشرها.

(٢) يلاحظ الذاهب في أنحاء قبائل بلاد نجران آثار بعض الأسواق الأسبوعية التي اندثرت، وهي بحاجة إلى صيانة وترميم .

(٣) اندثار الأسواق الأسبوعية صفة عامة في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية، وقد شاهدنا العديد من الأسواق التاريخية في جازان، وعسير، والباحة، والحجاز، قد أصابها الخراب، فلا أحد يصونها ويحافظ عليها، ومن ثم فإن صفحة من صفحات التاريخ الحضاري لهذه البلاد اندثر وضاع (والله المستعان) .

(٤) هذا ما سمعه الباحث من بعض الرواة المسنين في نجران عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) . وهناك العديد من وثائق الخمسينيات والستينيات في القرن (١٤هـ/٢٠م) تذكر العديد من السلع المحلية التي تعرض في أسواق نجران، وتباع على جميع شرائح المجتمع البدوي والحضري . يوجد في مكتبة الباحث عشرات الوثائق التي ترصد العديد من تلك السلع، مع ذكر أسعار بعضها .

(٥) شاهد الباحث أثناء زيارته العديد من متاحف نجران الشعبية، بعض من تلك الأدوات التقليدية المصنوعة محلياً. وموقع نجران الجغرافي، ونشاط أسواقها الأسبوعية، ووفرة مياهها وثرواتها الزراعية والحيوانية جعلها من المناطق التجارية الرئيسة في الجزيرة العربية . المصدر: تفصيلات كثيرة في الوثائق والمراجع، وما سمعناه من بعض الرواة في منطقة نجران.

مشـيط في منطقة عسير، وإلى بعض أسـواق صبيا وبيش في منطقة جازان، وربما صُدرت بعض هذه السلع إلى تثليث ووادي الدواسر وأسواق أخرى في نجد[١] .

ونجد حجم الواردات أكبر من الصـادرات، وذلك لحاجة أهل البلاد إلى الكثير من البضـائع المسـتوردة من نواح عديدة في الجزيرة العربية. ومن تلـك الورادات الهيل والبن بأنواعه (الخولاني، والأبيض، والأحمر)، وكل هذه السلع تستورد من بلاد اليمن. وتستورد أيضـا سلع القرفه، والشاي، والسـكر، والزنجبيل، والقشر من حواضر اليمن وموانئها[٢] ، ويتـم اسـتيراد التوابل، والهـرد، والكمون، والفلفل الأحمر والأسـود، والملـح، والعطور، والعودة، والبخور من الهند أو بلاد إفريقيا وتصل إلى موانئ اليمن أو بلاد الحجاز وعسير ثم تُصدر إلى أسواق نجران والسروات[٣] . وهناك بعض السلع تصدر من عسير أو جازان وأحيانـا من بلدان اليمـن إلى نجران: مثل: الأبقـار، والأغنام، والإبـل، والحمير، والمر، والسمسم، والعسل، والقاز[٤] . وغالبية الألبسة والأقمشة وأدوات الزينة، وأنواع عديدة من الأسـلحة، وبعض أدوات الطبخ، والزراعة، وحرف الرعي والصـيد والتجارة كانت تصدر إلى نجران من مواطن عديدة في الجزيرة العربية مثل: مدن الحجاز الرئيسـة، وحواضر اليمن، وموانئ وأسـواق بلاد نجران وتهامة والسراة الكبيرة، وأحيانا من وسط وشمال أو شرق الجزيرة العربية[٥] .

٤- الأسعار:

الأسـعار من الموضوعات الاقتصادية الجديرة بالدراسـة، ولدينا العديد من الوثائق غير المنشـورة التـي يوجد بها تفصـيلات جيدة عن الأسـعار والأجـور في منطقة نجران خلال الخمسـينيات والسـتينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)[٦] . وفي هذه الصفحات ندون

---

(١) تاريخ التجارة الداخلية والخارجية في منطقة نجران خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) موضوع جيد ويستحق أن يكون عنوانا لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية لدرجة الماجستير أو الدكتوراه، ونأمل من الباحثين الجادين في جامعة نجران، أو في منطقة نجران أن يتولوه بالدراسة العلمية التوثيقية .

(٢) مقابلة الباحث مع عدد من التجار النجرانيين والعسـيريين الذين مارسـوا التجارة في نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م). وهناك عدد من المراجع والوثائق تؤكد صحة ما ذكرنا .

(٣) العلاقات التجارية الخارجية بين نجران وجازان وبلاد اليمن أو إفريقيا وجنوب شرق آسيا خلال القرون الثلاثة الماضية موضوع جديد ويستحق أن يكون عنوانا لكتاب أو رسالة علمية .

(٤) هذا ما سمعه الباحث من بعض التجار النجرانيين والقحاطين والشهارين في منطقة عسير. ومعظم أولئك التجار عملوا في مهنة التجارة خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن الهجري الماضي .

(٥) اطلع الباحث على عشـرات الوثائق التي تشـير إلى صراعات الدولة السـعودية الحالية مع الحكومة اليمنية خلال الخمسـينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وإلى صـلات منطقة عسـير وجازان العسـكرية مع نجران خلال القرن الهجري الماضـي . وجميع تلك الوثائق تحتوي على الكثير من التفصـيلات التي تذكر السـلع والبضـائع والأدوات التي كانت ترسل من الحجاز أو عسير وغيرها إلى القوات السعودية المرابطة في مناطق نجران وقحطان وغيرها. ودراسـة تاريخ تلك الصـراعات وتلك الحقبة سياسـيا وحضـاريا موضوع جيد ويسـتحق أن يكون عنوانا لعدد من البحوث العلمية الأكاديمية .

(٦) نشر كثير من هذه الوثائق في سلسلة كتابنا : القول المكتوب في تاريخ الجنوب من الجزء الثالث حتى السابع، ولازال هناك وثائق أخرى عديدة سوف ننشرها في أسفار قادمة (بإذن الله تعالى) .

بعض الأسعار لعدد من السلع النجرانية خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي، ومصادرنا في جمع مادة هذا المحور من بعض الرواة التجار النجرانيين الذين مارسوا وشاهدوا نشاطات تجارية عديدة منذ ستينيات القرن الماضي حتى بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، وهي على النحو التالي :

أ ـ أسعار بعض السلع الزراعية :

أجريت مقابلة مع السيد عبد الله مانع، أحد تجار ورجالات نجران، في (١٨/١/١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م)[١]، فذكر أن السلع الزراعية التجارية تنقسم إلى قسمين، الأول: منتوجات زراعية قليلة العرض في الأسواق مثل بعض الخضروات والفواكه . وقسم آخر من المحاصيل الزراعية التي تشكل أهمية كبيرة في الأسواق، وتقتصر زراعتها على بعض المزارعين، ولها أسعارها وزبائنها في الأسواق مثل[٢] : الحبوب(القمح، والذرة، والشعير)، فالصاع من البر في السبعينيات والثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) بسعر ريال ونصف، والصاع من الذرة بريال، والصاع من الشعير بنصف ريال . وكانت تجري مقايضة هذه السلع مع غيرها، فصاع من البر يقايض بصاعين من الذرة وثلاثة من الشعير، وربما بيع الكيس الواحد من البر بريال فرانسة من الفضة[٣] . والقهوة اليمنية يباع الصاع الواحد بأربعة ريالات، ويقايض صاع القهوة بثلاثة أصوع من البر، وصاع القشر بريالين، ويقايض بصاع وأحياناً بصاعين من القمح[٤] .

والتمور من السلع النجرانية الرئيسة ، وتمر الرجيز والبياض من أهم التمور المعروفة في منطقة نجران، والرجيز أعلى سعراً من البياض فالصاع منه بسعر ثلاثة ريالات، والبياض بريالين وربما زادت هذه الأسعار مع بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) . والزبيب الرازقي من أغلى أنواع الزبيب فالصاع بثلاثة ريالات، وهناك زبيب أقل جودة من الرازقي، والصاع من هذا النوع بريال واحد وربما هبط سعره حتى يباع بنصف ريال. والعسل يصدر إلى بلاد نجران من اليمن وعسير، ويباع الكيلو الواحد بسعر(٨-١٠) ريالات خلال ثمانينيات القرن الهجري الماضي، وقد ارتفع سعر العسل اليوم حتى إن الكيلو الواحد من النوع الجيد وصل إلى (٤٠٠- ٥٠٠) ريالاً[٥] . والسمن أحد المنتوجات

---

(١) الذي قام بإجراء هذه المقابلة بعض طلابنا في مرحلة الماجستير مثل: حمد ناصر حسين الصقور، وعلي عبد الله زبارة، وخالد محمد عبشان، وفؤاد يحيى آل منصور، ومانع على آل زليق. وللمزيد انظر:حمد ناصر الصقور، التجارة في نجران، ص ٧٢ .

(٢) المراجع نفسها .

(٣) الريال الفرانسة، هو الاسم المحلي الذي عرفت به هذه العملة في جزيرة العرب، وهو ريال (ماريا تريزا) وقيمته في بعض الأحيان اثنا عشر قرشاً عثمانياً، وهو قطعة نقدية من الفضة ضربت في النمسا عام (١١٩٥ـ١٧٨٠م)، وعرف من هذه العملة فئة أبو طاقة قيمته عشرون قرشاً، وكان هناك بعض الريالات الفرانسة المسماة بـ (أبو طيرة)، وهو يعادل عشرة قروش مصرية . انظر ابن جريس . عسير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ)، ص١٨٣ .

(٤) للمزيد انظر : حمد ناصر الصقور، التجارة في نجران، ص٧٣ـ٧٤ . وهذه الروايات منقولة عن عبد الله مانع النجراني الذي يبلغ من العمر حوالي (٩٠) عاماً ، وكانت مقابلته في مدينة نجران في (١٨ـ١٩/١/١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

(٥) تاريخ الأسعار في نجران أو في أي ناحية من نواحي جنوبي المملكة العربية السعودية خلال القرنين

الحيوانية، ومن الأطعمة الرئيسة عند أهل نجران، ومنه السمن البقري، أو سمن الأغنام، وسمن البقر أغلى من سمن الأغنام، وتتراوح أسعارها بين (٣-٧) ريالات للعكة الواحدة من ذوات الحجم الصغير[١] .

ب- أسعار بعض الصناعات اليدوية التقليدية :

هناك العديد من المصنوعات المحلية والمستوردة، وتتنوع تلك الأدوات حسب المادة الخام لصنعها، فمنها المصنوع من الجلد، أو المنسوجات والأقمشة، أو الفخار والحجارة، أو الخشب وغيرها. ومن تلك السلع، مع ذكر بعض أسعارها في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، ما يلي :

(*) **المصنوعات الجلدية : (١) الميزب :** ويستعمل لحمل الأطفال الرضع والتنقل بهم، وتستخدمه النساء، وهو من أغلى المنتوجات الجلدية، وسعر الواحد من (٣-١٢) ريالا . **(٢) الغرب:** ويستخدم لنقل المياه من مكان لآخر ويحمل على ظهور الحيوانات ويباع بما يقارب (٥-١٠) ريالاتٍ . **(٣) المشراب:** ويستعمل لحفظ الماء للشرب، ويوجد في معظم البيوت لحفظ الماء باردا، وقيمته تصل إلى (٥- ٦) ريالات تقريبا . **(٤) الشكوة:** وتستعمل لخفق الحليب بعد استخراجه من المواشي، وسعرها يتراوح ما بين (٣-٦) ريالات . **(٥) المزادة:** وتستعمل لحفظ الطعام فيها أثناء التنقل وقيمتها تبلغ حوالي عشرة ريالات تقريباً[٢] .

(*) **المنسوجات، والملابس، وبعض الأثاث:** ومنها **(١) الزولية :** وهي من أغلي أنواع المنسوجات، تحاك من الوبر، وذات أحجام مختلفة يبلغ متوسط قيمتها (١٥-٢٠) ريالا. **(٢) الحنبل :** وهو أقل من الزولية، ويصنع من النسيج العادي، ومختلف الأحجام، ومتوسط قيمته الشرائية (٥- ١٠) ريالات[٣] .

أما الملابس، فهناك ملابس رجالية وأخرى نسائية، ومن الملابس الرجالية، **(١) الثوب التقليدي:** ويعرف باسم (المذيل) وهو ثوب عادي طويل الأكمام، وسعره حوالي (٣-٤) ريالات. **(٢) الغترة أو العصابة :** وقيمتها حوالي ريالين. **(٣) العقال المقصب:** وهو عقال من القصب مرصوص بعضه فوق بعض يوضع فوق الغترة، وقيمته تتراوح من (١- ٣) ريالات حسب جودته[٤] .

أما ألبسة النساء، فمنها : (١) المكمم : وهو الزي التقليدي للنساء قديماً، وقيمته تصل إلى ريالين أو ثلاثة أحيانا . **(٢) البرقع :** ويستخدم خماراً للوجه مع إظهار العينين

(١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) موضوع جيد ويستحق أن يكون عنوان لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية .

(١) العكة : وعاء مصنوع من الجلد، والمقاس الصغير منها يحتوى على كيلو إلى كيلو ونصف من السمن . للمزيد عن نوع العكة انظر نماذج منها في بعض المتاحف السعودية الجنوبية في (الباحة، وعسير، ونجران، وجازان) .

(٢) المصدر : مقابلة مع عبد الله آل ساري في سوق نجران الشعبي في (١٩-١/٢٠/١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) . للمزيد انظر: حمد ناصر الصقور، التجارة في نجران، ص٧٦-٧٧ .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) المرجع نفسه .

وقيمتــه تصــل إلى ريــال واحــد تقريباً، وهناك أنواع رخيصــة بنصــف ريــال وربما أقل. (٣) القطابة: وتستخدم لربط الرأس وتباع بنصف ريال . (٤) المزندة: وهي من أنواع الثياب، وقيمته تتراوح من (١-٣) ريالات (٥) الخيط : وهو رباط تلفه المرأة فوق رأسها، أسود اللون، مصنوع من الصوف ذو خيوط طويلة وسعره بين (١-٢) ريالا .

أما الأثاث المنزلي فهو على النحو التالي : (١) البطانية : وتستخدم غطاء أثناء النوم وسعرها يتراوح من (٦-١٢) ريالا حسب نوعها وجودتها [١] . (٢) الطراحة: وهي من الأثاث المستخدم للنوم، وسعر القطعة الواحدة يتراوح بين (٥ وربما ٩ و١٠) ريالات (٣) المخدة : توضع تحت الرأس أثناء النوم وتبلغ قيمتها حوالي ريال وربما ريالين . (٤) المركى : صندوق مربع الشكل مغطى بغطاء من الجلد أو الإسفنج ويستخدم للاتكاء عليه أثناء الجلوس، وتزين به المجالس وتتراوح أسعار الواحد بين ريال وريالين إلى أربعة وخمسة ريالات[٢] .

(*) مصنوعات حجرية وفخارية وخشبية وحديدية وغيرها: وهي كثيرة ومتنوعة الأشكال والأسعار ومنها (١) المدهن: يصنع من الصخور ويستخدم لوضع المرق، وكذلك البر المغطى بالسمن، وسعره حوالي ريالين، وفي وقتنا الحاضر مازال مستخدما وقد تصل قيمته إلى ثمانين ريالاً[٣] . (٢) القدح: يصنع من الخشب وله مقبض، وتصل قيمته إلى ريال وريالين حسب جودته وحجمه[٤] . (٣) الزير: يصنع من الفخار، وله أحجام صغيرة وكبيرة، ويستخدم لحفظ الماء وتبريده ويوجد في جميع المنازل، وسعره من (٢-٣) ريالات . (٤) المطرح : ويصنع من سعف النخل، ويستخدم لوضع الخبز فيه أو التمر والزبيب وسعره يتراوح من نصف ريال إلى ريال ونصف . (٥) البرمة: المصنوعة من الفخار وتستخدم لطبخ اللحم وتقديمها ساخنة مع المرق وتباع بنصف ريال وأحياناً بريال واحد . (٦) الجرة: من الفخار وتستخدم لتقديم الماء للشرب وتباع بنصف ريال وربما أقل . (٧) السلاة : تصنع من الحديد وتستخدم لإعداد الخبز، وهي دائرية الشكل توضع على النار، وتستخدم معها أداة أخرى تسمى (المقشعة) تستخدم لنزع الخبز من على السلاة وتباع السلاة والمقشعة بـ (١- ٣) ريالات تقريباً . (٨) القدور: المصنوعة من الحديد أو النحاس ولها أحجام مختلفة وتستخدم للطبخ، ومتوسط أسعارها من (١- ٥) ريالات حسب نوعها وحجمها [٥]. (٩) الغضارة أو السحلة : وهي إناء لشرب الماء أو اللبن وسعرها يتراوح بين ربع ونصف ريال . (١٠) المحماس: من الحديد ويستخدم

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) مقابلة شخصية مع عبد الله عليان في سوق نجران الشعبي في (١٩/١/١٤٢٢هـ) . للمزيد انظر: حمد ناصر الصقور، التجارة في نجران، ص ٨٠ . وهذه الأسعار المذكورة أعلاه في تسعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)، وربما في بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، مع أن معظم هذه الأدوات أصبحت اليوم غير مستخدمة، وحل محلها أنواع جديدة من الأثاث المتنوع في أشكاله ومواد ومصادر صنعه .

(٣) عرفه الباحث في ثمانينيات القرن الهجري الماضي، ولازال يعرض أنواعاً من هذه الأدوات في الأسواق الشعبية في نجران وعسير والباحة وجازان . مشاهدات الباحث خلال السنوات العشر الماضية .

(٤) المرجع نفسه .

(٥) المرجع نفسه .

لحمس القهوة وسعره بين ربع ونصف ريال. **(١١) المهوى**: ويستخدم لدق القهوة والحبوب المختلفة وهو من النحاس، وله يد غليظة تدق بها الحبوب وتبلغ قيمته من ريال إلى ثلاثة ريالات. **(١٢) الدرف**: يصنع من الخشب على شكل مستطيل يثبت في الجدار، وتوضع عليه الأدوات والأغراض، ويباع بربع أو نصف الريال. **(١٣) المهجان**: يصنع من الألياف ويستخدم كسفرة يقدم عليها الطعام وسعره حوالي ربع ريال. **(١٤) المحراك أو المسوط**: عصا غليظة من الخشب تستخدم في تحريك العصيدة وسعرها بربع ريال وربما أقل. **(١٥) المركب**: يصنع من الحديد ويستخدم لحمل الفحم أو الجمر، ويستخدم للتدفئة أو للشوي، ومعه أداة أخرى تعرف بـ (الملقاط) وهي قطعة حديد على شكل حرف (V) لالتقاط الجمر، وسعره بـ (١-٢) ريالاً [١]. **(١٦) المدخن) المبخر)**: ويصنع من الفخار، ويستخدم لعملية الدخون، حيث يوضع فيه الجمر وفوقه الدخون أو العود، وسعره يتراوح من ربع إلى نصف ريال. **(١٧) التنور**: من الفخار أو الحديد ويستخدم لإعداد الخبز، ويوجد في معظم البيوت وتبلغ تكلفته من (٥-١٢) ريالا حسب حجمه ومادة صنعه. **(١٨) المرفوع**: وهو صندوق خشبي كبير يوضع في المطبخ، وتحفظ بداخله الأدوات المنزلية المختلفة وسعره يتراوح من (٢- ٥) ريالات. **(١٩) وأدوات أخرى عديدة، مثل**: الرحى بـ (١٠-١٥) ريالا، والمزودة بخمس إلى سبعة ريالات، والمصفي بعشرة ريالات تقريباً، والخرج والجونة بـ (٢-٦) ريالات، وأدوات أخرى صغيرة تستخدم ضمن أثاث المنازل، أو في ممارسة بعض المهن الزراعية والرعوية والصناعية التقليدية وأسعارها جميعا تتراوح بين الريال والخمسة عشر وربما العشرين ريالاً [٢].

ج- المواشي:

هناك أسواق خاصة بالمواشي مثل: الأغنام، والأبقار، والخيول، والإبل، والحمير وأسعارها خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن الهجري الماضي على النحو التالي:

(١) الإبل: تحتل المرتبة الأولى من حيث الأهمية، وبخاصة الذكور القادرة على السفر وتحمل المشاق، فالواحد منها تتراوح أسعارها بين (٧٠- ١٠٠) ريالا، والناقة بين (٣٠-٧٠) ريالا، ونوع من الإبل يعرف بـ (المجاهيم) وهي ذات ألوان سوداء وأسعارها بين (٥٠ - ٧٠) ريالا [٣]، والوضحية، وهي ذات لون أبيض وأسعارها بين (٥٠-٦٠) ريالا. أما الخيول فلا يملكها إلا كبار التجار وبعض الوجهاء وسعر الفرس حوالي (١٠٠- ١٢٠) ريالاً [٤]. وتوجد الأغنام (الضأن والماعز) بكثرة في نجران، وأسعارها في ستينيات القرن الماضي

---

(١) المراجع نفسها.

(٢) تاريخ الأسعار في منطقة نجران أو جازان أو عسير، أو الباحة خلال القرنين (١٣ أو ١٤هـ/١٩ أو ٢٠م) موضوع جديد وجيد ويستحق أن يكون عنوانا لرسالة ماجستير أو دكتوراة.

(٣) مقابلة مع صالح بن محمد آل جفيش، أحد تجار المواشي في نجران في (١٩-٢٠/١/١٤٢٢هـ).

(٤) هناك أنواع من الخيول الغالية، وتتراوح أسعارها خلال القرن الهجري الماضي في الآلاف وأحياناً مئات الآلاف حسب نوعها وسلالتها.

تتراوح من (١- ٥ و ٦، وربما ١٠) ريالات حسب نوع وحجم الواحد منها [١] . وأسعار الأبقار ما بين (١- ٥) ريالا للرأس الواحد [٢] . وكان التعامل بالمقايضة ساريا بين التجار، فعشرة أو خمسة عشر رأسا من الضأن تقايض بثور أو بقرة، وربما بقرتين، أو رأس من الإبل، أو بعض المحاصيل الزراعية مثل: القمح، والذرة أو الشعير [٣] .

د. بعض أدوات الزينة :

هناك أدوات للزينة عند النساء مثل: الأقراط، والأحزمة، والعصائب، والخواتم، والقلائد وغيرها، ومنها المصنوع من الذهب وهي غالية في أسعارها تدخل في مئات وربما آلاف الريالات، أما الأدوات المصنوعة من الفضة، أو الحديد أو النحاس فأسعار الواحدة منها تكون في إطار عشرات الريالات[٤] .

ومن زينة الرجال السيوف، والأحزمة والخناجر : ومنها الخنجر الحضرمي، أو اليمني، أو العماني وأسعارها تتراوح بين (٨٠- ١٥٠)، وربما (٢٠٠ و٣٠٠) ريال [٥] . والجنبية العادية وهي أداة حادة تصنع من الحديد ولها مقبض أو رأس يصنع من الخشب، أو قرون الماعز، وسعرها في السبعينيات من القرن الماضي يتراوح بين (٢٠-١٠٠) ريالا حسب نوع الحديد وجودة رأسها . وهناك سكاكين أصغر حجما من الجنبية العادية وأسعارها تتراوح بين (٥ – ٢٥) ريالا . أما البنادق فهي أنواع وجميعها مستوردة من داخل وخارج الجزيرة العربية وأسعارها منذ الستينيات إلى بداية التسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) تتراوح بين (٧٠و ١٥٠، وربما ٢٠٠) ريالا،وقد تكون أكثر من ذلك حسب حجمها ونوع صناعتها[٦] .

٥. بعض التعاملات التجارية :

(أ) العملات :

كانت عملية المقايضة الطريقة الرئيسة في البيع والشراء بالأسواق المحلية في نجران، فمرتادو الأسواق يأتون ببعض السلع التي يستبدلون بها سلعا أخرى يحتاجونها في حياتهم

---

(١) للمزيد انظر: حمد ناصر الصقور . التجارة في نجران، ص٨٥ . وقد اطلعنا على وثائق تدور في فلك العقود الوسطى من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) فوجدنا أسعار الأغنام تتراوح من (٣ و ٤ إلى ١٠ وربما ١٥) ريالا . مجموعة من هذه الوثائق توجد ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)

(٢) المصادر والمراجع نفسها .

(٣) تاريخ التجار، أو الصادرات والواردات، أو الأسعار في نجران خلال القرنين (١٣ أو ١٤هـ / ١٩. ٢٠م) موضوعات جيدة وتستحق أن تكون عناوين لأبحاث أو رسائل علمية أكاديمية .

(٤) ترى الكثير من أدوات الزينة القديمة محفوظة عند بعض الأسر النجرانية، أو في بعض المتاحف الشعبية، وأصبحت غير مستخدمة، لأنه حل محلها أنواع أخرى كثيرة من أدوات الزينة والتزين .

(٥) وهذه الأسعار خلال السبعينيات من القرن الماضي، وارتفعت بمقدار النصف وأحيانا أكثر في التسعينيات، ثم ارتفعت خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) حتى أصبح يباع بعضها بآلاف الريالات .

(٦) شاهد الباحث العديد من البنادق القديمة عند بعض الأسر في نجران وعسير وجازان والباحة، والبعض منها معروضا في بعض المتاحف الشعبية في هذه المناطق .

المعيشية . أما العملات فلم تعرف بلاد نجران عملة خاصة سُكت فيها أثناء القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م)[١]. وإنما كانت هناك بعض العملات المتداولة، والمسكوكة في مصر، أو بعض المراكز الكبرى في الدولة العثمانية، أو في أوربا وغيرها من أجزاء العالم . ومن تلك العملات، ريال (ماريا تريزا) الذي عرف محليا باسم الريال الفرانسة، وقيمته في بعض الأحيان اثنا عشر قرشا عثمانيا، وهو قطعة نقدية من الفضة، ضربت في النمسا عام (١١٩٥هـ/١٧٨٠م)[٢]. وعرف من هذه العملة فئة أبو طاقة وقيمته عشرون قرشا[٣]. وكان هناك بعض الريالات الفرانسة المسماة " أبي طيرة " وهو ما يعادل عشرة قروش مصرية[٤]. وإلى جانب ريال الفرانسة عرفت بعض العملات الأخرى، وخاصة خلال القرن الثالث عشر.، وبداية القرن الرابع عشر الهجريين مثل ثلث أبو حوتة، المصنوع من النيكل وقيمته قرش وأحيانا نصف قرش تركي[٥]. وبعض العملات التركية الأخرى كالبارة، والقرش التركي الواحد، والقرشان، والربع المجيدية[٦] (وتساوي خمسة قروش) ونصف المجيدية (وتساوي عشرة قروش)، والريال المجيدي (ويساوي عشرين قرشا) والليرة الذهبية (وتساوي مائة وعشرة قروش تركية)[٧]. ومن العملات التي عرفها النجرانيون قبل ظهور الدولة السعودية الحالية الروبية الهندية وجميع العملات المعدنية عرفت عند بعض سكان نجران وعسير وجازان باسم (البقش)[٨].

كذلك انتشر عند النجرانيين الجنيه الإنجليزي، وكان يعرف محلياً باسم (أبو خيال)، ويرغبه السكان أكثر من العملات الأخرى، وقيمته تساوي مائة وعشرين قرشا تركيا . وعرفت بعض القطع الأخرى، وتم تداولها وتسمى (One Anna) أو (Two Anna)، ويطلق عليها أيضاً اسم (أبو صرة) وقيمتها قرش تركي وقرشان على التوالي[٩].

وفي عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رغب أن تصبح للبلاد عملة خاصة بها، ففي البداية بقيت العملات السابقة تستخدم إلى جانب المقايضة بين

---

(١) انظر تفصيلات أكثر، عسيري . عسير، ص ١٢٣ ومابعدها . محمود شاكر، عسير، ص١١٣ وما بعدها . الجميعي : عسير خلال قرنين، ص٢٠ وما بعدها . ابن جريس، بلاد بني شهر وبني عمرو .ص٤٣ـ ٧١) المؤلف نفسه، عسير (١١٠٠ ـ ١٤٠٠هـ)، ص١٨٢.

(٢) انظر عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم . الدولة السعودية الأولى (القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ص٢٥٠. Cornwallis Asir, p21

(٣) عسيري، عسير، ص٤٠٧، وللمزيد من التفصيل عن تلك العملة، انظر: محمد علي مغربي . ملاح الحياة الاجتماعية في الحجاز خلال القرن الرابع عشر الهجري). ص ١٦١ـ ١٦٣، ابن جريس، عسير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ)، ص ١٨٢ ـ١٨٣.

(٤) البركاتي، الرحلة، ص ٨١ .

(٥) عسيري، المصدر السابق، ص٤٠٩ .

(٦) نسبة إلى السلطان عبد المجيد الأول ابن محمود الثاني الذي تولى دولة بني عثمان من (١٢٥٥هـ/١٨٣٩م- ١٢٧٨هـ/١٨٦١م) .

(٧) Cornwallis, Asir,p21-22

(٨) المعبدي، النظم الإدارية والمالية، ص ٩٣، للمزيد انظر: ابن جريس، عسير (١١٠٠ـ ١٤٠٠هـ)، ص ١٨٣ .

(٩) المصدر نفسه، عسيري، المصدر السابق، ص ٤١٠ . Cornwallis,Asir,p21-22

الناس، وكان الجنيه المصري الذهبي أعلى العملات قيمة في ذلك الوقت حيث كان يساوي مائة قرش، في حين كانت قيمة الجنيه الإنجليزي (٩٧،٥) قرش مصري[١]. ثم أمر بحفر كلمة (الحجاز) أو (نجد) على ريال (ماریاتريزا)، كما دون نفس الكلمات على بعض النقود الفضية العثمانية من فئة أربعين أو عشرين بارة المضروبة بالقسطنطينية سنة (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م)، والروبيات الهندية، ثم ضرب نوعان من النقود في عهد الملك عبد العزيز هما : النقود المعدنية، والنقود الورقية.

أما ضرب النقود الذهبية والفضية والنحاسية والنيكل في عهد الملك عبد العزيز، فكانت إصداراتها في السنوات التالية : ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م، و١٣٤٤هـ/١٩٢٥م، و١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، و١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م، و١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، و١٣٥٦هـ/١٩٣٧م، و١٣٧٠هـ/١٩٥٠ هـ و١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م.

ففي سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م، سكت العملة النحاسية فئة نصف، وربع القرش بأم القرى، وكان يسجل على الوجه الأول اسم الملك عبد العزيز، مع ذكر سنة السك، وفي الوجه الثاني اسم مكان السك،وهو أم القرى يليه قيمة القطعة النقدية سواءً كانت نصف قرش أو ربع قرش. وبعد أن صار الملك عبد العزيز ملكاً على الحجاز سكت عملة النيكل في عام ١٣٤٤ه،/١٩٢٥م، مكونة من فئة القرش وأجزائه، النصف والربع. وعلى أحد الوجوه كتب اسم الملك وألقابه (عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز وسلطان نجد)، وفي الوجه الآخر مقدار القطعة مدونة بالأرقام والحروف معاً، ثم سنة السك حسب التقويم الهجري[٢]. كما ضرب الملك عبد العزيز عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، النقود الفضية في مكة المكرمة من فئة الريال وأجزائه، والنصف والربع، وتحمل جميعها في الوجه اسم (عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود) وفي الهامش من نفس الوجه عبارة (ملك الحجاز ونجد وملحقاتها) بالإضافة إلى شعار المملكة وهو السيفان المتقاطعان المقلوبان داخل شبه مستطيل حوله في كل جهة من الجهتين نخلة، وفي الظهر اسم مكة المكرمة كمكان للسك ثم عام (١٣٤٦هـ) تاريخ الإصدار، بالإضافة إلى القيمة النقدية للقطعة بالحروف والأرقام سواءً كانت ريالاً أو نصفه أو ربعه، والعبارات التي تكتب هي : (ريال عربي سعودي واحد) أو (نصف ريال عربي سعودي) أو (ربع ريال عربي سعودي) . وفي نفس عام (١٣٤٦هـ/١٩٢٧م) ضربت نفس نقود النيكل التي ضربت عام (١٣٤٤هـ/١٩٢٥م) مع إجراء بعض التعديل على ألقاب الملك، فصار يكتب على الوجه (عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها) . وهكذا يتضح أن تسجيل عبارة (ملك الحجاز وسلطان نجد) وعبارة (ملك الحجاز ونجد وملحقاتها) على النقود قبل وأثناء عام (١٣٤٦هـ/١٩٢٧م) يعكس الناحية السياسية، وذلك بعد اتساع رقعة البلاد في عهد الملك عبد العزيز، وتوطيد حكمه

---

(١) المعبدي، المصدر نفسه، ص٢٠٣.

(٢) للمزيد من التفصيل انظر: محمد علي مغربي، ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز، ص١٦٤-١٦٥، المعبدي، النظم الإدارية والمالية. ص ٢٠٢-٢٠٣.

فيها[١]. وعبارة (ملك الحجاز ونجد وملحقاتها)، هي نفسها التي وردت على النقود التي سكت سنة (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م) والمدون عليها اسم مكة المكرمة، ثم جميع المعلومات (ماعدا تاريخ السك) التي ضربت على ريال الفضة الذي سك عام (١٣٤٦هـ/١٩٢٧م) وفي نفس عام (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م) ضربت أيضاً نقود النيكل من فئة القرش، ونصف القرش وربع القرش مشابهة تماماً لمثيلاتها التي ضربت في عامي (١٣٤٤هـ و ١٣٤٦هـ) ما عدا تاريخ السك فقط[٢].

وبعد أن وحد الملك عبد العزيز جميع أجزاء المملكة ضربت النقود منذ سنة (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) وسجل عليها المعلومات اللازمة للتعريف بالعملة من حيث فئة النقد، ومكان وتاريخ السك، مع ذكر اسم حاكم البلاد، ثم إيراد الاسم الحالي للمملكة، فكتب في الوجه اسم (عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود)، وعلى هامش الوجه (ملك المملكة العربية السعودية) . وما بين عامي (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م و١٣٦٧هـ/١٩٤٧م) سكت بعض العملات الفضية، كالريال وأجزائه، ونقود النيكل من فئة القرش وأجزائه، وفي عام (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م) ضرب جنيه الذهب العربي السعودي، وفي نفس السنة، أعيد ضرب ريال الفضة الذي كان مستخدما ما بين عامي (١٣٥٤هـ و١٣٦٧م) .

أما النقود الورقية فضربت في عهد الملك عبد العزيز في طبعتين، الطبعة الأولى سنة (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م) وكانت من فئة عشرة ريالات، والطبعة الثانية كانت سنة (١٣٧٣هـ/١٩٣٥م) وهي من فئة عشرة ريالات وخمسة ريالات والهدف في البداية من إصدار هذه النقود الورقية، وهو تسهيل أمور الحجيج، فتكون إيصالات يتعاملون بها في بيعهم وشرائهم أثناء قدومهم إلى الحرمين الشريفين لأداء مناسك الحج.

ويشتمل وجه الورقة النقدية فئة عشرة ريالات المطبوعة سنة (١٣٧٢هـ/١٩٥٢م) على القيمة، وشعار المملكة، والكتابة التالية " صدر هذا الإيصال من قبل المؤسسة لتيسير أداء فريضة الحج على حامله، وذلك بجعل حصوله على الريالات العربية السعودية في متناول يده بسهولة وسرعة أثناء إقامته في المملكة العربية السعودية، وبدون تكبده نفقة الصرافة " . كما يشتمل الوجه على الكتابات التالية (نشهد بأن المؤسسة تقتني في خزانتها بجدة مبلغ عشرة ريالات عربية تحت طلب حامل هذا الإيصال، وهو قابل للصرف الكامل وتدفع قيمته فور تقديمه من قبل حامله إلى أي مركز من مراكز (المؤسسة) وأسفل ذلك رقم الإصدار وتاريخه وهو سنة (١٣٧٢هـ/١٩٥٢م) " كما يتضمن الوجه قيمة الإيصال بعدة لغات هي: التركية، والأردية، والعربية، والفارسية، والملايوية، والإنجليزية . أما الظهر فعبارة عن مستطيل يوجد به تعهد بقيمة الإيصال باللغات الآنفة الذكر . أما الإيصال فئة

(١) مغربي، المصدر السابق، ص ١٦٤-١٦٥، عبد العزيز محمد الأحيدب، حياة الملك عبد العزيز (الرياض. مطابع الإشعاع، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص ٢٤٢ وما بعدها، انظر أيضاً مقالة في جريدة الشرق الأوسط عدد (٥١٨٢) الخميس ١٩٩٣/٢/٤م، ص١٩. بعنوان: النقود سجل التاريخ ومؤشر الاقتصاد وموثق الأحداث .

(٢) نفس المصادر التي في الملاحظة السابقة .

العشـرة ريالات المطبوع سنة (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) فيشـتمل وجهه على مستطيل في أركانه قيمة الإيصـال بالأرقام العربية والهندية، وبداخل المسـتطيل من أعلى عبارات " مؤسسة النقـد العربي السـعودي " مع كتابة قيمة الإيصـال بالعربية ولغـات أخرى عدة، ثم تاريخ الإصـدار، عـام (١٣٧٣هـ)، وتوقيع المحافظ ونائبه ورئيسـ مجلس الإدارة . وعلى الظهر يوجد شـعار المملكة العربية السـعودية بقيمة الإيصـال بعدة لغات، ثم إسم مؤسسة النقد وخيـط الأمـان . وكذلك الورقـة النقدية فئة الخمسـة ريالات المطبوعة سـنة (١٣٧٣هـ) ينطبق عليها نفس الصـفات التي تنطبق على فئة العشـرة الآنفة الذكر . وبعد حكم الملك عبد العزيز سك العديد من العملات المعدنية كالقرش والقرشين، والربع، والنصف ريال، والريـال، كما وجـدت فئات ورقية تتكون من الريال، والخمسـة، والعشـرة، والخمسـين، والمائة. وحاليا الخمسمائة ريال .

أما وضع العملات السابقة للنقود العربية السعودية، فقد بقي البعض منها في متناول أيدي الناس، وخاصـة في التعامل الخارجي مع التجار خارج البلاد، ثم حددت أسعار تلك العملات بالقرش السعودي في عام (١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) فكانت كالآتي:[١]

م	اسم العملة	مقدار الصرف	ملاحظات
١	الريال العربي السعودي	٢٢قرشا دارجا	
٢	الجنيه الإنجليزي	٢٢٠ قرشا دارجا	
٣	الليرة العثمانية	١٩٠ قرشا دارجا	
٤	الريال الفرانسة (نمساوي)	٢١ قرشا دارجا	
٥	الروبية الهندية	١٥ قرشا دارجا[١]	

ونتيجـة لتوسـع النظام الإقتصـادي للمملكـة العربية السـعودية، واتصـالها ببعض الحكومـات تجاريا واقتصـاديا، وكذلـك نتيجة لتزايد التعامل التجـاري بين رجال الأعمال بغيرهـم ممن يفدون على البلاد عن طريق المنافـذ البرية والبحرية، فيتم التعامل بعملات عديدة خلاف ما أوردنا سابقا، سواءً في البيع والشراء، أو في رسوم الجمارك على الموانئ، أو المنافذ البرية، كل هذا أدى إلى أخذ الاحتياطات اللازمة من ناحية العملة وصـرفها، وبهذا أصدرت وثيقة في شهر جمادى الأول من عام (١٣٦٥هـ) وضح فيها العديد من العملات، مع التأكيد على مقدار كل عملة بالريال والقروش العربية السـعودية، واسـتكمالا للفائدة رأينا إيـراد تلك الوثيقة كما قـررت واعتمدت، ثم عممت في بلاغ عـام إلى جميع الجهات المعنية والمسـؤولة في الدولـة، ونص الوثيقة هـو[٢]. " ... بناء على أمر مقام الـوزارة البرقي رقم (١٧٣٧٧/٤ في ١٣٦٥/٥/٦هـ) اعتمدوا اعتبار أسعار العمل الأجنبية كما يلي" :

(١) انظر : عبد العزيز الأحيدب ، المصدر السابق ، ص ٢٤٢

(٢) للمزيد انظر : نص الوثيقة، ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص١٨٦ .

م	اسم العملة	مقدار الصرف	ملاحظات
١	الجنيه الإنكليزي جورج	(٨٠)ريالاً عربياً و(٨) قروش	
٢	الجنيه الإنكليزي إدوارد	(٧٨) ريالاً عربياً و(٨) قروش	
٣	الجنيه أبو شرشف	(٧٦) ريالاً عربياً و (٨) قروش	
٤	الجنيه أبو بنت	(٧٦) ريالاً عربياً و(٨) قروش	
٥	الجنيه الاسترليني	(١٣) ريالاً عربياً	
٦	الجنيه العثماني	(٦٠) ريالاً عربياً	
٧	الجنيه المصري	(١٤) ريالاً عربياً و (٤) قروش	
٨	الجنيه الفلسطيني	(١٣) ريالاً عربياً و (١١) قرش	
٩	الجنيه السوري	(١)ريالاً عربياً و (٨) قروش	
١٠	الجنيه البنتو	(٥٥) ريالاً عربياً	
١١	الدينار العراقي	(١٣) ريالاً عربياً و(١١) قرشاً	
١٢	الدولار الأمريكي	(٥)ريالاً عربياً و(٥) قروش	
١٣	الريال الفرانسة	(٢) ريالاً عربياً و(٨) قروش	
١٤	الجنيه الإنكليزي السوداني	(١)ريالاً عربياً و(٢) قروش	
١٥	الريال السينكو	(٢) ريالاً عربياً و(٦) قروش	
١٦	الريال المجيدي	(٢) ريالاً عربياً	
١٧	الروبية الجاوي الفضة	(٢٠) قرش	
١٨	الروبية الهندي الورق	(١)ريالاً عربياً (١) قرش	
١٩	الروبية الهندي الفضة	(١) قرش	

وبهذه الوثيقة اتضح لنا التباين في صرف العملات المختلفة بالريال والقرش العربيين السعوديين، وربما كانت هذه الصرافة غير ثابتة، وإنما كان يرتفع بعضها أوينخفض من شهر لشهر أو من فترة لأخرى[1].

ب) المكاييل والأوزان والمقاييس :

المصادر التي توضح لنا صورة متكاملة عن عملية الأوزان والمكاييل والمقاييس عند أهل نجران غير متوفرة، إلا أن وجود الحركة الاقتصادية في نجران، فلابد أنهم كانوا يتعاملون بوسائل تعارفوا عليها في كل جانب من الجوانب الاقتصادية .

أما الوزن أو الكيل، فلم يعرف لديهم ما يسمى بـ (الكيلوجرام) إلا في العقود الماضية القريبة، ولكن قبل استخدام أداة الكيلو جرام، كانوا يستخدمون نظام الأقة، والرطل، والأوقية، والدرهم، والأقة قطعة مصنوعة من الحديد ، عرف منها الأقة الواحدة، ونصف الأقة، وربع الأقة، وربما كانت تُصنع خارج الأراضي النجرانية، وخاصة في المدن الكبرى بشبه الجزيرة العربية، أو الشام ومصر وغيرها. وهذه الأداة تساوي أربعمائة درهم،

(١) دراسة الناحية الاقتصادية، وخاصة التجارة ، تحتاج إلى العديد من المجلدات وذلك يعود إلى تعدد جوانبها وكثرة مصادرها وبخاصة في عصرنا الحالي .

أو رطلين ونصف، أو اثنين وثلاثين أوقية، وتزيد عن وزن الكيلوجرام الواحد في وقتنا الحاضر [١]، والرطل وهو اثنتا عشر أوقية، أو ما يقارب اثنى عشر ريالاً فرانسياً، ومن أجزائه نصف الرطل، والربع والثمن، أما الأوقية الواحدة فتساوي اثني عشر درهماً، وهذه الأدوات السابقة الذكر تستخدم في وزن المواد الغذائية الخفيفة، كالهيل والبن والزعفران وغير ذلك من المعادن الثمينة والأطياب الغالية، ويستخدم في هذا ما يسمى بـ(الميزان) الذي له كفتان بخيوط أو سلاسل حديدية صغيرة معلقة فى قطعة من الحديد في وسطها قب الميزان، وكان الزبون يراقب دقة الوزن لأن العملية تتم أمامه، بل كان الميزان يوضع في مكان واضح بحيث تراه العيون[٢].

أما وحدة الكيل، فتستخدم بالدرجة الأولى في كيل الحبوب وما شابهها، ومنها المد، والصاع، والفرق، والأردب، والكيلة، والوسق وغيرها، فالمد يساوي ثلاث أقق، وعرف منه المد الكامل، ونصف المد ،وربعه، وثمنه، وكانت تعتمد بمقاييس موحدة في أنحاء المنطقة، وتصنع في الأساس من الخشب، وتطوق فوهة المد بطوق حديدي يساعد على دقة توافقه مع المقاييس المعتمدة رسمياً، وفي النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، صارت وحدة المد وما شابهها توثق بختم رسمي من البلدية، حتى تخضع للمتابعة من عامل السوق[٣]، وبالتالي لا يكون هناك مجال للتجاوز[٤]. والصاع أكبر من المد ويساوي أربعة أمداد، وعرف في بعض أجزاء من نجران وتهامة، والصاع التهامي، وهو يعادل أربعة أصواع نبوية، ويشتمل على عدة أجزاء منها الزنة وتساوي نصف صاع تهامي، والثماني يساوي ثمن الصاع . والفرق ويساوي ثلاثة أصوع أو اثنتي عشر كيلة . والكيلة تساوي أربع أقق، وهو ماعون أسطواني أو مستطيل الشكل، مصنوع من الخشب ومخرم من الخارج بأطر من الحديد، ومنه نصف الكيلة وربعها وثمنها وهي تساوي ثمانية أقداح[٥]. والقدح وحدة من وحدات المكاييل يساوي ثمن الكيلة .

كانت أدوات الوزن والكيل غير متوفرة في كل مكان من نجران، وإنما أغلب تواجدها في الأسواق الكبيرة، وأحياناً توجد عند التجار الكبار، ولربما يتوافر بعضها، كالمد والصاع وغيرهما، عند بعض أفراد المجتمع، وبخاصة الذين يمارسون مهنة الزراعة أو التجارة، وعرف البيع بالجملة، ففي بعض الأحيان لا تكال ولا توزن السلع التي يراد بيعها، وإنما

---

(١) انظر المغربي، ملامح الحياة الاجتماعية، ١٦٠، المعبدي . النظم الإدارية .٩٤، ٢٠٤ جريس، بلاد بني شهر وبني عمرو، ص١٢٥. ونبذة مختصرة دونها الأستاذ أحمد مطاعن بأبها . حول الناحية الاقتصادية في١/١/١٤٢٤هـ وهذه النبذة ضمن أوراق الباحث تحت رقم (١٠٩٧)، انظر : ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ١٨٧ .

(٢) ولازال نوع الميزان الذي نتحدث عنه يستخدم عند بعض التجار في الأرياف وبعض الأسواق الأسبوعية في بلاد عسير، مع العلم أنه قل استخدامها لاستبدالها بموازين حديثة في الصنع والشكل .

(٣) عامل السوق أو (المحتسب) من الوظائف الإدارية التي مارستها دولة الإسلام منذ عهد الرسالة وكانت مهمة هذا العامل البقاء في السوق لمراقبة الأوزان والمكاييل، والسعي إلى فض المنازعات التي تحدث في السوق، وكذلك يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأحياناً كان لا يعمل بمفرده وإنما يوجد إلى جانبه المساعدون من الشرطة وما شابههم .

(٤) من النبذة التي زودنا بها الأستاذ أحمد مطاعن، وهي ضمن أوراق الباحث تحت رقم (١٠٩٧).

(٥) المغربي، ملامح الحياة الاجتماعية، ص ١٦٠، ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص١٨٨ .

توضع على هيئة أكوام، أو في أكياس كبيرة، ثم تقدر أسعارها تقديراً نظرياً، ويتم بيعها.

لم يكن هناك أدوات تستخدم في القياس، كالمتر والكيلومتر، إلا بعد ظهور الحكم السعودي الحالي، وخصوصاً في العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر، لكن الأراضي الزراعية والمواقع التي تقام عليها المساكن كانت تقاس بالخطوة أو القدم عند الرجال، كما كان هناك بعض الأسماء التي تطلق على الأراضي الزراعية، الفلج: وهو جزء صغير من القطع الزراعية الكبيرة، والركيب أو الشقة، وهي القطعة الزراعية المحدودة بحدود واضحة من جميع أطرافها بصرف النظر عن مساحتها، والزهب وهو ما يكون محدوداً بحدود معلومة أيضا وملاصقا لقطع زراعية أخرى تكون أكبر منه في المساحة وأحسن منه في نوعية التربة.

ومن المقاييس، قبل استخدام المتر، عرف الذراع، وهو ذراع اليد، خاصة في بعض الأرياف وأسواق البادية، والهنداسة، وهي قطعة حديدية رفيعة يبلغ طولها حوالي تسعين سنتيمتراً. والذراع والهنداسة يستعملان في قياس الألبسة والأقمشة وما شابههما [١].

(٦) أهم المعوقات التجارية:

هناك العديد من العقبات، وسوف نذكر أهمها في النقاط التالية:

أ- تعد الحروب والصراعات القبلية من أكبر العوائق التي تهدد الحياة الاقتصادية والحضارية، والدارس لتاريخ نجران السياسي والحربي خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) يجدها كانت في صراعات مستمرة داخلية بين القبائل والعشائر بعضها مع بعض، وخارجية مع القوى المجاورة في اليمن أو عسير وغيرها. وهذه الحروب كانت عائقاً رئيساً في تدهور التجارات في الأسواق والمدن والقرى النجرانية[٢].

ب- التغيرات المناخية وتنوع التضاريس في منطقة نجران من الأسباب المثبطة لممارسة الأعمال التجارية، فمناخ نجران حار في الصيف بارد في الشتاء، وصعوبة التضاريس وتنوعها بين الجبال المرتفعة أو المنحدرات والصحاري، وعدم وجود الطرق السهلة، كل هذا يجعل نقل السلع من مكان لآخر في غاية الصعوبة، بل إن بعض السلع تتلف لطول المسافات، وصعوبة المواصلات[٣].

ج- القحط والجفاف، وأحياناً كثرة الأمطار وهطولها ألحقت بالتجار والتجارات خسائر كثيرة. وقد التقى الباحث ببعض التجار القدماء في نجران، وسألهم عن آثار هذه

---

(١) للمزيد انظر: ابن جريس، عسير (١١٠٠-١٤٠٠هـ)، ص ١٨٨-١٨٩.

(٢) من يدرس تاريخ نجران السياسي خلال القرنين الماضيين يجد الكثير من التفصيلات الحربية والسياسية التي وقعت في أرض نجران. انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية، المجلد (١٥)، ص ١٤١ وما بعدها. ومازالت بلاد نجران بحاجة إلى دراسات علمية تاريخية أكاديمية خلال القرون الماضية المتأخرة. ونأمل من جامعة نجران أن تنشئ مراكز بحوث علمية تقوم بهذه الجوانب، وهو من اختصاصها وواجباتها.

(٣) تجول الباحث في نواح عديدة من بلاد نجران، ورأى بعض المسالك القديمة وصعوبة ممراتها وتعاريجها، كما روى له بعض الرواة النجرانيين صعوبة ممارسة الحياة التجارية قديماً. جولات الباحث في نجران في عام (١٤٢٤هـ، ١٤٣٤هـ/٢٠٠٣م، ٢٠١٣م).

المعوقات على التجارة، فذكروا أنهم عاشوا سنوات متفرقة من القرن الهجري الماضي، وعاصروا هطول أمطار خربت الطرق والأسواق، كما مر على البلاد سنوات جفاف وقحط هلك فيها الزرع والحيوانات، وتدهورت التجارات في شتى الجوانب، وارتفعت الأسعار، وضاق العيش على الناس[١].

د- فقدان الأمن في البلاد، جعل السرقات تزداد، وتشجع اللصوص وقطاع الطرق على اعتراض التجار وأخذ أموالهم، أو الاعتداء على الأسواق والمزروعات وأخذ سلعها ومحاصيلها . وقد اطلعت على بعض الوثائق والاتفاقات التي تعود إلى القرن (١٤هـ/٢٠م) فوجدنا فيها العديد من البنود التي تؤكد صحة هذه العقبات، وتذكر الحلول، والحث على التآزر والتعاون بين أفراد القبائل على محاربة هذه المعوقات[٢].

هـ- الجوع والأمراض (للإنسان، والحيوان، والزروع) من المتاعب التي عاشها بعض النجرانيين في القرن الماضي. ونجد بعض المصادر والوثائق التي تذكر سنوات مجاعات حلت بالبلاد، وبعض الأمراض المختلفة التي كانت تصيب الدواب والمحاصيل الزراعية، وهذا مما أثر على الحياة العامة في نجران، وتأثرت الجوانب الاقتصادية المختلفة[٣].

رابعاً : خلاصة تاريخية مختصرة عن الحياة الصحية في نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)[٤].

م	العنوان	الصفحة
١ -	أمراض الإنسان القديمة	٤٥٨
٢ -	أمراض الحيوانات والطيور قديماً	٤٦٤
٣ -	روايات ومشاهدات بعض المعاصرين للحياة الصحية في نجران	٤٧١
٤ -	نبذة عن الخدمات الصحية الحديثة في نجران	٤٧٨

(١) مشاهدات الباحث وجولاته في نجران في عامي (١٤٢٤هـ، ١٤٣٤هـ/ ٢٠٠٣م، ٢٠١٣م) .

(٢) صور هذه الوثائق والاتفاقات توجد ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية (الوثائق العامة، ق١٤هـ/٢٠م) . ودراسة تاريخ التجار في نجران خلال القرنين (١٣ أو ١٤هـ/١٩ أو ٢٠م) موضوع جيد ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية .

(٣) التقى الباحث ببعض المسنين النجرانيين فذكروا له صوراً من حياة الجوع والأمراض التي مرت على بلاد نجران في الخمسينيات والستينيات والسبعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م). والناظر في أحوال الجزيرة العربية آنذاك يجد أن الجوع والأمراض كانت منتشرة في كل مكان، وعندما تعود إلى بدايات القرن (١٤هـ/٢٠م) وما سبق فالحياة كانت أصعب وأقسى .عشرات المصادر والمراجع والوثائق وروايات كثير من الرحالة المسلمين وغير المسلمين تؤكد صحة ما أشرنا إليه .

(٤) أشرنا إلى عبارة (دراسة مختصرة) ، مع أن هذا الموضوع لم يدرس حتى الآن علمياً، ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة ماجستير أو دكتوراه . حبذا أن نرى أحد طلابنا في أقسام التاريخ في الجامعات السعودية من يتولى هذا الموضوع بالدراسة والبحث والتحليل .

جل دراستنا في هذا المحور تقوم على الرواية والمقابلات [١]، ومعظم تفاصيلها تدور في فلك الحياة الصحية القديمة في نجران، وفي النهاية نجمل الحديث عن بعض الخدمات الصحية الموجودة في نجران خلال هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) [٢].

١ـ أمراض الإنسان القديمة[٣]:

أولا: الحميات:

(١) مرض السابع (الحمى الشوكية): مرض يصيب جميع الفئات العمرية (ذكوراً وإناثاً)، وعرف بهذا الاسم، لأن فترة خطورته تستمر مع المريض سبعة أيام، وإذا تجاوزها نجا من الموت، وربما يتعرض المريض عند الإصابة بهذا الداء إلى واحد من هذه الأمراض (أ) الحسرة: أي الشلل. (ب) الصنج: أي الصمم. (ج) العجمة: أي البكم، وعدم الكلام. ومن أعراض هذا المرض الصداع الشديد، والتهاب في المفاصل، وارتفاع في درجة الحرارة، وأحياناً يُغمى على المريض، وألم شديد في الظهر، وكثرة تصبب العرق. ويعالج هذا المرض قديما بعدة طرق مثل: (١) الكي: يقوم خبير الكي بوضع مسمار في النار لبعض الوقت ثم يكوي المريض وسط الرأس. (٢) يعالج المريض عن طريق عشبة تسمى (الحرمل) [٤] حيث تجلب أوراقها وتجفف ثم تسحق وتوضع على النار حتى درجة الغليان، ثم توضع في إناء وتعطى المريض لاستنشاق بخارها لبعض الوقت، ثم الركون للنوم، وتكرر هذه العملية مرات عديدة. وأحيانا يستخدم الغلاف الخارجي لشجرة السدر بدلا من الحرمل [٥].

(٢) مرض الشمس (المالطية): هذا المرض نتيجة لتعرض المريض لأشعة الشمس الشديدة، وهو مرض معد، ومن أعراضه ارتفاع درجة الحرارة، والآلام الشديدة في الرأس والمفاصل. وعلاجه عن طريق الكي في الرأس، أو استنشاق بخار ورق أو غلاف شجر السدر بعد غليه، وأحيانا يوضع عدد من الحجارة على النار حتى تحمر، ثم توضع على حليب الأغنام ويضاف لها الحبة السوداء ويشربها المريض، وقد يصطاد حيوان الوبر [٦]،

---

(١) معظم مادة هذا القسم تم جمعها عن طريق عدد من طلابنا في مرحلة البكالوريوس خلال العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م)، وهم: (١) صالح بن سالم علي آل زمانان. (٢) مرزوق بن علي بن هادي آل قمري. (٣) ناصر بن حسين الزبيدي. (٤) حمد بن سالم بن قرعان آل سوار. (٥) علي بن سالم بن قرعان آل سوار. واستغرق جمع المادة حوالي عشرة شهور، ثم دونوها في بحث تخرج بعنوان: دراسة تاريخية مختصرة للحياة الصحية في منطقة نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م). بحث تخرج لنيل درجة البكالوريوس في التاريخ، كلية التربية. جامعة الملك سعود. فرع أبها (١٤١٨هـ/١٩٩٧م). عدد صفحات البحث (١٤٣ صفحة). ورقمه في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية هو (١٧٧)

(٢) تاريخ الصحة أو التطبيب في نجران خلال القرنين (١٣ أو ١٤هـ/١٩ أو ٢٠م) موضوع جديد ويستحق أن يكون عنوانا لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية.

(٣) هناك الكثير من أمراض الإنسان القديمة، ولكننا نذكر بعضها، ونأمل أن يأتي من طلابنا من يدرس تاريخ الطب أو الصحة في نجران خلال القرون الماضية المتأخرة.

(٤) الحرمل: شجرة ذات أوراق إبرية، وتتميز بمرارتها الشديدة.

(٥) مقابلة مع سالم بن علي آل زمانان في قرية الشرفة في نجران في (١٨/٦/١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

(٦) الوبر: وجمعه (وبران) حيوان صغير الجسم، يعيش في المناطق الجبلية، ويعتمد في غذائه على الأعشاب الطبيعية،

ويطبخ لحمه مع إضافة الحبة السوداء على مرقه، ويقدم للمريض لشربه[١].

(٣) مرض السل : سمي بهذا الاسم لأنه يسبب نحافة شديدة لجسم المريض، وهو مرض معدٍ يصيب الرئة وتصاحبه كحة شديدة، وأحياناً يخرج البلغم من فم المريض مصحوباً بدم، ويعالج عن طريق إضافة الحبة السوداء إلى العسل، ثم يؤخذ منه ملعقة في الصباح، وأخرى عند النوم، ويستمر على هذا العلاج لبعض الوقت[٢].

(٤) مرض الجديعاء أوالعنقز (الجدري المائي) : ويصيب جميع الأعمار الذكور والإناث، وهو حبوب تظهر في جميع أنحاء الجسم، يصاحبها ارتفاع في درجة الحرارة، وإعياء شديد وآلام في الرأس والظهر . وهو مرض معد، وغالبا يتم عزل من يُصاب به حتى لا تنتقل عدواه إلى غيره، ويعالج بالاغتسال كل صباح، واستنشاق بخار لحاء وورق شجر السدر، وأحيانا يعطى المريض حليب الأغنام المغلي مضافا عليه الحبة السوداء، وقد يُعطى عصير التمر المعروف بـ (الرُّب)[٣] لشربه[٤]، ويعالج أيضا بالعسل صباحا ومساءً[٥].

(٥) مرض البش (الجدري الصادق) : حبوب تظهر على جسم المريض مملوءة بالصديد، وتمنع المصاب من الأكل والمشي، ويصحبها آلام في الجسم والرأس والمفاصل وإعياء وغثيان .وكان يقضي على أناس كثيرين، وأحياناً يهلك جميع أفراد الأسرة، ومن ينجو منه لا يسلم من آثاره على وجهه وجسده[٦] . ويعالج بسمن الأغنام فيشربه المريض، وكذلك العسل والحبة السوداء كل صباح، وعصير الزبيب، وقد يُعطى المريض لحم (البغرة)[٧]، ومرقها مع الفلافل والبهارات الحارة.

ولحمه من أجود اللحوم، ويوجد بكثرة في بلدان نجران وتهامة والسراة الممتدة من مكة المكرمة والطائف حتى جازان ونجران .

(١) كان الإنسان قديماً يجتهد ويسعى للاستفادة من البيئة التي يعيش فيها، ومن ثم فالكثير من الأمراض كانت تعالج عن طريق موارد البيئة الطبيعية وبخاصة الأشجار والنباتات وغيرها . مقابلة مع حماد بن علي آل الثور في قرية نهوقة بنجران في (١٤١٨/٦/٨هـ) . وللمزيد انظر صالح بن سالم آل زمانان وآخرون، دراسة تاريخية مختصرة للحياة الصحية في منطقة نجران في القرن (١٤هـ / ٢٠م) . بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس، جامعة الملك سعود. فرع أبها (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص ٢٠. ٢١ (نسخة من البحث ضمن مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، قسم البحوث، رقم (١٧٧) .

(٢) السل من الأمراض الخطيرة، ومن يصاب بهذا المرض قديماً غالباً لا يشفى منه ويموت . مشاهدات الباحث لبعض مرضى السل في منطقة عسير خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) . للمزيد مقابلة شخصية مع علي بن هادي آل قمري في حي مدينة نجران في (١٤١٨/٦/١٥هـ) .

(٣) الربُّ : هو عصير التفاح المطبوخ، ويعرف أيضاً باسم (الدبس).

(٤) صالح بن سالم آل زمانان . دراسة تاريخية مختصرة للحياة الصحية في منطقة نجران، ص ٢٢.

(٥) مقابلة شخصية مع سالم بن قرعان آل سوار في حي آل سوار بنجران في (١٤١٨/٦/١٥هـ) .

(٦) سمعنا روايات عديدة عن فتك مرض الجدري بأفراد وأسر كثيرة في نجران وجازان وعسير والباحة . ويعد هذا المرض من أقوى الأمراض التي كانت تقتل الناس، بل أصبحوا يؤرخون بسنوات حصول المرض، فيقال: عام الجدري أو سنة الجدري، وذلك لكثرة من مات في تلك السنة أو السنين . مقابلة مع صالح بن سالم آل قراد في نجران في (١٤١٨/٦/٨هـ/١٩٩٧م). للمزيد انظر: صالح بن سالم آل زمانان، دراسة تاريخية مختصرة للحياة الصحية، ص٢٤ .

(٧) البغرة : صغيرة السن من إناث الماعز التي لم يسبق لها الولادة من قبل .

وهناك مرض قريب من المرض السابق يسمى (مرض البالوش أو الجدري الكاذب)، وطبيعته حبوبٍ تظهر في الجسم، وقد يتطور هذا المرض حتى تتحول هذه الحبوب إلى جروح تنزف دماً، ويصاحبها آلام وحكة شديدة . ويعالج المصاب بنفس العلاج، وهناك عشبة تسمى (العُشبةِ) توضعِ على القهوة ويشربها المريض، وربما استخدم ورق شجر الحرمل في العلاج أيضاً، وأحياناً تدهن الجروح بالسمن البري[١] .

ثانياً : الأمراض الباطنية :

(١) مرض السّدم الثالث (الملاريا) : أعراض هذا المرض انتفاخ في البطن، وغثيان وألم في المفاصل، وارتفَاع في درجة الحرارة، وصداع شديد . وسمي بـ (الثالث) لأن درجة حرارة المريض ترتفع عند اليوم الثالث من إصابته بهذا الداء، ثم تنخفض في يومين ثم تعود للارتفاع في اليوم الثالث وهكذا، وسبب الإصابة به هو الجلوس في مستنقعات المياه والشرب منها والاغتسال بها . ويعالج باستخدام عشبة السناء[٢]، التي تساعد على عملية الإسهال وخروج ما بداٍخل المريض، وقد يعطى المريض (شنينة) [٣]، وهي تساعد على الغثيان، وإذا لم يتقيأ المريض بهذه الطريقة فإنه يدخل في فمه قطعة من الجلد، حتى تهيجه وتساعده على الاستفراغ[٤] .

٢- مرض الطاعون: من أخطر الأمراض قديماً، وهو مرض مميت يصيب البطن، ويعالج أيضاً بما يعرف بـ (المويسة) [٥]، التي تساعد في تقيؤ المريض، وخروج بعض الداء من بطنه [٦]،

٣- مرض الصفراء : يصيب كل الأعمار، وهو مادة صفراء اللون تصيب الجهاز الهضمي، ويبدو أن المرارة والكبد في جسم الإنسان هي مصدر هذا المرض، ومن أعراضه ألم شديد في الرأس، ومغص حار وغثيان، ويعالج المريض بالشنينة وشرب السمن البري إضافة إلى بعض الأكل الذي يخفف من الصداع[٧] .

٤- مرض العارض أو العواد (مرض المغص) : مرض يصيب جميع الأعمار، ومعنى كلمة (عارض) عند أهل نجران، وهو ما يعرض للشخص ويمنعه من مزاولة عمله . وكلمة

---

(١) انظر: صالح بن سالم آل زمانان وآخرون، ص ٢٤ ـ ٢٥ .

(٢) السناء : نبات ذو أوراق خضراء صغيرة، يستخدم لغسل البطن، عرفه العرب منذ العصر الجاهلي، وعبر عصور التاريخ الإسلامي .

(٣) الشنينة : لبن أغنام يضاف عليه ماء، وهو يساعد على التقيؤ .

(٤) هكذا كانت حياة الناس بدائية في معالجة مرضاهم، ولم يكن عندهم وسائل أخرى متطورة وإنما يعملون جاهدين في تسخير بيئاتهم لاستمرار معيشتهم .

(٥) المويسة : ماء مضاف له طحين وسمن ثم يغلى على النار .

(٦) مقابلة مع حمد بن محمد آل قشنون في قرية الشرفة في (١٤١٨/٦/٩هـ/١٩٩٧م) .

(٧) انظر : صالح بن سالم آل زمانان وآخرون ص ٢٧.٢٨ . نلحظ بدائية الطب والتطبب قديماً، ومن يقارن وقتنا الحاضر مع الماضي في مجال الطب فليس هناك وجهٍ مقارنة، لأن الطب اليوم أصبح متطوراً في شتى المجالات وفي جميع الأمراض . وللمزيد عن الحياة الصحية قديما في جنوبي البلاد السعودية انظر: غيثان بن جريس، عسير (١١٠٠ـ١٤٠٠هـ) ،ص ١٠٥ وما بعدها .

عواد من العادة أي المرض الذي يتردد على صاحبه، وكذلك يسمونه (العواد)، وهو مغص حاد وتقلصات في عضلات البطن، ويصيب الإنسان نتيجة الأكل الملوث، وشرب ماء غير نظيف . ويصاحب هذا المرض ارتفاع في درجة الحرارة، ويعالج بشرب ماء النعناع بعد طبخه، أو الزنجبيل الذي يسحق ويضاف له الماء، وكذلك العسل مع الحبة السوداء [١] .

٥ـ مرض دق السَّحر (المغص) : تقلصات شديدة في البطن، ويصحبها إسهال حاد، ومعنى (دق السَّحرَ) في نجران، الإسهال الشديد، وسبب هذا الداء الهواء البارد، أو البرد الشديد، أو تناول طعام ملوث، ومن أعراضه الغثيان، وارتفاع درجة الحرارة وآلام في الرأس، ويعالج بشرب مسحوق الزنجبيل مع الماء البارد، والسمن البري، والروبة (لبن الأغنام) [٢] .

٦ـ أمراض أخرى عديدة مثل : (أ) مرض الغطام :، وهو الإمساك.(ب) مرض القرفة أو التخمة (الأكل حتى الشبع). (ج) مرض الكنان (الطحال). (د) مرض الوباء، شبيه بالملاريا . (هـ) مرض السوداء الرصاصية أو الرياح الرَّيضة، وغيرها . ويصحب جميع هذه الأمراض آلام في عموم الجسم وارتفاع في درجة الحرارة، و تعالج في الغالب بالكي، والتداوي بالعسل والحبة السوداء والسمن البري [٣] .

ثالثاً : أمراض العظام :

الكسور : مرض يصيب العظام نتيجة أي حادث عرضي يحصل للإنسان فتنكسر أحد العظام، ومثل هذا المرض يتم تجبيره بمواد بدائية مكونة من جلود الماعز وبعض الأعواد الخشبية، ويجب على المريض أن يأكل ويشرب أطعمة تساعد العظم المكسور على الالتئام، ومن تلك الأطعمة اللحوم ومرقها، وحبوب الرشاد (الذفاء)، والسمن البري والعسل وغيرها من الأغذية التي تحتوي على نسبة عالية من الكالسيوم والأملاح [٤]، وهناك بعض الأمراض التي تصيب عظام الرأس أو الظهر أو الأرجل والأيدي، ولم يكن هناك علاجات معروفة لهذه الأمراض، وأكثر ما يلجأ إليه المريض هو الراحة وشرب العسل والسمن البري وأكل اللحوم وبخاصة صغار الماعز أو الضأن[٥]،

---

(١) مقابلة شخصية مع علي بن عوض السلوم في محافظة حبونا في (١٤١٨/٦/٢٢هـ/١٩٩٧م) . للمزيد انظر: صالح بن سالم آل زمانان، ص ٢٨ .

(٢) روبة اللبن : هي حليب الأغنام الذي يضاف إليه نسبة قليلة من لبن الأغنام، ثم يترك بضع ساعات حتى يظهر الحليب على شكل روبة .

(٣) تاريخ الأمراض القديمة في نجران موضوع جيد ويستحق بأن يفرد له دراسة مطولة، ولازال هناك من كبار السن والرواة الذي يستطيعون تزويد الباحث في هذا الباب بما يحتاج إليه حيال هذا الموضوع وأمثاله .

(٤) من خلال تجوالي في مناطق الجنوب (الباحة، والقنفذة، وجازان، ونجران، وعسير) سمعت أسماء مشهورة من المجبرين في تلك النواحي خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) .نأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين يحصر أسماء أولئك الخبراء ويدون تراجمهم ووسائل عملهم وتجاربهم في تجبير العظام .

(٥) ومن أسباب هذه الأمراض الإرهاق نتيجة للأعمال الشاقة التي يقوم بها الإنسان من أجل كسب رزقه، وأحياناً الجوع والفقر والمرض وربما الجو البارد الذي يصيب بعض أجزاء الجسد بأمراض مختلفة . مشاهدات الباحث لبعض المرضى في منطقة عسير خلال العقود المتأخرة في القرن (١٤هـ/٢٠م) .

رابعاً: الأمراض الجلدية والتناسلية والمسالك البولية:

١ - مرض البيطح (الحصبة): وكلمة (البيطح) مأخوذة من (بطح)، ومعناها يطرح، أي أن المريض يسقط في الفراش من التعب وشدة الألم نتيجة للإصابة بهذا المرض. وهو حبوب تظهر على الجسد يصاحبها ارتفاع في درجة الحرارة، وغثيان شديد وإسهال وألم في الرأس والمفاصل مع احمرار في العين . ويعالج هذا المرض بشرب ماء التمر المطبوخ والمعروف باسم (الربيكة)، وشرب الحليب والعسل والسمن البري مع الحبة السوداء، وقد تكحل عين المريض بكحل أسود يعرف بـ (الإثمد)، وذلك من أجل علاج احمرار العين[١] .

٢ - العقرة (اللشمانيا): ورم أو جرح يظهر على الوجه، وعلاجه عن طريق الكي، وقد تستخدم شجرة (النقم) لعلاجه عن طريق الحك، وقد يستغرق علاج هذا المرض عدة أسابيع[٢] .

٣ - التهاب الكلية (الكلى): أسباب الإصابة بهذا المرض قلة شرب الماء، أو الشرب من مياه ملوثة وذات أملاح عالية . وأعراضه آلام شديدة في الكلى، أو حرقان وتقطع في خروج البول، ويعالج بشرب المياه، أو عصير ماء الشعير أوعشبة القُطب[٣]، وربما استخدمت الحبة السوداء والحلبة في معالجة هذا الداء[٤].

٤ - أمراض أخرى: وهناك أمراض عديدة أصابت بعض النجرانيين في القرن الهجري الماضي مثل: الحجلة (البرص) والحزاز أو الكلف (البهاق)، والثعلبة (ذهاب بعض شعر الرأس)، والجذام، والأفاطير[٥]، والبرذنة[٦]، والعايشة[٧] . وكانت هذه الأمراض تعالج بوسائل بسيطة وبدائية تجلب موادها من الطبيعة[٨] .

---

(١) المصدر : مقابلة الباحث مع بعض المسنين في منطقة نجران عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). للمزيد انظر : صالح بن سالم آل زمانان، دراسة تاريخية مختصرة للحياة الصحية في منطقة نجران، ص٣٤ .

(٢) النقُم : شجيرة تنبت في جبال ووهاد بعض الأجزاء السروية والتهامية، ولها ثمر يشبه الليمون الأصفر الصغير، وهي من النباتات الشوكية .

(٣) القُطب : عشبة تمتد على سطح الأرض، ولها ثمر شوكي مدور .

(٤) مقابلات مع بعض المسنين في مدينة نجران في عامي (١٤٢٤هـ، ١٤٣٤هـ / ٢٠٠٣م، ٢٠١٣م) .

(٥) أفاطير: مأخوذة من كلمة (فطر)، ومعناها تشقق يحدث في باطن الرجل نتيجة المشي على الأقدام بدون حذاء وبخاصة في الأماكن المالحة . وتعالج بدهن باطن القدم بزبدة الأغنام وبخاصة عند النوم، وهذا العلاج يسمى (التليانة) .

(٦) البرذنة : نسبة إلى حشرة تعرف بهذا الاسم، وهي تعيش في الأشجار، ولها شعر صغير أبيض، وبها خطان أصفران، وغالباً تشبه دودة صغيرة، وفي حالة ملامسة هذه الحشرة لجسم الإنسان فإنها تسبب له بعض الآلام وحكة شديدة في الجلد .

(٧) العايشة : حساسية شديدة في الأنف، وأحياناً تسبب تآكل الخشم .

(٨) وجميع هذه الأمراض مازالت موجودة في المجتمع النجراني ولكن بمسميات علمية، وعلاجها يتم بطرق طبية جيدة.

خامساً : أمراض الأطفال : هناك العديد من الأوبئة التي تصيب الأطفال، ومنها :

١ - المغص : وهو تقلصات في البطن، نتيجة للإصابة بالبرد أو تناول طعام أو شراب ملوث، ويصاحب هذا المرض إسهال أو غثيان وأحياناً انتفاخ البطن، ويعالج بشرب ماء اليانسون (السنوت)، أو النعان وربما الزنجبيل الذي يفيد لعلاج التقلصات .

٢ - النكب (الجفاف) : وهذا مرض يصيب الطفل نتيجة سقوطه من فوق شيء مرتفع، ومن أعراضه إسهال شديد وارتفاع في درجة الحرارة وانتفاخ في البطن، ويعالج بـ (المسد) أي دلك البطن مع استخدام زبدة الأغنام، وقد يُعطى المريض بعض المشروبات الدافئة التي تخفف الألم [١] .

٣ - أمراض الثَّرَد والعظيم : والأول هو جيوب تظهر في فم الطفل وبخاصة في اللسان عندما تكون الأم المرضعة مصابة بسخونة والتهاب في الجسد، وعلاجه شرب ماء التمر (الرُّب) بعد طبخه . أما الثاني فهو التهاب في الحلق، ويظهر في شكل أورام وانتفاخات، ويعالج عن طريق خبير يأخذ في إصبعه شيئاً من زبد الأغنام، ثم يدخلها في الفم حتى تصل هذا الورم ثم يضغط عليه حتى يخرج ما به من صديد. وهذه طريقة بدائية، فلم يكن عند الناس قديماً أدوية أو وسائل أخرى يعالجون بها مرضاهم [٢] .

سادساً : أمراض الرأس والأذن والأنف والحنجرة :

عرف النجرانيون عدداً من الأمراض الخاصة بهذه الأجزاء من الجسد، ومنها: مرض (الخازباز) [٣] ، وأبو لغود أو أبو رطيل (النكاف) [٤] ، والصداع أو الشقيقة وهي من آلام الرأس [٥] .

سابعاً : أمراض الأعصاب :

١ - الشدق أو اللوف : وهذان المصطلحان يعنيان التفاف العضلة المحيطة العصب السابع في اتجاه معاكس، ومن أسبابها تعرض المريض لهواء بارد، وقد يكون هناك أسباب

---

(١) مقابلة شخصية مع مصري بن لعجم في حي الفيصلية في نجران في (١٤١٨/٦/٢٢هـ) . للمزيد انظر: صالح بن سالم آل زمانان، دراسة تاريخية مختصرة للحياة الصحية في منطقة نجران، ص ٣٨ .

(٢) المراجع نفسها.

(٣) هذا المرض يصيب جميع الفئات العمرية في الحنجرة وبخاصة اللوزتين، وأسبابه البرد أو شرب الماء البارد، ويعالج عن طريق الغرغرة بالماء الساخن المضاف عليه الملح، وأحياناً تكمد حنجرة المريض بقطعة قماش مبلولة بماء ساخن . مقابلة شخصية مع حسين بن سعيد آل باحش في الأثايبة في (١٤١٨/٦/٢٢هـ) .

(٤) هذا المرض مأخوذ من كلمة (اللغد)، وهو أجزاء من الفم والحلق، وهو مرض معد يسبب انتفاخاً في إحدى جهات الحلق، وفي الغالب يظهر الورم في الحلق فيقطع الصوت، بل إن المريض لا يستطيع الأكل والشرب، ويصاحب هذا المرض ارتفاع في درجة الحرارة، وصداع شديد وأحياناً يتقيأ المريض بمادة صفراء في هيئة صديد . ويعالج باستخدام الماء الدافئ مع الملح، أو شرب ماء المر مضافاً عليه شيء من القهوة أو الحليب الساخن .

(٥) المرجع نفسه .

أخرى جسدية أو طبيعية حسب تركيبة جسم الإنسان المصاب، ويتم علاج هذا الداء عن طريق الكي خلف الأذن أو في الوجه مكان الإصابة، وأحياناً توضع رصاصة (ذخيرة البندق) في قطعة من القماش ثم توضع في الجهة المريضة داخل الفم بين الأسنان والفك .

٢ - عرق النساء أو الأكحل : التهاب في إحدى الأوردة الدموية التي تمتد من الفقرة الأخيرة في العمود الفقري إلى قدم الرجل، ويصيب الذكور في الرجل اليسرى والإناث في الرجل اليمنى . وسببه في الغالب النوم على الأرض المبلولة، وهذا المرض يصاحبه آلام شديدة تمنع المريض من المشي أو النوم، ويعالج عن طريق الكي في أسفل مفصل القدم من الخلف، وقد تضمد الرجل المريضة بعشبة تسمى (الخوع)، وربما ضمدت بورق شجرة (المرضع) [١] .

وهناك أمراض أخرى، مثل: الحرقدة : وهو ألم يصيب الرقبة نتيجة لنوم غير صحي، إما لكبر حجم المخدة (الوسادة) التي تستخدم للنوم، أو الالتفاف بشكل سريع وغير سليم. العفيضاء : وهو اشتداد أعصاب القدم نتيجة للمشي الطويل . مرض الفجي : ألم في الظهر بسبب حمل بعض الأمتعة الثقيلة وهذه الأمراض تعالج بالكي والتدليك والتدفئة، مع إطعام المريض أطعمة تساعده على الاسترخاء والشفاء مثل اللبن والحليب الساخن ولحوم صغار الماعز والضأن مع شرب مرقها[٢] .

ثامناً : أمراض في بعض أجزاء الجسم الأخرى :

هناك أمراض متنوعة تصيب أجزاء مختلفة في الجسد مثل: **(١)** الأمراض الجلدية كالحساسية، أو التقرحات، أو الدمامل، أو الجروح، والكدمات. **(٢)** أمراض الصدر مثل: السعال، وأحياناً يطلق عليه السعال الديكي أو الشهاقة، والزكام، والكتمة. **(٣)** أمراض العيون كالرمد، وحساسية العين، والعمى، والصفار، وضعف النظر . **(٤)** أمراض الأسنان، والنساء والولادة، والحروق وغيرها [٣] .

(٢) أمراض الحيوانات والطيور قديماً :

أولاً : أمراض الأغنام : (١) الشكال: مرض معد وخطير، ويصيب الأغنام نتيجة العدوى من حيوان إلى آخر، وسببه استنشاق روث الأغنام المزمن (المواثير)، وسمي بهذا

---

(١) الخوع والمرضع من الشجيرات التي تعيش في بعض أودية وجبال نجران، ومن ميزات أوراق ولحاء هذه النباتات أنها تخفف آلام مرض عرق النساء .

(٢) مقابلة مع مهدي بن سالم آل زمانان في الشرفة بنجران في (١٤١٨/٦/٨هـ) .

(٣) كل هذه الأمراض وما سبق ذكره في الصفحات السابقة كانت منتشرة بين أهالي نجران خلال العقود المبكرة والوسيطة والمتأخرة من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) . وجميع وسائل العلاج مجلوبة من الطبيعة، بالإضافة إلى بعض التجارب والخبرات البشرية كالتداوي بالكي، أو الحجامة، أو التدليك وغيره . وقد اطلعنا على بعض وثائق الستينيات والسبعينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) فوجدناها تذكر جلب بعض السلع من اليمن والحجاز مثل: العسل، والمر، والزنجبيل، والدهون، وجميعها كانت تستخدم في الرعاية الصحية لعدد من الأمراض.

الاسم لأنه يخل بسير الحيوان المصاب فيصبح غير قادر على الحركة، ويصاحب هذا المرض ارتفاع في درجة الحرارة، وعدم التوازن في المشي، ويعالج بوضع ورق شجرة الحرمل مضافاً إلى بول الوبران المتراكم مع ماء ساخن ثم يسقى الحيوان المريض لمدة ثلاثة أيام[١] . **(٢) البارِدة :** مرض يصيب الأغنام (الضأن والماعز) نتيجة أكل الأعشاب الملوثة، وينتقل من حيوان إلى آخر بالعدوى، وأعراضه ارتفاع شديد في درجة الحرارة مصحوباً برعشة شديدة في الجسم، ويظهر على شكل حبيبات متوسطة الحجم، ويعالج عن طريق عزل الحيوان المصاب وعلاجه، وعند شفائه يتم غسله[٢] . **(٣) مرض الجزامَة :** يصيب الأغنام فقط وخاصة كبار السن منها، وسمي بهذا الاسم لأنه يسبب اختناقاً في مجرى التنفس، وسببه البرودة الشديدة في فصل الشتاء، ومن أعراضه تورم في رأس الحيوان المصاب وانتفاخ في الأنف والحنجرة، ويعالج عن طريق الكي، فيكوى الحيوان المصاب على أنفه من أعلى بشكل أفقي، ويعالج بشرب الماء الساخن المضاف له الملح العربي[٣] . **(٤) مرض القطبة :** تصاب به الضأن والماعز صغاراً وكباراً، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى أعراض هذا المرض التي تظهر على فم الحيوان المصاب بسبب أكله الأعشاب الملوثة، ومن أعراضه السخونة الشديدة، ويعالج بصب اللبن في فم الحيوان المريض لعدة أيام[٤]. **(٥) مرض الجرب :** يصيب الماعز ويؤدي إلى زوال شعره بسبب الحكة الشديدة، وغالبا تظهر حبيبات متوسطة الحجم على جسم الحيوان المريض، ويعالج عن طريق جمع أشجار الأراك اليابسة، ثم تحرق حتى تصبح رمادا، ويوضع الرماد في إناء مملوء بالماء، ويسخن ثم يُبرد ويمسح به جسم الحيوان المصاب حتى يزال الشعر المتبقي على الجسم، وأخيراً يجرح جسم الحيوان بواسطة حجر خشن مما يؤدي إلى نزيف الحبيبات الموجودة على الجسم، ثم يخلط السمن البلدي بمسحوق مادة الكبريت ويغلى على نار، وبعد برودته يمسح به جسد الحيوان المريض[٥] . **(٦) مرض الذريق (الإسهال) :** وليس من الأمراض المعدية، ويصيب جميع الأغنام ويسمى بهذا الاسم لأنه يحول عملية التبرز عند الحيوان إلى إسهال شديد، وأسبابه أكل الأشجار الملوثة أو المسممة، ومن أعراضه انتفاخ البطن مع ارتفاع الحرارة، وحرارة شديدة، ويعالج بمنع الحيوان المصاب من الأكل والشرب لمدة يوم كامل، ثم يعطى غذاءاً خفيفاً على فترات متفاوتة حتى يتم شفاؤه[٦]

(١) مقابلة شخصية مع مسعود علي زبيد، في يوم الخميس الموافق (١٤١٧/٦/٨هـ) صباحاً الساعة(٩) في قرية الأثايبةبنجران.

(٢) مقابلة شخصية مع راشد علي فحثان زبيد يوم الخميس الموافق (١٤١٧/٦/١٥هـ) عصراً في قرية الأثايبة.وهناك العديد من الأمراض القديمة التي لم ترصد، ونأمل أن يقوم أحد طلابنا في قسم التاريخ . بجامعة الملك خالد فيدرس تاريخ الأمراض القديمة في نجران أو جازان أو عسير خلال القرنين (١٣. ١٤هـ/١٩.٢٠م) ، وهو موضوع جديد يستحق الدراسة .

(٣) مقابلة شخصية مع حسين صالح زبيد، يوم الخميس الموافق (١٤١٧/٦/٢٢هـ) صباحاً في حي الخالدية بحاضرة نجران.

(٤) المرجع نفسه .

(٥) المرجع نفسه .

(٦) المرجع نفسه .

.**(٧) مرض الرَّحَام :** يصيب الإناث من الأغنام بعد عملية الولادة، ويسبب التهاباً في رحم الحيوان، نتيجة شرب الماء البارد في فصل الشتاء أثناء الولادة أو بعدها، وينتج عن ذلك تجمد (تخثر) الدم المتبقي بعد الولادة في رحم الأنثى، ويعالج عن طريق الكي خلف الأذن، وأحياناً يوضع صاج من الحديد على النار حتى يسخن، ثم توضع أظلاف الحيوان الأربع على الصاج لمدة دقيقة واحدة أو أقل، ويغلى الشعير مع الماء ثم يُسقى منه الحيوان المريض[١] . **(٨) مرض الخراج :** يظهر على شكل ورم يمتلئ بالصديد والدم، ويخرج من جسم الحيوان على شكل بيضة، حتى يتحول الدم إلى صديد، ويتم علاجه بوضع مسمار من الحديد على لهب من النار حتى يسخن، ثم يوضع على مكان الإصابة مما يؤدي إلى خروج الصديد، وبعد ذلك يغسل مكان المرض بالماء المضاف له الملح العربي، ويعالج هذا الداء أيضاً بوضع كمية من الثوم في الماء الذي تشرب منه الحيوانات المريضة[٢] . **(٩) مرض التخمة :** يصيب جميع الأغنام نتيجة الأكل الزائد الذي يتراكم في بطن الحيوان دون هضم، ويسبب هذا المرض الإمساك مع الانتفاخ الشديد، ويعالج عن طريق غليان كمية من الشاي مع قليل من الماء ثم يبرد ويسكب في فم الحيوان، وأحياناً تسخن كمية من القشر مع قليل من الماء مضافاً له الزنجبيل ويُسقى للحيوان المريض. **(١٠) مرض الجرَعْ :** سمي بهذا الاسم لأنه يسبب للحيوان المصاب تضخماً في الصوت، ومن أعراضه سخونة شديدة مصحوبة بكحة وتضخم في الصوت، ويعالج بوضع ورق عشبة الحنا في إناء مملوء بالماء، ويترك من المساء حتى الصباح ثم يُسقى منه الحيوان المريض غالباً يكوى أسفل الحنجرة بشكل أفقي[٣] . **(١١) مرض القفر :** تورم يظهر في مفاصل الحيوانات، بسبب سقوط الأمطار، أو أماكن الحيوانات غير النظيفة، ويعالج بالكي في مكان الإصابة[٤] . **(١٢) مرض الخْدَاج:** سقوط الجنين لدى إناث الأغنام قبل انتهاء مدة الحمل، وسبب ذلك التعرض للبرد الشديد، والمشي الزائد عن طاقة الحيوان، أو الهزال الشديد، ويعالج بالراحة وتدفئة الحيوان[٥] .**(١٣) مرض المْغَلَة :** يصاب به الماعز بسبب أكل الأعشاب الملوثة، وينتج عن ذلك مغصاً في الجهة اليمنى مما يجعله غير قادر على الحركة والمشي، ويعالج بجرح ذيل الحيوان بسكين حادة حتى خروج الدم، ثم يوضع شيئاً من هذا الدم في أنف الحيوان المريض. **(١٤) مرض القَرَع :** يصيب جميع الأغنام، وسمي بهذا الاسم لأنه يسبب تساقط الشعر، وذلك بسبب تعرض الحيوان المريض للهواء والأتربة الملوثة، ويعالج بالكي في الفك الأسفل، وفي مفاصل الأقدام[٦] . **(١٥) أمراض أخرى عديدة :** مثل :

---

(١) مقابلة مع حسين صالح زبيد في حي الخالدية بنجران في(٢٢، ١٤١٧/٦/٢٣هـ) .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) الجرَعْ : هو تضخم في صوت الحيوان، وهذا المصطلح عند أهل البادية في الغالب .ودراسة اللهجات الحضرية والبدوية في منطقة نجران موضوع جيد ويستحق الاهتمام والدراسة من قبل أهل اللغة العربية في جامعة نجران. كما يجب على جامعة نجران أن تنشئ مركز بحوث يهتم بدراسة اللغة والتراث والأدب والثقافة في منطقة نجران.

(٤) المرجع نفسه .

(٥) المرجع نفسه .

(٦) المرجع نفسه .

الشدق أو اللوف: مثل: الذي يحصل للإنسان، أو (الحماص) وهو داء يصيب الأمعاء بسبب تلوث الطعام أو الشراب، و(اللماث)وهو تورم في بعض أجزاء الجسم، و (الضَّوَا) وهو التهاب غضاريف الأنف، والطاعون أو (الزائدة الدودية) ، والعكمة (الإمساك) ، والحصر، ومرض أبو رطيل أو (أبو الروس) وهو صداع شديد في الرأس، وأبورمح : داء يصيب الصدر يسمى (أبو الحويان أو الشباج) ، والوريم من أمراض الثدي، والرباط والوهن من أمراض الأقدام والمفاصل[١] . وجميع هذه الأمراض وغيرها تصيب الأغنام بسبب رداءة سكنها، أو تلوث أطعمتها وأشربتها، وكان بعضها يموت لعدم وجود رعاية طبية بيطرية جيدة، وكل ما جرى ذكره من تطبيب هو اجتهاد من أهل البلاد وبخاصة من أصحاب الأغنام، وأحياناً تنجح وسائل تطبيبهم وأحياناً تفشل[٢] .

ثانياً: أمراض الإبل : (١) الجرب: هذا المرض هو المرض نفسه الذي تمت الإشارة إليه في العنصر السابق عن الأغنام، وهو من أمراض الإبل الرئيسة، وعادة يعالج بمادة القطران المستخلص من أشجار الزيتون أو العرعر[٣] . **(٢) النحاز :** من الأمراض المعدية عند الإبل، ومن أعراضه ضعف وهزال الجسم، مع كحة وعدم قابلية للأكل . ومن وسائل علاجه جمع رؤوس حيوانات ميتة ثم طبخها، ويسقى مرقها للحيوان المريض . [٤] **(٣) الضّوَا :** مرض يصيب الإبل، وهو غضاريف في الأنف تسبب ظهور نقط سوداء في العين، وقد تتطور حتى يصاب الحيوان المريض بالعمى، وسببها احتكاك جسم الحيوان بشجر العشر ذات المادة اللبنية، ولعلاجها يقوم الخبير المعالج بكسر الغضاريف التي تسبب المشاكل، وأحياناً يذاب الملح في الماء ثم تغسل به عين الحيوان المريض[٥]. **(٤) الانثعال:** مرض غير معد، وهو خروج المشيمة مع الجنين إلى الخارج عند الولادة أو بعدها بفترة قليلة. ويلزم وجود خبير معالج، يقوم بحفر حفرة كبيرة ثم يضع مقدمة الناقة في هذه الحفرة، ويقوم بغسل الرحم وتنظيفه ثم إرجاعه إلى مكانه، وربط رحم الناقة من الخارج، ثم تخرج الناقة وتساعد على المشي حتى يعود الرحم إلى مكانه الطبيعي . وغالبا تقع هذه المشكلة بسبب كبر الجنين عند الولادة، وأحياناً تتضاعف المشكلة بسبب السِّمَن الزائد [٦] **(٥) أبوالحويان :** من الأمراض المعدية التي تصيب الإبل في الصدر، وهو يشبه السل ويسمى أيضا (الشباج) ، ويعالج بجرح بطن الحيوان، ثم الضرب عليه بالسكين عدة مرات، أو الكي بالنار في البطن، ويجب عزل الحيوان المصاب في مكان دافئ، وبعيداً عن

---

(١) هذا ما سمعه الباحث من بعض المسنين في حاضرة نجران في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) .للمزيد انظر صالح بن سالم آل زمانان، دراسة تاريخية مختصرة للحياة الصحية في منطقة نجران، ص ٦٥-٦٩ .

(٢) تاريخ الطب والتطبيب للإنسان والحيوان في منطقة نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) موضوع جديد وجيد ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية .

(٣) مقابلة مع مرزوق علي زبيد في قرية الأثايبة في نجران يوم الخميس (١٤١٧/٦/٩هـ) . للمزيد انظر صالح بن سالم آل زمانان، ص ٧٠ .

(٤) مقابلة مع مشعل مسعود زبيد في قرية الأثايبة يوم الجمعة (١٤١٧/٦/٢٣هـ) .

(٥) مقابلة الباحث لبعض المسنين في نجران عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) .

(٦) مقابلة مع معيض بن راشد زبيد في قرية الأثايبة في نجران يوم الخميس (١٤١٧/٦/٢٢هـ) .

باقـي الحيوانات السـليمة[1]. **(٦) تأخر أو عدم اللقاح:** ينتج تأخر اللقاح عن السـمنة الزائـدة، وعندهـا يتكون في رأس الرحم من الخارج قطعة لحمية تمنـع دخول المني إلى داخـل الرحـم، فيقوم مـن له خبرة بقطـع الزائدة اللحمية، ثم يوضـع الملـح فيها، وهذه الطريقـة للنوق التي تم لها اللقاح لمرات عديدة، أما التي لم تلد فيتم وضـع كمية من الملح في قطعة من القماش ثم توضـع على شـكل صرة وتدخل بعود إلى داخل الرحم وتترك لمدة يوم، ثم تخرج وتعرض الناقة على البعير لتلقيحها[2]. **(٧) السعر:** مرض يصـيب الإبل، وهو مُعْدٍ، ويسـبب الضعف والهزال للجسم، وإنهمار العيون بالدمع، وعلاجه ربيكة التمر، حيث يدقّ التمر مع النوى ثم يُخلط مع الماء ويسـقى منه الحيوان المريض، وقد تطول مدة العلاج لتصـل إلى ثلاث وأربع سـنوات[3]. **(٨) العضد:** داء يصـيب الإبل، وسمي بهذا الاسم لأنه يصيب أعضاء الحيوان، أي أرجله الأمامية، ويسبب هذا المرض تورم المفاصل العلوية للأرجل فلا يقدر على الحركة أو السير بسرعة، وينتج ذلك عن الإرهاق، وعلاجه بالكي في موضع الآلام[4]. **(٩) البشاش:** حبوب تظهر في الفم من الخارج، ومن الداخل تشـقق في اللثة، وسـببه أكل الأعشـاب الملوثة، وعلاجه غسـل فم الحيوان المريض باللبن الرائـب لعـدة مرات[5]. **(١٠) الصّلَخ:** مرض الصـنج عند الإبل، وهـذا الداء يكون في أحـدي الأذنين أو كلتيهما، وذلك نـاتج من خلل في الطبلة، ويعالج بالكي بالنار فوق الأذن المصابة[6].

ثالثاً: أمراض الخيل: (١) القارد: آلام شـديدة في البطن، ومن أعراضه انقلاب الحيـوان على ظهره لعدة مراتٍ، وسـببه أكل البرسـيم المتراكم بعضـه فـوق بعض، وأكل الشـعير الذي لم ينظف جيداً، وغالباً ما يحدث هذا المرض في فصل الشتاء، ويتم علاجه بالكي مرتين الأولى فوق السرة، والثانية تحت السرة[7]. **(٢) البلهارسيا:** يعرف في وقتنا الحاضر بـ (الدوسنتاريا) والحيوان المصاب بهذا الداء تقل شهيته في الأكل، ويترتب على ذلك ضـعف في بنية الجسم، أما أسبابه فتعود إلى شرب الحيوانات من مياه المستنقعات، وطريقة علاجه يسـقى الحيوان المريض السـمن البلدي[8]. **(٣) الخانق:** تورم في الحلق

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) مقابلة الباحث مع بعض المسنين في مدينة نجران في عامي (١٤٢٤هـ، ١٤٣٤هـ/٢٠٠٣، ٢٠١٣م).

(٤) المرجع نفسه.

(٥) المرجع نفسه.

(٦) وهناك أمراض أخرى تصيب العيون، والأعصاب والحلق والأنف والبطن والمسالك البولية وغيرها. ودراسة تاريخ الأمراض القديمة في منطقة نجران من الموضوعات المهمة التي تحتاج إلى باحثين جادين يدرسونها بطريقة علمية أكاديمية.

(٧) مقابلة شخصية مع حسين هادي آل جماهر يوم الأربعاء ١٤١٨/٦/٢١هـ في قرية الجربة بمدينة نجران.

(٨) مقابلة شخصـية مع محمد بن عسـكر الصـقور يوم الخميس (١٤١٨/٦/٢٠هـ) صـباحاً في قرية دحضة بنجران. وقد يكون السـمن البلدي علاجاً ناجعاً لكثير من الأمراض، ولكن قلة الإمكانات، جعلت النـاس يسـخرون الموارد الطبيعية في بلادهم لخدمتهم.

نتيجة تعرض الحيوان للبرد والمطر الشديد، ومن أعراض هذا المرض قلة الأكل والشرب، وعلاجه الكي تحت الأذنين سواءً اليمنى أو اليسرى[(١)]. **(٤) العُكَام :** سبب هذا المرض أكل الحيوان للأعشابِ والحشائش اليابسة باستمرار بشكل سريع، وهذا مما يضعف عملية الإخراج نسبياً، ويسبب عسر الهضم. وعلاجه بالكي في البطن أو شرب ماء العوسج بعد غليه [(٢)]. **(٥) الإسْهَال :** وسببه اختلاف نوعية الأكل الذي تعود عليه الحيوان، ونتيجة ذلك إسهال حاد وشديد مما يؤدي إلى ضعف الجسم، ويتم العلاج عن طريق شرب اللبن الحامض الخالي من الدسم [(٣)]. **(٦) الفاقوش :** ويطلق عليه (طاعون الخيل) والحيوان المصاب بهذا المرض تدمع عيناه وتتورم جفونه وهو مرض يصيب الرأس بصداع شديد، وهذا الداء من أمراض الخيل الخطيرة . ويعالج قديماً بوضع روث الإبل على الجمر ثم ينزل رأس الحيوان عليه ليستشنقه حتى يخفف الألم[(٤)]. **(٧) الزَّرْد :** آلام شديدة في بطن الحيوان، وسببه تعرض الحيوان للبرد القارس، أو إلى أكل الأعشاب المعرضة للشمس بعد حصادها، وعلاجه الكي بالنار على الكليتين [(٥)]. **(٨) الكُزْة :** ويسمى (الكزاز)، وهو مرض يسبب آلاماً شديدة في البطن ناتجة عن البرد في فصل الشتاء، ومن أعراضه الضعف العام، وقلة الحركة ورعشة الجسم، ويعالج بالكي في البطن[(٦)]. **(٩)الحقن :** من أمراض الخيل، وهو العطش بعد المشاركة في سباق وحروب، وعند الانتهاء تبدأ الخيل الشرب بشراهة، مما يسبب لها ضيق تنفس قد يودي بحياتها [(٧)] .

رابعاً : أمراض البقر. (١) المرار : هو من أمراض فصل الشتاء، وسببه البرد الشديد، ويصيب الجهاز الهضمي، ويبدو على الحيوان نقصاً في الوزن وسخونة، وإسهال حاد، ويعالج بالكي في أسفل البطن[(٨)] . **(٢) الحَصَر :** وهو عدم خروج البول من الحيوان بطريقة سليمة فيأخذ في الانتفاخ، ويعالج قديماً بغلي نبات المرخ مع الماء على النار، وعندما يبرد، يسقى منه الحيوان المصاب [(٩)] . **(٣) ورم الثدي :** بسبب عدم استخلاص الحليب من الثدي في وقته، وبقائه فيه لمدة طويلة، وعلاجه تنظيف الثدي بالماء الدافئ والملح، وحلب الماشية وعدم استخدام الحليب المريض، ومن أسباب هذا المرض أيضاً عدم نظافة مكان الحيوان، أو تعرضه للدغ من بعض الزواحف السامة[(١٠)] . **(٤) الخُدَاج : هو**

---

(١) مقابلة شخصية مع بعض الرواة النجرانيين يوم الأربعاء في ١٤١٨/٦/٢١هـ في قرية الجربة بنجران .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) المرجع نفسه .

(٥) مقابلة الباحث بعض المسنين في نجران عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) .

(٦) المرجع نفسه .

(٧) مقابلة مع أحمد قعوان الصقور في قرية دحضة بنجران يوم الخميس (١٤١٨/٦/٢٠هـ) (مساءً) .

(٨) مقابلة شخصية مع مهدي عوض الغباري يوم الإثنين (١٤١٨/٦/٧هـ) صباحاً في مدينة نجران .

(٩) مقابلة شخصية مع علي قصير المحامض يوم الأربعاء(١٤١٨/٦/٧هـ) عصراً في قرية البطحاء بنجران .

(١٠) مقابلة شخصية مع علي قصير المحامض يوم الأربعاء ١٤١٨/٦/٧هـ عصراً في قرية البطحاء التي تبعد عن الحاضرة ١٦ كيلو تقريباً .

إسقاط الجنين قبل بلوغ مدة الحمل الأصلية، وأسبابه الهزال الشديد والمشي لمسافات طويلة أو المشي على الرمضاء الحارقة، وعلاجه الوقاية من الأسباب الآنف ذكرها[١]. **(٥) الرَّحَام :** ويقع عندما يلد الحيوان في فصل الشتاء، ثم يشرب ماءً بارداً فيتجمد الدم الفاسد داخل الرحم وعلاجه غلي الشعير مع الماء ثم يسقى منه الحيوان المصاب[٢]. **(٦) الحراش :** من أمراض البقر، وهو ظهور بعض الحبوب والشقوق في اللسان واللثة، وسببه أكل بعض الحشائش المزمنة الملوثة، ويعالج عن طريق جمع جذور القمح وحرقها، ثم مسح فم الحيوان المصاب بالرماد الناتج من هذا الحريق [٣]. **(٧) الكسور والقطوع:** عندما ينكسر أي عضو من أعضاء الحيوان، يقوم أحد ذوي الخبرة بوضع قطعة خشب على الكسر، وقطعة أخرى على الطرف الثاني، ويربط عليهما معاً بحبل، ويكون الربط متوازناً بين الشدة واللين، وتستمر هذه العملية حتى يجبر الكسر[٤]. أما القطوع فعند حدوثه في جزء من أجزاء الجسم، يقوم أحد ذوي الخبرة بتخييط المكان المقطوع بواسطة إبرة وخيط من ذيل الخيل[٥].

خامساً : أمراض الحمير : (١) الحِنَاك: وهو لحمية داخل أنف الحمار نتيجة استنشاقه لبقايا أعلاف الذرة بعد حصادها فيسبب له ضيقاً في التنفس والتهاباً في الجيوب الأنفية وظهور "قرقرة" في عملية الاستنشاق، وعلاجه بإدخال عود من شجرة العوسج في أنف الحمار المريض ثم يضغط على غضاريف الخشم[٦]. **(٢) العَارد :** هو تقلصات ومغص شديد نتيجة أكل الأعلاف التي تعرضت لأشعة الشمس بعد حصادها فتسبب للحمار انتفاخاً في البطن وتقلصات وإسهال، ويعالج عن طريق الكي في البطن بكيتين الأولى أمام السرة والأخرى خلفها [٧]. **(٣) الكَاتوبة :** ألم شديد في الركبة نتيجة التعب والمشي لمسافات طويلة، ويسبب للحمار المريض عدم اعتدال في المشي، وعلاجه بالكي في الركبة المصابة[٨]. **(٤) الجيْزَان :** جروح تظهر على ظهر الحمار، وأحياناً تنزف منها الدماء. وسببه الأعمال الشاقة وحمل الأحمال الكبيرة والثقيلة، وتعالج هذه الجروح بالملح العربي المسحوق، مضافاً إليه ورق شجرة القرض المسحوق، ثم يخلط بالماء ويغلي، ثم يترك حتى يبرد ويوضع على الجروح بواسطة قطعة من القماش[٩]. **(٥) مرض العَتِير:** وهو تقلصات وآلام في البطن وإسهال شديد نتيجة للإصابة بالبرد

---

(١) المرجع نفسه.
(٢) مقابلة الباحث مع بعض المسنين في مدينة نجران ومحافظة حبونا في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
(٣) المرجع نفسه.
(٤) المرجع نفسه.
(٥) المرجع نفسه.
(٦) مقابلة شخصية مع هادي علي عرمه يوم الخميس (١٤١٨/٧/٢٠هـ) صباحاً في قرية الغويلا بنجران.
(٧) المرجع نفسه.
(٨) المرجع نفسه.
(٩) مقابلة شخصية مع عبد الله حفشان يوم الخميس (١٤١٨/٧/٢٠هـ) مساءً في قرية دحضة بنجران.

في فصل الشتاء، ويعالج بعشبة (الخوع) فتطبخ على نار هادئة ثم يسقى منها الحمار المريض(١) .

سادساً : أمراض الكلاب : (١) الرُّبحَ: مرض يصيب الكلاب في جلدها، وهذه التسمية نتيجة لأكل الكلاب للقرود (الرباحة) حسب التسمية المحلية . ومن أعراضه تساقط الشعر وظهور حبوب على الجسم، ويعالج الحيوان المريض بالعزل وعدم إتاحة الفرصة له في أكل القرود(٢) . **(٢) الرُّوح:** احمرار شديد في العينين نتيجة السهر في الحراسة ليلاً ، أو تعرض الحيوان لهواء ملوث، ويعالج بجمع ورق شجرة (العوسج) ثم يعصر في عين الكلب المصاب(٣) . **(٣) مرض السُّم :** هو تسمم يصيب الكلب نتيجة أكله للطعام المسموم أو أكله من شجرة (الغلث) ، فتحدث له آلاماً شديدة في البطن يصاحبها دوخة، ويعالج الحيوان المصاب بسقيه سمن الأغنام(٤) .

سابعاً : أمراض الدجاج : (١) القملة : هي حشرة صغيرة سوداء اللون، ومرض القمل للدجاج ينتج عنه الهزال الشديد بسبب قلة الأكل، ويعالج بنثر الرماد على جلد الدجاجة أو الديك المصاب (٥) . **(٢) الحزار:** هو حبيبات تظهر على أقدام الدجاج نتيجة المشي في المستنقعات والأماكن القذرة، ويعالج عن طريق ربط هذه الحبوب بخيط . مما يؤدي إلى زوالها . **(٣) الحساسية :** مرض يظهر على جلد الدجاج، ويسبب لها تساقط الريش وحكة شديدة نتيجة الجلوس على روث الأغنام، ويعالج بغلي الماء مع الملح ثم يوضع على جلد الدجاج حتى يزول هذا المرض(٦) .

ثامناً : القطط : (١) الحساسية : مرض يصيب القطط بسبب تواجدها في الأماكن القذرة مما يسبب لها حكة شديدة، وتعالج عن طريق مسح الجلد بسمن الأغنام . **(٢) الكحة :** مرض يصيب القطط نتيجة تعرضها للبرد الشديد، وتعالج بسقاية الحيوان المريض لبن الأغنام مخلوطاً بالسمن البلدي(٧) .

٣.روايات ومشاهدات بعض المعاصرين للحياة الصحية في نجران :

تاريخ الحياة الصحية في نجران من الموضوعات التي تستحق أن يصدر عنها العديد

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) مقابلة شخصية مع حمد سويد الصقور يوم الجمعة في (١٤١٨/٦/١٦هـ) عصراً في قرية دحضة .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) مقابلة مع محمد حمد شطفة يوم الجمعة في (١٤١٨/٦/١٦هـ) مساءً في قرية الأثايبة .

(٥) مقابلة مع علي محمد الوايلي يوم الخميس (١٤١٨/٦/١٥هـ) صباحاً وذلك في سوق الدجاج في قرية أبا السعود. والقمل من الحشرات التي تصيب الإنسان، وتسبب له مشاكل عديدة، وعلاجه عند الإنسان المواظبة على النظافة في الجسد واللباس وأماكن النوم .

(٦) مقابلة الباحث لبعض الرواة في مدينة نجران في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) .

(٧) مقابلة مع مانع حمد الغباري يوم الجمعة (١٤١٨/٦/٢٣هـ) صباحاً في مدينة نجران . للمزيد عن بعض الأمراض القديمة في نجران وطرق علاجها، انظر: موسوعة المملكة العربية السعودية (الرياض : مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٨هـ)، المجلد (١٥)، ص ٢٨٥ وما بعدها .

من البحوث والدراسات، وبخاصة منذ بداية النصف الثاني للقرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر. وفي هذا المحور نورد بعض أقوال ومشاهدات خمسة أعلام عملوا في ميدان الشؤون الصحية بنجران منذ بدايات الثمانينيات في القرن الهجري الماضي[١]، وهم:

أ- أحمد عبد الحفيظ، فني تمريض، سوداني الجنسية، قدم إلى نجران في منتصف الثمانينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م)، يقول: "كان قدومي إلى المملكة العربية السعودية من السودان عن طريق الرياض، وكان بصحبتي في الطائرة ثلاثة أشخاص بريطانيين ومترجم فلسطيني، وعند نزولي إلى المطار الذي لم يكن به مدرجات مسفلتة بل كان رملاً، ولم يكن بالمطار سوى موظف واحد، وبعد ذلك أتت سيارة واحدة من الجيش وحملت الإنجليز الثلاثة ومترجمهم، أما أنا بصفتي فني تمريض فلم أجد من يستقبلني بل جلست لدى موظف المطار، وبعد فترة رأيت غباراً من إحدى الجهات فانتظرت حتى أتت سيارة (وانيت فورد حمراء) وكان عليها ثلاثة ركاب، فقال لي سائق السيارة إلى أين؟ فقلت له إلى المستشفى، ولكن في البداية لم يفهموا معنى كلمة (مستشفى)، حيث كان يطلق عليها كلمة (الصحة)، وكان المطار قديماً يوجد في وسط الرمال التي أصبحت الآن عاصمة لمنطقة نجران (مدينة الفيصلية)، ثم ركبت معهم وعند الوصول إلى مدخل نجران القديم الموجود في (طعزة) هالني أنه لم يكن هناك طرق مسفلتة، بل سرنا في طريق بري حتى وصلنا إلى المستشفى، وعند دخولي وجدت الناس، واستقبلت كموظف جديد ... الشيء الذي أعجبني في المنطقة، هو معرفة المواطنين بأهمية الصحة والضيوف القادمين، وقد وجدت حوالي خمسة عشر موظفاً وموظفة"[٢].

ب- حمزة الجاك عبد القادر، سوداني الجنسية، فني تمريض جاء إلى نجران للعمل في الخدمات الطبية عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، يقول: "قدمت إلى نجران عام (١٣٨٥هـ)، وكان برفقتي صيدلي من لبنان، وعند وصولنا إلى المطار في طائرة (داكوتا) مروحية، كان المطار غير مسفلت، وفي منطقة رملية أصبحت الآن عاصمة نجران. وعند هبوط الطائرة تعكر الجو بالغبار ولم نر شيئاً إلا بعد نصف ساعة، ولم يكن هناك آنذاك سيارة أجرة، بل كانت هناك سيارات مخصصة للشحن، وقد واجهتنا صعوبة في كيفية الوصول إلى المستشفى، إذ لم نجد ما ينقلنا للوصول إليه، ولم يبق من تلك السيارات إلا شاحنة واحدة فقط، فسألنا الموظف فأجاب بأنه لا توجد سيارات أجرة ولا وسيلة للوصول غير تلك الشاحنة، فذهبنا للسائق وطلبنا منه أن يأخذنا إلى المستشفى فقال بأنه لا يقدر

---

(١) تم جمع هذه المادة عن طريق طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك سعود، فرع أبها عامي (١٤١٧-١٤١٨هـ/٩٧-١٩٩٨م). وقد دونت وطبعت هذه المقابلات في بحث: دراسة تاريخية مختصرة للحياة الصحية في منطقة نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) والطلاب الذين جمعوا هذه الروايات هم: (١) صالح بن سالم علي آل زمانان. (٢) مرزوق بن علي هادي آل قمري. (٣) ناصر بن حسين الزبيدي. (٤) حمد بن سالم قرعان آل سوار. (٥) علي بن سالم قرعان آل سوار. ونسخة من بحثهم الذي يحوي هذه المادة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية رقم (١٧٧).

(٢) مقابلة مع فني التمريض أحمد عبد الحفيظ في مدينة نجران عام (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

بسبب تحميل بضاعة من الطائرة، وكان خائفاً على تلك البضاعة، ولكن أقنعناه بعملنا وعدم الخوف على البضاعة، فحُملت السيارة بالبضاعة، وكانت صناديق صغيرة لا ندري ما بداخلها، وفعلاً ركبنا مع البضاعة ووصلنا للمستشفى، ولكن الطريق كان شاقا ووعرا مع العلم بأن المسافة لا تزيد عن (٢٠كلم) وكانت السيارات عرضة للتعطل وسط الرمال (التغريز) حتى في وسط المدينة، ولم تكن هناك إنارة سوى القناديل داخل عاصمة نجران (أبا السعود) . ومنذ ذلك الوقت بدأنا العمل في المستشفى وبدأ التطور الملحوظ في جميع المجالات التي تفوق الخيال في الوقت الحاضر"[١] .

ج- علي محمد توفيق النحاس[٢]، أحد العاملين في الخدمات الطبية في نجران منذ بداية التسعينيات في القرن الهجري الماضي، يقول: "لازلت أذكر اليوم الذي قدمت فيه إلى المملكة العربية السعودية منذ ربع قرن في (١٩شوال /١٣٩١هـ/٧ /ديسمبر عام ١٩٧١م)، حينما قابلت الموظف الذي كتب لي خطاب التوجيه إلى نجران، وقال لي إنك ستعيش في منطقة جبلية وعرة والحياة فيها صعبة والجو شديد البرودة... إلخ، مما أربكني حقاً وجعلني أفكر في العودة إلى بلدي، وقابلت وكيل الوزارة في ذلك الوقت فبدت عليه الدهشة مما قاله الموظف وقال : " إنه خلط بين نجران وبين مناطق أخرى. توكل على الله. إن نجران مدينة مناخها طيب، والعيش فيها سهل وميسور، واطمأننت لما سمعته أذناي وركبت الطائرة (الكونفير) التي كانت تقلع من الرياض كل أسبوع مرة واحدة حاملة بضعة وعشرين راكبا، ثم هبطت الطائرة بعد ساعتين في مطار نجران، أرض منبسطة صحراوية، ومباني المطار عبارة عن غرفتين، خرج من إحداها موظف يلوح للركاب، ويشير إليهم بالتوجه إلى سلم الركاب بجوار الطائرة عند مخزن العفش، وعلى كل راكب أن يصعد على السلم ليأخذ عفشه من داخل الطائرة، كانت السيارات محدودة في نجران لا يتجاوز عددها أصابع اليدين، وانتظرنا حتى أقلتنا السيارة إلى المستشفى، والمطار وقتها يقع في مكان يُقال له الآن مفرق الخميس، والطريق من المطار يبدأ بطريق ترابي يصل إلى مركز (طعزة) وهو المكان الذي يقع فيه التموين الطبي حاليا، ثم يبدأ طريق مسفلت ضيق منفرد ومتعرج يسير بين الجبال حتى يصل إلى المستشفى، أما المستشفى العام فهو بداية البلد حيث يبدأ طريق مزدوج يصل إلى قرب (الشبهان) ، وذلك هو طول البلدة، أما عرضها فلا يتجاوز خمسمائة متر يحدها شمالا الجبال وجنوبا الوادي الواسع الذي يفصلها عن القطاع الجنوبي في البلدة الذي يمتد من الموفجة حتى رجلاء .

وكان السيل إذا غمر الوادي انقطع الجزء الجنوبي في البلدة فلا يستطيع الموظفون القاطنون فيه التوجه لأعمالهم لمدة طويلة. والمستشفى تابع لمديرية الشؤون الصحية بعسير ماليا وإداريا، والأسرة فيه لا تتجاوز ثلاثين سريرا، ويتبعه مراكز صحية في يدمة

---

(١) مقابلة مع فني التمريض حمزة الجاك عبد القادر، في مدينة نجران في منتصف عام (١٤١٨هـ/١٩٩٧م) .

(٢) تمت المقابلة معه في مدينة نجران يوم الأربعاء (١٤١٨/٦/١٣هـ) . وكان في هذا التاريخ مديراً للتموين الطبي في الشؤون الصحية بمنطقة نجران .

وحبونا وبدر الجنوب وشرورة ومكتب مواليد ومستودعات، وكل مباني المراكز من الطين . أما المستودعات فهي ثلاث غرف خصصت إحداها للأدوية، والثانية للآلات، وغرفة ثالثة منفصلة وصغيرة تحت الدرج بالمستشفى (٣م ×٣م) للوازم الطبية بالإضافة إلى مبنى صغير من الطين كان يستخدم مستودعا للأدوية . ويعجب القارئ حينما نذكر له كيف كان يتم ترتيب الأصناف بالمستودعات فلا نجد أرففا، ونقوم بفتح الصناديق الخشبية التي تحتوي على الأدوية، نرتبها بعضها فوق البعض، ونضع فيها الأدوية حسب مجموعاتها الدوائية، ولم نكن نعرف المكيفات في ذلك الوقت لأن درجة الحرارة لم تكن تتعدى (٣٠ْ) في أشد أيام الصيف حرارة، أما اليوم فالدرجة العظمى تتراوح بين (٤٠-٤٢ْ م)، والفرق الهائل يرجع طبعاً لزيادة معدل عادم السيارات، وعادم المصانع في الجو، ثم طبقة الأوزون التي حير سرها العلماء . ومستودع الأثاث لم تكن فيه ثلاجات ولا أفران ولا مواقد غاز، كان فيه الأسرة ولوازمها والأتاريك والفوانيس . أما عن وسائل الاتصال الهاتفية ذلك الوقت فلم يكن بنجران سوى سنترال الإمارة المتصل بكل الدوائر عن طريق هاتف داخلي يدار باليد بدون أرقام، ومن أراد الاتصال المحلي أو الدولي داخل المملكة أو خارجها فعليه أن يذهب في عطلة نهاية الأسبوع إلى أبها .

و يستمد المستشفى الكهرباء من مولد كهرباء بالمستشفى نفسه، وليس هناك مولد احتياطي، كنا نستعمل الأتاريك التي تعمل بالكيروسين في حالة انقطاع التيار الكهربائي، وجميع مباني البلدة كانت من الطين سوى مبنى المستشفى الذي كان مسلحا .

أما عن صيدلية المستشفى فغرفة واحدة فيها الأدوية والكيماويات على الرفوف، ويتبعها معمل للتحضير مساحته (٣م × ١م) ووسائل التحضير بدائية سطول من الصاج ومغارف من الخشب والألمنيوم وميزان شبه حساس وبضع كاسات مدرجة، أما الماء المستعمل فهو من البئر الوحيدة بالمستشفى، وكنا نغلي الماء بالأتاريك نظراً لقربها من أماكن التلوث، وبعد غلي الماء نرشحه في أقماع مزودة بالقطن والشاش، وهذا الماء هو الذي يستعمل بعد تبريده ! وكنا في بيوتنا أيضاً نغلي الماء لنشربه.

لم تكن هناك محطات تحلية ولم نكن نعرف " المياه المعبأة - ماء الصحة " ومع ذلك كنا نعتمد على الأدوية المحضرة بالصيدلية أكثر من اعتمادنا على الأدوية الجاهزة . كانت عملية غلي الماء صعبة جداً حتى تم التنسيق مع المختبر لصرف كميات من الماء المقطر للصيدلية، لم تكن هناك قوارير لتعبئة الأدوية للمرضى وعلى المريض إحضار قارورة يتم تنظيفها بالصيدلية وتعبئتها .

أما الذين بقوا معي في مواقعهم منذ ربع قرن ولازالوا يعملون إلى الآن فهم أمين مستودع الآلات الأخ/ محمد الشريف، وأمين مستودع الأثاث الأخ/ محمد علي زمانان، والفنيين الأخ/ أحمد عبد الحفيظ والأخ / حمزة الجاك[1] .

---

(١) الاثنان الأخيران هما صاحبي المقابلتين السابقتين في هذا المحور .

لقد اتسعت الخدمات الصحية بسرعة فائقة في منطقة نجران وكان التطور أسرع من الزمن لذلك نجد : أن مستشفى الملك خالد بُني وجهز وتم فتحه على يد وزير الصحة آنذاك معالي الدكتور/ غازي القصيبي في مدة قصيرة، كذلك تحول المبنى الطيني المقابل للمستشفى العام، والذي كان يسمى (مستشفى العزل) إلى مستشفى للأمراض الصدرية . كذلك تحولت العيادة النفسية بالمستشفى العام إلى مستشفى الأمراض النفسية . وتم إنشاء مبنى مستقل للعيادات الخارجية والإسعاف والطوارئ بمستشفى نجران العامِ . وقفزٍ عدد المراكز الصحية التي لم تتجاوز أصابع اليد الواحدة إلى أكثر من ستين مركزاً صحياً. وبدأ العمل بنظام الملف الصحي . وتم إنشاء مستشفى شرورة العام وعدة مراكز صحية بها.

لم يكن التموين الطبي عن هذا التطور ببعيد، فقد تزايد الطلب على الأدوية والآلات واللوازم والمعدات وتضاعفت بنود الميزانية اللازمة لتغطيةٍ هذه النفقات، وأصبح من الضروري التوسع في أماكن التخزين، فتم إنشاء مبنى جاهزاً في فناء المستشفى لتخزين بعض اللوازم، ثم تم استئجار عدة محلات في أماكن متفرقة لاستيعاب الأدوية واللوازم التي ازداد الطلب عليها

ومع تحول مستشفى نجران العامِ إلى مديرية للشؤون الصحية عام (١٤٠٥هـ) انفصل التموين الطبي وأصبح قطاعاً مستقلاً عن المستشفى عندما تم بناء أول مستودع بمساحة (١٨٠٠م٢) وارتفاع (٨م) وتكاليف أكثر من ثلاثة ملايين ريال، وتم تأثيثه بالأرفف والروافع وطبليات الخشب والملحقات الأخرى بحوالي (٨٥٠) ألف ريال، وتم إنشاء مستودعين آخرين على الطراز المستحدث بتكاليف حوالي (١١) مليون ريال بهما أربع غرف ثلاجات، وكذا وسائل تلقائية لإطفاء الحريق. والإنذار المبكر، وجدرانها من نوع المباني العازلة للحرارةٍ ومساحة كل منها(١٥٠٠م٢) وارتفاعها (٨م)، وإنشاء أربعة مولدات تعمل أوتوماتيكيا عند انقطاع التيار الكهربائي العام لتظل الأدوية محفوظة في درجة الحرارة المناسبة، وتزويد المستودعين بالروافع والأرفف المناسبة ووسائل الصرف والمناولة ولم يكن يدرٍ بخلدي وأنا أرصٍ الأدوية في صناديق الخشب المستعملة كأرفف. منذ خمسة وعشرين عاماً. أنه سيأتي يوماً أرى فيه هذا التطور المذهل .

إن ربع قرن في عمر هذه المنطقة يعادل أكثر من قرون من السنين في غيرها من البلاد . فهناك تطور هائل في وسائل المواصلات والخدمات الصحية وتعبيد الطرق وتحول الحياة إلى اليسر بعد العسر وإلى الحضارة بعد البداوة [١] .

د. <u>حسين بن معدي بن معشي آل هتيلة</u>[٢] ، أحد أعيان منطقة نجران، ومن العاملين

---

(١) مقابلة شخصية مع عليٍ محمد توفيق النحاس مدير التموين الطبي بنجران يوم الأربعاء (١٤١٨/٦/١٣هـ) (الساعة العاشرة صباحاً) .

(٢) الأستاذ حسين من مواليد عام (١٣٥٨هـ) عمل في قطاعات حكومية عديدة، منها وزارة الصحة في نجران ووادي الدواسر حوالي عشر سنوات (١٣٨٣. ١٣٩٣هـ /١٩٦٣.١٩٧٣م). للمزيد عن ترجمته انظر: غيثان بن علي بن جريس . القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران) (الرياض: مطابع الحميضي، ٣٢. ١٤٣٣هـ

في الشؤون الصحية بنجران منذ بداية ثمانينيات القرن الماضي، يقول: " انتقلت إلى وزارة الصحة عام (١٣٨٣هـ) للعمل في " مستشفى نجران العام "، حيث عملت مديراً إدارياً ومحاسباً في نفس الوقت، ولم يكن يوجد موظفون إداريون أو ماليون غيري سوى مأمور مستودع وبعض المستخدمين وطبيب ونرتبط بمندوبية وزارة الصحة بأبها. وقد بدأت الخدمات الصحية في نجران عام (١٣٥٨هـ) بمستوصف به طبيب وبعض الممرضين لا يتعدى عددهم ثلاثة وصيدلي وبعض المستخدمين، واستمر الحال على ذلك لمدة طويلة، بعدها تم فتح نقطتين صحيتين في كل من بدر الجنوب وحبونا ترتبطان بمستوصف نجران في كل منها مراقب ومستخدم، وفي عام (١٣٨٢هـ) تم فتح مستشفى نجران العام، وبعد فترة فصلت الصحة في نجران عن مندوبية الصحة في أبها، وربطت بالإدارة العامة للمستشفيات في وزارة الصحة، وبدأ التوسع في الخدمات الصحية بالمنطقة.

وبالرغم من أن أول مرفق صحي أسس في نجران هو مستوصف نجران، والنقطتان الصحيتان في بدر الجنوب وحبونا، إلا أن الكثير من القرى والهجر بحاجة إلى الخدمات الصحية، لذلك كنا نستخدم ما يسمى " الطبابة السيارة "، وهي شاحنة تنقل الأدوية وبعض المعدات الطبية، وسيارة أخرى بها طبيب وممرض ومراقب صحي وصيدلي، ونقوم بالتجول في المنطقة، ونتمركز في القرى والهجر وموارد المياه لمعالجة المرضى هناك، وتحويل من تستدعي حالته الصحية للتحويل إلى المستشفى الذي كان قد افتتح آنذاك واستؤجر له أحد المباني بنجران القديمة " أبا السعود " ثم انتقل إلى المبنى الحكومي الذي تم بناؤه مؤخراً.

وأذكر أنني قمت ضمن حملة صحية " طبابة سيارة " في عام (١٣٨٩هـ) بعملية مسح شامل للمناطق التي زرناها خارج المنطقة شملت إحصاء للمساكن والكثافة السكانية، ورفعنا بعدها تقريراً شاملاً أوضحنا فيه حاجة تلك المناطق لفتح نقاط صحية ومستوصفات لتوفير الخدمات الصحية اللازمة للمواطنين، ومنها ضرورة افتتاح مستشفى بحبونا سعة خمسة وعشرين سريراً، ولازلت أتذكر ذلك اليوم الذي خرجنا فيه، وكان معي زملائي في هذه الحملة محمد بن وتيد (رحمه الله) (مراقب صحي).

ورداً على سؤال طرح عليه حول المقارنة بين الخدمات الصحية سابقاً وحاضراً قال: " إنه لا توجد مقارنة بين الخدمات الصحية في وقتنا الحاضر مقارنة بالماضي، والأسباب بلا شك معروفة فالإمكانيات والكفاءات والوعي كلها مجتمعة كانت أسباباً رئيسة في هذا الفارق الكبير والملموس، فلك أن تتخيل بأنه في إحدى مهماتنا التي قمنا بها في السابق لبعض القرى والهجر كان لابد لنا أن نوضح خلال تقريرنا عن هذه المهمة احتياجات منطقة هدادة، وهي منطقة جبلية ذات مسالك وعرة لم نصل إليها إلا بواسطة الدواب، واستغرقت الرحلة يوماً كاملاً ذهاباً وإياباً لكنها كانت رحلة ممتعة. فالوضع الحالي لهذه الخدمات يتطلب منا جميعاً الحمد والشكر لله أولاً، ثم الولاء والتقدير لحكومتنا الرشيدة

/١٠.٢٠١١م) الجزء الثالث، ص٢٥٠.

التـي أولت الخدمات الصـحية ما تسـتحقه من الخدمات التي لها علاقـة بحياة المواطن وراحته ورفاهيته" [(١)] .

هـ. علي الربيعان[(٢)] : أحـد موظفـي الشـؤون الصـحية في نجـران منـذ نهايـة السـبعينيات في القرن الهجري الماضـي، يقول : " التحقت بالعمل بعد أن علمت بأن هناك عدداً من الوظائف من بعض الأصدقاء، كتبت طلبي وحملته في يدي وكلي أمل أن أكون من المقبولين، سـلاحي حب الوطن، فلا شهادة علمية تؤهلني للالتحاق بالعمل في ذلك الوقت قبل حوالي (٤٠) عاماً من الآن، ولم يكن في ذلك الوقت سوى طبيب واحد فقط، وقد كنت محظوظاً حيث قبلت كموظف، مارست عملي مع عدد من زملائي، وكان المستشفى آنذاك عبارة عن غرفة واحدة فقط وصـالة فسـيحة، ولم يكن العمل محدداً فمن خلال احتكاكي بالطبيـب ومن جاء بعده، تعلمت أغلب الأعمال، فكنت الطبيب المداوي والصـيدلي البارع والممرض الماهر حتـى أن المواطنين كانوا ينادونني بالدكتور علـيّ عطفاً على ما كنت أقوم به من مهام، ففي ذلك الوقت كان من يعطي الحقن " الإبر " للمرضى يعتبر " دكتوراً " ".

ويواصل ضيفنا سرد ذكرياته فيقول : " نظراً لظهور بعض الأمراض في ذلك الوقت، كان لابـد من انتدابنا لإعطـاء التطعيمات والأمصـال اللازمة للمواطنـين، والدواب هي وسيلة تنقلنا في ظل انعدام وسائل المواصلات الأخرى، والطرق وعرة وسبل العيش الكافي غير متوفرة نصـعد الجبال ونشـق السـهول حفاة نلجأ إلى الجبال في الليل هرباً من برد الشـتاء القارس، ولكن كانت هذه الرحلات ممتعة عندما نشـعر بأن المهمة التي كلفنا بها قـد نجحـت وحققت المبتغى، ففي إحـدى رحلاتي إلى حبونا ذهبت مـن منزلي فجراً ولم يكن لي من رفيق بعد الله سوى دابتي ووصلت إلى حبونا فجر اليوم التالي، وأكملت المهمة وأخذت قسطاً من الراحة ثم عدت ثانية إلى نجران ومكثت في الطريق مدة أقصر بعد أن فرغت حمولة الدابة من الأمصال هناك، فما إن وصلت إلى عملي حتى كلفت بمهمة أخرى وهي الذهاب إلى منفذ الخضراء وهكذا كان عملنا متعباً وشاقاً " .

وعن تقدم الخدمات الصـحية في منطقة نجران ذكر لنا أن الدابة هي وسـيلة النقل سـابقاً خارج المنطقة وكان انتدابها عشـرة ريالات، وهذا المبلغ لا يحصلون عليه أحياناً بل كان أقل من ذلك بكثير، وذلك يجعلنا ندرك أهميتها في ذلك الوقت، ولكن مع مرور الأيام زود المستشـفى الطبي بوانيت واحد فقط مكشـوف، وكان هو كل شيء (الإسعاف) ينقلنا إلى الأماكن البعيدة، وتأمين الطلبات وغيرها .

ويعـود ضـيفنا إلى الـوراء قليلاً ليذكر لنا كيف بدأ في تعلـم المهنة . فيقول " كثيرون يستغربون عندما يعلمون بأنني كنت أمارس المهام التي ذكرت، ولهذه حكاية ففي ذات يوم اجتمـع بنا المرحوم محمـد بن وتيد، وقال لا يوجد غيرنا ـ وكان معنـا آنذاك أحد الإخوان

---

(١) مقابلة شخصـية مع حسـين بن معـدي آل هتيلة، مدير الحقوق العامـة بإمارة منطقة نجـران وذلك يوم الجمعة (١٤١٨/٦/٨هـ) الساعة ٨ صباحاً.

(٢) مقابلة مع علي الربيعان في مدينة نجران في شهر جمادى الثانية من عام (١٤١٨هـ/١٩٩٧م) .

الفلسطينيين. ويجب أن نتعلم بعض المهن لكي نتمكن من أداء واجبنا تجاه الوطن فليس له سوانا وعلينا أن نضحي بكل ما نملك، وبالفعل تعلمنا صرف العلاج وإعطاء الحقن، ونمارس الأعمال المناطة بكافة العاملين بالقطاع الصحي، حتى تنظيف وتنظيم فرش الأسرة كان من مهامنا التي نشعر ونحن نؤديها بسعادة لأن هذا واجب إنساني كبير، فقد عالجنا المرضى، وداوينا الجرحى، ونجتهد في مواساة أهالي المتوفين، وكان جو العمل مريحا جداً رغم عدم معرفتنا به، ورغم الإرهاق الذي عانيناه في ذلك الوقت".

وأضاف لنا علي ربيعان بداية الانطلاقة فقال لنا: "أحب في هذه العجالة أن أذكر بكل فخر الجهود التي بذلها أمير منطقة نجران آنذاك المرحوم خالد السديري، فقد بذل جهوداً جبارة، كان لها أثر كبير في تقدم الخدمات الصحية، وكان يتابع سير العمل بنفسه، ويعمل على تذليل الصعاب، وتوفير الإمكانيات، وقبل حوالي (٣٠) عاماً من الآن افتتح مستشفى نجران، وتوسعت الخدمات الصحية، ووصلت إلى كل قرية وهجرة وامتدت إلى كل مواطن بعد أن هيئت لها كل الإمكانات من معدات حديثة وأجهزة راقية نتيجة التوسع في المباني وإنشاء المراكز الصحية في أنحاء المنطقة [(١)].

٤. نبذة موجزة عن الخدمات الصحية الحديثة في نجران:

تعد العقود الأخيرة من القرن (١٤هـ/٢٠م) هي القاعدة الرئيسة لنشأة ثم تطور الخدمات الصحية في نجران، ولم يحل هذا القرن (١٥هـ/٢٠م)، إلا وتزايدت المرافق الصحية في أنحاء البلاد، وأصبح هناك مديرية رئيسة للشؤون الصحية في المنطقة تقوم على بناء وتنمية جميع القطاعات الصحية من مستشفيات، ومراكز صحية، ووحدات طبية. ثم نشأة جامعة نجران واحتوائها على عدد من الكليات والتخصصات الطبية والصحية زاد من رقي وتطور الصحة في نجران. وفي أثناء زيارتي لبلاد نجران عامي (١٤٢٤، ١٤٣٤هـ / ٢٠٠٣، ٢٠١٣م)، وتجوالي في المدينة وبعض المحافظات شاهدت عدداً من المستشفيات الكبيرة، وكثيراً من المراكز الصحية، بل التقيت بعدد من الأطباء والفنيين المؤهلين السعوديين والعرب وغير العرب، كما اطلعت على مجموعة من أعداد مجلة صحة نجران فوجدتها مليئة بالأخبار والمنجزات الصحية الواقعية، وكذلك الخبرات والدورات والدروس التعليمية الطبية التي تمارس في إدارات وأقسام صحية عديدة في أنحاء المنطقة[(٢)].

خامساً: آراء وتعليقات:

نجران ذات حضارة عريقة، فهي أرض ديانات سماوية ووضعية، وموطن قبائل عربية عريقة، وميدان حروب وصراعات تاريخية. وما تم إدراجه في هذا القسم ليس إلا

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) رصد التاريخ الصحي الطبي في منطقة نجران منذ بداية النصف الثاني في القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر من الموضوعات المهمة والجديدة التي يجب دراستها، ونأمل من جامعة نجران أن تنشئ مراكز بحوث متخصصة تهتم بدراسة مثل هذه الميادين العلمية. كما أرجو من الباحثين وبخاصة المؤرخين في جامعة نجران أن يرصدوا تاريخ التنمية في نجران، والمجال الصحي يأتي على رأس هذه المشاريع لأهميته وتطوره بشكل جيد.

نزراً يسيراً من تاريخ هذه البلاد الأصلية في أنسابها وأعراقها وموروثها الحضاري . وإذا أوردنا بعض الشذرات عن البناء، والطعام، واللباس، والتجارة، والصحة، فلازال هناك صفحات من تاريخ هذه الديار العربية، بحاجة إلى توضيح وتحليل وتوثيق، وفي النقاط التالية نذكر بعض العناوين الجديدة بالدراسة، ونأمل أن يأتي في المستقبل من يكشف اللثام عنها ويدرسها بطريقة علمية منهجية، ومنها :

١- تاريخ العمارة النجرانية في العصر الجاهلي، أو القرون الإسلامية الأولى والوسيطة، أو في العصر الحديث أو المعاصر .
٢- دراسة مقارنة بين العمارة في نجران وعسير، أو نجران وسروات اليمن خلال القرنين (١٣هـ) أو (١٤هـ) (١٩م) أو (٢٠م) .
٣- الطعام والشراب في نجران خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق ١. ق١٠هـ/ق٧. ق١٦م) (دراسة تاريخية). أو، تاريخ الطعام والشراب في نجران خلال القرنين (١٣. ١٤هـ/١٩. ٢٠م)
٤- الألبسة والزينة في نجران خلال القرون الثلاثة الماضية (ق١٢.١٤هـ/ ق١٨. ٢٠ م) (دراسة تاريخية).
٥- تاريخ التنمية العمرانية في نجران خلال القرن الخامس عشر الهجري (١٤٠٠- ١٤٤٠هـ / ١٩٨٠- ٢٠١٩م).
٦- تاريخ نجران الاقتصادي خلال أي قرن من قرون العصر الحديث (ق١٠.١٥هـ/ق١٦. ٢١م).
٧- أسواق نجران الأسبوعية في القرن (١٣هـ/١٩م)، أو القرن (١٤هـ/٢٠م). (دراسة تاريخية حضارية).
٨- الصلات التجارية بين نجران واليمن في القرنين (١١. ١٢هـ/١٧ .١٨م) .
٩- تجارة نجران في القرن (١٣هـ/١٩م) . أو في القرن (١٤هـ/٢٠م) (دراسة تاريخية) .
١٠- الأسعار والأجور في نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) (دراسة تاريخية حضارية).
١١- تاريخ الطب والتطبيب في نجران في القرون الإسلامية الوسيطة (ق٥. ١٠هـ/ ق١١.١٦م).
١٢- تاريخ الطب الشعبي في نجران خلال أربعة قرون (ق١٠.١٤هـ/ق١٦.٢٠م) .
١٣- الاقتصاد في نجران خلال العقود الأربعة الماضية (١٤٠٠. ١٤٤٠هـ/ ١٩٨٠. ٢٠١٩م) (دراسة تاريخية).
١٤- التاريخ الصحي في نجران خلال خمسة عقود (١٣٨٠- ١٤٣٠هـ/١٩٦٠-٢٠١٠م) .
١٥- التاريخ المالي في نجران خلال العقود الوسطى من القرن الهجري الماضي (١٣٤٠. ١٣٨٠هـ/١٩٢٠. ١٩٦٠م) (دراسة وثائقية) .



الدراســة التاسعــة

نبذة تاريخية حضارية
عن نجران الحديثة

بقلم أ. حسين بن معدي بن معشي آل هتيلة



الدراسة التاسعة : نبذة تاريخية حضارية عن نجران الحديثة[(١)]

بقلم الأستاذ / حسين بن معدي بن معشي آل هتيلة [(٢)]

١ - نجران المنطقة : [(٣)]

تقع منطقة نجران في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية بين خطي (الطول ٤٤،٧ شرقا، والعرض ١٧،٥ شمالا) ويحدها من الجنوب والجنوب الشرقي اليمن ومن الغرب والشمال الغربي منطقة عسير (ديار قحطان، ووداعة) ومن الشمال منطقة الرياض (الدواسر) ومن الشرق المنطقة الشرقية والربع الخالي، وتبلغ مساحتها حوالي مئة وستين ألف كيلو متر مربع، تشغل الصحراء جزءا كبيرا منها وهي الجزء الذي يعرف بـ (رملة يام) والذي يمتد من صلة، وبلاد وايلة غربا حتى خطمة شرقا، ومن أبارق بن جمعة في شرقه، وعروق بني رمح شمالا إلى شرورة والخرخير وتوابعهما اللتين ضمتا بعد الثمانينيات الهجرية لنجران بعد أن كانتا قبل ذلك مرتبطتين إداريا بإمارة المنطقة الشرقية، وذلك بحكم ما كانت تقوم به أرامكو من أعمال التنقيب انطلاقا من الظهران بالشرقية، وهذه المساحة والحدود تشمل أيضا حبونا وبدر الجنوب وهدادة والحرشف والخانق والجفة والمجمع وما يتبعها من نواح، والتي كانت مع وادي نجران بقراه العديدة تمثل مراكز الحضارة للمنطقة لوجود التجمعات السكانية القائمة بها (البيوت والآبار والمزارع والنخيل) وما عداها بادية ومراع، وسوف أسرد بشيء من التفصيل عن (نجران الوادي) مع إشارة إلى الجهات الأخرى ما أمكن[(٤)] .

كان وادي نجران من السابق ولازال يمثل مركز الحضارة الرئيس بالمنطقة حيث تقوم على ضفتيه التجمعات السكانية في القرى العديدة بآبارها ومزارعها وبساتينها ونخيلها وبيوتها الطينية ذات الطوابق المتعددة والنمط المعماري المميز، بداية من (الموفجة

---

(١) هذه النبذة زودنا بها كاتبها بناءً على خطاب أرسل إليه، وإلى عدد آخر من مثقفي نجران في(٢٩/٩/١٤٣٠هـ). وللمزيد عن محتويات هذا الخطاب الذي أرسلناه أيضا إلى العديد من الباحثين والمثقفين في نواح عديدة من جنوبي البلاد السعودية (الباحة، وعسير، وجازان، ونجران) انظر نصه كاملاً في كتابنا: القول المكتوب في تاريخ الجنوب(عسير والقنفذة). (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) ج٢، ص ٤٩٦-٥٠٣ . وقد وصلتنا هذه الخلاصة مع خطاب من صاحبها في (١٥/١١/١٤٣٠هـ) . انظر صورة هذا الخطاب في الملحق رقم (٤٥) من كتابنا : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثالث).

(٢) الأستاذ حسين آل هتيلة من مواليد نجران عام(١٣٥٨هـ). درس اللغة الإنجليزية في أرامكو لمدة عامين (١٣٧٢-١٣٧٣هـ)، ثم عمل في السكة الحديد بالمنطقة الشرقية حوالي أربع سنوات (١٣٧٤-١٣٧٨هـ)، ثم انتقل إلى جوازات نجران(١٣٨٠-١٣٨٣هـ) ثم وزارة الصحة في نجران ووادي الدواسر (١٣٨٣-١٣٩٣هـ)، وأخيراً مدير مكتب التحرير (الحقوق) بإمارة نجران، ثم مديراً عاماً بالإمارة حتى أحيل على التقاعد عام (١٤١٨هـ). المصدر : مكتبة : د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م)، ج٥، ص ١٠ .(ابن جريس) .

(٣) هذه النبذة التي وصلتنا من مدونها الأستاذ/ حسين بن معدي آل هتيلة توجد في مكتبة المؤلف، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠-٢١م) . الجزء الخامس، ص ١٥-٢٥ . (ابن جريس) .

(٤) للمزيد عن تاريخ وجغرافية نجران، انظر: ابن جريس، نجران (ق١-ق٤هـ/ ق٧-ق١٠م)، ج١، ص٢٢ وما بعدها، عبد الرحمن الشريف، جغرافية المملكة، ج٢، ص٣٩١-٤١٠ . (ابن جريس).

غرباً وحتى رجلا وآل منجم شـرقا) بطـول أربعين كيلو متر تقريباً، تحيط به الجبال من الجهات الغربية والشـمالية والجنوبية ويأخذ في الاتسـاع كلما اتجه شرقاً، وله عدة منافذ جبليـة منها في الجبـال الجنوبية إلى اليمن مثـل(الموفجة ونهوقـة وذات علي) ومنها في الجبال الشمالية (مغرة ومنتاه وشليا) إلى حبونا وهدادة وبدرالجنوب وما يليها من ديار البادية، وهذه المنافذ يسـلكها الناس والإبل والخيل والغنم والبقر والدواب في السـفر من وإلى وادي نجران .

وهذا الوادي تأتي سيوله من جبال منطقة عسير الجنوبية ومن جبال اليمن الشمالية عبر منفذين رئيسـين هما : (شـوك والعُرض) يجتمعان قبل (المضـيق) في المكان المقام فيه السـد حاليا غرب الموفجة، وترفده عدة روافد بعد خروجه من الموفجة منها: الثافرة، وحمضـين، ولحي، والمعين، وشِـعب برِان، ونهوقـة، والعجمة، وأبا الرشـراش، وذي حمي، والحـج، وسـقِاَم، وعقرم، وظلَم، والشـرفة وغيرها، حيث يسـتمر حتى يسـتقر برمَال (المنقَع) شـرقاً في الرملة والوادي بقراه العديدة وحدوده المشـار إليها، وينقسـم إلى ثلاثة أقسـام هـي: الأول: من جبـل أبو همدان ورعوم والعـان إلى الموفجة غربياً يعـرف بـ (علوّ نجران) . والثاني: من الجبال المذكورة إلى نهاية دحضـة والقابل شـرقا يعرف بـ (وسط نجران)، والثالث: من الوسط وشرق يعرف بـ (أسفل نجران)[١] .

٢ـ أبا السعود :

هذا الموقع كان أرضـاً فضـاء على امتداد قرى (بني سـلمان) من الشرق إلى الغرب ويتوسـط نجران، ولم تكن به مبانٍ أو منشـآت ويعرف باسـم (الباطن)، والذي تناقلته الأجيال عن تسـميته (أبا السعود)، هو نسبة إلى نزول أحد أمراء الدولة السعودية الأولى (الأمـير سـعود بن فيصـل) به، وعند دخول سـمو الأمير سـعود بن عبـد العزيز في عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) إلى نجران عندما كان ولياً للعهد سـأل عن اسم هذا الفضاء فأجابه أحد مشايخ(يام) بقوله هذا (أبا السعود) فقال سموه حينها [أجل أبا السعود لابن سعود]، وأمر بإنشـاء المباني الحكومية فيه وأصـبح المقر الرئيسـ للحكم في نجران بعد ذلك، حيـث بنى فيه القصـر الحكومي الأول عام (١٣٥٣هـ) وباشـرت فيـه الأجهزة الحكومية أعمالها في عهد أول أمير لنجران عسـاف بن حسـين العجمي، حيث اشـتمل على الإمارة والمحكمة والمالية واللاسـلكي والسـجن ومـا يتبعها من إدارات تم اسـتحداثها تباعا مثل: الصحة، والتعليم، والمستوصف(١٣٥٧هـ/١٩٣٨م)، ومدرسة ابتدائية (١٣٦٢هـ/١٩٤٣م) وغيرها، بالإضـافة إلى وحدات لسكن العاملين والأخوياء والموظفين ومن يساعدونهم[٢] . وفي عام (١٣٦٢هـ/١٩٤٣م) تم بناء القصر الحكومي الثاني شرقاً من القصر الأول وعلى

---

(١) المرجعـان نفسـهما، وفي اعتقادنـا أن بلاد نجران مازالت بكراً إن صـح التعبير للباحثين ومن لـه رغبة في توجيه دراسـاته التاريخية والاجتماعية والجغرافية والحضارية إليها، وهذا ما نتطلع إليه من طلابنا وطالباتنا في برامج الدراسات العليا في جامعاتنا المحلية .(ابن جريس) .

(٢) يوجد في مكتبة الباحث مئات الوثائق عن تاريخ نجران الحديث وبخاصة في الجوانب الإدارية، والعمرانية والمالية، والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية .(ابن جريس).

مقربة منه بإشراف أمير نجران آنذاك تركي بن محمد الماضي، الذي كان رابع أمير يعين عليها في عام (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) بعد عساف المذكور وإبراهيم النشمي وعبد العزيز الشقيحي[١] . حيث انتقل الأمير إلى القصر الجديد واتخذ جزءا منه سكنا له ولأسرته والأجزاء الأخرى لمكاتب الإمارة والمحكمة والأخوياء والحراسات ومخازن الأسلحة والمؤن، وكان ضمن القصر مسجد وبئر للسقيا أيضا، وقد بقي مقرا للإمارة وتعاقب عليه الأمراء تركي الماضي، وحمد الماضي، وعلي المبارك، وإبراهيم النشمي للمرة الثانية، وخالد السديري، وبقيت (أبا السعود) هي المركز الإداري الرئيس لمنطقة نجران حيث توالى بناء الإدارات الحكومية به مثل الشرطة (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م)، والجوازات والجنسية، والبلدية (١٣٧٥هـ/ ١٩٩٥م)، وفي عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) تم تخطيط مدينة الفيصلية وأقيم فيها العديد من المباني الحكومية أولها الإمارة ثم المؤسسات الإدارية الأخرى التي نقل أغلبها إلى هناك وبقي في أبا السعود فروع للأجهزة الخدمية والأمنية، مثل: الإمارة، والشرطة، ومدارس بنين وبنات، وبلدية، ودفاع مدني، ومستشفى ومستوصفات[٢] .

وسيتضح فيما يأتي مدى التوسع الذي طرأ على المنطقة كلها وبخاصة بعد بناء القصرين الحكوميين فيها فقد تم بناء العديد من الأبنية لبعض المؤسسات الحكومية مثل: مستوصف نجران، ومدرسة نجران الأميرية الابتدائية، وكان الأمير تركي الماضي يقوم آنذاك بتوزيع قطع أراضي على الموظفين والجند لإقامة مساكن لهم عليها، وقامت المساكن في مبان طينية متجاورة وبشوارع ضيقة، وأصبحت(أبا السعود) مدينة صغيرة لما أقيم عليها من المرافق الحكومية والخاصة وبقي بها مساحات فضاء إلى الشرق والغرب، وقد استغل جزء منها سوقا أصبح يقام في يومي (الإثنين والخميس) إلى أن تم في عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م) اعتماد أول مخطط سكني على ما تبقى من أرض (أبا السعود)، وتوالى إقامة المباني والمنشآت بها حتى ضاقت ولم يبق بها ما يمكن البناء فيه، فتم تخطيط مدينة الفيصلية كما أشرت سابقا، وتبع ذلك اعتماد العديد من المخططات السكنية والزراعية في وادي نجران حيث أصبحت مدينة متواصلة من الموفجة غربا إلى خباش شرقا، حتى المناطق الزراعية والقرى الواقعة على ضفتي الوادي تحولت المساكن التي كانت مقامة فيها من المباني الطينية إلى مساكن حديثة من البناء المسلح، كما قامت المساكن في الشعاب التي كانت فضاء بالقرب من القرى القائمة على ضفتي الوادي الجنوبية والشمالية، ومنها ما تم تخطيطه رسميا كمخططات زراعية وسكنية، ومنها ما تم البناء فيه بحكم الاختصاص لاتصالها بالأملاك الجدية، ومن ذلك نهوقة، ونهيقة، ورير، والملاحة، والقعصوم، والحمر، وسقام، والحصين، وفواز، والفاجي، والشرفة،

---

(١) لقد أجرينا بعض التعديلات الأسلوبية والبلاغية في أماكن عديدة من هذه الورقة، دون المساس بما ورد فيها من معلومات تاريخية وحضارية. (ابن جريس) .

(٢) للمزيد من التفصيلات عن طبوغرافية نجران القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) انظر بعض كتب الرحالة المذكورة في القسم الخامس من كتابنا: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثالث) مثل: فيلبي، وفؤاد حمزة، وفيليب ليبنز وغيرهم. (ابن جريس) .

ومـا بعدها ﰲ الجهـة الجنوبية من الـوادي. ومنها ﰲ الجهة الشـمالية من الوادي، شـعاب المراطة، والمشـراح، وخشيوة، وشـعاب آل هتيلة، وآل سـوار، وبني علي، ودحضة، وأبو غبار، والأملاح، والمسـماة مخططات الفيصلية، وحي الضباط، وحي الفهد، والخالدية، والكنتوب، والمخيـم، وحـي الأمير مشـعل، وحي المنجم، والأثابية، والإسـكان، والصـناعية، وصـهبان، والعريسـة، والغويلـة، والخرعا، والحايـرة، وخباش، وتصـلال، والدارة، وما بعدها شـرقا حتى موقع جامعة نجران، وشـمالا حتى المشعلية والحصـينية، ومن هذا يتضح مدي التوسع الهائـل الـذي طرأ على وادي نجران من الناحية العمرانيـة والزراعية خلال الفترة من عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) إلى وقتنا الحاضـر ولهذا فلا مجال للمقارنـة، ففي اعتقادي أن مدينة نجران الحالية تجاوزت عشـرة أضـعاف، بل أكثر من ذلك، وهذا التوسع ينسحب أيضا على الوديان والشـعاب الشـمالية ﰲ حبونا، وبدر، وهداده، والخانق، والحرشـف، والجفة، وثار، وقطن، والصفاح، ويدمه، وحمي، وسلطانة، والمحمدية، وامتداداتها شرقا إلى ثجر وظلما، وكذلك ﰲ الجهات الجنوبية والشـرقية، شرورة، والوديعة، والخرخير وتوابعها، وهذا التوسع رافقه شمول هذه الجهات بخدمات الكهرباء والطرق والاتصالات والبلدية والصحة والتعليم وغيرهـا، فللـه الحمد والشـكر على ما أنعم به علـى بلادنا من نعم لا تحصـى أهمها الأمن والأمان والرخاء ﰲ ظل هذه الحكومة الرشيدة وفقها الله لكل خير وحماها من كل شر[١] .

٣ـ الأسواق :

كان ﰲ وادي نجران قبل عام (١٣٥٢هـ/١٩٩٣م) خمسـة أسـواق هي : سـوق الأحد ﰲ دحضـة، وسـوق الإثنين ﰲ بني سـلمان، وسـوق الربوع (الأربعاء) قرب العان، وسوق الخميس ﰲ القابل، وسـوق الجمعة ﰲ صـاغر، وكان أيضـا هناك سوق (الثلوث) الثلاثاء ﰲ بدر، وسـوق السـبت ﰲ حبونا، وكل سـوق له حدود يأمن فيها المتسـوقون على أموالهم ومسـتلزماتهم وأنفسهم طيلة يوم السـوق من الصباح حتى مغيب الشمس بحماية القبيلة التي يقع ﰲ جهتها السـوق . وكانت الأسـواق آنذاك بالإضـافة لكونها مكانا للبيع والشراء وتبادل السلع، فهي أيضا منبر لتناقل الأخبار، وإعلان الدعوة إلى أي لقاء أو اجتماع معين بـين القبائل للتشـاور ﰲ أي أمر هام مثل التجهيز للغزوات، أو لصـد غـزو قادم، أو عقد صـلح أو إعلان المقاطعة لقبيلة ما، خالفت الأعراف السـائدة، أو حصـل منها عمل يدعو لمقاطعتهـا أو منعهـا من دخول سـوق أو أسـواق أو قرى القبائل التي تعلـن الخبر: هذا ما سمعته من كبار السن الذين عاشوا تلك الحقبة من الزمن[٢] .

أمـا بعـد دخول نجـران تحت الحكم السـعودي ﰲ عـام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) حلت أنظمة الدولة محل الأعراف القبلية، وبقي من الأسـواق سـوق أبا السعود ﰲ يومي الإثنين

---

(١) إن دراسة التطور والتنمية التي مرت بها ولازالت تعيشها بلاد نجران جديرة بالبحث والدراسة . والمسؤولية ملقاة على عاتق جامعة نجران التي يجب أن تولي هذا الجانب كبير اهتمام .(ابن جريس) .

(٢) ما ذهب إليه صـاحب هذا القول حقيقة، وهناك دراسـات عديدة عن بعض الأسـواق ﰲ جنوبي البلاد السـعودية، كما يوجد ﰲ مكتبة المؤلف عشرات الوثائق التي تؤرخ للأسواق الأسبوعية ﰲ عسير ونجران وجازان والباحة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) (ابن جريس).

والخميس، وبقي سوقا بدر وحبونا الثلاثاء والسبت في أمن وأمان في ظل الحكومة الرشيدة وبإشرافها، وبعد التوسع الهائل والتطور الذي طرأ على المنطقة انتهت مواسم الأسواق وأصبح كل يوم سوق وفي كل الجهات حيث انتشرت المجمعات التجارية وأماكن التبضع، وقد كان البيع والشراء يعتمدان على تبادل السلع وعلى العملة المتوفرة حينذاك كالريال الفرانسي (ماريا تريزا) والبعض ينطقه بالصاد (فرانصي)، وهناك الجنيه الإنكليزي الذهب، ثم مؤخراً الريال السعودي ريال فضة وجنيه ذهب والقروش المعدنية، وأخيراً العملة الورقية التي صدرت عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م).

٤. الأحوال الاقتصادية والاجتماعية :

كانت الزراعة والرعي وتربية الماشية والحرف والصناعات اليدوية هي مقومات الاقتصاد في نجران خلال العهود السابقة لعام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، وحتى نهاية الثمانينيات الهجرية، حيث كانت تعيش اكتفاءً ذاتيا في معظم ما يحتاج إليه السكان من مستلزمات الحياة من الطعام والفرش والسلاح والحلي والأدوات المنزلية ولوازم الحرث والزراعة، ومواد البناء وتشييد المنازل وحفر الآبار كل ذلك كان من الزراعة والرعي وتربية الماشية، وباستغلال المواد المتوفرة من الطين، والحجارة، والأشجار، وبعض المعادن، وأصواف وأوبار الأغنام وما كان يقوم به الحرفيون وأصحاب الصناعات اليدوية كل منهم في اختصاصه : النجار، والحداد، والخراز، والبرام، والحائك، والصائغ، وغيرهم، وذلك بتصنيع تلك اللوازم والأدوات، ولم يكن يستورد إلا بعض الأشياء التي لا تزرع أو تصنع في المنطقة مثل: القهوة والتوابل، والأقمشة، فهذه المستوردات كانت تأتي من البلدان والمناطق المجاورة في اليمن والمخلاف السليماني، ومن بعض المنافذ البحرية، وبالمقابل كانت نجران تصدر التمور بأنواعها، وكان هناك شيء من التعاون والتكافل وتبادل المنافع بين الناس مما يساعد على استقرار الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة، ورغم صعوبة الحياة بالنسبة للسواد الأعظم من السكان [1]، فقد كان التجار وهم قلة آنذاك، وتجارتهم كانت من الحبوب والتمور يقومون بإقراض المزارعين والبادية بما يحتاجونه، ويستوفونه منهم من ثمار زراعاتهم ونخيلهم بالنسبة للحاضرة، ومن الأغنام والإبل والسمن بالنسبة للبادية. وعمل الكثير من الحرفيين وأصحاب الصناعات اليدوية المشار إليهم أعلاه يتم بدون أجور فورية محددة يطلب دفعها وقت العمل خاصة مع المزارعين بل بالمقايضة في أوقات الحصاد للثمار حيث يأتي الصانع أو صاحب المهنة مثل النجار أو الخراز أو الحداد إلى مزارعي القرية التي يقيم فيها في موسم الحصاد فيعطونه ما تجود به أريحيتهم من التمور أو الحبوب مقابل ما يقوم به لهم من إصلاح وصيانة لمستلزماتهم خلال السنة،

---

(١) إن دراسة الأحوال الزراعية، والحرفية الصناعية، والتجارة في بلاد نجران من الموضوعات الهامة والجديرة بالبحث والدراسة خلال عصور التاريخ (القديم والوسيط والحديث والمعاصر)، وهذه مسؤولية الباحثين والمؤرخين في الجزيرة العربية وبخاصة أقسام التاريخ والآثار التي هي فعلاً مقصرة جداً في دراسة تاريخ وحضارة نجران. ونأمل أن نرى في المستقبل من يولي هذه البلاد الغالية على قلوبنا كبير اهتمام في بحوثهم وأعمالهم العلمية والأكاديمية. (ابن جريس).

وهـذه العطايا تعرف بـ (الشِّـبرة) ، وكان التعاون سـائدا بين الناس في معظم الأشـياء التي تحتاج إلى التعاون والتكاتف، مثل : حفر الآبار وبناء المنازل وإقامة المصـدات والحواجز لدرء أخطار السـيول، فالموسر ومن لديه شيء من المادة يأتي بما تجود به نفسه من معونة ويشارك في العمـل بيـده، والذي ليس لديه ما يشـارك به يأتي للعمل بيده وجهـده، ولا ينتظر أحد من هؤلاء الدعوة أو الطلب من صـاحب الحاجة في هذه الحالات، بل يأتون بمجرد السـماع عنها، وذلك عندما يسمعون إطلاق نار مصحوبا بصياح واستفزاع، فيعلمون أن هناك كارثة أو شأنا يتطلب الفزعة مثل انهيار بئر أو سيول .. إلخ . والتعاون يتم حتى في المناسبات وقرى الضيوف، فعندما يدعو الرجل سـكان قريته إلى مناسـبة عشـاء أو غداء لضيوف، يأتي كل صاحب بيت منهم برفده معه، مثل الطعام الجاهز أو حب، والجميع يعلمون أن المضيف لا يجد من الطعام ما يقري به الضيوف، وعند الانتهاء من الوليمة يقوم أهل البيت المقامة فيه الوليمة بتجميع ما تبقى بعد الضيوف وتوزيعه في أواني لأهل الحي أو القرية وترسل إلى بيوتهم[١] .

٥- الإمارة :

كانت الإمارة في البداية هي كل شيء فيما يختص بإدارة الأمور الأمنية بالمنطقة، وتتكون من الأمير وكاتب الإمارة والأخوياء (خدام الإمارة) . فالشاكي عندما يأتي إلى مقر الإمارة يشتكي على شخص أو أشخاص يعطى له أمر من الإمارة بتوقيع الأمير موجه إلى خصمه أو (خصومه) للحضور لمقابلته، وكان هذا الأمر يسمى (طلاب) ولم يكن أحد يتأخر عن الحضور عندما يصله الطلاب، لأنه إذا لم يحضـر فسوف يتم إحضـاره من قبل الأخويا ويجازى، ولذا فالاستهانة بالأوامر آنذاك غير موجودة . والأخوياء يقومون بالحراسـات وإحضار الخصوم، وسوقهم إلى القاضي عندما يأمر الأمير بإحالة أحد إلى القضاء، والقاضي يعمل بمكتب قريب من مجلس الأمير، ويقوم بالبت في القضايا فور وصول المتخاصـمين إليه من الأمير، وغالبا ما كانت الأحكام عادية، وعلى ورقة الإحالة التي تأتي من الأمير (طبعا في القضايا البسيطة) ، واعتماد ما يأتي من أحكام مرهون بمصادقة الأمير عليها حيث يشرح في أسفل الورقة بعبارة (ألحق التصديق، أو جرى التصديق) وبهذا يعتبر الحكم واجب التنفيذ[٢] .

٦- التعليم :

التعليـم في نجـران فيمـا مضـى يتـم في الكتاتيـب وفي المسـاجد ويسـمى مـكان التعليـم بــ (المِعْلامــة) ، حيث يدرس الطـلاب فيه القـرآن وعلوم الدين واللغـة العربية والحساب، وبطرَق بدائية جداً، هذا فيما قبل افتتاح أول مدرسة ابتدائية في (أبا السعود) (١٣٦٢هـ/١٩٤٣م) واسمها مدرسـة نجران الأميرية، والتي كانت للتعليم الابتدائي حتى عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) [٣] ، ثم أحدثت أول مدرسة متوسطة، وفي عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)

---

(١) دراسـة التاريخ الاجتماعي في نجران من الموضـوعات الهامة جداً ونأمل أن نرى أحد طلابنا أو طالباتنا في برامج الدراسـات العليا بجامعة الملك خالد، أو أي جامعة محلية أخرى من يتخذ هذا الموضـوع عنواناً لأطروحته لدرجة الدكتوراه لأهميته وجدته . (ابن جريس) .

(٢) يوجـد في مكتبـة الباحث مئـات الوثائق التي تدور حول ذلـك التنظيم الإداري في نجران وجازان وعسـير والباحة والقنفذة . ونأمل من الله عز وجل أن يعيننا مستقبلاً في إخراجها في دراسة منفصلة. (ابن جريس) .

(٣) للمزيد عن التعليم في بلاد نجران، انظر: ابن جريس . تاريخ التعليم في منطقة عسير، ج١، ص١٢٧، ١٤٨، للمؤلف نفسه . من رواد التربية والتعليم في المملكة (محمد أحمد أنور)، ص٤٣-٤٤، ٦٥-٦٧، ٣٩٢-٣٩٥، ٤٠٠-٤٠٢، ٤١١ . (ابن جريس) .

أنشئت مديرية للتعليم، وطرأ توسع هائل في التعليم، وانتشرت المدارس في جميع أنحاء المنطقة في المدن والقرى والهجر وحتى في مضارب البادية، كما فتح العديد من المعاهد والكليات، وانتهى الأمر بفتح (جامعة نجران) في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز ، ولا مجال للمقارنة بين ما كان عليه الحال قبل خمسين أو ستين عاماً، وما هو عليه الآن[١] .

٧ـ الصحة :

في عام (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) جاء مع أمير نجران آنذاك تركي الماضي، طبيب مصري اسمه ـ فريد السبكي، وهذا ما قرأته في مذكرات الأمير، ومنذ ذلك التاريخ بدأت الخدمات الطبية في المنطقة، ولا أعلم كيف كانت لكن في السبعينيات شاهدت المستوصف وبه طبيب وصيدلي وممرضين وخدم . واستمر الحال هكذا حتى عام (١٣٨٢ـ١٣٨٣هـ/٦٢ـ١٩٦٣م)، ثم اعتمد بالمنطقة مستشفى نجران العام، واستؤجر له مقر، بيت من الطين، وفي عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) تم بناء مستشفى بسعة (٢٥) سرير، ثم بدأت المراكز الصحية تفتح في أنحاء عديدة من المنطقة، وعمت الخدمات الطبية جميع جهات المنطقة وتعددت المستشفيات والمستوصفات والمراكز بعد اعتماد مديرية عامة للشؤون الصحية [٢].

٨ـ الشرطة :

لم يكن هناك شرطة إلا في عام (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م) عندما أنشئت مفوضية للشرطة وتحت مظلتها مأمورية للجوازات والجنسية، وكان مدير الشرطة يسمى (مفوض) ومدير الجوازات والجنسية يسمى (مأمور) ، كما أنيطت الحراسات والسجون والتحقيقات وتنفيذ الأحكام بالشرطة[٣] .

٩ـ الجوازات والجنسية :

كان هناك قائم بأعمال إحصاء النفوس (أعمال الجنسية) ، ومن واجباته تعبئة استمارات بالمعلومات الشخصية عن الشخص الذي يريد حفيظة نفوس، مثل الاسم الثلاثي أو الرباعي واسم القبيلة وتاريخ ومحل الميلاد وشيخ القبيلة، وغير ذلك من المعلومات المطلوبة، ثم يرفعها إلى إدارة إحصاء النفوس في مكة المكرمة، وبعد فترة تصل إلى أربعة أشهر تصل التوابع (جمع تابعية) وهي مكونة من ورقتين، وتسمى (تذكرة

(١) تاريخ التعليم في منطقة نجران من الموضوعات الهامة للبحث والدراسة، ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه، ونأمل أن نرى من يدرسه دراسة علمية أكاديمية . (ابن جريس) .

(٢) موضوع تاريخ الطب والتطبيب في نجران من الموضوعات الهامة والجديرة بالبحث والدراسة العلمية الأكاديمية، بل يستحق أن يكون عنواناً لرسالة دكتوراه، أو كتاب علمي هام . (ابن جريس) .

(٣) تاريخ المؤسسات الإدارية الحديثة في بلاد نجران جدير بالبحث والدراسة . وهناك آلاف الوثائق التي تخدم هذا الموضوع وأماكنها في دور الأرشيف ببعض إدارات نجران وعسير، وأخرى في وزارة المالية، ودار المحفوظات، ودارة الملك عبد العزيز، ومكتبة الملك عبد العزيز العامة في الرياض.(ابن جريس) .

عربان) وليس بها صورة شمسية، فلم يكن يوجد مصورون ولا آلات تصوير، ثم بعد إنشاء مديرية الشرطة ومأمورية الجوازات والجنسية أحيلت هذه المهام لها [(١)] .

١٠. الكهرباء :

بدأت الكهرباء بداية ضعيفة في نجران عام (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) وفي موقع متوسطٍ بين (أبا السعود) والفيصلية (بدحضة) ، وكان عدد المستفيدين منها محدودا جدا، وذلك لعدة سنوات، ثم جرى تدعيمٍ القدرات، وأخذت الخدمة تتوسع لتشمل معظم الأحياء في وادي نجران، حتى تم مؤخرا تنفيذ مشروع كهرباء نجران المركزي الذي غطى معظم جهات المنطقة، وأقيمت مشاريع أخرى في الجهات البعيدة عن المركز مثل يدمة وشرورة، والآن أصبحت منطقة نجران بكاملها تغطيها خدمات الكهرباء . وكان الحال قبل ذلك مزريا للغاية فلا إنارة، ولا مكيفات، ولا مراوح، ولا ثلاجات، ولا دفايات، ولا شيء مما يحتاجه الناس من خدمة تدار بالكهرباء، والإنارة قبل مجيء الكهرباء، إشعال النار في الحطب للسمر خارج المنزل أو على ضوء القمر، أو إشعال سُروج وقودها السمن وشحوم الحيوانات والقطن المبروم، حتى إن الناس كانوا لا يشعلون هذه السروج إلا وقت وجبة العشاء أو السحور في رمضان ويطفئونها بعد ذلك لكي تبقى للاستعمال لفترات عديدة، فقد ينتهي الوقود أو القطن، والحصول على البديل صعب على الكثيرين، ثم تطور ذلك إلى سُرج وفوانيس الغاز، ثم أتاريك الغاز، حتى جاءت الكهرباء [(٢)] .

١١. الاتصالات والمواصلات :

لم يكن هناك وسائل اتصال سوى الرسائل المكتوبة مع المسافرين، وما يتناقله الركبان من أخبار، لا راديو، ولا هاتف، ولا بريد، وحتى الرسائل الرسمية التي تصل للإدارات الحكومية كانت تأتي في طرود على ظهور الجمال والدواب خلال أسابيع أو شهور . والمواصلات كانت بالجمال والدواب محليا وإلى الجهات البعيدةٍ، فالرحلات إلى الرياض ومناطق العمل بالمنطقة الشرقية كانت على ظهور الجمال وأيضا رحلات الحج، حتى جاءت السيارات في منتصف السبعينيات الهجرية، وأول ما وصل إلى نجران سيارات نقل الركاب الكبيرةٍ (ماك - دمنتي - ولوري - فورد) ولم تكن من ذوات الدفع الرباعي، كان السفر بها شاقا جداً عبر الرمال، وكثيراً ما كانت تتعطل لأيام ولأسابيع [(٣)] .

١٢. الأودية في نجران :

وادي نجران : وسبق الإشارة إليه في هذه الدراسة .

وادي حبونا : يوازي وادي نجران من الشمال تأتي سيوله من جبال قحطان، ووادعة

---

(١) المصدر نفسه . (ابن جريس) .

(٢) التاريخ الاجتماعي مثل : بناء المنازل وتأثيثها، وتزويدها بالماء والإضاءة وغيرها من الموضوعات الهامة والمنسية عند الباحثين، ويجب على معاشر المؤرخين أو المهتمين بتاريخ وحضارة وفكر البلاد أن يلتفتوا إلى مثل هذه العناوين الصغيرة والمهمة فتعالج في بحوثهم ودراساتهم .(ابن جريس) .

(٣) التجارة وطرق المواصلات من الموضوعات العلمية الهامة والجديرة بالبحث والدراسة .(ابن جريس).

غرباً عبر منفذين هما كهلان ومطارة في القرن، ويعرف من بدايته بـ (صيحان) وترفده عدة روافد بعد خروجه من (القرن) وتشكل وادي حبونا وتلتقي بالمجمع، هذا من الجهة الجنوبية . أما الشمالية فيرفده وادي بدر الذي يصب فيه عند شعيب (قاب) ويستمر متجها شرقاً، ويرفده وادي ثار الذي يتحد معه شرقاً عمود الرحبة ثم الجزم الذي يصب في السود، وتجتمع مع وادي تريمة ويصبان معاً في وادي حبونا ثم ترفده من الجنوب روافد عرقان وصخي، وتستمر حتى تلتقي مع وادي نجران في الرملة شرق بعان حبونا .

<u>وادي بدر الجنوب :</u> يبدأ من العشة في الناحية الشمالية الغربية ويتجه إلى الجنوب الشرقي حتى يصب في (قاب) وعلى ضفتيه تتناثر قرى وحاضرة بدر من المضمار شمالاً حتى الحمضة جنوباً .

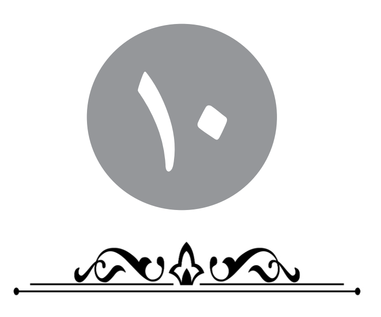
<u>وادي ثار :</u> يبدأ من الجبال الغربية بموازاة وادي حبونا من الشمال، وله عدة روافد ويتجه إلى الجنوب الشرقي حتى يلتقي بوادي حبونا شرق عمود الرحبة .

<u>وادي وسط :</u> وادي طلحام، وادي الصحن، وادي اللجام، وادي الحبط، وادي الحجر، وذمبه، وكلها تجتمع في الشغايا وسنح على أطراف الرملة .

<u>موارد المياه قديماً :</u> الخضراء، خباش، في الجنوب من الوادي . والحصينية، وسلوة في الوسط . وغراء، واليراق، والعين والقرين، في ثار. وقطن، وأبا الرخم، وحمي، ويدمة، والحشرج، والوجيد، في الشمال والشرق، وغيرها من الموارد في الرملة منها المنخلي وخطمة وتماني[١] .

---

(١) إن دراسة الأودية وموارد المياه القديمة في نجران جديرة بالبحث والدراسة وبخاصة مواقعها، وما تحتوي عليه من النباتات، والطيور، والمواد الطبيعية الأخرى . أيضاً ما ذكر عنها في كتب اللغة والأدب والتاريخ، وما جرى فيها من أحداث تاريخية وحضارية أخرى .(ابن جريس) .



الدراسة العاشرة

نجران كما عشت فيها ورأيتها
(لمحات تاريخية حضارية)
الجزء الأول

بقلم : الأستاذ / شريف قاسم



الدراسة العاشرة: نجران كما عشت فيها ورأيتها (لمحات تاريخية حضارية)[١]. الجزء الأول[٢]، بقلم الأستاذ / شريف قاسم[٣]

١ـ الحياة العمرانية:

بدأنا عملنا في نجران عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، وزرنا العديد من النواحي لوجود زملائنا المعلمين في قرى: حبونا، والحرشف، وبدر الجنوب، وغيرها من المواطن التي لا يختلف الطراز المعماري فيها عن بعضها البعض. فالبيوت من الطين، ولا تخلو بعض القرى من الأبنية الأسمنتية، وخصوصاً المدارس والمباني الحكومية، والطريق العام الذي منه يتم تفريع الطرق إلى تلك القرى هو طريق نجران ـ أبها ـ مكة المكرمة، ومنه يتم الدخول إلى مواطن الاستيطان. والطريق الثاني هو طريق نجران ـ الرياض، إضافة إلى الطريق الذي يربط نجران بمحافظة شرورة، وطوله يزيد على (٣٠٠) كم، وهذه الطرق كانت مسفلتة، وأما الطرق الفرعية المؤدية إلى القرى فكلها ترابية[٤].

كانت أغلب بيوت نجران القديمة من الطين، ولا يزال الكثير منها قائماً حتى الآن، بما فيها قصر الأمير تركي الماضي، أو ما يسمى بقصر الإمارة التاريخي، الذي تم ترميمه مؤخراً، وكذلك حي القصر المجاور له، وهذا الحي شاهد على نوعية البناء قديماً، وكذلك

---

(١) هذه الدراسة التي وصلتنا من مدونها كانت على ضوء خطاب أرسلناه إليه في (٥/١٠/١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م). ويوجد صورة منه ضمن مكتبة المؤلف (ق١٥هـ/٢٠ـ٢١م)، ج٥، ص٤٠ـ٤٣، ٥٦ـ٦٧. انظر: صورة أخرى في نهاية كتابنا: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثالث) ملحق رقم (٤٦). (ابن جريس)

(٢) رمزنا هنا باسم (الجزء الأول)، لأن هناك (جزءاً ثانياً) سوف نورده مباشرة بعد هذا المحور. (ابن جريس).

(٣) الأستاذ / شريف عبد القادر الحاج قاسم من مواليد دير الزور في سوريا عام (١٩٤٢م)، بدأ حياته التعليمية في بلده سوريا، ثم نال شهادته الجامعية في اللغة العربية من جامعة بيروت العربية التابعة لجامعة الإسكندرية، التحق بالخدمة العسكرية الإلزامية في سوريا من (١٩٦٤ـ١٩٦٦م). كان له العديد من النشاطات الثقافية والعلمية والفكرية والاجتماعية في بلاده، سوريا الشقيقة. قدم إلى البلاد السعودية للعمل في التعليم عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م). وشارك في نشاطات كثيرة يصعب حصرها في هذه الترجمة المختصرة، إلا أنه عمل في مهنة التدريس، وشارك في عدد من النشاطات الثقافية والفكرية والاجتماعية على مستوى مدرسته، وإدارة تعليم، وإمارة منطقة نجران. وأهالي نجران من مسؤولين وعامة، يذكرون له نشاطه، وكذلك تحوي أراشيف إدارة التعليم والجمعيات والمؤسسات الاجتماعية الكثير من الوثائق والصور الفوتوغرافية التي تؤكد إسهامات هذا الرجل وبصمته في مجالات عديدة. ومن يقرأ هاتين المشاركتين اللتين قدمهما لنا في هذا الكتاب يجد فيهما دليلاً واضحاً عن جهوده وتجاربه وخبراته الطويلة التي قضاها وقدمها في بلاد نجران. أما نتاجه العلمي فله حوالي خمسة وثلاثين عملاً معظمها دواوين شعرية مطبوعة ومخطوطة، ومن تلك الدواوين ما هو مخصص للأطفال، وأخرى في هيئة مسرحيات. ومن دواوينه المطبوعة: الربيع المنشود. صدى وذكرى. رحلة وقف النور الخيرية. من جانب الطور. وله أيضاً مجموعة قصصية تسمى (حديث الثلاثاء). ومن كتبه النثرية. الأمة الإسلامية بين عالمية دعوتها ووهن أبنائها. إذا دخل الإسلام البيوت. ودراسة عن الشاعرين محمد منلا غزيل والشابي. (ابن جريس).

(٤) صاحب هذا القول قدم إلى نجران في أواخر القرن الهجري الماضي، وبداية هذا القرن عندما بدأت عجلة التنمية تصل إلى نواح عديدة في المملكة العربية السعودية. والحياة العمرانية قبل ذلك التاريخ لازالت بدائية تعتمد بالدرجة الأولى على ما يتوفر لدى الناس من مواد بناء في بلادهم: كالحجارة، والتراب، والأخشاب، والقش، وغيره. ومن ثم فتلك الفترة المبكرة جديرة بالبحث والدراسة. وحبذا أن يظهر لنا من المؤرخين والمهندسين المعماريين من يدرس ويقارن أنواع وطرق بناء العمارة قديماً وحديثاً. (ابن جريس).

تشابه البيوت سواءً كانت من طابق واحد أو أكثر، وقد شاهدنا بعض البيوت مبنية من الحجارة، ويلاحظ تقارب البيوت وضيق الشوارع، وربما كانت لهذه الطريقة أسباب منشؤها الشعور بالتلاحم والقوة أمام غزو محتمل، ولقد سمعت من بعض الذين أقمنا في منازلهم من كبار السن أن كلمة (قصر) تطلق على البيت الكبير الواسع المتعدد الأدوار، وتطلق كلمة (درب) على البيت ذي الطابق الواحد[١] .

كما شاهدنا بعض البيوت القديمة المبنية من كتل حجرية كبيرة منحوتة ذات زخارف ونقوش، وهي لمشايخ القبائل أو للأثرياء، ويوجد في هذه البيوت غرف وأمكنة لاستقبال الرجال، وأخرى للنساء، كما يلاحظ وجود القلاع والأبراج في مختلف مناطق نجران، وأكثرها آيل للسقوط ، وبناؤها من الطين، وتوجد هذه الأبراج والقلاع في الأماكن المرتفعة، حيث كانت تستخدم للدفاع ضد الغزاة . كما سمعنا ممن عرفناهم أن البيوت القديمة ذات الأسوار والفخامة والدقة في الزخرفة والجمال هي ملك للوجهاء والأغنياء، حيث مجالسهم التي تُعقد للأمور الهامة، ويقول هذا الرجل (وهو يبتسم ..) : أما نحن الفقراء فلا نملك إلا بيتاً واحداً من الطين فيه غرفة واحدة أو غرفتان، وحوش للغنم والحلال، ومنا من يجعل بيته على شكل عشش مستخدما سعف النخيل والأخشاب[٢] .

والحقيقة كانت نجران في تلك الأيام تشبه القرية الكبيرة، من حيث الأبنية والمرافق العامة والأسواق والفنادق والمطاعم والسيارات فهذه وغيرها من مستلزمات المدينة لم تكن موجودة بشكل يوحي للزائر أنه في مدينة بالمعنى المعروف، لولا وجود بعض الأبنية الحكومية، كما أن نجران لم تكن في تلك الأيام إلا (نجران البلد) ، وبعض امتداد للأبنية الطينية على جانبي الشارع العام ذي المسار الواحد[٣] .

ثم أخذنا نشاهد انطلاق الحركة العمرانية في كل الاتجاهات، وبدأ التخطيط للمدينة، وتسابق الناس في البناء حيث الهندسة والزخرفة والتفنن في البناء، ووسعت الدولة الشارع العام، وأصبح ذا مسارين، شق المدينة من غربها إلى شرقها حيث اتجاه مدينة الرياض، وتفرع عنه خط باتجاه الشمال من حيث الطريق إلى أبها فمكة المكرمة، ووضعت الإشارات الضوئية، وعلى امتداد العشرين عاماً الأخيرة ظهرت الأحياء الجديدة والمخططات الدقيقة، وتنوعت المرافق العامة من حدائق وملاعب رياضية وأسواق وفنادق راقية، مثل هوليدي إن، وحياة نجران، إضافة إلى مئات الأبنية للدوائر الحكومية والمدارس والمعاهد والمستشفيات والمستوصفات الحكومية والأهلية، ثم جامعة نجران التي تشمخ

---

(١) نشكر صاحب هذه المدونة على دقة ملاحظاته، ونأمل منه أن يزودنا بما تختزنه ذاكرته من الأخبار والروايات والأحداث التي شاهدها في بلاد نجران خلال العقود الثلاثة الماضية. (ابن جريس) .

(٢) الثراء والوجاهة وأثر ذلك في مستوى الحياة المعيشية لم يكن وليد العصر الحديث، وإنما نجده ذا تأثير قوي في شتى مجالات الحضارة العربية والإسلامية وغيرها. بخلاف الفقر والفقراء فهم غالباً لا يجدون ما يسد رمقهم، ناهيك عن منازلهم فهي الأخرى ضعيفة وواهية. (ابن جريس) .

(٣) لدى الباحث مئات الوثائق الإدارية والاقتصادية والاجتماعية التي تصور مجتمع نجران في العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ونأمل أن يأتي اليوم الذي تخرج فيه للقراء الكرام .(ابن جريس) .

بموقعها على طريق الرياض، ومطار نجران، ولو وضعنا خطا بيانيا للحركة العمرانية في نجران لرأينا شيئًا عجيبًا فعلاً[١]، فخلال فترة قصيرة تبدل وجه نجران العمراني من (١٠٪ إلى ٩٠٪) فالذي يزور نجران اليوم يجد نفسه في مدينة متكاملة من كل الجوانب الحضارية[٢]. فيجد أحياء جديدة ذات تنسيق وترتيب وشوارع واسعة وأرصفة محكمة وإنارة كافية، وشبكة مياه جارية في بعض الأحياء، ومحطات للبنزين والديزل، وأبنية تضم أوجه حضارية وتقنية، وسعي حثيث لإظهار مدينة الآثار والتاريخ بشكل لائق، والذي يزور الآن الآثار يجد اهتماما واضحا يختلف عما كان عليه الأمر منذ ثلاثين سنة[٣].

أتينا ونجران القديمة لم تزل ... ببهجة ماضيها المحبب تفخرُ
وها هي في ثوب الحضارة فخرها ... يزيد بهاء بالجديد ويكبرُ
بأحيائها أحلى القصور، وفي القرى ... وبين روابيها تنفس عبهرُ

فالآن لا يخفى الاهتمام الزائد بالآثار، ولقد زرنا موقع الأخدود عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) وزرناه في هذه الأيام فرأينا الفرق الشاسع بين الحالين للموقع، وكذلك بقية الأماكن الأثرية كقصر الإمارة (قصر الأمير تركي الماضي) وقصر العان وقلعة رعوم وغيرها، كما لا تخفى اليوم الحركة السياحية، التي تنطلق من متحف نجران بإشراف الهيئة العامة للسياحة.

ويرافق الحركة العمرانية في نجران تطور المرافق العامة فيها فبعد أن كانت المدينة لا تملك إلا حديقة أو حديقتين فيما مضى، فهي الآن تحتضن أكثر من عشرة متنزهات وعلى أفضل المستويات، وفيها أمكنة للعب الأطفال، وأفياء لأشجار السدر تتفيأ فيها الأسر يومي الخميس والجمعة وأيام العطل، وفي سائر الأيام الأخرى لمن يشاء، كما يلاحظ وجود الأبراج السكنية والبنايات العالية، والبناء الحديث بقالب القديم الذي يحاكي فن البناء في مناطق الجنوب، وأنا الآن أسكن في حي الفيصلية غرب شارع الخزان وأمام البيت الذي أسكنه مباشرة يوجد بيت نجراني على النمط القديم وهو مبني من الأسمنت وله باب كبير أوتوماتيكي حيث يُفتح ويغلق (بواسطة الريموت) تدخل منه سيارات صاحبه، كما يلاحظ وجود المعالم الجديدة التي تضم إلى سد نجران كأمكنة جمالية وحضارية مثل شلال السعود وغيره من المعالم التي يجدها الزائر عند مفارق الطرق، وفي بعض الأمكنة[٤].

---

(١) حبذا أن نرى من طلابنا أو طالباتنا في الدراسات العليا بجامعة الملك خالد من يدرس تاريخ التطور العمراني في نجران وعسير وجازان والباحة خلال العقود الخمسة الأخيرة (١٣٨٠-١٤٣٠هـ/ ١٩٦٠-٢٠١٠م). (ابن جريس).

(٢) نؤكد ما ذكره صاحب الدراسة، فلقد زرت نجران عام (٩٧/١٣٩٨هـ)، فرأيت تواضع الحياة في البلاد الممتدة من أبها إلى قلب مدينة نجران، وهذه البساطة لم تشمل العمران فحسب وإنما جوانب اجتماعية وثقافية واقتصادية عديدة. ثم زرتها للمرة الثانية عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) فلاحظت الفرق = الشاسع في مجال التنمية الحضارية. وهذه العقود الثلاثة بين الزيارتين، وكذلك ما سبقها من عقود في القرن (١٤هـ/٢٠م). جديرة بالدراسة والمقارنة في مجالات تاريخية وحضارية عديدة. (ابن جريس).

(٣) لازال المشوار طويلاً في ما يخص الدراسات الأثرية، وإذا كان تم بعض الحفريات، أو خرجت بعض الدراسات المحدودة، إلا أن ذلك غير كاف وإذا تم ذلك فإنه بدون شك سوف يتم العثور على كنوز تاريخية وحضارية عظيمة في هذه البلاد التاريخية العريقة. (ابن جريس).

(٤) حبذا أن نرى بحوثا علمية جادة في مجالي الترفيه والسياحة في بلاد نجران وغيرها من البلدان في جنوبي البلاد السعودية. (ابن جريس).

٢ـ الحياة الأدبية والثقافية :

في العام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) كان عدد مدارس البنين والبنات للمراحل التعليمية الثلاث قليلا، وكان المعهد العلمي، والمعهد المهني موجودين، ولم تكن يومئذ في نجران جامعة، أو كليات ومعاهد كالتي نشهدها الآن، ولا نعرف في منطقة نجران أديبا مرموقا أو شاعرا (بالفصحى) أو كاتبا، كما لم تكن يومها من حركة ثقافية أو أدبية، وأذكر أن مجلة باسم (تجارة نجران) كانت تصدرها الغرفة التجارية الصناعية بنجران، وكانت تظهر أحيانا وتختفي أحيانا أخرى، ثم توارت نهائيا، وظهرت أخيرا مرة واحدة عند زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز إلى منطقة نجران، وتتصدر صفحتها الأولى صورة للملك مع رئيس الغرفة التجارية الصناعية بنجران [١].

وأذكر أننا شاركنا في اجتماع بإدارة التربية والتعليم حين كان الأستاذ /عبد العزيز بن أحمد العياضي مديرا للتعليم بشأن إمكانية إنشاء ناد أدبي أسوة ببعض مناطق المملكة الأخرى، وقد زاد عدد المجتمعين على الستين معلما، وأكثرهم من الإخوة المتعاقدين، وطال النقاش، وطرحت الآراء، وخرج المجتمعون بضرورة وأهمية إنشاء النادي الأدبي في نجران، وتم رفع التقارير بذلك إلى رعاية الشباب في الرياض، وكان المسؤول عنها صاحب السمو الملكي الأمير/ فيصل بن فهد ـ يرحمه الله ـ وبعد فترة جاء الجواب بعدم الموافقة على إنشاء النادي لعدم وجود الكفاءة الأدبية والثقافية اللازمة من أهل المنطقة، وتم الاكتفاء بإنشاء بيت الشباب ونادي الفنون الشعبية، وهذا يؤكد خلو الساحة الأدبية والثقافية من روادها في تلك الأيام. وعدم وجودها أصلا بالمعنى المأمول، ولعل أبرز ما كان موجودا هو ما يقوم به معلمو مدارس المراحل التعليمية للبنين من مسابقات ثقافية بين طلاب المدارس، لا تخلو من روح المنافسة، وكذلك ما تقوم به المدارس من احتفالات مدرسية تشمل حلبات الإلقاء والتعبير، والمسرحيات الهادفة، والأناشيد الاجتماعية والوطنية، والكلمات المعبرة .. والفقرات الأخرى التي لا تخلو من قيم ثقافية وأدبية، ظهرت من خلالها مواهب الطلاب وقدراتهم الإبداعية، وأعتقد أن لتلك الأنشطة المدرسية أثرا لا بأس به في إذكاء روح السعي لإيجاد حركة أدبية ثقافية [٢].

وأما عدد المعلمين من أبناء المنطقة فلم يكن يتجاوز العشرين أو الثلاثين معلماً في تلك الأيام، وهناك نسبة من المعلمين الوطنيين القادمين من مناطق أخرى لا تتجاوز

---

(١) لقد زرت نجران عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ومكثت هناك عدة أيام أثناء جمع مادة كتابنا : نجران (ق١ق٤هـ/ق٧-١٠م)، الجزء الأول، وحاولت مقابلة بعض مثقفي المنطقة، فلم أجد أي باحث، أو شاعر، أو راو مبدع، وإنما وجدت فعلاً فقراً كبيرا في مجالي الثقافة والفكر . وربما بعد إنشاء جامعة نجران، وإنشاء النادي الأدبي قد يظهر مبدعون ومثقفون ومساهمون في بناء مجتمعهم حضاريا وفكريا . (ابن جريس) .

(٢) إن تاريخ الحياة الثقافية والتعليمية في نجران جدير بالبحث والدراسة، وآمل أن أرى من طلابنا في برامج الدراسات العليا وبخاصة في جامعات الجنوب من يتخذ عنوان: تاريخ التعليم في منطقة نجران منذ الخمسينيات في القرن الماضي إلى بداية هذا القرن، أو حتى إلى الوقت الحاضر موضوعاً لأطروحته لدرجة الدكتوارة . ومثل هذا الموضوع يستحق فعلاً أن يكون رسالة علمية، أو عنواناً لكتاب علمي رصين .(ابن جريس) .

(١٠٪)، ولم يكن هناك رصيد أدبي أو ثقافي مشاهد، أو يضاهي ما هو موجود في بقية مناطق المملكة. وعلى امتداد ثلاثين سنة عشتها في نجران من عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) حتى اليوم، يلاحظ المتتبع للحركة الأدبية والثقافية في نجران تقدما وسعيا في هذا المضمار، فالكثير من المعلمين أصبحوا من أبناء المنطقة، ونال بعضهم الشهادات الجامعية، إضافة إلى وجود مواهب وطاقات بين من كانوا طلابا وأصبحوا اليوم من المعلمين، أو العاملين في المحيط الثقافي الأدبي. وأرى أن من أسباب التطور أيضا وجود موروث تاريخي من الأدب والثقافة.

وعلى امتداد هذه السنين الثلاثين ازداد عدد مدارس البنين والبنات، وافتتحت المعاهد المتنوعة تبعاً للانفجار المعرفي والتقنيات، فجاءت مقاهي الإنترنت، وغيرها من مراكز ثقافية وأدبية، كما ظهرت النشرات والمطويات والمجلات المحلية التي تتسابق في رصد الأحداث الوطنية والاجتماعية، كما ظهرت الإصدارات المدرسية، وأثرى هذا التدفق الأدبي الثقافي ما كان من احتفالات كبيرة بمناسبات عديدة كمرور مائة عام على تأسيس المملكة، وكان الدعم المادي والمعنوي من الحكومة دافعا قويا لمضاعفة الجهود، وإنجاز الآمال في هذا المجال، وتم افتتاح النادي الأدبي الذي كان حلما لدى المهتمين بالآداب والثقافة من أهل المنطقة وغيرهم من محبي إثراء الحركة الأدبية، وكان دعم أمير منطقة نجران صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن سعود بن عبد العزيز دعما كبيراً لهذا النادي، فقد حضر عدة مناسبات أقيمت في النادي الأدبي، حيث أصبح النادي الآن نواة حية لبلورة القيم الأدبية والثقافية، كما أن رئيس النادي الأدبي الدكتور محمد بن عبد العزيز الناجم مدير التربية والتعليم للبنات، عمل بنشاط وحيوية حتى وقف النادي على قدميه [١]. وقد احتضن الكثير من أصحاب الأقلام الواعدة، وبمقدم صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن عبد الله بن العزيز الذي ما برح يعمل منذ أن تولى إمارة المنطقة لمتابعة نهضتها الحضارية، وقدم الدعم المادي والمعنوي للنادي الأدبي، فقد قدم للنادي نصف مليون ريال، وشجع إدارة النادي على الرقي بالأعمال الأدبية والثقافية بالمنطقة، فازداد اليوم تفاعل المهتمين بالأدب والثقافة، فنحن نرى بعض الإصدارات وبعض الكتب، مؤكدة وجود البذور التي وجدت البيئة المشجعة لنموها حتى تصبح أدواحا مزدهرة، تؤتي ثمارها، ولعل السنوات القادمة ترى المنطقة من يقدم صورتها الأدبية والثقافية في المحافل المحلية والعالمية، وعلى أفضل المستويات، وهنا يجب القول أنه لابد لمن يتصدون للحركة الأدبية الثقافية في المنطقة من وضع الآليات للتطوير، وإيجاد معايير للتقويم لتهيئة الظروف والمناخ الأجدى لإغناء المنطلقات الأدبية والثقافية، والاستفادة من خبرات الإخوة في النوادي الأدبية الأخرى.

إن إقامة الأمسيات الأدبية في الشعر والقصة وغير ذلك شيء جميل وجيد ومطلوب، ولكنه غير كافٍ. إذ لابد من إيقاظ المواهب والقدرات لدى أبناء المنطقة. لأن العنوان

(١) الأستاذ الناجم أول رئيس لنادي نجران الأدبي.

يحاكي أبناء المنطقة بالذات. وهذا يتطلب جهداً وصبراً ومتابعة، وهو ليس بالأمر العسير. وبموازاة ما ذكرنا في هذا الجانب يأتي جانب إتقان قواعد اللغة العربية من نحو وإملاء وبلاغة وبيان . وإذا كان اسم نجران يعني الخشبة التي يدور عليها رتاج الباب، فإن رتاج الحركة الأدبية والثقافية هو المخاض الذي يحاول بعض المهتمين أن يخرجوا به في إصدارات ذات معنى ومبنى يليق بمدينة الآثار والتاريخ والنهضة الحضارية الشاملة . هذه الاستفاضة عن النادي الأدبي لابد منها، فالنادي هو لسان حال الأدب والثقافة في أي مكان، وعلى قدر عطائه وإنجازاته تأتي مكانة الأدب والثقافة [١] .

وأعود للتأكيد على عملية التأهيل لرواد الأدب والثقافة في المنطقة، وخصوصاً بعد افتتاح جامعة نجران، والعديد من كليات التقنية والمعاهد العلمية والصحية، وبعد أن تضاعف عدد المدارس للبنين والبنات، وانفتاح الناس على ثورة المعلومات، وإقبالهم على وسائل التقنيات والمنتديات، وعلى الشبكة العنكبوتية، ووجود النادي الأدبي، مع هذا العدد الكبير من المثقفين في الجامعة، إضافة إلى رعاية الدولة ودعمها اللا محدود، ففي ذلك تشجيع وتحفيز لمن في أيديهم رتاج الحركة الأدبية والثقافية في المنطقة، لقد قرأت بعض الإصدارات لبعض أبناء المنطقة، وأرى فيها بداية واعية وواعدة لو استمرت تنمية القدرات، واستمر التفاعل الراشد معها [٢] .

والجانب الأدبي في المنطقة يدعونا إلى التعرف على اللهجة السائدة في المنطقة عموماً، فعند أهل نجران عبارات وألفاظ ربما تختص بهم، في الترحيب والتوديع وفي المناسبات المتنوعة في الأفراح والأحزان، وفي سؤال بعضهم عن أحوال الآخرين، وهذه العبارات واللهجة ليستا بعيدة عن ذاكرة العربي الذي يعيش في المنطقة أو يزورها، فالألفاظ العامية مفهومة إلا ما ندر منها [٣] .

٣ـ الأطعمة والأشربة :

الوجبة الرئيسة في نجران هي الكبسة، ويظهر أنها الوجبة المتعارف عليها في المملكة وفي جزيرة العرب عامة، هكذا يحدثنا من زار المملكة أو عمل فيها، ووجدنا ذلك حقا، لم تكن في نجران هذه المطاعم الموجودة حاليا، لا من حيث كثرتها، ولا من حيث تنوعها، وتعدد الجنسيات القائمة عليها، فتجد الآن المطعم السوري والمصري والهندي، وتجد الآن

---

(١) أشكر صاحب هذه الدراسة على هذه النصائح القيمة، وللأسف من متابعتنا لسير النوادي الأدبية في المملكة منذ بداية هذا القرن نجد أنها في عقودها الأولى ساهمت وأثرت الساحة الثقافية والأدبية والفكرية، ولكن منذ عدة سنوات متأخرة نجد أن بعض النوادي التي كانت في الصدارة أصبحت في المؤخرة، بل إن معظم النوادي الأدبية تتراجع ولا تتقدم، ولابد للمسؤولين في وزارة الثقافة وكذلك المثقفين في كل منطقة أن يدركوا أهمية هذه النوادي، ومن ثم تتضافر جهودهم على تفعيلها ومساندتها حتى تقوم بواجباتها الحقيقية تجاه مجتمعاتها .(ابن جريس).

(٢) الشيء الجميل أن جميع المناطق التي توجد بها النوادي الأدبية يوجد من حولها الجامعات والمؤسسات العلمية والأكاديمية، وهذا مما يشجع على الارتقاء بأداء هذه النوادي، ومساهمتها في بناء المجتمعات. (ابن جريس) .

(٣) إن مجال اللهجات علم واسع، وبلاد نجران وغيرها من بلدان جنوبي البلاد السعودية ثرية بلهجاتها ومفرداتها، وألغازها، وأحاجيها، وظرفها وفكاهتها . وهذه الجوانب المعرفية جديرة بالبحث والدراسة . ونأمل من كليات الآداب في جامعات : الملك خالد، ونجران، وجازان، والباحة وبخاصة أقسام التاريخ والأدب واللغة أن تولي مثل هذه المجالات كبير اهتمام في ندواتها ومؤتمراتها ورسائل طلابها العلمية، وكذلك مؤلفات وبحوث أعضاء هيئة التدريس بها . (ابن جريس) .

عشـرات الأنواع من الأطعمة، وأنواع الحلويات، وأنواع الأشـربة والعصائر، ومن الملاحظ في الفترة الماضـية، أعني منذ ثلاثين سـنة لم يكن أهل نجران مهتمين بغير الكبسة، فهي المائدة المتميزة للضيوف وللمناسبات، ومع تعرفنا على الزملاء والجيران علمنا أن هناك العديد من الأطعمة التي يتناولها الناس في بيوتهم، سواءً في أيام الأعياد أو في غيرها من سائر الأيام. ما يسمونه بالحميس وربما يلفظه بعضهم (بالحميسة) وهي اللحم المطبوخ والمجفف بعد إضـافة كمية من الملح إليه[١] ويقدم كما سمعنا في أيام العيد، ومن الأكلات الأخرى (الربيكة، والرب) ويسـمونه (الوفد) وهو الخبز من البر المطحون، ويقدم معه المـرق والسـمن، وأكلة أخرى عرفناهـا، وأكلنا منهـا وهي (الرقش) وهي الخبز يوضـع عليه المرق واللحم، وربما يقدم من غير لحم، وهناك أكلة أخرى يسـمونها المرضوفة وهي العصـيدة مع اللبن[٢]، وأما الولائم فكانت ولم تزل تتصـدرها الكبسة حيث الأرز واللحم، وتتـوج في هـذه الأيام بأنواع مـن السـلطات والمعجنات والحلويات والأشـربة والعصـائر المتنوعة. وأرى أن الكبسـة راسـخة على الموائد النجرانية رغم تنـوع الأطعمة العالمية التي جاءت مع المتعاقدين مثل الكباب ومرادفاته كالأجنحة والشـقف وغير ذلك من التفنن في (طبخ أو شوي) أنواع اللحوم[٣].

ومـع وجود ما يقدم في الفضـائيات، ومشـاهدة ما يباع في المطاعم مـن أنواع المأكل، ومـع اختـلاط النجرانيـات بأخواتهن زوجات المتعاقديـن، ومع الكتب التـي تعلم الطبخ، وغير ذلك من الوسـائل الجديدة، ترى الآن الكثير من البيوت تنوع الوجبات، فالفاصوليا والباميا مع المرق واللحم وأنواع المحاشـي، وكذلك أنواع الحلويات التي قد تضـاهي أجود أنواع عرفته النساء الأخريات ومن مختلف الجنسيات.

ويلاحـظ أن أكثر الشـباب والموظفين يتجهون إلى المطاعم الصـغيرة، ذات الوجبات السـريعة، وخصوصـا في وجبة الفطـور ويتناولون العدس المطبوخ أو الفـول المطحون أو

---

(١) الحميسة: ما يعرف بالقديد، وهي أكلة عربية قديمة. ودراسة الأطعمة والأشربة عند العرب قديماً من الموضوعات الحضارية الهامة التي لم يولها المؤرخون كبير اهتمام، واستمر عدم الاهتمام أيضاً عند المؤرخين المسلمين الأوائل. وبـلاد نجـران من البلدان الحضـارية القديمة، وآمل من أحد طـلاب أو طالبات الدراسـات العليا في جامعاتنا السعودية من يدرس تاريخ نجران الاجتماعي لأهميته وجودته العلمية. (ابن جريس).

(٢) بعض هذه الأطعمة موجودة في مناطق أخرى من بلاد الجنوب مثل: عسير، والباحة، وجازان، وما جاورها. للمزيد انظر: ابن جريس، عسير (١١٠٠ ـ ١٤٠٠هـ)، ص٥٨ـ٦٥. (ابن جريس).

(٣) الإخـوة الكـرام المتعاقـدون منـذ سـبعينيات القـرن الهجـري الماضـي لهـم فضـل كبـير علينـا ليـس في نقـل بعـض فنـون الطعـام والشـراب إلينـا، ولكـن في نقـل التعليـم والثقافـة والأدب والفكـر، فهـم فعـلاً الذيـن أنـاروا الطريـق لنـا، بعـد توفيـق الله وفضلـه علـى هـذه البـلاد (المملكـة العربيـة السـعودية). ومـن يتأمـل مـن خـلال مشـاهداته وتجاربـه، وكذلـك مـن خـلال الوثائـق والسـجلات يجـد أن أولئـك الصـنف مـن النـاس (المتعاقـدون في مجـال التربية والتعليم) جديرون أن يكتب عنهم أسـفار على ما بذلوا من شـبابهم ودمائهم في تعليم وتربية أبناء هذه البلاد. وإنني آمل من طلابنا المتميزين في برامج الدراسات العليا أن يولوا مثل هذا الموضوع كبير اهتمام. كمـا أننـي آمل من الرعيل الأول، والذين لازالوا علـى قيد الحياة وتعلموا على أيدي البعض مـن أولئك المتعاقدين أن يدونوا مذكراتهم عن بعض ما عرفوه عن أولئك الإخوة الكرام، وأسأل المولى - عز وجل - أن يرحم ويتجاوز عمن رحل عن هذه الدنيا منهم، وأن يوفق ويصلح ويثبت من لازال على قيد الحياة. (ابن جريس).

المقلقل، ولا يخفى الإقبال المتزايد على البسكويت والبيبسي عند الإفطار[١] .

٤ ـ الفولكلور النجراني، وبعض العادات والتقاليد :

في أيامنا الأولى ما كنا نلتفت إلى عادات الناس وتقاليدهم، ولكن مع مرور الأيام شاهدنا وعلمنا شيئاً عن عادات وتقاليد القوم، وما في مناسباتهم من أعمال وأقوال . وربما لفت انتباهنا في تلك الأيام ما يشبه عندنا في بلاد الشام وهي (الدبكات) ، والتي يسمونها (الرزفة) . دُعينا مرة ونحن في قرية الحرشف إلى تناول الطعام عند أحد المواطنين، فأحضر القدر، وفيه لحم مطبوخ، وقدم الخبز والإدام ثم أخذ يقطع اللحم بيديه، ويعطي الحاضرين فاستغربنا حقيقة مثل هذه العادة التي كانت مألوفة عند بعض الناس .

ونسمع طريقة السلام في نجران فإذا التقى الرجلان في الطريق أو إذا دخل أحد إلى مجلس الناس فيقول : (السلام عليكم، ارحبوا، كيف أنتم ؟ طيب، طاب فيك، ثم يقوم بالكلام من كان جالساً : كيف أنت ؟ سلمت، طيب، طاب فيك مأجورين، الله يعافيكم، والسلامة، الله يسلمكم، وش حالكم، بخير طيبين، مأجورين، نحب علومكم، من بلادنا لحضرتكم بخير..) أو قريباً من مثل هذه العبارات التي تتردد على أفواه الناس في الليل والنهار[٢] .

وفي أيام الأعياد نرى مجموعات من الناس بثيابهم الجميلة الجديدة، وبعضهم يلبس الثياب ذات الأردان الطويلة يمشون ليسلموا على آخرين يكونون بانتظارهم حسب المواعيد أو حسب ما تعارف عليه القوم عادة بين القبائل أو بين أفراد الأسرة الواحدة والأقارب . كما شاهدنا عدة احتفالات اجتماعية ووطنية للمواطنين وهم يقدمون الزامل[٣] . وتشعر بانفعال الرجال المشاركين وحماسهم في حركاتهم الموزونة التي تُؤدى من قبل الرجال الشيوخ منهم والشباب، وربما شاركهم الأطفال في هذه الرقصة الشعبية . كما شاهدنا (الرزفة) أثناء الاحتفال بالأعراس، حيث صفان متقابلان وتردد أنواع الأشعار التي تعكس معانيها المناسبة، وينزل اثنان بين الصفين وبأيديهما الخناجر، وهما يقومان بحركات منسقة، يرفع كل منهما خنجره إلى الأعلى، وهذا ما يسمونه (بالسَّعب) ، وربما يشارك أصحاب البشرة السمراء بطبولهم وحركاتهم في الاحتفالات، بين صفين متقابلين مع الإنشاد، والصيحات التي تتردد بين الفينة والأخرى، ويتقدم أيضا أهل (السَّعب) وكأن الناس يحبون هذا اللون في الاحتفالات[٤] .

---

(١) للأسف كثيرٌ من الأطعمة والأشربة الحديثة لها من السلبيات على صحة الإنسان ما لا يمكن حصره في هذه العجالة . كما أن المستوى الثقافي عند إنسان اليوم غير موفق وغير جيد في نوعية الأكل الذي يتناوله سواءً في المطاعم وأحياناً في المنزل. (ابن جريس) .

(٢) يظهر لنا عادة اللقاء بين الناس في بعض المناسبات الاجتماعية، وكذلك الصيغة اللفظية، أو اللهجات التي تمارس في هذه الاجتماعات . والذاهب في مناطق جنوب البلاد السعودية يجد اختلافات كثيرة في العادات واللهجات . ومثل هذه الموضوعات جديرة بالبحث والدراسة من المتخصصين كالمؤرخين، واللغويين وغيرهم . (ابن جريس) .

(٣) بلاد نجران، بل عموم مناطق جنوبي الجزيرة العربية غنية بفنونها الشعبية المختلفة، إلى جانب ما يقولونه من قصائد وأهازيج وأشعار، ناهيك عن الألبسة التي يلبسونها لكل فن أو مناسبة اجتماعية . وجميع هذه المجالات جديرة بالبحث والدراسة . (ابن جريس) .

(٤) إن الدارس للفنون الشعبية، وما يقال فيها من أغان، وأهازيج، وأشعار وحكم يدرك مستوى الثقافة عند مجتمعات

وهناك مهرجان مزايين الإبل الذي يقام سنوياً في ميدان واسع شرق مدينة نجران، يشارك فيه من يُربُّون الإبل، وجموع من محبي هذا المهرجان، وهناك مهرجان الزراعة تقوم به على ما أعلم إدارة الشؤون الزراعية، ومركز البستنة، لتعريف الناس بأهمية الزراعة بشكل عام، وزراعة الحمضيات في المنطقة بشكل خاص، ففي نجران توجد أشجار البرتقال واليوسفي [١].

ويبدو خلال السنوات الأخيرة أن بعض القرى أوجدت لها ميادين لمناسباتها، ومنها الزواج، وقد استغنت كل قرية بميدانها عن الاستراحاتٍ التي تُستأجرُ عادة للزواج أو للاستقبال. وعلمنا مؤخرا أن هذه الميادين باتت منطلقاً للقبيلة أو لأهل الحي أو القرية إذا أرادوا تهنئة حي آخر أو قرية أخرى، وحيث يلتقي الطرفان في مناسبات الزواج وفي عيدي الفطر والأضحى المباركين. وأما عادات الناس في بيوتهم فلا بد من القهوة والشاي، وربما الذبائح حسب حالة القدوم، وسبب المجيء، وقد تبنى خيمة لهذه الأغراض جانب الدار أو داخل فناء البيت إن كانت فيه مساحة مناسبة، وفي العديد من البيوت توجد غرف كبيرة تستعمل كديوان لاستقبال الضيوف أو للمناسبات [٢].

ولا يلاحظ الفرق بين طرائق البيع والشراء بين أهالي نجران وغيرهم في مدن المملكة الأخرى، وخصوصاً بعد مشاركة الوافدين في المحلات التجارية أو بسطات الخضار، وحتى في أعمال البناء والمقاولات.

ومن العادات الموجودة في نجران جلوس النساء للبيع في بسطات وأحياناً في الدكاكين (وهذا قليل)، ووجود سوق للنساء تباع فيه بعض مستلزمات البيوت، وقد تجد أحياناً بعض النساء يقمن بالبيع في أسواق الرجال، كسوق الخميس أو غيره من الأيام [٣].

وفي نجران يبقى الطابع الموروث هو الأكثر تأثيراً في تعاملات الناس، رغم التطور الحضاري الكبير والمؤثر، ورغم تبدل كل شيء من قالبه القديم إلى قوالب الحضارة الجديدة، وما زالت بعض الحرف اليدوية المحلية قائمة، ولها زبائنها كالحياكة والخرازة والحدادة وصناعة المداهن، ولازالت المنتجات المحلية على مكانتها لدى بعض الناس

نجران وغيرها من البلدان المجاورة، بل يجد الغنى اللغوي والفكري والأدبي والموروث المعرفي الذي تتمع به هذه البلاد. (ابن جريس).

(١) نجران أرض زراعية منذ القدم، ومن يعد إلى كتب التراث الإسلامي يجد لها ذكراً جيداً في المجال الاقتصادي وبخاصة التجارية والزراعية، ناهيك عن وضعها الزراعي اليوم فهي من أغنى بلدان المملكة العربية السعودية زراعياً، مع العلم أن هناك الكثير من المعوقات في طريق هذا المجال. (ابن جريس).

(٢) ما يجري من عادات وتقاليد في الفنون الشعبية جدير بالدراسة والبحث من منظور تاريخي، ولغوي وثقافي، واجتماعي. (ابن جريس).

(٣) بلاد نجران ذات نشاط تجاري قديم، لوقوعها على بعض الطرق التجارية الرئيسة، ودراسة التاريخ التجاري لنجران قبل الإسلام، وأثناء العصور الإسلامية المختلفة من الموضوعات الهامة والصالحة لأن تكون عناوين لرسائل علمية، أو بحوث أكاديمية رصينة، وهذه مسؤوليات المنخرطين في التخصصات التاريخية والحضارية. للمزيد انظر: ابن جريس، نجران (ق١ - ق٤هـ/ق٧ق١٠م) ج١، ص٣٢٧-٣٦٧. (ابن جريس).

كاستعمال (الميزب) في حمل الأطفال، وكذلك (المسبت) وهو حزام من الجلد معد لوضع الرصاص، وصناعات أخرى لم نطلع عليها أو لا نعرف أسماءها [١] .

٥. طبقات المجتمع :

الحقيقة لا أستطيع في هذا المجال لعدم اطلاعي الكامل على أصول وفروع القبائل منذ القدم وحتى هذا اليوم، ولقد قرأت عمن سكن نجران قديماً كقبيلة مذحج التي دخلت الإسلام، ومنها كانت قبيلة بنو الحارث بن كعب، وهم الذي شكلوا الوفد لمقابلة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وكان قد بعث إليهم خالد بن الوليد (رضي الله عنه) ، ويوجد في نجران بقايا تلك القبيلة حتى اليوم، وتعرفنا على بعض من هؤلاء، وأسمع عن بعض القبائل الموجودة في نجران وفي محافظاتها، وسكنت فترة طويلة في حي (دحضة) وتعرفت على قبيلة الصقور وآل رجب وآل مرضمة، ولا أريد الخوض في ذكر القبائل الأخرى وهي كثيرة وعديدة [٢] .

ورغم أن كثرة العناصر الوافدة إلى المنطقة، وتعدد وتنوع الجنسيات واللغات إلا أن أهل نجران محافظون على عاداتهم وتقاليدهم وتماسكهم، ولا يؤثر على هذا الموروث تأثر بعض الشباب ببعض ما اكتسبوه من الوافدين كلبس البنطال (السروال) أو الخروج بدون غترة وغير ذلك من تصرفات مازال يستهجنها كبار السن ويسخرون منها . ولكن السمة العامة الغالبة هي طبيعة الناس الأصلية التي عاشوا عليها منذ القدم [٣] .

---

(١) الحرف والصناعات التقليدية في نجران وما جاورها من البلدان من الموضوعات الهامة للبحث والدراسة . للمزيد انظر: ابن جريس، نجران، ج١، ص ٢٩٧-٣٢٦ . (ابن جريس) .

(٢) العنصر العربي يمثل الشريحة الرئيسة في مجتمع نجران قديما، لكنه لا يخلو من عناصر أخرى غير عربية . أما اليوم فلازالت القبائل العربية صاحبة القدح المعلى في المجتمع النجراني، ولكنه أيضاً خالطها عناصر أخرى عربية وغير عربية . ودراسة طبقات المجتمع في نجران أو غيره من البلدان من اختصاص المؤرخين وعلماء الاجتماع . للمزيد انظر: ابن جريس، نجران، ج١، ص٣٠-٤٧. (ابن جريس) .

(٣) العادات الدخيلة حديثا على المجتمع النجراني بل جميع بلدان المملكة العربية السعودية وهي جديرة بالبحث والدراسة مع إيجاد توصيات وحلول لمواجهتها . (ابن جريس) .



الدراسة الحادية عشرة

نجران كما عاصرتها تربوياً وتعليميا (الجزء الثاني)

بقلم : الأستاذ / شريف قاسم



الدراسة الحادية عشرة : نجران كما عاصرتها تربويا وتعليميا . الجزء الثاني[١]

بقلم الأستاذ / شريف قاسم[٢]

بسم الله الرحمن الرحيم .الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين، وبعد: لقد نوه الباحث الدكتور / غيثان بن علي جريس ـ وفقه الله ـ في بعض كتبه الأثيرة عن أهمية حفظ التراث، وتدوين الأخبار . وهذا من الأمور الجليلة التي يجب أن يهتم بها الباحثون، لما فيها من ترسيخ للقيم الحضارية والإنسانية التي تتفاخر بها الأجيال، ومن امتداد كريم للتاريخ، ومتكأ للمصلحين والمفكرين الذين يتصدون لإعلاء شأن الأمة، ومكانة الوطن، ولتكن بالتالي حافزاً للأبناء لينسجوا على منوال الآباء والأجداد، وليعيدوا زخم المجد، وروح الهمة إلى النفوس[٣].

وأحسب أن الدكتور الباحث قد وُفقَ في هذا المسعى، فراح يقدم أعذب الإنجازات لبلده الذي تهمه مثل هذه البحوث، وهو في ميدان نهضته الحضارية الشاملة، وليطلع شباب هذا البلد على آثار الأقدمين، وما فيها من معطيات إيجابية، وليعلموا ما لهم من الخير والقيم، حتى يعملوا على بصيرة، ناهيك عن حاجة الباحثين والمفكرين لمثل هذه البحوث . وفي تاريخ المناطق إضاءات لهم، يجدون ما كان عليه الأسلاف من مزايا ومن عادات وتقاليد، وذكريات لا تستغني عن سموها القلوب التواقة للمعالي، ومن محاسن لا تتخلى عنها النفوس التي ترنو دائما للقمم، وللمكانة المرموقة بين البلدان[٤].

ومن هنا تأتي أهمية تدوين الوقائع والأحداث بعيداً عن التزوير والالتباس، وهذا ما انتهجه الدكتور/ غيثان في بحوثه، ليشعر القارئ بصحة ما استقى منه الباحث، وليقف على مشاهد الفخر والاعتزاز لبلده، وعلى التراث الفكري والاجتماعي والوجداني، فيوسع مداركه، ويندفع أكثر بحماسة للعمل والإنتاج، وجمال هذه البحوث والكتب لا يكمن في جودة طباعتها أو أناقتها، وإنما يكمن جمالها في مضامينها الاجتماعية . فبارك الله سبحانه وتعالى بجهود الدكتور غيثان بن علي بن جريس، وسدد خطاه على مدارج القيم السامية لهذه البلاد، وأعانه على إتمام هذه المسيرة الرائدة في رحلته الموفقة، ليقدمها آخر المطاف لمن يجب أن يشدوا مآزر الانطلاق الحفي بكرامة الإنسان وحياته الراقية

---

(١) هذه الجزئية وصلتنا منفصلة عن المشاركة الأولى، كما أن جل مادتها تدور حول الجانب التعليمي، وهي مدونة من صاحب تجربة طويلة في هذا الباب، وتوجد نسخة منها في مكتبة المؤلف (ق١٥هـ/٢٠ـ٢١م)، ج٥، ص٤٤ـ ٥٥، (ابن جريس) .

(٢) انظر ترجمته في الدراسة السابقة .

(٣) أرض الجزيرة العربية تزخر بالكثير من الموروث الثقافي والاجتماعي والفكري، ومن ثم فالمسؤولية على مؤسسات التعليم في هذه البلاد، وعلى أصحاب التخصص، وجميع أرباب الثقافة والعلم في الحفاظ على موروث بلادهم من الضياع، بل يحرصوا على أن ينقلوه لأبنائهم وأحفادهم في قالب سهل ميسر حتى يُقرأ ويستفاد منه. (ابن جريس)

(٤) نحن متأكدون أن صاحب هذه الدراسة لديه أشياء كثيرة ومفيدة، وذلك من خلال خلفيته الثقافية والتعليمية ومن خلال الفترة الزمنية الطويلة التي قضاها في جزيرة العرب أو في نجران تحديداً، وإنني أهيب فيه من على صفحات هذه الدراسة أن يدون ما يراه نافعاً ومفيداً لأجيالنا القادمة، ونابعاً من أرض وثقافة البلاد النجرانية . (ابن جريس) .

والسعيدة، ولعل هذه من بعض فوائد قراءة مثل هذه المصنفات التي تتغنى صفحاتها بأكرم الغايات، فتحيي الأشواق في الصدور لتجديد الآمال، وليكون للحياة أيضاً طعم جديد، تتماهى فيه العاطفة الصادقة والشعور بالنبل والخير[١] .

في مطلع عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) وصلنا مدينة نجران للعمل في مجال التعليم وفي نفوسنا شوق لمشاهدة آثار الأخدود التي طالما قرأنا عنها في كتاب الله الكريم، حتى إننا صرنا نعيد تفسير آيات سورة البروج ونحن على متن الطائرة التي أقلتنا من دمشق إلى جدة [٢]، وشاهدنا آثار الأخدود في اليوم الثالث بعد وصولنا، وشتان بين رؤيتنا لما يحيط بالآثار حين شاهدناها في تلك الأيام وبين ما هي عليه الآن . وفي نجران نزلنا ضيوفاً في الأيام الأولى على أحد إخواننا الذين سبقونا إلى المنطقة للتعليم كذلك، وهو الأخ الفاضل الأستاذ نجم الدين معروف، وكان آنذاك يدرس في المعهد العلمي بنجران، كما أنه كان خطيب جمعة في مدينتنا دير الزور، وكنت أتناوب معه الخطبة في تلك الأيام . كما وجدنا عدداً آخر من الزملاء في نفس الحي، وكلهم من أبناء مدينتنا[٣] . وكانت جلسات طيبة معهم حيث حدثونا عن هدوء المنطقة وجمالها، وقربها من طبيعة بلدنا دير الزور في سوريا من عدة أوجه، وأصبحت لدينا فكرة عن المنطقة لا بأس بها، وقدمنا أوراقنا إلى مديرية المعارف (وهذا اسمها قبل أن تسمى بالإدارة العامة للتربية والتعليم) فيما بعد [٤]. وكان مقرها في بيت بالشارع العام مجاوراً لمستشفى نجران ومديرها الأستاذ عبد العزيز بن أحمد العياضي ووكيله الأستاذ إبراهيم العريشي وبتقدير من الله تعرفت على رجل فاضل شاهدني في سوق المدينة، وهو تقدير عجيب من الله حيث أننا لم نر بعضنا منذ عشرين عاماً، وكان بيننا حديث مودة وأخوة، وأبى إلا أن يدخل معي إلى الأستاذ العريشي وكيل مدير المعارف، ليجعل عملي في مدرسة داخل مدينة نجران، وقد سبق وتم تعييني في قرية قريبة مجاورة تسمى (الحرشف) ولم يقصر الأستاذ العريشي فقد

---

(١) نشكر صاحب هذا القول، ونسأل الله عز وجل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يصلح منا الظاهر والباطن، وأن يوفقنا جميعاً إلَى كل خير. (ابن جريس) .

(٢) لقد تربينا في بداية حياتنا التعليمية على أيدي أساتذة كرام من بلدان عربية شقيقة، والذي لفت نظري من أساتذتنا السوريين، رحم الله من مات منهم وبارك في حياة من لازال على قيد الحياة، أنهم أصحاب بيان ولغة راقية، ناهيك عن كفاءتهم العلمية القوية جداً . (ابن جريس) .

(٣) لم تكن أعمال المعلمين المتعاقدين الأوائل، وبخاصة الأكفاء منهم، مقتصرة على التدريس، وإنما كانوا يمارسون بعض الأنشطة العلمية والثقافية الأخرى مثل: إمامة الناس في الجمع والجماعات، وكذلك إحياء مسامرات ثقافية وعلمية أخرى في مدارسهم وبعض المجالس العامة . (ابن جريس) .

(٤) كانت وزارة المعارف قبل عام (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) يطلق عليها مديرية المعارف، ومقرها مكة المكرمة، ثم انتقلت الوزارة إلى الرياض . أما مدارس نجران النظامية فكانت في بادئ الأمر مرتبطة بمعتمدية أبها، ثم إدارة التعليم في أبها من عام (١٣٦٢-١٣٨٥هـ/١٩٤٤-١٩٦٥م)، وفي عام (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م) وأوائل عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) تم نقل عملية الإشراف على مدارس نجران إلى إدارة التعليم في بيشة، ثم فتح مكتب تعليم في نجران وظل مرتبطاً بتعليم بيشة لمدة عام، ثم فصلت مدارس نجران ووضعت تحت مكتب إشراف مرتبط بالوزارة عام (١٣٨٧هـ)، ثم إدارة تعليم مستقلة، وأخيراً إدارة عامة للتربية والتعليم (بنين وبنات) . (ابن جريس) .

وعد صديقه بأنه سينقلني إلى داخل المدينة بمجرد وصول أسرتي، وقد فعل إذ تم نقلي آخر العام إلى مدرسة الفاروق في حي دحضة بنجران. والحقيقة لم أكن أطمع كثيرا بالمدينة، لأن النية كانت أن أقضي عاما واحدا، ثم أعود إلى بلدي، ولكن الله سبحانه ـ وله الحمد والفضل على ما قضى وقدر ـ أراد لي وللكثير من إخواني الذين قدموا إلى المملكة معلمين معارين أن نبقى حتى هذا اليوم الذي أكتب فيه هذه الذكريات من هذا العام (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).

نريد ورب الخلق يمضي مراده وما الخير إلا في الذي كتب الله

توجهت إلى قرية الحرشف، وكان مديرها الأستاذ حمدان جراد سالم الغامدي، ومعه عدد من الإخوة المعلمين، منهم المصري والفلسطيني، وأمضينا عاماً جميلاً تملؤه المودة بين الجميع، ويسوده العمل. وفي بداية ذاك العام تم تعيين معالي الأستاذ فهد بن خالد السديري أميرا لمنطقة نجران خلفا لوالده، وأقيمت له الاحتفالات الترحيبية في نجران ومحافظاتها وقراها، وقد قامت المدرسة بإعداد حفل خطابي، حضره معالي الأمير، تضمن تلاوة من القرآن الكريم، وكلمة لمدير المدرسة، وقصيدة شعرية لي، تناولها أحد أخوياء الأمير بعد انتهائي من إلقائها وقدمها لمعاليه، وعلمت بعد ذلك أن الأمير أرسله ليأتي له بالقصيدة [١].

أذكر أن عدد طلاب مدرسة الحرشف كان قليلاً لا يتجاوز الأربعين تلميذاً لفصولها الستة، وهكذا بقية المدارس الموجودة في قرى حبونا والجفا والخانق وبدر الجنوب وغيرها، ورغم جهل أكثر الناس في تلك القرى بأهمية التعليم ومكانة المتعلمين إلا أن الأمر لا يخلو من طلاب أذكياء بل ولماحين، ولديهم الاستعداد لتقبل العلم والتوجيه، وكانت الوزارة توفر كل ما تحتاجه المدارس وزيادة، وأعتقد أن القرية استفادت كثيراً في ذلك العام مما قدمته المدرسة، إضافة إلى النجاح الذي حققه أبناؤها علميا وتربويا [٢].

وفي العام التالي تم نقلي إلى مدرسة الفاروق كما أسلفت قبل قليل، وانتهت فكرة العودة إلى بلدي ـ حتى يأذن الله ـ كان مدير المدرسة آنذاك الأستاذ أحمد محمد علي العسيري، وهو شاب متحمس للعمل جاد صالح ولا أزكي على الله أحداً، يداوم قبل المعلمين وينصرف بعدهم، تشعر بأنه يحمل هم التعليم بجدارة، وكان منصفاً بين المعلمين، وكان وكيله الأستاذ سليمان فلاته، وأما بقية المعلمين فمن المتعاقدين سوى المدير ووكيله الذي ذكرت، ومعلم الرياضة وهو الأستاذ إبراهيم بن عبد الله محمد الزكري (يرحمه الله) الذي توفي في حادث مروي بمدينة أبها منذ سنة تقريبا من كتابة هذه الذكريات، وأستسمح أخي الدكتور الباحث ـ يحفظه الله ـ إذ قلت بأن الأخ الأستاذ إبراهيم الزكري من المعلمين

---

(١) أرجو من الأستاذ شريف قاسم أن ينشر ما لديه من قصائد شعرية وبخاصة في الفترة التي قضاها في نجران، أو يرسلها إلينا حتى ننشر بعضها في بعض مؤلفاتنا المستقبلية. (ابن جريس).

(٢) حبذا أن نرى من طلابنا في برنامج الدراسات العليا بجامعة الملك خالد أو غيرها من يجعل عنوان رسالته لدرجتي الماجستير والدكتوراة عن تاريخ التعليم النظامي في نجران خلال القرن (١٤هـ/٢٠م). (ابن جريس).

الوطنيين الذين شقوا لغيرهم من زملائهم طريقٍ الجد والإخلاص في العمل، بل كان يعمل خارج أوقات الدوام ولا يتقاضـى على ذلك أجراً، أقصـد لم يكـن يطمح في المال بقدر ما كان يـؤدي واجبا، ويحمل هما وينشـئ جيلاً، فرحمة الله عليه، وجـبر قلوب ابنيه وابنتيه وأمهم إنه قريب مجيب . فقد كان رحمه الله صاحب خلق ودين، مثابرا على صلاة الجمعة والجماعة في المسجد المجاور لبيته بحي الفهد بمدينة نجران [١].

وفي مدرسـة الفـاروق (وقد أصـبح اسـمها فيما بعد : مدرسـة عمر بـن الخطاب) أمضـيت ثلثي فترة خدمتي التي امتدت إلى سبع وعشـرين سنة، والبقية كانت في مدرسة معـاذ بن جبل، والسـنوات الخمس الأخـيرة في إدارة الثقافة والمكتبـات في الإدارة العامة للتربية والتعليم .

وفي هاتـين الفترتين أتحـدث عن تطور التعليم والنشـاط المدرسـي في المنطقة، هذا التطـور الذي رافـق امتداد جوانب النهضـة في سـائرٍ المجالات، ليس في منطقة نجران وحسـب، وإنما هي نهضة شـملت مناطق المملكة جميعاً، وقام على هذه النهضة في منطقة نجران ثلاثة أمراء شاهدنا أفعالهم وآثارهم، فقد جئنا إلى المنطقة وكان أميرها صاحب المعالي الأسـتاذٍ فهد بن خالد السديري، ولسـت بمحص لمدة إمارته، ولكني أظنها قاربت سبعة عشر عاماً، ثم تم تعيين صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن سعود بن عبد العزيز، ومدة إمارته قاربت الثلاثة عشـر عاماً، ومنذ أشـهر فقط تم تعيين صـاحب السمو الملكي الأمـير مشـعل بن عبد الله بن عبـد العزيز، وخلال هذه الثلاثين عاماً شـهدنا في منطقة نجـرانٍ تطورا كبيرا جدا، سـآتي على ذكره بعد قليل، ولأعـود إلى محتوى الفترتين اللتين قضـيتُ أولاهما في التعليم في المدارس، والثانية التي أمضـيتها في الإدارة العامة للتربية مشرفا ثقافياً لإدارة الثقافة والمكتبات .

(*) **<u>المرحلـة الأولى :</u>** قمـت بالتدريس لمادتي التربية الإسـلامية واللغة العربية، في مدرسـة الفاروق وعدد طلابها تراوح (مابـين ٣٠٠ـ٤٠٠) خلال تلك الفترة كان مدير المدرسـة الأسـتاذ العسـيري كما أسـلفت صـاحب هم تعليمـي، فكانت عنايته بالمدرسـة وطلابها ومعلميها فائقة ومثمرة، بل التصـق اسمه بالمدرسة حتى أن أحد المراجعين يسأل لنقلٍ ولده إلى المدرسـة فقال: أهذه هي مدرسـة العسـيري ؟! وبعد ثلاث سنوات أصبحت وكيلاً للمدرسـة بموافقة الأسـتاذ العياضـي مدير التربية والتعليم، ولا أبالـغ إذ قلت بأن المدرسة كانت على مستوى عالٍ من التعليم، ويظهر ذلك في المسابقات الثقافية التي كانت تجـرى بين المدارس، وكانت مِن أوائل المدارس التي أقيمت فيهـا الاحتفالات آخر كل عام والتـي تتضـمن الفقرات المعروفة حتى الآن، وفيها يُكـرم المتفوقون من الطلاب والمعلمين، بحضور بعض مسؤولي التعليم وأولياء أمور التلاميذ .

---

(١) عرفنا الكثير من المعلمين الأخيار الذين اخترمهم هادم اللذات، وأرجو أخانا الأستاذ شريفاً إذا كان لديه ذكريات وأخبار عن زملاء الدراسـة، وعن ممارسـي التربية والتعليم بنجران أن يدونها وينشـرها، أو يدفع بها إلى من قد ينشرها، والهدف من ذلك الاطلاع على صور من التاريخ التعليمي في بلاد نجران . (ابن جريس).

وفي أحد الاحتفالات احتشد عدد كبير من المواطنين، حتى إننا جئنا بأكثر من (٤٠٠) كرسي من مركز التدريب الرياضي التابع لإدارة التعليم والمجاور للمدرسة حتى تم استيعاب الحاضرين، مما دفع الأستاذ عبد العزيز العياضي مدير التعليم لإلقاء كلمة مرتجلة ضافية في الحاضرين حول أهمية العلم ومتابعة التلاميذ، وأهمية التواصل بين البيت والمدرسة، وألقيت قصيدة شعرية تشجيعاً للطلاب المتفوقين تم نشرها بجريدة المدينة ـ ملحق الأربعاء بعنوان (حي الثقافة)[١]. وانتشرت بين المدارس مسابقات الإلقاء والتعبير، ثم إجراء الاحتفالات السنوية، ليتم اختيار أفضل الفقرات في القطاعات، حتى يتم تقديمها في الحفل الختامي للإدارة العامة للتربية والتعليم الذي يقام آخر كل عام، ويحضره ممثل عن النشاط الطلابي في الوزارة، ولقد نالت المنطقة المراتب الأولى في المسابقات التي تجرى بين المناطق لعدة سنوات، كما شاركت المنطقة في ذكرى مرور مئة عام على تأسيس وتوحيد المملكة، وكذلك في احتفالات تطور التعليم، ومرور عشرين عاما على تولي خادم الحرمين الشريفين ـ الملك فهد بن عبد العزيز ـ مقاليد الحكم ـ ومن المؤكد بأن المنطقة شاركت بقوة وفعالية بجميع المناسبات والأسابيع الاجتماعية، مثل أسبوع الشجرة والمرور، ومكافحة المخدرات وغيرها. وهنا لابد من ذكر أهل الفضل والجهود الكبيرة في إنجاح تلك الاحتفالات، ومنهم الأستاذ صلاح الدين عبد العزيز نصر مشرف النشاط الطلابي في المنطقة (يرحمه الله) وقد وافته المنية في بلده مصر بعد أن غادر المملكة منهياً أعماله، وكان شعلة من العمل في التأليف والإخراج والإشراف، وكذلك الأستاذ سامي فودة (يرحمه الله) وغيرهما الكثير ممن شاركوا في إنجاح الأنشطة المدرسية[٢]. ولا أجد حرجاً إذ قلت إن معظم الأناشيد التي قدمت في الاحتفالات، والمسرحيات والمطويات والنشرات، وعلى مستوى مدارس المنطقة بجميع مراحلها، كنت أقوم بتحضيرها وتقديمها للمدارس أو للإدارة العامة للتربية والتعليم، إضافة إلى أنشودة التفوق العلمي والتربوي لجائزة سمو الأمير مشعل بن سعود لعدة سنوات، وكذلك نفس الجائزة في عهد معالي الأمير فهد السديري، ولديّ الآن أكثر من مئة شهادة شكر وتقدير مع بضعة دروع من معالي الأمير فهد السديري ومن صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن سعود ومن مختلف الجهات الحكومية كإدارة مكافحة المخدرات وإدارة المرور والبلدية وغيرها من جهات، ولديّ الآن من بقايا تلك الأناشيد خمس مجموعات شعرية، وقد بدأت (مجلة البلاغ الكويتية) الآن بنشر مجموعة في (بستان الطفل) منذ بداية شهر رجب لهذا العام (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ولعلنا ننشر جميع تلك الأناشيد خدمة لأبنائنا الطلاب في مختلف المراحل التعليمية[٣].

---

(١) آمل أن أرى أحد الباحثين الجادين فيتولى تدوين تاريخ التعليم في منطقة نجران، مع إبراز الآثار الإيجابية التي عكسها التعليم على المجتمع النجراني. (ابن جريس).

(٢) هناك الكثير من المتعاقدين الذين كانوا رموزا فكرية وثقافية في المناطق التي عملوا بها. وأرجو أن يظهر لنا من يدون مآثر الجادين المبدعين منهم في نجران وما جاورها خلال العقود الماضية المتأخرة. (ابن جريس).

(٣) ونحن نشد على يد صاحب هذه المدونة (الأستاذ شريف قاسم) ونطلب منه أن يسارع في نشر ما لديه، سواءً كان من تأليفه أو تأليف غيره. (ابن جريس).

ولقد تغير رأي الطلاب وأولياء أمورهم بالنسبة للأنشطة اللاصفية تغيراً كبيراً، وأذكر في البدايات أن الصعوبة كانت في تأمين العدد الكافي لإقامة الحفل كما يجب أن يكون، لأن بعض الذين يجب أن يشاركوا لمواهبهم وقدراتهم لا يريدون هذه المشاركة، وكذلك أولياء أمورهم، ولكن بعد فترة طويلة، وبعد تعدد الأنشطة، وشعور الطلاب بفائدتها وبالمتعة التي يجدها الطالب وهو يزاول دوره كمنشد أو قارئ أو ممثل لفقرة تبدل الحال حتى أصبحنا نعمل القرعة بين الطلاب لاختيار من نريد، وكذلك الحال في الأنشطة الأخرى الاجتماعية والعلمية والكشافة والرياضة وغير ذلك من أنشطة جدت في ميادين ثورة المعلومات ـ كما يقولون ـ ولا أريد الاسترسال في هذا المجال الذي مازال يذكره أهل نجران على اختلاف شرائحهم العلمية والاجتماعية .

والجدير بالذكر أن مدير عام التربية والتعليم الأستاذ العياضي كان له الفضل في تشجيع ومتابعة تلك الأنشطة، إضافة إلى اهتمامه الكبير بالمسيرة التعليمية، فهو أول مدير عام للتعليم في المنطقة، وهو من كان يمشي على قدميه ليصل إلى بعض القرى ليفتتح مدرسة أو يتابع قضية تهم المصلحة التعليمية، وحين تم اختياره للعمل في الوزارة برغبة من وزير التربية والتعليم آنذاك خلفه الأستاذ/ أحمد بن عبد الرحمن الهلال الذي تابع مسيرة سلفه في التعليم والنشاط، ولكن تم نقله للعمل في مجال آخر في رحاب التعليم بعد سنتين، وجاء بعده الأستاذ حسن بن أحمد القربي الذي كان وكيلا لمديري التعليم السابقين، وقد كان الأستاذ القربي مطلعا بشكل عام جيد على مسيرتي التعليم والنشاط المدرسي ؛ لأنه عاصر المرحلة كاملة من أولها فقد كان معلما في المنطقة، ثم موجها تربويا، ثم رئيساً للدروس المسلكية، فنائباً لمدير التربية والتعليم، وتابع كل الأنشطة الطلابية، التي ارتقت آفاقها . ونما فرع النشاط الطلابي جنبا إلى جنب مع الشجرة الأم (التربية والتعليم) حتى أحيل إلى التقاعد، وجاء من بعده وكيله الأستاذ علي بن جابر الشمراني الذي عاش في المنطقة معلماً ومدير مدرسة ثم وكيلاً للتعليم، ثم جاء من بعد الشمراني الأستاذ ناصر بن سليمان المنيع، وهو الآن يشغل المدير العام للتربية والتعليم في منطقة نجران (بنين وبنات) .

(*) **المرحلة الثانية :** تم تعييني مشرفاً ثقافياً في إدارة الثقافة والمكتبات بالإدارة العامة للتربية والتعليم، وذلك في فترة إدارة الأستاذ حسن القربي، وخلال تلك الفترة قدمنا عن طريق إدارة الثقافة والمكتبات عدة أمسيات شعرية على مسرح الإدارة العامة للتربية والتعليم، وحضر بعضها سعادة وكيل إمارة منطقة نجران الأستاذ محمد بن فهد بن سويلم، وكذلك في فندق هوليدي إن، وأذكر من الذين شاركوا في تلك الأمسيات والمحاضرات الشاعران حجاب الحازمي وأحمد البهكلي والأستاذ عادل با ناعمة والدكتور محمد القرني والدكتور راشد الراجح وغيرهم، إضافة إلى العديد من الأمسيات التي أقيمت في المكتبة العامة بنجران وفي بعض المدارس الثانوية شارك فيها شعراء آخرون من داخل المنطقة، وجلهم من الإخوة المعلمين . كما أننا في القسم (إدارة الثقافة والمكتبات) أصدرنا العديد من المطويات والنشرات في المناسبات المختلفة، ولا أريد أن أسترسل في

سرد أنواع الأنشطة التي عمت المنطقة، ومن المفروض أنها مازالت موجودة في أرشيف الإدارة وقسم النشاط الطلابي الذي كنا نعمل فيه سويا، وكانت لنا مشاركات كبيرة مع سائر المدارس، ومع إدارة المكتبة العامة، ولقد وجدنا الكثير من التجاوب والاهتمام مع الإخوة مديري المدارس ومشرفي النشاط فيها، إضافة إلى التشجيع والدعم المتواصل من مدير عام التربية والتعليم الأستاذ حسن بن أحمد القربي، وكذلك من نائبه آنذاك الأستاذ علي بن جابر الشمراني [(١)].

أعود إلى منطقة نجران حين وصلنا واديها العريق، منذ ثلاثين عاما حيث لم تكن، يومها - إلا البلدة القديمة، بما فيها من أسواق بسيطة، ومحال تجارية متواضعة، ومدارس قليلة، وشارع واحد رئيس يشق الوادي من غربه إلى شرقه باتجاه مدينة الرياض - ذا مسار واحد - خال من الإنارة والأشجار ومن الأرصفة، وعلى امتداد جانبيه توجد بعض البيوت وبعض الأماكن التي تشير أو تذكر بأحداث سابقة، وأذكر بأن (فراش مدرسة الفاروق) - يرحمه الله - واسمه عبد الله، وهو من أهالي دحضة كان يحدثنا كثيرا عن بعض الأحداث، وعن أحوال أهل المنطقة قبل خمسين سنة، وكان سد نجران آنذاك في مراحله الأخيرة، وكنت تحس بأن نهضة بدأت تسري في جسد المنطقة التاريخية المترامية الأطراف .

وبدأت النهضة فعلاً، فإذا بأحياء كثيرة جديدة تظهر هنا وهناك، وإذا بعشرات المدارس تبنى في كل مكان، وإذا بالمعاهد للبنين والبنات، ومراكز التدريب وأخرى للموهوبين، ولا ننس جامعة نجران ولا الكلية التقنية، ولا عشرات المراكز العلمية والاجتماعية والصحية، وربما بلغت أعداد المدارس والمعاهد والمراكز التعليمية للبنين والبنات إلى (٦٠٠)، والعدد الصحيح لاشك يجده الباحث في إدارتي التعليم بالمنطقة [(٢)]، وقد نهاني أن أسأل عنه، لأنه لا يريد أن يتعبني، فجزاه الله خيرا، والتعب في هذا البحث لهذه المهمة فيه راحة وسرور . كما لا ننس، مكانة الغرفة التجارية الصناعية التي أصبحت بحق معلما من معالم النهضة فلها باع طويل في الحراك الاجتماعي والثقافي، فالكثير من البرامج والدورات تقام فيها الآن، إضافة إلى مهامها الأصلية، وللحق يقال أن رئيسها الشيخ علي بن حمد الحمرور مثال الرجل الفاضل الذي يتفاعل مع كل مفيد مهما كلفه ماديا أو معنويا، ويقف معه في هذا المضمار الأستاذ علي بن صالح قميش الأمين العام للغرفة، والذي أصبح أيضاً أمين عام مجلس إدارة الجمعية الخيرية (جيران) بعد الانتخابات الأخيرة للجمعية العمومية التي جرت يوم (١٣/٣/١٤٣٢هـ) في الغرفة التجارية، وكذلك الجمعيات الخيرية التي حدثني عنها الأستاذ علي بن محمد الجواهرة

---

(١) إن دراسة الحياة الثقافية والأدبية والفكرية في نجران ازداد نشاطها في السنوات الأخيرة الماضية، ونرجو من الإخوة المثقفين في نجران أن يرصدوا ما يدور في بلادهم من نشاطات ثقافية وفكرية، وعليهم أن يبذلوا جهوداً أكبر في الارتقاء بالحياة الأدبية في أوطانهم . (ابن جريس) .

(٢) نأمل أن يظهر مستقبلاً من طلابنا في أقسام التاريخ أو التربية وغيرها بجامعات الملك خالد أو نجران أو جازان من يتخذ موضوع التربية والتعليم في نجران موضوعا لأطروحته لدرجتي الماجستير أو الدكتوراة، ونحن على يقين أن من يفعل ذلك سوف يجد مادة علمية كثيرة تثري موضوعه . (ابن جريس) .

مدير عـام الجمعية الخيرية للخدمـات الاجتماعية بمنطقة نجران حـين بدأت العمل في الجمعيـة، وقد حدثني عن العديد من الجهات الخيرية في محافظة شـرورة وفي البلد وفي الغويلا والمشـعلية يوم كان فضيلة الشـيخ إبراهيم بن علي العبيدان رئيس محاكم منطقة نجران، ونائباً لرئيس مجلس إدارة الجمعية وهو منسـق الأعمال الخيرية في المنطقة وكل ذلك قبل أن يطلب النقل من المنطقة بناءً على رغبته، وللشـيخ في المنطقة مآثر وفضـائل وإنجازات لا تحصـى، وأهل المنطقة مازالوا يذكرونه بالخير [١]. وقد أصبـح الآن الأسـتاذ الجواهرة مشـرفاً على فرع (مؤسسـة الشيخ سـليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية بمنطقـة نجران) إضـافة إلى عمله الصـباحي في مكتـب المدير العام للتربيـة والتعليم، والجمعيـة (جـيران) الآن في حالة تطوير لأعمال اجتماعية كبيرة وسـامية، إضـافة إلى الجمعيـة الخيرية لتحفيـظ القرآن الكريم وأنشـطتها الممتدة في المنطقـة، وكان مديرها الأسـتاذ هاشـم بن مسعود الشـريف الذي انتقل إلى الكلية التقنية، وأصبح مديرها بعده الأستاذ أسعد الفيفي، إضافة إلى فرع الندوة العالمية للشباب الإسلامي وفرع هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بنجران ومديرها الآن الدكتور محمد بن أحمد حمدان الشهري، وبعض هذه الجهات الخيرية ربما كانت موجودة في بداية عملنا في المنطقة، ولكنها بالتأكيد بدون هذا النشاط الواسع الذي أعرفه بشكل جيد كوني أعمل في الجمعية الخيرية (جيران) منذ ست سنوات، وقد امتدت مساعدات هذه الجهات إلى محافظة الخرخير والمنخلي وتماني، وشملت المساعدات مئات الأسر المحتاجة، وتقدم هذه الجهات الخيرية العديد من المشاريع والدورات التدريبية للشـباب والشـابات من أبناء المستفيدين من هذه الجهات، وللعلم فإن للجمعية الخيرية (جيران) لها عدة أسـهم في مشروع الجامعة، كما شاركت في التشجيع على محو الأمية من خلال تقديم الحوافز للإخوة المتعلمين في مدارس الكبار، ويسعى مدير الجمعية الحالي الأسـتاذ خالد بن منصـور النهدي للرقي بأهداف ورسـالة الجمعية إلى الأفضل والأشمل، ويعمل على المشاركة الجادة في مجال التعليم والنشاط الاجتماعي العام في المنطقة من خلال التقارير السـنوية والمطبوعات الدعائية والإعلانية ومجلة (جيران) التي صـدر عددها الأول في غرة رمضـان عام(١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) . وأكتفي بهذه المعلومات في هـذا الجانب الاجتماعي الإنسـاني الحيوي، ويمكـن أن أزود الدكتور الباحث ـ وفقه الله ـ بنماذج متنوعة من تلك الأنشـطة، التي غمرت المنطقة بقيم الخير الإسـلامية، وعملت على إعانة المحتاجين بالكوبونات المالية، والمساعدات العينية والنقدية وغيرها .

وعودة أخرى إلى نجران اليوم وقد تبدل حالها بفضـل الله، فحدائقها العامة الغنّاء زادت على العشـر، ومتنزهاتها الفيحاء ذات امتداد واسـع من الظلال والأشـجار، وفيها تقـام اليـوم المهرجانات والاحتفالات مـن الجهات الأهليـة والحكومية، وشـارعها العام نافسـته شـوارع أخرى مثله ذات مسـارين تزينها الأشـجار والأنوار والأرصـفة الجميلة، والإشـارات المرورية، زد على ذلك العديد من المعالم الجمالية الاصـطناعية المنتشـرة في

---

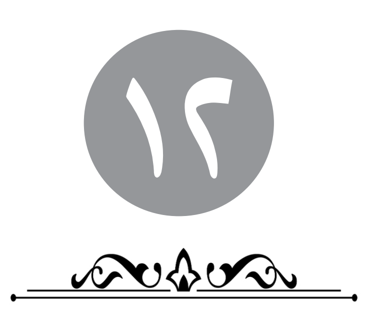
(١) تاريخ المؤسسات الإدارية، ورموز البلاد النجرانية، وكذلك الأعمال الخيرية في المنطقة جديرة بالبحث والدراسة. (ابن جريس)

تقاطع الطرق، وشلال (أبا السعود)، فلقد ارتفع الخط البياني الحضاري لمنطقة نجران حتى بات يضاهي في معظم الجوانب كبرى مدن المملكة .

في نجران اليوم ناد أدبي أقام العديد من الأمسيات الأدبية، والعديد من مكاتب الخطوط الجوية، والعديدً من الفنادق الراقية والمطاعم الفاخرة، والمشاغل النسائية، والسوبر ماركات الزاخرة بالمواد الغذائية والاحتياجات المنزلية، والعديد من الأسواق على امتداد شوارعها الرئيسة، مدينة نجران اليوم تلبس حلة حضارية، وفيها العشرات من الدوائر والمكاتب الرسمية والشعبية والبنوك [1]، التي تغطي المهام والأعمال التي لا تستغني عنها أي مدينة كبيرة وأسأل الله تعالى أن يتم نعمته على المنطقة، وعلى جميع مناطق المملكة، وعلى سائر بلاد المسلمين إنه قريب مجيب، والحمد لله رب العالمين . شريف قاسم .(نجران، ص ب٥٢) حرر في (١٤٣٠/١١/٢٥هـ) .

---

(١) للمزيد عن الكثير من المؤسسات الإدارية الحكومية والأهلية في منطقة نجران انظر: الدراسة السابعة من هذا الكتاب . ولازال هناك مجال كبير جداً في دارسة التاريخ الإدارية لبلاد نجران، وبخاصة في العصر الحديث والمعاصر، ونأمل أن يظهر من طالباتنا وطلابنا في برنامج الدراسات العليا بجامعة الملك خالد من يتخد هذا الموضوع عنواناً لأطروحته لدرجة الماجستير. (ابن جريس) .



الدراسة الثانية عشرة

صور من مظاهر الحياة الاجتماعية في نجران

بقلم : أ. عوض بن عبد اللّٰه بن ناحي



الدراسة الثانية عشرة : صور من مظاهر الحياة الاجتماعية في نجران[١]

بقلم الأستاذ / عوض بن عبد الله بن سعد آل ناحي[٢]

أولاً : المقدمة .

تشكل العادات الاجتماعية جزءاً من الموروث التاريخي لمجتمع منطقة نجران، ذلك أنهم توارثوها عن أجيالهم التي سبقتهم، فلم يفرطوا فيها، ولم يتأثروا بمتغيرات الحياة الحديثة التي أجبرت مجتمعات أخرى على التخلي عن كثير من القيم التي لم تعد تتوافق مع أوضاعهم الاجتماعية .

وفي الصفحات التالية سوف ألقي الضوء على ما تيسر لي مشاهدته من صور اجتماعية في المجتمع النجراني، أو من خلال ما استقيته من مراجع متوفرة في المكتبات، تتناول أوجهاً من تلك الصور، سواءً ما اختص منها بمنطقة نجران أو بمناطق أخرى مجاورة .

ولعل من أهم مصادر الدراسة أيضاً بعض أبحاث الطلاب المتخرجين من قسمي التاريخ في جامعة الملك سعود، ثم الملك خالد في أبها، والتي احتوت على مادة علمية جديرة بالدراسة والنشر للقراء[٣].

وقد احتوت الدراسة عدداً من المحاور الرئيسة التي شكلت في مجملها صوراً من الحياة الاجتماعية في منطقة نجران، التي لازال معظمها إرثاً تاريخياً يحرص أبناء نجران على الاحتفاظ به إلى يومنا هذا، فكانت البداية بدراسة التحية النجرانية والتعرف على مدلولاتها اللغوية والاجتماعية، ثم تلاها رصد صور من الاحتفالات الاجتماعية وطريقة إقامتها، مثل: مناسبات الزواج، والختان، والأعياد، والمآتم، وعادات أخرى كالفروق والمنصد والنوب والنحل من حيث تعريف مدلولها وطريقة تعاطيها .

---

(١) هذه الدراسة كلفنا بها صاحبها، وقد بذل جهداً طيباً في جمع مادتها من خلال إقامته في بلاد نجران، بالإضافة الى ما زودته به من دراسات وبحوث غير منشورة لعدد من طلابنا في مرحلة البكالوريوس، قبل حوالي عقدين من الزمان، والذين كانت بحوث تحرجهم تدور في فلك تاريخ وحضارة نجران.(ابن جريس).

(٢) الأستاذ عوض بن عبد الله آل ناحي من مواليد عام (١٣٩٨ هـ) في قرية وادي جرشة بني مالك عسير . أحد طلابنا في مرحلة البكالوريوس في قسم التاريخ بجامعتي الملك سعود ثم الملك خالد في عسير، التحق معلماً بسلك التربية والتعليم في نجران لعدة سنوات . حصل على درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي من جامعة الملك خالد . وعنوان رسالته : الحياة العلمية في نجران في صدر الاسلام من عام (١ – ٤٠ هـ / ٦٢٢ – ٦٦٠ م) . وكان حصوله على هذه الدرجة عام (١٤٢٧ – ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧ م) . انتقل من وزارة التربية والتعليم إلى وزارة التعليم العالي، وأصبح محاضراً بجامعة نجران، ثم سافر في شهر المحرم (١٤٣١ هـ / ٢٠٠٩– ٢٠١٠ م) الى بريطانيا لإكمال درجة الدكتوراة في نفس تخصصه، وقد حصل على هذه مؤخراً. (ابن جريس) .

(٣) كانت الخطة الدراسية لمرحلة البكالوريوس في جامعة الملك سعود تستلزم من الطالب قبيل إتمام دراسته الجامعية تقديم بحث تاريخي يسمى (بحث تخرج)، وهو ما كان له الأثر الإيجابي على مكتبة القسم التي امتلأت بعشرات الأبحاث القيمة وغير المنشورة، وهي في مجملها تحتوي على مادة علمية وثقافية ثمينة توفر للباحث مبتغاه من المعلومات التاريخية، وقد وجد الباحث ضالته في العديد من هذه الدراسات التي اطلع عليها في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية . (بحوث ودراسات غير منشورة).

كما تضـمنت الدراسة ما له علاقة بالإبل، وأوسمتها ومواردها، أو ما يختص بعادات الطعام والشراب وأهم الفنون الشعبية كالزامل والرزفة والطبل والمثلوثة، والألبسة المحلية.

واحتوت الدراسـة أيضاً على مقارنة بحثية لفن العمارة والبناء بين الماضي والحاضر ثم اللهجات المحلية وأخيراً الخاتمة مع ذكر بعض النتائج والتوصيات .

ثانياً : التحية النجرانية :

عـرف عن أهل نجـران التحية المشـهورة التي طالما تميزوا بها عـن غيرهم، بعمقها التاريخـي وبعدهـا الأصيل[1] . فيبـدأ القـادم بتحية الإسـلام (السـلام عليكم) فيرد المستقبل (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته) ، ويبادر أحدهم بمصافحة صاحبه باليد والخـد الأيمن، ثـم يبدآن في تبادل التحيـة فيقول أحدهما : (كيف أنـت ؟) فيرد الثاني (سـلمت) . فيقـول الأول : (طبت ؟) ، ليرد عليـه : (طاب الله فيك) ، ثم يجيبه الأول (ماجور والسـلامة) ، فيأتي الـرد (الله يعافيك، وماجور والسـلامة ..) [2] ، ثم يتبادلان الأسئلة عن الصحة والأحوال والأولاد ونحوها .

أما طريقة الترحيب بالضـيف فإن المفردة المشـهورة عند أهل الجنوب قاطبة تتقدم على أي لفظ ترحيبي آخر، فتجد الرجل عندما يرحب بضيفه يطلق العنان لصوته مرحباً (أرحبـوا) ، فيرد الضـيف قائلا: (البقاء، أو الله يبقيـك، أو الله يعافيك) [3] ، ثم يردد الضـيف كل المفردات الترحيبية المتعارف عليها محلياً مثل قوله :(يا الله حيه، يا مرحبا، مرحباً ومسـهلاً.. إلخ) [4]. والنجرانيون حريصـون على التمسـك بهذه التقاليد اللغوية حتى في الاستقبالات العامة والمناسبات الكبيرة وهو ما سنتتبعه لاحقاً .

أما عند استقبال الضيوف على الصعيد الفردي في المنزل فإن المفردات الترحيبية لا تختلف في مجملها عن منطقة عسير المجاورة لها، أو حتى المناطق المجاورة الأخرى، حيث تأتي الكلمة الشهيرة (ارحبوا) عنواناً أبرز لهذا الاحتفال [5].

---

(١) في جنوبي البلاد السعودية تختلف التحية بين الناس من مجتمع إلى آخر في بعض مفرداتها، لكنها تتفق في الإجمالي مع باقي المجتمعات السعودية في البدء بإلقاء تحية الإسلام . انظر: صوراً من ذلك في كتاب عبد الرحمن آل حامد : العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، (إصدارات نادي أبها الأدبي، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) ٣٢٧ وما بعدها .

(٢) الإجـارة عنـد أهل نجران تحمل معنيـين الأول : الإجارة من الشـر والبلاء. والثاني : طلـب الأجر من الله تعالى. مقابلة مع الشـيخ حسـين بن معدي بن هتيلة في منزله يوم الأربعاء(١١/١٠/١٤٣٠هـ) . لقاء مع الأسـتاذ سـالم بن حنظل، الأربعاء (١٤٣٠/١١/٢٣هـ) ، للمزيد انظر: سـيد الماحي، نجران الأرض والإنسـان (المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، د . ت) ص ٦٢ .

(٣) وتعني الدعاء بالتثبيت على كلمة الحق والدعاء بطول العمر.

(٤) المشاهدات الشخصية .

(٥) للمزيد انظر: غيثان بن جريس: عسير، دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ط١، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ص٧٦ وما بعدها . بن حامد : ٣٢٧ .

ثالثاً : بعض المناسبات الاجتماعية وطريقة إقامتها :

اشتهر أهل نجران بالكرم العربي الأصيل الذي اكتسبوه من بيئتهم المحلية وورثوه عمن سبقهم، إلا أنهم في ذلك يميلون إلى البساطة وعدم التكلف أو التصنع، فهم يسعون إلى إقامة المناسبات الكبيرة في أماكن مكشوفة، بفرش قطع الزل وترتيب المساند والمراكي حتى يصبح المجلس جاهزاً لاستقبال الضيوف[١].

وربما تقام هذه المناسبات في مجالس البيوت الكبيرة أو دور الضيافة الملحقة بها. وهي منتشرة غالباً. ثم يتوافد الضيوف وغالباً يفدون مع أداء لون الزامل[٢]. وعندئذ يصطف المضيف وأهله وجماعته للترحيب بضيوفهم قائلين : (مرحباً بكم ارحبوا، ارحبوا ...) بصوت عال، ثم يتجهون بهم بكل حفاوة إلى المكان المخصص لجلوسهم[٣]. ومن المناسبات الاجتماعية الأخرى في نجران ما يلي :

١ـ الزواج :

من المتعارف عليه في المجتمع النجراني أن يذهب العريس ووالده وبعض أقاربه إلى والد العروس، ثم يتقدمون لطلب يد ابنته، وبعد الموافقة، يتفق الطرفان على جهاز العروس (المهر) وهو مجموعة من الحلي والملابس وأدوات الزينة والأواني المنزلية[٤]،

وقديماً يقدمون أيضاً عدداً قليلاً من الإبل والغنم [٥]. وربما مبلغاً من المال[٦].

وفي يوم الزواج يفد العريس حاملاً معه مهر العروس ومعه جمع كبير من أقاربه وأبناء القبيلة مرددين أبياتاً شعبية من لون الزامل الشهير فيستقبلهم أبو العروس بترحاب كبير

---

(١) من المشاهدات الشخصية أثناء حضور بعض المناسبات الاجتماعية. انظر كذلك باتريسيا مصاري وشربل داغر : نجران، ترجمة : محمد حسن والمختار غلالة، نشر سكوربيو، باريس، ١٩٨٣م، ٤٨ـ٥٦ .

(٢) الزامل : من الفنون الشعبية التي يتميز بها أهالي نجران .

(٣) وهذه العادة تكاد تكون متواجدة عند معظم قبائل جنوب الجزيرة العربية .

(٤) سيد الماحي : ١٤٣ . وانظر: أيضاً صالح بن محمد بن مريح : نجران (ضمن سلسلة هذه بلادنا) . الرئاسة العامة لرعاية الشباب .(الرياض، ط١، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م) ٨٢ . عبد اللطيف طاهر علاقي. نجران. الواحة والإنسان (مطبعة الصلاح، جدة، ط١ ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ١٢٥ . مبارك مرزوق السعيد . الحياة الاجتماعية في منطقة نجران خلال القرن (١٤هـ)، (بحث مقدم لنيل درجة البكالوريوس، جامعة الملك سعود، ١٤١٥هـ/١٤١٦هـ) ١٠٦ . المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، قسم البحوث والدراسات، رقم (٥) . علي محمد الغدير والحسن أحمد الشريف . الأدب الشعبي في نجران . (بحث مقدم لنيل درجة البكالوريوس، جامعة الملك سعود، ١٤١٧هـ) ٣٦ . المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، قسم البحوث والدراسات، رقم (١٣٤)، حمد عبد الله آل منصور وآخرون : نجران، دراسة تاريخية حضارية مختصرة . (بحث مقدم لنيل درجة البكالوريوس، جامعة الملك خالد ١٤٢٣/٢٢هـ/١ـ٢٠٠٢م) ٨٧، المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، قسم البحوث والدراسات . رقم (١٦، ١٧)، انظر: عائض آل عمر اليامي وحسين آل سليم : محافظة بدر الجنوب، دراسة تاريخية مختصرة خلال القرن (١٤هـ) . (بحث مقدم لنيل درجة البكالوريوس، جامعة الملك خالد ١٤٢٣/٢٢هـ/١/٢/٢٠٠٣م) ٣٤ . مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، قسم البحوث والدراسات. رقم (٣٣) .

(٥) الماحي : ١٤٣ .

(٦) المرجع نفسه .

ويقدم لهم القهوة العربية الأصيلة، والطعام، ويسمي بعض من أهل نجران هذه العادة بـ "الحملة"[١]. وعند حلول المساء يجتمع الجميع في مقر والد العروس فيتناولون طعام العشاء ويؤدون عدداً من الألوان الشعبية مثل الرزفة والمرافع[٢]، ثم يذهب العريس بعروسه إلى منزله حيث يكون أهله في استقباله[٣].

وفي اليوم التالي يقوم العريس بدعوة أهله وأقاربه وجيرانه في حفلة أخرى تسمى " الحلال "[٤]، وهي عادة لا تزال موجودة عند أهل نجران إلى اليوم ويحتفل الجميع بالعريس وتناول الطعام وأداء بعض الألوان الشعبية مثل الزوامل والرزفات والطبول ونحوها، كما يتم تقديم معونة مالية وعينية دعماً للعريس[٥].

ويكون هناك حفلة خاصة بالنساء تسمى عندهم بـ (الثنوة) للتعرف على العروس، وتهنئتها بالزواج[٦]. والعادة جرت في السنوات الأخيرة أن تقام مناسبات الأفراح في الليل من بعد صلاة العشاء إلى حدود الساعة الحادية عشرة، أو الثانية عشرة ليلاً[٧].

وتبدو تقاليد الزواج في منطقة نجران متشابهة مع تلك القائمة في منطقة عسير، إذ يبدو الزواج بما كان يسمى بـ " الخطبة أو الحكي " ثم يكون الاتفاق على المهر على حسب المتوفر من المال نقداً أو عيناً، ثم يليها مناسبة " الصلح " التي يعقد فيها قران العروسين، وفي يوم الزواج " المراح "[٨]. " يأتي العريس بأهله وأبناء عشيرته إلى والد العروس ليرحب بهم حسب الطريقة المعتادة ويتناولوا عنده وجبتي الفطور والغداء ثم بعدها يصحب العريس زوجته ووالدتها إلى مقر الاحتفال الذي يستمر إلى الليل حسب الأعراف التي لا تزال بعضها سائدة إلى يومنا هذا[٩].

---

(١) ابن مريح : ٨٢، ٨٣ علاقي، ١٢٥، آل منصور، ٨٧ .

(٢) السعيد، ١٠٦ .

(٣) الماحي، ١٤٣، ابن مريح، ٨٢، السعيد، ١٠٦، آل منصور، ٨٧ .

(٤) المراجع نفسها، وقديما كان العريس يمضي أسبوعاً كاملاً عند أهل العروس بعد زواجه متنقلاً بين قرابتها الذين يتسابقون على تكريمه والهدف من ذلك كله زيادة التعارف مع أقارب العروس وتوثيق صلة القربى أكثر، لقاء مع الأستاذ سالم بن حنظل في (١٤٣٠/١١/٢٣هـ) . وانظر: علاقي ، ١٢٥.

(٥) ابن مريح : ٨٢، الغدير، ٣٦، السعيد ، ١٠٦، آل منصور، ٨٧ . وانظر: أحمد ظافر آل فطيح، محافظة يدمة بمنطقة نجران . (بحث مقدم لنيل درجة البكالوريوس، جامعة الملك خالد، ١٤٢٢/٢١هـ/٢٠٠٠-٢٠٠١م) ٤٥ . المصدر: مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية . قسم البحوث والدراسات . رقم (٢٧٩) .

(٦) المراجع نفسها .

(٧) السعيد، ١٠٦ . آل منصور، ٨٧ .

(٨) من يتمعن في تلك العادات يجد هناك أوجه شبه كبيرة لا اختلاف بينها سوى في اللفظ اللغوي، إذ يسمي أهل نجران اليوم الخاص بحفلة النساء بالثنوة، بينما يسمى ذلك اليوم عند أهل عسير بيوم المراح، وقس على ذلك تقاليد الزواج الأخرى . وللمزيد عن عادات الزواج في بلاد عسير قديماً وحديثاً انظر فؤاد حمزة : في بلاد عسير، (مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ط٢، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ١٣١-١٣٥، محمود شاكر : شبه جزيرة العرب، عسير ،(المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ٦٣. ابن جريس، عسير . ٧٨ - ٨٣ . ابن حامد: ٤٢٢-٤٤٣ .

(٩) من المشاهدات الشخصية .

٢ـ الختان :

كانت مناسبة الختان منتشرة في المنطقة الجنوبية ـ ومنها نجران ـ وهي من أعرق العادات التي عرفها المجتمع النجراني، ففي القرن الماضي وما سبقه لا يختن الولد في كثير من الأحيان إلا إذا بلغ وأصبح شابا قادرا على حمل السلاح(١). حيث يقوم الأب بعزيمة أبناء قبيلته وأخوال الابن الذين يقدمون عليه للتهنئة والمشاركة في المناسبة، وتقديم معونة مالية أو عينية لابن أختهم، وربما يجلبون معهم من يقوم بختان الولد(٢). وعادة فإنه يتم خلال هذه المناسبة إحضار شخص خبير يحضر أدواته المكونة من " سكين وقصب الذرة اليابس وخيط الربط "(٣). وبعد انتهائه من مهمته يركض الفتى مسافة (٢٠٠-٤٠٠) متر(٤). بينما يقوم الحضور بإطلاق عدد من الأعيرة النارية احتفاءً بهذه المناسبة، وفي المساء تقام مأدبة عشاء للجميع، ثم يؤدي الحضور عددا من الألوان الشعبية " الزوامل والرزفات " حتى آخر الليل(٥).

وقد جرت العادة قديماً أن يدفع المدعوون إلى حفلة الختان من أفراد القبيلة، وأخوال الولد وقرابته إلى والد المختون مبلغا من المال تعبيرا عن فرحهم بختان ابنه، وأنه أصبح عضوا فاعلا في مجتمعه(٦).

وإذا كان الشرع الحنيف اعتبر الختان من ضرورات الطهارة، فإن عاداته وتقاليده الممارسة قديما، لم يجد لها أحد الباحثين تفسيرا منطقيا في ظل تلك الطريقة الوحشية في الختان على حد تعبيره(٧). والتي قد تتأخر بالفرد على سن البلوغ، وربما تهدد حياته، ومع ذلك فإن عادة الختان بما يصاحبها من فعاليات تعطينا عن الماضي الجميل صورة من صور التكافل الاجتماعي التي توارت في ظل طغيان مظاهر الحياة العصرية، ففي وقتنا الحاضر أصبح ختان الولد أمراً روتينيا لا يحفل بذلك الاهتمام الاجتماعي، وأصبحت الأسر غالباً ماتتجه بأبنائها بعد سن الولادة مباشرة إلى مشاف متخصصة يتم فيها ختان الولد بطريقة طبية حديثة، وعلى يد أمهر الأطباء المتخصصين في مثل هذا الجانب(٨).

٣ـ الأعياد :

كان للأعياد تقاليدها الخاصة، فقد كان الناس قديماً يستعدون للعيد قبل حلوله بأيام، إذ يخصص للنساء يوم يسمى " وقف النساء "، يقمن فيه بغسل الملابس وتنظيف

---

(١) علاقي، ١٣٣ . السعيد، ١٠٤ .

(٢) لقاء مع الأستاذ سالم بن حنظل في (٢٣/١١/١٤٣٠هـ).

(٣) اليامي، ٣٨ .

(٤) آل منصور، ٨٧ . ابن مريح، ٨٣ . علاقي، ١٢٣ . ابن حامد، ٣٧٦ . وانظر كذلك عبد الرحمن الأنصاري وصالح آل مريح، نجران منطلق القوافل. (دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ٨٢ .

(٥) المراجع نفسها .

(٦) المراجع نفسها .

(٧) ابن حامد، ٣٨٨ .

(٨) تتفق عادات الختان قديماً عند قبائل الجنوب في تقاليدها وصورها مع بعض الاختلافات البسيطة . وللمقارنة انظر: ابن حامد ٣٧٦ وما بعدها .

البيوت، وإعادة صباغة نوافذ البيوت وأبوابها ومداخلها ونحوها [١].

ويوم آخر يسمى " وقف الرجال " ، وفيه يستعدون للعيد بشراء لوازم العيد كالملابس ونحوها، والحلاقة، وتنظيف البنادق، وصقل الخناجر والسيوف، وشراء الذبائح[٢].

وفي ليلة العيد يتم إطلاق الأعيرة النارية وهذا أبلغ تعبير عن الاحتفاء بمقدم العيد السعيد، وما أن يبزغ فجر يوم العيد حتى يجتمع الناس في المصلى لإقامة صلاة العيد[٣]، ثم يبدؤون في معايدة بعضهم بعضا، ثم يتوجه الجميع إلى كبيرهم لتهنئته بالعيد وتناول طعام الغداء[٤].

وفي العصر والليل ولمدة ثمانية أيام تتواصل احتفالات الناس بالعيد[٥]، فتجدهم يجتمعون في أماكن مخصصة للاحتفالات لأداء عدد من الألوان الشعبية المعروفة في نجران إلى جانب الاستعراض بالخيول أو إقامة بعض الألعاب الشعبية [٦].

أما في وقتنا الحديث فقد أصبح الاحتفال بالعيد مقتصراً على أيام العطلة الرسمية ولكن النجرانيين لازالوا محتفظين بالكثير من عاداتهم وتقاليدهم العريقة في الأعياد، فتجدهم حريصين على التواصل مع الأقارب والأصدقاء، وعلى الاجتماع في أماكن الاحتفالات الشعبية وأداء الألوان الشعبية في الساحات العامة ونحوها[٧].

٤ـ المنصد :

من العادات الحميدة التي ورثها المجتمع في نجران جيلاً بعد جيل، ما يسمى بـ (المنصد) ويعرف عند الجميع بـ (الصلح)، وقديما كانت تحدث بعض المنازعات بين الأفراد وربما تصل إلى الضرب، أو الطعن، أو القتل، حينها يتحول هذا الجرم إلى دين على المخطئ يتوجب عليه قضاؤه [٨]. ولإصلاح هذا الأمر فإن هذا الفرد وأسرته يستعينون بأبناء قبيلتهم، وعدد من أصدقائهم، ويتقدم الجمع حينها عدد من الشيوخ والوجهاء والأعيان[٩]، ثم يذهبون جميعا ـ معهم الذبائح ـ إلى بيت المعتدى عليهم فيرددون أبياتا شعرية بلون الزامل، ويتقدم شيخ القبيلة أو من ينوب عنه ليوضح لهم أنه ومن معه قدموا لطلب الصفح والعفو وأنهم مستعدون لما يطلبه منهم صاحب الحق من التزام مادي ومعنوي[١٠].

---

(١) ابن مريح : ٨٢ . علاقي :١٢٧ . السعيد:١٠٧ . الغدير:٣٥ . آل منصور:٨٦ .

(٢) ابن مريح : ٨٢ . السعيد :١٠٧ . الغدير : ٣٥ . آل منصور:٨٦ . الأنصاري: ٨١ .

(٣) المراجع نفسها .

(٤) آل منصور: ٨٦ .

(٥) بينما في منطقة عسير لا تتجاوز الاحتفالات أيام العيد الثلاثة . انظر: ابن حامد : ٤٩٩ .

(٦) السعيد: ١٠٧ . الغدير: ٣٥ . آل منصور:٨٦ . ابن مريح:٨١ .

(٧) من المشاهدات الشخصية . وهذه العادات مازالت سائدة عند معظم قبائل جنوبي البلاد السعودية .

(٨) ابن مريح :٨٣ . علاقي:١١٤ . الغدير:٣٨ . آل منصور: ٨٨ . اليامي:٣٢. آل فطيح:٣٧ . الأنصاري:٨٢ .

(٩) المراجع نفسها .

(١٠) المراجع نفسها .

أما إذا كان الفرد من نفس القبيلة، أو القرية فإن المتخاصمين يذهبون إلى شيخ القبيلة، أو أحد الأعيان الذي يتمتع بالحكمة والرأي السديد، ثم يضع كل منهم بندقيته ويقول (هذا جاهي) [١]، كدلالة على التزامه بما يفرض عليه من حقوق والتزامات .

ولأن المجتمع النجراني بطبعه عربي أصيل يسمو دائماً فوق الخطأ وصغائر الأمور، فإن العادة جرت أن يتشاور أهل الحق بما يسمى بـ (البرزة) [٢]. فإما يخفف الحكم في مثل هذه الأمور، أو ربما يكون العفو عن كل شيء هو المسيطر على الموقف[٣].

وفي وقتنا الحاضر فإن الأمن والرخاء الذي تعيشه بلادنا وزيادة الوعي الاجتماعي أسهم بشكل إيجابي في انحصار الخلافات والمشاكل القبلية، وإن حدث شيء من هذا فإن سلطات الدولة هي صاحبة الكلمة العليا بحل مثل تلك القضايا، ولكن هذا لا يعني اختفاء هذه العادة الاجتماعية الأصيلة التي لازالت موجودة بكل تفاصيلها العريقة، حتى وإن قلت النزاعات القبلية والشخصية، وما تنشره بعض الصحف، أو ما يشاهده البعض اليوم من تجمهرات قبلية لا تعدو أن تكون حلقات متكررة من هذه الأعراف الاجتماعية[٤] .

٥. الرفدة :

وتعني طلب المساعدة، أو إعانة المحتاج [٥]، وهي من العادات الحميدة التي عرف بها مجتمعنا المحلي، ونجران بالأخص، فهي تعبر عن تكافل المجتمع مع المحتاج وصاحب الحاجة[٦]، ويسمى طالب المساعدة في العرف المحلي بـ " المسترفد "[٧].

وفي نجران تبرز هذه العادة بشكل واضح في طلب الفرد المساعدة من القبائل المجاورة، فإذا تحمل الفرد مبلغاً كبيراً من المال سواءً في المغارم، أو الديات ونحوها فإنه يطلب العون من أبناء قبيلته، وربما يجمع عدداً منهم، ويفدون على القبائل المجاورة على هيئة صف واحد مرددين بلون الزامل بعضاً من الأبيات الشعرية التي يعبرون فيها عن حاجتهم للمساعدة، كما يثنون على مضيفهم ممتدحين خصاله وشمائله الحميدة [٨]. وفي العادة فإن المجتمع النجراني يهب لمساعدة هذا الفرد، أو قبيلته فيجتمعون بكبيرهم، ويقررون جمع مبلغ من المال يقدمونه كعون لهذا المحتاج ليخرج به من شدته[٩].

---

(١) السعيد : ٩٦

(٢) اليامي : ٣٣

(٣) علاقي، ١١٤، الغدير، ٣٨، آل منصور، ٨٨، اليامي، ٣٢، آل فطيح، ٣٧ .

(٤) ابن مريج : ٨٤ . المشاهدات الشخصية .

(٥) ابن مريج : ٨٥ . علاقي : ١١٦ . . آل فطيح : ٣٧ . الأنصاري : ٨٥ .

(٦) السعيد : ٩٨ . الغدير : ٤١ . آل منصور : ٨٩ . اليامي : ٣٣ . آل فطيح : ٣٧ . الأنصاري : ٨٥ .

(٧) ابن مريج : ٨٥ . علاقي:١١٦ . آل فطيح : ٣٧ . الأنصاري : ٨٥ .

(٨) اليامي : ٣٣ .

(٩) ابن مريج:٨٥ . علاقي:١١٦ . السعيد:٩٨ . الغدير:٤١ . وهذه العادة تكاد تكون سائدة عند معظم قبائل جنوبي الجزيرة العربية . (ابن جريس) .

وفي أعراف المجتمع النجراني المساعدة أو " الرفدة " تبقى ديناً على الفرد أو القبيلة التي أخذت المساعدة[١]، لكنها لا تجوز لمن يقوم بعمل مخل بالشرف كالسرقة أو الخيانة ونحوها[٢].

أما في عصرنا الحديث فإن تحسن الأحوال المعيشية وسيادة الرخاء ورغد العيش، إضافة إلى ازدياد الوعي الاجتماعي ساهم كثيراً في الحد من هذا العرف الاجتماعي، ومع ذلك فإن المجتمع هنا في نجران لا يزال متمسكاً بهذه العادة، حتى وإن اقتصرت على إرسال الرسائل إلى القبائل موضحين سبب طلب " الرفدة " ومقدار المبلغ الذي تحمله " المسترفد " مع توضيح عنوان الشخص الذي تجمع عنده مثل هذه المساعدات[٣].

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى ظاهرة سلبية أصبحت تلقي بظلالها على مثل هذه العادة الاجتماعية، ليس في نجران وحسب، بل نجدها ظاهرة للعيان في مناطق أخرى مجاورة ـ من عسير وغيرها ـ، ألا وهي المغالاة في طلب المقابل المادي نظير التنازل عن قضية ما، وهو ما يثقل كاهل المسترفد، والقبائل التي تهب لمساعدته، أو حتى وسيط الصلح، وقد يؤدي في النهاية إلى عدم إتمام الصلح فتصبح جهود الجميع سراباً ضائعاً لا طائل من ورائه .

٦ـ المآتم : (مجالس العزاء) .

يتشابه أهل نجران مع المناطق الجنوبية الأخرى في عاداتهم المتبعة في مثل هذه الأمور، فما أن يمرض شخص ما حتى يجتمع حوله أهله وقرابته وأصدقاؤه وأبناء قبيلته فيتعاهدونه بالرعاية والزيارة اليومية حتى يمن الله عليه بالشفاء[٤]. أما إذا مات فإنهم يجتمعون لغسله وتكفينه وحفر قبره والصلاة عليه، ثم يجتمعون جميعاً في منزله حيث يقام مجلس خاص بالعزاء حسب اتساع البيت[٥]. فمرة يقام العزاء في احد مجالس المنزل الواسعة، وأخرى في مجلس خارجي ملحق بالبيت، وربما يقام سرادق خاصة ـ صوان أو صيوان باللهجة المحلية ـ لاستقبال المعزين ثلاثة أيام[٦].

وخلال هذه الأيام الثلاثة يتوافد المعزون إلى مجلس العزاء فرادى وجماعات مرددين عبارات العزاء المشهورة في نجران (الله اللي يعيضكم)[٧]. فيرد عليهم أهل المتوفى : (ولا يكفيكم بشر)[٨]، والملاحظ في مجالس العزاء بنجران أن المعزين لا يطيلون الجلوس كثيراً بعد أن يودوا واجب العزاء، إذ لا يمكثون أكثر من بضع دقائق ليغادروا ويأتي وفد آخر وهكذا[٩].

---

(١) علاقي:١١٦ . السعيد :٩٨ . الغدير:٤١ . آل منصور:٨٩ . اليامي : ٣٣ . آل فطيح:٣٧ . الأنصاري:٨٥ .

(٢) الغدير:٤١ . آل منصور:٨٩ . الأنصاري:٨٥ .

(٣) الغدير :٤١ .

(٤) ابن جريس: عسير، ٨٧ . السعيد : ١٠٢ .

(٥) ابن مريح:٨٦. علاقي: ١٢٤ . السعيد : ١٠٢ . الغدير:٤٣ . اليامي:٣٧ . آل فطيح: ٤٣ .

(٦) من المشاهدات الشخصية . وانظر السعيد : ١٠٢ .

(٧) وفي عسير يقولون (أحسن الله عزاكم)، جبر الله مصابكم وغيرها . انظر: ابن جريس، عسير، ٨٩. وابن حامد:٤٥٧ .

(٨) السعيد : ١٠٢ .

(٩) من المشاهدات الشخصية .

وقديما كان المعزون يقدمون لأهل العزاء مساعدات مالية ومادية كالذبائح والمواد الغذائية، فيقدم لهم أهل الميت واجب الضيافة، ولكنها عادات اندثرت في الوقت الحديث[١]، ويبدو زيادة الوعي الشرعي لأحكام العزاء أثرت بشكل إيجابي على هذه المناسبة التي هذبها الشرع الحنيف وجعل لها أحكاما وضوابط، فأصبحت المآتم تقام بشكل عام في منزل المتوفى وبحضور قرابته وبعض أبناء قبيلته لمدة ثلاثة أيام، على أن يتولى بعض من تربطهم بهم صلة الجيرة أو الرحم تقديم ولائم طعام تخص أهل العزاء، أو من يحضر مجلسهم، وبعدها يكون لأهل العزاء الحرية في قبول واجب الضيافة المقدم من الجيران أو الأقارب ونحوهم [٢].

٧ـ النحل:

وهي مناسبة اجتماعية قديمة منتشرة في مناطق كثيرة من المملكة وخاصة في مناطقها الجنوبية وتعرف أيضا بـ "السموة" أو "السماوة" [٣]، وقد تعارف أهل نجران على تسمية هذه العادة بـ (النحل)، وتعني (هبة التسمية) [٤]. فإذا سَمَّى أهل المولود بشخص ما فإنه يُعْطى هذا المولود بعضَ ممتلكاته كأن يقدم له قطعة أرض أو بعضا من نخيل مزرعته، أو أن يَهديه ناقة أو فرسا أو بندقا أو جنبية[٥]، فتصبح ملكا لهذا المولود إذا كبر فلا يحق لأحد منازعته فيها.

ولاشك أن هذه العادة لا تزال بعض تقاليدها موجودة في عصرنا الحديث، تعطي وجهاً جميلا لحقيقة العلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفراد، أو حتى الجماعات، والبعيدة عن الارتباط بالمصالح الخاصة أو الوقتية التي قد يسلكها البعض، مرسخة في الوقت ذاته مبادئ الشرع الحنيف الذي يحث على التكاتف والتعاون بين أفراد المجتمع الواحد.

رابعاً: عادات وقوانين اجتماعية أخرى:

عرفت مجتمعات الجزيرة العربية العديد من الأعراف والقوانين السائدة التي كانت تنظم أسس المعاملات بين الأفراد والقبائل والجماعات، في ظل غياب سلطة مركزية توفر الأمن والرخاء، وتقر النظام بين أفراد المجتمع الواحد.

ولاشك أن تبدل الأحوال السياسية بتوحيد أجزاء واسعة من هذه الجزيرة تحت الحكم السعودي الميمون الذي حرص دائما على تطبيق أحكام الشريعة، وتوفير أسباب الأمن والرخاء، ساهم بشكل إيجابي في تكوين وحدة اجتماعية، وهو ما أدى بالتالي إلى اختفاء بعض تلك القوانين في ظل استغناء المجتمع بسيادة نظام الدولة وتحكيم الشريعة [٦].

---

(١) بتصرف من السعيد: ١٠٢.

(٢) ابن مريح: ٨٦. علاقي:١٢٤. الغدير:٤٣. ابن حامد: ٤٥٩.

(٣) للمزيد من التفاصيل انظر: ابن جريس، عسير، ٩٩. وابن حامد: ٦٧٥.

(٤) ابن مريح: ٨٤. الأنصاري:٨٣.

(٥) ابن مريح: ٨٥. الغدير:٤١. آل منصور:٨٩. الأنصاري: ٨٣.

(٦) هناك عادات اندثرت بسبب إقرار الأمن وسيادة سلطة الدولة مثل قانون الضمة، والذي يعني انضمام القبائل

علـى أن المجتمـع النجـراني ظل ملتزماً ببعض تلـك الأعراف التـي لا تتعارض مع أنظمة الدولة وقوانينها، بل إنها ترسـخ صورا أخرى عديدة للتعاون والتكافل الاجتماعي، وفي السطور التالية نشير إلى بعض تلك القوانين التي أصبحت موروثا يتوارثه الأجيال جيلا بعد آخر.

١ـ الفروق :

لكل قبيلة في نجران صـندوق مالي خاص يسـمى (الفـروق)[١]، وطريقته أن يجمع من كل أبناء القبيلة ـ الذكور البالغين ـ مبلغ مادي محدد بالشـهر أو السـنة، ثم يكلف أحد الأشـخاص الثقـات ـ بمثابـة أمين الصـندوق ـ بحفظ هذا المـال، وصـرفه في الأمور التي تحددها القبيلة [٢].

وقديمـاً كان مقدار المبلغ المفروض على ابن القبيلة يحدد على حسـب عدد ما يمتلكه هذا الرجل من النخيل، أو بقدر مسـاحة الأرض الزراعية التي يمتلكها [٣]، ولكن يبدو أن هـذه الطريقة قد اندثرت إذ أصـبحت معظم المجتمعـات القبلية الجنوبية تحدد ما يجمع من مبالغ في صندوق القبيلة على حامل بطاقة الأحوال [٤].

أما الأوجه التي تصرف فيها " الفروق " فتتمثل في دفع المبالغ التي تفرض على أبناء القبيلة كالديات والمغارم ونحوها [٥]، كما يسـتفاد من هذا الصـندوق في دفع مصـاريف زواج أبناء القبيلة، أو المآتم، أو المناسبات الكبيرة وغيرها [٦].

وفي عصرنا الحديث لا تزال مجتمعات القبائل في الجنوب ـ ومنها نجران بالطبع ـ تحتفظ بمثل هذا الصـناديق المالية وإن اختلفت المسـميات[٧]. إذ ترى فيها ضرورة لا يمكن الاستغناء عنهـا في ظل مواجهة تحديات الحياة المعاصـرة بما تحمله من حـوادث مفاجئة لا يمكن التنبؤ بها، فمنها ما يصرف في الديات والمغارم، ومنها ما يوجه لخدمة مصالح القبيلة[٨].

الضـعيفة إلى القبائل القوية حتى يتوفر لها الأمن، أو الاسـتجارة والتي تعني هي الأخرى أن يلتجئ المذنب إلى حمى قبيلة معينة حفاظاً على حياته، وهناك قانون العاني والمتمثل في أن يقف أي شـخص تربطه صـلة نسب بآخر في قبيلة أخـرى في وجـه قبيلتـه حفاظـاً على ذلك النسـب . كما أن للأسـواق قوانينها التي تلزم القبيلة التي يقع السـوق على أرضها وبين منازلها بحماية السوق وتوفير الأمن فيه . ومن القوانين القديمة أيضاً قانون السير ويعني حفاظ القبيلة على أمن المسـافر عبر أراضيـها، وقانون القطير أو الغرم، ويعني انضمام الشخص الذي لا قبيلة له إلى القبيلة التي يسـكن حماها ليصـبح فرداً منهم، وقانون الجار الذي يتمثل في ضـرورة حماية أفراد القبيلة مال وعرض من يحل بجوارهم من أبناء القبائل الأخرى . وهنـاك قوانين خاصة بالحصاد وحفر الآبار والرعي اندثرت بفعل توفر التقنية الحديثة والاستغناء عن الطرق التقليدية القديمة. بتصرف من ابن مريح :٨٦ـ ٨٧. وعلاقي : ١٢٩ـ ١٣٠ .

(١) ابن مريح:٨٦ . علاقي:١١٧ . السعيد:٩٧ . الغدير:٤٢ . آل منصور:٩٠ . اليامي:٣٣ . آل فطيح:٣٩. الأنصاري:٨٥ .

(٢) المراجع نفسها .

(٣) السعيد :٩٧ . الغدير:٤٢ .

(٤) من المشاهدات الشخصية .

(٥) ابن مريح : ٨٦، علاقي :١١٧ . السعيد: ٩٧ . الغدير : ٤٢ . آل منصور: ٩٠ . اليامي:٣٣. آل فطيح: ٣٩ . الأنصاري : ٨٥ .

(٦) ابن مريح :٨٦ . السعيد:٩٧ . الغدير:٤٢ . الأنصاري:٨٥ .

(٧) في منطقـة عسـير يوجـد هـذا القانـون الاجتماعـي بمسـميات أخـرى كالفرقـة أو صـندوق الجماعـة. ابن حامد:٥١٩ .

(٨) من المشاهدات الشخصية .

٢. النوب :

وهي عادة خاصة بالمزارعين وتعني (تنظيم عملية الري) [١]. وتسمى باللهجة المحلية (النوب) أو (التناوب)[٢]. وقد جرت العادة أن يشترك عدد من أصحاب المزارع في بئر واحدة، ثم يخصص لكل واحد منهم يوم أو نصف يوم حسب مساحة أرضه الزراعية، ولا يحق له أن يتجاوز المدة المسموحة له إلا بموافقة شركائه[٣].

وهنا يجب أن أشير إلى أن هذه العادة بمسماها المحلي ليست مقتصرة على نجران وحدها، بل إنها منتشرة منذ القدم في المجتمعات الزراعية لجنوبي البلاد السعودية وربما تتجاوزها إلى مناطق زراعية أخرى في المملكة، تحددها وفرة المياه أو قلتها أو حسب عدد المزارعين الذين يتناوبون على مصدر الماء[٤]. ويبدو أن هذه العادة انحسرت كثيراً في ظل توفر تقنيات الزراعة الحديثة التي وفرت الكثير من الجهد، واختصرت المسافة للحصول على المياه بطرق حديثة ومتنوعة .

٣. الإبل : أوسمتها ومواردها .

لم تكن الإبل عند رجال يام مجرد ثروة حيوانية فقط، بل إنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع النجراني في كثير من شؤون حياته، فقد احتلت المكانة الأسمى بين الثروات المحلية، كما أصبحت مجرد رمز لتعلقه بالأرض والقبيلة، فمنذ الماضي البعيد وحتى تاريخنا المعاصر كان لكل قبيلة وسمها الموضوع على إبلها، والمتعارف عليه بين قبائل المناطق الأخرى[٥]، كما أصبحت لها مسميات محلية تدل على نوعها وجودة حليبها ولبنها مثل: (آل حنبية) ذات الأصل الجيد، و (آل عمرة) المشهورة بغزارة لبنها، و (آل سميراء) و(البلهاء) المنتشرة في المنطقة [٦] . ومما يدل على عظم مكانة الإبل في نجران أن يخصص لها موارد مائية مشهورة في المنطقة مثل بئر الخضراء، وبئر الحصينية، وبئر العريسة، وبئر سلوة، وبئر يدمة، وآبار حمي وغيرها [٧] .

٤. الفزعة :

من العادات الدائمة والمشهورة في المجتمع العربي أن يهب لمساعدة المنكوب أياً كانت مصيبته، إلا أن اختلاف اللهجات، وتباعد المسافات أدى لاختلاف المسميات اللفظية لهذا المفهوم، ويكاد المجتمع في جنوبي البلاد السعودية يتعارف على مفردة (الفزعة) كمسمى

---

(١) ابن مريح:٨٥ . علاقي : ١١٧ . الأنصاري: ٨٣ .
(٢) الغدير:٤٠ . آل منصور:٨٩ .
(٣) الغدير: ٤١ . اليامي : ٣٤ . آل منصور:٨٩ . الأنصاري : ٨٣ .
(٤) من المشاهدات الشخصية .
(٥) ابن مريح : ٩٠ . الغدير ٤٨ . آل منصور٩٣ .
(٦) وهناك أنواع أخرى ذكرتها بعض المراجع المحلية في نجران . للمزيد انظر ابن مريح :٩١ . والغدير:٤٨
(٧) ابن مريح : ٨٩ . الأنصاري :٨٦ .

لفظي لهذا الأمر، ولأن نجران بطبيعة مجتمعها القبلي الذي يحرص على التمسك بكل الشيم العربية الأصيلة، فإن (الفزعة) أصبحت عرفاً سائداً لكل زمان ومكان، فما أن يتعرض أحد لمصيبة تحل به إلا ويطلق سلاحه، أو يصيح بأعلى صوته مستغيثا، فيهب الناس فرادى وجماعات لإغاثة أخيهم ومساعدته بكل ما يستطيعون[١]. وفي هذه الأيام ومع انتشار وسائل التقنية والاتصالات الحديثة فإن سرعة الناس لتقديم المساعدة أصبحت أفضل من قبل[٢]

خامساً : عادات الطعام والشراب .

لعل من أهم ما عايشه الباحث أثناء اختلاطه بالمجتمع النجراني تعدد الأطعمة والمأكولات الشعبية التي اتخذت من البيئة المحلية مصدراً هاماً لها، وكذلك الأواني التي تستعمل في تحضير هذه الوجبات، والتي تعتمد على ما يتم إنتاجه من الحرف المحلية، ولم يمنع تطور الحياة وظهور أواني منزلية جديدة تواكب متطلبات العصر من احتفاظ الناس بهذا التراث الشعبي العريق، وهو ما شاهدته شخصياً في الكثير من المناسبات العامة في المنطقة[٣].

١ـ أواني الطعام والشراب :

للطعام في هذه المنطقة عدد من الأواني المنتشرة والمشهورة التي نذكر أهمها :

أـ المداهن : ومفردها (مدهن) التي تصنع من الصخور الصلبة ـ الجرانيت[٤]، وشكلها دائري في الغالب تتميز بالقدرة على مقاومة درجات الحرارة العالية أو السقوط المتكرر[٥]، وهي متعددة الأحجام والأشكال فمنها الصغير، ومنها المتوسط الحجم، ومنها ما يكفي لتحضير ذبيحة من الخراف والماعز[٦] وعادة ما تستعمل لتحضير اللحم المغطى بالخبز الرقيق (الرقش) والمبلل بالمرق، أو عصيدة البر المغطاة بالسمن[٧] .

ب ـ المطرح: إناء دائري الشكل، مصنوع من خوص النخيل يستعمل لتحضير الخبز والتمر[٨].

ج ـ القدح : ويصنع عادة من الخشب ـ وخاصة السدر أو الأثل[٩]، بيضاوي الشكل قاعدته عريضة، وله فوهة أقل اتساعاً من القاعدة، كما أن له يداً " عروة " جانبية مصنوعة من الجلد[١٠].

---

(١) ابن مريح : ٩٠ . علاقي :١٢٧ .

(٢) علاقي : ١٢٧ .

(٣) من المشاهدات الشخصية .

(٤) الماحي: ١١٣ . ابن مريح:١٠٣ .

(٥) المرجعين نفسيهما .

(٦) المشاهدات الشخصية .

(٧) الدليل التجاري الصناعي لمنطقة نجران، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) ، من إصدارات الغرفة التجارية الصناعية بنجران، ٢٨ .

(٨) ابن مريح : ٩٩ . وانظر محمد هادي السلوم وآخرون . نجران، دراسة تاريخية حضارية مختصرة للبناء والطعام واللباس خلال ق١٤هـ (بحث مقدم لنيل درجة البكالوريوس، جامعة الملك خالد، (١٤٢١/٢٠هـ/١٩٩٩ـ٢٠٠٠م) ٧٧ . المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية . قسم البحوث والدراسات، رقم (٢٧٤) .

(٩) ابن مريح : ١٠٣ . الغدير:٨٣ . السلوم : ٧٧ . الدليل التجاري : ٢٨ .

(١٠) المراجع نفسها .

د- البرم: ومفردها (برمة) وهي إناء مكور الشكل له فتحة صغيرة من الأعلى يصنع من الفخار، واستخداماته متعددة، منها طبخ اللحم، وحفظ السمن والزبد[١].

هـ- التنور: وهو من أشهر الأواني المنزلية المشهورة في جنوب الجزيرة العربية، إذ نجده في العادة يصنع من الفخار القوي، وهو مخصص في الغالب لعمل الخبز بعد أن يحمى من الداخل بالحطب والنار[٢].

و- الزير: ويصنع من الفخار الصلب[٣]، ويستخدم لتبريد الماء[٤].

ز- المهجان: سفرة طعام مصنوعة من سعف النخيل[٥].

ح- الرحى: مشهور جداً في معظم أنحاء الجزيرة العربية، ولا تزال متواجدة في منطقة نجران، وإن كانت بشكل محدود، وهي طبقتان دائرتان من الحجر توضعان بعضهما فوق بعض وفي وسطها فتحة تكفي لإدخال حجرة طويلة لتحريكها، وتستخدم لطحن الحبوب[٦].

ط- الغطايا: قطع دائرية مزخرفة ومصنوعة من الخوص تستخدم لتغطية الأواني الحجرية[٧].

٢- أهم الأكلات الشعبية:

لعل من أبرز ما يلاحظه المرء في هذه المنطقة احتفاظها بالكثير من موروثها الشعبي في عادات الطعام رغم طغيان مظاهر الحياة العصرية، وما فرضته من أطعمة وأشربة جديدة، وعادة ما يشترك في تكوين هذه الأطعمة ما ينتج محلياً من أصناف الحبوب الزراعية (القمح) في الغالب، والذرة والشعير، إضافة إلى الإنتاج الحيواني المحلي السمن واللبن واللحوم[٨].

ومن أبرز الأكلات المشهورة في نجران:

أ- الرقش: وهي من أشهر الأكلات الشعبية التي لازالت موجودة في المنطقة إلى يومنا الحالي، وتتكون من طبقات الخبز الرقيق المشبع بمرق اللحم، ثم يوضع اللحم

(١) ابن مريح: ١٠٣. الماحي: ١١٣. الغدير: ٨٤. لسلوم: ٧٧. الدليل التجاري ٢٨.

(٢) المراجع نفسها.

(٣) المراجع نفسها.

(٤) الماحي: ١١٤. ابن مريح: ١٠٣. الغدير: ٨٦. لسلوم: ٧٨.

(٥) ابن مريح: ٩٩. الغدير: ٨٦. لسلوم: ٧٨. الدليل التجاري: ٢٨.

(٦) لسلوم: ٧٨. ابن مريح: ٩٩. الدليل التجاري: ٢٨.

(٧) الأواني المنزلية في نجران كثيرة ومتنوعة ومعظمها مستمد من تراث المنطقة العريق وصناعاته الشعبية الضاربة في القدم، والمنتشرة في الأسواق الشعبية بالمنطقة ومما لم نذكره الصاع، والكوز، والمكنسة، والجمنة، والنجر، والهون (المهراس) والمشراب وغيرها الكثير. للمزيد الماحي: ١٢٥. ابن مريح: ١٠٣. الغدير: ٨٦. لسلوم: ٧٨. وفي ذلك تفاصيل من لقاء الباحث مع الشيخ حسين بن هتيلة في (١١/١٠/١٤٣٠هـ)، ومع الأستاذ سالم بن حنظل في (٢٣/١١/١٤٣٠هـ)، ومن المشاهدات الشخصية.

(٨) من المشاهدات الشخصية.

المطبوخ معها(١) ويعتبر المدهن أفضل إناء تحضر فيه هذه الوجبة (٢) .

ب- الوفد : ويسمى " الرفد " أيضاً ويعمل من خبز البر الذي يعجن على شكل كروي، ثم يجوف بفتحه من الأعلى ويوضع فيها المرق أو اللبن ويقدم في المطرح أو المدهن (٣)

ج- البر والسمن : وجبة إفطار في الغالب، تعمل أيضاً من عجينة خبز القمح السميك التي تكور وتوضع في إناء من الحجر " المدهن " ثم تجوف من الأعلى ويصب فيها السمن، وربما العسل والرب أيضاً (٤) .

د- الحريكة : عجينة البر توضع في التنور لتستوي، ثم تخرج وتقطع عدة قطع، وتوضع في المدهن ويسكب عليها المرق، ثم تعاد إلى النار حتى تنضج وتصبح صالحة للأكل(٥)

هـ- العصيدة : وجبة منتشرة في المناطق الجنوبية عموماً - ومنها نجران - وتتكون من طحين الذرة الذي يوضع في قدر من الماء، ثم يغلى، ويحرك بواسطة قطعة خشبية تسمى " المسواط أو المحراك " حتى تستوي وتقدم مع السمن أو المرق أو اللبن (٦) .

و- المرضوفة : اشتهرت بشكل خاص في محافظات ثار ويدمة وحبونا، وهي قطعة من الحجر الصلب تحمى بنار عالية، ثم تقلب في الطحين وتوضع في زبدة السمن حتى تنضج(٧)، وتسكب بعد ذلك على عجينة خبز البر المستوي(٨) .

ز- الحميسة : وطريقتها أن يقطع اللحم مع العظم قطعاً صغيرة، ثم يوضع مع شحم الذبيحة في إناء ويطبخ حتى تستوي وجبة دسمة، ويمكن أن تبرد وتخزن وتكون صالحة للأكل لمدة سنة كاملة(٩) .

ح- الرب : هو دبس التمر، أي التمر الطري الذي لم يجف بعد، حيثٍ يوضع في قدر من الحديد، ويصب عليه قليل من الماء ويغلى على نار هادئة حتى يذوب تماماً، ثم يوضع في

---

(١) ابن مريح : ١١٠ . علاقي:١٣٧ . السعيد :٩١ . الماحي:١٢٥ . آل فطيح:٣١ . اليامي: ٢٩. وانظر أيضاً : مجلة ترحال، عدد ٦، ربيع الأول ١٤٢٩هـ، مارس ٢٠٠٨م، ٦٢. الدليل التجاري :٢٨ .

(٢) السعيد : ٩٠ . والمشاهدات الشخصية .

(٣) الماحي:١٢٥ . السعيد : ٩١ . آل فطيح:٣١ . مجلة ترحال :٦٢ . الدليل التجاري:٢٨ .

(٤) ابن مريح : ١٠٩ . علاقي:١٣٦ . الماحي:١٢٥ . السعيد:٩١ . مجلة ترحال:٦٢ . الدليل التجاري:٢٨ . المشاهدات الشخصية .

(٥) السعيد : ٩٠ .

(٦) الماحي : ١٢٥ . علاقي: ١٣٦ . السعيد:٩١ . لسلوم:٧١ . آل فطيح:٣٣ . ولقاء مع الأستاذ سالم بن حنظل . والمشاهدات الشخصية .

(٧) بتصرف من بحث السعيد : ٩٠ .

(٨) الماحي: ١٢٥ . ابن مريح:١٠٩ . علاقي:١٣٧ . السعيد:٩١ . لسلوم:٧١. آل فطيح:٣٣. ولقاء مع الأستاذ سالم بن حنظل في(١٤٣٠/١١/٢٣هـ) . والمشاهدات الشخصية .

(٩) ابن مريح :١١٠ . علاقي:١٣٧ . لسلوم:٧١ . آل فطيح:٣١ . اليامي : ٢٩ .

الأكياس (الخياش) ويعصر حتى يخرج الماء السائل منه فيخزن في قرب من الجلد العكة[١]، وهو منتشر في مناطق جنوبية أخرى غير نجران مثل بلاد عسير فيسمونه (الرباب) [٢].

ط. الرجيز: وهو التمر يجمع في أكياس من الجلد تسمى (قرب أوغروب) ثم يحكم جيداً حتى لا يدخل إليه الهواء ليفسد، ويترك في الشمس حتى يجف ويصبح صالحاً للأكل[٣].

٣. المشروبات الشعبية :

لا تختلف المشروبات الشعبية في نجران عن مثيلاتها من المناطق الأخرى في المملكة، وبخاصة المنطقة المجاورة لها. فقد عرف الناس في نجران ومنذ زمن قديم عددا من الأشربة التي تعتمد على الإنتاج الزراعي أو الحيواني التي أصبحت جزءا من تقاليدهم المحلية العريقة.

وتأتي القهوة العربية الأصيلة في المقدمة على ما سواها من الأشياء الأساسية المفروض تواجدها في المطبخ، كما أنها أول شيء يقدمه الرجل إلى ضيفه، وهي رمز الكرم في الجزيرة العربية قاطبة، ومظهر للكرم النجراني [٤].

وقد تعود المجتمع النجراني على أن تقلب القهوة في المحماس وتوضع على النار، وتقلب حتى تستوي، ثم تدق وتوضع في براد ممتلئ بالماء وتغلى فيه مع مواد أخرى (الحوار والزر أو الهيل) ثم تصب في الدلة وتصبح جاهزة للشراب[٥].

ومن المشروبات الشعبية التي عرفها أهل نجران مشروباً آخر يستخرج من قشر البن، ويسمونه باللهجة المحلية (القشر) [٦].

أما الأشربة المستخرجة من الإنتاج الحيواني فنذكر منها حليب الإبل، وهو الأكثر تداولاً لكثرة الإبل في المنطقة، والناس تحب أيضا تناول حليب ولبن الماعز أو الضأن [٧]. وهناك مشروب محلي آخر يخلط فيه مرق اللحم مع لبن الماعز أو الضأن ويسمونه (العبيلة)، والمنتشر في مناطق عسير المجاورة أيضا[٨]. ومن مشاهداتي المتعددة حب كبار السن لمشروب آخر لم تشر إليه المصادر المتوفرة ألا وهو قهوة الشعير التي يعتقدون أن لها فوائد صحية متعددة [٩].

---

(١) ابن مريح:١١١ . علاقي:١٣٨ . السعيد:٩١ . لسلوم:٧١ . آل فطيح:٣٣ . اليامي٢٩ . ولقاء مع الأستاذ سالم بن حنظل في (١٤٣٠/١١/٢٣هـ). والمشاهدات الشخصية .

(٢) السعيد : ٩٢ . لسلوم ٤: .اليامي: ٣٠ .

(٣) من الإنصاف القول أن الأكلات الشعبية في هذه المنطقة العريقة بتراثها كثيرة ومتعددة ولعلي اكتفيت منها بالأشهر والأكثر انتشاراً بين الناس، أو ما شاهدته في المنطقة ولعلي أذكر هنا من الوجبات الشعبية التي لم يرد ذكرها مثل: القعنون، والقلية، والأقط، والربيكة، والطبيخة، والفتة، والحميصة وغيرها . . انظر: الماحي :١٢٤ . ابن مريح:١٠٩ . علاقي:١٣٦ . السعيد:٩١ . لسلوم:٧١. آل فطيح:٣٣ . اليامي :٢٩ .

(٤) مصاري :٤٩ .اليامي : ٣٠ .

(٥) لسلوم : ٧٥ . اليامي : ٣٠ .

(٦) المراجع نفسها .

(٧) المراجع نفسها .

(٨) المراجع نفسها .

(٩) مشاهدات شخصية .

سادساً : الألوان والرقصات الشعبية

بلاد نجران غنية بالألوان الشعبية التي لا تفارق المناسبات الاجتماعية في المنطقة، بل إنها بلا مبالغة أصبحت حلة جميلة تزين الاحتفالات، ولعلنا في هذه الدراسة نشير إلى الأشهر والأكثر ممارسة من هذه الفنون الشعبية .

١ـ الزامل : ويأتي في مقدمة الألوان الشعبية في المنطقة النجرانية، وتصفه المصادر المحلية بالموكب الشعبي يجمع المئات وربما أكثر فيصطف فيه الرجال متماسكي الأيدي في صف واحد مستقيم حيث يتقدمون فيه ببطء نحو مضيفهم مرددين بيتين أو ثلاثة تحكي واقع المناسبة التي حضروا من أجلها [١].

وللزامل ألحان متعددة ومتنوعة قوامها أبيات من الشعر الشعبي المعبر عن أحداث المناسبة، بل تجد أن ممارسة فن الزامل لا تقتصر على حفلات الأعراس أو الختان وغيرها، بل إنها تمتد إلى مناسبات اجتماعية أخرى كالصلح والمنصد ونحوها[٢].

وعند الانتهاء من وجبة العشاء . وبخاصة في حفلات الزواج يقوم المضيفون بزامل ترحيبي بالضيوف ويقدم خلاله عزيمة أخرى للضيوف [٣].

٢ـ الرزفة : بعد الانتهاء من أحداث مناسبة ما، فإن الحاضرين ـ من ضيوف ومضيفين ـ عادة ما يصطفون لأداء إحدى الرقصات الشعبية المحلية ومنها الرزفة، وهي الأكثر شيوعاً كونها تميل إلى البساطة ولا تعتمد على الطبول أو الإيقاعات، وإنما يصطف المشاركون في صفين حيث يضع كل شخص يديه على كتفي مجاوريه [٤].

ويبدأ الصف الأول في ترديد بيت شعري حسب اللحن المتفق عليه، ثم يرد عليه الصف الثاني ببيت آخر، وفي الوسط يقف شخص أو شخصين يحملان الخناجر أو العصا، ويسمى هذا الشخص باللهجة المحلية بـ (المسوعب أو الرازف) وهو المسؤول عن ضبط إيقاع الرقصة[٥].

٣ـ لون الطبل (المرافع) وهو من الألوان المعروفة أيضاً حيث تتداخل فيه كل الفنون الصوتية والحركية[٦]. إذ يتقابل صفان من الراقصين وبينهما صف ثالث من عازفي الطبول والدفوف، إضافة إلى راقصين أو أكثر يدوران بخناجرهما دور المايسترو، وقد تيسر لي أن أشاهد تفاصيل جميلة لهذا اللون الشعبي في إحدى معارض التسوق التي أقيمت في متنزه الملك فهد بنجران في عام (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م) [٧].

---

(١) الماحي:١٣٢ . ابن مريح:١١١ . علاقي :١٣٨ . السعيد :١٠٠ . الغدير:٦٨ . اليامي:٣٦ .

(٢) المراجع السابقة . والمشاهدات الشخصية .

(٣) ابن مريح:١١٣ . الغدير:٦٩ .

(٤) الماحي:١٣٢ . ابن مريح :١١١ . علاقي:١٣٨ . السعيد :١٠٠ . الغدير:٦٨. اليامي: ٣٦ .

(٥) المراجع السابقة . والمشاهدات الشخصية .

(٦) الماحي : ١٣٦ . ابن مريح : ١١٤ . علاقي:١٣٩ . والمشاهدات الشخصية .

(٧) المشاهدات الشخصية .

٤ـ المثلوثة : وهي لون شعبي منتشر في المحافظات الشمالية لنجران مثل بدر وحبونا وثار، وتشبه إلى حد كبير لون الرزفة، لكن الفارق هنا أن المشاركين في لون المثلوثة يقفون على شكل دائرة مغلقة متشابكي الأيدي، ومرددين عدداً من الأبيات الشعرية، وفي وسطهم يقف (المزيف) لضبط إيقاع المشاركين في هذا اللون [(١)].

والألوان الشعبية في منطقة نجران كثيرة ومتنوعة، وحتى أكون منصفاً فإنه لم يتيسر لي مشاهدتها كاملة على الطبيعة. فقد انحصرت مشاهداتي على الألوان آنفة الذكر في العديد من المناسبات التي حضرتها في المنطقة. وقد ذكر لي أحد كبار السن في المنطقة أن عدداً من المحافظات التابعة لنجران اختصت برقصات شعبية عرفت بها دون غيرها مما جعل المنطقة غنية بألوان أخرى كثيرة [(٢)].

سابعاً : الأزياء والألبسة المحلية :

كما استمد الإنسان النجراني طعامه وشرابه وتقاليده من تراثه، وكذلك في ملبسه[(٣)]، ففي الماضي كان الرجل يلبس نوعاً من الثياب المشهورة والمعروفة في اللهجة المحلية (بالمذيل)[(٤)]. أو المنديل [(٥)]. وفي مناطق أخرى (مذلوق أو بو ذواليق) [(٦)]، وهو ثوب مصنوع من القماش الأبيض ذو أكمام وأيدي واسعة [(٧)]. وفي الوقت الحالي صار لبس الثوب العادي، والشماغ أو الغترة والعقال هو السائد بين الناس [(٨)]. لكن أبناء المجتمع هنا حريصون على التمسك بكثير من عاداتهم في اللباس فتجد البعض يلف الغترة على رأسه كالعمامة، ويتزين بلبس الخناجر النجرانية المشهورة، أو بحزام (أو مسبت) ملئ بالرصاص [(٩)].

وما ينطبق على لباس الرجال ينطبق على الزي النسائي فقديماً كان النساء يلبسن أنواعاً متعددة من الثياب فمنها الثوب (المكمم) أو (المندب) [(١٠)]. وهو ثوب أسود واسع يصنع من قماش يسمى (الطاقة) [(١١)]. وكذلك المزندة، وهي فستان مزخرف مصنوع من الأقمشة الملونة، وأكمامه ضيقة وهو المفضل دائماً عند المرأة كونه سهل الاستخدام وأكثر أناقة وجمالاً من الثوب المكمم [(١٢)].

---

(١) اليامي : ٣٦ .
(٢) لقاء مع الشيخ حسين بن معدي في (١١/١٠/١٤٣٠هـ) .
(٣) الماحي : ٩١ .
(٤) وهو لباس معروف أيضاً في بوادي عسير . انظر : ابن جريس، عسير، ٦٧ . السعيد : ٧٢ .
(٥) لسلوم : ٨٥ .
(٦) من المشاهدات الشخصية .
(٧) السعيد : ٧٢. لسلوم : ٨٤ .
(٨) اليامي :٢٤ . المشاهدات الشخصية.
(٩) لسلوم : ٨٥ . اليامي : ٢٤ .
(١٠) الماحي:١٠٠ . السعيد :٧٢. لسلوم:٨٦ . آل منصور:١٢٦ .
(١١) المراجع نفسها .
(١٢) المراجع نفسها .

أما لباس الرأس فإن المرأة النجرانية حريصة دائماً على التمسك بخصائص الحجاب التي أمر بها الإسلام، ومن أشهر ما استخدمته في هذا الخصوص قطعة من القماش الأسود لغطاء الرأس تسمى بـ(الخرقة)[١] تلبس من فوقها قطعة أخرى أكثر اتساعاً تعرف بـ (القطابة)[٢]. وكذلك نوع آخر مصنوع من الخيوط الصوفية تسمى (الخيط) لا تلبسه إلا المرأة المتزوجة أو الكبيرة في السن [٣].

وفي هذا الخصوص لا نغفل الحديث عن اهتمام المرأة النجرانية بأدوات الحلي والزينة وغالبها مصنوع من الذهب والفضة التي لا يزال بعضها موجود في الأسواق الشعبية، أو في أسواق الذهب والزينة ولا يزال مستخدماً كالخروص [٤]، والحروز [٥]، والبانجة [٦]، والحلقة [٧]، والمرتعشة [٨]، والمرادع [٩]، والحزام [١٠]، وغيرها .

ثامناً : العمارة .

على الرغم من غلبة الطابع العصري على مظاهر العمران في المنطقة، إلا أن شواهد الماضي العريق بما أبقته لنا من صروح عمرانية لا تزال تقاوم عوادي الزمن تؤكد تميز المنطقة وأهلها في هذا المجال الحضاري العريق، ولعل الشيء الثابت من هذه البقايا الأثرية اعتماد الإنسان النجراني على ما وفرته له البيئة المحلية من مواد بناء كالطين والحجر والخشب والقش [١١]. وهم في طريقتهم هذه لا يختلفون عن مناطق حضرية أخرى لها نصيبها من التراث العمراني العريق مثل مناطق عسير والباحة، غير أنهم تميزوا في اختيار موقع البناء الذي غالباً ما يكون وسط المزارع أو النخيل [١٢].

وتبدأ عملية البناء بعمل الأساس فيحفر ما يتروح بين المتر والمترين، ثم يستخدم فيه الحجر والطين الممزوج بالماء والتبن (اللبن أو الخلب في اللهجة المحلية)[١٣]، وبعد ذلك يستكمل بناء المنزل فيبنى "المدماك" الأول من اللبن، ثم يترك ليجف، وبعد ذلك

(١) الماحي :١٠٢ . السعيد : ٧٣ . لسلوم ٨٧ . اليامي :٢٣ .

(٢) المراجع نفسها .

(٣) المراجع نفسها .

(٤) يقصد بها الأقراط، الماحي، ٩٣ . ابن مريح، ١٠٥ .

(٥) حلي تلبس في الرقبة . المرجعان نفسيهما .

(٦) تلبس في اليد . المرجعان نفسيهما .

(٧) توضع على الرأس . المرجعان نفسيهما .

(٨) تلبس في العنق . لسلوم : ٨٩ .

(٩) الماحي : ٩٣، وابن مريح، ١٠٥، لسلوم، ٨٩ .

(١٠) الحزام : مصنوع في الماضي من الفضة، وفي الوقت الحاضر من الذهب ويلف حول الخصر . الماحي، ٩٩، ابن مريح، ١٠٥، السعيد، ٧٥ .

(١١) الماحي : نجران، ٧٧ . ابن مريح : ٤٥، السعيد، ٦٧، لسلوم، ٤٥ .

(١٢) من المشاهدات الشخصية .

(١٣) لسلوم : ٣٩ .

يستمر عمال البناء في استكمال البناء " المداميك الثاني، والثالث، والرابع، وهكذا " يوماً وراء يوم حتى يتم الانتهاء من بناء عدة طوابق حسب رغبة صاحب المنزل [١]، ويقوم العمال أثناء ذلك بإقامة أعمدة كل طابق من خشب النخيل أو الأثل، إضافة إلى عمليات الزخرفة وتخطيط الأبواب والشبابيك والنوافذ وسقف كل طابق بالقش، أو جريد النخل [٢].

وبعد الانتهاء من بناء الطوابق يتم تلييس جدران البيت باللبن، ثم تدهن بالجير الأبيض، يسمونه القضاض في اللهجة المحلية " ليصبح جاهزا للسكن " [٣]. والملاحظ أن هذه البيوت كلما زاد ارتفاعها تضيق جوانبها، وتأخذ شكلا مستطيلا إلى الأعلى في نموذج فريد يؤكد دقة الفن المعماري لهذه المساكن وقوة تحملها لفترات طويلة قد تصل إلى ثلاث مئة عام [٤].

تاسعاً: اللهجات المحلية: مفارقات، ومعاني.

تميزت مناطق المملكة بتعدد اللهجات، واختلافها في معانيها ومفرداتها. ولهجة أهل نجران مثل غيرها من مناطق المملكة تتشارك في مناطق مجاورة في تشابه المفردات والمعاني، ولكنها تتميز بخصوصيتها المحلية التي تميزها عمن جاورها، مثل: السرعة في الكلام وتداخل بعض الألفاظ [٥]. فتجد أحدهم يقول: " أقديهنت " أي: أقديت أنت " ومعناها بالفصحى أحسنت " وقد يقول أحدهم: " سلمهنت " أي: سلمت أنت، وينادي آخر: " ماريهنت " أي: ما رأيته أنت؟ " وآخر يناجي: " سالك بالله " أي: أسألك بالله " [٦].

وعلى هذا المنوال تغلب اللكنة المحلية على مفردات كثيرة متداولة، ولكن ذلك كله لا يعني غموض اللهجة النجرانية عن القادمين إليها، ذلك أنها ذات عمق لغوي أصيل يجعل فهمها والتعود عليها سهلا مع الوقت فمنهم من يسمى الصبي الصغير " غرير " ومنهم من يطلق على العواصف " العجاج " والطين المختلط بالماء " الخلب "، وسعف النخيل " الخوص " وقطيع الغنم " القراش " [٧].

ولعلي أضيف إلى ما سبق تميز اللهجة النجرانية بمفردات محلية لا تكاد تجدها في مناطق أخرى ولكن لها أصل لغوي، فمنها قولهم: " قمين " أي: ممكن " وقولهم: " أشلا "، أي: " أطيب أو أفضل "، وفلان " حرش " أي: خشن، و " مخنز " أي: " غير نظيف " و " باسل " أي: " بارد " [٨].

(١) من نماذج التكاتف الاجتماعي في المجتمع النجراني قديماً أن يقدم أهل القرية كل المساعدة والعون لصاحب البناء حتى يكتمل بناء منزله. ابن مريح: ٤٥. السعيد: ٦٨-٦٧. لسلوم: ٣٩-٤٠.

(٢) الماحي: نجران ٧٧. ابن مريح: ٤٥. السعيد: ٦٧. لسلوم: ٣٩.

(٣) المراجع نفسها.

(٤) الماحي: ٧٧.

(٥) الماحي: ٦٠. وقد قام أحد الباحثين بجمع عدد كبير من المفردات والألفاظ في اللهجة المحلية النجرانية. السعيد: ١٢٤-١٣٢.

(٦) المرجع نفسه، والمشاهدات الشخصية.

(٧) المرجع نفسه، والمشاهدات الشخصية.

(٨) السعيد: ١٢٧.

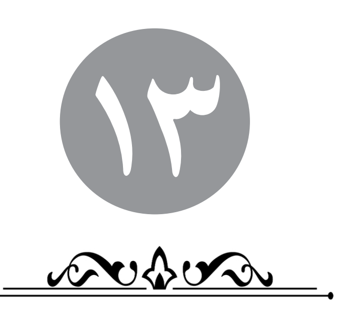
عاشراً : الخاتمة :

ما تم عرضه في السطور السابقة لا يعني اختزال كل أوجه الحياة الاجتماعية بنجران في بضع صفحات، ولكنها محاولة الإلمام بأهم وجوه تلك الحياة وارتباطها التاريخي بماضيها العريق .

وإذا كان لهذه الدراسة من نتائج فإن في مقدمتها إثبات قدرة الإنسان النجراني على التمسك بعاداته وتراثه العريق، والتكيف مع متغيرات الحياة الحديثة بما يضمن له الحفاظ على تلك التقاليد العريقة قدر الإمكان، ولعل من تلك النتائج التي لا يمكن إغفالها انحسار بعض القوانين العرفية في المجتمع النجراني، وربما اندثار بعضها، والتي نشأت أصلاً في ظل غياب سلطة مركزية تطبق سيادة القانون . وفي عصرنا الحاضر أصبحت الدولة بمؤسساتها الإدارية هي صاحبة القول الفصل في تنظيم حياة الناس اجتماعياً واقتصادياً وحضارياً [١] .

وللحق فإن الحياة الاجتماعية في منطقة نجران مجال رحب للباحثين في مجال الدراسات الاجتماعية أو التاريخية واللغوية، وهو مجال لا يزال بحاجة إلى دراسات أكاديمية متخصصة تعطيه حقه من البحث والنشر، ولا أجد في ذلك عائقاً في ظل توفر مادة علمية جيدة تخدم الباحثين في هذا المجال، والله من وراء القصد .

(١) والجوانب الحضارية وبخاصة الأوضاع الاجتماعية من المجالات الدراسية الخصبة، ونأمل أن نرى جامعة نجران تولي مثل هذه القضايا العلمية كبير اهتمام . كما نأمل من أصحاب التخصصات في هذه الجامعة الناشئة أن يخدموا البيئة النجرانية في شتى المجالات العلمية والثقافية . والله من وراء القصد.(ابن جريس) .



الدراسة الثالثة عشرة

صور من تاريخ نجران الحديث والمعاصر

بقلم : أ. شريف عبد القادر قاسم



الصفحة الثالثة عشرة: صور من تاريخ نجران الحديث والمعاصر، بقلم أ. شريف قاسم[١].

أولاً: مدخل:

هذه المشاركة وصلتنا من الأستاذ / شريف قاسم، سوري الجنسية، الذي قدم إلى نجران في أواخر القرن الهجري الماضي، ولازال يعيش في الديار النجرانية حتى الآن[٢]. وابن قاسم معلم قديم وأديب وشاعر، وله العديد من الكتب والبحوث المنشورة، كما شارك معنا بدراستين مختلفتين في كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران). الجزء الثالث**[٣]. وأرسلت له أيضاً خطاباً بتاريخ(١٢/٣/١٤٣٣هـ)[٤]، ورجوته أن يساهم معنا ببعض المادة العلمية عن تاريخ نجران الحديث، وقد تجاوب معنا فأرسل لنا هذه الصفحات التي تشير مادتها إلى العديد من الصور التاريخية الحضارية النجرانية في العصر الحديث والمعاصر[٥].

---

(١) للمزيد عن الأستاذ شريف قاسم، انظر ترجمته، غيثان بن جريس: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٣.٣٢هـ/٢٠١٠.٢٠١١م)، ج٣، ص٢٦٣. (ابن جريس).

(٢) قابلت الأستاذ شريف قاسم في بداية هذا العام (١٤٣٤ هـ) بمدينة نجران، وهو على قدر كبير من اللطف والأدب وحسن المعشر.

(٣) انظر الكتاب نفسه، ص٢٦٣.٢٩١ .

(٤) انظر صورة هذا الخطاب في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الثالث)، الملحق رقم (٢٠).

(٥) أرسل لنا الأستاذ ابن قاسم (٦٣) صفحة مطبوعة على ورق(A4) . وكان الجزء الأول الذي تم نشره تدور تفصيلاته حول محاور عديدة، أما باقي الصفحات فهو مركز على العمل الخير بمنطقة نجران. ونأمل من الأستاذ شريف أن يفرد لنا كتاباً مستقلاً عن هذا الجانب الأخير وبخاصة أنه يعمل فيه منذ سنوات عديدة.

ثانياً : صور من تاريخ نجران :

١. المناخ والأحوال الجغرافية :

أذكر في عام (١٤٠٠/١٩٨٠م) وما بعدها ولعدة سنوات متتاليات نزلت أمطار غزيرة على عموم منطقة نجران، حتى كنا نذهب لنشاهد مجرى المياه في وادي نجران وفي وادي حبونا، ومع وجود سد وادي نجران فقد طغت المياه على بعض البيوت والمزارع في تلك الأيام . وسد وادي نجران يعد من أكبر السدود المقامة في المملكة بطاقة تخزينية (٨٥) مليون متر مكعب، ومناخ نجران معتدل عامة فالحرارة ليست مرتفعة في الصيف كما نراها في مناطق أخرى، والبرد في الشتاء كذلك ليس شديداً، وتمتاز المنطقة بوفرة مياهها الجوفية، وذلك من المياه التي تتدفق عليها من جهة الغرب على أوديتها، ولاشك أن للمياه الأثر الكبير على حياة السكان. ويذكرني مناخ نجران بمناخ بلدتي دير الزور في المنطقة الشرقية من سوريا، وخصوصاً ليالي الصيف المقمرة، إلا أن الحرارة لدينا في الصيف تكون أكثر ارتفاعاً، وكذلك برد الشتاء، ومن الملاحظ قلة نزول الأمطار في السنوات الأخيرة، وزيادة في حرارة الأجواء بشكل عام [1] .

٢. الجوانب الاجتماعية والتعليمية والثقافية :

النهضة التعليمية والثقافية والأدبية في نجران: للحركة التعليمية المزيد من التشجيع المادي والمعنوي في المنطقة، ففي العام (١٤٣٢هـ/٢٠١١م) تلقى مدير عام التربية والتعليم الأستاذ/ ناصر بن سليمان المنيع برقية جوابية من خادم الحرمين الشريفين الملك/ عبد الله بن عبد العزيز رداً على الكتاب الذي أصدرته إدارة النشاط الطلابي والممثلة في قسم النشاط الثقافي والأدبي في الإدارة العامة (أحبك مليكي)، وقد جاء في البرقية : (تلقينا رسالتكم ومشفوعها كتيب يتضمن مشاعركم ومنسوبي التربية والتعليم بمنطقة نجران، ونشكركم على ذلك . داعين الله جل وعلا أن يمتع الجميع بموفور الصحة والسعادة إنه سميع مجيب[2] . والإشارة إلى الكتيب حراك ثقافي بين أبناء التربية والتعليم حيث ضم العديد من القصائد الشعرية والنصوص الأدبية الوطنية لبعض الطلاب ومشرفي النشاط والمعلمين، تجسد مشاعرهم وانطباعاتهم عن جهود خادم الحرمين الشريفين في دعم التنمية والاستقرار والبناء .

كما يتجلى هذا الاهتمام في متابعة سمو أمير المنطقة الأمير مشعل بن عبد الله في متابعاته للتقارير الصادرة عن الإدارة العامة للتربية والتعليم وغيرها من الدوائر

---

(١) منطقة نجران تحتاج إلى دراسات جغرافية متنوعة . وقد زرت نجران عدة مرات أولها في نهاية القرن الهجري الماضي، وآخرها أوائل عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٢م)، فوجدت مناخها فعلاً من أجمل مناطق المملكة من حيث لطف الجو واعتداله . (ابن جريس) .

(٢) تاريخ التعليم في نجران منذ منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) إلى وقتنا الحاضر موضوع جديد وجدير بالبحث والدراسة . نأمل أن نرى أحد الباحثين في جامعتي نجران أو الملك خالد فيخصه بكتاب أو دراسة علمية أكاديمية . (ابن جريس) .

الحكومية، وخصوصاً حول الجودة الشاملة، كشهادة الجودة العالمية لنظم الجودة (الأيزو) التي حصلت عليها ثانوية الملك فهد بنجران وقام مدير المدرسة الأستاذ راشد آل منجم بشرح هذين الموضوعين لسمو أمير المنطقة أثناء تسليمه لشهادة الجودة العالمية، وذلك من نتائج مشروع الملك عبد الله بن عبد العزيز لتطوير التعليم على مستوى المناطق الجنوبية، والمركز الرابع على مستوى المملكة وحصول الثانوية على وسامي شرف من الولايات المتحدة الأمريكية لمشروع (قلوب البيئى العالمي)، وفي هذا المجال تبرز مواهب الطلاب ومدى اهتمام المشرفين عليهم في هذه المجالات. وما تقوم به إدارة التربية والتعليم من أنشطة واحتفالات بشتى المناسبات الوطنية والاجتماعية، وما يتخللها من إلقاء للقصائد الشعرية والكلمات[1].

وامتد اهتمام المسؤولين إلى رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة بنجران، كالدمج التربوي لطلاب التربية الخاصة في مدارس التعليم العام، ومن هذا الاهتمام أيضاً إنشاء جمعية خيرية خاصة بهؤلاء، تمَّ تسليمها (جمعية الأمير مشعل لذوي الاحتياجات الخاصة بنجران (شمعة أمل)، وكذلك افتتاح قسم التربية الخاصة في جامعة نجران، ومركز خدمات التربية الخاصة الذي افتتحه سمو أمير المنطقة في مجمع الأحنف بن قيس. كما أقيم المهرجان الخامس في هذا العام لذوي الاحتياجات الخاصة تحت شعار (بكم نرتقي)، والذي استضافه نفس المجمع، وقد حضر المهرجان نفر من كلية التربية بجامعة نجران، وعدد من الأكاديميين وأولياء أمور الطلاب، وتم افتتاح المعرض الدائم للتربية الخاصة، وغرفة مصادر التعلم، وغرفة الملاحظة والتشخيص المعنية بالخدمات النفسية، إضافة إلى حفل خطابي بهذه المناسبة [2].

ولتنوع هذا الحراك التعليمي ليشمل المشروع الكشفي البيئي بالمنطقة، حيث كرَّم سمو وزير التربية والتعليم ـ رئيس جمعية الكشافة العربية السعودية ـ كشّافة منطقة نجران لتميزها على مستوى المملكة. كما فُعِّلت حملة (بيئتي جميلة) التي استمرت عشرة أسابيع، بمشاركة أكثر من (٧٠٠) سبع مئة كشاف.

ويلاحظ هنا تشوُّق الطلاب ومعلميهم وإدارتهم التعليمية إلى الرقي بالحركة التعليمية وأنشطتها ومساراتها، ولمدير التربية والتعليم كلمة في هذا الباب منها: إن هذا الزمن لا يقبل سوى التفوق في هذا العالم المتسارع الأحداث، وفي ظل الثورات التقنية الهائلة، ونتيجة لهذا التشوق تتابع تكريم الطلاب المتفوقين في مختلف المراحل التعليمية بالمنطقة. وللتأكيد على هذا التوجه فقد قام مدير عام التربية والتعليم بنجران بتكريم الطالب/ محمد سعيد آل سراح بمناسبة حصوله على مركز متقدم في أولمبياد الرياضات الدولي

---

(١) للمزيد عن تاريخ نجران قديماً وحديثاً، انظر: غيثان بن جريس، نجران: دراسة تاريخية حضارية (ق١ق٤هـ/ ق٧ـق١٠م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، الطبعة الثانية، الجزء الأول، ص١٥ وما بعدها، وللمؤلف نفسه. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء الثالث، ص١٨١ وما بعدها. (ابن جريس).

(٢) تاريخ التنمية في نجران موضوع يستحق البحث والدراسة، ونأمل من جامعة نجران أن تولي مثل هذا الجانب كبير اهتمام في كلياتها النظرية ومراكز بحوثها العلمية. (ابن جريس).

للعام (١٤٣٣-١٤٣٢هـ / ٢٠١١-٢٠١٢م) كما أن الإدارة العامة للتربية والتعليم بنجران نفذت العديد من البرامج والدورات التدريبية في تنمية مهارات الطلاب الحياتية، حيث قدم المدرب الأستاذ عبد الرحمن الغامدي دورة في الذكاءات المتعددة، وقدَّم المدرب الأستاذ يحيى الشهري دورة في القبعات الست في إدارة التفكير، وقدَّم المدرب الأستاذ صلاح الرشيدي دورة في فن الحوار، وقدَّم المدرب الأستاذ عبد الله الشهري دورة في فن التعامل.

هذا بالإضافة إلى العديد من الزيارات الميدانية التي تهدف كلها إلى دفع هذا الحراك التعليمي الثقافي إلى الأمام، فمكتبة أرامكو تنقلت بين مدارس المنطقة تعيد للذاكرة اهتمام المسلمين الأوائل بالكتب والمكتبات، وأتاحت الفرصة للطلاب باستعارة الكتب لقراءتها، وروضة أطفال الجمعية الخيرية للخدمات الاجتماعية بنجران قامت بزيارة إلى متحف الأخدود الأثري، وشاهد الأطفال المقتنيات الأثرية التاريخية، وتجولوا في أنحاء المتحف [١] .

ونتيجة لهذا الحراك التعليمي الثقافي بتنا نرى المدرسة النموذجية لتميزها، ونرى الاهتمام بالطلاب المتميزين، رغبة في ربط الفكرة بأسماء العظماء من علماء الأمة ومفكريها وجهابذتها في المجالات العلمية والاجتماعية والإنسانية على مر العصور، ونرى ما يدور بين رواد التربية والتعليم وبين الطلاب وأولياء أمورهم حول أداء المدارس الحكومية والأهلية الموجودة في المنطقة، وكذلك رصد الأموال لإقامة المشاريع، كمشروع المدينة الجامعية التي يكلف حوالي خمسة مليارات ريال .

وفي حين استقبل سمو أمير منطقة نجران في مكتبه بالإمارة معالي محافظ المؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني الدكتور/ علي بن ناصر الغفيص، وذلك من حرص مسؤولي المملكة على تأهيل شباب الوطن من خلال التخصصات التقنية والمهنية، فقد قام معالي محافظ المؤسسة العامة للتدريب بافتتاح اللقاء الرابع لرؤساء مجالس التدريب التقني والمهني بالمملكة، والذي انعقد في مجلس التدريب التقني والمهني بنجران بمقر قاعة الأمير مشعل بن عبد الله بالكلية التقنية، وتم التباحث على أمور عديدة، ومنها تفعيل دور الجودة وتطبيق معاييرها في أداء مهام العمل.

أما الجوانب الأدبية والثقافية في نجران، فإن الذي حضر هذا المشهد منذ خمسة وثلاثين عاماً تقريباً، ومازال يشهده حتى الآن يجد الفرق كبيراً، فما يسمى اليوم بالوعي الأدبي والثقافي، والسعي نحو توثيق التواصل في هذا المجال، وتشجيع المواهب الشابة، والتأكيد على إقامة الأمسيات بكل أنواعها، والمسابقات على اختلاف مجالاتها في الشعر والقصة، لم يكن موجوداً بهذا الزخم، ولم يحظ بمثل هذا الاهتمام، ولقد تصدَّت لهذا النشاط الأدبي والثقافي والمعرفي عدة جهات منها الإدارة العامة للتربية والتعليم، والغرفة التجارية والصناعية، والنادي الأدبي مؤخراً، وكذلك جامعة نجران بعد افتتاحها، إضافة

---

(١) نشكرك يا أستاذ شريف على هذا الرصد التاريخي الموثق والجميل . (ابن جريس) .

إلى بعض الجهات التي تشارك في المناسبات، وتغني هذا المجال بالجديد والمفيد[1].

فالإدارة العامة للتربية والتعليم وهي محضن أهل العلم والأدب والثقافة، رعت هذه الأنشطة من خلال وجود المعلمين في مختلف مراحل التعليم، ومن خلال وجود الإخوة المعلمين المتعاقدين، حيث كان فيهم الشاعر والقاص والكاتب والمسرحي، وكانت تقام في مدارس المنطقة العديد من المواهب بين طلاب المراحل التعليمية، وقد ذكرنا ذلك في كتاب: **القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء الثالث**، وفيه تأكيد على أنه في عام (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) كان عدد مدارس البنين والبنات للمراحل التعليمية الثلاث قليلاً ، وكان المعهد العلمي والمعهد المهني موجودين، ولم تكن يومئذٍ في نجران جامعة، أو كليات ومعاهد كالتي نشهدها الآن، ولا نعرف في منطقة نجران أديباً مرموقاً أو شاعراً (بالفصحى) أو كاتباً ....، كما لم تكن يومها من حركة ثقافية أو أدبية، وأذكر أن مجلة باسم (تجارة نجران) كانت تصدرها الغرفة التجارية الصناعية بنجران، وكانت تظهر أحياناً وتختفي أحياناً أخرى، ثم توارت نهائياً ، وظهرت أخيراً مرة واحدة عند زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز إلى منطقة نجران، وتتصدر صفحتها الأولى صورة للملك مع رئيس الغرفة التجارة الصناعية بنجران الشيخ / علي بن حمد الحمرور .

وأذكر أننا شاركنا في اجتماع بإدارة التربية والتعليم حين كان الأستاذ عبد العزيز بن أحمد العياضي مديراً للتعليم بشأن إمكانية إنشاء نادٍ أدبي أسوة بمناطق المملكة الأخرى، وقد بلغ عدد المجتمعين ما يقرب من الستين معلماً ، وأكثرهم من الإخوة المتعاقدين، وطال النقاش، وطرحت الآراء، وخرج المجتمعون بضرورة وأهمية إنشاء النادي الأدبي في نجران، وتمَّ رفع التقرير بذلك إلى رعاية الشباب في الرياض، وكان المسؤول عنها صاحب السمو الملكي الأمير/ فيصل بن فهد ـ يرحمه الله ـ وبعد فترة جاء الجواب بعدم الموافقة على إنشاء النادي لعدم وجود الكفاءة الأدبية والثقافية اللازمة من أهل المنطقة، وتم الاكتفاء بإنشاء بيت الشباب ونادي الفنون الشعبية، وهذا يؤكد خلو الساحة الأدبية والثقافية من روادها في تلك الأيام، وعدم وجودها أصلاً بالمعنى المأمول، ولعل أبرز ما كان موجوداً هو ما يقوم به معلمو مدارس المراحل التعليمية للبنين من مسابقات ثقافية بين طلاب المدارس، لا تخلو من روح المنافسة، وكذلك ما تقوم به المدارس من احتفالات مدرسية تشمل حلبات الإلقاء والتعبير، والمسرحيات الهادفة، والأناشيد الاجتماعية والوطنية، والكلمات المعبرة والفقرات الأخرى التي لا تخلو من قيم ثقافية وأدبية، ظهرت من خلالها مواهب الطلاب وقدراتهم الإبداعية، وأعتقد أن لتلك الأنشطة المدرسية أثر لا بأس به في إذكاء روح السعي لإيجاد حركة أدبية ثقافية[2].

وأما عدد المعلمين من أبناء المنطقة فلم يكن يتجاوز العشرين معلماً في تلك الأيام،

---

(١) لازالت منطقة نجران تحتاج إلى المزيد من الجهود الثقافية والأدبية، والعلمية والفكرية . ونأمل أن تقوم جامعة نجران بذلك، وطبيعة نجران خصبة لمن أراد أن يبدع ويقدم شيئاً لأهله وبلاده . (ابن جريس).

(٢) للمزيد انظر: ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، جـ٣، ص ٢٧٨ـ٢٩١ .(ابن جريس).

وهنــاك نسـبة من المعلمين الوطنيين القادمين من مناطق أخـرى لا تتجاوز (١٠٪)، ولم يكن هناك من رصـيد أدبي أو ثقافي مشـاهَد، أو يضـاهي ما هو موجود في بقية مناطق المملكة . وعلى امتداد أكثر من ثلاثين سنة عشتها في نجران من عامٍ (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) حتى اليوم، يلاحـظ المتتبع للحركة الأدبية والثقافية في نجران تقدما وسـعيا في هذا المضـمار، فالكثير من المعلمين أصـبحوا من أبناء المنطقةٍ، ونال بعضهم الشهادات الجامعية، إضافة إلى وجود مواهـب وطاقـات بين من كانوا طلابا وأصـبحواٍ اليـوم من المعلمـين، أو العاملين في المحيط الثقافي الأدبي . وأرى أن من أسباب التطور أيضا وجود موروث تاريخي من الأدب والثقافة.

وعلـى امتداد هٍذه السـنين الثلاثـين ازداد عدد مدارس البنين والبنـات، وافتُتحت المعاهـد المنوعة تبعاً للانفجـار المعرفي والتقنيات، فجاءت مقاهــي الإنترنت، وغيرها من مراكـز ثقافية وأدبية، كما ظهرت النشـرات والمطويات والمجلات المحلية التي تتسـابق في رصد الأحداث الوطنية والاجتماعية، كما ظهرت الإصدارات المدرسية، وأثرى هذا التدفق الأدبي الثقافي ما كان من احتفالات كبيرة بمناسـبات عدٍيدة كٍمرور مئة عام على تأسيس المملكـة، وكان الدعم المادي والمعنـوي من الحكومة دافعاً قٍوياً لمضـاعفة الجهود، وإنجاز الآمال في هذا المجال ثم افتتاح النادي الأدبي الذي كان حلماً لدى المهتمين بالآداب والثقافة من أهل المنطقة وغيرهم من محبي إثراء الحركة الأدبية، وكان دعم أٍمير مٍنطقة نجران صـاحب السـمو الملكي الأميرٍ مشـعل بن سـعود بن عبد العزيز دعماً كبيراً لهذا النادي، فقـد حضـر عدة مناسـبات أقيمت في النادي الأدبي، حيث أصـبح النـادي الآن نواة حية لبلورة القيم الأدبية والثقافية، كما أن رئيس النادي الأدبي الدكتور محمد بن عبد العزيز الناجم - مدير التربية والتعليم للبنات آنذاك - عمل بنشاط وحيوية حتى وقف النادي على قدميه، وقد احتضن الكثيرين من أصحاب الأقلام الواعدة، وبمقدم صاحب السمو الملكي الأمـير مشـعل بن عبد الله بن عبـد العزيز الذي مابرح يعمل منـذ أن تولى إمارة المنطقة لمتابعة نهضـتها الحضـارية، وقدَّم الدعم المادي والمعنوي للنادي الأدبي، فقد قدم للنادي نصـف مليون ريال، وشـجع إدارة النادي على الرقي بالأعمال الأدبية والثقافية بالمنطقة، فازداد اليوم تفاعل المهتمين بالأدب والثقافة، فنحن نرى بعض الإصدارات وبعضٍ الكتب، مؤكـدة وجـود البذور التـي وجدت البيئة المشـجعة لنموها حتى تصـبح أدواحـاً مزهرة، تؤتـي ثمارها، ولعل السـنوات القادمة تـرى المنطقة من يقدم صـورتها الأدبية الثقافية في المحافل المحلية والعالمية، وعلى أفضـل المسـتويات . وهنا يجب القول أنه لابد لمن يتصدرون الحركة الأدبية الثقافية في المنطقة من وضع الآليات للتطوير، وإيجاد معايير للتقويم لتهيئة الظروف والمناخ الأجدى لإغناء المنطلقات الأدبية والثقافية، والاستفادة من خبرات الإخوة في النوادي الأدبية الأخرى، إن إقامة الأمسيات الأدبية في (الشعر والقصة وغير ذلك ..) شـيء جميل وجيد، ومطلـوب ولكنه غير كاف، إذ لابد من إيقـاظ المواهبٍ والقدٍرات لدى أبناء المنطقة - لأن العنوان يحاكي أبناء المنطقة بالذات - وهذا يتطلب جهداً وصبراً ومتابعة، وهو ليس بالأمر العسير . وبموازاة ما ذكرناه في هذا الجانب يأتي جانب إتقان قواعد اللغة العربية من نحو وإملاء وبلاغة وبيان، وإذا كان اسم نجران يعني الخشبة التي يدور عليها

رتـاج الباب، فإن رتاج الحركة الأدبية والثقافية هو المخاض الذي يحاول بعض المهتمين أن يخرجوا به في إصدارات ذات معنى ومبنى يليق بمدينة الآثار والتاريخ والنهضة الحضارية الشـاملة . هذه الاستفاضـة عـن النادي الأدبي لابد منهـا ، فالنادي هو لسـان حال الأدب والثقافة في أي مكان، وعلى قدر عطائه وإنجازاته تأتي مكانة الأدب والثقافة [١].

وأعـود للتأكيد علـى عملية التأهيل لرواد الأدب والثقافة في المنطقة، وخصوصـاً بعد افتتـاح جامعة نجـران، والعديد من كليات التقنيـة والمعاهد العلمية والصـحية، وبعد أن تضـاعف عدد المدارس للبنين والبنات، وانفتاح الناس على ثورة المعلومات، وإقبالهم على وسـائل التقنيـات والمنتديات ،وعلى الشـبكة العنكبوتيـة، ووجود النـادي الأدبي، مع هذا العدد الكبير من المثقفين في الجامعة، إضـافة إلى رعاية الدولة ودعمها اللامحدود ، ففي ذلك تشـجيع وتحفيز لمن في أيديهم رتاج الحركة الأدبية والثقافية في المنطقة، لقد قرأت بعض الإصـدارات لبعض أبناء المنطقة، وأرى فيها بداية واعية وواعدة لو اسـتمرت تنمية القدرات، واسـتمر التفاعل الراشـد معها . ونسـتطيع التأكيد علـى أهمية تلك الحقبة في إشـاعة الوعي الثقافي بين الذين عاصـروها مـن أبناء المنطقة، وهم الذيـن نراهم اليوم يتصدرون المشهد الجديد ،ويسعون به للأفضل .

كما شـاهدنا ما يُقام في الغرفة التجارية الصـناعية بنجران مـن احتفالات للتعليم، من دورات ومحاضـرات ولقاءات للعديد من الجهات الحكوميـة والأهلية، وقد تكلمنا عن دور الغرفة من هذه الناحية في الكتاب السابق الذكر [٢]، ولأهمية ما قدمته الغرفة في هذا المجال قلتُ فيها القصـيدة الشـعرية التالية التي نشـرت في الموقـع الإلكتروني نيوز حيث جاء فيه : (الغرفة التجارية الصـناعية بنجران موئل حضاري) قصيدة جديدة للشاعر شريف قاسم . ومانع آل قريشة نشرها في نجران نيوز يوم (٢٠١٢/٢/٢٨م) .

قصيدة جديدة للشاعر الأستاذ شريف قاسم يمتدح فيها القائمين على الغرفة التجارية بمنطقـة نجران، والـدور الذي تلعبه الغرفة في النهوض بتنميـة وتطوير المنطقة من خلال ما تقدمه من خدمات لرجال الأعمال الاقتصاديين . الجدير بالذكر أن هذه القصيدة هي الثانية للشـاعر ابن قاسـم على صـفحات نجران نيوز الإلكترونية علماً أنها لم تنشر من قبل وخص بها الصـحيفة . وكان الشـاعر الكبير ضيفاً على النادي الأدبي قبل أيام وألقى خلال الأمسية التي أقامها قصـيدة رائعة بعنوان "هي نجران" نالت استحسـان الجميع . وهاهو يعود مرة أخرى من خلال قصيدته: فيقول، " الغرفة التجارية الصناعية بنجران موئل حضاري "

تـتـراءى بـحـسـنـهـا الـفـتـان ... بجميل الـرؤى وحُـلـو الأمـاني
وخـطـاهـا عـلـى الـتـطـور هلتْ ... بـالـرقـي المـحـمـود للَإنـسـان
غـرفـة هـاهـنـا تجـاريـة لكن ... مـداهـا قـد فـاق مـعـنـى المكان
فـالمـعـالي فـيـمـا يُـثـير المعاني ... لا بـطـول الـبـنـاءِ والجـدرانِ

---

(١) منطقة نجران لازالت بحاجة إلى بحوث ودراسـات تاريخية وحضـارية وأثرية، ونأمل أن تقوم جامعة نجران بهذه المسؤوليات .(ابن جريس).

(٢) أي كتاب : القول المكتوب، جـ٣ . (ابن جريس) .

حملت عبء نهضة لبنيها … فحيّاها امتدادها النجراني
بنظام يُغني المآثر تيها … وجمالاً برونق فينان
وعطاء ثماره يانعات … كالثمار الحسان في البستان
وبدعم موثّق ليس يخفى … لامتداد الأفكار في العنوان
وتوالي الدورات في قيم السعي … بأسمى البحوث للفتيان
وكريم الإسهام في التقنيات اليومَ … مازالت في يد الفرسان
واحتفالاتهاَ العديدةَ تحكي … شفتاها عن رفعة الأوطان
وعلى المسرح البهي أقيمت … أمسيات ندية الأردان
إذ رعاها أمير نجران حباً … بالرقي المنشود للبلدان
ولرفع الكفاءة اليوم تحيي … في نفوس التجار أسمى المعاني
ولتحقيق جودة العرض ترجو … ثقة الناس بالغد المزدان
ولها الأولى في يدي درجات … بين أهل الإنجاز والصولجان
ما توانت عن حضن ملتقيات … زاخرات بالجود والتحنان
لجهات خيرية، وجهاتٌ … ذات فكر ورؤية وبيان
في ثقافات أمة وحضارات … شعوب من سالف الأزمان
يا أخي يا أخي فلا تتعجب … وادن من بستانها الريان
تجد الغرفة الأثيرة ميدان … فصول جديرة بالتهاني
هي تدعو إلى ابتكار فنونٍ … في مجال التطوير والعرفان
في قطاع الأعمال باتت مناراً … لأولي الجد والطموح الثنائيَ
للمشاريع تزدهي، ولنفس … تتسامى بوقدة الوجدان
فهما في التحديث بابُ عُلُوٍّ … لا تُجارَى خُطاه في الميدان
بورك الفكرُ ألمعيَّ انتساب … لا إلى فكر عابث متوانَ
واقتصاد يصوغُه عبقريٌّ … بنسيج الإيمان والإيقانَ
إنها غرفةُ التجارة فاقتْ … بشذاها تأرُّجَ الريحانَ
فرجالٌ بركنها وشَبابٌ … قد تنادَوا إلى المزايا الحسانَ
لبسوا للسِّباق أرديةَ العزمِ … وعافوا هوى النؤوم الَوانيَ
ذا (عليُّ الحمرورَ) عاش رئيساً … في قيادات سعيها النشوان
لم تفته الفضائل البيض يوماً … فمزاياهُ فوّحتْ في المغانيَ
وبأحلى أقسامها يتجلى … ما بهذا البناء من إتقان
قد حباها حتى تثنّت بناءُ … شامخاً ذا مكانة ومكان
حيث تُغنيه نهضةٌ ورقيٌّ … يتغنى بأعذب الألحانَ
وحواليه في النشاط وفي التنظيم … والوعي . صنُوهُ . واقترانَ
ما توانى أبو الوَليد بشأنَ … نعمَ شيخُ الشباب في الأعوانَ
ذا عليٌّ شبلٌ لآل قُمَيشٍ … بسجاياهُ فازَ في الأقرانِ

وكـــرام المـوظـفــين تــراهــم — في مـهـمـاتـهـم بـأحـلـى اتــزان
يـنـجـزون الأعـمـالَ دون تـوان — نـعـمَ جـهـدُ المـوظـف المتفـاني
لا تـكـونُ الـنـهـضـاتُ إلا بـشـوقٍ — في عـيـون المـثـابـريـنَ الـرواني
تـرمـقُ الـصـفـحـة الأثـيـرةُ لـلأمجادَ — مـاسـتْ بـسـفـرهـا الـفـيـنـان
بـوركـتْ غـرفـةُ الـتـجـارة في نجـرانَ — أضـحـت مـنـارة الـعـرفـانَ
وصـداهـا لمَّـا يـزَلْ يـتـخـط — زمـنَ الـوهـنِ في صـدور المغاني

ولنـأت إلى دور النـادي الأدبـي الـذي كان حلمـاً لأهـالي المنطقة عامـة، وللمهتمين بالحركـة الأدبية الثقافية بصـورة خاصـة، ولن نفيض في الحديث عن نشـأته وأهدافه وتطلعاتـه ورؤاه، ولكننـا سـنقف على أنشـطته وما قدمه خلال بضـع سـنوات من عمره، انطلق النادي بقوة وكأنه يريد اللحاق بمواكب الأندية الأدبية الأخرى بالمملكة التي سبقته في الإنشـاء والعطـاء والإنجاز حيث بـدأت فعاليات النادي الأدبي بمحاضـرة عنوانها: (الآثـار تاريـخ وعبر) قدمها فضيلة الشـيخ/ إبراهيم بن علـي العبيـدان. رئيس محاكم منطقـة نجران، والدكتور/ سـعد الراشـد. أسـتاذ الآثار. وكيـل وزارة التربيـة والتعليم للآثار سـابقا، في قاعة الحمرور في الغرفة التجارية الصناعية بنجران يوم الأحد الموافق (١٤٢٩/٢/٢٤هـ/٢٠٠٩م) كما حضـرنا محاضـرة أخرى بعنـوان (التخطيط للنجاح) لعضـو مجلس إدارة النادي الأدبي الدكتور / محمد بن ناجي آل سعد، يوم الإثنين الموافق (١٤٢٩/٥/٧هـ/٢٠٠٨م)، كما أقيمت محاضرة أخرى بعنوان: (تقنيات في فن التعامل مع الاختبارات) للمستشار/ خالد آل عوض. يوم الأحد الموافق (١٤٢٩/٦/٤هـ/٢٠٠٨م)، وهكذا تتابعت المحاضرات التي أشرف على تقديمها النادي الأدبي، إضافة إلى الأمسيات الشـعرية حيث استضـاف النادي العديد من الشعراء، منهم الشـاعر الدكتور/ زاهر بن عواض الألمعي – عضـو مجلس الشـورى- وعضـو هيئة حقوق الإنسـان، وكانت الأمسـية في يـوم الإثنـين (١٤٢٩/٢/٢٥هـ/٢٠٠٩م) تلتها أمسـية شـعرية أخـرى في اليوم التالي (١٤٢٩/٢/٢٦هـ) للدكتور الشـاعر عبد الرحمن صـالح العشـماوي، كما أقيمت أمسـية شـعرية أخرى يوم الأحـد (١٤٣٠/٧/٢٦هـ)، لكل من الشـاعرين الدكتور/ عبد الرحمن المحسـني والأستاذ/ إبراهيم طالع الألمعي، ثم تتابعت الأمسيات الشعرية بإشراف النادي الأدبي للعديد من الشـعراء من داخل المنطقة وخارجها، ولسـنا هنا بصـدد النقد الأدبي لقصـائد الشعراء، وأهميتها في إغناء الحراك الأدبي في المنطقة، وإنما المراد إظهار نشاط النـادي الأدبي في هذه الفترة، فلقد تنوعت الأنشطة، فكان منها محاضـرة بعنوان: (فوائد وأضـرار المواد الكيميائية والبلاسـتيكية) للدكتور / محمود سـليم الدين منشـي. عضو جمعية الكيميائيين السـعوديين، ومحاضـرة أخرى لسـعادة مدير شرطة نجران، اللواء / حسـن بن محمد عسيري، عنوانها: (دور الأمن في تنمية السياحة الوطنية)، وهذه ندوة أخـرى بعنـوان: (دور الثقافـة في تعزيز الوحدة الوطنية) قدمهـا كل من: الدكتور/ عبد الله بن صـادق دحلان، والدكتور/ خليل بن عبد الله الخليل، والدكتور/ صـالح بن فارس الزهراني. واسـتطاع النادي الأدبي أن يجمع رؤسـاء الأندية الأدبية في المملكة، بحضـور سـعادة الأسـتاذ وكيل إمارة منطقة نجران المكلف / محمد بن فهد بن سـويلم، وسـعادة الدكتور/ عبد العزيز السـبيل، تحدث الدكتور/ عبد المحسـن بن فراج القحطاني. رئيس

نادي جدة الأدبي عن خطيب نجران قُس بن ساعدة، هذه المتابعات الجادة والهادفة من النادي الأدبي، يُضاف إليها الكثير من الأمسيات القصصية، والملتقيات الأدبية والثقافية وما فيها من مواضيع هامة، مثل ماذا يريد المجتمع من النادي الأدبي، وأهمية القراءة، وعلاج ظاهرة الإشاعات، وأهمية الحوار ... وغيرها. ولا ننسى أهمية فتح النادي الأدبي أبوابه للزوار من مختلف شرائح المجتمع مثل زيارة بعض أعضاء مجلس الشورى، وطلاب المدارس . ناهيك عما قدمته اللجنة النسائية في النادي الأدبي من محاضرات وأمسيات، يضاف إلى كل هذه الإنجازات إصدار النادي لمجلة (رقمات) التي نأمل أن تكون شهرية في المستقبل .

هذا الزخم الهائل من المحاضرات والندوات والأمسيات، مضافاً إليه مهرجان قس بن ساعدة الذي كان عرسا ثقافيا، تناقلته وسائل الإعلام المختلفة، ننقل منها ما كتبته جريدة الرياض في هذه المناسبة : رعى صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن عبد الله بن عبد العزيز أمير منطقة نجران وبحضور نائب وزير الثقافة والإعلام معالي الدكتور عبد الله الجاسر وجمع من المثقفين مساء يوم أمس الأول انطلاقة مهرجان قس بن ساعدة الثقافي، المقام في متنزه الملك فهد .. حيث افتتح سموه معرضي الكتاب والفنون البصرية المصاحب للمهرجان واطلع على محتويات (٢٠) دار نشر عربية وأعمال فنية مختارة لعدد من فناني منطقة نجران ضمتها المعارض التعبيرية، ثم شرف سموه الحفل الخطابي، الذي اشتمل على مسرحية "ملحمة الأخدود. شعب النار والجنة" من تأليف الكاتب المسرحي صالح زمانان وإخراج سلطان الغامدي، بمشاركة أكثر من (١٥٠) ممثلا وفنيا ومصمم أزياء، حيث جاء العرض المسرحي فيما يقارب الساعة. وقد ألقى نائب وزير الثقافة والإعلام الدكتور عبد الله الجاسر كلمة الوزارة نقل من خلالها تحيات معالي وزير الثقافة والإعلام الدكتور عبد العزيز خوجه .. معلنا عن دعم المهرجان سنويا بنصف مليون ريال، انطلاقا من حرص الوزارة ودعمها المستمر لجميع مناشط الثقافة والإبداع، متطرقا خلال كلمته لنقاط ثلاث، أولها: تثمين الوزارة من معالي الوزير ونوابه لسمو أمير منطقة نجران لدعمه المهرجان ماديا ومعنويا، وثانيها: أن نادي نجران قد أسس لمهرجان سنوي سيكون رافدا قويا للثقافة والأدب، وثالثها: مناشدة معاليه لجامعة نجران وبقية المؤسسات التعليمية والإعلامية ومكاتب الصحف المحلية للوقوف إلى جانب أدبي نجران والنهوض به نحو الرقي والمعالي في ظل الرعاية الكريمة من أمير المنطقة .
كما شهد الحفل كلمة لرئيس نادي نجران الأدبي الأستاذ سعيد بن علي آل مرضمة، أكد فيها أن المهرجان يلقى رعاية خاصة ومتابعة واهتماما من أمير المنطقة، معربا عن شكره للجان المشاركة بالمهرجان التي يعمل بها (٦٥) عضوا تتنوع أعمالهم في اللجنة الإعلامية ولجنة المعرض واللجنة التنفيذية واللجنة العلمية واللجنة النسائية ولجنة الفنون ولجنة العلاقات العامة، تلاه مستشار المهرجان إبراهيم طالع الألمعي بكلمة تحدث فيها عن رؤيته للعمل الفني وفكرة المهرجان بشكل عام حيث اعتبرها إحدى دلالات النظرة الوطنية العميقة لشباب منطقة نجران على اعتبار قس بن ساعدة رمزا وطنيا عربيا، مشيرا إلى أن معرض نجران الدولي للكتاب الذي يُعد نقلة نوعية في الحراك الثقافي والأدبي في منطقة نجران جمع العديد من العناوين والمواضيع التي تهتم بالأدب والفكر وتلبي جميع احتياجات وتطلعات أفراد المجتمع ويسعى المعرض لتوفير الجو المناسب لمحبي الكتب،

إلى جانب ما يحضر الملتقى من شخصيات فكرية وأدبية توقع على مؤلفاتها، ونائب وزير الثقافة يعلن عن دعم المهرجان بنصف مليون ريال سنويا .

بعد ذلك تقديم عرض مرئي عن مدينة الأخدود والاستعدادات التي واكبت انطلاقة المهرجان، ومن ثم تم تكريم الجهات المشاركة والرعاة الدائمين للمهرجان، تلا ذلك كلمة مدير المهرجان صالح سدران الذي أشار إلى أن معرض الكتاب يحتوي على أكثر من عشرة آلاف عنوان تتنوع بين فكرية وأدبية وثقافية عامة وتاريخ وفلسفة، مشيرا إلى أن معرض الفنون التعبيرية اشتمل على (٥٣) عملا فنيا عشرة أعمال نحت وثلاثة وعشرين عملا فوتوغرافيا وعشرين عملا تشكيليا وهناك عمل فني جديد يقدمه الفنان عبد الله مشبب آل منصور أحد الفنانين في المنطقة، ويشارك بعرض الفن التعبيري (٢٨) فنانا حاز بعضهم على مراكز متقدمة على المستوى العربي والعالمي، حيث دعا المهرجان أكثر من (١٠٠) مثقف ومثقفة من السعودية والعالم العربي ويشارك منهم بالمهرجان (٢٥) شخصية من داخل المملكة وخارجها وتتنوع الفقرات بين الفكر والتاريخ والأدب والشعر والقصة . تجدر الإشارة إلى أن معرض الكتاب يستمر لمدة (٤) أيام الفترة الصباحية من الساعة (١٠) صباحا وحتى (١٢) ظهرا والفترة المسائية من الساعة (٤) عصرا وحتى الساعة (١٠) مساءً، والعائلات الأربعاء من (٤-١٠مساءً والخميس من ١٠ إلى ١٢ صباحا) . كما تقام فعاليات المهرجان النسائية في قاعة قس بن ساعدة بالنادي الأدبي الثقافي والفعاليات الرجالية تقام في موقع المهرجان بمتنزه الملك فهد) .

كما أنني كتبت كلمة بمناسبة إقامة حفل قس بن ساعدة الإيادي، نشرت في بعض المواقع الإلكترونية، وفي إحداها قلت فيها : (التاريخ ... يعيد قس بن ساعدة الإيادي) نشر في نجران نيوز يوم (٢٠١٢/٣/٩م) . (التاريخ نبع حي لا ينضب، وموئل عطاء متدفق، يثري الحاضر المؤهل لنيل السؤدد بالمجد الغابر الأثير، من خلال المعايشة لقيمه، والتفاعل الواعي مع توهج حضوره، ليسهم من جديد في إيقاظ حركة التجديد لما كان، ويقدم للرواد ما يحدو مسيرتهم دون صفحات الفصول التاريخية لرجال عظماء أفذاذ، وهبهم الله عز وجل القدرة على الإنجاز الإيجابي، حيث تقدموا الصفوف بنظرتهم الثاقبة بمراحل لم تأت بعدُ من عمر الإنسانية، ووهبوا مَن جاء بعدهم مفاتيح الحيوية والطموح لينهلوا من معَين ثرّ لا يعتريه النضوب. ولعل قس بن ساعدة الإيادي هو واحد من أولئك القلائل الذين لا يستطّيع التاريخ أن ينساهم أو يتناساهم ويتغافل عن ذكر مناقبهم التي مازالت تجوب المراجع الوثيقة منذ مئات السنين، قال الشعر ولم يدونه التاريخ مع الشعراء، واتصف بمزايا حميدة جليلة بقيت مع ذكره تفوح بالطيب في مجتمعات الناس، وإن الذي أجمع عليه المؤرخون هو أن قسا من أفصح العرب لسانا، وأبلغهم بيانا، فكان الخطيب الذي يجمع الحكمة ويبثها في قالب بلاغي أخاذ، يتميز بجلب الانتباه وبالتأثير ذكره النبي ﷺ وأثنى عليه، وهو القائل : (إن من البيان لسحرا)، ويذكر التاريخ أن قسا التقى قيصر الروم الذي أجله وعرف مكانته، وكان يتوكأ على عصاه حين يخطب، ويقول : أما بعد ليتنبه السامع إلى ما يأتي من كلام .. وهو أول من قال : (البينة على من ادعى واليمين على من أنكر)وأقر الاسلام قوله هذا بل أصبح قاعدة شرعية، وفي سائر

مفردات خطبه استنهاض لسلوك الناس في عمل الخيرات والمبرات، والتفكر في حقيقة هذه المخلوقات . وقد نال مكانته المرموقة التي ربما فاقت مكانة الشاعر الذي كان يعد فارس القول في الدفاع عن القبيلة . وأنقل بعض ما جاء عن قس بن ساعدة من بعض المراجع (كان يدين بالتوحيد ويؤمن بالبعث، ويرشد إلى عبادة الخالق، ويرفض عبادة الأصنام والأوثان التي كان عليها حال الحرب آنذاك، وكان يتأمل في مخلوقات الله ويعلم أن هنالك ثمة خالق واحد لجميع هذه المخلوقات، ويؤكد ذلك ما ينسب إليه من قول: (كلا بل هو إله واحد، ليس بمولود ولا والد، أعاد وأبدى، وإليه المآب غداً، وقوله : كلا بل هو الله الواحد المعبود، ليس بوالد ولا مولود) . وفي نفس المرجع (وقس بن ساعدة هلك قبل نزول الوحي بالرسالة الخاتمةً على النبي الخاتم صلوات الله وسلامه عليه، ولكن النبي ﷺ عاصره، وقد جاء في الأثر عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال : لما قدم وفد إياد على النبي ﷺ قال: " يا معشر وفد إيادٍ ما فعل قس بن ساعدة الإيادي ؟ قالوا هلك يا رسول الله، قال: ﷺ: (لقد شهدته يوماً بسوق عكاظ على جمل أحمر يتكلم بكلام معجب مونق لا أجدني أحفظه) ، فقام إليه أعرابي منهم فقال: أنا أحفظه يارسول الله فقال خطبة قس المشهورة التي يقول فيها :على اختلاف في الرواية : " يا أيها الناس اسمعوا وعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا . إنه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، وسماء ذات أبراج، نجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراة، ومطر ونبات وأرزاق وأقوات وآباء وأمهات وأحياء وأموات جمع وأشتات وذاهب وآت، ضوء وظلام، وبر وآثام، ولباس ومركب، ومطعم ومشرب ونجوم تمور، وبحور لا تغور، وسقف مرفوع، ومهاد موضوع، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تُركوا هنالك فناموا.؟ ألا أن أبلغ العظات السير في الفلوات والنظر إلى محل الأموات) . ولعل هذه ومثيلاتها تؤكد مكانة هذا الرجل العظيم، الذي يُعتبر صوتاً مجلجلاً عبر الأيام، يبعث الهمم، وينشر الحكم، وها قد لاقى صدى صوته أثراً في الرحاب التي عاش فيها، فهبَّ أبناؤها يحيون مآثره، وينشرون أنفاسه من جديد في ربوع نجران، ليتنسمها شبابها الطموح، ولتبعث في صدورهم أسباب تحري مكامن التأريخ، حيث تتجلي أحلى نوازع النفس التواقة لصعود القمم، لتأتي بأعمال مجيدة، وتسطر لهم أعذب السير الحميدة، في صفحات الفضائل والمآثر التي طالما يتغنى الناس بها في كل زمان ومكان، لأن رقي الطباع واستقامة السلوك، وإيجاد البيئة النظيفة للتواصل والتعاون، خدمة للمجتمع، ورغبة في توجيه المواهب والطاقات والقدرات إلى ما فيه خير الحركة الثقافية التي باتت تبسق أفنانها، وتزهر أغصانها، وتتدانى ثمراتها في هذه المنطقة التي عاش فيها قس بن ساعدة . ويطيب لمن بيده أن يقدم لمجتمعه النافع من جليل الأعمال والإنجازات والمآثر التي تعيد للمجتمع الثقة بأبنائه المثقفين والموهوبين ، ويبعث الطمأنينة في نفوسهم، هذا الوعي وهذه الإنجازات، وهذه العودة الجميلة إلى خيمة قس بن ساعدة في ظلال بشائر خير يفوح أريجها المعطار في أجواء الآمال الوريفة التي يرعاها سمو أمير المنطقة، ويدعمها ماديا ومعنويا تحقيقا للغايات النبيلة، والأهداف السامية التي يتطلع إليها أبناء المنطقة كما في سائر المناطق الأخرى، فتقوى الأواصر، ويشتد

ساعد الجد على تحقيق أسباب النجاح. طوبى للنادي الأدبي في نجران هذا الزخم المتلألئ بالقيم الأدبية وفنونها، والامتدادات الثقافية، وإنها التفاتة مباركة لمسيرة العمل الأدبي في هذه الملتقيات التي تتجدد فيها روح التعاون والتآخي بين أهل المواهب والقدرات . من خلال سمة رائدة لتجديد قيم الأصالة العربية الإسلامية في النفوس، وبعث مشاعر التفوق بأعمال جليلة وفضائل مستحسنة، تشهد بالإيثار والترفع عن حب الذات، والإقبال على حُسن التواصل لكيلا تنطفئ قناديل الهمم المتقدة .

وهنيئاً لوسائل الإعلام على تنوع أساليبها ومواقعها وهي تنقل هذا الحدث، وتؤازر من خلال نشره وبثه اندفاع رواده شطر مزية السعي نحو الأعلى . وهنيئًا لصحيفة نجران نيوز الإليكترونية حق الرعاية الإلكترونية لمهرجان قس بن ساعدة بالإشراف رئيس تحريرها الأخ الكريم الأستاذ مانع بن صالح آل قريشة .. هذا المهرجان الذي تبناه النادي الأدبي بنجران، تحت رعاية حانية من صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن عبد الله بن عبد العزيز آل سعود أمير منطقة نجران، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق الجميع لما فيه الخير والسؤدد . بقلم الأديب والشاعر/ شريف قاسم).

وكما نشرت قصيدة بعنوان هي نجران: نشرت أيضاً في نفس الصحيفة الإلكترونية: هي نجران....

هي نجران مالها تتراءى ... في رباها تألقاً وبهاءَ
ورتاج العلى يدور حفيا ... برقيٍّ يزيدُها إعلاءَ
والنهاراتُ لم تزلْ في مداها ... تمنحُ الزهوَ للمغاني سناءَ
والليالي آفاقُها مقمراتٌ ... ليسَ تجفو سُمَّارَها الأوفياءَ
أنجبتْهم من يوم قُسٍ تولى ... منبراً للبيان نالَ ثناءَ
أينع الروضُ، والثمارُ تدلَّتْ ... والطيورُ الحسانُ غنَّتْ هناءَ
ولهذا رأيتها تتثنَّى ... في جبين العلَى الذي ما تناءى
ولِمن قالَ مالها ؟ قد أجابتْ ... أنا نجرانُ ما عرفتُ انطواءَ
فحديثُ الأخدود حُلوٌ نديٌّ ... زانه الوحيُ رفعةً وارتقاءَ
لم يزلْ في القرآن يُتلى، فتُصغي ... أذُنُ الدَّهر ما جفتْهُ نداءَ
وطيوف الموحدين أهازيجُ... ... خلود تفرَّدتْ إيحاءَ
وغني الآثار في جبل الصَّيدح ... يأبى عتيقُها استجداءَ
سَلْ يُحدِّثْك عن عصور تولَّتْ ... سقت اليومَ قارئيها الظَّماءَ
يُنبئُ القارئين عمَّن تولَّوا ... ويجيدُ استهلالَه الإنباءَ
والقلاعُ الشمَّاءُ ترنوا اعتزازا ... لا ترى في شموخها استعلاءَ
سجدتْ لله الذي ليس يفنى ... حيث أبقى لشأنها استثناءَ
وتريك الآبارُ كيفَ بنَوها ... ورعوها محبَّة واصطفاءَ
فمن الماء أنبت القفر روضاً ... وسقى فيض نبعه الأحياءَ
وبوادي نجرانَ وادٍ، ووادٍ ... فيه نقشٌ مخلدٌ شعساءَ

وتــرى في شـعـابـهـا مــن خـيـال ... فـيـه مجـدٌ تمـدد اسـترخـاءَ
فــاقــرأ الأمــس في منـابـتـه الخـضـرَ ... وجـــدِّدْ مـــروجــه الخـضــراءَ
وأثـــرْ في صـدور أبـنـاَئـهَـا الـيـومَ ... حـنـيـنـاً تـعـيـده أصـــداءَ
مـــن ثـلاثـين لم أزل أتمـلـى ... أفـق نجــرانَ: أمـسـهـا الـوضـاءَ
لـيـلـهـا المـقـمـر الجـمـيـل، وعـهـداً ... ألـبـس الـسـعـدَ أهـلـه الـنـجـبـاءَ
والحـضـارات لـيـس تـبـرح أرضـاً ... قـد حـبـتـهـا مــن نـفـحـهـا أشـذاء
قـد أفـاق الـشـبـاب والـلـيـل ولى ... وصـحـاريـهـم لم تـعـد صـحـراء
هـي جـنـات نـهـضـة حـيـث تُـسـقـى ... مــن أيـــادي مـلـيـكـهـا أنــداءَ
كـم رعـاهـا، وكـم حـبـاهـا، وأثــرى ... مُـجـتـنـاهـا مــن سـعـيـه نـعـمـاءَ
والأمـيـر الـهـمـامُ مـشـعـلـهـا الـبـر ... مـشـاهـا فـأصـبـحـت غـنـاءَ
هــي نجــرانُ قـد أطـلـت فـألـفـتْ ... في بـنـيـهـا الأفـــذاذ والأذكـيـاء
فـمـيـاديـنـهـا: الـطـمـوح حـداهـا ... فـازدهـت حـلـة، وتـاهـت مـضـاءَ
لـيـس يُـغـنـي الآمـال مـثـلُ شـبـاب ... في حـقـول لم يـعـرفـوا الإعـيـاء
يـصـنـعـون الأمجـاد بـالـقـيـم المـثـلىَ ... وتـهـفـو نـفـوسـهـم نـبـلاء
نـفـضـوا ربـقـة الـتـوانـي فـداسـوا ... بـالـتـفـاتـات عـزمـهـم إزراءَ
وتـهـادوا مـشـمِّرين عـن الـسـاعـد ... بـالـوعـي قـادهـم أكـفـيـاء
فـكـأنـا في دار قـس تـواصـى ... وتـآخـى زوراه بـلـغـاءَ
هـو نـادي نجـرانَ لـلأدب الأرقـى ... تـنـادى فـرسـانـه فـصـحـاءَ
كـان حُـلـمـاً يـراهُ بـعـض بـنـيـهـا ... فـيـنـاجـون في الـدجـى الجـوزاء
مـا تجـلـى نـهـاره، وي كـأن الحـلم ... في عـيـنـي فـجـره مـا أضـاءَ
ودنـا، مـا جـفـتـه كـوكـبـة تـاقـت ... لمـرأى سـلالـه لألاء
قـم تـر الـنـادي ضـم كـل حـفـي ... حـين أدنـى الـكـتـاب والأدبـاء
أمـسـيـات شـعـريـة لا تُجـارى ... والـلـقـاءات أثـمـرت مـا شـاء
عـاد زهـو الـفـصـيـح يـرفـل بـالحـرف ... بـيـانـاً مـغـرداً وحُـداءَ
في محـيـاه قـصـة ومـقـال ... وكـتـاب بـين الأيـادي أفـاءَ
ونـدي الأفـكـار يـنـسـج مـعـنـى ... فـاض هـديـاً . بـنـانـه . وصـفـاء
مـا أجـل الحـروف تـنـشـئ في دنـيـا ... نجـاحـات خـطـوهـم إنـشـاءَ
لـن يمـل الـشـبـاب مـن عـثـرات ... أوطـوت وحـشـةُ الـدروب الـرجـاءَ
إن مـن جـدَّ في المـسـيـر بـعـزمً ... لـيـجـوز المـهـامـة الـدكـنـاءَ
سـيـرى الـصـبـح مـشـرقـاً بـالأمـانـي ... ويـرى الأفـق بـالمـنـى قـد أضـاءَ

وكتبت وسـائل الإعـلام الإلكترونية والجرائـد اليومية عن أعمال النـادي الأدبي في الفـترة الأخيرة الشـيء الكثير ومنها : (أدبي نجران يحتفل بسـبع إصـدارات جديدة). احتفل نادي نجران الأدبي أخيراً بإصدار سبعة كتب جديدة تنوعت ما بين الشعر والقصة والروايـة، وذلـك بقاعـة قس بن سـاعدة .والكتـب التي ألقـى مؤلفوها بعض القصـائد

والقصص والمقاطع منها أمام الجمهور هي" حركة الشعر في نجران في الجاهلية وصدر الإسلام" للباحثة فائزة رداد العتيبي" و" سنابل في كتابة القصة القصيرة" لمجموعة من القاصين، و" النبأ" للدكتور محمد ناجي آل سعد، و" إبداعات واعدة" لصالح بن مهدي آل معدل، وكتاب" أوراق عوسجية" لرضوان الغامدي، و (شدو الناشئ في أسمى المرافئ) للشاعر شريف قاسم، بالإضافة إلى مجلة (رقمات الثقافية).

٣. التعليم وأثر الإخوة المتعاقدين في الحركة التعليمية :

كتبت عن هذا الموضوع في الكتاب السابق الذي نشره الدكتور غيثان بن علي بن جريس. حيث كان للإخوة المعلمين المتعاقدين وكذلك الأخوات المتعاقدات أثر كبير في تعليم أبناء المنطقة وبناتها، في المدارس الحكومية في مراحلها الثلاث، إضافة إلى المعهد العلمي في المنطقة، والمعهد المهني، وهذا ما كان موجودا منذ وصولنا إلى نجران عام (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) [١]، ومع النهضة التطويرية الشاملة في المملكة نالت نجران نصيبها من التعليم، ففيها المدارس الحكومية والأهلية، والمعاهد المتعددة للبنين والبنات، وفيها الجامعة التي استقطبت أبناءها وغيرهم من مناطق المملكة، ونستطيع القول بأن التعليم نما وتطور بدعم غير محدود من قبل الدولة، وأما أثر الإخوة المتعاقدين من المعلمين والمعلمات فإن بصماتهم لا تزال واضحة في العديد من الجوانب التعليمية والثقافية، حيث كنا نرى المعلم يحمل هم التعليم وهم الطالب، ويعمل بكل طاقته، وبكل وسائل التعليم وطرقه ليوصل المعلومات إلى طلابه، إضافة إلى النشاط اللاصفي الذي كان له الأثر الفاعل في صقل مواهب الطلاب، وفي جذبهم إلى مائدة العلم وحب التعلم . ونستطيع القول بأن نقلة نوعية قام بها الإخوة المعلمون المتعاقدون، فأوجدوا الطالب الذي بات يطمع لمستقبل زاهر في ضوء العلم، كما كان الأثر في يقظة أولياء الأمور إلى متابعة أولادهم، وإلى بعث روح الغيرة - إن جاز الوصف - في نفوسهم، ليروا أولادهم في المراكز المرموقة في مجتمعهم، ولقد كان التغيير واضحاً في النفوس، وأذكر أننا كنا نواجه صعوبة في إقناع ولي الأمر للموافقة على أن يشارك ولده في النشاط المدرسي، مثل المسرحيات أو حلبات الإلقاء والتعبير .. وغيرها، وبعد أن قدم الإخوة المتعاقدون أنشطة مدارسهم في حفلات جميلة، وشاهد أولياء أمور الطلاب انطلاق أولادهم على خشبة المسرح في إلقائهم وانفعالاتهم، فصاروا يرجوننا أن نوافق على مشاركة أولادهم، ومثل هذا الأمر جرى معي في المدرسة التي كنت وكيل مديرها من عدة سنوات، والحمد لله الذي وفقنا ونجحت عملية التغيير هذه، حيث أرى أنها كانت نقلة نوعية لإحياء المهارات والقدرات النائمة في صدور الأبناء في كل مراحل

---

(١) المتعاقدون من الدول العربية في ميدان التربية والتعليم موضوع هام وخصب ويستحق أن يصدر عنه عشرات المجلدات في أنحاء البلاد السعودية، والدارس لنشأة التعليم النظامي وتطوره في المملكة سوف يجد آلاف السجلات والوثائق التي تشتمل على أسماء مئات بل آلاف المعلمين الذين قدموا إلى البلاد السعودية منذ بداية النصف الثاني من القرن (١٤هـ/ ٢٠م)، وذلك من أجل النهوض بالعلم والتعليم في هذه البلاد العربية. حبذا أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ، برنامج الدراسات العليا، بجامعة الملك خالد فيخصص موضوع أطروحته في الماجستير أو الدكتوراه عن المعلمين المتعاقدين في نجران وما قدموا من خدمات تربوية وتعليمية من عام (١٣٦٠-١٤١٠هـ/ ١٩٤٠-١٩٩٠م) . (ابن جريس).

التعليم، واليوم نشـاهد الكثير من طلابنا في مراكز مرموقة، وباتوا هم يذكروننا بتلك الأيام الجميلة وساعاتها العذبة، ويشكروننا بحرارة على ما قدمناه لهم أيام زمان .. كما يقولون[١] .

لاشـك بـأن الخـبرات والتجـارب والإخلاص في الأداء لهـا كبـير الأثـر في ميادين التربية والتعليم، ولقد اسـتفاد الأخوة المعلمون السـعوديون من خبرات وتجارب إخوانهم مـن المتعاقدين، وهاهم ـ بفضـل الله ـ يقدمـون جهودهم وخبراتهـم إلى طلابهم ونتمنى عليهـم أن يضـربوا الأمثلة الرائعـة والمتميزة في ذلك، فهم بناة المسـتقبل، وهم اليوم أهل التطوير والرؤى والرسالة، وأرباب الاتجاهات النافعة في طرق التدريب، فقد جدّ اليوم ما لم يكـن بالأمس من حاجة المجتمع إلى الشـباب المتعلم الواعي من أجل سـوق العمل، كما جاءت أفكار التعلم المسـتمر واسـتخدام التقنيات ومصادر التعلم المختلفة، ولقد أعجبني ما قرأته عن هذه الانطلاقة في أحد المواقع : (وأضـاف : هذا المشـروع هو مشـروع وطني يهدف إلى تطوير جميع عناصر المنهج وفق أحدث النظريات والأساليب التربوية والعلمية المعاصرة، وتتولى وزارة التربية والتعليم بالاشتراك مع بيوت الخبرة والمؤسسات التعليمية والأكاديميـة الوطنية الحكومية والأهلية عمليـات تخطيطه وتنفيذه وتقويمه، مبينا أن من دواعـي التطويـر للمناهج الدراسـية حيث وضـح أن التعليم العـام في المملكة مر بمراحل مختلفة من التوسع الكمي والنوعي، واستجابة لمتطلبات التنمية وإنمائها، ومن أجل إحداث نقلة نوعية عالية الجودة في تطوير التعليم عامة والمناهج خاصـة، حيث تمت دراسـة واقع التعليم بشكل منهجي وتم التوصل إلى ضرورة التطوير الذي يراعي تلبية حاجات المتعلمين وحاجات المجتمع والتهيئة لسوق العمل، ومن هنا كما تهدف له وزارة التربية والتعليم، جاء المشـروع الشـامل لتطوير المناهج الذي يهدف إلى تطوير العملية التعليمية بجميع أبعادها وعناصـرها) . حقيقة إنه كلام جميل وواع ويبشـر بخير كثير لأبناء البلاد ـ إن شاء الله ـ حيث حركة التقدم الحضاري تتطلب هذه الروح الفعالة في أهم أسباب النهضة التعليمية، وفي القيام بالأنشطة التي تكسب الطالب القدرة على مواجهة الحياة العملية .

٤ـ بعض العادات والعلاقات الاجتماعية :

للناس في نجران عادات يحتفظـون بها، وتجدها في أقوالهم وتصـرفاتهم ولعلي أذكر منهـا ما أسـمعه أو أعرفه من خلال وجـودي في نجران هذه السـنوات ومنها: هناك عادات اجتماعية متبعة عند أهل المنطقة، ولازالت عباراتها تتردد علي أفواه الكبار والصـغار، فعند صبِّ القهوة مثلاً يقول الذي صبها : جر، ويرد عليه الضيف بقوله : كفيت الضر وأعطيت ما يسـر. وحين يبشـر أحدهم بمولود ذكر يُقال له : أبشر برجَّال . وهو يرد ويقول الله يبشرك، ويُعطى المبشر بشارته، وكذلك إذا تمت تسمية المولود باسم شخص معين فإنه يُعطى نحله[٢] .

كمـا توجد ألفاظ تصـف حالات معينة، فكلمـة (جَفَلَ) معناها خـاف أو ذلَّ، وكلمة (بقعـة) معناهـا : جبـان، وكلمة (عوينه) معناها : مسـكين وللمـرأة (عوينها) يعني

(١) للمزيد انظر ما ذكره الأستاذ شريف قاسم في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الجزء الثالث، ص ٢٧٨ وما بعدها .(ابن جريس).

(٢) للمزيد ابن جريس، القول المكتوب، جـ٣، ص٢٦٣ـ٢٧٧.(ابن جريس).

مسكينة. وكلمة (ناهي) معناها: طيب. وكلمة (بَزيّ) تعني ولد الأخت أو ولد الأخ، وكلمة (القابلة) تعني بكره، وكذلك كلمة (غدوة) بنفس المعنى، وكلمة (صَهْ) معناها: اسكت، وكلمة (يا جحفي جحفاه) معناها: للتعجب من شيء أو أمر غريب. وكلمة (كحتوت) تعني الرجل البخيل، (والبرث) يعنون به الولد. وهنالك مفردات أخرى كثيرة تستعمل في معان محدودة لحالات محدودة أيضا. كقولهم: (من شان وجهه شان طبعه)، ومن العادات والتقاليد استقبال أيام العيد بتهيئة الذبائح وصقل الخناجر، واجتماع الناس في مكان إقامة الصلاة للمعايدة، وتقام الرقصات الشعبية المعروفة، وفي الختان يُدعى أفراد القبيلة لتناول الطعام والمشاركة في الأفراح، ويدفعون بعض المال لوالد الطفل فرحا بختانه، ومن العادات المحمودة: المشاركة في حل المشاكل الكبيرة كحالات القتل، وذلك في دفع الديات، وفي طلب العفو، وهناك ما يُسمى بالنِحل أو الهبة إذا ما سمى أحد مولوده باسم شخص آخر، فيعطيه أرضا أو ناقة أو فرسا. وهناك عادات كثيرة في هذا الباب لابد من تعقبها لمن أراد الاستزادة في هذا الباب الاجتماعي الهام [1].

٥. نجران أرض المياه الجوفية والزروع:

المياه الجوفية وسد وادي نجران، والآبار المنتشرة في العديد من الأماكن والقرى في منطقة نجران هي العناوين الرئيسة لمصادر المياه في نجران. ولقد تم إيصال شبكات مياه الشرب لبعض الأحياء داخل نجران، وأنا أسكن في بيت في حي الفيصلية تصله المياه عن طريق هذه الشبكة، ويتدفق الماء في الفترات الصباحية، وهناك مشروع جلب مياه الشرب من الربع الخالي، وأسمع عن وجود فكرة إنشاء "مشروع خزان مياه نجران" وقد يكون معلما حضاريا للمنطقة، حيث أن ارتفاعه سيكون بحدود (٩٠) مترا عن سطح الأرض، وهذا الكلام سمعناه من مدير المياه في نجران الأستاذ صالح مصطفى هشلان. وتنتشر عدة آبار داخل مدينة نجران وخارجها يأخذ منها بعض الناس للشرب ولاحتياجات أخرى. وتشتهر منطقة نجران بوجود الآبار ذات المياه الحلوة من مئات السنين مثل الآبار الموجودة حول حمى المشهورة بمياهها العذبة، وتوجد في تلك الأماكن عدة آبار، رأينا بعضها، ولا تزال قائمة حتى اليوم [2].

٦. المهن والصناعات التقليدية في نجران:

هناك العديد من الحرف والصناعات التقليدية مثل الحدادة والصناعة والحياكة والنجارة في نجران، وهي تدلل على قدرات أهل المنطقة، وعلى تراث عريق، إذ سخّروا تلك الصناعات لاحتياجاتهم اليومية، وتمت صناعتها على جانب من السهولة والدقة، ومنها صناعة الأواني الفخارية التي لا يُستغنى عنها في البيوت كالقدور والمداهن وزير

(١) تاريخ نجران الاجتماعي في العصر الحديث والمعاصر موضوع كبير ويستحق أن يصدر عنه مؤلفات عديدة، ونأمل من جامعة نجران أن تفتح أقسام للتاريخ، والآثار، والجغرافيا، والاجتماع حتى يتمكن أعضاءها وطلابها من دراسة تاريخ وحضارة هذه البلاد الغنية بموروثها الحضاري. (ابن جريس).

(٢) نجران أرض زراعية، وعلى جامعة نجران السعي إلى فتح كلية للزراعة حتى تتمكن أقسام هذه الكلية من دراسة المنطقة زراعيا. كما أن تاريخ الزراعة في نجران منذ القدم جدير بالبحث والدراسة، حبذا أن نرى أحد طلابنا في أقسام التاريخ السعودية فيتولى هذا العنوان بالبحث والدراسة في أطروحة الماجستير أو الدكتوراه. (ابن جريس).

الماء، ويلاحظ وجود الصناعات الخشبية مثل الأقداح والمكاييل والصناديق التي تراها في البيوت، وهي مزخرفة بقطع معدنية ذات أشكال متنوعة، وأما الصناعات المعدنية فمنها بعض أنواع الأسلحة وأواني الطعام، والخناجر والجنابي والسيوف، كما يُلاحظ وجود صناعة القلائد المصنوعة من الخرز، وصناعة الفضة التي تصنع للنساء، ومنها الخلاخل والخواتم والأساور التي لها أسماء خاصة كالحداود، وقد سألت أحد الزملاء عن بعض الأسماء فقال لي: غداً آتيك بها وبالفعل جاءني ببعض أسماء المنسوجات والحلي (المجرّه، والهدر، والبساط، والساحة، والخرج، والبطانه، والعذر، والقلاية)، ومن أسماء الزخارف عند ممتهني حياكة النسيج قديماً العبد، الحامي، الحاجب، نثره صغيره، نثره كبيره، فرخ بحبة، فرخ بحبتين، فرخ بثلاث حبات، ومن حلي النساء وزينتهن من الفضة : الفتخـه، الدنعه، والمطال، والحداود، واللازم، واللبّه والحلقه، والمرادع، والخاتم، والملثم، والمدور، والصمط، والخروص).

كما تشتهر نجران بالصناعات النسيجية، وحياكة الأثواب والبرد في الزمن القديم كما جاء في تاريخ المنطقة، ولازالت صناعة بعض أنواع المفروشات قائمة حتى اليوم ولكن في نطاق ضيق، حيث من الملاحظ أن الجيل الجديد لم يعد يهتم بمثل هذه الصناعات، بل نسي الكثيرون منهم الأسماء التي كان يتداولها كبار السن، فقد تسأل الكثير من الشباب عن بعض أسماء المصنوعات أو الأدوات أو الجمل التي تقال في المناسبات فتراه لا يعرف منها إلا القليل، ويقول لك : (هذه اسأل عنها الشيبان)، وبالفعل سألنا عن أسماء بعض المنسوجات الصوفية فوجدنا كبار السن هم مَن يعرفها، مثل : (الرداعة : وهي الفراش الصغير، وكذلك الهدر: وهو فراش عريض وطويل، والخرج: وهو يشبه الكيس الكبير توضع فيه الأمتعة التي تحمل عادة على ظهور الدواب)، كما تشتهر المنطقة بصناعة الجلود منذ القديم كجلود الأبقار والجمال والغنم حيث تُدبغ، وتصنع منها النعال وقرب المياه والمزاود، كما كانت تستعمل في صناعة الميزاب لحمل الطفل الصغير، والأحزمة وغيرها، ويلاحظ شبه انحسار لاستعمالات هذه المصنوعات بعد طغيان الصناعات العصرية التي شملت كل احتياجات الناس، ومن المهن التي توجد في نجران الحدادة، والخرازة، والنجارة، وصناعة الفخار، والصناعات الفضية، والصناعات الخوصية من خوص النخيل، وغالباً ما تقوم بهذه الصناعة النساء، وصناعة الأواني المنزلية مثل المداهن وأوعية طبخ اللحم ويسمونها البرمة، وزير الماء والكوز[1].

٧ـ السياحة .. والآثار والمعالم الحضارية :

ترتبط كلمة السياحة بنجران لوجود الكثير من الآثار السياحية والمعالم الحضارية العديدة، حيث يقصدها الزوار والسائحون من داخل المملكة وخارجها، ولعل ما جاء عن حادثة الأخدود في القرآن العظيم خير دافع للناس وللمؤرخين لزيارة نجران، فهناك قلعة رعوم التاريخية تقع على قمة جبل رعوم غرب منطقة نجران وتعتبر معلماً سياحياً

---

(١) تاريخ الصناعات والحرف التقليدية في نجران خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة موضوع هام ويستحق أن يصدر عنه عدد من الرسائل العلمية ،ونأمل أن نرى بعض طلابنا في برامج الدراسات العليا من يتخذ هذا الموضوع عنواناً لأطروحاتهم العلمية .(ابن جريس).

بارزاً في المنطقة ويقصدها السائحون والزوار، وآثار أبا الرشاش توجد في أعلى وادي أبا الرشاش وفيها آثار سدود قديمة، وهناك العديد من المواقع الأثرية والحضارية أيضا مثل: سد وادي نجران، والنفق المؤدي إلى السد، ومتحف نجران وما فيه من آثار وتراث شعبي، وقرية الأخدود، وشلال أبا السعود، وقصر الإمارة (قصر تركي بن ماضي)، وقصر العان، ومن المواقع الأثرية والمشاهد الحضارية في نجران وفي قراها وبواديها مثل: قلعة بدر الجنوب ،وعشة ومخيم الملك سعود، ومحمية الأمير سلطان، متنزه الملك فهد وغيرها الكثير من الحدائق والمتنزهات الموجودة في نجران مثل: (حديقة نجران، حديقة غرناطة، حديقة أشبيليا، حديقة الوادي الأخضر، حديقة الأمير خالد السديري، حديقة الأخدود، حديقة البحتري، حديقة أبي فراس الحمداني، حديقة الأندلس، حديقة الملك فهد، حديقة الملك عبد العزيز، حديقة العريسة، حديقة الملك سعود)[١].

٨ـ في العمل الخيري بمنطقة نجران:

كنا نسمع عن الجمعية الخيرية للخدمات الاجتماعية في نجران وعن الأعمال التي تقوم بها، ونحن في مدارسنا، ولم يكن أمرها يهمنا مباشرة، ولكن بعد أن قدِّر لنا أن نعمل فيها في الفترة الحالية التي امتدت لعشر سنوات تقريبا، اطلعنا على الخدمات الكبيرة التي تقدمها الجمعيات الخيرية لشرائح المجتمع المحتاجة من أيتام وأرامل ومطلقات وذوي إعاقات، كما اطلعنا على أهداف الجمعية ورؤاها [٢].

ثالثاً: رأي وتعليق:

نشكر الأستاذ شريف قاسم الذي زودنا بمدونات عديدة عن تاريخ وحضارة نجران في العصر الحديث والمعاصر[٣]، ونأمل أن نرى أمثاله في بلاد نجران ممن وفد من المتعاقدين إلى هذه الديار منذ زمن طويل، أو من المتعلمين والمثقفين النجرانيين وغيرهم من السعوديين والمقيمين في الأوطان النجرانية فيدونوا ما سمعوا وشاهدوا من صور تاريخية وحضارية متنوعة . كما نرجو من القائمين على النادي والجامعة في نجران أن يشجعوا الباحثين ويفتحوا مراكز بحثية تتولى جمع تاريخ وتراث هذه البلاد العريقة بتاريخها وحضارتها[٤].

---

(١) الآثار والسياحة في نجران موضوعات خصبة وتستحق أن يصدر عنها عشرات الدراسات العلمية والأكاديمية وعلى إمارة وجامعة نجران، وكذلك الهيئة العليا للسياحة مسؤوليات عظيمة لخدمة هذه المجالات العلمية والثقافية والاجتماعية والتنموية الهامة .(ابن جريس).

(٢) دون لنا الأستاذ شريف قاسم تفصيلات مطولة عن الأعمال الخيرية في منطقة نجران خلال العقود الثلاثة الماضية المتأخرة، وقد استبعدناها، ونأمل أن ننشرها في كتاب قادم من سلسلة القول المكتوب في تاريخ الجنوب)، كما نأمل من ابن قاسم أن يفرد كتاباً مستقلاً عن أعمال التطوع والخير في بلاد نجران كونه يعمل في هذا المجال منذ سنوات عديدة .(ابن جريس).

(٣) نشرنا بعض مدوناته في كتاب : القول المكتوب، الجزء الثالث، والجزء السادس.

(٤) لقد تجولت في بعض نواحي منطقة نجران عامي (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) و (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، فشاهدت العديد من الأنماط العمرانية، وبعض الأعراف والتقاليد والعادات الاجتماعية، وكذلك بعض الأسواق الأسبوعية والمشاريع التعليمية والتجارية والتنموية المختلفة . ونقول إن هذه المنطقة جديرة بالبحث والدراسات المتنوعة في شتى المجالات، والمسؤولية الكبرى على جامعة نجران لخدمة الأرض والسكان النجرانيين .(ابن جريس).



الدراسة الرابعة عشرة

من أقوال ومدونات أستاذ سوري عن المجتمع النجراني

(١٤٠٠ – ١٤٣٥هـ/ ١٩٨٠- ٢٠١٤م)

بقلم : أ. شريف عبد القادر قاسم



الدراسة الرابعة عشرة : من أقوال ومدونات أستاذ سوري عن المجتمع النجراني (١٤٠٠ـ١٤٣٥هـ / ١٩٨٠ـ٢٠١٤م) . بقلم الأستاذ شريف قاسم[(١)]

(١) للمزيد عن ترجمه الأستاذ شريف قاسم، انظر: غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب . جـ٣، ص ٢٦٣ . جـ٦، ص ٣٠٣ وما بعدها .

١. مقدمة :

لم يكن يخطر ببالي حين قدومي إلى المملكة معلما أن أشارك في مثل هذا التوثيق الذي تصدَّى له الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس الجبيري الشهري. وفقه الله. ولذلك حين طلب مني أن أكتب مشاهداتي وما كان من لقاءات وما جدَّ على المنطقة من تقدم حضاري ملموس في منطقة نجران ماعدت أتذكر تواريخ تلك اللقاءات والأحداث والاحتفالات التي قمنا بها كمعلمين في مدارسنا، أو شاركنا فيها على مستوى المنطقة، علما بأننا شاركنا في معظم نشاطات المنطقة الاجتماعية، مثل أسابيع المرور، والشجرة، والاحتفالات الوطنية المتعددة التي تبنَّتها الإدارة العامة للتربية والتعليم كاليوم الوطني، ومرور مئة عام على توحيد المملكة، وغيرها كثير كثير على امتداد أكثر من ثلث قرن . ولا أزعم هنا أنني أكتب تاريخا أو أرصد أحداثا، ولكنها مجرد ذكريات عايشناها منذ عام (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) وحتى كتابة هذه الكلمات . وبعد معرفتي بالدكتور غيثان وبمؤلفاته والجهود المضنية التي يبذلها للوصول إلى مبتغاه، وجدته يستحق الشكر والتقدير ، ولقد كتبتُ له هذه القصيدة : فهي مهداة للأستاذ المؤرخ الدكتور / غيثان بن علي بن جريس الجبيري الشهري. صاحب المؤلفات والبحوث والدراسات. أستاذ التاريخ في جامعة الملك خالد في أبها وفقه الله[١] .

هي أسفارُ باحث ظمآن ... لصحيح الأخبار في الأزمان
وأقاصي البقاع يُنبِّئُ عنها ... ولحال السكانَ والبلدانَ
والأحاديث عن حوادث دهر ... من قديم ومن جديد الأوانَ
من رسومٍ ومن مغانٍ وقومٍ ... سكنوها يومًا ومن أظعانَ
والحكاياتُ لم تزلْ، فصداها ... رنَّ بعدَ السنينَ في الآذانَ
نقلتْها أكفُّ فذٍّ أمين ... من بطون التاريخ دونَ توانَ
فكأنَّا نعيشُ سالفَ دهرٍ ... يتراءى لنا على الأجفانَ
بوركَ الباحثُ المؤرخُ غيثانُ ... ... وطوبى للباحث المتفانيَ
أحرزَ السَّبقَ إذ تقدَّمَ، تجري ... في الفيافي به بكارُ الرهانَ
فأتانا من كل حَدْب وصَوب ... بالروايات والسَجايا الحسانَ
في متون غنيَّة، وبشرحٌ ... سيغَ في موضوعيَّة واتِّزانَ
وتحرَّى فيها الصحيحَ المصفَّى ... من فساد الأهواء والوجدانَ
فهو الناقدُ المحقِّقُ في النقل ... ... وفي النهج، جاءَ، والإتقانَ
ولَكَمْ كان في السؤال صبورًا ... و وفيًّا لنسج أنقى البيانَ
حيثُ ينأى عن الخرافةَ، فالتاريخُ ... ... جهدٌ قد كَان للإنسانَ
فيه ما عاش من سرور ومجد ... وشجون وعزَّة و هوانَ
والحضاراتُ فيه ألفتٌ علاهاَ ... وازدهارُ الإنشاء في العمرانَ

---

(١) نشكر الأستاذ الشاعر شريف قاسم على هذه الهدية التي لا نستحقها، ولكن ذلك كرم من شاعرنا، فجزاه الله عنا كل خير . (ابن جريس) .

جالَ غيثانُ في محاورِها اليومَ ... ... فجاءتْ فوَّاحةَ الأردان
بدقيق الأسماء : أمكنَةُ الأحداث ... ... توثيقُها بلا نكرانَ
من نَصوصَ ومن وثائقَ تأبى أن تُوارَى عن ساحة العرفانَ
وبنقدٍ مُهذَّبٍ، وبجمعٍ لشتات الأخبارِ والحَدَثانَ
كتُبٌ صاغها بدِقَّةِ بحثٍ وبتحقيقِ سيرةِ الأعيانَ
فدراساتٌ عن بلاد سَراةٍ وبني شهرٍ في قديم الزمانَ
وعسيرٍ وبيشةٍ ثمَّ أبهاً وبني عمروٍ والمدى النجرانيَ
مئةٌ لو عددْتَها ثم زادتْ بازدياد البحوث في العنوان
وردود على الحقود، أذاقتْ طعمَها المرَّ (كارلَ بروكلمان)
وبحوث عن الحضارة والتاريخ ... ... أغناها منهجُ القرآن
وعن العلم والتَّعلُّم والهجراتَ ... ... روَّادُها من السكانَ
عاشَ غيثانُ في مرابعِها الخُضرَ ... ... فتاهت نفيسةَ الأثمانَ
ورعاها بالجهد والدَّأب الحلْوَ ... ... فألفاهُ عندَ طيب المعانيَ
ووجدنا ثمارَها يانعاتٍ دانياتٍ في سِفره الفينانِ
منه قد نالَ الدارسون مُناهمً واستظلُّوا بفيئه المزدانَ
ذاك تاريخُ أمَّةٍ ، وفصولٌ لعديد الأجناسَ والأديانَ
وحكايا حول الغدير، وأخرى في رواياتٍ قوةَ الشجعانَ
وبقايا : هي الرسومُ لربعٍ قد طوتْهُ سواءً في الأزمانَ
ما ألذَّ التاريخَ نرحلُ فيهِ للبعيد استهوى الحجَى والدَّانيَ
فيه خبراتُ أمَّةٍ، وتراثٌ وتعاليمُ دينِنا الرَّبَّاني
فهو الواعظُ الأمينُ لقومٍ إن جفوهُ أو غابَ في النسيان
فلكَ الشكرُ أيُّها الباحثُ الفذُّ ... ... ومرحى تنالُ أحلى بَنانَ
أنتَ رصَّعتَها من الدرر الزَّاهية ... ... اليومَ أسفرتْ والجُمانَ
ليس ينسى تاريخُ مملكَة الخيرَ ... ... بنيها من خيرة الفتيانَ
ذاك عبدالقدوس والمنهلُ العذبُ ... ... يساقي أفاضلَ الفرسانَ
تتهادى مجلَّةً ذاتَ شذْوٍ بزهور الآداب والعرفانَ
وأخوه الجوَّابُ بين المغانيَ حمدُ الجاسرِ الصدوقُ اللسانَ
ورجالُ أمثالُهم حيثُ هبُّوا للرقيِّ المحمود بالإنسانَ
حفظَ الله خطوَهم، ورعاهم بأيادي التوفيقِ والإيمانَ

٢ـ أصالة الماضي ونظرة الحاضر :

إنَّ الحياة الاجتماعية في منطقة نجران تكتنفها العادات والتقاليد التي تعرفها المنطقة منذ أمد بعيد... عادات وتقاليد أصيلة تعبر عن طبيعة المنطقة، وعن القيم التي عرفتها جزيرة العرب منذ أقدم العصور ، من الكرم والشجاعة والصدق والوفاء وإكرام الضيف، أذكر أن أحد رجال قرية الحرشف التي كنا نعلِّم فيها منذ خمسة وثلاثين عاما

، دعا معلمي المدرسة إلى طعام في بيته، وجاء بالتمر والقهوة، وعندما نضج اللحم جاء بالقدر إلى مكان جلوس الضيوف، وراح يخرج اللحم ويناول كل واحد منا بيده قطعة من اللحم، أمر غريب بالنسبة لنا، ولكن همس لي مدير المدرسة وهو مواطن سعودي قائلا بأن هذا نوع من الإكرام، ودليل على المودة، وبتقدير من الله سبحانه دعانا ابن ذلك الرجل بعد أن أصبح يعمل في نجران إلى بيت والده في الحرشف ، وقد توفي والده منذ سنوات. كما أخبرنا. وكانت الدار مبنية من جديد، والغرفة التي جلسنا فيها على غير النمط التي كانت عليه من قبل، وحان وقت الغداء، وقد جاء بالطعام على غير تلك العادة التي قام بها والده. يرحمه الله. وذكرت له ذلك، أو ذكّرته بذاك اليوم الذي تناولنا فيه الطعام عند والده، فتبسم وقال تلك عادة حلوة، لأنه كان يحب المعلمين . والحقيقة أن بعض العادات يصعب نسيانها أو هجرها، والبعض الآخر قد تغير بفعل الاحتكاك بمعطيات الحضارة الجديدة التي أتت على كل شيء[1] ، وهنا ندخل في موضوع للعادة فيه أثر ...

٣. عهد جديد :

مع بدء التطور في طلب العلم كان قدوم الإخوة المعلمين المتعاقدين للتعليم في المملكة، و عملية التعليم شاملة لنواح عدة ومن أهمها تعليم المنهج المقرر للطلاب، وكانت الأنشطة اللاصفية غير معروفة في المدارس آنذاك إلا في حيِّز ضيق جدا، بل أذكر أننا عندما بدأنا بتفعيل النشاط المدرسي، كان الكثير من الطلاب لايروق لهم أن يقوموا. مثلا. بالعمل المسرحي، أو أن يقفوا في حلبات الإلقاء والتعبير، وغيرها من الأنشطة، وكذلك حال أهالي الطلاب، فأذكر أن بعض أولياء أمور الطلاب كانوا يأتون إلى المدرسة طالبين منا عدم إشراك أولادهم في تلك الأنشطة، لأنه ليس من عادتهم أن يفعلوا ذلك ، ولكن ما إن انقضى العام الأول بأنشطته واحتفالاته حتى تبدلت الآراء، وتغيرت العادات، وأخذ التلاميذ يتدافعون للتسجيل في أنواع الأنشطة المدرسية والمسابقات الثقافية، وفي جميع المشاركات التي تتبناها إدارة التربية والتعليم في منطقة نجران .

ولقد نجحت تلك الأنشطة في المدارس نجاحا باهرا، شهدت على ذلك الحركة الدؤوبة والفاعلة بين القطاعات في نجران، بل امتدت تلك الأنشطة لتشمل المحافظات وبعض المدارس في بعض القرى، وكأنها أصبحت من العادات المحببة لدى التلاميذ وأولياء أمورهم ، ويرجع الفضل هنا. حقيقة. لاهتمام مدير عام التربية والتعليم الأستاذ عبدالعزيز العياضي ومن جاء بعده، فكانوا يحضرون معظم الاحتفالات التي تجري على مسرح الإدارة العامة للتربية والتعليم، ومعظم الاحتفالات والمسابقات التي تقام في المدارس، فكان اهتمامهم دافعًا قويا لمعلمي النشاط، وكانت متابعاتهم مشجعة للمضي قُدُمًا في هذا المضمار، وكنتَ تجد الحماس من قِبَل الطلاب في كل أنواع الأنشطة، وهناك العديد منهم من رافقته موهبتُه

(١) أشكرك يا أستاذ شريف قاسم على هذا الرصد الموجز، وحبذا أن تدون لنا دراسة مطولة ترصد تاريخ الحياة الاجتماعية في نجران كما عرفتها وشاهدتها منذ بداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠.٢١م)، ثم تقارن تلك الحياة بحياة الناس اليوم . (ابن جريس).

حتى في وظيفته بعد التخرج من الجامعات أو المعاهد، وعلى سبيل المثال الطالب / محمد سعيد آل مهمل القحطاني الذي كان ممن شاركوا في حلبات الإلقاء والتعبير في مدرسة الفاروق الابتدائية، فهو اليوم خطيب جامع الإمام البخاري (المثلث) وإمامه، إضافة إلى عمله الوظيفي في المحكمة الجزائية في نجران، ولا يزال ـ وفقه الله ـ يحتفظ بالاحترام والتقدير لنا، ويقول هذا أستاذنا في التعليم، وهو الذي أشرف على تدريبنا في حلبات الإلقاء، فأشكره وأمازحه وأنا أقول: كان طالبنا وأصبح شيخنا . وغيره كثير ممَّن انتفعوا بعلمهم وبمشاركتهم بالأنشطة المدرسية، ورأينا منهم المعلم والطبيب والموظف ...

٤ـ الجدية والإخلاص في الأداء :

ولا أشك مطلقا في إخلاص المعلمين في التعليم وفي أدائهم للأنشطة، حيث كانوا يعملون بجد ونشاط وتفان، يظهر ذلك في حضورهم المبكر، وتأخرهم بعد أوقات الدوام الرسمي ، وكنتَ تلمح في وجُوههم علامات الرضا والصبر والعصامية التي يتحلى بها أولو الإخلاص والوفاء وهم يؤدون واجباتهم وما تمَّ تكليفهم به من أعمال وإنجازات . وتبقى هذه الذكريات منطبعة في أذهانهم لقيم تعليمية أو لحياة اجتماعية أو لنواح ثقافية، وأراها صورة حيَّة رسمها أولئك المعلمون المتعاقدون من مختلف الجنسيات العرَبية. ففي قرية (الحرشف) كانت أولى خطوات النشاط حيث أقامت الإدارة العامة للتربية والتعليم مسابقة في كتابة المسرحية، وشاركتُ فيها بكتابة مسرحية شعرية عنوانها : (بلال رضي الله عنه) ونالت الدرجة الأولى بين مَن شاركوا في الكتابة آنذاك، والتقيت بعدها الأستاذ محمد أمين الشيخ ـ مصري الجنسية ـ كان موجها للغة العربية، كما كان شاعرا، ولي معه مساجلات شعرية مازلت أحتفظ بها . وكانت لنا لقاءات كثيرة في العام التالي (١٤٠٠/١٤٠١هـ) في بيتي أو في بيته وأحيانا في إدارة التعليم، وكانت معظم أحاديثنا عن النشاط المدرسي وعن تفعيل دور اللغة العربية الفصحى بين التلاميذ، ولم تطل المدة حيث غادر بعد ثلاثة أعوام إلى بلده مصر، وجاء نعيه بعد سنتين ـ يرحمه الله ـ وكانت اللقاءات الفاعلة في هذا الميدان مع الأستاذ صلاح الدين عبدالعزيز نصر ـ وكان مشرفا على النشاط في المنطقة ـ وكانت لديه من الخبرة والقدرة والصبر مالم أره عند غيره، ومع احتكاكنا ببقية مدارس المنطقة في المسابقات الثقافية، ثم في حلبات الإلقاء والتعبير، ثم في مسابقات القطاعات، تم التآلف مع عدد من رواد النشاط الطلابي ومنهم الأستاذ / سامي فوده الذي كان جارا للأستاذ صلاح، وقلما يفترقان، وكان له باع في هذا النشاط في الثانوية التي كان يدرِّس فيها .

كانت أيام جميلة، وأصبحت ذكريات حلوة، مانغَّصتها إلا أخبار وفاة هذين الأستاذين الفاضلين وغيرهما من الإخوة المعلمين الذين شاركوا بأنواع من الأنشطة كالأستاذ / ساري أمين: (قاص فلسطيني)...

ومما لاشك فيه أن حركة التربية والتعليم كانت تسير على أفضل وجه، وكنا نشعر بروح المودة والإخاء بين المعلمين، ويتسابق المعلمون في ملء ساعة الانتظار التي تكون

لأحدهم، وقد ذهب في مهمة للمدرسة هنا أو هناك، كما كنا نشعر ـ ولا زلنا ولله الحمد ـ بتلك الروح أيضا بيننا كمعلمين متعاقدين وبين أولياء أمور الطلاب، وربما يأتي ولي الأمر إلى المدرسة فرحا لنيل ابنه جائزة أو خطاب شكر وتقدير لمشاركته في نشاط، أو لفوزه في مسابقة، ولقد كنا نفرح أشد الفرح حينما نكتشف عند الطالب موهبة في جانب علمي أو ثقافي أو في أوجه النشاط المتعددة، ونقدمه إلى إدارة التربية والتعليم في المنطقة ، وكنا نلمس هذا الفرح أيضا حينما نرى معلما ذا طموح وإخلاص في عمله ورؤاه وإنجازاته، فالمعلم الموهوب والطالب الموهوب هما عماد نجاح عملية التربية والتعليم، وهما أساس تفوق وتألق النشاط المدرسي . فلهذه الموهبة وذاك الطموح طعم خاص، وتميُّز خاص، فهما جناحا الطالب، بهما يشق عباب الحياة، ويصل إلى هدفه السامي، وهو قرير العين، هادئ البال، ولقد رأينا وعرفنا العديد من الطلاب الذين وهبهم الله تبارك وتعالى هذين الجناحين، ووصلوا بهما إلى غاياتهم المنشودة، بفضل الله أولا ثم بفضل أولئك المعلمين، ومنهم أصحاب المواهب والطموح الذين بهم تُبنَى الأجيال الراشدة الواعية التي تعرف قيمة الحياة وقيمة المواطنة الصالحة . ولكل المعلمين الذين يحرصون على قيامهم بواجباتهم التربوية والتعليمية والاجتماعية، ويعتبرون ذلك واجبا عليهم ... الشكر والتقدير من دولتهم ومن إداراتهم التعليمية، فهم بجدهم وتواضعهم وتفانيهم، وحبهم لرؤية طلابهم متفوقين ناجحين، يحبون تشجيعهم ودفعهم نحو آفاق الرقي والنجاح .

٥ـ الإعداد والتهيئة :

أذكر أننا كنا نجتمع كمدربين للنشاط المدرسي، فنؤلف بعض المسرحيات، ونعد بعض كلمات لحلبات الإلقاء والتعبير، كما كنا نكتب بعض النشرات التوعوية في هذا المجال، كما كتبتُ عشرات الأناشيد في مختلف المناسبات، وقد استحسنها مديرو التربية والتعليم الذين عاصرناهم على مدى ثلث قرن في المنطقة، وتطور الأمر إلى إصدار مطويات وكتيبات حول أنواع النشاط الذي ازدهر ازدهارا كبيرا، ودخلت المنطقة في مسابقات مع بقية المناطق، وفازت بالعديد من الجوائز وشهادات الشكر والتقدير من الوزارة، كما شارك طلاب المدارس بالمناسبات التي أقامتها بلدية نجران ومرور نجران وبعض الجهات الحكومية الأخرى، من خلال تقديم مسرحية أو أنشودة أو استعراض حول المناسبة .

٦ـ مع أبناءِ المدارس والنشاط الطلابي :

فالنَّاشئ يجد في بساتين الأناشيد الهادفة حلواه التي تطيب له في نشاطاته المختلفة، وحيويته المتدفقة، حلوى روحية وفكرية تغذي سلوكه بالتهذيب، وتهيئ له أصول تنمية شخصيته، وتفتح منافذ عقله وتطلعاته على المفاهيم القويمة، والآراء السديدة، وتمنحه قدرًا معقولا منها ... ليُعِدَّ نفسَه للمزيد . وإذا كانت الأناشيد إحدى وسائل الأنشطة الطلابية، حيث لها مكانتُها في الاحتفالات المدرسية، كما في حلبات الإلقاء والتعبير، والأداء الاستعراضي، وفي المواقف الترحيبية ... وغير ذلك فإن شُعب النشاط الأخرى لاتقل أهمية عن هذا المجال، وبها جميعا تتكامل عملية استيعاب وتطوير مواهب وقدرات

الطلاب، وتحرك في أعماق نفوسهم العواملَ التي تثيرُ الوعيَ، وتدفع إلى العمل الجاد، ومحاور الأنشطة الثقافية والتوعوية والعلمية والاجتماعية، وهي التي تتعامل مع الفكر ونوازع النفس، وتنزل بالطالب إلى الميادين الأدبية بمختلف فنونها، فإنها تتداخل مع الأناشيد، وتتفاعل مع معانيها ومقاصدها لصياغة السلوك الأسمى والأرقى للطالب. إضافة إلى الأنشطة الأخرى من كشفية ورياضية وهي تتعامل مع الجسم مباشرة ... تندرج جميعُها لتساعد على تشكيل مقوِّمات النشأة الصالحة الواعية، وتحرر الطلاب من عقد الخجل والخوف والانعزال، وتبعدهم عن مساوئ الضغوط النفسية، وتقودهم إلى مواطن التفاعل الاجتماعي الموزون، من غير انفعالات أو تشنجات أو عدوانية وتؤدي بهم برامجُها إلى منحهم الثقة بأنفسهم، ليختاروا رغباتهم الأثيرة في ظل رعاية مدرسيَّة لاتخطئ الاستفادة من كل الإمكانيات المتاحة، ومن شمولية مقاصد النشاط وارتباطه أصلا بمفاهيم السلوك، وأثره على وجدان ومشاعر الطلاب، وتوظيف مهاراتهم وإبداعاتهم لما ترتقبه بلادهُم منهم، وهذا يؤكد ضرورة تقويم إنتاجية عمليات النشاط الطلابي في بيئة المكاسب الاجتماعية الإيجابية للطلاب، وليجدوا ثمراتها بين أيديهم في حُسن تصرُّفهم، وأخذهم بالسلوك النظيف القويم من خلال تعرُّفهم على المعطيات الاجتماعية المألوفة بحيوية واهتمام . ثم ليقفوا بشجاعة ووعي لمواجهةَ الجديد، الجديد في كل منعطفاته الجميلة والقبيحة، لدرء الأخطار التي تهدِّدُ السلوك والفكر على حدٍّ سواء . ومن هنا يشعرون بأهمية ومكانة تربيتهم على قواعد عقيدتهم الإسلامية الصَّافية، وأصالتهم الرَّاسخة على القيم النبيلة والمآثر السامية، والسَّجايا الغالية كالإيثار وحب الخير والأعمال التطوعية، وإقبالهم على المشاركة الفاعلة فيها، ولتكون أوقات فراغهم مجالا رحبا لجلائل الأعمال، وتفعيل مكارم الأخلاق . ومنطلقا إلى كلِّ مغنىً يُعتدُّ بقيمته في إدارة ساعات الليل والنهار التي لن يسميها هؤلاء أوقات فراغ - بعد اليوم - فإن طلب العلم، ومزاولة الأنشطة الكريمة، ومؤاخاة مصادر التَّعلُّم بحكمة واتِّزان، ومجالسة أهل القيم العلمية والفكرية، وورود منابع المعرفة، كلُّها مكوِّنات للرقيِّ بالنَّفس، وتشذيب هندسة سيرتها الأولى في مراحل الصِّبا واليفاعة، وذلك بصنع القوالب السلوكية التي لاتنأى عن مرامي مجتمع فاضل كريم . يستحسنُها - الناشئ - وهو يوظِّفُ ربيعَ صباه، وعنفوان شبابه للرقي بذاته وبوطنه وأمته، ولا يتقبَّل المسالك المجهولة التي يرتادهاَ المفلسون والمترهلونَ الذين يجدون مُتَنَفَّسَهُم المستَوحَى من الضياع والخسران .

وإذا كانت البيئة التعليمية هي التي تحتضنُ النشاط الطلابي، فإن التداخل بين المناهج المدرسية والبرامج اللاصفيَّة حاضر في تلك البيئة، وبينهما رواد التربية والتعليم من المعلمين والمشرفين وسائر جهات الاختصاص في هذا المجال الحيوي . وإذا أُريد للنشاط الطلابي أن يُؤتي ثماره، ويصل بالطلاب إلى أهدافه القيِّمة على امتداد المساحات التعليمية، فلا بدَّ من معرفة مكانة العلم بالدرجة الأولى، ومكانة المعلم الواعي المخلص، ثم العلاقة الحميمة بين هذه الركائز، وبين قدرة النشاط المدرسي على تقديم بعض الصياغات في تنشئة الشباب المأمول.

٧.رعاية المواهب أمر ضروري :

من خلال تجربتي لأكثر من أربعين سـنة في التعليم، وفي مزاولة العديد من الأنشطة مع أبنائنا الناشئين، لايعروني شك أبدا في أنهم أهل لحالات الارتقاء، ويستحقون عرق الجبين وتعب اليمين. كما يُقال. والشّاذ منهم في هذا السوق الأثير لاقيمة له، بل ربما يُرجَى له أوبةٌ لوعيه، وتقويم لشأنه، بطريقة أو بأخرى . ولا يستطيع هذا المغاير لزملائه أن يوقفَ مسيرة الأسباب التي تسدّدُ خطوات السائرين على مدارج عملية الرقي بالتربية والتعليم، ومن هذه الأسباب : المعلمون الذين يجب أن يخرجوا من محيط محدودية عطاءاتهم إلى آفاق عليا، فنجاح عملهم التربوي التعليمي لايكون بمجرد تقديم المادة المنهجية لطلابهم خلال وقتها المحدد، وتنتهي مهمتهم عندها . بل يجب أن يوقدوا شعلة الإيثار في جوانحهم، ويحوِّلوها إلى توقُّد في روح الطالب وفكره، وأن يحسنوا استغلال حالة الاعتمال والتَّوثّب في نفس الطالب، وهو يرى أن التكافؤ بين العمل الوظيفي البحت لمعلمه، وبين توليد عمليات أخرى سامية وراقية، بل ومقدسة في بعض الوجوه لدى الطلاب، لامكان له في بيئته التعليمية، وربما قرأ هذا العنوان أُولئك الذين شبَّهوا المعلم بالشَّمعة التي تحترق، ولكنها لاتُضيءُ، أو بالشجرة المثمرة الظليلة ولكنها حَرَمت الناس من ثمرها وظلها بطريقة ما !! .

٨. يجب الاعتماد على الله، والأخذ بقيم ديننا الأخلاقية :

إنَّ الإيثار المحمود شرعا ومنطقا ذو نتائج وثمار، وتفسيره عند أصحاب الوجدان الحي، وأصحاب الثقة بالله الذي لايضيع لعبد عنده مثقال ذرة من جهد أو بذل، فَلْتكن ثقة معلمينا بربهم كبيرة، ولْيدَّخرْ كلٌّ منهم عند الله جهدا فائضا على الجهد الوظيفي المأجور. أصلا. عند الله، إنَّ هذا الإيثار عند الله مع النية الصادقة التي لايشوبُها حبُّ السُّمعة، ولا يطمسُها حبُّ الظهور، ولا يبعثرُها زيفُ الرياء، لهو الأمانة المحفوظة، التي تعزِّزُ المسيرة التربوية التعليمية، وتُغني شُعب النشاط المدرسي بالقيم والمفاهيم التي يستجليها الطلاب في برامج ذلك النشاط .

أجل ... يجب أن يَغنَى تعليمُنا بهذه الروح، وتتبلور الرعاية له على هذا الأساس، والتَّواني . هنا . نكوص وتراجع عن الأخذ بالقيم، وعن تأدية الحقوق . إنَّ المتواني امرؤٌ لم يطق حمل الأمانة، وربما دعكتْهُ التأملاتُ الخاطئة أو المنحرفةُ أو القاصرة في عمله الوظيفي . ومن هنا يكون ضياع الرُّؤى الوضيئة، وكساد بيادر المهارات والمواهب والقدرات التي منحها الله سبحانه وتعالى للأبناء في هذه المراحل من العمر. فالتخيُّلات الباردة، والتثاؤب العريض يرتدَّان بالإنسان إلى الوراء، ونحن في زمن يتقدم فيه غيرُنا بقوة وشجاعة إلى الأمام . وهذه الصِّفات ليست من مآثر آبائنا وأجدادنا، ولا هي من تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف، ولا نجد حرجا . هنا . لذكر المآثر والتعاليم لأولئك الرجال الأبرار . فنحن مضطرون الآن لذكرها . حيثُ الأوامر الربانية التي صاغت مجتمعنا الأول هي وحدها القادرة على صياغة مجتمعنا الفاضل من جديد في الجانب التعليمي، وفي كل جوانب الحياة الأخرى، وليس في

غيرها أبدا نجاح لنا ولأبنائنا . لقد شهد غيرُنا لنا بهذه الميزة، يقول أحد مفكري الغرب : (ظلّتْ أوروبا نحو ألف سنة تنظر إلى الفن الإسلامي كأنه أعجوبة من الأعاجيب) . إنّ للعلم سوقا رائجة عند الناس، وله سوقه الرائجة عند الله مكانة وثوابا، ومهما خبّأ المستقبل من نقرات على لوحات مفاتيح التقنيات، فلن يُفاجأ الإنسان المؤمن بالله، الآخذ بناصية العلم الشرعي والكوني، اليقظ في محراب التّقوى بأيّة معلومة جديدة أو عجيبة أخذت مكانها ومكانتها في هذه القرية العالمية مهما صغرت وتقَاربت أبعادُها . لأن دعوة ديننا الإسلامي لطلب العلم تحمل معها قدرتَها المطلقة على استيعاب كل جديد وعجيب، ويقول تبارك وتعالى : (ألا يعلمُ مَن خلق، وهو اللطيف الخبير)، ولقد سجد العلم في محراب الإيمان بالله قديما وحديثا، واستقطبت حركة الإسلام العلمية مفكرين وعلماء من مختلف الجنسيات والملل، وسجدوا لله في محراب معرفتهم، إذعانا لقدرة الله، وخوفا من الله، لأنهم علموا، يقول سبحانه : (إنّما يخشى الله من عباده العلماءُ)، ويقول جلّ شأنه : (وفوق كلّ ذي علم عليم) . من أجل ذلك كانت السعادة تغَمر قلوب المعلمين من سلفنا الصالح، وهم يؤدُّونَ واجب التربية والتعليم لأبناء الأمة بكلّ ماليديهم من خبرات وتجارب، ومن رجاحة عقل وقوة إيمان . منهم مصعب بن عمير (رضي الله عنه) وهو يتوجه إلى المدينة المنورة معلما ومرشدا ، ومنهم معاذ بن جبل (رضي الله عنه) وهو يشدُّ الرحال إلى اليمن معلما وقاضيا، ومنه جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) وهو يركب البحر إلى الحبشة هاديا ومدافعا عن الحق ... لم يكن الراتب يحرك مشاعرهم أو يثري عطاءاتهم، ولم يكن حب الشهرة والجاه والمنصب يبعث فيهم الحيوية والنشاط، وإنما هو الوفاء والإيثار وإنكار الذّات، وإنما هي النوايا الصادقة والسجايا الحميدة قدّمتهم أمثلة تحتَذى للتاريخ، وسيرا لاتفنى مع مرور الأيام . وهنا يكمنُ سرُّ التوفيق الذي رافق الحِقبَ الكريمة من عمر أمتنا، فكبر قدْرُها، وسمت مكانتها بين الأمم، في حين أشاع حبُّ التّعلّم بين مختلف شرائح المجتمع حالة نادرة لم تُعهدْ من قبل عند غيره من المجتمعات العالمية، ونعمة إشاعة العلم على هذا النحو تؤكد إيجابية حالات التغيير إلى الأسمى والأرقى، تلك التي قدّمها منهجُ النُّبوّة إلى أبناء المسلمين، وغير المسلمين على وجه المعمورة .

٩ـ العلم هو زاد الرقي والتطور :

إنَّ طلبَ العلم فريضة على كل مسلم ذكرا كان أم أُنثى كبيرا أو صغيرا، ففيه استثمار للقدرات، وتوجيه للطاقات، وتفعيل للمواهب، وكلّ هذه يأتي بها المعلمون، وهذه هي بيئة التعليم الناجحة الموفقة بمشيئة الله، ويقابلها البيئة الثانية التي تفتقد إلى تلك المقومات التي وجدناها في البيئة الأولى، فهي بيئة الجهل والتّذمر والتخبط والتّرهل على نهار غير مشمس ولا مشرق بأيِّ أمل . وكأن تلك البيئة منفى لمَن قيّدوا عقولَهم وطموحاتهم ببغض أصول المصالحة مع أسرار النهضة والحضارة والعمران التي يشهدُها العالم الإنساني اليوم، وتشهدها المملكة، كما تشهدها بلادنا العربية والإسلامية بفضل من الله وتوفيقه . ولا قيمة لحضارة من غير علم يسجد في محراب الحق تبارك وتعالى، ونعوذ بالله من علم لاينفع . روى النسائي والحاكم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم كان يقول في بعض دعائه : (اللهم انفعني بما علَّمتني، وعلِّمني ما ينفعُني، وارزقني علما ينفعني) وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه زيادة (وزدني علما) رواه الترمذي .

هذا العرض عن أهمية العلم والتعلم، وقد استُهلَّ بالنشاط الطلابي اللاصفِّي ليس توهةً على أبواب انفساح إضاءات انديـاح المعارف العلمية في هذا العصر، أو على أبواب ثورة المعلومات - كما يقولون - وإنَّما لابدَّ منه كإطلالة وثيقة الصلة بعموم البيئة التعليمية تربيةً وعلمًا ونشاطا وسلوكا ... لغرس عوامل النَّماء الحيَّة، وتخطي ذبول وَقد المشاعر في صدور أهل العلم (معلمين وطلابا) ، ليُعادَ إليهم الفرحُ الروحي المتأجج في قلوبهم، الذي يتلمَّسه كلُّ صادق بَرٍّ، وكلُّ جَوعان إلى رؤية مشاعل العلم تضيءُ كلَّ بيت وحارة، وكلَّ قرية ومدينة، وهذا هو المجدُ العلميُّ الذي يُبرزُ المواهب ويُنمِّيها، ويقف عند القدرات ويرقى بها، ويرفعُ ألوية التوعية التعليمية والفكرية . لقد كتب الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الولاة في الأمصار : (أما بعد : فعلموا أولادكم السباحة والفروسية، وروُّوهم ماسار من المثل، وحسُنَ من الشعر) . ليشتدَّ أزرُ الناشئين بأسباب الرفعة والقوة، ويؤهلهم بهذه الأنشطة إلى مقامات الرجال في مستقبلهم، ولقد رأى الفضل بن زيد ... ابنَ أعرابية، فأعجبه مافيه من قوة الجسم وحُسْن المنطق وسرعة البديهة، فسأل كيف ربَّت هذه الأعرابية ابنَها ؟! فكان جوابُها : (أتمَّ خمسَ سنوات فأسلمتُه إلى المؤدب - أي المعلم - فحفَّظه القرآن فتلاه، وعلَّمه الشعر فرواه، ورغب في مفاخرة قومه، وطلبَ مآثرَ آبائه وأجداده، فلما بلغ الحلم حملتْه أعناق الخيل فتمرَّس وتفرَّسَ، ولبس السلاح، ومشى بيَن بيوت الحيِّ، وأصغى إلى صوت الصَّارخ) . أجل هذه هي الهداية القويمة التي منحتْها فطرتُها لها، فأحسنتْ تفعيلَ أسباب الإيمان بالله، وأسباب العمل والقوة والنشاط في سلوك ولدها ... وهي أمورٌ تدعو لضبط تربيتنا وتعليمنا لأولادنا وطلابنا على هذا النحو . وتتدرجَ في هذا المنهج كلُّ مقومات النشَأة الصالحة الواعية ، فيشعر الأبناء بين أهليهم ومعلميهم بالجرأة الأدبية، وباتِّزان الشخصية، وبالقدرة على ترجمة مايعتمل في صدورهم إلى أداء صالح، وسلوك قويم، وإنتاج نافع . وهم متبصِّرون بكلِّ مايؤذي بصحتهم الروحية والنفسية والجسدية، فينأون عنه ويحذرون منه، آخذين بما استحلى وسما في عقيدتهم الإسلامية، وبما جلَّ قَدْرُه من إرشاد معلميهم، فعند ذلك تأتي النتائج طيبةً يانعة من مناهج التربية والتعليم، ومن برامج الأنشطة المدرسية، وبهذا يتفوَّقون ويحرزون قصبَ السَّبق في ميادين التسابق والمساهمات العلمية والثقافية . فيخرج الناجحُ منهم إلى جنَّة مستقبَله غيرَ كاسف البال، ولا حزين الفؤاد، كغيره من الذين شذُّوا فابتعدوا عن إشراقات المَناهج وتألُّق البرامج، ويومها يستحق هذا المتميز الشكر والتقدير والإكرام من مدرسته، ومن وجهاء الحيِّ في حارته، ومن قادة بلده، يؤكد حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله على : (أنَّ الصَّبيَّ إذا ظهرَ منه خُلُقٌ جميل، وفعلٌ محمودٌ، فإنه ينبغي أن يُكرمَ عليه، ويُجازَى عليه بما يفرح به، ويُمدح أمامَ الناس على الخلق الكريم، والفعل الحميد) . فشهادات الشكر والتقدير، والجوائز العينية، وما في هذه الأبواب أمورٌ تُستحسنُ لإشعار الناشئ بالاهتمام والعطف والمودة، فتراه وقد تألَّقَ

وجهُه بالبشر والفرح، وفاضت نفسُه بالمسرة والغبطة، وكأن هذه الأمارات تدلل على أنه صاحب الفوز والسَّبق في مجتمعه المدرسي وقد قدَّم فرائد النَّفائس . روى ابنُ عمر رضي الله عنهما : (أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم سبَّقَ بين الخيلِ وأعطى السَّابقَ) رواه أحمد .

إنَّ حضور هذه الاهتمامات بالطلاب لبناء شخصياتهم، ومدِّها بعناصر التطوير والتقويم، تدفع إلى اجتماع عواطفهم في عاطفة واحدة يُغنيها ويُؤلفها حبُّهم لمستقبل نضر كريم، يرسمُه لهم معلموهم من خلال التَّكيُّف مع البيئة الخصبة المعطاء، فلا تخطَّفهمُ يدُ الضياع، ولا يلوي مسيرتهم المباركة عنفوانَ التَّفلُّت، وإنَّما تسلمَ يفاعتُهم وتنطلق على ميادين الازدهار، كما لايساور رواد التربية والتعليم القلق والحيرة في شأنهم، مع وفرة المادة التوجيهية والعلمية والسلوكية .

١٠ـ واجب لابدَّ من القيام به :

وفي الختام يجب على أولياء أمور الطلاب وعلى التربويين و المعلمين أن لايتوانوا حيال بذل المزيد من الجهود والإيثار والمثابرة، وعليهم أن يُشعروا طلابَهم بأهمية أعمارَهم، وضرورة الاهتمام بمناهج التربية والتعليم وبرامج الأنشطة الكريمة، وأن يُفاخروا بتفوُّقهم وتألُّقهم في مناهجهم وبرامجهم، حتى يوقن الطلاب بأن طلَبَ المعالي لايتحقق إلا بالَسهر والمَواظبة بين أحضان هذه الكتب، وآفاق تلك الأنشطة . وأن مزاولة الأنشطة ليست للتسلية وتضييع الأوقات، وإنما هي إحدى دعائم التنسيق الناجح بينها وبين المناهج المدرسية، والحياة العملية، كما على المعلمين أن يحسنوا في إيجاد نوع من سلطة الاحترام المتبادل القادر على تغليب المنطق والخُلق الحسن على ماسواهما من تصرفات شائنة، لحل المشاكل التي قد تقفز على مناضد المقاعد المدرسية لسبب من الأسباب . لكيلا تُفسدَ الأهواءُ قوة العطاء وحبكة الاندماج الإيجابي في الأداء التعليمي . كما عليهم أن يضحُّوا ولو بجزء من أوقاتهم عن قناعة ورضا لأجل إتمام معاني الحرص على قدسية التعليم، فلا وجود لوقت ضائع، أو لوقت هامشي، وإنها لَمهام وإنجازات ومآثر ... إذا تحقق حضورُها فقد أفلح العالم والمتعلم، وفاز المجتمع . وإن لم يتحقق شيءٌ من ذلك فقد خسر الجميع مزية السعي نحو السعادة التي تُرجَى للمجتمع وللأمة بل وللإنسانية . يقول الله سبحانه وتعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) ١٠٥ / سورة التوبة .

ولقد صغتُ الكثير الكثير من الأناشيد في هذا المضمار ومنها :

× ملتقى نجران الأسري ×

أسرتي جنتي

مُلتَقانا اليومَ عَذْبُ النَّفحة	يتهادى بجميل الصِّلة
ويُعيدُ الأنسَ فينا قيمًا	تتجلَّى في ظلَال الآيَة
وبأفياء حديث نيِّر	قاله الهادي نبيُّ الرحمةَ
سكنٌ يُرجَى، وأمنٌ وارفٌ	فمغاني أُسرتي في جنَّتيَ
فلْنَجِدْهَا في يَدَيْ برنامجٍ	وبدوراتٍ ثِقاتِ الفكرةِ

***

ملتقَى نجرانَ، وَلْتَشْدُ الطيورْ — أسرتي جنَّةُ عيشي والحُبُورْ
لاتُجافيه نُسَيْمَاتُ المُنى — فالمدى طَلْقٌ، ومرماهُ وثيرْ
الشِّعارُ الحُلْوُ فيَّاضُ الرُّؤى — في لقاءات الشباب المستنيرْ
يجدُ العيشَ حفيٌّ بالهدى — وبنور البارئ المولى القديرْ
جاءَ للأسرة نهجًا لايرى — غيرَ وُدٍّ و وئام في العصورْ
فتعالَوْا هاهنا نلقَ الذي — لم يَجِدْهُ الناسُ أصحابُ الغرورْ

وهذه أنشودة تم إنشادها في إحدى المدارس : (آثرنا الفوز ...)

عِشْنا بمغانيك الخُضر — في ظلِّ النَّهضة والخير
وَرحابُك يانجرانُ، وهلَ — أحلى من واد ذي قَدْرَ
فيك التَّاريخُ له شدوٌ — بالمجد الوارف والفخرَ
ويدُ الآثار تجدِّدُها — عزماتُ شباب في العصرَ
هاهم أبناؤكِ قد جدُّوا — ليعيدوا نغْماتِ القمريْ

***

طلاَّبُك أصحابُ الهمم — في بدء السَّعي ومُختَتَم
يسقون حقولَ مواهبهمَ — بالوعيِ الثَّرِّ وَبالقيمَ
في ظلِّ مغاني مملكة — يرعاها الباري ذو الكرمَ
بمدارسها ومعاهدهاً — وبجامعة النَّبع الشَّبمَ
جاءتْ كي يرقى موكبُنا — في أُفْقِ عُلانا المبتسِمَ

***

نأتي في الصُّبح ونستبقُ — والعلمُ مدانا المؤتلقُ
في البيت لنا شأنٌ ولنا — بجنان العلم هفا العبقُ
إذْ أغلى مافي دنيانا — قلمٌ بيديْنا والورقُ
آثرْنا الفوزَ بما يُرضي — عنه البارئُ ثمَّ الخُلُقُ
لن ننسى رُوَّادًا بذلوا — لتزولَ الوحشةُ والغسقُ

١١. نتائج وثمار، ودعوة لمواصلة الطريق :

أعداد كبيرة من طلاب نجران تخرجوا، وأعداد أخرى مازالوا يواصلون دراستهم في مراحل التعليم، وخصوصا بعد افتتاح جامعة نجران، والعديد من المعاهد، ولا بد لهذه الأعداد من رواد كِبار في التربية والتعليم ، يتركون أثر قدراتهم واهتماماتهم في نفوس

هؤلاء الطلاب، ويبثون في صدورهم أسس القيم الكريمة في الصبر والعصامية والجد في العمل ، وقيم المواطنة الصالحة الصادقة، وأن يبعدوهم عن العادات السيئة، ويبينوا لهم قيمة الأخذ بالسجايا الحسان، كاحترام الوقت الذي هو عمر الإنسان كفرد، وعمر الأمة كمجموعة، وعمر الوطن كحضارة ورقي، وأن يعرف الإنسان حُسن إدارة الوقت، وكيف يستفيد من ساعات الليل والنهار ، فكم من طالب أو معلم فاته الكثير من الخير وهو نائم عن القيام بواجبه، أرهقه السهر الذي لاجدوى منه، وإنما أقعده فريسة للإرهاق والبطالة النى لاتعرف الإنتاج والاستثمار ، وهذا السهر ثم هذا النوم إلى آخر ساعات الضحى أجبراه على الغياب المقيت عن أداء واجباته، فأين الوعي بقيمة الزمن ؟ وأين حب الوطن الذي نتغنى به ونحن غائبون عن محطات بنائه وازدهاره ؟ سبحان الله الذي هدانا إلى سر التغيير، التغيير الذي يكون بالهمة والإرادة وحسن التفكير والتدبير، يقول الله عز وجلّ : (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (١١/ الرعد).

ألا فَلْنبعد الكسل والتواني واللامبالاة، و نطمس كلَّ معاني العجز، فلا عجز مع الشباب، ولا قعود مع عزيمة حيَّة تتوقد في الصدور . فالتغيير هو المعادلة السهلة إذا ماحمله الشباب المتوثب بحكمة عقله، وصدق قلبه، وعظيم إيمانه بربِّه، وبهذا التغيير تتسامى أسباب الرقي بالحياة الثقافية والعلمية والاجتماعية، التي تلازم الشباب ساعة ساعة في رحاب مجتمع ينشد الرقي والنهوض على أسمى مدارج الحضارة الإنسانية. هذه الأجواء التي يعيشها اليوم الشباب في نجران وفي سائر مناطق المملكة، يجب ألا يجعلوا الطموح يقف منها موقف المستريب، بل يجب أن يوقدوا قناديل الأمل، ويشمروا عن سواعد العمل والإنجاز ، ويحرصوا على أداء الواجبات، ويشقوا طريق مستقبلهم بالحماس والدأب، ليروا عندئذ مجتمعهم الشبابي عامرا بالشعور بالمسؤولية ، مشمولا بالإتقان، محمولا بالمزايا التي يطمئن إليها مجتمعهم الذي ينتظر منهم المستقبل الموعود بالخير والسؤدد إن شاء الله .

١٢.قراءة في دور بعض المؤسسات الحكومية النجرانية (هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنموذجا).

إنَّ الدور الريادي الإسلامي الذي تقوم به رئاسة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مناطق المملكة العربية السعودية في حماية بيئة النشء ذكورا وإناثا، والمحافظة علي سيرهم المحمودة، وإنارة آفاق مساعي الناس عامة في هذه البلاد المباركة لتسمو نفوسهم نحو مايؤمله المجتمع من أبنائه في الأخذ بما كان عليه السلف الصالح من أخلاق وآداب وتطلعات، لتكوين القدرة لدى أبناء مجتمعنا على الأخذ بتلك التعاليم القويمة، وإيجاد المواطن الصالح والمجتمع الصالح الذي يشعر بأهمية ماوهبه الله من تشريع رباني، ومن عقل وطاقات وقدرات، ومن ذات إنسانية لاحدود لآفاقها في عمل الخير، والمساحات التي يمكن أن تستخدمها في مجال الهداية، وهذا ما يزرع الثقة في النفوس، ويدفع الجميع للتعاون على البر والتقوى في إيجاد تلك البيئة التي تظللها أفياء النبُوَّة . ومنطقة

نجـران كسـائر مناطق المملكة لها إرثهـا الكريم وعاداتها الفاضـلة، ولكن لابد من وجود مَن يشـذ في كل مجتمع بل في كل أسرة، وخصوصـا بعد التعاطي مع معطيات التكنولوجيا الحديثـة والشـبكة العنكبوتية، التي أثَّرت على بعض الشـباب في كثـير من الأحيان، حيث جاءت موجة التدخين، وتعاطي المخدرات، وغير ذلك من وسـائل الشـر والأذى الذي لحق بالفرد والأسـرة والمجتمع، وكان هنا لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الباع الطويل في الحد من انتشـار العديد من الرذائل والقبائـح، ولكن كما هو معلوم لابد من وجود مّن يشذ ويخرج عن طاعة والديه، ويتناسى القيم السامية التي تتمتع بها المملكة، ولذلك فقد شـهدنا العديد من أحكام القصـاص والسجن لكل مَن ثبتت عليه الحجة، كما شهدنا منذ عشـرين سنة تقريبا حالة قطع يد سارق، وتطبيق شـريعة الله في الحدود إنما هي حماية للمجتمع وصيانة لوجهه الكريم في حياة مباركة آمنة .

وكان رئيـس هيئـة الأمر بالمعروف في نجران هو فضـيلة الشـيخ / أحمد بن صـالح بلحمر، وكان أيضـا نائبا لسـمو أمير المنطقة في مجلس إدارة الجمعية الخيرية للخدمات الاجتماعيـة في نجران، والتي أعمل فيهـا بعد انتهاء عملي في إدارة التربية والتعليم، ومن هنا كانت معرفتنا به عن قرب، حيث كان الشيخ يجتمع بموظفي الجمعية وإدارتها موجها وداعما، وكان شديد الحرص على الأداء الجيد للجمعية، وكان له أثر فاعل مشكور في العمل الخيري، إضـافة إلى عمله في الهيئة وفي مكتب تنسـيق الأعمال الخيرية، حيث الحكمة ، وأسـلوب معالجة الخلل وطريقة التعامل مع مايطرأ من مشاكل أو صعوبات، ثم تم اختيار الشيخ أحمد للعمل مديرا عاما للتخطيط في الرئاسة العامة في الرياض، فخسرته المنطقة وأسـف على نقله الكثير من الذين يعرفونه، ومنهم الشـيخ علي حمد الحمرور، والأسـتاذ علي صالح قميش والدكتور حسين عايض آل حمد، وهم من أعضاء مجلس إدارة الجمعية الخيريـة ، فطوبى للرئاسـة بأفذاذها ورجالاتها الأكفاء المخلصـين الأوفياء، وقد أهديتُ فضيلة الشيخ أحمد بن صالح بلحمر هذه القصيدة :

في محـيَّاك مـن رضـا الـرحـمـن ... ومـضـاتٌ تُـغـنـي عـن الـتـبـيـان
وسـجـايـا في سـيرة نـضَّـدتْـهَـا ... لـلـمـعـالي مـآثـرُ الإيمـانَ
أحـمـد بـن بـلَّـحْـمـر ألـفـذُّ أغـنـى ... طيـبَ مـا في الإسـلام مـن عـنوانَ
فـمـن الحـقِّ لايُـوارى جـزافـا ... ومـن الخـير ممـرعًـا والحـنـانَ
أكـرمَ الـشِّـرعـةَ الأثـيرةَ فيمـا ... هـي تـوحي مـنُ فيض بيض المعانيَ
سـالم القلـب مـن ضغـائنَ تـودي ... لـصـفـات تُـذمُّ كـالـشـنـآن
سَبَقَ الناسَ في الفضائل عزَّتْ ... في زمـان الأهـواء والـبـهـتـانَ
وتـنـاءى عـن المفـاسـد تـأتـي ... بالسـلوكَ المذموم أو بـالـلـسـانَ
طـبـتَ يـاشـيـخُ فـارسًـا ألمـعـيًّـا ... تـتـحـرَّى طـهـارَةَ الـوجـدانَ
وتـوالي مـا لـلـسُّـمُوِّ مـن الفضـل ... وتـرنـو لـقـمَّـة الإحـسـانَ
وتـشـدُّ الـركـابَ لـلأفـق الأغـلـى ... وفـوقَ المـقـام في كـيـوانَ
هِـمَّـةُ الـفـذِّ لايـغـالـبُـهـا الـبُـعـدُ ... ولـيـسـت تـرتـدُّ في المـيـدانِ

فوثيقُ اليقين بالله أقوى   من رياح التفاتة الخذلان
وأراكَ ارتأيتَ مَركبَ حبٍّ   و وفاء لَلبارئَ الحنَّانَ
فرعاكَ الإلهُ برًّا توالي   ماتولتَّهُ شرعةُ الفرقانَ
لم يزلْ طيبُ ذكرك الحُلوُ يروي   من حقول نديَّة في المغانيَ
واهتمامات ذي مقاصد خير   للأهالي علَى المدىً النجراني
ماتناستْكَ بلدةٌ عشتَ فيها   بحُنُوٍّ تشيدُ ركنَ التَّداني
تخلصُ السعيَ في المودات تحيي   شذوَ مافي الفؤاد والوجدان
وعلى المنكرات كنتَ شَديدا   لاتحابي في الحقِّ صَاحبَ شأنَ
عمريُّ الأحكامَ لستَ تراعي   مَن تعامى عن منهج القرآنَ
كم تراءيتَ منكَرًا عملَ السوء   صريحا في القول وَالتبيانَ
تلك وقفاتُ هيئةَ الأمر بالمعروفَ   والنهي عن أذى َالشيطانَ
حملتْ عبءَ دَعوةٍ في مداها   تستقيمُ النفوسُ من فلتانَ
ومن الغيِّ والهوى والتَّعدِّي   ومن البغي في بني البلدانَ
هي صوتُ الرشاد يبقى جليًّا   بين أصوات ديننا الربانيَ
وبها الأمةُ الكَريمةُ نالتْ   في الليالي خَيريةَ الإنسان
نعمت الهيئة : الرشادُ سناها   والصراطُ القويمُ للركبانَ
حملَ الأبرارُ الكرامُ لواها   فتعالى مرفرفًا بالأمانَ
ورجالٌ يا أحمدُ اليومَ هبُّوا   حيثُ جافى الشيوخُ ثوبَ التَّوانيَ
يومَ هُم شمَّروا عن الساعد الصَّلدَ   وآخوا ما في الحجى والتَّفاني
فلهم عقبى الدَّار عنَد إلهَ   من ثواب ونعَمة في الجنان
والبشاراتُ لم تزل لأوَلي الفضلً   فتلك العقبى منَ الرحَمنَ
بورك الوارثون للقيم العُليَا   وطوبى لهيئة الفرسانَ
في امتشاق الإرشاد يلوَي عنادا   أو فسادا يجتَاحُ أيَّ مكانَ
في يدَيْها صَفحاتُ مجد رعاها   سلفُ الأمة الكريم اللِّبانَ
يوم كانت لأمتي عزَماتٌ   وضياءٌ يشَع في الأجفانَ
ودعاة لدعوة ماعرتْها   بدعٌ من صناعة الخسرانَ
فتقدَّمْ أخا المآثرتحفلْ   في مداها بطاهرَ الوجدانَ
في بلاد قد حكَّمتْ مَنهجَ الله   وجافتْ بضائعَ البهتانَ
فهو الخَيرُ ليس يُمحقُ إلاَ   بفراق السلطان للقرآنَ
وهو الدِّينُ كحَّلَ العينَ أمنا   فاستنامتْ في هدأة الأعنانَ
ملأ الأنفُسَ النَّقيَّةَ شوقًا   لمواعيد ربِّها المنَّانَ
فنسيمُ الغيوب دغدغَ بالبشرى   عيونا تاقتْ لوعد هانَ
ولميدان هيئةَ الأمر شأنٌ   ليس تعروه لوثةُ النُّكرانَ
هي أسمىَ من التَّخبُطِ في الدنيا   وأعلى من افتراءِ الجانيَ

وهو الإسلامُ الحنيفُ وتبقى   راسياتٍ ثوابتُ الأركانِ

أيها الشيخُ مانسينا أحاديثَك   تترى في المسجد المزدانَ

إذ وجدنا تألُّقَ الفكر بالعلم   وحُسنَ التأثير وَالإتقانَ

فرعاكَ الرحمنُ حيثُ توجهتَ   كماء سقى جديبَ المغانيَ

فاستعادتْ ثمارَها إذْ تدلَّتْ   يانعاتٍ في أنضرِ الأفنانِ

١٣- : أقوال محدودة (شعراً ونثراً) :

طبيعة عملنا في التعليم دعانا إلى فضيلة التواصل مع مَن حولنا من الناس، فبالإضافة إلى الإخوة أولياء أمور الطلاب، كان لابد من اللقاء مع البائع في البقالة، والموظف في إحدى المؤسسات التعليمية الحكومية، أو المؤسسات الأهلية على كثرتها وتنوعها، وكنت تجد الأمثلة الرائعة في الصدق والوفاء والإيثار، مما حداني لأكتب شعرا أثني على أصحاب الأخلاق العالية، ليكون حافزا لغيرهم في هذا المضمار الاجتماعي الأخلاقي النفيس، ومن هؤلاء

أ- الشَّاب الفاضل / عبدالغني بن غالب[1]. - اليمن- (صعدة) لحسن أخلاقه، وطيب معاملته، ومروءته ...

تلقاهُ في اليمن السعيد إخاءَ   ومودةً ومروءةً ووفاءَ

يُبدي من القيمَ الأثيرةَ مثلما   تُبدي الربوعُ الروضةَ الخضراءَ

عبدُالغنيِّ الغالب العزّيَ الذي   يرعى بهنَّ السِّيرةَ الحسناءَ

نعمَ الفتى بيد الفَضائل لايَنيْ   حتى أجادَ وأحسنَ الإسداءَ

فلباسُه بيضُ السَّجايَا إنهَا   ثوبُ الفخار يزيِّنُ النُّجباءَ

كفَّاهُ تنسجُه بأخلاق سمت   والفضلُ يحذَي المبسمَ الوضَّاءَ

قد حازها هذا الفتى في باقة   فوَّاحة تهدي المدى أشذاءَ

طوبى لكَ التقدير ممَّنْ أقبلواً   يهدونَه لكَ رفعةً وسناءَ

والشكر ياهذا الفتى لك نفحُه   ولقد غدا لذوي العلى سيماءَ

قد بارك الرحمنُ وجهَ يماننا   من مَحْتد باق زها وأضاءَ

يَمَنُ المآثر والتواريخ التي   أغنتْهُ في دنيا الورى إعلاءَ

فاحرصْ عليَه يابنَ غالبَ إنَّه   سيعودُ بعدُ سحابةً وطفاءَ

آثارُها المجدُ الموشحُ بالنَّدى   أبقى الجذورَ، وجدَّد الأصداءَ

فلك التحيةُ، والدعاءُ لخير ما   نرجوه لليمن العزيز هناءَ

بشراكَ يا عبدالغنيِّ بنعمة   فالخُلْقُ فاضَ علَى الفتى إسداءَ

وهو الذي يبقى إذا فنيت غداً   متعُ الحياةِ وأجفلتْ إقصاءَ

---

(١) عبد الغني غالب، يمني الجنسية، مقيم في نجران منذ سنوات عديدة، ويعمل في التجارة ونقل البضائع من نجران وإليها، وله مساهمات خيرية في الجمعية الخيرية بنجران ويمتاز بحسن الخلق ولطف المعشر .

والله أسألُ أن ينيلَك رفعةً ... ويردَّ عنكَ الشَّرَّ والإيذاءَ

من أخيك / شريف قاسم

ب- عَبَقُ المروءَة ...

مهداة للأخ الفاضل الأستاذ / ناصر بن مانع آل عقيل[١] - لبشاشته وتفاعله في عمل الخير.

عَبَقُ المروءة فاحَ بالأطياب ... في صدرك المتوقد الوثَّاب
غذَّاهُ من قيمِ الأصالة موطنٌ ... مازالَ يُتَحِفُها بزَهْو ثيابَ
هذي مَغاني العُرْب في نجَرانَ قد ... حفلَتْ بما للعُرْب مَن آدابَ
ماقصَّرتْ في الخيرِ كفُّ ربوعها ... فالنخلُ جادَ بأعذبَ الأرطابَ
قالوا : الشُّيُوخُ لسَنِّهم هم أهلُه ... لكنْ أتى متمايسًا بشبابَ
بوركتَ (ناصرُ يابنَ مانع) من فتىً ... ذي (فزعة) محمودَة الأسبابَ
في وجهك ارتسمتْ علائمُ نخوة ... فيَّاضة مَثل السَّنا المنسابَ
متحفِّزًا فيها تلبِّي دعوةً ... جاءتْ مَن الخلاَّن والأحبابَ
وهي القلوبُ (أخا عقيل) إنَّها ... تسمو بنور العَزم والإدآبَ
وهو الشَّبابُ إذا تسلحَ خطوُه ... بالفضل فاقَ مآثرَ الأترابَ
فكن الحريصَ على شبابك، وارْعَهُ ... بالمكرُمَات، وحُسْنها الخلاَّبَ
ها أنتَ ترفُلُ فيه بالشَّأو الذي ... قد رُدَّ عنَ ذي الغفَلة المرتابَ
فاهنأ (أباتيماء) بالحقلَ الذي ... ماجفَّ موردُه مدى الأحقابَ
إنِّي لأشكرُ سعيَكَ البادي بما ... وهبتْكَ تربيةٌ بخير رحابَ
عفراء نجرانيَّة نَبَتَ الوفا ... فيها، فطال، ففازَ بالإطَناب ×
فاحْرِصْ على الشِّيم النَّفيسة إنَّها ... زادُ الشَّباب، وعُدَّةُ الجوَّابَ
يرعاكَ ربُّكَ يا أخي متمَيِّزًا ... بجميلِ أخلاقٍ، وحُسْنِ خطابَ

ج- إلى الأخ الفاضل / مانع هشلان[٢] - الموظف في التأمينات الاجتماعية في نجران لحسن أدائه وطيب معاملته

الصِّدقُ يبقى، والقطوفُ دواني ... وفضائلُ الإنسان في الإحسان
نعمَ الفتى بالصِّدق يرفلُ لايَنيْ ... عن واجب في خدمَة الأوطانَ
ولباسُه في الجدِّ كانَ ولم يزَلْ ... ثوبَ الفَخار العاطَر الأردانَ
كفَّاهُ تنسجُه فلا يبلى ولا ... يأتيه ما يأتَي من الخَسرانَ

---

(١) ناصر آل عقيل، سعودي الجنسية، من أهل نجران ويمتاز بحبه لفعل الخير بالإضافة إلى حسن خلقه وتعامله مع الآخرين.

(٢) مانع هشلان من أهل نجران، ويعمل في التأمينات الاجتماعية ويتعاون أحياناً مع الجمعية الخيرية في مدينة نجران.

يرعاهُ بالقيم الرفيعة والوفا حُسْنُ الأداء، ودقَّةُ التِّبيان
قد حزتَها بجميل خُلْقكَ باقةً فوَّاحةً : ياَمانعَ الهشلانَ
طوبى لكَ التقديرِ ممَّنْ أقبلوا يهدونَه بالحبِّ والعرفانَ
والشكر موصولٌ لمثلك نفحُه برقيق ما في القلب والوجدانَ
ضمَّتْكَ (تأمينات) مَنطقة لها من مَحْتِد باقٍ، وَمجد هانَ
لفضائلِ الشِّيم الأثيرة سفرُها أغناهُ طَيبُ الذِّكْر في العُربانَ
نجرانُ أَغنيةُ المآثر : شَدوُها عَذبٌ يردِّدُه فَمُ الركبانَ
تاريخُها، آثارُها، فَانظرْ إلى ماشيَّدَ الأجدادُ في الأزمانَ
وإلى الحضارة أقبلتْ مزهوَّةً بيد الشباب الواثب المتفاني
نهضتْ بها هذي الربوعُ فرحبُها حُلْوٌ كوجه الصُّبح في البستانَ
ياَمانعَ الهشلان بورك سعيُكم في كلِّ دائرة، وكلِّ مكانَ
فضْلُ الموظف كانَ في إنجازه وبسعيه المحمُود في الميدانَ
ونقاء سيرته ،ولطف حديثه فجميلُ صَفْو القولَ ليس بفانَ
فلكَ التَّحيَّةُ شذوُها عَبِقٌ كما هو شذْوُ أحلىَ الزَّهر في الأفنانَ

من أخيك / شريف قاسم

د ـ هدية من شاعر:

كما وصلتني هدية (ديوان شعر) من الأخ الفاضل الشاعر : محمد إبراهيم يعقوب [1]. وفقه الله . فكتبت له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

جاءتْ هديتُكَ الأثيرةُ باقةً ورديَّةً فوَّاحةَ النسماتَ
تُغني حقولَ الشِّعر بعدَ جفافها بشهيِّ ما للأحرف النَّضراتَ
الأمرُ ليس كما يظنُّ أخو الهوَى محرومُ إرث المجد في الصَّفحاتَ
لايشبهُ (العكَّ) الدخيلَ، فتغلبُ تأبى رخيصَ السَوق والشُّبهاتَ
أكمامُ قافية تعهدها النَّدى تيَّاهةً في أجملَ الدَّاراتَ
فيحاءَ يغترفُ الجنى فلاَّحُها منها، فياالطيب في الثَّمرات !
أمحمد إبراهيم : شعرُك ريِّقٌ يسبي أخا الشَّغفَ الكريم الذَّات
إذ كادَ يكفرُ بالحروف يلوكها جهلٌ وحقدٌ، عَرَّسا بفلاةً
لكنها ابتهجتْ رؤاهُ، وأومأتْ كفَّاهُ للأسمى من الكلماتَ
فلك التحيَّةُ يابنَ يعقوب على حُسن البيان، وروعة اللفتاتَ
ولك المودةُ يا أخي متألقًا بحروف فصحَانا بذي النفحاتَ

وصلتني هديتك الأثيرة ((الأمر ليس كما تظن ...)) أشكرك على هذه الالتفاتة التي تنم عن تآلف أرواحٍ فوق حطام مادة التراب ... فشكرا :

---

(١) محمد إبراهيم يعقوب سعودي الجنسية من أهل جازان ، هو شاعر ، ويعيش متنقلاً بين جدة وجازان .

هـ. تشجيع وشدُّ أزر :

تخرج الطالب ناصر بن عبده صالحي من الكلية التقنية، وتدرَّب عندنا في الجمعية الخيرية المدة المقررة على كل مَن يتخرج، وعندما أنهى فترته طلب مني أن أكتب له معروضا يطلب فيه العمل لدى الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في نجران فكتبت له الخطاب التالي :

فضيلة الشيخ الدكتور / صالح بن إبراهيم الدسيماني[1]. وفقه الله
رئيس فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بمنطقة نجران

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أتقدم بمعروضي هذا إلى فضيلتكم ـ حفظكم الله ـ للعمل في جمعية تحفيظ القرآن الكريم في نجران، وأنا ـ والله ـ جادٌ في الطلب والعمل والإخلاص فيه إن شاء الله ،حيث أجد حاجتي الماسة له، وأجد في نفسي قوة ذاتية تدفعني للاهتمام بالعمل، وإلى صيانة سيرتي العملية والسلوكية، وإلى إعداد ذاتي من أجل حضور فاعل ذي فائدة وأثر في كل ما أكلف به ،مجددا في قلبي وقدة الطموح لخدمة حركة الإنتاج والوفاء، قياما بواجباتي، وإرضاء لربي سبحانه وتعالى، .ولدي :

- الشهادة الجامعية المتوسطة من الكلية التقنية لعام (١٤٢٩هـ) .
- الرخصة الدولية لقيادة الحاسب الآلي (icdl)
- شهادة البيسك باللغة الإنكليزية .
- شهادة تدريب من الجمعية الخيرية للخدمات الاجتماعية بنجران .
- شهادة خبرة من الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بنجران .

فضيلة الشيخ ... آمل أن يجد طلبي استجابة حانية لديك، وما تعودت أن أشكو الحال، ولكن أملي في شخصك الكريم ـ بعد الله عزَّ وجلَّ ـ كبير .

والله يحفظكم ويرعاكم
مقدمه / ناصر بن عبده صالحي

وكان من توفيق الله سبحانه أنه قُبل للعمل في الجمعية وما زال فيها منذ عدة سنوات حتى عام كتابة هذه المعلومات نهاية عام (١٤٣٥هـ) .

و. مع الأفراح والأحزان :

كان الدكتور محمد شاكر الشيخ (دكتور أطفال)[2] وهو من أبناء مدينتنا (

---

(١) الدكتور الدسيماني من أهل نجد، عمل رئيساً للأوقاف والدعوة والإرشاد في نجران لعدة سنوات، وكان على قدر كبير من الأدب والخلق والاجتهاد في أداء عمله، ثم انتقل إلى مكة المكرمة ولازال هناك حتى الآن .

(٢) محمد شاكر طبيبٍ أطفال، سوري الجنسية قضى في نجران حوالي (١٥) سنة، كان على قدر من الأدب وحسن الخلق، بل كان جاداً في عمله ويشهد بذلك كثير من أهل نجران .

دير الزور) يعمل في المستوصف الوطني، وهو مستوصف أهلي لأصحابه آل منيف، ويقع في الشارع العام، مقابل الغرفة التجارية، وخرج ذات يوم من المستوصف فصدمته سيارة مارة مسرعة فمات في الحال (يرحمه الله) وتمت تسوية الأمور، وحضر ابنه الكبير (فراس)، وتم دفنه في مقبرة الفيصلية ولم يقصر آل منيف أصحاب المستوصف في أي أمر يخص الدكتور، فاستحقوا الشكر والتقدير ، وقد أقاموا طعام عشاء يدل على كرمهم، فسمِّه إن شئت (قرى) ، وسمِّه إن شئت (الوضيمة) وهو طعام المآتم، وكان تأثرهم بفقد الدكتور محمد كبِيرا ، وقد اجتمع الإخوة السوريون بالإضافة إلى آل منيف وأضيافهم الآخرين، وحق علينا نحن أقارب الفقيد أن نقول :

((الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين ... إلى حضرة الشيخ حمد بن سالم سلطان آل منيف، وإلى الّشيخ علي بن سالم، وإلى سائر إخوانهما وأبناء وأحفاد آل منيف : تحية حب و وفاء . شاكرين ومقدرين وقفتكم الأخوية مع أبناء الدكتور المرحوم / محمد شاكر الشيخ في مصيبتهم التي آلمت الجميع، ولن ينسى أهل مدينة دير الزور في سوريا الذين أخبرناهم عن موقف آل منيف في نجران أثناء وقوع الحادث وبعده، ونحن ننقل إليكم تقديرهم وامتنانهم على ماكان منكم من مودة وإكرام للفقيد ولإخوانه السوريين . فجزاكم اللّه خيرا ، وهيَّأ لكم جميعا أسباب سعادة الدنيا والآخرة، وهذا عهدنا بالقبائل العربية الأصيلة في جزيرة العرب منذ أقدم العصور)) .

ز. في يوم تكريم مدير عام التربية والتعليم الأستاذ حسن أحمد القربي بعد إحالته إلى التقاعد[1] :

إنَّه الوُدُّ ... شذوُه والوفاءُ	وبأفيائه يطيبُ اللقاءُ
ترفلُ النَّفسُ في مداهُ، وتزكو	بالمزايا فَصولُه الحسناءُ
جَمَعَ العلمُ شملَه فتثنَّتْ	باسماتٍ حقولُه الخضراءُ
وأخو المجد مشعلُ الخير فيها	تتهادىَ خطاهُ والعلياءُ
وينادي قَوافلَ العلم تَترى	ولنجرانَ في البنين ظماءُ
ورجالُ التعليم هبُّوا ولبُّوا	صوتَ حادٍ، وكم يطيبُ الحُداءُ
لكَ يامشعلَ المآثر شكرٌ	وامتنانٌ لاينتهي وثناءُ
جئتَ تهدي التعليمَ منكَ وسامًا	فإذا الحقلُ أهلُه أكفاءُ
حسنُ القربي والثلاثونَ عامًا	شاهداتٌ آثارُها والأداءُ
بذلَ العمرَ... زهوَه وربيعًا	في ثناياهُ ... طيبُه والسَّناءُ
ولواءُ التعليم رفرفَ فخرا	بيديه، وقد تعالى اللواءُ
فجناهُ الشَّهيُّ : جيلٌ تخطَّى	عقباتٍ، وما عراه انثناءُ

---

(١) الأستاذ القربي عمل مدرساً في بداية حياته، ثم تدرج به العمل حتى أصبح مديراً عاماً للتربية والتعليم في منطقة نجران، عرف عنه حسن الخلق ولطف المعشر والاجتهاد في العمل .

وعلى المورد الهنيِّ أمير ... ظلَّلتْهُ بالسؤدُد الأفياءُ

وحباهُ الرحمَنُ. جلَّ. بفكر ... شهدتْ فضل وعيه الأبناءُ

العلى، والتّفوُّق الفذُّ بالعلمِ ... وهذي المنى، وذاكَ الحباءُ

فبوادي نجرانَ أمرعَ مجدٌ ... وبماء التعليم يُسقَى العلاءُ

أنبتتْ تربةُ المآثر أدواحَ ... رقيٍّ، وفوَّحتْ أشذاءُ

كيف لاتُزهرُ الحقولُ وخطوٌ ... لأمير النَّدى بها غدَّاءُ

وحواليه مخلصون وهاهم ... لنداءات سعيه أوفياءُ

حسنُ المحتَفَى به اليومَ والنَّاجمُ ... ماقصَّروا، وهذا الرجاءُ

وشبابٌ في دارة العلم لاحوا ... كالدراري فنعمَ هذا السناءُ

إنَّه العلمُ لم يزلْ نهجَ فخر ... بشَّرتْنا بفضله الأنبياءُ

ويخيبُ الجهالُ في كلِّ شأنٍ ... ويفوزُ الأفذاذُ والقرَّاءُ

سعدتْ أمةٌ تقدَّمَ فيها ... بدروب اعتزازها العلماءُ

أيها الشيخُ هذه لحظاتٌ ... سوف تبقى لشأنها أصداءُ

آثرتْها الأفكارُ والقيمُ المُثلى ... وأغنتْ بيانَها العلياءُ

ورعاها الأميرُ شكلا ومعنىً ... وثناءً تحدو به الأنباءُ

لكَ طوبى فليس يُنكرُ فضلٌ ... منه تُروَى النفوسُ والأحناءُ

إنَّ فضلا آثارُه باقياتٌ ... ليس يخفَى، وكيف تخفى ذُكاءُ!

بارك الله مشعلاً حيثُ أوفى ... سيرةَ المجدِ صاغها الأمراءُ

ح- مع شاب آخر لطيب أخلاقه :

إلى الأخ الأستاذ / فهد الحارثي[1].

يحيا الشَّبابُ بخُلْقه الوضَّاء ... وسجيَّة تحلو، وحُسْن رُواء

وجميل إيثار، وطيب تواصُلَ ... ومودَّة تُزْجَى إلى النُّدماءَ

ولربَّما تفنى الفعالُ، وتنمحيَ ... إلا خصالُ السِّيرة الحسناءَ

ولكلِّ نفسٍ في الحياة مخايلٌ ... وأجلُّها ماكانَ في النُّجباءَ

حيثُ الأصولُ الفارعاتُ جليَّةٌ ... ومنع النَّدى والفضل في الآناءَ

أنصفْتَها يافهدُ حيث تلألأتْ ... بجبين روَّاح بهاَ غدَّاءَ

ياحارثيُّ أصبْتَ إذ عفتَ الهوى ... وظفرْتَ من حُلل العلى برداءَ

ومشيتَ في حقل الإخاء مترجمًا ... فعلَ الجدود الصَّيد في الأبناءَ

ومدارجُ التَّعليم أكرمُ مهنة ... وأعزُّ مافي العيش من إعلاءَ

يبني صروحَ العلمَ مابين الورىَ ... أهلُ الرقيِّ، وصفوةُ الفصحاءَ

لمعلمي الأجيالِ أكرمُ منزلٍ ... فهُمُ السَّنا في الليلة الظلماءَ

(١) فهد الحارثي من أهل نجران والعاملين في مجال التربية والتعليم، له بعض الإسهامات والمشاركات مع الجمعية الخيرية في نجران.

وهُمُ الرحيقُ العذْبُ للظمأى إلى ... حُلو الحقول، وفائح الأشذاء
طوبى لفهد الحارثيِّ وصحبه ... في خَدمة التعليمَ ذي الآلاءَ
تبقى شمائلُهم منابتَ رفعَة ... للناشئينَ، وطلعةَ البُشَراءِ
فالخُلْقُ من شيم الشباب رواؤُهُ ... ماغابَ عن وجه الفتى بلقاءِ
وبه تسامتْ نفسُه وتهللتْ ... بالبشر بين النَّاس لا الخيلاءَ
وتحيَّةٌ منِّي إليكَ يضمُّها ... شكري وتقديري وصدقُ ثنائيَ

ط. إلى / سالم مسعود آل سنان لجميل خصاله[1] ...

يحيا الفتى بسلوكه الفينان ... بالوُدِّ والإيثار والتحنان
وبأجمل القيم الغنَيَّة بالإخا ... فهيَ البقيَّةُ في يد الركبانَ
وبأحسنَ الأخلاق، ينتهجونها ... بمعاملات النَّاس، والوجدانَ
فأهنأ بها ياسالمَ المسعود إذ ... وَجَدتْ لديكَ الطِّيبَ يابنَ سنانَ
يسمو شبابُك بالسَّجايا لم ترُقْ ... إلا بنفح رفيفها النجرانيَ
والمرءُ بالأخلاق يغنمُ مجدَه ... في العيشَ لا بمساوئ الخسران
يتنازعُ السُّفهاءُ دون مكانة ... لاترتقيَ للفضل والشُّكرانَ
ويناجزون السُّوءَ في أقوالهمٌ ... والفعلُ لايعدو هوى البطلانَ
والرِّفقُ والكلمُ الجميلُ المُنتَقى ... هي من خصال المسلم الإنسانَ
الله علَّمنا الرُّقيَّ، ودلَّنا ... حرصًا عليه نبيُّنا العدنانيَ
فَلْنُؤْثر السِّيرَ الأثيرةَ، لم تكنْ ... إلا الأصول لخيرة الفتيان
والفظُّ تلفظُه النفوسُ ولو علا ... فوقَ الكراسي شأنُه المتدانيَ
إنَّ الحبيبَ إلى القلوب هو الذي ... يثري محاسنَها بحُلو لسانَ
فاسلمْ أخي : ياسالمَ المسعود في ... أحلى ثياب الوُدِّ والإتقانَ
إنَّ الإدارةَ تنتمي لمديرها ... في السيرة الحسناء كلَّ أوانَ
فبكلِّ منطلق نرى آثارَها ... فيروقُ طَيبُ الذِّكر للآذانَ
فلكَ التَّحيَّةُ حسنُها في شذوها : ... عقدُ القوافي ريِّقَ الألحانَ
ولكلِّ مَن خصَّ التعاملَ صادقًا ... بمكارم الأخلاق والعرفانَ
وأشاعَ بينَ الناس مافي ديننا ... من بسمة وتواضع وأمانَ
تحلو الحياةُ : مشاعرًا فوَّاحَةً ... بشميم عذبَ الروض والريحانَ
ونعيشُها نكدًا بسوءِ فعالنا ... وبجهلنا الممقوتَ : للإحسانَ

من أخيك / شريف قاسم

(١) الأستاذ سالم آل سنان من العاملين في التربية والتعليم والمتعاونين مع الجمعية الخيرية في نجران .

ي : إلى / عبدالله علي آل عبدالله(١)

لأولي الخصال تحيةٌ وثناءُ … حَسُنَتْ، فطابتْ دونها الأصداءُ
وبديعُ أخلاقَ : مخايلُ رفعة … في النفس زانتْها هناك ذُكاءُ
بشراكَ عبدَالله يابنَ عليٍّ إذْ … أحرزْتَ منها مابه الإعلاءُ
مجدُ الموظف في كريم صفاته … ماشابها سوءٌ، ولا بغضاءُ
أو عابها خُلُقٌ ذميمٌ ذو هوَى … أو ردَّ سمعةَ فضلها الإزراءُ
يحيا الشبابُ بما لديه من العلي … ومن المكارم مابهَا خُيَلاءُ
وإذا مضى في الأمر ينجز حاجةً … للنَّاس لمَّا تُثْنه الأهواءُ
أنعمْ بمَن حملَ الوَظيفةَ خدمةً … للخير حيثُ يدُ الوفاء وطاءُ
يلقى المراجعُ في بشاشة يسرها … مايجتليه من المنى ويَشاءُ
فيعود يشكر مَن يقومُ بواجِب … قد أوجبتْهُ عقيدةٌ غرَّاءُ
أمرَ الإلهُ عبادَه إن كُلِّفوا … أن يُنجزوا، والأمرُ فيه جزاءُ
ويحبُّ بارئُنا الفتى إنْ أتقنتْ … كفَّاهُ ما لا يُتقنُ السفهاءُ
فاظفرْ بهذا الخير عبدَالله قد … ظهرتْ عليك لصدقك السيماءُ
شوهدْتَ منهمكًا على أعمالك … اشتغلتْ بها الأفكارُ والإنشاءُ
ما أجملَ الهممَ الكريمةَ إنَها … تعنو لديها الشِّدَّةُ العسراءُ
بوركتَ عبدَ الله، فاسمُك مُدرَجٌ … في المنجزين هنا، فليس تُساءُ
يرعاكَ ربُّك في الشباب كلاءَةً … ماضرَّ سيرَكَ بالنُّهى الإدجاءُ
فاظفرْ بدرب الصِّدق تُلْجئكَ الخطى … للفوز فيها، فالرياحُ رُخاءُ
منِّي إليك تحيَّةٌ ماشابَها … كدرٌ، وَللمولى الكريم دعاءُ
أن يحفظَ الجيلَ الجديدَ من الأذى … ومن الشُّرور، فأهلُها تعَساءُ !!!

ك. في فقد الأحبة :

الأخ الفاضل والصديق الودود والزميل في التعليم الأستاذ / إبراهيم بن عبدالله الزكري يرحمه الله - من خيرة الشباب الذين قاموا بواجبهم في عملهم، وكان مثالا للمثابرة والجد وحمله همَّ العمل ، وفي إحدى إجازاته الصيفية غادر إلى مدينة أبها، وقدر الله عليه فمات في حادث مروري، لقد حزنا على فراقه أشد الحزن، وترك خلفه زوجته وأولاده يرعاهم الله، ونسأل الله له الرحمة، ولأهله وإخوانه الصبر، وقد قلتُ في رثائه :

---

(١) عبد الله آل عبد الله من أهل نجران، وله مشاركات في أعمال الجمعية الخيرية في نجران .

فالشبل عبد الله هب يعيد ما ⁂ قد كان من فخر ومن عزمات

وأخوه - طوبى - «للوليد» بنشأة ⁂ في ظل بيت عامر الجنبات

وشقيقتاه وبالفضائل عاشتا ⁂ عزاً، فبوركتا من الإخوات

ترعى الجميع على المآثر أمهم ⁂ نعم الأثيرة . . . نعم في الزوجات

تلك ابنة «الماضي» فبورك أهلها ⁂ أهل الديانة رافعو الهامات

حفظت لهم إرث الفقيد، وجددت ⁂ روح الهدى والصبر في الآفات

تحيا على تقوى الإله، فبوركت ⁂ بين النساء بعزة وثبات

يا أختنا، يا أم عبد الله لا ⁂ تترددي في أحلك الظلمات

صبراً على قدر الإله، وإنما ⁂ ستفوز من ترضاه بالحسنات

إذ أنت مؤمنة بربك، فاصبري ⁂ فالصبر فيه إقالة العثرات

واسعي على أولادك الأطهار في ⁂ دنيا تموج بفتنة وغواة

فسيحملون العبء عنك، وربنا ⁂ لم ينس من ناداه في الشدات

قد غاب إبراهيم رحمه الذي ⁂ خلق الحياة وشابها بممات

لكنه قد مات عبداً صالحاً ⁂ فرحاً بشهر صامه وصلاة

والله أسأل أن يكون بجنة ⁂ هفهافة بالعفو والنفحات

والله أسأل أن تعيشوا بعده ⁂ في ظل حفظ الله ذي الرحمات

والله يكلؤكم، ويعلي شأنكم ⁂ ويرد عنكم وطأة اللوعات

ولعل رب العرش تجمعكم به ⁂ يوم الحساب بواسع الجنات

من أخيك / شريف قاسم

ل / مشاركات في الأفراح :

تهنئة للأخ الفاضل مدير جمعية (رَتِّلْ) في نجران الأستاذ / سعيد بن أحمد الغامدي[١].. بمناسبة ولادة ابنته الصُّغرى ردينا

أهلا بزهرة دوحنا الفينان ... فوَّاحةً بالروح والريحان
هذي (رُدَيْنَا) مَرحبًا بقدومها ... في بيتها المعمور بالإيمانَ
جاءتْ فأحمدُ حولها في فرَحة ... وأخوهُ عبدُالله قلبٌ حانَ
وهناك نوَّافٌ تعانقُه المُنىً ... فالحمدُ كلُّ الحمدَ للرحمنَ
أعطى، ويسَّرَ، فالطفولةُ جَنَّةٌ ... ترعى محاسنَها يدُ التَّحنانَ
فلِك التهاني ياسعيدُ نديَّةً ... مزهُوَّةً بسعادة وأمانَ
ولأمِّها عانتْ، فأكرمَها الذي ... باللطف يرعى الخَلْقَ والرضوانَ
إنَّ البنينَ لَزينةٌ تحلو لمَنْ ... يرعى البنينَ برحمة وحَنانَ
وبسيرة محمودة، وبنشأة ... تسمو بما قد جاءَ في القرآنَ
وبهَدْي سيِّدنا النَّبيِّ ترى الفتىً ... يغشى العلى جَذلا، عظيمَ الشَّانَ
أبَشرْ أخا الإسلام في آفاقها ... بالخير والتوفيق في الأزمانَ
مَنْ عاشَ والقرآنُ صِنوُ حياته ... ألفى مآثرَه بلا نقصانَ
هذي (رُدَيْنا) منحةٌ جاءت هنا ... في المَربَع الموصوف بالنَّجراني
لتُثيرَ جدَّيْها بأربُع غامد ... بثُغَائها لهُمَا، وطرف رانِ
هاقد أتَتْ، ولعلها تُومَي لكمً ... ببشَارة تُرجَى، وبرٍّ دانَ
طوبى سعيدُ بما حباكَ إلهُنا ... من جودِه الفيَّاض بالإحسانَ
فاحْمدْهُ ـ جلَّ جلالُه ـ فهو الذي ... يُؤتي التَّقيَّ عطاءَه الرَّبَّانيَ
ولك التهاني مرَّةً أخرى على ... كفِّ المودَّة، والإخاء الهاني
يرعاكَ ربُّك للهُدَى متلهفًا ... لكريمِ وعْدِ الله في الفرقانَ

من أخيك / شريف قاسم

م / الملتقى الأول لمنسوبي تعليم الكبار :

((أقامت الإدارة العامة للتربية والتعليم بمنطقة نجران ـ إدارة تعليم الكبار ـ برعاية الأستاذ / حسين بن علي آل معمر ـ مساعد مدير التربية والتعليم للشؤون التعليمية ... حفلا كرَّمت فيه منسوبي تعليم الكبار، وألقيت فيه العديد من المحاور التي تهم تعليم الكبار، كما ألقيت فيه هذه القصيدة))

حيَّاكُمُ الباري بكلِّ مساء ... وبكلِّ صبح مشرق الأرجاء
أهلا بكم في حفلكم هذا الذيَ ... قوَّى وشائجَ ألفةٍ و وفاءَ

---

(١) الأستاذ الغامدي مدير الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن ولازال حتى الآن، ومشهود له بحسن الخلق ولطف المعشر والاجتهاد في أداء أعماله.

بالحبِّ والقيم الأصيلة والإخا ... وبما لنا في الشِّرعة الغرَّاء
للعلم جئتُم أنجُما فالملتقى ... يَزهو بنور ثقافةَ وعلاءَ
وتبلُّغُ الأفكار وشَّتْها الحجى ... فتمايست في أعين النجباءَ
أهدافكم تحلو بتجديدَ بدا ... في رائع الآلية العصماءَ
والخبرةُ الغنَّاءُ، والرأيُ انتشى ... إذْ هلَّ مثلَ الغيمة الوطفاءَ
فربتْ هناك وأثمرت أغصانُها ... والشكر يشمل زارعي الميثاءَ
تبقى تسابقُ في المآثر والنَّدى ... وبكلِّ ما للفخر من أشذاءَ
فالصبرُ في التطوير يُؤتي أُكْلَه ... بجميل رونق صفحة العظماءَ
طوبى لكم أهلَ المعارف والنُّهى ... لفصاحة ولحنكَة و أداءَ
ومودة بين الجميع، يُنيلُها ... صدقُ الشعُور بأعذب الأصداءَ
هذا اللقاءُ يضمُّكم فيه الوفا ... والصِّدقُ في الأقوال والآراءَ
فلكَ الثَّناءُ حسينُ يابنَ معمَّر ... في موكب الأفذاذ و الأكفاءَ
ولك الحديثُ لإخوة من شأنهمً ... طيبُ العطا في الصَبح والإمساءَ
فهُمُ القناديلُ المضيِّئة في الدَجى ... وهمُ جنودُ العلم والعلياءَ
قد بوركت خُطواتُهم مزهوةً ... فثمارُها ملءُ اليدَ البيضاءَ
وإشاعةُ الأمل الجميل رسالةٌ ... منهم إلى الأميِّ في الأنحاءَ
هم أكرموا إذْ يَملكون كَما ترى ... حيويَّةً في الفعل والإيماءَ
فدروسُهم في الفصل إيجابيَّةٌ ... قد ترجمتْها ألسُنُ الفصحاءَ
هم يألفون تطوُّرَ التعليم في ... زمن ابتكار طريقة الإعطاءَ
ويُجيِّشون الشَّوقَ في صدر الذي ... طالَتْهُ كفُّ جهالةَ الجهلاءَ
فترى كبارَ السِّنِّ هزَّهمُ السَّنا ... وحُداءُ شدو الهمَّةَ القعساءَ
فتسابقوا قُدُمًا إلى مايُرتَجى ... من جنَّة التَعليم لا الأهواءَ
في ملتقاكم يا أخا الفصحى هوىً ... لكنَّه يُنَمى إلى الفضلاءَ
فهو الهوى المحمودُ لايُبقي على ... شوك الأذى في البقعة الجرداءَ
والله أسألُ أن يُديمَ لقاءَكم ... من غَير ما ملل ولا إعياءَ
ويُريكُمُ وجهَ التَّعلم مشرقًا ... حُلوًا كوَجه الليلَة القمراءَ

ن.نموذج لمسرحية أعدَّت لإدارة الدفاع المدني في نجران، نفذتها إحدى المدارس الابتدائية في المنطقة (مديرية الدفاع المدني بمنطقة نجران إدارة العلاقات العامة) مسرحية : ((الدفاع المدني ... وطب الكوارث)) بمناسبة اليوم العالمي للدفاع المدني :

((عشرة طلاب داخل مسرح في أحاديث جانبية، مع مؤثرات صوتية للرعد ...))

- الأول : إنها أمطارٌ لم نشهدْ مثلَها من قبلُ ...

ـ الثاني : أجلْ ... انظرْ إلى السماء كيف ادلهمَّت بالغيومِ المحملةِ بالأمطار، واسمعْ إلى صوتِ الرَّعدِ يبثُّ الرُّعبَ في القلوب .

ـ الأول : انظرْ ... انظرْ إلى لمعانِ البرقِ يكادُ يخطفُ الأبصار .
ـ الثاني : إنَّه الشتاءُ ... بأمطارهِ وعواصفه ورعْده وبرقه .
ـ الأول : إن الأمطارَ غزيرةٌ، وكأنها قربُ ماء تتدَفَّقُ منَ السماء،
((يدخل الثالث إلى المسرح، وعليه آثارُ المطَر ... والخوف ... ويقول :))

ـ الثالث : لاحولَ ولا قوةَ إلا بالله ... لاحول ولا قوةَ إلا بالله .

((يجلس مكتئبا ورأسُه بين ركبتيه))

ـ الرابع : مالَكَ ... ما الأمرُ ... ماذا جرى !!
ـ الثالث : ماذا جرى !! إنها كارثةٌ ... كارثة ... لا بل كوارث ...
ـ الرابع : إنا لله وإنا إليه راجعون ... ماذا جرى ؟ ... ماذا رأيتَ ؟ ماذا سمعتَ ؟
ـ الثالث : لم أسمعْ، ولكنِّي رأيتُ ...

ـ الرابع : وماذا رأيتَ ؟

ـ الثالث : رأيتُ كيف هدمت السيولُ الجارفةُ بيوتَ الناس، وكيف غمرت المياهُ الشوارع ودخلت إلى المساكنِ، وكيف أتلفت الأمتعة، وكيف شرَّدت الناس فأصبحوا في العراء !!

ـ الخامس : إنا لله وإنا إليه راجعون ... حقيقة إنها كارثة، لم يحدث مثلها منذ زمن بعيد، نسأل الله السلامةَ للجميع . إنها من أقدار الله تعالى ...

ـ السادس : وإنها تأتي بدون سابق إنذار ، كانت السماءُ أمسِ صافية، والشمس ساطعةً ... وكأننا في يوم صائف ... سبحان الله !!

ـ الثالث : ((بانفعال وغضب)) أيُّ صيف !! أقول لك إنَّ الديار تهدَّمت ، والناس في خوف على أنفسهم وأمتعتهم ... وتقول : صيفً !!

((ويعود إلى جلسته الأولى))

ـ السادس : هوِّنْ عليك ـ يا أخي ـ لابدَّ من الهدوء والصَّبرِ، حتى نستطيع التفكير فيما يجبُ عملُه، لتخفيف وقعِ الكارثةِ على الناس .

ـ الرابع : فأثناء الحوادث والكوارثِ لابدَّ من الهدوء، ورباطةِ الجأشِ حتى نُحسنَ التَّصرُّف تجاه الكارثة وآثارِها .

ـ الخامس : ولا بدَّ من التعاون، فنحن كالجسدِ الواحد، وأيام الكوارث هي المحك للرجال ... أهل النخوة والنجدة والمروءة .

((أصوات سيارات الدفاع المدني، وصفارات الإنذار)).

ـ السادس : اسمعوا ... اسمعوا ... إنها أصوات سيارات الدفاع المدني ...

((ينظرون من طرف المسرح))

نعم ... نعم ... عشرات السيارات نراها تنطلق الآن شطرَ مكان الكارثة

ـ الأول : هذا يوم مشهود من أيام الدفاع المدني ... أيام الرجال الأشداء الأوفياء لدينهم ووطنهم وقادتهم، يدفعون الأذى عن الناس في الكوارث والحوادث .

ـ الثاني : إنهم طلائعُ أهل النجدة في ساعات الشِّدة .

السابع : لاشكَّ أنَّهم مستعدون لمثل هذه الأيام، بخبرتهم، بهممهم العالية .

ـ الثاني : أجل ... كم رأيناهم يخمدون ألسنةَ اللهب المنبعثةَ من البيوت أو المحال التجارية، وكم رأيناهم في ميادين النجدة في ظلمة الليل أو في وضح النهار، ينقذون الأنفس من موت محقق ...

ـ السابع : بارك اللهُ فيهم، وأثابهم على تضحياتهم، وسدَّد خُطاهم، فما ذلك إلا بسبب التخطيط الذي يسبق حلول الكارثة .

ـ الثاني : وهذا أيضا من جِدِّيَّة الإدارة والتحضير لمثل هذه الساعات الحرجة، ومن حُسنِ تحديد وسائل الوقاية من الكوارث وآثارها .

ـ السادس : ولا تنسوا تعاونَ بقية القطاعات الحكومية والأهلية، فكم رأينا من الرجال والشباب مَن شمَّرَ عن ساعد النخوة، وانخرط في معترك الكارثة، يساعد في إطفاء حريقٍ، أو في إنقاذ محاصَر بمياه السيول ...

ـ السابع : هذه شيمنُا وعاداتُنا، فليس من الغريبِ أن نرى الناسَ كلَّهم جنودًا للدفاع المدني في مثل هذه الكوارث .

ـ الرابع : نعم ... هذا يحملُ مصابا، وذاك يحاول إنقاذ أسرة، والآخر يحذِّرُ من الاقتراب من الأمكنة الخطرة ...

ـ السابع : ((يوجه كلامَه للفتى الثالث، والذي يجلس حزينا مكتئبا مطأطئ الرأس))

: مالك أيُّها الفتى ... أهكذا يكون الشبابُ أثناء وقوع الكوارث !!

ـ الثالث : مالي !!! مالي !!! الكوارث خسارة ... الكوارث دمار ... لقد تهدمت البيوت، ولقد مات بعض الناس، ولقد تلفت الأمتعة ... الكوارث خسارة للفرد وللمجتمع، الكوارث

... ((يقاطعه السابع))

ـ الســابع : كفى ... كفى ... هوِّنْ عليك وعلى الناس. لارادَّ لقضــاء الله، والحمدُ لله على كل حالٍ، الكوارث خســارةٌ ... هذا صحيح، ولكن لابدَّ من التعاون والتكاتف، لابدَّ من أن يقدم كلٌّ واحد منَّا شيئا يخفف من نتائج الكارثة .

ـ الســادس : هذا صــحيح ... لاتتشــاءمْ ياأخي ... وتجنَّبْ إثارةَ المخاوف بين الناس، وابتعد عن التهويل، فربما أخذها البعضُ وجعلها إشاعات تؤثر في المجتمع !!

ـ السابع : ... فيصيب الناسَ الذُّعرُ والقلق، لابدَّ من الصَّبر والهدوء، لابدَّ من ضبط الأعصــاب للسـيطرة على الكارثة مهما كانت نتائجُها، لابدَّ من احترام مشــاعر الشـيوخ والنساء والأطفال ...

ـ الرابــع : لامــكان للتشــاؤم والخوف والفوضــى في مثل هذه الســاعات، إنَّ حكومتنا الرشيدة بتوجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز ـ يحفظه الله ـ أعدَّت العدة ووضعت كلَّ الإمكانيات استعدادا لوقوع مثل هذه الكارثة، ((أصوات سيارات الدفاع المدني ...))

هاهي أرتال سيارات الدفاع المدني تشقُّ الطرقاتِ مسرعةً إلى مكان الكارثة، يمتطيها رجال صادقون مدربون ذوو حِنكةٍ وخبرةٍ .

ـ الخامســ : وعلــى جانــب من العلم والخــبرة ، وحبَّذا لــو تعرَّف النــاسُ على نغمات الإنذار، وتابعوا ماتبثُّه وسائلُ الإعلام ... فإنهم يستفيدون ويفيدون ...

ـ الأول: وســائلُ الإعلام ... أصــوات يجب أن نستمع إلى إرشاداتها قبل وقوع الكارثة، لنتخذ الاحتياطات اللازمة .

ـ الخامســ : وكذلك أثناء وقــوع الكارثة، ليتعلم الناس كيف يتصــرفون، فهنا تتجلَّى قدرة الرجال على مواجهة ال أحداث .

ـ الثــاني : وكذلــك بعد الكارثة ... ليعمل الجميع على معالجــة النتائج، والأخذ بأيدي المصابين، ومساعدة المنكوبين بالمعونات العينية والنقدية .

ـ الخامس : نسألُ اللهَ سبحانه وتعالى أن يحمي بلادنا من كلِ مكروه، ومن كل الكوارث والنوازل، وأن يجبرَ كســرَ المصــابين، وأن يضــاعف الثواب لكلِّ مَن شارك في التقليل من آثار الكوارث على الناس.

((يدخل الثامن وعلى وجهه علامات الاستبشار ...))

ـ الثامن : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الجميع : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

ـ السادس : بشِّرْ ... ماوراءَك من الأخبار ...

ـ الثامن : إنها فعلا كارثةٌ ... ولكنْ أبشروا .

إنَّ لطفَ الله عزَّ وجلَّ، ثمَّ ما أعدَّته حكومتُنا الرشيدة من رجال وإمكانيات على أعلى المستويات، وإن مالدى أبناء شعبنا من نخوة وتعاون، وكذلك ماقدَّمتْه مختلف الجهات الحكومية والأهلية ... قلَّل الكثير من وطأة الكارثة، وخفَّف من حدَّتِها، وقد تمَّت السيطرةُ التامةُ على آثار الكارثة، والحمد لله ربِّ العالمين .

ـ السابع : ((موجها كلامه للثالث ...)) قُم يارجل ... تحلَّ بالهدوء والصَّبرِ أثناء الكارثة

الجميع : تحلَّ بالهدوء والصَّبر أثناء الكارثة (ثلاث مرات))

ـــ ســـتار ـــ

تأليف : شريف قاسم

١٤ـ رأي وتعليق :

الأستاذ ابن قاسم (شريف) جاء إلى بلاد نجران منذ أربعة عقود، يعلم ويربي ويوجه، ولازال مواصلا في مشوار عطائه . وقد استكتبت هذا الرجل النبيل من قبل فدون لنا دررا علمية عن أرض وسكان نجران[١] . ومدوناته قائمة على التجربة والمشاهدة ومخالطة الناس. وقد التقيت به مرة واحدة فوجدته أديباً وشاعراً وراوية، ولازلت أحثه على تدوين تجاربه الميدانية في المجتمع النجراني منذ نهاية القرن الهجري الماضي (١٤هـ /٢٠م)، حتى وقتنا الحاضر . وآمل منه أن يزودنا بما يعرف عن تاريخ وحضارة نجران خلال هذه الفترة التي قضاها بين النجرانيين .

وفي هذه المشاركة التي بين أيدينا نجده يرصد لنا صوراً من التاريخ الاجتماعي النجراني، وهذه الأقوال والمدونات سوف تزداد قيمتها العلمية مع تقادم الزمن . ولا نملك إلا الدعاء والشكر لهذا الرجل الذي كان حسن الخلق في معاملته، فتجاوب معنا في عطائه، لبيباً في قوله وخطابه، فجزاه الله عنا خير الجزاء [٢].

(١) للمزيد عن مشاركات الأستاذ شريف قاسم. انظر، غيثان بن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب . ج٣، ص ٢٦٣. ج ٦، ص ٣٠٣ وما بعدها .

(٢) هذا الرأي والتعليق إضافة من صاحب الكتاب (ابن جريس) .

ثالثًا: الخاتمة: النتائج والتوصيات:

هذه الأربع عشرة دراسة المنشورة في هذا الجزء تدرس تواريخ سياسية وتاريخية واجتماعية واقتصادية وثقافية وغيرها عن النجرانيين وبلادهم منذ عصور ما قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر. كما أن بعض هذه البحوث تناولت بلاد اليمن وأجزاء من السروات ببعض التوضيحات السياسية والحضارية. ولا ندعي الكمال في ما تم طرحه في هذه السفر، لكنني أعلم أن المادة المنشورة والمطبوعة جديدة في بابها، وما زال أغلبها يحتاج إلى إضافات وتصويبات وآمل أن يأتي في المستقبل من يقوم بذلك [١].

وإذا تأملنا الأقوام والحضارات التي عرفتها بلاد نجران، وساهم فيها النجرانيون أنفسهم، فإننا ندرك أن هذه المنطقة لعبت أدوارًا سياسية وعقائدية وحضارية عديدة، وللأسف أن الموثق والمحفوظ من ذلك التاريخ قليل جدًا، وأحيانًا لا يذكر، وعدم توثيقه وضياعه لا يعني أن هذه الأرض معدومة التاريخ والأثر والتأثير، لكن عوادي الزمن، وعدم التوثيق هما من الأسباب الرئيسية التي ضيعت الكثير من تراث هذه البلاد. وهذا الضياع شمل عصور ما قبل الإسلام، والفترة الممتدة من القرن (٢-١٢هـ/ ق ٨-١٨م)، من أقل الفترات التي لا نعرف عنها الشيء الكثير من تاريخ نجران والنجرانيين. أما فترة القرنين الأولين من الإسلام، وحقبة العصر الحديث والمعاصر من القرن (١٣-١٥هـ/ ق ١٩-٢١م) فهي أفضل حالاً من غيرها، لأن المادة التاريخية والحضارية لهذه القرون ميسورة، ويستطيع الباحث العثور عليها، مع أن الدراسات المطبوعة والمنشورة عن منطقة نجران عبر عصور التاريخ القديم والإسلامي مازالت محدودة وقليلة جداً. **وفي النقاط الآتية أذكر بعض النتائج والتوصيات التي خرجت بها من خلال دراسة ونشر هذه البحوث المعروضة في هذه السفر، ومن خلال انطباعاتي وقراءاتي ورحلاتي في مناكب جنوب المملكة العربية السعودية.**

١. يشترك في مسئولية جمع وحفظ وتدوين تاريخ وحضارة منطقة نجران عدد من الفئات مثل: إمارة وجامعة منطقة نجران، فهما المسئولان الأولان عن هذا الجانب، وعليهما التعاون وتضافر الجهود في خدمة هذا الميدان إدارياً ومادياً ومعنوياً.
٢. المؤرخون والآثاريون والباحثون عليهم جميعاً العمل الجاد في التنقيب والجمع والتوثيق التاريخي عن حضارة هذه البلاد القديمة والعريقة في تراثها وحضارتها. كما أنني لا أعفي النجرانيين وبخاصة المثقفين وأصحاب الجاه والمال فالواجب

(١) إنني أعمل في مجال البحث والتوثيق لتاريخ وحضارة جنوب شبه الجزيرة العربية منذ ثلاثين عامًا، وما زلت أجهل الكثير من تراثها وتاريخها وحضارتها. وهي أوطان مليئة بالتراث والكنوز المعرفية، ونأمل أن نرى في بناتنا وأبنائنا من الباحثين وطلاب الدراسات العليا من يعكف على خدمة توثيق ودراسة هذه البلاد العربية الماجدة.

أن يبذلوا شيئًا من جهودهم وأموالهم لخدمة ناسهم وبلادهم.

٣. ليست آثار منطقة نجران محصورة في منطقة الأخدود أو بلدة نجران القديمة، ولكن عموم المنطقة مليئة بالآثار المادية المدفونة والسطحية، كما أن في جبالها ووهادها وأوديتها الكثير من الآثار المتمثلة في منازلها وحصونها، ومقابرها، وآبارها، وسدودها، ومساجدها، ونقوشها، ورسوماتها الصخرية، وكذلك موادها الأثرية القديمة والمستخدمة في المهن الاقتصادية والاجتماعية والحربية وغيرها.

٤. لو فصلت الميادين الجديرة بالبحث والتوثيق في تراث، وحضارة، وتاريخ منطقة نجران فإن ذلك يستهلك مئات الصفحات، لكن أقول إن جميع عصور وقرون وعقود منطقة نجران تستحق الدراسة والتوثيق في شتى الميادين التاريخية والحضارية. وآمل من جامعة نجران أن تستشعر هذه المسئولية وتفتح أقسامًا ومراكز علمية تقوم بحفظ وتوثيق ودراسة تراث هذه البلاد، (والله من وراء القصد).



ثانياً : سيرة ذاتية مختصره

أولا : معلومات عامة

الاسم :غيثان بن علي بن عبدالله بن جـريس الجـبـيري الشـهـري



- مـن مواليـد محافظـة النمـاص بـلاد بنـي شهـر عام (١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م).
- تلقـى تعليمه الابتدائي والمتوسـط والثانـوي في محافظة النماص وتخرج في الثانوية عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).
- تلقى تعليمه الجامعي في مدينة أبها بفرع جامعة الملك سعود ، قسـم التاريخ ، وتخرج بمرتبة الشرف الأولي في عام (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).
- ذهـب إلـى الولايات المتحـدة الأمريكيـة ودرس درجة الماجستير في جامعـة أوسـتن تكسـاس (Austin Texas)، ثم أنتقل إلـى جـامعـة إنديانا فـي مدينة بلومينجتون (University of Indiana) وتخرج فيها عام (١٤٠٥هـ /١٩٨٥م) .
- ذهـب إلى بريطانيا وحصـل على درجـة الدكتوراه في التاريخ الإسـلامي عام (١٤٠٩هـ - ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ -١٩٩٠م)
- عـاد إلى جامعتـه في أبها وعمل في العديد من الأعمـال الإدارية والأكاديمية بالإضافة إلى رئاسة القسم حوالي ثلاثة عشر عاماً.
- حصل على درجة الاستاذية في نهاية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .

ثانياً : عضوية المجالس والمؤسسات المحلية والعربية والعالمية :

- رئيـس تحريـر مجلة بيادر الصـادرة من نادي أبهـا الأدبي في الفترة من عام (١٤١٥هـ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٥م - ١٩٩٩م) .
- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .
- عضو الجمعية السعودية التاريخية .

تابع سيرة ذاتية مختصره

- عضو جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي.
- أول مشرف لكرسي الملك خالد للبحوث العلمية بجامعة الملك خالد.

ثالثاً : المحاضرات العامة، والمؤتمرات، والندوات، والحوارات المحلية والإقليمية والعالمية ، بالإضافة إلى حصوله على بعض الجوائز والتكريم:

- قدم حوالي تسعين محاضرة عامة ، وشارك وقدم أوراقا علمية في أكثر من (٩٠) ندوة ، أو مؤتمر ، أو لقاء علمي .
- حصل على جائزة عبد الحميد شومان على مستوى العالم العربي، في العلوم الإنسانية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .
- تم تكريمه من قبل نادي أبها الأدبي في (١٤١٨/٢/٥هـ / ١٩٩٧م) وذلك بمناسبة حصوله على درجة الأستاذية بتميز .
- تم تكريمه في عدد من الملتقيات مثل ملتقى بني شهر الأول في الرياض عام (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، وملتقى زهران العاشر عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).
- تم تكريمه ضمن شوامخ المؤرخين العرب في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة عام (٢٠١٣ م)، وتاريخ هذا التكريم كان يوم الأربعاء (٢/محرم/١٤٣٥ هـ الموافق ٦/نوفمبر/٢٠١٣ م) .
- تم تكريمه من قبل وزارة الثقافة والاعلام السعودي في معرض الكتاب الدولي الثامن بالرياض عام (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م). وفاز كتابه : الوجود الاسلامي في ارخبيل الملايو بجائزة الوزارة في ذلك العام (١٤٣٥ هـ)
- حصل على جائزة معالي مدير جامعة الملك خالد في مستودع الأبحاث الرقمية العلمية يوم الثلاثاء (١٤٤٠/٨/١٨هـ الموافق ٢٠١٩/٤/٢٣م) .
- تم تكريمة في نادي أبها الأدبي كأحد رواد البحث العلمي في مجال التاريخ والحضارة العربية والإسلامية يوم الثلاثاء (١٤٤٠/١١/١٩هـ الموافق ٢٠١٩/٧/٢٢م) .

رابعاً : النتاج العلمي :

١. تم تأليف وطباعة ونشر أكثر من (٤٤) كتاباً .
٢. قام بتحقيق ومراجعة وتقديم العديد من الكتب والمجلات .
٣. نشر حوالي (١٠٠) بحثاً علمياً في مجلات وكتب علمية ، معظمها باللغة العربية وبعضها باللغة الانجليزية .

Najran Region

Studies, Additions and Comments
(From Pre-Islam to the 15th Hejry Century/ 1St to 21st Gregorian)

(Vol.1)

Professor :
Ghithan bin Ali bin Jrais
Department of History
College of Human Sciencess
King Khalid University

Riyadh: Al Homaidhi Press
First Edition
(1441 AH/ 2019 AD)